ديوان
علي الجارم

علي الجارم

ديوان علي الجارم

تأليف
علي الجارم

هنـــداوي

ديوان علي الجارم

علي الجارم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: سحر عبد الوهاب

الترقيم الدولي: ٩ ٠٤٩٤ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٣٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٣.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُصنَّف، الإصدار ٤,٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

الجزء الأول	١١
مُقدمة المؤلف	١٣
أبو الزهراء	١٩
مصر	٢٣
يَومُ السَّلَام	٣١
رثاءُ سَعْد	٣٧
إبراهيم بطل الشرق	٤٧
الحُبُّ والحَرْبُ	٥١
رشيد	٥٥
أبو الأشبال ...	٦١
الأعمَى	٦٣
رثَاء إسماعيل صَبري باشا	٧١
الفخر	٧٧
اللغَة العَربية وَدَار العُلُوم	٧٩
ضِحكُ القَدَر	٨٧
الجامعة المصرية	٨٩
العروبة	٩٣
أَفُولُ نجمَين	٩٩
من شاعرٍ إلى شاعِر	١٠٣
تَحِيَّة الإِيَاب	١٠٧

العيدُ المِئَويّ لوزارة المعارف ١١١
كلُّ بَيتٍ فيه سَعدٌ مَاثِل ١١٩
وَصِيَّة ١٢٣
ذِكرى قاسِم أمين ١٢٥
دَارُ العُلوم ١٣١
مَوْلِدُ الفَاروق ١٣٩
قبعة بعد عمامة ١٤٣
رثاء زعيم ١٤٥
التَّاجيَّةُ الكُبْرى ١٥٣
السُّودان ١٦١
إلى الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا ١٦٧
العاشق الغضبان ١٦٩
عيدُ الجلُوس الملكي ١٧١
دَمْعَةٌ عَلى صَديق ١٧٧
الدعوةُ إلى الوئام ١٨٣
إلى مجلة الهلال ١٨٧
تهنِئَة الفارُوق بعيدِ الفِطر ١٨٩
أعلَامُ المجمَع ١٩٩
بَغدَادُ ٢٠٥
صَومَان ٢١٣
الزِّفَافُ الملكيّ ٢١٥
جُرْحٌ لَمْ يَندَمِل ٢٢٣
تحِيَّة دَار الإذاعة ٢٢٩
نقيب ٢٣٥
وفاء صديق ٢٣٧
رَشيدُ تحيّي الفَارُوق ٢٤١
إلى رُوح داوُد بركات ٢٤٧
لبنان الثائر ٢٥٣

ذِكرى الغَرْب	٢٥٩
شروق كوكب	٢٦٣
مصر تعزي العراق	٢٦٥
صدى أنات حائرة	٢٧١
غزل شاعرين	٢٧٥
صبحٌ باسم	٢٧٩
يَومٌ عَبُوس	٢٨٥
ضَيْفٌ كريم	٢٨٧
نصل الموت	٢٩١
أفراح مصر	٢٩٣
الحَربُ	٢٩٩
يا أبَا الأمَّة	٣٠٥
ميلَادُ الأميرَة فِريال	٣٠٧
ضنَّ الشعر بالمديح (عام ١٩٤٥م)	٣١٥
نشيد التاج	٣١٧
تقريظ	٣١٩
تحِيةُ الشِّعر للأميرَة	٣٢١
إلى جريدة	٣٢٥
نشيد المعلمين	٣٢٧
الإسكندريَّة	٣٣١
الجزء الثاني	٣٣٧
تقديم	٣٣٩
محمد رسول الله	٣٤١
فلسطين	٣٤٧
رثَاءُ شوقي	٣٥٣
إسماعيل العظيم	٣٦١
الحُب	٣٦٧
مصيف رشيد	٣٧١

زيَارة ملك	٣٧٧
الشَّريدُ	٣٧٩
قبر حفني	٣٨٥
قبلة	٣٩١
اللغة العربية	٣٩٣
حَنِينُ طائِر	٤٠٣
عِيدُ جُلُوس الملِك فؤاد	٤٠٧
الجامعة العربية	٤١٥
خلود	٤٢١
الشباب	٤٢٩
في الزيارة الملكية	٤٣٣
المجمعُ اللُّغَوِيّ	٤٣٧
مصرُ والِهَة	٤٤٥
إلى الأستَاذِ الإمام	٤٥٣
رَثاءُ الزَّهَاوِي	٤٥٧
افتتاحُ الإذاعة	٤٦٥
ميلَادُ الفَارُوق	٤٦٩
الشَّيخُ الغَزِل	٤٧٥
رثاء محمود فهمي النقراشي باشا	٤٧٧
الزِّفَافُ المَلَكِي	٤٨٥
تمثَال سَعد	٤٩٥
الدكتور علي إبراهيم باشا	٥٠١
ليلة وليلى	٥٠٧
عِيد جُلُوس الفارُوق في السودَان	٥١١
رِثَاء أمِين	٥١٧
وزارة سَعد	٥٢٣
إلى نادي المعلمين	٥٢٧
تهنِئَةُ المليكِ بالعيد (فاروق الأول)	٥٢٩

عبد العزيز جاويش	٥٣٥
الصلح بين القبائل	٥٣٩
ثقيل!!	٥٤٣
ذكرى الزفاف الملكيّ	٥٤٥
رثاء عَاطِف	٥٤٩
عيدُ دارِ الإذاعة	٥٥٥
تكريم	٥٥٩
من أخبر الجمل؟!	٥٦٣
هجاء ...	٥٦٥
رثاء أنطون الجميل باشا	٥٦٧
لبنان	٥٧٣
برنادوت	٥٨١
الملك	٥٨٣
فارس الصحافة	٥٨٧
إلى علي إبراهيم باشا	٥٨٩
الوبَاء	٥٩١
رضا اليأس	٥٩٥
عيد الأعياد	٥٩٧
صديقٌ عدو وعدو صديق	٦٠١
الوَطنُ	٦٠٣
نجيب مِتري	٦٠٧
تغريد	٦٠٩
ذكرى وتاريخ	٦١١
مصطفى النحاس باشا	٦١٥
دُرَّة التاج	٦٢٥
تَهنِئَة صَدِيق	٦٢٩
بهجة الأفراح	٦٣٣
دُعابَة	٦٣٥

إلى أنطون الجميل ٦٣٩
الفيوم ٦٤١
جورجي زيدان ٦٤٣
باريس ٦٤٥
مُعاهدة ١٩٣٦ ٦٥١

الجزء الأول

مُقدمة المؤلف

بقلم علي الجارم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة على جميع رسله وأنبيائه، وبعد فإني لا أريد أن أسهب في الكلام على معنى الشعر وخصائصه. ومبعث الروحانية فيه؛ ذلك لأن هذا المبحث طرقه الباحثون كثيرًا فأخفقوا. وأطالوا فيه فكانت إطالتهم أول دليل على العيِّ والحصر، ومن العيِّ إطالة الكلام، وتكرار تاء التمتام.

أرادوا أن يحدُّوا روحانيته بالألفاظ. فعجزت الألف، وضلت الباء، وكيف يحيط المحدود بغير المحدود؟ وكيف تكشف ظلمة المادة توهُّج النور؟

إن شرح آثار الإحساس الجسمي من أبعد الأمور تأتيًا، وأدخلها في باب الاستحالة. أرأيت لو أنك ذقت سكرًا أو ملحًا، ثم سألك سائلٌ متعنت أن تشرح له طعم السكر أو الملح، أكنت مستطيعًا؟ أرأيت لو شممت وردًا أو نرجسًا، ثم بدهك إنسان يفقد حاسة الشم أن تبين له في وضوح ودقة ذلك الأثر الذي شعرت به. أكنت قادرًا على أن تجد له اللفظ إن وجدت المعنى؟

فإذا كان هذا الشأن. وتلك الحال في إحساس الأجسام، فكيف في إحساس العقول؟ وإذا كانت الألفاظ عاجزة عن وصف أثر المادة الجامدة في الأجسام، فكيف تكون إذا همت بوصف أثر الروح النورانية في النفوس والأرواح؟

حاول عبد القاهر الجرجاني في كتابيه «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز»، أن يشرح ما بهر نفسه من ضروب البلاغة في بعض ما ساق من الشواهد فأخفق وأخفق، وطالما نظرتُ مبتسمًا إليه وهو يكد ويكدح، ويعلو ويسفل، ويحاول الوصول إلى مواطن السحر فلا يستطيع، ويتلمس اللفظ لشرح ما يجول بنفسه فلا يوفق، والغيظ ينفخ أوداجه، والألم تسمعه في نبرات لفظه. يرسل الصيحة إثر الصيحة، كأنما يدعو إلى اصطياد ظبي نافر، أو إلى التوثب إلى أجنحة طائر، ثم هو بعد طول الصياح وشدة الإلحاح لم يعمل شيئًا، ولم يترك في كف القارئ شيئًا!

إنك تهتزُّ للبحتري، وتطرب له، ولكنك لا تستطيع أن تفض خاتم سحره، ولا أن تنقل إلى نفس غيرك صدى جرسه في نفسك حين يقول في الفتح بن خاقان:

ولما حَضَرنا ساحةَ الإذن أُخِّرت ... رجالٌ عن الباب الذي أنا داخلُه
فأفضَيتُ من قربٍ إلى ذي مهابةٍ ... أقابل بدر التمِّ حين أُقابله
فسلمتُ فاعتَاقت جناني هيبةٌ ... تُنازعني القولَ الذي أنا قائلُه

السحر في اختيار النظم، وفي إبداع التصوير، وفي وضع الكلمة في موضعها، وفي الجرس والنغم، ولكن أين السبيل إلى إبانة ذلك؟

قف أمام صورة بديعة لمصور ماهر، وكن ممن يفهمون سرَّ الفن، ومعنى الألوان وامتزاجها وتشاكلها، ثم اشرح لصديق آيات النبوغ فيها، فإن فعلت — ولن تفعل — فتجرأ على إفشاء سر البيان، وتصوير الخيال.

والناس يلهجون قديمًا بقول عروة بن أذينة:

إنَّ التي زعمت فُؤادَكَ ملَّها ... خُلقت هواك كما خُلِقْتَ هوًى لهَا
بيضاءُ باكرها النَّعيم فصاغهَا ... بلباقةٍ فأدقَّها وأجلَّها
منعت تحيَّتها فقُلت لصاحبي: ... ما كان أكثرَها لنَا وأقَلَّها!
فدنا وقال: لعلها معذورةٌ ... في بعض رِقْبتها فقُلتُ: لعلَّها

ويقولون: إن أبا السائب المخزومي نزل بعروة بن عبيد الله، فقال له: ألك حاجة؟ قال نعم، أبيات لعروة بن أذينة، بلغني أنك سمعته ينشدها، فأنشده الأبيات، فلما بلغ قوله:

فدنا وقال: لعلَّها معذورةٌ في بعض رِقْبَتها فقلتُ: لعلَّها

طرب وقال: هذا والله الدائم الصبابة، الصادق العهد، لا الذي يقول:

إن كان أهلُكَ يمنَعُونك رغْبَةً عنِّي، فأهلي بي أضنُّ وأرغبُ

لقد عدا هذا الأعرابي طوره! وإني لأرجو أن يُغفر لصاحب هذه الأبيات لحسن الظن بها، وطلب العذر لها، ثم عرض عروة الطعام فقال: لا والله، ما كنت لأخلط بهذه الأبيات طعامًا حتى الليل!

إن الأديب وحده هو الذي يفهم الشعور الذي ملك على المخزومي نواحي نفسه، واللذة الفنيَّة التي لم يرد أن يفسدها بطعام طول يومه.

ثم انظر إلى قول سعد بن ناشب وكان من مردة العرب، وشياطين الإنس، تجد فخامة وجزالة وبطولة لا يصورها إلا الشعر، ولا يدركها إلا ذوق الشاعر:

إذا همَّ ألقى بين عينَيهِ عزمَهُ ونكَّب عن ذِكر العَوَاقب جانِبا
ولم يَستَشِرْ في رَأيه غَيْرَ نفسِهِ ولم يَرض إلَّا قائِمَ السيف صاحِبا

ومن التصوير الرائع الذي يملك الجنان، ويعقل اللسان قول أبي نواس:

ركبٌ تساقَوا علَى الأَكْوَار بينهُم كأس الكرَى فانتشَى المسقيُّ والسَّاقي
كأنَّ أرؤسهم والنومُ واضعُها على المناكب لم تُخْلق بأعنَاق
سارُوا فلم يَقْطَعوا عقدًا لراحلةٍ حتَّى أناخُو إليكُم بعد أَشواقِ
من كُلِّ جائلة الطَّرفين ناجيَةٍ مشتاقةٍ حَمَلت أوصالَ مُشْتاق

قالوا: إن محمد بن زياد الأعرابي كان يطعن على أبي نواس، ويعيب شعره. ويضعفه ويستلينه، فجمعه مع رواة شعر أبي نواس مجلس، فأنشده أحدهم الأبيات

السابقة، فقال: لمن هذه الأبيات؟ وكتبها، فقال: للذي تذمه وتعيب شعره أبي علي الحكمي، قال: اكتم عليَّ، فوالله لا أعود لذلك أبدًا.

وإذا أردت لهو أبي نواس وعبثه الذي يبعث في النفس إعجابًا يروغ من التصوير، ونشوةً تفر من الوصف والتعبير، فاستمع إليه حين يقول:

غنِّنَا بالطُّلول كيفَ بلينَا ... واسْقِنَا نُعطك الثَّناء الثمينَا
من سُلاف كأنَّها كلُّ شيءٍ ... يتمنَّى مخيَّر أن يكُونا
فإذا ما اجتلينَهَا فهباءٌ ... يمنعُ الكفَّ ما يُبيحُ العُيُونَا
ثُم شُجَّت فاستضْحَكَت عن لآلٍ ... لو تجمَّعن في يدٍ لاقتُنِينا
في كؤوس كأنَّهن نجومٌ ... دائراتٌ، بُرُوجُها أَيدينا
طالعاتٌ مع السُّقاة علينَا ... فإذَا ما غَرَبن يغرُبْن فِينَا

هذا فن يدركه الذوق، ولا يشرَّح تشريح الجثث.

ومن الأبيات التي يروعك جمالها، ويهتز وجدانك لتأثيرها، ويبهر نفسك تصويرها، قول الشريف الرضي:

ولقد مَرَرتُ عَلَى ديارِهِم ... وطلُولُها بيد البلَى نَهْبُ
فتلفَّتَت عينِي فمُذ خفِيَت ... عنِّي الطُّلُول تلفَّتَ القلْبُ

ولو أردنا أن نقول في لطف جمال الشعر وروحانيته، وعجز الألفاظ عن الإحاطة بسره، وإماطة اللثام عن مكنون سحره، لطال حبل الكلام، وحاد القلم عن الجادة، ولكنا نستطيع أن نقول في جملة قصيرة: إن جمال الشعر في نظمه وجرسه ورنينه، وفي انتفاء ألفاظه وتجانسها. وفي ترتيب هذه الألفاظ ترتيبًا يبرز المعنى في أروع صورة وأبدعها، وفي اختيار الأسلوب الذي يليق بالمعنى ويلبَق به. فمرة يكون إخبارًا، ومرة يكون استفهامًا، ومرة يكون استنكارًا، ومرة يكون نفيًا، ومرة يكون تعجبًا. كل ذلك يكون مع المحافظة على الأسلوب العربي الصميم.

ثم في المعاني وابتكارها أو توليدها من القديم في صورة جديدة رائعة. ثم في الخيال وحسن تصويره والتزام الذوق العربي فيه. ثم في إحكام القافية والتمهيد إليها، ثم في انتقاء البحر الذي يلائم موضوع القصيد، ثم في التنقل في القصيدة في فنون شتَّى من

القول مع المحافظة على الوحدة الشعرية، ثم في روح الشاعر وخفة ظله، وانسياقه مع الطبع. وتعمده لمس مواطن الشعور.

ولا يكون جمال الشعر دائمًا بالمجاز والتشبيه وضروب التزويق اللفظي. وإنما جماله في استعداده للنفاذ إلى النفس، والوصول إلى القلب على أي صورة كان. وفي أي ثوب يكون، ولأمر ما كان لبعض الشعر الجاهلي منزلته التي لا تسامى. ومحله الذي لا ينازع. ولأمر ما هوى الشعر صريعًا يلهث حينما أثقله المتأخرون بنفائس الحلي وأنواع الحلل.

وقد يخلط من لا بصر له بالشعر بين تأثير الحال التي قيل فيها الشعر وتأثير الشعر نفسه، وكثيرًا ما نال الشاعر تصفيق الجماهير واستحسانهم؛ لأنه يتجه إلى عاطفة فيهم سريعة الالتهاب سهلة الإثارة، وكثيرًا ما يلجأ بعض الشعراء في موضوع بعيد عن عاطفة العامة إلى الاستطراد إلى ذكر ما يثير نفوسهم استجداءً لصيحات الاستحسان وطلب الإعادة.

هذا دجل أدبيٌّ نعوذ بالله منه، وهذا إفساد للفن ممن يريدون الالتصاق بالفن. شأن هؤلاء شأن صغار المصورين الذين يعمدون إلى دريهمات العامة بالإكثار من الألوان الزاهية البراقة، وإن ضاع الانسجام، وقتل الفن الرفيع قتلًا.

وربما كان الشعر أعصى الفنون على التعلم، وأبعدها من أن ينال بالدرس والتدريب، إنما هو شعاع يضعه الله في قلب من يشاء، وهبة يمنحها لمن يشاء، وحاسة معنوية يزيدها في خلق نفر من عباده يحسون بها ما لا يحسه كثير من الناس، فيترجمونه بيانًا ساحرًا، وقولًا مبينًا.

والشعر طريق معبدة بين عالم الأجسام وعالم الأرواح، ينقل إلى المادة الفانية نفحات الروح الخالدة، ويرسل إلى ظلمات الحياة نورًا قدسيًّا، يبدد غيوم الغموم، ويكشف السبيل للأمل الحائر.

فليس الشعر الوزن وحده، ولا القافية وحدها، ولا الكلمات التي تملأ فراغ التفاعيل، وإن عذبت ولطفت، وإنما الشعر ما وراء كل بيت من ضوء روحانيٍّ وجد له بين ألفاظه منفذًا، ومن سحر سماويٍّ زحزح البيت دونه طرف الستار.

وشأن الشعر شأن الفنون كلها، إما أن يكون فنًّا، وإما ألا يكون، وإما أن يكون شعرًا، وإما ألا يكون، فليس فيه كبقية منتجات العقول جيد ومتوسط ورديء. فهو إما أن يكون جيدًا، وإما ألا يكون شعرًا، نعم إن الجودة متفاوتة، ولكنها إذا نزلت إلى حد

التوسط فقد الشعر مميزاته، وسلب مقوماته، وأصبح كلامًا، كما يجرد القائد المذنب من رتبه وألقابه فيصبح جنديًّا.

والكلام في الشعر يطول، وبحور الشعر فياحة النواحي، بعيدة الغور، ولكني أريد هنا أن أقدم للأدباء وجمهرة المثقفين مجموعة أشعاري، بعد أن أرجأت طويلًا نشرها، وأهملت كثيرًا في جمعها، وبعد أن ألحَّ علي كثير من أصدقائي في إبرازها لتنال حظها في سوق الأدب.

فإذا استطاعت هذه الأشعار أن تزيد في بناء العربية صفًّا، أو أن تضيف إلى آياتها البينات حرفًا. أو أن تذيع من مسكيّ معانيها شذًا طيبًا وعرفًا، فقد بلغت المنى، وحمدت السرى، ونلت التوفيق كله، وسكنت نفسي أن قدمت بين يدي عملًا أشعر أن فيه أداءً لحق لغتي وأمتي، وأن فيه غذاءً صالحًا للناشئة المصرية الكريمة التي بذلت حياتي، وأبذل ما بقي منها في تثقيفها، وإنهاضها إلى الأوج الذي تريد وأريد.

أبو الزهراء

في ذكرى المولد النبوي الكريم جادت قريحة الشاعر بهذه القصيدة العصماء عام ١٩٤٨م.

أطلَّت على سُحبِ الظلامِ ذُكاءُ ... وفُجِّرَ من صخرِ التنُوفةِ مَاءُ[١]
وخُبِّرت الأوثانُ أنَّ زمانَها ... تولَّى، وراحَ الجهلُ والجهلاءُ
فما سجدت إلَّا لذي العرشِ جبهةٌ ... ولم يَرتفعْ إلَّا إليه دُعَاءُ
تبسَّم ثغرُ الصبحِ عن مولدِ الهُدى ... فللأرضِ إشراقٌ به وزُهَاءُ
وعادت به الصحراءُ وهي جديبة ... عليها من الدينِ الجديد رُوَاءُ[٢]
ونافست الأرضُ السماءَ بكوكبٍ ... وضيءِ المحيّا ما حَوَتْه سماءُ
له الحق والإيمانُ بالله هالة ... وفي كلِّ أجواء العقولِ فَضاءُ
تألَّق في الدنيا يُزيح ظلامَها ... فزال عمًى من حولِه وعَماءُ
وردّ إلى العُرْب الحَياة وقد مضى ... عليهم زمانٌ والأمامُ وَراءُ
حجابٌ طوى الأحدَاثَ والناس دونهم ... فأظهر ما تجلو العيون خَفاءُ
بنت أممٌ صرحَ الحضارةِ حولهم ... وأقْنعهم إبلٌ لهم وحُداءُ[٣]
عُقولٌ من الأحجارِ هامت بمثلها ... وكل بَكيمٍ للبكيمِ كِفاءُ
فكم كان للرومانِ والفرسِ صولةً ... وهمْ في بوادي أرضهم سُجناءُ
عِرَاكٌ وأحقادٌ يشبُّ أوَارها ... جحيمًا، وكِبرٌ أجْوَفٌ وغَباءُ
عجَبتُ لأمرِ القومِ يحملونَ ناقةً ... وساداتهم من أجْلِها قُتلاءُ

* * *

بدا في دُجى الصحراء نورُ محمدٍ ... وجلجلَ في الصحراء منهُ نِداءُ
نبيٌّ به ازدانت أباطِحُ مكةٍ ... وعزَّ به ثَوْرٌ وتاه حرَاءُ[٤]
يُنادى جريءَ الأصغريْن بدعوةٍ ... أكبَّ لها الأصنامُ والزُّعماءُ[٥]
دعاهم لربٍّ واحدٍ جلَّ شأنه ... له الأمرُ يولي الأمرَ كيف يَشاءُ
دعاهم إلى دينٍ من النورِ والهُدى ... سَماحٌ ورفقٌ شاملٌ ووفَاءُ
دعاهم إلى نبذِ الفخارِ وأنهم ... أمامَ إله العالمينَ سَواءُ
دعاهم إلى أن ينهضوا بِعُفاتهم ... كِرامًا، فطاحَ الفقرُ والفقراءُ[٦]
دعاهم إلى أن يفتحوا القلبَ كي ترى ... بصيرتُه ما يُبصر البُصراءُ
دعاهم إلى القرآنِ نورًا وحكمةً ... وفيه لأدواء الصدورِ شِفاءُ
دعاهم إلى أن يهزموا الشركَ طاغيًا ... تسيلُ نفوسٌ حوله ودِماءُ
دعاهم إلى أن يبتَنُوا الملكَ راسخًا ... له العدلُ أسٌّ والطموحُ بناءُ
دعاهم إلى أنَّ الفتى صنع نفسه ... وليس له من قومِه شُفعاءُ
دعاهم إلى أن يملكوا الأرضَ عُنوةً ... مساميحَ، لا كِبرٌ ولا خُيلاءُ
فلبّاه من عُليَا مَعدٍّ غضافِرٌ ... كماةٌ إذا اشْتدَّ الوغَى شُهداءُ[٧]
أشدَّاء ما باهى الجهادُ بمثلهم ... وهم بينهم في أمرِهم رُحماءُ
أساءوا إلى الأسيافِ حتى تحطَّمت ... وما مَرَّةً للمستجيرِ أساءوا
وقد حملوا أرواحَهُمْ في أكفِّهم ... وليس لهم إلَّا الخلود جَزاءُ
إذا أحكموا في أمَّةٍ لان حكمُهم ... فما هي أنعامٌ ولا هي شَاءُ[٨]
فهل تعلم الصحراء أنَّ رعاءَها ... حُماةٌ بآفاق البلاد رُعَاءُ[٩]
وأنهمُ إن زاولوا الحكمَ سَاسةٌ ... وإن أرسلوا أَحكَامهم فَقهاءُ
لقد شربوا من منهل الدين نُغبةً ... مطهرةً، فالظامئون رِوَاءُ[١٠]
وقد لمحوا من نورِ طه شُعاعةً ... فكل ظلامٍ في الوجود ضِياءُ
نبيٌّ من الطُّهرِ المصفَّى نجاره ... سماحة نفسٍ حُرَّةٍ وصَفاءُ[١١]
وصبرٌ على اللأواء ما لانَ عُودهُ ... ولا مَسَّهُ في المعضلاتِ عَناءُ[١٢]
وزهدٌ له الدنيا جناح بعوضة ... وكل الذي تحت الهباء هَباءُ

تراه لدى المحراب نُسكًا وخشيةً ... وتلقاهُ في الميدانِ وهو مَضَاءُ
إذا صالَ لم يترك مَصالًا لصائلٍ ... وإن قَال ألقت سمعَها البُلغَاءُ
كلامٌ من الله المهيمن روحُه ... ومن حلل الفُصحى عليه رداءُ[١٣]
كلامٌ أرادته المقاويلُ فالتوى ... عليها، وضلَّت طُرقَه الحُكماءُ[١٤]
كلامٌ هو السحرُ المُبين وإن يكن ... له ألفُ مثل الكلام وَبَاءُ
عجيبٌ من الأميِّ علمٌ وحكمةٌ ... تضاءَل عن مرماهِمَا العُلماءُ
ومن يَصطفِ الرحمن! فالكون عبده ... ودُهم الليالي أينَ سارَ إماءُ[١٥]

* * *

نبيُّ الهدى قد حرَّق الأنفسَ الصدَى ... ونحن لفيضٍ من يديك ظِمَاءُ
أفِضْها علينا نفحَةً هاشميةً ... يُلَمُّ بها جُرحٌ ويبرأُ دَاءُ
فليس لنا إلَّا رِضَاك وسيلةٌ ... وليس لنا إلَّا حِماكَ رَجاءُ
حننا إلى مجدِ العروبةِ سامقًا ... وما نحنُ في ساحاتِه غُرباءُ
زمان لواء العُربِ يُزهى بقومه ... وما طالَه في العالمين لِواءُ
زمان لنا فوق الممالكِ دولةٌ ... وفي الدهر حكمٌ نافِذٌ وقضاء
فيا رب هيئ للرشاد سبيلَنَا ... إذا جَار خَطبٌ أو ألمَّ بَلاءُ
ونصرًا وهديًا إن طغى السيلُ جارفًا ... وفاضَ بما يحوي الإناء إناءُ
نناجيكَ هذي راية العُربِ فاحمها ... فمن حولها أجنادُكَ البُسَلاءُ
رميْنا بكفٍّ أنت سدّدت رميها ... فما طاشَ سهمٌ أو أخلَّ رِمَاءُ
أَعِزْنَا بحق المصطفَى منك قَوَّةً ... فليس لغيرِ الأقوياء بَقَاءُ[١٦]
وأسبغْ علينا درعَ لطْفِك إنَّها ... لنا في قتامِ الحادثاتِ وِقاءُ[١٧]

* * *

إليك أبا الزهراء سارت مواكبي ... مواكبُ شعرٍ ساقهن حَياءُ
وأنَّى لمثلي أنْ يُصوِّر لمحةً ... كَبَا دُون أدنى وصفها الشُّعراءُ[١٨]
ولكنها جهدُ المحبِّ فهل لها ... بقُدسِك من حظ القبولِ لِقاءُ
ولي نسبٌ يُنمى لبيتكَ صانني ... وصانته منِّي عِزَّةٌ وإباءُ[١٩]
عليك سلامُ اللهِ ما ذَرَّ شارِقٌ ... وما عطَّر الدنيا عليكَ ثناء[٢٠]

هوامش

(١) ذكاء: الشمس. صخر التنوفة: الحجارة بالمفازة والمقصود صحراء الحجاز.
(٢) رواء: حسن المنظر.
(٣) حداء: سوق الإبل والغناء لها.
(٤) أباطح: مسيل واسع فيه حصى. تاه: اختال.
(٥) الأصغرين: القلب واللسان. أكب: سقط.
(٦) عفاتهم: طلاب المعروف. طاح: ذهب.
(٧) معد: قبيلة معد وهي من أشراف العرب. غضافر: أسود شجعان. كماة: رماة.
(٨) شاء: الكثير من الغنم.
(٩) رعاءَها: ولاتها والمقصود رعاة الأغنام بها. رعاء: غطاء. يراعون الحقوق.
(١٠) نغبة: جرعة.
(١١) نجاره: أصله.
(١٢) اللأواء: الشدة.
(١٣) حلل الفصحى: أردية الفصاحة والبلاغة.
(١٤) أرادته المقاويل: أرادت محاكاته. التوى عليها: صعب عليها.
(١٥) دهم الليالي: الليالي حالكة السواد.
(١٦) أعرنا: مدنا.
(١٧) أسبغ: أتمم. قتام: غبار وقيل: لون فيه غبرة وحمرة.
(١٨) كبا: سقط.
(١٩) نسب: انتماء وقرابة يشير إلى نسب الشاعر إلى الرسول عليه الصلاة والسلام.
(٢٠) ذر: طار. شارق: ناحية المشرق.

مصر

أنشدها الشاعر بقاعة المحاضرات بالجامعة المصرية في افتتاح المؤتمر الطبي العربي الثاني في ٣٠ من يناير سنة ١٩٣٩م.

صوَّرَ الله فيكِ معنى الخُلُودِ ... فابلُغي ما أردتِه ثمَّ زيدِي
أنتِ يا مِصْرُ جَنَّةُ اللهِ في الأرْ ... ض، وعَيْنُ العُلَا وَوَاوُ الوجود
أنتِ أمُّ المَجْدَيْنِ بَيْنَ طَرِيفٍ ... يَتَحَدَّي الوَرَى وبَيْنَ تَلِيدِ
كم جديدٍ عليه نُبْلُ قديمٍ ... وقديمٍ عليه حُسْنُ جديدِ!
قد رآك الدهرُ العَتِيُّ فَتاةً ... وهو طِفلٌ يلهو بِطَوْقِ الوليدِ
شابَ من حَوْلِكِ الزمانُ وَمَا زلـ ... ـتِ كغُصْنِ الرَّيْحَانَةِ الأُمْلُودِ[1]
أنتِ يا مِصْرُ بَسْمةٌ في فم الْحُسـ ... ـنْ، ودمعُ الْحَنانِ فوقَ الْخُدُودِ
أنتِ في القَفْرِ وَرْدَةٌ حَوْلَهَا الشَّوْ ... كُ، وفي الشوك عِزَّةٌ لِلْوُرُودِ[2]
يَلْثِمُ البحرُ مِنْكِ طِيبَ ثغُورٍ ... بَيْنَ عَذْبِ اللَّمَى وبَيْنَ بَرُودِ[3]
يَا ابْنَةَ النِيل أنتِ أحْلَى مِنَ الْحُبـ ... ـبِ وأَزْهَى من ضاحِكاتِ الوُعُودِ
نَثَرَ النيلُ فيك تِبرًا وأوْهَى ... لِينُهُ من قساوةِ الْجُلْمودِ[4]
فَتَنَ الأوَّلِينَ حَتَّى أشارُوا ... نحو قُدْسِيٍّ مائِهِ بالسُّجُودِ
وَوَشَى للرِّيَاضِ ثوبًا وَحَلَّى ... كلَّ جِيدٍ من الرُّبَا بعُقُودِ[5]
أنتِ للاجِئِينَ أُمٌّ، وَوِرْدٌ ... لِظِماءِ القلوبِ عَذْبُ الوُرودِ

* * *

قَدْ حَمَلْتِ السِّرَاجَ للنَّاسِ، وَالكَوْ ... نُ غريقٌ في ظُلْمَةٍ وَخُمودِ
لا نَرى فيك غيرَ عهدٍ مَجيدٍ ... قَرَنتْهُ العُلَا بعهدٍ مَجيدِ
وجُهودٍ تمثَّلَتْ فِي صُخُورٍ ... وصخورٍ تشَبَّهتْ بجُهُودِ
عِظَمٌ يَبْهَرُ السَّمَاءَ، وشَأْوٌ ... عَاقَ ذات الْجَناحِ دُونَ الصُّعُودِ[٦]
أنتِ يا مِصْرُ صَفْحَةٌ مِنْ نُضَارٍ ... لَمَعَتْ بَيْنَ سَالِفَاتِ العُهُودِ
أَيْنَ رَمْسِيسُ والكُمَاةُ حَوَالَيـ ... ـهِ مُشاةٌ في الموْكِبِ المشْهُودِ؟[٧]
مَلَأَ الأرضَ والسمَاءَ، فَهذِي ... بِجنودٍ، وهذِهِ بِبُنُودِ[٨]
وجُموعُ الكُهَّانِ تهتفُ بالنَّصـ ... ـرِ وتتلو النَّشيدَ إثْرَ النَّشيدِ
وبناتُ الوادِي يَمِسْنَ اخْتِيالًا ... وُيحيّين بين دُفٍّ وَعُودِ[٩]
أين عَمْرٌو فتى العُرُوبة والإقْدا ... م، أَوْفَى مُجَاهدٍ بالعقودِ؟[١٠]
شَمّريٌّ يُحَطِّمُ السَّيفَ بالسَّيـ ... ـفِ، ويرمِي الصِّنديدَ بالصِّنديدِ[١١]
لَمْ يكن جَيْشُه لدَى الزَّحْف إلَّا ... قُوَّةَ العَزْمِ صُوِّرتْ في جُنودِ
قِلَّةٌ دكَّت الْحُصون وبَثَّتْ ... رِعْدَةَ الرُّعْبِ في الْخِضَمِّ العَدِيدِ
ذُعِرَ الموتُ أنَّهم لَمْ يَخافُو ... هُ ولم يَرْهَبوا لِقاءَ الحديدِ
ينظرون الفِرْدَوْسَ في ساحةِ الْحَرْ ... بِ فيستعجلون أَجْرَ الشَّهيدِ
صَعِدُوا للعُلَا بريشِ نُسُورٍ ... وَمَضَوْا للرَّدَى بِعَزْم أَسْودِ
أَيْنمَا ركَّزُوا الرِّماحَ تَرى العَدْ ... لَ مُقيمًا في ظِلِّها المَمْدودِ[١٢]
وترَى المُلْكَ أَرْيِحِيًّا، عَلَيْهِ ... نَضْرةٌ من سَمَاحَةِ التَّوحيدِ
وترَى العزمَ عابِسًا لوُثُوبٍ ... وتَرى السيفَ ضاحكًا في الغُمُودِ
وترى العِلْمَ يلتقِي بهُدَى الدِ ... دِينِ على مَنْهَجٍ سَوِيٍّ سديدِ[١٣]
ملكُوا الأرضَ لم يُسيئوا إلى شَعـ ... ـبٍ ولم يحكموه حُكْمَ العبيدِ
هُمْ جُدُودِي، وَأينَ مِثْلُ جُدودي ... إن تَصَدَّى مُفاخرٌ بالجدُود؟

* * *

فَسَحُوا صَدْرَهُم لحِكْمة يُونَا ... نَ وآدابِ فارسٍ والهُنُودِ
وأصاروا بالتَّرجَماتِ علومَ الرُّو ... مِ وِرْدًا للنَّاهِلِ المستفيدِ
حَذَقوا الطِّبَّ والزمانُ غُلَامٌ ... والثقافاتُ رُضَّعٌ في المُهُودِ
وَشُعوبُ الدنيا تُعالِجُ بالسِّحـ ... ـرِ وحَرْق البَخُورِ والتَّعقيدِ

هَلْ ترى لابن قُرَّةٍ من مثيلٍ؟ أو تَرَى لابن صاعدٍ من نديد؟[١٤]
والطبيبُ الكِنْدِيُّ لم يُبْقِ في الطِّبـ ـبِ مَزِيدًا لحاجةِ المسْتَزِيدِ[١٥]
أين أين الرَّازيُّ، أين بَنُو زُهـ ـرٍ دُعاةُ النُّهُوضِ والتَّجْدِيدِ؟[١٦]
وابنُ سِينا، وأينَ كابنِ نَفيسٍ عَجَزَ الوَهْمُ عن مداه المَديدِ؟[١٧]

* * *

هذه أُمَّةٌ من الصَّخْرِ. كانت في قِفَارٍ من الحياة وَبِيدِ
تأكُلُ القَدَّ والدُّعَاعَ من الجُو عِ وتَهْفُو شوقًا لِحَبِّ الْهَبِيدِ[١٨]
وَتُثِيرُ الحروبَ شَعْواءَ جهْلًا وتدُسُّ الوَئيدَ إثْرَ الوَئيدِ[١٩]
نَبعَ النورُ بالنُّبُوَّةِ فِيهَا فطَوَى صفحةَ اللَّيَالِي السُّودِ
ومضَى يملأُ الممالكَ عَدْلًا بَاسِمَ الوعْدِ مُكفَهِرَّ الوَعيدِ
أَطْلَقَ العقلَ من سَلَاسِلِهِ الدُّهْمِ ونحّاه عن صَلَيلِ القُيُودِ
بَلغَتْ مِصْرُ في التَّآلِيف أَوْجًا فات طَوْقَ المُنَى بمَرْمَى بَعِيد[٢٠]
فاسأل الفاطِميَّ كَمْ من كتابٍ زَان تاريخهُ وسِفْرٍ فريدِ؟[٢١]
والصَّلاحِيُّ والمماليكُ كانوا مَوْئِلَ العِلْمِ في عُصورِ الرُّكُودِ[٢٢]
تلك آثارُهُمْ شُهُودًا عَلَى المجـ ـدِ. ومَا هُمْ بحاجَةٍ لشُهُودِ

* * *

ائتِدْ أيّها القَصِيدُ قَلِيلًا أنا أرتاحُ لاتِّئاد القَصيدِ[٢٣]
وإذا ما ذكرتَ نَهْضَةَ مِصْرٍ فَامْلأ الْخَافِقَيْنِ بالتَّغْرِيدِ[٢٤]
ثم مَجِّدْ مُحمَّدًا جَدَّ «إسْمَا عيلَ» واصْعَدْ ما شئتَ في التَّمْجِيدِ
جَاء والنَّاسُ فِي ظَلامٍ من الظُّلـ ـمِ وعَصْفٍ من الخُطُوبِ شَدِيدِ[٢٥]
حَسَراتٌ لِلذُّلِّ في كل وَجهٍ وسِمَاتٌ للغُلِّ في كلِّ جِيدِ[٢٦]
فَأَزَاحَ الغِطَاءَ عنهم فقاموا في ذُهُولٍ. وأقْبَلُوا في سُمُودِ[٢٧]
وَهَدَاهُمْ إلى الحياةِ فَسَارُوا في حِمًى من لِوَائِهِ المَعْقُودِ
كَمْ بُعُوثٍ للغَرْبِ بَعْدَ بُعُوثٍ وَوُفُودٍ للشرقِ بَعْدَ وُفودِ!
غَرَسَ الطبَّ في ثَرَى مُلْكِهِ الخِصـ ـبِ، ورَوَّى من دَوْحِهِ كُلَّ عُودِ[٢٨]
وأَتَى بَعْدَهُ المجدِّدُ «إِسْمَا عِيلُ» ذُخْر المُنَى ثِمَالُ الْجُودِ[٢٩]

و«فُؤَادٌ» تعيشُ ذِكرَى «فُؤَادٍ» ... في نعيمٍ من رَحْمةٍ وخُلُودِ!
رَدَّ مَجْدًا لِمِصْرَ لَوْلَا نَدَاهُ ... وَحِجَاهُ ما كانَ بالمَرْدُودِ[٣٠]
كلُّ يوْمٍ لَهُ بناءٌ مَشِيدٌ ... للمعالي، إلى بِنَاءٍ مَشِيدِ
ما اعْتَلَى الطِبُّ قِمَّةَ النَّجْمِ إلَّا ... بجِنَاحٍ من سَعْيِه المَحْمُودِ
سَعِدَتْ مِصر بالْجَهَابِذِ في الطِبـ ... ـبِ، فَكَمْ مِنْ مُحاضِرٍ ومُعِيدِ![٣١]
وَعَلَى رَأْسِهِمْ أبو الحسن الْجَرَّا ... ح، مَنْ كَالرَّئِيس أَوْ كَالْعَمِيد؟[٣٢]
أيُّهَا الوَافِدُونَ من أُمَمِ الشَّرْ ... قِ وأشْبَاله الأُبَاةِ الصِّيدِ[٣٣]
اهْبِطُوا مِصرَ، كَمْ بِهَا مِن قلوبٍ ... شَفَّهَا حُبُّكُمْ، وكَم منْ كُبُود[٣٤]
قَدْ رَأَيْنَا في قُرْبِكُمُ يَوْمَ عِيدٍ ... قَرَنَتْهُ المُنَى إلَى يَوْمِ عِيد[٣٥]
إنَّ مِصرًا لكم بلادٌ وأهْلٌ ... لَيْسَ في الْحُبِّ بَيْنَنَا من حُدُود
جَمَعتْنَا الفُصْحَى فما من وِهَادٍ ... فَرَّقَتْ بَيْنَنَا وَلا من نُجُودِ[٣٦]
يَصِلُ الحبُّ حَيْثُ لا تَصِلُ الشَّمـ ... ـسُ، ويَجْتَازُ شَامِخَاتِ السُّدُودِ

* * *

أُمَّةُ العُرْبِ آنَ أنْ يَنهَضَ النِّسـ ... ـرُ، فَقَدْ طَالَ عَهْدُهُ بالرُّقُودِ
صَفِّقِي بالْجناحِ في أُذُنِ النَّجْمِ، ... وَمُدِّي فَضْلَ العِنَانِ وسُودِي
وأعِيدِي حَضَارةً زانَتْ الدُّنْيَا فكم ... وَدَّتِ المُنَى أَنْ تُعِيدِي
إنَّمَا المَجْدُ أَنْ تُرِيدِي وَتَمْضِي ... ثُم تَمْضِي سَبَّاقَةً وَتُرِيدِي
لا يَنَالُ العُلَا سِوَى عَبْقَرِيٍّ ... راسِخِ العَزْمِ كالصَّفَاةِ جَلِيدِ[٣٧]

* * *

قَدْ أَعَدْنَا عهْد العُرُوبَةِ فِي مِصـ ... ـرَ، وذِكْرَى فِرْدَوْسِهَا المفْقُودِ[٣٨]
وَبَدأْنَا عَصْرًا أغَرَّ سَعِيدًا ... بِمَلِيكٍ مَاضٍ أَغَرَّ سَعِيدِ[٣٩]
قَدْ حَبَاه الشبابُ رأيًا وعَزْمًا ... عَلَوِيَّ المَضاءِ والتَّسديدِ[٤٠]
قام بالأَمْرِ أَرْيحيًّا رَشِيدًا ... فَذَكَرْنَا بِهِ عُهُودَ «الرَّشِيدِ»[٤١]
إنَّ حُبَّ «الفَارُوقِ» وَهْوَ وَحِيدٌ ... فِي مَكانٍ منَ القلوب وَحِيدِ
أَلْسُنُ الْعُرْبِ كلُّهَا دَعَوَاتٌ ... ضَارِعَاتٌ بالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ
أَبْصَرُوا فِي السَّماء مُلْكًا عَزِيزًا ... رَافِع الرَّأس فَوْقَ صَخْرٍ وَطِيدِ

وَرَأَوْا عَـاهِـلًا يَـفِـيـضُ جَـلَالًا مِـنْ هُـدَى رَبِّـه الـعَـزِيـزِ الْـحَـمِـيـدِ
عَـاشَ لِـلْـمُـلْـكِ وَالـعُـرُوبَـةِ ذُخْـرًا فِـي نـعـيـمٍ مِـنَ الْـحَـيَـاةِ رَغِـيـدِ

هوامش

(١) الريحانة: واحدة الريحان وهو نبت طيب الرائحة. الأملود: الغصن الناعم اللين.

(٢) المراد بالقفر هنا: الصحاري التي تحيط بمصر وتكتنفها.

(٣) الثغور: جمع ثغر وهو الفم، والثغور أيضًا هي المدن التي تقع على البحار. اللمى: سمرة الشفتين. البرود: البارد.

(٤) الجلمود: الصخر.

(٥) وشى الثوب: زينه بالنقوش. الربا: جمع ربوة وهي المرتفع من الأرض.

(٦) البهر: الغلبة. الشأو: الغاية.

(٧) الكماة: جمع كميّ. الشجاع أو لابس السلاح. الموكب: الجماعة.

(٨) ببنود: البند العلم الكبير.

(٩) دف: الذي يضرب به.

(١٠) يشير الشاعر إلى الفاتح العظيم عمرو بن العاص، ويصفه بالشجاعة والإقدام والوفاء بالعهود.

(١١) شمريّ: ماض في الأمر مجرب. الصنديد: السيد الشجاع.

(١٢) ركز الرمح: أثبته في الأرض. وهذا كناية عن الإقامة.

(١٣) المنهج: الطريق الواضح. سويّ: قويم.

(١٤) ذكر الشاعر بعض أعلام الطب من العرب مفاخرًا بهم. «وابن قرة» هو سنان بن ثابت بن قرة. وكان من أطباء المقتدر «وابن صاعد» هو هبة الله ويعرف بابن التلميذ. كان في أيام المقتفي لأمر الله، قالوا: ولم يكن مثله بعد أبقراط.

(١٥) الكندي: هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي من بيت ثري نبيل. ويلقب بفيلسوف العرب. ولد في أوخر القرن الثاني للهجرة. وكان مترجمًا عالمًا بالطب والفلسفة والحساب والمنطق. واتصل بالمأمون والمعتصم.

(١٦) الرازي: هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب الكيمياوي توفي سنة ٣١١هـ. ألف كتاب الأقطاب في ثلاثين مجلدًا. «وبنو زهر» أهل بيت كلهم علماء وأطباء. أشهرهم أبو العلاء بن زهر ثم ابنه أبو مروان ثم ابنه أبو بكر.

(١٧) ابن سينا: هو أبو علي الحسن بن سينا. ولد في قرية من بخارى. درس الفلسفة والطب ونضج نضجًا مبكرًا. وتقلد الوزارة لشمس الدولة في همذان. توفي سنة ٤٢٨هـ. وابن نفيس: هو علي بن أبي الحزم القرشي صاحب كتاب الشامل في مائة مجلد وهو أندلسي.

(١٨) القدّ: جلد الشاة الصغيرة. الدعاع: حب شجرة برية أسود يختبز منه. الهبيد: الحنظل.

(١٩) الوئيد: وأد بنته. دفنها حية.

(٢٠) الأوج: ضد الهبوط وهو هنا الرفعة والعلو.

(٢١) السفر: الكتاب.

(٢٢) الموئل: الملجأ. الركود: عصور تراجع النهضة العلمية ببغداد، وهو في هذا البيت يذكر أن مصر كانت ملجأ العلوم والعلماء زمن صلاح الدين وزمن المماليك في عصور انحطاط النهضة في بغداد.

(٢٣) ائتد: تمهل وتأن.

(٢٤) الخافقين: المشرق والمغرب.

(٢٥) عصف من الخطوب: عصفت الريح اشتدت فهي عاصفة وعاصف. الخطب: الأمر الشديد وجمعه خطوب.

(٢٦) الغل: واحد الأغلال، وهو طوق من حديد يوضع في رقاب الأسرى وأمثالهم.

(٢٧) سمود: رفع الرأس تكبرًا.

(٢٨) يقول: إن محمد علي أول من أنشأ مدرسة للطب في مصر.

(٢٩) الثِّمال: الغياث الذي يقوم بأمر قومه.

(٣٠) الندى: الجود والكرم. الحجا: العقل والمراد هنا الرأي والتدبر والعقل السديد.

(٣١) الجهبذ: النقاد الخبير. والجمع جهابذ.

(٣٢) وهو في هذا البيت يخص بالذكر أستاذ الجراحين الدكتور علي إبراهيم باشا عميد كلية الطب.

(٣٣) الأباة: جمع أبي، وهو الذي يأنف الذل والصغار.

(٣٤) شفَّها حُبُّكم: هزلها وأنحلها.

(٣٥) المنى: جمع منية وهي ما يتمناه الإنسان. إلى يوم عيد: كان افتتاح المؤتمر يوم وقوف الحجاج بعرفات.

(٣٦) الوهاد: جمع وهد وهو الأرض المنفخضة. والنجود: جمع نجد وهو الأرض المرتفعة.

(٣٧) الصفاة: الحجر الصلد الضخم.

(٣٨) الفردوس: في الأصل البستان وهو من أسماء الجنة ويريد بالفردوس المفقود، ما كان للعربية من مجد وحضارة في أيام ازدهارها.

(٣٩) الأغر: الأبيض من كل شيء.

(٤٠) حباه: أعطاه بغير عوض. التسديد: صدق الرمي والإصابة. علوي: نسبة إلى جده محمد علي.

(٤١) الأريحي: السهل الخلق الكريم. والرشيد: هو هارون الرشيد الخليفة العباسي العظيم، زها الإسلام والعلم والأدب في أيامه.

يَومُ السَّلَام

نشرت هذه القصيدة في صباح إعلان انتهاء الحرب العالمية الثانية في أوائل مايو سنة ١٩٤٥م.

داعِبِ الشرقَ باسمًا وسعيدًا ... وائتلِقْ يا صباحُ للناسِ عِيدا[١]
نَسِيَتْ لحنَها الطُّيور فصوِّرْ ... لِبَنَاتِ الغُضُونِ لحنًا جديدًا[٢]
فزَّعتْها عن الرياضِ خَفافيـ ... ـشٌ تَسُدُّ الفضاءَ غُبْرًا وسُودًا[٣]
أَلِفَتْ مُوحِشَ الظلامِ فودَّتْ ... أن تبيدَ الدنيا وألَّا يَبيدا
فاسجَعي يا حمامةَ السلْمِ للكو ... ن، وهُزِّي أعطافَه تغريدا[٤]
غرِّدي فالدموعُ طاح بها البِشـ ... ـرُ، وأضحى نَوْحُ الثَّكالَى نشيدا[٥]
واسمَعي! إنَّ في السماء لحُونًا ... أسَمَعْتِ الترتيلَ والترديدا؟[٦]
كلَّما اهتزَّ للملائكِ صَوتٌ ... رجَّعته أنفاسُنا تحميدا[٧]
رنَّةُ النصر في السماواتِ والأر ... ضِ، أعادتْ إلى الوجودِ الوجودا
مَوْلِدٌ للزمان ثانٍ شهدْنا ... ه، فيا مَنْ رأى الزمانَ وليدا!

* * *

سكن السيفُ غِمْدَه بعد أنْ صا ... لَ عنيفًا مُناجِزًا عِرْبيدا[٨]
ما احمرارُ الأصيلِ إلا دماءٌ ... بقيتْ في يَدِ السماء شُهودا[٩]
طائراتٌ ترمي الصواعقَ لا تخـ ... ـشى إلهًا، ولا تخافُ عبيدا
أجهدتْ في السُّرى خوافقَ عِزْريـ ... ـلَ فرفّتْ من خَلْفِهِنَّ وئيدا[١٠]

كلَّما حلَّقتْ بأفْقٍ مكانٍ ... تركتْ فيه كلَّ شيءٍ حصيدا
كم سمِعْنا عَزيفَها من قريبٍ ... فغدا الرأْيُ والسدادَ بعيدا[11]
يلفَحُ الشيخَ والغلَام لَظاها ... ويُصيبُ الشجاعَ والرِعْديدا[12]
كم وحيدٍ بين الرجامِ بكى أمـ ... ـا، وأمٍّ بكتْ فتاها الوحيدا![13]
مُدُنٌ كُنَّ كالمحاريبِ أمْنًا ... ترك الْخَسْفُ دُورَهنَّ سُجودا[14]
وقُصورٌ كانت ملاعبَ أُنْسٍ ... أصبحتْ بعد زَهْوِهِنَّ لُحودا[15]

* * *

لَهْف نفسي عَلَى دماءٍ زكيَّا ... تٍ كَقطرِ الغمامِ طُهْرًا وجُودا![16]
سِلْنَ من خَدِّ كلِّ سيفٍ نُضارًا ... بعدما حَطَّم الحديدُ الحديدا[17]
لَهفَ نفسِي عَلَى شبابٍ تحدَّى ... عَذَباتِ الفِرْدَوْسِ زَهْرًا وعُودا!
لَهفَ نفسي والنارُ تعصِفُ بالجيـ ... ـشِ فتلقاه في الرياح بَديدا![18]
ذكَّرتْنا جَهنّمًا كلَّما أُلـ ... ـقِيَ فَوْجٌ صاحتْ تُريدُ المَزيدا[19]
كالبراكين إنْ تمشَّتْ، وكالبحـ ... ـر إذا جاشَ بالْحميم صَهُودا[20]
وإذا الماءُ كان نارًا فَمَنْ يَرْ ... جو لنارٍ إذا استطارتْ خُمودا؟[21]
أُمَمٌ تلتَقي صباحًا على المو ... تِ لتستقبلَ المساءَ هُمودا[22]
وفريقٌ للفتك يلقى فريقًا ... وحُشودٌ للهَوْلِ تلقى حُشودا
كم حُطامٍ في الأرضِ كان عقولًا ... ورمَادٍ في الْجَوِّ كان جُهودا!
وأمانٍ ونَشْوةٍ وشَبابٍ ... ذهبتْ مثلَ أَمسها لن تَعودا
قُبُلاتُ الحسانِ ما زلن في الخَدْ ... دِ، فهل عفَّرَ الترابُ الْخُدودا؟
ووعودُ الغرامِ ماذا عراها ... أغدتْ في الثَّرى الْخضيبِ وعيدا؟[23]
كم دُموعٍ، وكم دماءٍ، وكم هَوْ ... لٍ، وكم أنَّةٍ، تفُتُّ الكُبودا![24]
إنَّما الحربُ لعنةُ اللهِ في الأر ... ضِ، وشَرٌّ بمَنْ عليها أريدا
صَدَّقَتْ ما رأى الملائكُ من قَبـ ... ـلُ، وما كان قولهم تفْنيدا[25]
إنَّ لله حكمةً دونَها العقـ ... ـلُ فَخَلِّ المِراءَ والترديدا[26]
كيف نصفو ونحن من عُنْصِر الطيـ ... ـنِ، فسادًا وظلمةً وجُمودا؟

* * *

ذَهَبَ الموتُ بالْحُقودِ فماذا لو محوتم قبلَ المماتِ الْحُقودا؟
شهواتٌ تدمِّرُ الأرضَ كي تحـ ـيا، وتجتاحُ أهلَها لتسودا!
وجنونٌ بالمُلْكِ يعصِفُ بالدنـ ـيا، لكي يملِكَ القُبورَ سعيدا!
يذبح الطفلَ أعْصَلَ النابِ شيطا نًا، ويحسو دَمَ النساء مَرِيدا![27]
ويُسَوِّي جَماجمَ الناسِ أَبْرا جًا؛ ليبغي إلى السماء صُعودا!
قد رأينا الأُسودَ تقنَعُ بالقُو تِ، فليتَ الرجالَ كانت أسودا!

* * *

قُتِلَ العلمُ، كيف دبّر للفَتـ ـكِ عَتَادًا، وللدَمارِ جنودا!
فهو كالخمر تَنْشُرُ الشرَّ والإثـ ـمَ وإنْ كان أصلُها عُنقودا!
أبدعَ المهلكاتِ ثم توارَى خلفَها يملأُ الوَرى تهديدا[28]
مادتِ الراسياتُ ذُعْرًا وخَفَّتْ مِنْ أفانينِ كَيْدِه أنْ تميدا[29]
وقلوبُ النجوم ترجُفُ أن يجـ ـتازَ يومًا إلى مَداها الْحُدودا[30]
مُحْدَثاتٌ عزّتْ على عقلِ إبليـ ـسَ فعَضَّ البنانَ فَدْمًا بليدا[31]
عالِمٌ في مكانِه ينسِفُ الأر ضَ، وثانٍ يحُزُّ منها الوَريدا[32]
حَسْرَتا للحياةِ! ماذا دهاها؟ أصبح الناسُ قاتلًا وشهيدا

* * *

أصحيحٌ عاد السلامُ إلى الكو ن، وأضحى ظِلًّا به ممدودا؟
ورنينُ الأجْراسِ يصدَحُ بالنصـ ـر، فيا بِشْرَهُ صباحًا مَجيدا!
سايَرَتْها قلوبُنا ثم زِدْنا فأضَفْنا لشَدْوِهنّ القصيدا!
رَدِّدي رَدِّدي ترانيمَ إسحا قَ، وهُزِّي الحسانَ عِطْفًا وجِيدا[33]
أنتِ صُورُ الحياةِ قد بَعَثَ النا سَ، وكانوا جماجمًا وجُلودا[34]
قد سئِمْنا بالأمْسِ صَفَّارةَ الإنـ ـذارِ والوَيْلَ والعذابَ الشديدا
رَدِّدي صوتكِ الحنونَ طويلًا وابعَثِي لحنَك الطروبَ مديدا
واهتِفي يا مآذِنَ الشرقِ بالله ثناءً، وباسمِه تمجيدا
واسطَعي أيها المصابيحُ زُهْرًا واجعَلي شوقَنا إليك وَقودا[35]
قرَّتِ النفسُ واطمأنَّتْ وكانت أملًا حائرَ الطريقِ شَريدا[36]

* * *

ليت شعري ماذا سنجني من النصـ ـرِ وهل تصدُقُ الليالي الوُعودا؟
وهل «الأربعُ الروائعُ» كانت حُلْمًا، أو مواثِقًا وعُهودا؟[٣٧]
وهل انقادتِ الممالكُ للعد لِ، فلا سيِّدًا تَرى أو مَسُودا؟
وهل الحقُّ صار بالسلمِ حقًّا وأذابَتْ لظَى الحروبِ القُيودا؟
وهل العُرْبُ تستردُّ حماها وتُناجي فِرْدَوْسَها المفقودا؟
وَترى في السلامِ مجدًا طريفًا جاء يُحْيي بالأمسِ مجدًا تليدا؟
بذَلتْ مصرُ فوق ما يبذُلُ الطَّوْ قُ، وقد يُسْعِفُ النديدُ النديدا
في فيافِي صَحْرائِها لَمَعَ النصـ ـرُ، وولَّى «رُوميلُ» يعْدو طريدا[٣٨]
فهي إذْ تنثُرُ الورودَ تُناغي أملًا ضاحكًا يفوقُ الورودا
وهي ترجو، لا، بل تريدُ، وأَجْدِرْ بابنةِ النيلِ وَحْدها أنْ تُريدا!

هوامش

(١) ائتلق: أشرق.
(٢) بنات الغصون: فروع الشجر اللينة الصغيرة. أو الطيور.
(٣) فزعتها: أخافتها. خفافيش: طيور ليلية والمراد بها الطائرات المغيرة ليلًا.
(٤) اسجعي يا حمامة: رددي صوتك بالغناء من أجل السلام. أعطافه: جوانبه.
(٥) طاح بها: ذهب بها. نوح: البكاء. الثكالى: النساء اللاتي فقدن أبناءهن.
(٦) لحونًا: أناشيد.
(٧) رجعته: أعادته. تحميدًا: شكرًا وثناءً.
(٨) سكن السيف: هدأ السيف في جرابه. عربيدًا: مؤذيًا.
(٩) احمرار الأصيل: ظهور الشفق الأحمر في السماء قرب الغروب.
(١٠) السرى: السير ليلًا. خوافق: أجنحة. عزريل: سيدنا عزرائيل ملك الموت. وئيدًا: بطيئًا.
(١١) عزيفها: صوتها.
(١٢) يلفح: يحرق. لظاها: لهيبها. الرعديد: الجبان.

(١٣) الرجام: الأحجار المتناثرة الضخام.
(١٤) المحاريب: جمع محراب وهو مكان الإمام من المسجد والمقصود المساجد.
(١٥) لحودًا: قبورًا.
(١٦) لهف نفسي: حزن نفسي وحسرتها على ما أريق من دماء.
(١٧) سلن: من سال. نضارًا: الذهب.
(١٨) بديدا: مبددا.
(١٩) إشارة في البيت إلى الآية القرآنية الكريمة: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾.
(٢٠) جاش بالحميم: غلى ماؤه فصار حارًّا. صهودا: شدة الحرارة.
(٢١) خمودا: سكون لهب النار.
(٢٢) همودا: الأرض التي لا نبات فيها والمقصود لا حياة بها.
(٢٣) عراها: أصابها. الثرى الخضيب: التراب الملون بالحمرة ويقصد بها هنا الدماء.
(٢٤) أنة: التألم بصوت. تفت: تشق.
(٢٥) ما كان قولهم تفنيدًا: ما كان قولهم كذبًا. ويشير الشاعر إلى الحديث الذي دار بين رب العزة والملائكة في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ صدق الله العظيم.
(٢٦) خل: اترك. المراء: الجدل في الحديث.
(٢٧) أعصل الناب: معوج في صلابة. يحسو: يشرب بنهم. مريدًا: شديدًا عاتيًا.
(٢٨) توارى: اختفى. الورى: الدنيا.
(٢٩) مادت: تحركت وذهبت. الراسيات: الجبال الشوامخ.
(٣٠) ترجف: تضطرب خوفًا من العلم أن يصل إليها، ونشير هنا إلى رؤية الشاعر لما حدث الآن من اجتياز العلم للفضاء.
(٣١) محدثات: أشياء جديدة. الفدم: العييّ عن الكلام وقلة الفهم.
(٣٢) يحز: يقطع. الوريد: العرق الذي يجري فيه الدم.
(٣٣) ترانيم: غناء. إسحاق: هو إسحاق الموصلي المغني العربي العظيم. عطفًا: الجانب. الجيد: العنق.

(٣٤) الصور: البوق.

(٣٥) زهرًا: متلألئة مشرقة.

(٣٦) قرت النفس: سكنت وهدأت. حائر الطريق: غير مهتد لسبيله.

(٣٧) الأربع الروائع: الحريات الأربع في ميثاق الأطلنطي.

(٣٨) فيافي: الصحراء الممتدة الشاسعة. روميل: أحد قادة الألمان في الحرب العالمية الثانية، وهزم في معركة العلمين.

رثاءُ سَعْد

فجعت الأمة المصرية بموت زعيمها «سعد زغلول باشا» في ٢٣ من أغسطس سنة ١٩٢٧م، فكان لموته حزن عام شمل جميع أرجاء القطر، فانبرى الأدباء والشعراء لرثائه وذكر مآثره وتعداد فضائله، والإشادة ببطولته وعظمته، وندبوا فيه العزيمة الصادقة، والهمة العالية، والعزة والإباء، وأكرم صفات الرجولة الكاملة.

لَا الدَّمعُ غاضَ، وَلا فُؤادُكَ سَالي ... دَخَلَ الحِمَامُ عَرِينةَ الرِّئْبالِ[١]

وَأَصابَ في المَيْدانِ فارسَ أُمَّةٍ ... رَفَع الكِنَانةَ بَعْدَ طُولِ نِضَال[٢]

رَشَقَتْه أَحْداثُ الْخطوبِ فأَقْصَدَتْ ... حَرْبُ الخُطُوبِ الدُّهْمِ غيرُ سِجَال[٣]

لِلْمَوتِ أَسْلِحَةٌ يَطِيحُ أَمَامَها ... حَوْلُ الْجرِيءِ، وَحِيلَةُ المُحْتَال[٤]

ما كَانَ سَعْدٌ آيةً في جِيلِه ... سَعْدُ المُخلَّدُ آيةُ الأَجْيَال[٥]

تفْنَى أَحادِيثُ الرِّجالِ وَذِكْرُهُ ... سَيظَلُّ في الدُّنْيا حَدِيثَ رِجَالِ

سَارٍ كمِصْبَاحِ السَّمَاء يَحُثُّه ... كَرُّ الضُّحَى وتَعاقُبُ الآصال[٦]

* * *

أرأَيْتَ مصرَ تهُبُّ لِاسْتقلالِها ... والسَّيْفُ يَلْمَعُ فوقَ كلِّ قَذَالِ[٧]

والذُّعرُ يعصفُ بالقُلوب كَمَا جَرتْ ... هُوجُ الرِّياحِ على كَثِيبِ رِمال

والأرضُ تَرْجُفُ، والسَّماءُ مِريضَةٌ ... والنَّفْسُ حَيْرَى والهُمُومُ تَوَالي

والناسُ في صَمْتِ المَنُونِ كأَنَّهُمْ ... صُوَرٌ كَسَاها الحزْنُ ثَوْبَ خَبَال

إنْ حَدَّثُوكَ فَبِالْعُيون لِيَتَّقوا ... رَصدَ العيون، وشِرَّةَ المُغْتال[٨]

والموتُ يَخْطُر في الْجُموعِ وحَوْلَه ... أَجْنـادُه، مـن أَنْصُـلٍ وَعَـوالـي[٩]
ريـانَ من مُـهَجِ الشَّبَـابِ كأنَّمـا ... مُهَجُ الشَّبابِ سُلافَةُ الْجِرْيَالِ[١٠]
وجَنَانُ مِصْرَ عَلَى جَنَاحَيْ طَائِرٍ ... مِـمَّـا أَلَـحَّ عـلـيـه مِـنْ أَهْـوال[١١]
تـرْنُـو إلـى أبـنـائِـهـا بـنَـوَاظـرٍ ... غَرِقَتْ بماءِ شُؤُونِها الهَطَّال[١٢]
وإذَا بصَـوْتٍ هَـزَّ مصـرَ زئـيـرهُ! ... غضَبُ اللُّيوثِ حمايةُ الأشْبَال
صوْتٌ كصُورِ الحشْرِ جَمَّع أمَّةً ... مـنـحـلَّـةَ الأطـرافِ والأوْصـال[١٣]
فتطَلَّعتْ عَيْنٌ، وأصْغَت بعدَها ... أُذنٌ، وهـمَّـت أَلْـسُـنٌ بـسـؤال
مَنْ ذلك الشَّـعـشَـاعُ طـال كـأنَّـه ... صدرُ القَنَاةِ وعامِلُ العَسَّال؟[١٤]
مَنْ ذلك النَّمِرُ الوَثُوبُ؟ وذلك الـ ... أَسَدُ المُزَمْجِرُ ذُو النِّداءِ العالي؟
ومَنْ الذي اخْتَرقَ الصُّفوفَ كأَنَّه ... قَدَرُ الإلهِ يسـيرُ غيـرَ مُـبـالـي؟
سعْدٌ، وحسبُكَ منْ ثَلاثة أحْرفٍ ... ما في الْبَرِيَّةِ من نُهًى وكمالِ[١٥]
كَتَب الكتائبَ حَوْل مصرَ، سِلاحُها ... صبْرُ الكريمِ، وهمَّةُ الفَعال[١٦]
ومِنَ السُّيوفِ إرادةٌ مَصْقولةٌ ... طُبِعَتْ ليوْمِ كريهةٍ ونِزال[١٧]
ومِن السَّوابِغ حِكْمةٌ سَعْديَّةٌ ... تُزْرِي بوَقْعِ أسِنَّةٍ ونِبَال[١٨]
ومِن الْحصونِ فؤادُ كلِّ مُصَابرٍ ... جَهْمِ العَزيمةِ ضاحكِ الآمال[١٩]
فَمضَى إلى النَّصرِ المُبِينِ مُؤزَّرًا ... والشَّعبُ يَهتفُ باسْمه ويُغالي
وَهَدَى الشَّبَابَ إلَى الْحَياةِ فَأَدْرَكُوا ... مَعْنَى الْحيَاةِ وَعِزّ الاسْتِقْلَالِ
وَجَرَى يُغبِّرُ، لَا الْعَسِيرُ بِخاذِلٍ ... أمَلًا، ولا نَيْلُ السُّهَا بِمُحال[٢٠]
فكَأَنَّه سَيْفُ الْمُهَيْمِن «خَالِدٌ» ... وكَـأَنَّ دَعْـوَتَـهُ أذَانُ «بـلَال»[٢١]
مَـا رَاعَهُ نَـفْـيٌ، وَلَا لَـعِـبَتْ بـه ... في حُبِّ مِصْرَ زَعَازِعُ الأَوْجَال[٢٢]
وَيَرى الْحُتُوفَ وَقَدْ مَلأْنَ طَرِيقَه ... نَارَ الْحُبَاحِبِ، أَوْ وَمِيضَ الآل[٢٣]
يزدَادُ في عَصْفِ الشَّدَائِدِ قُوَّةً ... وَيَجُولُ حِينَ يَضِيقُ كُلُّ مَجالِ
كَالشُّعْلَةِ الْحَمْرَاء لَوْ نَكَّسْتَها ... لَأَضَـفْـتَ إشْـعَـالًا إلَـى إشْـعَـالِ
وَالسَّيْلُ إنْ أَحْكَمْتَ سَدَّ طَرِيقه ... دَكَّ الْحُصُونَ فَعُدْنَ كَالْأَطْلَال
وَالصَّارِمُ الْفَصَّالُ لَمْ يَكُ حَدُّه ... لَـولَا الـلَّـهِـيبُ بِصَـارِمٍ فَصَّال[٢٤]

* * *

خَصْمٌ شَرِيفٌ نَالَ مِنْ خُصَمَائِهِ ... مَـا نَـالَ مِـنْ إجْـلَالِ كُلِّ مُـوَالـي

عَرفُوهُ وَضَّاحَ السَّرِيرَةِ طاهرًا شَرُّ الْبَلَاءِ خُصُومَةُ الْأَنْذَالِ!
إنَّ الشَّجَاعَةَ أنْ تُنَاضِلَ مُصْحِرًا لَا أَنْ تَدِبَّ كَفَاتِكِ الْأَصْلَالِ[٢٥]

* * *

إنْ قَامَ يَخْطُبُ قُلْتَ: حَيْدَرَةُ انْبَرَى لِلْقَوْلِ فِي سَمْتٍ وَصِدْقِ مَقَالِ[٢٦]
إعْجَازُ عَارِضَةٍ، وَنُورُ بَدِيهَةٍ وَبَدِيعُ تَنْسِيقٍ، وَحُسْنُ صِقَالِ[٢٧]
يَحْتَارُ مِنْ آيِ الْكَلَامِ جَوَاهِرًا دُرَرُ الْبَلَاغَةِ كاسْمِهِنَّ غَوَالِي!
ما عَقَّهُ حُرُّ الْبَيَانِ، وَلَا جَزَتْ أُمُّ اللُّغَاتِ وَفَاءَهُ بِمطَالِ[٢٨]
وَالسَّامِعُونَ كَأَنَّمَا لَعِبَتْ بِهِمْ صَهْبَاءُ قَدْ نُفِحَتْ بِرِيحِ شَمَالِ[٢٩]
فَإذَا أُثِيرَ رَأَيْتَ (بُرْكَانًا) رَمَى حُمَمًا، وَدَكَّ الأَرْضَ بِالزِّلْزَالِ
مُتَنَمِّرًا كَاللَّيْثِ دِيسَ عَرِينُه مُتَوَثِّبًا يَدْعُو الرِّجَالَ نَزَالِ
كَلِمٌ إذَا حَدَرَ اللِّثَامَ رَأَيْتَهَا حَالَتْ إلَى مَسْنُونَةٍ وَنِضَالِ[٣٠]
لَا تذْكُرُوا نَارَ الصَّوَاعِقِ عِنْدَهَا نَارُ الصَّوَاعِقِ عِنْدَهَا كذُبَالِ![٣١]

* * *

نَفْسٌ كَأَنْفَاسِ الْمَلَائِكِ طُهِّرَتْ وَشَمَائِلٌ أَحْلَى من السَّلْسَالِ[٣٢]
وَتَوَاضُعُ النُّسَّاكِ فِيهِ يَزِينُه شَمَمُ الْمُلُوكِ وَعِزَّةُ الْأَقْيَالِ[٣٣]
وَخَلَائِقٌ كَالزَّهْرِ سَارَ عَبِيرُهُ مَا بَيْنَ أَمْوَاهٍ وَبَيْنَ ظِلَالِ[٣٤]
وَعَزِيمةٌ جَبَّارَةٌ لَوْ حُمِّلَتْ «أُحُدًا» لَمَا شَعَرَتْ له بِكَلالِ[٣٥]
وَشَجَاعَةٌ فِي الله يَكْلَؤُهَا الحِجَا وَالْحَزْمُ فِي الْإِدْبَارِ وَالإقْبَالِ[٣٦]
وَعَقِيْدَةٌ لَوْ هُزَّتِ الأَجْبَالُ مِنْ ذُعْرٍ لَمَا اهْتَزتْ مَعَ الْأَجْبَالِ

* * *

دَارُ النِّيَابَةِ عُوجِلَتْ فِي مِدْرَهٍ كَانَ الزَّمَانُ بِهِ منَ البُخَّالِ[٣٧]
ضُرِبَتْ بِهِ الأَمْثَالُ لَمَّا أَنْ غَدَا فِي دَهْرِهِ فَرْدًا بِلَا أَمْثَالِ[٣٨]
قَدْ كَانَ فَيْصَلَهَا إذَا عَجَّتْ بِهَا لُجَجُ الْخِلَافِ وَلَجَّ كُلُّ جِدَالِ[٣٩]
يَزِنُ الْكَلَامَ كَمَا يُوَازِنُ صَيْرَفٌ فِي النَّقْدِ مِثْقَالًا إلَى مِثْقَالِ[٤٠]
وإذَا الْحقِيقَةُ أظْلَمَتْ أَسْدَالُهَا صَدَعَ الدُّجَى فَبَدَتْ بِلَا أَسْدَالِ[٤١]

جَمَعَ الْقُلُوبَ عَلَى الْوفَاقِ وصَانَه ... مِنْ وَهْنِ رِعْدِيدٍ وَطَيْشِ مُغَالي[٤٢]
لَمْ يَنْتَقِلْ حَتَّى تفَجَّر نَبْعُهُ ... وشَفَى النُّفُوسَ نَميرُهُ بِزُلَال[٤٣]
عَقَدَ الإلَهُ عُرَاهُ — جَلَّ جَلَالُهُ — ... أَتَرَى لِعَقْدِ اللهِ مِنْ حَلَّالِ؟[٤٤]

* * *

لَهْفِي عَلَيْهِ وَهْوَ رَهْنُ فِرَاشِهِ ... مُتَفَزِّرًا مِنْ دائِه القَتَّال![٤٥]
لَهْفي عَلَى لَيْثِ الكِنَانَةِ أُغْمِدَتْ ... أَظْفَارُهُ مِنْ بَعْدِ طُولِ صِيَال![٤٦]
قَنَصَتْ بَنَاتُ الدَّهْرِ وَاحِدَ دَهْرِهِ ... وَرَمَتْهُ مِنْ أَدْوَائِها بعُضَال[٤٧]
يَرْنُو إلَيْهِ الْعَائِدُونَ بِأَعْيُنٍ ... غُزْرِ الدُّمُوعِ كَثِيرةِ التَّسْآل
مُتَقَدِّمِينَ، تَسُوقُهُمْ لُمَعُ المُنَى ... مُتَرَاجِعِينَ، مَخَافَةَ الإعْوَال[٤٨]
وَالْمَوْتُ يَسْخَرُ بالْحَيَاةِ وطِبِّها ... جُهْدُ الْحياةِ نِهَايةُ الآجَال!
والشَّعْبُ يَسْأَلُ: كَيْفَ سَعْد؟ ما لَه؟ ... والنَّاسُ في ذُعْرٍ وفي بَلْبَالِ[٤٩]
يَفْدُون لِلْبَيْتِ الْكَرِيمِ كَأَنَّهُمْ ... زُمَرُ الْحَجِيج تَسِيرُ فِي أَرْسَال[٥٠]
يَفْدُون بالنَّفْسِ الرَّئِيسَ، وإنَّما ... نَفْسُ الرَّئيسِ بقَبْضَةِ المُتَعَالي!
عَرَفُوا الْجَمِيلَ، ولا تَزَالُ بَقِيَّةٌ ... في النَّاسِ للإحْسَانِ والإجْمَال![٥١]
مَنْ يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّناء فإنَّما ... بِفعَالِهِ يَشْرِيهِ، لا بِالْمَالِ

* * *

يَأَيُّها النَّاعِي! حَنَانَكَ! إنَّما ... هِيَ أُمَّةٌ أَضْحَتْ بِغَيْرِ ثِمَال![٥٢]
ماذا تَقُول ولِلرَّزِيئَةِ رَوْعَةٌ ... تُغْنِي بَلَاغَتُها عن الأَقْوَال؟[٥٣]
مَنْ كَان يَرْثِي أُمَّةً فِي وَاحِدٍ ... تَكْفِيهِ بارِقةٌ مِن الإجْمَال[٥٤]
وإذا الْبَيَانُ أَبَى عليهِ فَرِيدُهُ ... فَالدَّمْعُ فِيه فَرائِدٌ ولآلي[٥٥]

* * *

سَارَتْ مَطيَّةُ نَعْشِهِ عُجْبًا به ... تَخْتَالُ بين الوَخْدِ والإرْقَالِ[٥٦]
فِيها — كَتَابُوتِ الْكَلِيمِ — سَكِينَةٌ ... وَبَقِيَّةٌ مِنْ هَيْبَةٍ وَجَلَال[٥٧]
لا تَحْمِلوه عَلَى المَدَافِعِ إنَّما ... فَخْرُ الزَّعِيم قِيادَةُ الأَغْزَالِ
أَجْدِرْ بِمَنْ حَمَلُوه فِي غَزَوَاتِهِ ... أَنْ يَحْمِلُوهُ عَشِيَّةَ التَّرْحَال

سِيرُوا عَلَى سَنَنِ الزَّعِيمِ، فَإِنَّهُ سَنَنُ الْهُدَى وَجَلَائِل الأَعْمَال[٥٨]
قَدْ خَطَّ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَجِهَادِهِ لِلفِتْيَةِ السَّارِينَ خَيْرَ مِثَالِ
إِنْ كَانَ لَمْ يَنْجُلْ فَإِنَّ لَهُ بِكُمْ عَدَدَ النُّجُومِ الزُّهْرِ مِنْ أَنْجَال[٥٩]
لَا تَيْأَسُوا، فَلَكَمْ أُبِيدَتْ قَبْلَكُمْ أُمَمٌ بِيَأْسٍ قَاتِلٍ وَمَلَال
إِنَّ الشُّعُوبَ تُصَابُ فِي أَبْطَالِها وَحَيَاتُها فِي سِيرَةِ الأَبْطَالِ!
هِيَ قُدْوَةٌ لِلعَامِلِينَ، وَأُسْوَةٌ المُسْتَبْسِلِينَ، وَقِصَّةُ الأَطْفال
سَعْدٌ حَيَاةٌ فِي المَمَاتِ، وَقَبْرُهُ مَهْدُ الْجِهاد وَمَجْدُ الاسْتِقْبَال[٦٠]
أَحْرَى بِمَنْ وَهَبَ الْحَيَاةَ لِقَوْمِهِ أَلَّا تُمَسَّ حَيَاتُهُ بِزَوَال

هوامش

(١) غاض: جف وذهب. الحمام: الموت. عرينة الرئبال: مأوى الأسد.

(٢) الكنانة: مصر. الكنانة: جعبة السهام.

(٣) رشقته: رمته. أحداث الخطوب: ما ينزل من المكاره ويصيب. أقصدت: لم تخطئ المقتل. الدهم: السود. الحرب السجال: التي تكون، مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء.

(٤) يطيح: لا يثبت لها ولا يقوى عليها. الحول: القوة.

(٥) الآية: المعجزة.

(٦) سار: متوثب غير خامد ولا ساكن. مصباح السماء: الشمس. يحثه: يغريه ويستنهضه. كر الضحى: مروره. الآصال: جمع أصيل، وهو ما بعد العصر إلى المغرب.

(٧) القذال: مؤخر الرأس، ويريد الرأس عامة.

(٨) العيون الثانية: الجواسيس رصدهم: مراقبتهم لهم. الشرة (بالكسر): الشر.

(٩) يخطر: يمشي مزهوًّا. الأنصل: جمع نصل، ويريد به السيف. العوالي: الرماح.

(١٠) المهج: هنا الدماء. الجريال: الخمر، سلافتها: ما تحلب وسال قبل العصر، وهو أفضل الخمر.

(١١) الجنان: القلب، ووجود الجنان على جناحي طائر كناية عن اضطرابه فزعًا وهمًّا. ألح: دام وتتابع في شدة.

(١٢) ترنو: تديم النظر. الشؤون: عروق الدموع. الهطال: المتتابع المنهمر.

(١٣) الصور: القرن ينفخ فيه. الحشر: الجمع، يريد يوم القيامة. يشير بصور الحشر إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾. الأوصال: الأطراف، الواحد: وصل (بالكسر وبالضم). منحلة الأطراف والأوصال: أي لا رابطة بين أهليها.

(١٤) الشعشاع: الطويل. القناة: الرمح. صدرها: معظمها وهو ما يلي السنان. العسل: الرمح الخطار، عامله: صدره.

(١٥) النهى: العقول، الواحدة: نهية (بالضم). سميت كذلك؛ لأنها تنهى عن القبيح.

(١٦) كتب الكتائب: جمع الجيوش.

(١٧) طبعت: صبغت وعملت. الكريهة: الشدة. النزال: القتال والطعان.

(١٨) السوابغ: الدروع، الواحدة: سابغة. سعدية: نسبة إلى الزعيم الراحل سعد زغلول. تزرى بوقع ... إلخ. أي: لا تباليها ولا تأبه لها. الأسنة: جمع سنان وهو نصل الرمح. النبال: السهام. الواحد: نبل.

(١٩) المصابر: الذي يبز غيره في الصبر ويغلبه فيه. جهم العزيمة: عابسها. عبوس العزيمة دليل على قوتها وصلابتها. ضاحك الآمال: أي مملوء رجاءً وثقةً بنجاح أمنيته وأمله.

(٢٠) يغبر: يثير الغبار، وهذا كناية عن السرعة في السير. السها (بالألف والياء): كوكب صغير من بنات نعش الصغرى. يضرب به المثل في الشيء البعيد إدراكه والحصول عليه.

(٢١) المهيمن: من أسماء الله تعالى. خالد: هو خالد بن الوليد المخزومي الصحابي المعروف، وقد سماه رسول الله ﷺ لقوته وبأسه على الكفار وكثرة ما أبلى: سيف الله المسلول. وإلى هذا يشير الشاعر. وكانت وفاته في خلافة عمر بن الخطاب. بلال: هو بلال بن رباح مؤذن الرسول ﷺ.

(٢٢) ما راعه: ما أفزعه ولا أخافه. زعازع الأوجال، أي: شدائد المخاوف وما يعصف منها بالأفئدة ويزعزعها.

(٢٣) الحتوف: المهالك. الحباحب: اسم رجل بخيل كان لا يوقد إلا نارًا ضعيفة مخافة الضيفان، فضربوا بضعف ناره المثل. الحباحب أيضًا: ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه كالسراج، وربما جعلوا الحباحب لما يرى في ذنبه كأنه نار. الآل: الذي يرى في الصحراء طرفي النهار كأنه ماء. وميضه: لمعانه وبريقه.

(٢٤) الصارم الفصال: السيف القاطع.

(٢٥) مصحرًا، أي: بارزًا ظاهرًا. الأصلال: جمع صل (بالكسر) وهي الحية.

(٢٦) حيدرة: الأسد، وهو لقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — كرم الله وجهه — رابع الخلفاء الراشدين ويقول في ذلك: أنا الذي سمتني أمي حيدرة. وهو معروف بالفصاحة في القول، وخطبه مجموعة في كتاب (نهج البلاغة). في سمت: أي في حسن هيئة ووقار.

(٢٧) العارضة: البيان واللسان. الصقال: صقل الألفاظ والإتيان بالواضح الأخاذ منها.

(٢٨) عقه: امتنع عليه وخانه. حر البيان: خالصه ونقيه. أم اللغات: اللغة العربية. وفاءه: أي وفاءه لها بنصرتها. ويشير بذلك إلى رئاسته للمؤتمر المصري الذي كان من همه جعل التعليم في المدارس المصرية باللغة العربية (ما عدا اللغات)، وقد كان باللغة الإنجليزية. المطال: التسويف وعدم الوفاء.

(٢٩) الصهباء: الخمر، سميت بذلك للونها. نفحت بريح شمال: أي هبت عليها ريح الشمال الباردة، فأكسبتها برودة، والخمر تسوغ وتجود إذا كانت كذلك.

(٣٠) اللثام: ما كان على الفم من فضل العمامة. حدره: أزاله عن موضعه. ويريد بحدره للثام: استعداده للخطابة. حالت: تحولت. ويريد بالمسنونة: الرماح، وبالنصال: السيوف.

(٣١) الصواعق: جمع صاعقة وهي نار تسقط من السماء لا تمر على شيء إلا أحرقته. الذبال: جمع ذبالة وهي فتيلة المصباح.

(٣٢) أنفاس الملائكة طاهرة؛ لأنها تمتزج بالصلاة والتسبيح، الشمائل: الطباع. الواحد: شمال (بالكسر). السلسال: الماء العذب.

(٣٣) النساك: جمع ناسك وهو العابد المتزهد المتقشف. الشمم: الإباء والأنفة. الأقيال: جمع قيل، وهو الرئيس.

(٣٤) عبير الزهر: ما ينبعث عنه من ريح طيبة. الأمواه: المياه.

(٣٥) أحد: جبل معروف، كانت عنده غزوة عرفت به. الكلال: التعب والإعياء.

(٣٦) يكلؤها: يحفظها ويرعاها. الحجا: العقل. وفي الإدبار والإقبال: أي في شدته ورخائه.

(٣٧) عوجلت: أي دهمها الموت في مدرها. المدره: زعيم القوم والمتكلم عنهم.

(٣٨) الأمثال (الأولى): جمع مثل (بالتحريك) وهو القول السائر. وأمثال (الثانية): جمع مثل (بكسر أوله أو بالتحريك): وهو الشبيه والنظير.

(٣٩) الفيصل: القاضي يفصل في الأمور بثاقب رأيه. عجبت: اشتدت وثارت. لج الخلاف: قوي وهاج تشبيهًا له بلجج البحر. وهي معظمه حيث يشتد ماؤه.

(٤٠) الصيرف: الصرَّاف.

(٤١) الأسدال: الستور ترخى فتحجب ما وراءها.

(٤٢) الوفاق: الاتحاد بين أبناء مصر على اختلاف أديانهم. صانه: حفظه ووقاه. الوهن: الضعف والخور. الرعديد: الجبان. الطيش: الخرق في الرأي والشطط في التقدير.

(٤٣) النبع: عين الماء. والضمير فيه يعود على الوفاق. النمير: الماء الناجع في الري. الزلال: الماء البارد العذب الصافي.

(٤٤) العرا: جمع عروة. وهي من الثوب أخت زره. والضمير في عراه يعود إلى إلى الوفاق.

(٤٥) متفززًا: لا يقر على حال ولا يستقيم على جنب من تباريح الألم.

(٤٦) إغماد الأظفار في الليث من مظاهر فتوره وضعف سطوته وانحلال قوته. ويريد به الموت.

(٤٧) بنات الدهر: نائباته. العضال من الأدواء: المستعصي منها على الشفاء.

(٤٨) لمع المنى: بارقات الرجاء. الأعوال: البكاء مع صوت. يصف العائدين.

(٤٩) البلبال: هم النفس وما يعتريها من وساوس وأحزان.

(٥٠) الزمر: الجماعات. الأرسال: جمع رسل (بالتحريك). وهو الجماعة من كل شيء.

(٥١) الإجمال: الإحسان في الصنع.

(٥٢) الشمال: الغياث الذي يقوم بأمر قومه.

(٥٣) الرزيئة: المصيبة لا قوة على احتمالها.

(٥٤) البارقة: الومضة. الإجمال: الاختصار.

(٥٥) فريد البيان: عزيزة ونادرة. والفرائد: الجواهر النفيسة. الواحدة: فريدة.

(٥٦) المطية: الدابة تمتطى. أي: يعتلى مطاها. وهو ظهرها. جعل النعش مطية. الوخد والإرقال: ضربان من السير فيهما سعة خطو.

(٥٧) الكليم: هو موسى — عليه السلام — يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾.

(٥٨) السنن: الطريق.
(٥٩) لم ينجل: لم يعقب ولدًا. الزهر: المتلألئة المشرقة.
(٦٠) مهد الجهاد: موطنه ومبعثه.

إبراهيم بطل الشرق

بمناسبة مرور مائة عام على وفاة إبراهيم باشا، وإزاحة الستار عن لوحة نقشت على قاعدة تمثاله المقام بميدان الأوبرا بالقاهرة عام ١٩٤٨م.

طُموحٌ! وإلَّا ما صِراعُ الكتائبِ؟ وعَزْمٌ! وإلَّا فيمَ حَثُّ الركَائبِ؟[١]
إذا المجد لم يترك وراءَكَ صَيحةً مُدَوِّيَةً، فالمجدُ أوهامُ كاذبِ
يخَوضُ الهمامُ العبقري بِعزمِهِ ظلامَ الفيافي في ظلامِ الغَياهبِ[٢]
وأرْوَعُ ما تهفو له العينُ رايةٌ تُداعبها الأرواحُ في كَفِّ غَالبِ
وكم بَطلٍ في الأرضِ غابَ وذكرهُ يُحلِّق في الآفاقِ ليسَ بغائبِ!
يُدوِّنُه الميلادُ بينَ لِداتِهِ ويكتُبه التاريخُ بينَ الكواكبِ[٣]
وما مَاتَ من أبقى لمصر مجادةً تُطاول أعنانَ السماءِ بغاربِ[٤]
حمَاهَا بعزمٍ لو رأَتْه قَواضبٌ لأضحَى سناهُ حسرةً في القواضبِ[٥]
ومن مثل إبراهيم إن حمي الوغَى وأمطرت الأرضُ السماءَ بحاصبِ[٦]
صَواعِقُ تلقى للحتُوفِ صَواعقًا وسُحْبٌ عُجَاج تلتقي بسحائبِ[٧]
وزمزمةٌ تُنسي الرعودَ هزيمَها وتثقب آذانَ النجومِ الثواقبِ[٨]
سلُوا عنه «عكا» إنَّها إن تكلَّمتْ معَاقلُها حدثتكُمْ بالعجائبِ[٩]
رماهَا بجيشٍ لو رمَى مشرِقَ الضُّحى لفر حسيرَ الطرفِ نَحو المغاربِ[١٠]
رماهَا فتى لا يعرف الشك رأيه ويعرف بالإلهَام سرَّ العواقبِ[١١]
ممنعةٌ ما راضَها عزمُ قائدٍ وعذراءُ لم تَظْفَرْ بها كَفُّ خَاطبِ[١٢]
أتاهَا «بنوبارتٌ» يُداوي ندوبَهُ وآبَ يصُك الوجه صَكّ النوادِبِ[١٣]

أتاهَا يجُر الذَّيلَ في تيه واثقٍ ... فعادَ يَجُر الذَّيلَ في خِزي خَائبِ[١٤]
رآهَا وفي العنقودِ والكرم ما اشْتهَى ... وأيْنَ من العنقُودِ أيدِي الثعالبِ؟[١٥]
وكم وضَعت مِنْ إصْبعٍ فوقَ أنفها! ... وكم غمزَتْ أسوارُهَا بالحواجبِ!
رأت فاتحَ الدنْيا يفرُّ جبانةً ... ويُلْقِي على الأقدار نظرةَ عاتبِ[١٦]
ولكنَّ إبراهيم في الروْعِ كوكبٌ ... إذا انقضَّ فالآطام لُعبة لاعبِ[١٧]

* * *

ويوم «نصيبين» التي قامَ حولها ... بنُو التركِ والألمانُ حُمْرَ المخَالبِ[١٨]
عَلاهَا فتى مصرٍ بضربةِ فيصلٍ ... ولكنَّها للنصرِ ضربة لازبِ[١٩]
فريعَ لها البوسفورُ وارتَج عرشُه ... وصاحت ذَئابُ الشرِّ من كلِّ جانبِ[٢٠]
أبى الغربُ أن تختَال للشرقِ رايةٌ ... وأن يقفَ المسلوبُ في وجه سالبِ[٢١]
أيُدْعَى سليلُ الشرقِ للشرق غَاصِبًا ... ومغتالُه في الغربِ ليسَ بغاصبِ؟[٢٢]
سياسةُ حِقْدٍ أيَن من نفثاتِهَا ... لعاب الأفَاعِي أو سموم العقاربِ؟[٢٣]

* * *

حنَانًا لإبراهيم لاقى كتائِبًا ... من الكيدِ لم تَعْرِف نضَالَ الكتائبِ
غزُوه بجيشٍ بالدهاء مُحارِبٌ ... ولكنَّه بالسيف غير محاربِ
فما ليَّنُوا منه قناةً صليبةً ... ولا كدَّرُوا من صفو تلك المناقبِ[٢٤]

* * *

عرفنا لحامي القبلتيْنِ جهادَهُ ... وكَمْ هانَ مطلوبٌ لعزَّةِ طَالبِ[٢٥]
له العُرْبُ ألقت في إباءٍ زِمَامَها ... وكانت سَرَابًا لا يُنالُ لشاربِ[٢٦]
فوحَّدهَا في دولةٍ عربيةٍ ... تُزاحم في ركب العُلَا بالمناكبِ[٢٧]
يقولون: قِفْ بالجيش ماذَا تريدُه؟ ... وماذا تُرجِّي من وَرَاء السباسب؟[٢٨]
فقالَ: إلى أَنْ تنتهي «الضادُ» أنتهي ... وحيث تسيرُ العُرْبُ تسري نجائبِي[٢٩]
لقد زُهيت مصر بباعثِ شعبِها ... لكسب المعَالي واقتناءِ الرغائبِ[٣٠]
وكَمْ كتبَ التاريخُ لابن محمدٍ ... خَوالِدَ، والتاريخُ أصدَقُ كاتبِ[٣١]
وكَمْ صانَ مصرًا من بنيه مملكٌ ... بعيد منال العزمِ جَمَّ المطَالبِ[٣٢]

شـمـائـلُ «فـاروقٍ» وعـزَّةُ مـلـكِـه تَزِيدُ جَلالًا في جلال المناسبِ[٣٣]

هوامش

(١) الكتائب: الجيوش. حث: حض. الركائب: الفرسان.

(٢) ظلام الفيافي: ظلمة الصحراء الموحشة. ظلام الغياهب: ظلمة الجهول.

(٣) يدونه: يسجله. لداته: نظائره.

(٤) مجادة: مجدًا تليدًا. أعنان السماء: آفاق السماء. بغارب: المقصود الطويل الشامخ.

(٥) قواضب: الأشجار الممتدة الأغصان. سناه: ضوءه.

(٦) حمي الوغى: اشتد القتال. بحاصب: الريح الشديدة تثير الحصباء.

(٧) صواعق: نار تسقط عليهم من السماء. الحتوف: الموت. عجاج: مليئة بالدخان والغبار.

(٨) وزمزمة: صوت الرعد. هزيمها: صوتها. الثواقب: المضيئة.

(٩) عكا: مدينة عكا وقد فتحها إبراهيم باشا. معاقلها: حصونها.

(١٠) حسير الطرف: كليل النظر ملهوفًا. المغارب: أي في جهة الغرب.

(١١) الشك: الريبة والظن. الإلهام: ما يلقى في الروح. سر العواقب: ما يؤول إليه آخر الشيء.

(١٢) ممنعة: ممنوعة الفتح على القواد قبله. ما راضها: استعصت على القواد.

(١٣) بونابرت: يقصد نابليون بونابرت حينما أراد فتحها فاستعصت عليه. ندوبه: أثر الجراح. آب: عاد. يصك الوجه: يلطم وجهه. النوادب: النساء الباكيات على الميت.

(١٤) تيه: تكبر. في خزي خائب: في ذل وهوان ولم ينل مطلبه.

(١٥) العنقود: واحد عناقيد العنب. الكرم: شجر العنب. يشير إلى قصة الثعلب والعنب الشهيرة.

(١٦) فاتح الدنيا: المقصود نابليون بونابرت. جبانة: خوفًا. عاتب: لائم.

(١٧) الروع: القتال. الآطام: السيل المرتفع الأمواج تتكسر بعضها على بعض.

(١٨) نصيبين: معركة انتصر فيها إبراهيم باشا. حمر المخالب: صبغت أيديهم باللون الأحمر وهو لون الدماء.

(١٩) علاها: استولى عليها. فتى مصر: إبراهيم باشا. بضربة فيصل: بضربة قوية مسددة في إتقان. لازب: ثابت.

(٢٠) ريع لها: خاف واهتز. البوسفور: كناية عن تركيا. ارتج عرشه: اهتز ملكه.

(٢١) أبى: رفض. الغرب: كناية عن دول أوروبا الغربية. المسلوب: المسروق. سالب: المختلس.

(٢٢) سليل الشرق: ابن الشرق والمقصود إبراهيم باشا. غاصبًا: آخذًا للشيء ظلمًا. مغتاله: قاتله خدعة.

(٢٣) نفثاتها: ما ينفثه الشخص من فيه.

(٢٤) لينوا: جعلوه لينًا. قناة صليبة: رمحًا شديدًا لا يلين. المناقب: الصفات الحسنة.

(٢٥) حامي القبلتين: لقب إبراهيم باشا والمقصود المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

(٢٦) إباء: عزة. زمامها: قيادتها. سرابًا: ما يرى في منتصف النهار على أنه ماء في الصحراء وليس بماء.

(٢٧) المناكب: عظم العضد والكتف.

(٢٨) ترجي: تأمل. السباسب: الأرض المستوية أو المفازة.

(٢٩) «الضاد»: لغة الضاد أي: اللغة العربية. نجائبي: الركائب التي يركبها الجيش.

(٣٠) زهيت: افتخرت. الرغائب: الشيء المرغوب.

(٣١) «محمد»: محمد علي باشا. خوالد: الدائمة البقاء.

(٣٢) بعيد منال العزم: قوي العزيمة. جم: كثير.

(٣٣) شمائل: الصفات. فاروق: آخر ملوك مصر.

الحُبُّ والحَرْبُ

سنة ١٩١٦م

ما لي فُتِنْتُ بلحْظِكِ الْفَتَّاكِ ... وسَلَوْتُ كُلّ مَلِيحَةٍ إِلَّاكِ؟
يُسْرَاكِ قَدْ مَلَكَتْ زمامَ صَبَابتي ... وَمَضلَّتِي وهُدَايَ في يُمْنَاك
فَإِذَا وَصَلْتِ، فَكُلُّ شَيْءٍ باسِمٌ ... وإِذَا هَجَرْتِ، فَكُل شَيْءٍ باكي
هَذَا دَمِي في وَجْنَتَيْكِ عَرَفْتُهُ ... لا تَسْتَطِيعُ جُحُودَهُ عَيْنَاكِ!
لو لم أَخَفْ حَرَّ الْهَوَى وَلَهِيبَهُ ... لَجَعَلْتُ بَيْنَ جَوَانحِي مَثْوَاكِ
إِنِّي أَغارُ منَ الْكُؤوسِ فَجنِّبي ... كَأْسَ الْمُدَامَةِ أَنْ تُقَبِّلَ فاكِ
خَدَعَتْكِ ما عَذُبَ السُّلافُ وإِنَّمَا ... قد ذُقْتِ لَمَّا ذُقْتِ حُلْوَ لمَاكِ[1]
لَكِ مِنْ شَبَابِكِ أَوْ دَلَالِكِ نَشْوَةٌ ... سَحَرَ الأَنَامَ بِفِعْلِهَا عِطْفَاكِ[2]

* * *

قالَتْ خَلِيلتُها لها لِتُلِينَها ... ماذا جَنَى لَمَّا هَجَرْتِ فَتَاكِ؟
هِيَ نَظْرَةٌ لاقَتْ بِعَيْنِكِ مِثْلَهَا ... ما كَانَ أَغْنَاهُ وما أَغْناكِ!
قد كَانَ أَرْسَلَهَا لِصَيْدِكِ لَاهِيًا ... فَفَرَرْتِ مِنْهُ وعادَ في الأَشْرَاكِ
عَهْدِي بِه لَبِقَ الْحَدِيثِ فَمَا لَهُ ... لا يَسْتَطيعُ الْقَوْلَ حِينَ يَرَاكِ؟
إِيَّاكِ أَنْ تَقْضِي عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ ... عَرَفَ الحياةَ بِحُبِّهِ إِيَّاكِ
إِنَّ الشَّبَابَ وَدِيعَةٌ مَرْدُودَةٌ ... والزُّهْدُ فِيهِ تَزَمُّتُ النُّسَّاكِ

فَتَشَمَّمِي وَرْدَ الْحياةِ، فَإنَّهُ يَمْضِي، وَلا يَبْقَى سِوَى الأشْوَاكِ
لم تُنْصِتي، وَمَشَيْتِ غَيْرَ مُجِيبَةٍ حَتَّى كأَنَّ حَدِيثَها لِسِواكِ
وَبَكَتْ عَلَيَّ، فما رَحِمْتِ بُكاءَها ما كانَ أَعْطَفَهَا، وما أَقْساكِ!

* * *

عَطَفَتْ عَلَيَّ النَّيِّرَاتُ وساءَلَتْ مَذْعُورَةً قَمَرَ السَماءِ أَخَاكِ[٣]
قالَتْ: نَرى شَبَحًا يَرُوحُ ويَغْتَدِي ويَبُثُّ في الأكْوانِ لَوعَةَ شاكي
أَنَّاتُ مَجْرُوحٍ يُعَالِجُ سَهْمَهُ وزَفِيرُ مَأْسُورٍ بِغَيْرِ فكاكِ
يَقْضِي سَوادَ اللَّيْلِ غَيْرَ مُوَسَّدٍ عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ، وَقَلْبٌ ذاكِي[٤]
حَتَّى إذا ما الصبْحُ جَرَّدَ نَصْلَهُ أَلْفَيْتَهُ جِسْمًا بِغَيْرِ حراكِ
إنَّا نكادُ أسًى عَلَيْهِ، ورَحْمَةً لِشَبابِهِ، نَهْوِي مِنَ الأَفْلاكِ
مِنْ عَهْدِ قَابِيلٍ ولَيْسَ أمامَنا في الأَرْضِ غَيْرُ تَشاكُسٍ وعِراكِ[٥]
ما بَيْنَ فَاتِكةٍ تَصُول بِقَدِّها وفَتًى يَصُولُ بِرُمْحِهِ فَتَّاكِ

* * *

يا أَرْضُ وَيْحَكِ قَدْ رَوِيتِ فأَسْئِري وكَفَاكِ مِنْ تِلْكَ الدِّماء كَفَاكِ![٦]
في كُلِّ رَبْعٍ مِنْ رُبُوعِكِ مَأْتَمٌ وَثَوَاكِلٌ ونَوادِبٌ وبَواكِي[٧]
قد قامَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيك ودَبَّرُوا بَرِئَتْ يَدِي مِنْ إثْمِهِمْ ويَداكِ!
كاشَفتهمْ سِرَّ الْعَنَاصِرِ فانْبَرَوْا يَتَخَيَّرُونَ أَمَضَّها لِرَداكِ[٨]
نَثَرُوا كنَانَتَهُمْ، وَكُلَّ سِهامِها لِلْفَتْكِ والتَّدْمِيرِ والإهْلاكِ[٩]
دَخَلُوا عَلَى الْعِقْبانِ في أَوْكارِها وتسَرَّبُوا لمسابِحِ الأسمَاكِ![١٠]
فَتَأَمَّلي، هَلْ في تُخُومِكِ مَأْمَنٌ؟ أَمْ هَلْ هُنالِكَ مَعْقِلٌ بِذُراكِ؟[١١]
ظَهْرُ الليُوثِ وذَاكَ أَصْعَبُ مَرْكَبٍ أَوْفَى وأَكرَمُ مِنْ أَدِيمِ ثُراكِ[١٢]
لَيْتَ الْبِحارَ طَغتْ عَلَيْكِ وسُجِّرتْ أو أَنَّ مَنْ يَطْوِي السَّماءَ طَوَاكِ![١٣]

* * *

لم يَبْقَ في الْإِنْسانِ غَيْرُ دمائِهِ فَدَراكِ يا رَبَّ السَماء دَراكِ![١٤]
وإذا النُّفُوسُ تَفَرَّقَتْ نَزَعاتُها قامَتْ إذا قامَتْ بِغَيْرِ مَساكِ[١٥]

والسَّيْفُ أَظْلَمُ ما فَزِعْتَ لِحُكْمِه والْحَزْمُ خَيْرُ شَمَائِلِ الأَمْلاكِ[١٦]
ومِنَ الدماء طهارَةٌ وَعدالَةٌ ومِنَ الدماء جِنَايَةُ السُّفّاكِ[١٧]
والْعِلْمُ مِيزانُ الْحَياةِ فإنْ هَوَى هَوَتِ الْحَياةُ لِأَسْفلِ الأَدْرَاك

هوامش

(١) فاعل خدع ضمير مستتر يعود على المدامة وما نافية. السلاف: الخمر. اللمى مثلثة اللام: سمرة مستحسنة في باطن الشفة. والمراد الشفة نفسها.

(٢) النشوة: السكر. سحر: استمال وجذب. الأنام: جميع الخلق. العطف: الجانب.

(٣) النيرات: النجوم المضيئة.

(٤) وسده الوساد: جعله يتكئ عليه. الوساد: المتكأ أو المخدة. ومعنى غير موسد أنه قلق لا يستقر على فراش. مسهدة: مؤرقة ساهرة. ذاكٍ: مشتعل متوقد.

(٥) العهد: الزمان. قابيل وهابيل: ابنا آدم — عليه السلام — قرب كل منهما إلى الله قربانًا فتقبل من هابيل ولم يتقل من قابيل فحنق على أخيه وقتله. وقصتهما في القرآن الكريم: سورة المائدة: الآيات ٢٧–٣١. التشاكس: الاختلاف والشقاق. العراك: القتال.

(٦) ويح: كلمة رحمة. روى من الماء: يروي ريًّا. والسؤر: البقية والفضلة. أسأر: أبقى في الإناء بعد شربه بقية.

(٧) الربع: المنزل ومحلة القوم. المأتم: المناحة. الثواكل: جمع ثاكل وهي المرأة التي فقدت ولدها. النوادب: جمع نادبة وهي المرأة التي تندب الميت أي: تعدد محاسنه.

(٨) العناصر: الأصول. والمراد بسرها خواصها وصفاتها. انبرى للشيء: تجرَّد له.

(٩) الكنانة: جعبة من الجلد توضع فيها السهام. ونثر الكنانة إنما يكون لاختيار أصلب السهام وأعظمها تأثيرًا. الفتك: البطش والقتل على غفلة. التدمير: الإهلاك.

(١٠) العقبان: جمع عقاب وهو من جوارح الطير. الأوكار: جمع وكر وهو عش الطائر. التسرب: الدخول في السرب وهو الحجر أو البيت في الأرض.

(١١) التخوم: معالم الأرض وحدودها مفردها تخم. المعقل: الملجأ. الذرا: جمع ذروة وهي من كل شيء أعلاه.

(١٢) الليوث: جمع ليث وهو الأسد. الأديم: ظهر الأرض. الثرى: التراب الندي.

(١٣) طغى البحر: هاجت أمواجه وارتفعت وزادت مياهه حتى جاوزت الحد، وطغيان البحار على الأرض إغراقها. سجرت: زيد اضطرابها وغليانها. والشاعر يشير

بالشطر الثاني من هذا البيت إلى الآية القرآنية الكريمة ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١٠٤: سورة الأنبياء).

(١٤) الذماء: بقية النفس. دراك: أدرك.

(١٥) النزعات: المذاهب والميول. المساك: الموضع يمسك الماء، ويراد به هنا الحائل الذي يقف في وجه الميول الشريرة والأطباع المبيدة.

(١٦) فزع إليه: لجأ إليه عند الفزع وهو الخوف. الحزم: ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة. وحزم فلان رأيه أتقنه. الشمائل: الأخلاق والطباع، مفردها شمال. الأملاك: جمع ملك.

(١٧) السفاك: جمع سافك. اسم فاعل من سفك الدم بمعنى أراقه.

رشيد

غاب الشاعر عن بلده رشيد فترة طويلة، فأنشأ هذه القصيدة عام ١٩٤١م يشيد فيها بجمالها وبمجدها القديم، ويتألم لانتشار داء الفيل فيها، ويحث أهلها على استئصاله:

جدِّدي يا رشيدُ للحبِّ عَهْدًا ... حَسْبُنا حسبُنا مِطالًا وصدَّا[١]

جدِّدي يا مدينةَ السحرِ أحلا ... مًا، وعيْشًا طَلْقَ الأسارير رَغْدا[٢]

جدِّدي لمحةً مضتْ من شبابٍ ... مثل زهر الربا يرِفُّ ويندَى[٣]

وابعثي صَحْوةً أغار عليها الشـ ... ـشَيْبُ، حتَّى غدتْ عَناءً وسُهدا[٤]

وتعالَيْ نعيشُ في جَنَّةِ الما ... ضي، إذا لم نجِدْ من العيشِ بُدَّا

ذِكْرياتٌ، لو كان للدهرِ عقْدٌ ... كنَّ في جِيدِ سالفِ الدهر عقدا[٥]

ذِكْرياتٌ مضتْ كأحلام وصلٍ ... وسُدًى نستطيعُ للحُلْمِ رَدَّا[٦]

قد رشفنا مختومهنَّ سُلافًا ... وشمَمْنا رَيَّا شذاهُنَّ نَدَّا[٧]

والهَوى أمْرَدُ المحيَّا يناغي ... فِتْيةً تُشبهُ الدنانير مُرْدَا[٨]

عبثوا سادرين، فالْجِدُّ هزلٌ ... ثمَّ جدّوا، فصيَّروا الهزلَ جِدّا[٩]

ويح نفسي، أفدي الشبابَ بنفسي ... وجديرٌ بمثلِهِ أن يُفَدَّى

إنْ عددنا ليومِه حسناتٍ ... شغلتْنا مساوئُ الشيْبِ عَدَّا

جذوةٌ للشبابِ كانت نعيمًا ... وسلامًا على الفؤادِ وبَرْدا[١٠]

قد بكيْناه حينَ زال؛ لأنَّا ... قد جهِلْنا من حَقِّه ما يُؤَدَّى

وقتلناه بالوقارِ ضلالًا ... وهو ما جار مرَّةً أو تعدَّى[١١]

ما عليهم إن هام عمروٌ بهندٍ ... أو شدا شاعرٌ بأيام سُعدى؟![١٢]

شُغِفَ الناسُ بالفضُولِ وبالْحِقـ ـدِ، فإنْ تلقَ نعمةً تَلقَ حِقدا

* * *

أرشـيـدُ، وأنـت جـنَّـةُ خُـلْـدٍ لـو أتـاح الإلـهُ فـي الأرضِ خُـلدا
حين سَمَّوْكِ «وردةً» زُهِيَ الحسـ ـنُ، وودّ الخدودُ لو كنّ وَرْدا[١٣]
تـوَّجـتْ رأسَـكِ الـرمـالُ بـتـبـر وجرَى النيلُ تحت رِجْليْك شهدا
وأحـاطـت بـكِ الـخـمـائـلُ زُهْـرًا كـلُّ قَـدٍّ فـيـهـا يـعـانـقُ قَـدَّا[١٤]
والنخيلُ النخيلُ! أرخت شعورًا مُـرسَـلَاتٍ، ومـدَّت الـظـلَّ مـدَّا
كالعذارَى يدنو بها الشوقُ قُرْبًا ثم تنأَى مخافةَ اللَّومِ بُعْدَا[١٥]
حـول أجـيـادِهـا عـقُـود عـقـيـقٍ ونُضارٍ، صفاؤه ليس يصدا[١٦]
يـا ابـنـةَ الـيـمِّ لا تُـراعـي فـإنِّـي قـد رأيـتُ الأمـورَ جَـزْرًا ومـدَّا[١٧]
قد يعودُ الزمانُ صفوًا كما كا نَ، ويُمسي وعيدُه المُرُّ وعدا[١٨]
كنتِ مذ كنتِ والليالي جواريـ ـكِ، وكان الزمانُ حولَك عبدا
كلَّما هامت الظنونُ بماضيـ ـكِ رأتْ عَزْمَةً وأبصرن مجدا[١٩]
بكِ أهلي، وفيكِ مَلْهَى شبابي وَلَكَمْ فيكِ لي مَراحٌ ومَغْدَى[٢٠]
لـو أصابتكِ مسّةُ الريحِ ثارت بفؤادي عواصف ليس تَهْدا[٢١]
أنـا مـن تُـرْبِـك الـنـقـي وشـعـري نفحاتٌ من وَحْيِ قُدْسِك تُهْدَى[٢٢]
كنتُ أشدو به مع الناس طفلًا فتسامَى فصرتُ في الناسِ فَرْدا[٢٣]
مـن رزايـا الـنـبـوغِ أنَّـكَ لا تـلـ ـقَ أنيسًا، ولا ترَى لكَ نِدَّا[٢٤]
قد جَزيْناكِ بالحنانِ حَنانًا وجزينا عن خالصِ الوُدِّ وُدَّا[٢٥]
ليتَ لي بعد عودتي فيك قبرًا مثلما كنتِ مَنْبِتًا لي ومَهْدا

* * *

أصـحـيـحٌ أن الـخـطـوبَ أصـابـتـ ـكِ، وأنَّ الأمـراضَ هَـدَّتْكِ هـدَّا؟
وغدا «الـفـيـلُ» فـيـكِ داءً وبـيـلًا نـافـثًـا سُـمَّـه مُـغـيـرًا مُـجِـدَّا؟[٢٦]
كم رأينـا مـن عـامـلٍ هـدَّه الـدَّا ءُ، وأرداه وَقْـعُـه فـتـردَّى
كان يسعَى وراءَ لُقْمةِ خُبْزٍ ولَكَمْ جدَّ فـي الـحـيـاةِ وكدَّا
فغدا كالصريع يلتمسُ الْجُهـ ـد ليحيا به فلم يَلْقَ جُهدا

إن مشى يمش بائسًا مستكينًا ... كأسيرٍ يجرُّ في الرجْلِ قدَّا[٢٧]
خلفه من بَنيه أنضاءُ جوعٍ ... وهو لا يستطيع للجوعِ سَدَّا[٢٨]
كلَّما مدَّ كفَّه لسؤالٍ ... أشبعتها اللئامُ نَهْرًا وطَرْدا
أمن الحق أن نعيش بِطانًا ... ويجوعَ العَليلُ فينا ويصْدَى؟[٢٩]

* * *

وَلكَمْ تلمَحُ العيونُ فتاةً ... مثل بدرِ السماء لمَّا تبدَّى
هي من نعْمَةِ البشائرِ أحلَى ... وهي من نَضْرةِ الأزاهرِ أندَى[٣٠]
تتمنَّى الغُصُونُ لو كنَّ قدًّا ... حينَ ماستْ، والوردُ لو كان خدًّا[٣١]
حوَّمتْ حولَها القلوبُ فَراشًا ... ومشت خلفَها الصواحبُ جُنْدا
وارتدت بالْخِمارِ فاختبأ الحسـ ... ـنُ، يُثير الشجونَ لما تردَّى[٣٢]
لعِبتْ بالنهَى فأصبح غَيًّا ... كلُّ رُشْدٍ، وأصبح الغيُّ رُشدا[٣٣]
حسَدَ الدهرُ حسنَها فرماها ... بسهامٍ من الكوارثِ عَمْدا
طرقتها الحمَّى الخبيثةُ ترمي ... بشُواظٍ، يزيده الليلُ وَقْدا[٣٤]
روضةٌ من محاسنٍ غالها الإعـ ... ـصارُ حتى غَدَتْ خمائلَ جُرْدَا[٣٥]
حلّ داءُ الفيل العُضالُ برِجْلَيـ ... ـها، وأَلقى أثقالَه واستبدَّا
كم بكتْ أُمُّها عليها فما أغـ ... ـنَى نُواحٌ، ولا التحسُّرُ أجْدَى
ويحهَا، أين سِحْرُها؟ أين صارت؟ ... أين ولَّى جمالُها؟ أين نَدَّا؟[٣٦]
أين أين ابتسامُها؟ ذهب الأُنـ ... ـسُ، ومال الزمانُ عنها وصَدَّا
أين فَتْكُ العيونِ؟ لم يترك الدهـ ... ـرُ سيوفًا لها، ولم يُبْقِ غِمْدا
أين خَلْخالها؟ لقد خلعتْه ... وهي تبكي أسًى وتنفُثُ صَهْدا[٣٧]
طار خُطَّابُها فلم يَبْقَ فردٌ ... وتولَّى حَشْدٌ يحذِّرُ حشدا
لسعتها بعوضةٌ سكنت بِئـ ... ـرًا، وقد كان جسمُها مستعدّا[٣٨]
إن هذا البعوضَ أهلك «نُمْرو ... ذَ» وأفنَى ما لم يُعَدُّ وأعْدَى[٣٩]
فاحذروه فإنَّه شرُّ خَصْمٍ ... وتصدَّوْا لحربهِ إنْ تصدَّى
جَرِّدوا حَمْلةً على الفيلِ أنجا ... دًا كرامًا، ومزِّقوا الفيلَ أُسْدا[٤٠]
أرشيدٌ دونَ المدائنِ تبقَى ... مُسْتراضًا لكلِّ داءٍ ووِرْدا؟[٤١]
يفتِكُ السم في بَنيها فلا تر ... فَعُ كَفًّا، ولا تحرِّكُ زندًا؟[٤٢]

ثم تُلْقي السلَاح إلقاء ذلٍّ والجراثيمُ حولَها تتحدَّى
يا لَعاري! فليت لي بين قومي بطلًا يكشِفُ الشدائدَ جَلْدا[٤٣]
ظَمِئَ الشعْرُ للثناء، فهل آ نَ له أن يَفيضَ شكرًا وحمدا؟

هوامش

(١) حسبنا: كفانا. مطالا: تطويلًا وتسويفًا. صدًّا: إعراضًا.

(٢) طلق: غير مقيد. الأسارير: قسمات الوجه. رغدًا: واسعًا طيبًا.

(٣) يرف: يتحرك وينتشر. يندى: يجود.

(٤) صحوة: تنبيه وإفاقة. أغار: هجم. عناء: تعبًا. سهدًا: سهرًا.

(٥) جيد: العنق. سالف: الماضي.

(٦) سدى: هيهات.

(٧) مختومهن: أواخرهن. سلافًا: خمر. ريا: هو الارتواء بالماء. شذاهن: رائحتهن الذكية الفواحة. ندا: الرائحة الطيبة.

(٨) أمرد: الغلام ليس في وجهه شعر. المحيا: الوجه. الدنانير: في استدارة الوجه ولونها الأحمر.

(٩) سادرين: غير مبالين ولا مهتمين.

(١٠) جذوة: جمرة من نار. الفؤاد: القلب.

(١١) جار: ما زاد عن حده أو ما مال عن قصده.

(١٢) هام: شغف. عمرو: رجل كان رمزًا في أشعار العرب وهند كذلك وسعدى كذلك.

(١٣) وردة: إشارة إلى اسمها في اللغة الإنجليزية.

(١٤) قد: القوام.

(١٥) تنأى: تبعد.

(١٦) أجيادها: أعناقها. عقود عقيق: قلائد من الأحجار الكريمة. نضار: ذهب. يصدأ: يصيبه الصدأ. يشبه نخل البلح الزغلول الأحمر اللون بعقود العقيق، ونخل البلح السماني الأصفر اللون بلون الذهب.

(١٧) ابنة اليم: لأن النيل شرقها والبحر المتوسط شمالها. تراعي: تخافي. جزرًا ومدًّا: رجوع ماء البحر إلى الخلف ثم تقدمه إلى الشاطئ.

(١٨) صفوا: صافيًا خالصًا.
(١٩) هامت: أولعت. الظنون: التردد والشك.
(٢٠) مراح: مكان للراحة. مغدى: عودة.
(٢١) مسة الريح: لمسة الهواء.
(٢٢) وحي قدسك: إلهام طهرك.
(٢٣) تسامى: ارتفع وعلا.
(٢٤) رزايا: مصائب. أنيسًا: أحد يؤنس وحدتك. ندًّا: نظيرًا.
(٢٥) جزيناك: كافأناك.
(٢٦) الفيل: داء الفيل الذي يؤدي إلى ورم الأطراف، ويجعل الإنسان عاجزًا عن المشي.
(٢٧) قدًّا: سيرًا من جلد غير مدبوغ والمقصود هنا القيد.
(٢٨) أنضاء: جمع نضو وهو الضعيف المهزول.
(٢٩) بطانًا: شباعًا. يصدى: يعطش.
(٣٠) نغمة البشائر: التبشير بالخير بصوت حسن.
(٣١) قدًّا: قوامًا. ماست: تتبختر.
(٣٢) تَرَدَّى: سقط.
(٣٣) النهى: العقل. غيًّا: ضلالًا. رشد: هداية.
(٣٤) شواظ: لهب لا دخان فيه. وقدًا: اتقادًا واشتعالًا.
(٣٥) جردا: جرداء.
(٣٦) ندا: بعد، ذهب.
(٣٧) تنفث: تنفخ. صهدا: حرارة شديدة.
(٣٨) سكنت بئرا: يشير إلى توالد البعوض الناقل للمرض في الآبار التي كان يستعملها أهل رشيد للشرب.
(٣٩) نمروذ: ملك جبَّار في عهد سيدنا إبراهيم — عليه السلام — كان يدعي الألوهية وجادله سيدنا إبراهيم، فأفحمه وأخيرًا أهلكه الله ببعوضة حقيرة. أعدى: تجاوز الحد.
(٤٠) أنجادا: معاونين مغيثين.
(٤١) مستراضا: مرتعًا ومتسعًا. وردا: موردا.

(٤٢) زندا: المقصود الذراع.
(٤٣) جلدا: صلبًا قويًّا.

أبو الأشبال ...

نشرت هذه القصيدة يوم أزيح الستار عن تمثال الخديو إسماعيل بالإسكندرية في شهر ديسمبر عام ١٩٣٨م.

مجدٌ على الأمواجِ يُشْرِفُ عالي ... هذا جهادُكِ مصرُ في تمثالِ[١]
هذا ابنُ ابراهيمَ واهبُ قومِه ... نِعَمَ الحياةِ وباعثُ الآمالِ[٢]
هذا الذي جَلَّتْ عظائمُ سَعْيِه ... عن أنْ تُصوِّرَها بَنات خَيالِ[٣]
هذا المليكُ العبقريُّ، عَنَتْ له ... أُمَمٌ ودانتْ صَوْلَةُ الأبطالِ[٤]
هذا أبو الأشبالِ، سَلْ عنه العُلا ... تُنْبِئكَ حقًّا مَنْ أبو الأشبالِ
هذا أبو التاريخِ من أضحَى اسمُه ... أُنْشودَةَ الأجيالِ للأجيالِ
هذا الذي يَبْنِي فيُنْشِئُ دَوْلَةً ... أبقَى على الدنيا من الأجبالِ
هذا أبو الذهبِ الذي غَمَرَ المُنَى ... بعوارِفِ الإحسانِ والأفضالِ[٥]
هذا الهُمامُ، وهذه أعمالُه ... أرأيتَ كيفَ جلائلُ الأعمالِ؟
هذا الذي فاروقُ مِصْرَ حَفيدُه ... زينُ الشبابِ وسيدُ الأقْيالِ[٦]

هوامش

(١) على الأمواج: إشارة إلى أنه يطل على البحر.
(٢) إبراهيم: إبراهيم باشا والد الخديوي إسماعيل.
(٣) جلت: عظمت. بنات خيال: ما يتصوره الشاعر من الأخيلة.
(٤) عنت: خضعت له. دانت: خضعت.

(٥) عوارف: طيبات المعروف.
(٦) الأقيال: السادة العظماء، الملوك.

الأعمَى

أقامت جمعية رعاية العميان بمصر في ١٥ من أبريل سنة ١٩٣٧م حفلة بدار الأوبرا؛ لحض المحسنين على مد يد الإحسان إلى هذه الطائفة البائسة؛ لتتمكن الجمعية من توسيع نطاقها وتثقيف عدد كبير من هؤلاء المكفوفين ليستطيعوا العيش وحدهم، وليستغنوا عن ذل السؤال، وقد ألقيت هذه القصيدة في هذا الحفل.

مَنْ مُجِيرِي مِنْ حالِكات اللَّيالي؟ نُوَبَ الدَّهْرِ ما لكُنّ وما لِي![1]
قد طوَاني الظلامُ حتَّى كأنِّي في دَيَاجي الوجودِ طَيفُ خَيَال[2]
كلُّ ليلٍ لهُ زَوالٌ ولَيْلي دَقَّ أطنابَهُ لِغَيرِ زَوَال![3]
كلُّ ليلٍ لهُ نجومٌ، ولكنْ أينَ أمثالهُنَّ من أمثالي؟
تثِبُ الشَّمسُ في السماءِ وشَمْسي عُقِلَتْ دُونَها بألْفِ عِقَال[4]
لا أرَى حِينما أرَى غَيرُ حَظِّي حَالِكَ اللَّونِ عَابِسَ الآمال[5]

* * *

هو جُبٌّ أعِيشُ فيه حزينًا كاسِفَ النَّفسِ دائمَ الْبَلْبَالِ[6]
ما رأتْ بَسْمةَ الشُّموسِ زَوَايا هُ، ولا دَاعَبتْ شُعَاعَ الْهِلال[7]
فإذا نِمْتُ فالظَّلامُ أمامِي أَوْ تيقَّظْتُ فالسَّوَادُ حِيالي
أتَقَرَّى الطَّريقَ فيه بِكَفِّي بين شَكٍّ وحَيْرَةٍ وضَلال[8]
وأُحِسُّ الهواءَ فهْوَ دَلِيلِي عن يَميني أَسِيرُ أَوْ عَنِ شِمالي
كُلَّما رُمْتُ منه يَوْمًا خَلاصًا عَجَزتْ حِيلَتي ورَثَّتْ حِبالي

عَبَثًا أُرْسِلُ الأنِينَ مِن الْجُبـ ـب إلى سَاكِنِي القُصُورِ العَوالي!
مَنْ لسارٍ بِلَيْلَةٍ طولُها العُمـ ـرُ، يَجُوبُ الأَوْجالَ لِلْأَوْجَالِ؟[٩]
مُتَرَدٍّ فِي هَاوِيَات وَهادٍ لاهِثٍ فوقَ شامِخَاتٍ جِبال[١٠]
عند صَحْراء للأعاصيرِ فِيها ضَحِكُ الْجِنِّ أو نَحيبُ السَّعالى[١١]
لم يَزُرْها وشْيُ الرَّبِيع ولكِنْ لك ما شئْتَ من نسيج الرِّمال[١٢]
لَيْس للطيرِ فوقَها من مَطارٍ أوْ بَني الإنْسِ حَوْلَها من مَجال[١٣]
خَلَق الله قَفْرَها ثم سَوَّى مِن ثَراهُ أنامِلَ البُخَّال
رَهْبةٌ تَملأُ الْجَوانِحَ رُعْبًا وأَدِيمٌ وَعْرٌ كحدِّ النِّصَال[١٤]
وامتدادٌ كأَنَّه الأَمَلُ الطَّا ئِشُ مَا ضاقَ ذَرْعُهُ بِمُحَالِ[١٥]
سارَ فيها الأعمَى وَحِيدًا شريدًا حائرًا بينَ وَقْفَةٍ وَارْتِحالِ
في هَجِيرٍ ما خَفَّ حَرُّ لَظَاه بِنَسيمٍ، ولا ببرْدِ ظِلالِ[١٦]
مَلَّ عُكَّازُه من الضَّرْبِ في الأر ضِ على خَيْبةٍ ورِقَّةِ حال
يَرْفَعُ الصَّوْتَ لا يَرَى مِنْ مُجِيبٍ أَقْفَرَ الكَوْنُ من قُلُوبِ الرِّجال!

* * *

مَنْ لِهَاوٍ فِي لُجَّةٍ هِيَ دُنْيا هُ وأَيَّامُ بُؤسِه المُتَوَالي؟[١٧]
ظُلَمٌ بَعضُها يُزاحِمُ بعْضًا كَلَيالٍ كرَرْنَ إثْرَ لَيالي
يَفْتحُ المَوْجُ ماضِغَيْهِ فَيَهْوِي ثمَّ يطْفُو مُحطَّمَ الأوْصال[١٨]
لا تَرَى منه غيرَ كَفٍّ تُنَادِي حينما عَقَّه لسانُ المَقَالِ[١٩]
والرِّياحُ الرِّياحُ تَعْصِفُ بِالْمِسـ ـكِينِ عَصْفَ الأيَّامِ بالآجال[٢٠]
يَسْمَعُ السُّفْنَ حَوْلَه ماخِراتٍ مَنْ يُبَالِي بِمثْلِه مَنْ يُبَالِي؟[٢١]
يسمعُ الرَّقص والأَهَازيج تشْدُو بَيْنَ وَصْلِ الْهَوَى وهَجْرِ الدَّلَال[٢٢]
شُغِلَ الْقَوْمُ عنه بالقَصْفِ واللَّهـ ـوِ وهامُوا بِحُبِّ بِنْتِ الدَّوَالي[٢٣]
ما لَهُمْ والصَّريعَ في غَمْرةِ اللُّج ج يَصُدُّ الأهْوَالَ بالأَهْوَال[٢٤]
لا يُريدُون أنْ يُشَابَ لهم صَفـ ـوٌ بِنَوْحٍ للبُؤْسِ أو إعْوَال[٢٥]
هكذا تُمْحلُ القُلوبُ، وأَنْكَى أن تُبَاهِي بذلكَ الإمْحال![٢٦]
هكَذا تُقْبَرُ المُروءةُ في النَّا س، ويُقْضَى على كِريم الْخِلال!

* * *

مَنْ لهذا الأعْمى يَمُدُّ عصَاه ... عاصِبَ البَطْنِ لم يَبُحْ بسُؤَالِ؟[٢٧]
مَنْ رآهُ يَرَى خَليطًا من البُؤْ ... سِ هَزيلًا يَسِيرُ في أسْمَال
هو في مَيْعَةِ الصِّبا وتراهُ ... مُطْرِقَ الرَّأْسِ في خُشُوعِ الكِهَال[٢٨]
ساكنًا كالظَّلامِ، يَحْسَبُهُ الرَّا ... ءُونَ معْنًى للياْسِ في تِمْثَالِ
فَقَد الضَّوْءَ والحياةَ، وهل بَعـ ... ـدَ ضِيَاءِ العَيْنَيْن سَلْوَى لِسال؟
مَطَلَتْهُ الأيَّامُ والناسُ حَقًّا ... فَقَضَى عَيْشَه شَهِيدَ المِطَال[٢٩]

* * *

ما رَأَى الرَّوْضَ في مَآزِرِهِ الخُضـ ... ـرِ يُبَاهِي بحُسْنِها ويُغالي[٣٠]
ما رَأَى صفْحةَ السماءِ وَمَا رُكِّبَ ... فيها مِنْ باهِرَاتِ اللَّآلي[٣١]
ما رَأَى النِّيلَ في الْخمائلِ يَخْتَا ... لُ بأذيالِهِ العِراضِ الطِّوالِ
ما رَأى فِضَّةَ الضُّحَى في سَنَاها ... أوْ تَمَلَّى بعَسْجَدِ الآصال[٣٢]
فدعوه يَشْهَدُ جَمَالًا من الإحْسَا ... نِ، إنْ فاتَه شُهُودُ الْجَمال
ودعوه يُبْصِرُ ذُبَالًا من الرَّحـ ... ـمَةِ إنْ عَقَّه ضِياءُ الذُّبَال[٣٣]
قد خَبَرْتُ الدُّنيا فلم أرَ أزْكَى ... مِنْ يَمِينٍ تَفَتَّحتْ عَنْ نَوَال!

* * *

أيُّها الوَادِعُونَ يَمْشُون زَهْوًا ... بَيْنَ جَبْرِيَّةٍ وبَيْنَ اخْتِيَال[٣٤]
يُنْفقُون القِنْطَارَ في ترَفِ العَيـ ... ـشِ، ولا يُحْسنون بالمِثْقال[٣٥]
ويَرَوْنَ الأَمْوالَ تُنْثَرُ في اللَّهـ ... ـوِ، فلا يَجْزَعون لِلْأَمْوَال
إن في بَلْدَةِ المُعِزِّ جُحُورًا ... مُتْرَعاتٍ بأدْمُعِ الأَطْفالِ[٣٦]
كلُّ جُحْرٍ بالبُؤْسِ والفَقْرِ مملو ... ءٌ، ولكنَّه من الزَّادِ خالي
بَسَقَتْ فيه للجَرَاثيمِ أفْنا ... نٌ تدلَّتْ بكلِّ داءٍ عُضَال[٣٧]
لوْ رأيتَ الأشْباحَ مِنْ ساكنيه ... لرَأَيْتَ الأطْلَالَ في الأطْلال!
يَرْهَبُ النُّورُ أنْ يمرَّ به مـ ... ـرًّا، ونَخْشَى أذَاهُ ريحُ الشَّمَال
تحْسِبُ الطفلَ فِيه في كَفَنِ الموْ ... تَى وقَدْ ضَمَّه الرِّدَاء البالي

أيُّـهـا الأغـنـيـاءُ أيـن نَـدَاكُـمْ؟ بَلَـغ السّـيْـلُ عـالـيـاتِ الـقِـلال[٣٨]
هُـمْ عِـيـالُ الـرَّحـمـنِ مـاذا رأَيْـتُـمْ أَو صَـنَـعْـتُـم لـهـؤلاءِ الـعِـيـالِ؟[٣٩]

* * *

رُب أَعْـمَـى لـه بـصـيـرةُ كَـشْـفٍ نـفـذَتْ مـن غَـيَـاهِـبِ الأَسْـدالِ![٤٠]
أَخَـذ الـلـه مِـنـهُ شـيـئًـا وأَعْـطَـى وأعَـاضَ الـمِـكْـيـالَ بـالْـمِـكْـيـال[٤١]
يَلْمَحُ الْخَطْرةَ الْخَفِيَّةَ للنَّفـ ـسِ لها في الصُّدورِ دَبُّ النمَال[٤٢]
ويَرَى الـحـقَّ فـي جَـلَالةِ مـعـنـا هُ فـيـحـيـا فـي ضَـوْءِ هذا الْجَلَال
كان شَيْخُ المَعَرَّةِ الكَوْكَبَ السَّا طِعَ في ظُلْمةِ القُرُونِ الْخَوَالي[٤٣]
فـأتـى وهْـوَ آخِـرٌ (مِـثْـلَـمـا قـا ل) بـمـا نَدَّ عَنْ عُقُولِ الْأَوَالي[٤٤]

* * *

أنقِذُوا العَاجِزَ الفَقِيرَ وصُونُوا وَجْـهَـه عـن مَـذَلَّـةٍ وابْـتِـذَال
علّموهُ، يَطْرُقُ مِنَ العَيْشِ بابًا وامْـنَـحُـوه مَـفَـاتِـحَ الأَقْـفَـالِ
لا تضُمُّوا إلى أَسَاهُ عَمَى الْجَهـ ـلِ فيَلْقَى النكَالَ بَعْد النكَال[٤٥]
كُـلُّ شـيءٍ يُـطَـاقُ مِـن نُـوَبِ الأيَّـامِ إلَّا عَـمَـايـةَ الْـجُـهَّـال[٤٦]
علّموه، فالعِلْمُ مِصْباحُ دُنْيا هُ ولا تَكْتَفُوا بصُنْعِ السِّلَال[٤٧]
إنْ جَفَاهُ الزَّمانُ والآلُ والصَّحـ ـبُ فكونوا لِمِثْلِه خيرَ آلِ[٤٨]
نَزلَ الوَحْيُ في التَّرَفُّقِ بالأعـ ـمَى وبسْطِ اليديْنِ للسُّؤَال[٤٩]
سوف تتلو الأجيالُ تاريخَ مِصْرٍ فـأعِـدُّوا الـتـاريـخَ لِـلْأَجْـيـال
بالأيادِي الحِسانِ يُمْحَى دُجَى البؤ سِ وتسْمُو الشعوبُ نَحوَ الكَمال
يَذْهبُ الفقرُ والثَّراءُ ويَبْقى ما بَنَى الخيِّرونَ من أَعْمال!

هوامش

(١) حالكات الليالي: الليالي الشديدة السواد والظلمة. نوب الدهر: نوازله وما يصيب به.

(٢) طواه: أي احتواه وجعله بين ثناياه. دياجي الوجود: غياهب ظلماته وحالك سواده. طيف خيال: ما يراه النائم في نومه.

(٣) الأطناب: الأوتاد، الواحد: طنب (بضمتين). دق الأطناب: كناية عن الإقامة وعدم الرحيل؛ لأن بيوت العرب كانت خيامًا تطوى مع السفر، وتنشر وتدق أطنابها عند الإقامة.

(٤) تثب الشمس: تنتقل في السماء. عقلت: حبست وقيدت. ودونها، أي: دون السماء. العقال: حبل يعقل به البعير في وسط ذراعه.

(٥) عابس الآمال: أي مظلمها.

(٦) الجب: البئر البعيدة الغور. كاسف النفس: أي حزين عابس. البلبال: الهم والهواجس المقضة المزعجة.

(٧) بسمة الشموس: أي ضوءها.

(٨) أتقرى الطريق ... إلخ، أي: أتتبع الطريق بكفي أتلمس بها مواضع الأمن.

(٩) يجوب: يقطع الأرض سائرًا. الأوجال: المخاوف، الواحدة: وجل (بالتحريك).

(١٠) المتردي: الساقط. الوهاد: الأراضي المنخفضة. الهاويات: البعيدة الانخفاض. اللاهث: الذي يخرج لسانه تعبًا وإعياءً وعطشًا. شامخات الجبال: العالية المرتفعة.

(١١) الأعاصير: عصف الرياح وشدة هبوبها وزوابعها. النحيب: البكاء. السعالي: جمع سعلاة، وهي أنثى الغول. يريد الغيلان عامة.

(١٢) وشي الربيع: نباته ذو الألوان المختلفة. الوشي (في الأصل): تطريز الثوب وتجميله.

(١٣) من مطار، أي: من طيران. من مجال، أي: من أثر لجولان الناس وسيرهم.

(١٤) الجوانح: الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر، الواحدة: جانحة. أديم الصحراء: وجهها. النصال: جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح والسيف والسكين.

(١٥) الطائش: الذي يذهب على غير هدى وقصد. ضيق الذرع: كناية عن قلة الحيلة وضعف الطاقة.

(١٦) الهجير: شدة الحر. اللظى: اللهب والحرقة.

(١٧) الهاوي: الساقط. اللجة: معظم البحر حيث يكثر الماء ويصعب المخرج.

(١٨) الماضغان: الحنكان لمضغهما المأكول. واستعارهما للموج؛ لأنه يهصر الأجسام ويضعضعها. الأوصال: الأعضاء. الواحد. وصل.

(١٩) عقه: خانه ولم يسعفه بالمقال.

(٢٠) الآجال: الأعمار.

(٢١) السفن الماخرات: الجاريات التي تشق الماء مع صوت.

(٢٢) الأهازيج: جمع أهزوجة. وهي ما يهزج به من الأغاني. أي: ما يترنم بها ويطرب.

(٢٣) القصف: الإقامة في لهو وأكل وشرب. بنت الدوالي، أي: الخمر. الدوالي: عنب بالطائف أسود إلى الحمرة. ومنه تعصر الخمرة. وجعلها بنته؛ لأنها منه.

(٢٤) الصريع: المصروع. غمرة اللج، أي: حيث يكثر ماء البحر ويشتد.

(٢٥) يشاب: يختلط به ما يعكره. ما صفا لهم من شأنهم ولذ وطاب. النوح والإعوال: البكاء ورفع الصوت به.

(٢٦) إمحال القلوب: تجردها من العطف والرحمة. مأخوذ من إخمال الأرض، وهو إجدابها. أنكى: أي أكثر إيلامًا.

(٢٧) عاصب البطن: أي يشده برباط يدفع بذلك ألم الجوع.

(٢٨) ميعة الصبا: أوله وريعانه. الكهال: جمع كهل.

(٢٩) مطل الحق: تسويفه بوعد الوفاء مرة بعد أخرى.

(٣٠) المآزر: الثياب، الواحد: مئزر. يغالي: يفخر.

(٣١) صفحة السماء: رقعتها. باهر اللآلي: الكواكب والنجوم التي تبهر بضوئها.

(٣٢) تملى: استمتع. العسجد: الذهب، الآصال: جمع أصيل وهو ما بعد العصر إلى المغرب.

(٣٣) ذبالًا من الرحمة: أي بصيصًا من نورها. الذبال في الأصل: الفتيلة. عقَّه: فاته وامتنع عليه. ضياء الذبال: أي نور المصابيح، ويريد النور عامة.

(٣٤) الوادعون: المترفون الذين ضمنوا بحبوحة العيش ورغده فباتوا في هدوء ودعة. الزهو: التيه والتكبر. الجبرية: نسبة إلى الجبر بمعنى الجبروت والعظمة.

(٣٥) ترف العيش: ما زاد على الحاجة وكان للترفيه والتنعيم. المثقال: ما يوزن به.

(٣٦) بلدة المعز: القاهرة نسبة إلى المعز لدين الله الفاطمي، الذي أنشئت القاهرة له على يد قائده جوهر الصقلي سنة ٣٦١هـ/٩٦٩م. وكان عهده في مصر من أزهى عصورها، زادت فيه ثروة البلاد زيادة كبيرة. وتوفي المعز سنة ٣٦٣هـ/٩٧١م. ويريد بالجحور تلك الخربات والأكواخ المظلمة التي يسكنها الفقراء، مترعات: مفعمة مملوءة.

(٣٧) بسقت: ارتفعت وطالت. الأفنان: الفروع والأغصان، الواحد: فنن (بالتحريك). الداء العضال: أي: شديد أعيا الأطباء.

(٣٨) الندى: الكرم والجود. القلال: جمع قلة وهي من الجبل أعلاه.

(٣٩) العيال: من تلزمك نفقتهم والقيام بأمرهم.

(٤٠) البصيرة: الفطنة. الغياهب: الظلمات. الأسدال: الحجب ما يقوم بينك وبين الشيء بستره عنك.

(٤١) المكيال: أداة الكيل. أعاض: أبدل.

(٤٢) الخطرة: ما يخطر بالبال من الأفكار.

(٤٣) شيخ المعرة: هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي الشاعر. ولد بمعرة النعمان (وهي بلدة بين حماه وحلب) سنة ٣٦٣هـ وإليها ينسب. وقد كف بصره في الثالثة من عمره وتوفي بالمعرة سنة ٤٩٩هـ.

(٤٤) ند: استعصى وامتنع. ويشير إلى قوله:

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

(٤٥) الأسى: الحزن. النكال: الشر والمكروه.

(٤٦) نوب الأيام: مصائبها وما تنتاب به. العماية: الغواية والضلال.

(٤٧) السلال: جمع سلة وهي معروفة.

(٤٨) الآل: الأهل والعشيرة.

(٤٩) السؤال: جمع سائل. يشير إلى ما نزل من القرآن الكريم على النبي ﷺ في الترفق بالأعمى في (سورة عبس).

رثَاء إسماعيل صَبري باشا

أنشد الشاعر هذه القصيدة في حفل التأبين الذي أقيم في فناء مدرسة المعلمين العليا بالمنيرة في مايو سنة ١٩٢٣م:

صادِحَ الشَّرْقِ قَدْ سَكَتَّ طَوِيلا ... وَعَزِيزٌ عَلَيْهِ ألا تقُولَا
أَيْنَ ذَاكَ الشعْرُ الذي كُنْتَ تزْجِيـ ... ـهِ فَيَسْرِي في الأَرْضِ عَرْضًا وَطُولا؟[١]
قَدْ سَمِعْنَاهُ فِي الْمَزَاهِرِ لَحْنًا ... وَسَمِعْنَاهُ فِي الْحمَامِ هَدِيلا[٢]
وَشَمِمْنَاهُ فِي الْكَمَائِمِ زَهْرًا ... وَشَرِبْنَاهُ فِي الْكُؤُوسِ شَمُولا[٣]
تَنْهَبُ الدُرَّ مِنْ عُقُودِ الْغَوَانِي ... ثُمَّ تَدْعُوهُ فاعِلاتُنْ فَعُولَا!
خَطَرَاتٌ تسِيرُ سَيْرَ الدَّرَارِي ... آبِيَاتٍ عَلَى الزمانِ أُفُولَا[٤]
تَخْدَعُ الْجَامِحَ الشمُوسَ مِنَ الْقَوْ ... لِ فَيُلْقِي الْعِنانَ سَهْلًا ذَلُولا[٥]
غَزَلٌ كالشبَابِ أَسْجَحُ رَيَّا ... نُ يُذِيبُ الْقَاسي ويُدْنِي الْمَلُولا[٦]
وَنَسِيبٌ يَكادُ يَبْعَثُ فِينَا ... مِنْ جَدِيدٍ كُثَيِّرًا وَجَمِيلَا[٧]
وَقَوافٍ سَالَتْ مِنَ اللُّطْفِ حَتَّى ... لَحَسِبْنَا الْمُجْتَثَّ مِنْهَا طَوِيلا[٨]
نَقَدَتْ جَيِّدَ الْكلامِ وَخَلَّت ... سَقَطًا مِنْ وَرَائِها وفُضُولا[٩]
عَبِئَتْ «بالْوَلِيدِ» ثُمَّ أَرَتْهُ ... مِنْهُ أَنْقَى مَعْنًى وَأَقْوَمَ قِيلَا[١٠]
لَوْ وَعَاهَا مَا اهْتَزَّ يُنْشِدُ يَوْمًا ... (ذَاكَ وادِي الأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلًا)[١١]
(قِفْ مَشُوقًا أَوْ مُسْعِدًا أَوْ حَزِينًا ... أَوْ مُعِينًا أَوْ عَاذِرًا أَوْ عَذولًا)
بَرَزَتْ نَفْسُهُ بِها فَرَأَينَا ... هُ نَبِيلًا يَنُثُّ قَوْلًا نَبِيلَا[١٢]
هَبَطَتْ حِكْمَةُ الْبَيَانِ عَلَيْهِ ... فَاذكُروا فِي الْكِتَاب إِسْمَاعِيلَا[١٣]

* * *

لَوْ شَهِدْتَ الردَى يَحُومُ عَلَيْهِ ... وَالْمَنَايَا تَرْمِي لَهُ الأُحْبُولَا[١٤]
لَرَأَيْتَ الطَّوْدَ الأَشَمَّ الَّذِي كَا ... نَ مَنِيعَ الذرَا كَثِيبًا مَهِيلًا[١٥]
وَرَأَيْتَ الصمصامَ لَا يَقْطَعُ الضِّغـ ... ـثَ وَقَدْ كَانَ صَارِمًا مَصْقُولَا[١٦]
وَرَأَيْتَ الرُّوحَ الْخَفِيفَةَ حَيْرَى ... إِنَّ عِبْءَ السقَامِ كَانَ ثَقِيلَا
شَيَّعَ الدَّمْعُ يَوْمَ شَيَّعَ «صَبْرِي» ... دَوْلَةً فَخْمَةً وَعَصْرًا حَفِيلا[١٧]

* * *

خُلُقٌ لَوْ يَمَسُّ هَاجِرَةَ الْقَيـ ... ـظِ لَأَمْسَتْ عَلَى الْأَنَامِ أَصِيلَا[١٨]
وَخِلالٌ مِثْلُ النَّسِيمِ وَقَدْ مَرْ ... رِ بِزَهْرِ الربَا عَلِيلًا بَلِيلَا
وَحَدِيثٌ حُلْوُ الْفُكَاهَةِ عَذْبٌ ... لَمْ يَكُنْ آسِنًا وَلَا مَمْلُولا[١٩]
يُذْهِلُ الصَبَّ عَنْ أَحَادِيثِ لَيْلَا ... هُ وَيُنْسِيهِ حَوْمَلًا وَالدخُولَا[٢٠]
يَقصُرُ اللَّيْلُ حِينَ يَسْمُرُ «صَبْرِي» ... بَعْدَ أَنْ كَانَ نَابِغِيًّا طَوِيلَا[٢١]

* * *

يَوْمَ «صَبْرِي» هَدَمْتَ لِلْمَجْدِ رُكْنًا ... وَتَرَكْتَ الْعَلْيَاءَ أُمًّا ثَكُولَا
يَوْمَ «صَبْرِي» أَغْمَدْتَ فِي التُّرْبِ سَيْفًا ... حِينَ جَرَّدْتَ سَيْفَكَ الْمَسْلُولَا

* * *

إِنَّمَا نَحْنُ فِي الْحَيَاةِ إِلَى حِيـ ... ـنٍ شَبَابًا وَفِتْيَةً وَكُهُولَا
نَتَمَنَّى الْحَيَاةَ جِدَّ تَمَنٍّ ... وَهْيَ لَيْسَتْ إِلَّا مَتَاعًا قَلِيلَا
وَقَفَ الطِّبُّ حَائِرًا وَالْمَنَايَا ... سَاخِرَاتٍ يَغْتَلْنَ جِيلًا فَجِيلَا
دَوْرَةُ الأَرْضِ كَمْ أَمَدَّتْ قَبِيلًا ... بِحَيَاةٍ وَكَمْ أَبَادَتْ قَبِيلَا[٢٢]
نَضْرَةٌ فِي أَزَاهِرِ الصُّبْحِ تُمْسِي ... بَعْدَ لَأْيٍ تَصَوُّحًا وذُبُولًا[٢٣]
رُبَّ قَصْرٍ قَدْ كَانَ مَلْعَبَ أُنْسٍ ... صَيَّرَتْهُ الأَيَّامُ رَبْعًا مُحِيلَا[٢٤]
وَفَتَاةٍ طَوَى مَحَاسِنَهَا الدَّهـ ... ـرُ بَنَانًا غَضًّا وَخَدًّا أَسِيلَا[٢٥]
نَأْكلُ الأَرْضَ ثُمَّ تَأْكُلُنَا الأَرْضُ ... دَوَالَيْكَ أَفْرُعًا وَأُصُولَا[٢٦]

* * *

يَـا مَـلِـيـكَ الْـبَـيَـانِ دَعْـوَةَ خِـلٍّ ... وَجَد الصَّبْرَ بَعْدَكُمْ مُسْتَحِيلَا[٢٧]
أَنـا أَرْثِـيـكَ شَـاعِـرًا وأَديـبًـا ... ثُـمَّ أَبْـكِـيـكَ صَـاحِـبًـا وَخَـلِـيـلَا
قُـلْ لِـحَـسَّـانَ: إنْ مَـرَرْتَ عَـلَـيْـهِ ... فِي ظِلَالِ الْفِرْدَوْسِ يُطْرِي الرَّسُولَا[٢٨]
إِنَّ مِـصْـرًا أَحْـيَـتْ مَـوَاتَ الْـقَـوَافِـي ... وَأَقَـامَـتْ عَـمُـودَهَـا أَنْ يَـمِـيـلَا
وَأَعَـادَتْ إِلَـى سَـلِـيـلَـةِ عَـدْنَـا ... نَ شَـبَـابًـا غَـضًّـا وَمَـجْـدًا أَثِـيـلا[٢٩]
قُـلْ لَـهُ غَـيْـرَ فَـاخِـرٍ: إِنَّ «صَـبْـرِي» ... بَعْدَ «سَامِي» هَدَى إِلَيْها السَّبِيلَا[٣٠]

* * *

وَيْكَ يا قَبْرُ صِرْتَ لِلْفَضْلِ مَثْوًى ... لَا يُـسَـامَـى ولِـلـنُّـبُـوغِ مَـقِـيـلَا[٣١]
فِيكَ كَنْزٌ لَمْ تَحْوِ أَرْضُ الْفَرَاعِيـ ... ـنِ لَـهُ بَـيْـنَ لَابَـتَـيْـهَـا مَـثِـيـلَا[٣٢]
فِـيـكَ سِرُّ الْـجَـلَالِ وَالْـخَـطْـبُ فِـيـهِ ... كَـانَ يَـا قَـبْـرُ لَـوْ عَـلِـمْـتَ جَـلِـيـلَا
ضُـمَّـهُ ضَـمَّـةَ الْـكَـمِـيِّ حُـسَـامًـا ... تَـرِكَ الـنَّـصْـرُ حَـدَّهُ مَـفْـلُـولَا[٣٣]
لَـهْـفَ نَـفْـسِـي عَـلَـيْـهِ يَـفْـتَـرِشُ التُّـرْ ... ـبَ وَقَـدْ كَـانَ لِـلـسـمـاكِ رَسِـيـلَا[٣٤]
لَـهْـفَ نَـفْـسِـي عَـلَـيْـهِ لَـوْ كَـانَ يُـجْـدِي ... لَـهْـفَ نَـفْـسِـي أَوْ كَـانَ يُـغْـنِـي فَـتِـيـلًا[٣٥]
كُـنْ عَـلَـيْـهِ يـا قَـبْـرُ رُوحًـا وَرَيْـحَـا ... نًـا ومَـثْـوًى رَحْـبًـا وَظِـلًّا ظَـلِـيـلًا[٣٦]
لَـمْ يَـمُـتْ مَـنْ يَـزُولُ مِـنْ عَـالَـمِ الْـحِـسْـ ... ـسِ وَتَـأْبَـى آثَـارُهُ أَنْ تَـزُولَا

هوامش

(١) تزجيه: تدفعه وتسوقه برفق. يسري: يسير.

(٢) المزاهر: جع مزهر وهو العود من آلات الغناء والطرب. اللحن: التغريد والتطريب والغناء. الهديل: صوت الحمام.

(٣) الكمائم: جمع كمامة وهي غطاء النور أي: الغلاف الذي يحيط بالزهرة ويغطيها قبل أن تتفتح. الكؤوس: جمع كأس، ولا تسمى كأسًا إلا وهي فيها الشراب. الشمول: الخمر.

(٤) الخطرات: الخواطر. الدراري: الكواكب.

(٥) الجامح: اسم فاعل من جمع الفرس أي: اعتز فارسه وغلبه. والشَّموس: الصعب الممتنع. العِنان: سير اللجام. ذلول: سهل منقاد.

(٦) أسجح: حسن معتدل. ريان: صفة من الري.

(٧) كثير بن عبد الرحمن أحد الشعراء الغزليين المشهورين. شبب بعزة بنت حميدة الضمري حتى عُرف بها، وكانت وفاته سنة ١٠٥هـ. وجميل بن عبد الله بن معمر العذري أحب ابنة عمه بثينة، وعرف بها وقال فيها شعرًا كثيرًا يدل على شعور صادق وحب عفيف طاهر، ولبث يشبب بها أكثر من عشرين سنة، وكانت وفاته بمصر سنة ٨٢هـ أيام عبد العزيز بن مروان واليها من قبل أخيه عبد الملك.

(٨) المجتث: من بحور الشعر. وأجزاؤه مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مرتين مجزوء وجوبًا. الطويل: أول بحور الشعر. وأجزاؤه فعولن مفاعيلن أربع مرات.

(٩) نقد الدراهم: إخراج الزيف منها، والمراد اختارت. السقط بفتحتين: رديء المتاع والخطأ من القول والفعل. فضول الكلام: ما لا خير فيه.

(١٠) الوليد: هو أبو عبادة بن عبيد الطائي البحتري الشاعر المطبوع، وبحتر بطن من طيء كانوا ينزلون بناحية «منبج» بين حلب والفرات. ولد سنة ٢٠٦هـ، وتخرج في الشعر على أبي تمام ثم خرج إلى العراق وأقام في خدمة المتوكل والفتح بن خاقان وزيره إلى أن قتلا، فرجع إلى «منبج» وبقي يختلف أحيانًا إلى رؤساء بغداد وسر من رأى حتى مات سنة ٢٨٤هـ.

(١١) وعاها: حفظها وتدبرها أي: القوافي والمراد الأبيات. و«ذاك وادي الأراك فاحبس قليلًا» مطلع قصيدة للبحتري.

(١٢) برزت: ظهرت. النبل والنبالة: الذكاء والنجابة والفضل. نث الحديث: أفشاه.

(١٣) «فاذكروا في الكتاب إسماعيل» اقتباس جميل من قول الله تعالى في سورة مريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

(١٤) الأحبول: المصيدة كالحبالة والأحبولة.

(١٥) الطود: الجبل العظيم. الأشم: الطويل الرأس المرتفع. المنيع: الحصين الذي لا يقدر عليه من يريده. الذرا: جمع ذروة وهي من كل شيء أعلاه. الكثيب: المجتمع من الرمل. المهيل: المرسل المصبوب. والمراد مهدم منهار.

(١٦) الصمصام: السيف القاطع الذي لا ينثني. الضغث: قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس. الصارم: القاطع. المصقول: المجلو.

(١٧) المراد بالدولة هنا مملكة الأدب والشعر. حفيل: كثير مجتمع.

(١٨) الهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحر. القيظ: شدة حر الصيف. الأنام: جميع الخلق. الأصيل: العشي وهو الوقت بعد العصر إلى الغروب.

(١٩) آسن: آجن أي: متغير الطعم واللون. والمراد قديم معاد تافه.

(٢٠) ليلاه: معشوقته. عشق قيس بن الملوح العامري ابنة عمه ليلى وشبب بها في شعره فحيل بينها وبينه فاتقد هواه حتى صار إلى حالة تشبه الجنون. ومن أجل ذلك لقب بمجنون ليلى، كان ذلك في بادية نجد في صدر الدولة الأموية. وحومل والدخول موضعان بنجد على مقربة من طريق البصرة إلى مكة، ذكرهما امرؤ القيس في مطلع معلقته متغزلًا بابنة عمه عنيزة فقال:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٢١) نابغي: شاق طويل منسوب إلى النابغة الذبياني زياد بن معاوية.

(٢٢) القبيل: الجماعة.

(٢٣) النضرة: الحسن والرونق والبهاء. اللأي: البطء، والمراد هنا الزمن القليل. التصوح: أن ييبس النبات من أعلاه.

(٢٤) الأنس: اطمئنان النفس، وهو ضد الوحشة. الربع: الدار. محيل: اسم فاعل من أحال الشيء بمعنى تحول وتغير، أو من أحالت الدار أي: أتى عليها أحوال.

(٢٥) المحاسن: جمع على غير قياس لحسن. البنان: الأصابع أو أطرافها الواحدة بنانة. غض: طري. أسيل: لين طويل.

(٢٦) دواليك: مداولة على الأمر أو تداول بعد تداول، من الدولة وهي انقلاب الزمان.

(٢٧) الخل: الخليل والصديق.

(٢٨) حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله ﷺ وهو من بني النجار من أهل المدينة. نشأ في الجاهلية ونبه شأنه فيها، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وأسلم الأنصار أسلم معهم حسان ودافع عن النبي بلسانه كما دافع عنه قومه بسيوفهم، وعاش بعد رسول الله محببًا إلى خلفائه حتى مات في خلافة معاوية سنة ٥٣هـ وعمره ١٢٠ سنة.

(٢٩) سليلة: بنت. وعدنان أبو العرب المستعربة سكان شمالي الجزيرة، وهو من نسل إسماعيل ابن إبراهيم — عليهما السلام — وسليلة عدنان كناية عن اللغة العربية. غضا: طريًّا. المجد: العز والشرف. الأثيل: الأصيل العظيم.

(٣٠) «صبري» هو المرثي إسماعيل صبري باشا. و«سامي» هو محمود سامي باشا بن حسن حسني بك البارودي، أحد زعماء الثورة العرابية وأشعر الشعراء المتأخرين بالديار المصرية، نظم الشعر من صغره محاكاة ومعارضة للشعراء الأقدمين الذين حفظ من كلامهم ونسج على منوالهم. ولد سنة ١٢٥٥هـ، ثم تعلم فنون العسكرية وما زال يترقى في مراتب الجيش حتى ولاه الخديوي توفيق باشا نظارتي الحربية والأوقاف، ثم استقال واعتزل العمل حتى ولي رياسة النظار قبيل الثورة العرابية، فلما اضطرمت نيرانها خب فيها ووضع. ثم حكم عليه بعد انقضائها بالنفي إلى جزيرة سرنديب (سيلان)، فبقي بها ١٧ سنة ثم أذن له بالقدوم إلى مصر، وبقي في منزله كفيفًا يشتغل بالأدب إلى أن مات سنة ١٣٢٢هـ.

(٣١) ويك: عجبًا لك. مثوى: مقام. لا يسامى: لا يفاخر ولا يبارى. النبوغ: مصدر نبغ الشيء أي: أظهر وعظم شأنه. مقيل: اسم مكان من قال يقيل قيلًا وقيلولة ومقيلًا أي: نام في القائلة وهي الظهيرة.

(٣٢) الكنز: المال المدفون. الفراعين: جمع فرعون وهو لقب ملوك مصر الأقدمين وأرض الفراعنة هي الأراضي المصرية. اللابتان: مثنى لابة وهي الحرة أي: الأرض ذات الحجارة السود. وفي الحديث: «أنه — عليه الصلاة والسلام — حرم ما بين لابتي المدينة» أي: حرتيها اللتين تكتنفانها، والشاعر يريد بلابتي أرض الفراعنة حدودها التي تحيط بها.

(٣٣) الكمي: الشجاع المتكمي في سلاحه أي: المتغطي المستتر بالدرع والبيضة. الحسام: السيف القاطع. مفلول: متكسر.

(٣٤) السماك: نجم نير من نجوم السماء وهما سماكان: السماك الأعزل والسماك الرامح. رسيل الرجل: من يباريه في نضال أو غيره، وهذا رسيلك الذي يراسلك الغناء أي: يباريك في إرساله.

(٣٥) يجدي: يغني وينفع. الفتيل: ما يكون في شق النواة يضرب به المثل في التفاهة والضآلة.

(٣٦) الروح: الرحمة والراحة. الريحان: كل نبات طيب الريح. مثوى: مقام أي مكان ثواء وهو الإقامة. رحب: واسع. ظل ظليل: دائم.

الفخر

من قصيدة (سنة ١٩٠٠م)

طَرِيقُ الْعُلَا وَعْرٌ مَطِيَّتُهُ الْجِدُّ ... وَهَلْ يَعْتَلِي مِنْ غَيْرِهِ البَطَلُ الْفَرْدُ؟[١]
إِذَا وَهَنَتْ فِيهِ الْقِلاصُ وأَدْبَرَتْ ... فَذَاكَ شَدِيدُ الْحَوْلِ مُحْتَمِلٌ جَلْدُ[٢]
يَخُبُّ فَلَا الأَخْطَارُ تَلْوِي زِمامَهُ ... وَلَا عَنْ بَعِيد الْقَصْدِ يُقْعِدُهُ الجَهْد[٣]

* * *

سَئِمْتُ حَيَاتِي بَيْنَ قَوْمٍ فَضَائِلِي ... لَدَيْهِمْ يُغَطِّيها التَّدَابُرُ وَالْحِقْد
إِذَا ما بَدَتْ تَرْنُو إِلَيْهِمْ فَضِيلَةٌ ... تَصَدَّى لَهَا نَذْلٌ وَكَرَّ لَهَا وَغْدُ
إِذَا كَانَ عَيْبِي بَيْنَهُمْ أَنَّنِي فَتًى ... صَغِيرٌ وَشَعْرِي بِالشَّبِيَبة مُسْوَدُّ
فَمَهْلًا أَنَا النَّجْمُ الَّذِي يُبْصِرُونَه ... صَغِيرًا وَيُخْفِي قَدْرَهُ عَنْهُمُ الْبُعْدُ
إذا صالَ عَزْمِي فَهُوَ سَيْفٌ مُهَنَّدٌ ... لَهُ الْحِلْمُ وَالإِغْضاءُ مِنْ خُلُقِي غِمْدُ[٤]
تَمُدُّ الْمَعالِي نَحْوَ مَجْدِي رِقابَها ... وَجُذَّتْ إِذَا كَانَتْ لِغَيْرِيَ تَمْتَد[٥]
سَتَنْدُبُنِي الْفُصْحَى إِذَا مِتُّ قَبْلَها ... وَماتَ الَّذِي فِي النَّاسِ لَيْسَ لَهُ نِدُّ
إِذَا قَلَّ مَالِي فَالْقَنَاعَةُ ثَرْوَتِي ... وَمَا كُثْرُ قَوْمٍ ما وَرَى لَهُمُ زَنْدُ؟[٦]
وَرُبَّ غَنِيٍّ فِي احْتِيَاجٍ إِلَى يَدٍ ... تَرُوحُ بِمَا يَحْوِي مِنَ الْمَالِ أَو تَغْدُو[٧]
أَرَى الْمَالَ مِثْلَ الْماءِ يَخْبُثُ رَاكِدًا ... وَيُزْكِيهِ الاسْتِعْمالُ وَالأَخْذُ والردُّ
وَكَيْفَ يُفِيدُ الْمَالُ وَهْوَ بِحِرْزِهِ ... يُحِيطُ بِهِ سُورٌ وَيَحْجُزُهُ حَدُّ؟[٨]

وَهَلْ قَطَعَ الصَّمْصَامُ فِي جَوْفِ غمْدِه وَهَلْ طَابَ نَشْرًا قَبْلَ إحْراقِه النَدُّ؟[٩]

هوامش

(١) الوعر: الصعب. المطية: ما يركب من الدواب ونحوها. الجد: الاجتهاد.

(٢) وهنت: ضعفت. القلاص: جمع القلوص وهي الناقة الشابة القوية على السير. ودبرت الدابة وأدبرت: أصابها الدبر وهو تقرح أرجلها من طول السير ووعورة الطريق. الحول: القوة. جلد: صلب شديد قوي صبور.

(٣) يخب: يسرع في سيره، الخبب: ضرب من العدو. الأخطار: جمع خطر وهو الإشراف على الهلاك. تلوي: تثني وتميل. الزمام: المقود وهو الحبل الذي يقاد به البعير ونحوه، ولي الزمام: كناية عن ثني السائر وصرفه عن غايته. القصد: المقصد والمطلب. الجهد: المشقة.

(٤) صال: وثب وسطا. العزم: الإرادة القوية القاطعة. السيف المهند: المطبوع من حديد الهند. أو هو المشحوذ القاطع. الحلم: الأناة والوقار. الإغضاء: إدناء الجفون وسد الطرف والسكوت على الشيء.

(٥) المجد: العز والشرف. جذت: قطعت.

(٦) الكثر: المال الكثير. وورى الزَّند يرى وريًا: خرجت ناره. الزند: العود الذي تقدح به النار، «وما روى لهم زند» كناية عن بخلهم وقلة نفعهم.

(٧) الغدو في الأصل: الذهاب والانطلاق وقت الغدوة في أول النهار، والرواح ضد الغدو وهو الرجوع في آخر النهار، والمراد بالغدو والرواح هنا السعي في تثمير المال والنفع والانتفاع به.

(٨) الحرز: المكان الذي يحفظ فيه الشيء.

(٩) الصمصام: السيف الصارم الذي لا ينثني. النشر: الرائحة الطيبة. الند: نوع من الطيب، أو هو عود يتبخر به.

اللغَة العَربية وَدَار العُلُوم

أهدى الشاعر هذه القصيدة إلى صحيفة دار العلوم في سنة ١٩٣٤م؛ لتنشر في أول جزء من أجزائها.

يا ابنةَ السابقين من قَحْطانِ! وتُراثَ الأمجادِ من عَدْنانِ![1]
أنتِ علَّمْتِني البيان فما لي كلَّما لُحْتِ حار فيكِ بياني؟
رُبَّ حُسْنٍ يعوق عن وَصْفِ حُسْنٍ وَجَمَالٍ يُنْسي جَمالَ المَعَاني
كنتُ أشدُو بَيْنَ الطُّيورِ بِذِكْرا كِ فتعلو أَلْحَانَها ألحاني
وأصوغُ الشِّعرَ الذي يَفْرَعُ النَّجـ ـمَ وتُصْغِي لِجَرْسِه الشِّعْرَيانِ[2]
يا ابنةَ الضَّادِ أنتِ سرّ من الْحُسـ ـنِ تجلَّى عَلَى بَنِي الإنسانِ[3]
كنتِ في الْقَفْرِ جَنَّةً ظلَّلَتْها حالِيَاتٌ من الْغُصونِ دَواني[4]
لغةُ الفنِّ أنتِ والسحْرِ والشَّعـ ـرِ، ونُورُ الْحِجَا، وَوَحْيُ الْجَنانِ
رُبَّ جَيْشٍ من الْحَديدِ تَوَلَّى وَاجِفَ القلبِ من حَديدِ اللِّسانِ
وبيَانٍ بَنَى لِصاحِبِه الخُلـ ـدَ مُطِلًّا مِنْ قِمَّةِ الأزْمانِ
وقصِيدٍ قد خَفَّ حتَّى عَجِبنا كَيفَ نَالَتْهُ كِفَّةُ الأَوْزانِ!

* * *

بلغ العُرْبُ بالبلاغَةِ والإسْلا مِ أَوْجًا، أَعْيَا عَلَى كَيْوانِ
لَبِسوا شَمْسَ دَوْلةِ الفُرْسِ تاجًا وَمَضَوْا في مَغافِرِ الرومانِ[5]
وَجَرَوْا يَنْشرون في الأرْضِ هَدْيًا مِنْ سَنا العِلْمِ أو سَنا القُرآنِ[6]

لا تَضِلُّ الشُّعُوبُ مِصْبَاحُها العلـ ـمُ، يُؤاخِيهِ راسِخُ الإيمانِ
فإذا أُطْفِئَ السِّراجُ فَمَيْنٌ وَضَلالٌ ما تُبْصِرُ العَينان![٧]
أَينَ آلُ العبَّاسِ رَيحْانَةُ الدهـ ـرِ، وأينَ الكِرامُ مِنْ مَرْوانِ؟[٨]
خَفَتَ الصّوْتُ، لا البِلادُ بِلادٌ يَوْمَ بانوا، ولا المغاني مَغَاني![٩]
أزهرتْ في حِماهُم الضادُ حِينًا وذَوَتْ بَعْدَهُمْ لِغَيْرِ أَوان
إنْ أصاخَتْ، فَالقَوْلُ غيرُ فَصِيحٍ أَوْ رَنَتْ، فَالوُجوهُ غيرُ حِسان[١٠]
فمضتْ نحوَ مِصَر مِثْلَ قَطاةٍ فَزَّعَتْها كَوَاسِرُ العِقْبان[١١]
يكدُرُ العَيْشُ مرةً ثم يَصْفو كَمْ لِهَذِي الْحَياةِ مِنْ أَلْوان!
ثم هَبَّت زَعازِعٌ تَرَكَتْها بَيْنَ مُرِّ الأسَى، وذُلِّ الهَوانِ[١٢]
وإذا نَهْضَةٌ تَدِبُّ بِمِصْرٍ كَدَبِيبِ الْحَياةِ في الأبْدانِ[١٣]
وإذا اليَوْمُ باسِمٌ، والليالي مُشْرِقَاتٌ، والدَّهْرُ مُلْقِي العِنانِ[١٤]
وإذا الضَّادُ تَسْتَعِيدُ جَمالًا كادَ يَقْضِي عَلَيْه رَيْبُ الزَّمانِ[١٥]
نزلتْ في حِمَى فُؤادٍ فَأَضْحَتْ مِنْ أياديه في أعزِّ مَكان
مَلِكٌ شادَ لِلْكِنانةِ مَجْدًا فَسَمَتْ باسْمِهِ عَلَى البُلدان
كُلَّ يَوْمٍ يَمُدُّ لِلْعِلْمِ كفًّا خُلِقَتْ لِلْوَفاءِ والإحْسان

* * *

إنَّ دارَ العُلُومِ بِنْيَةَ إسما عِيلَ تُزْهَى بِه عَلَى كلِّ بانِ
مَنْ يُسامِي أبا المواهِبِ وَالأشْبالِ في فَيْضِ جُودِهِ أو يُداني؟[١٦]
هي في مِصْرَ كَعْبَةٌ بَعَثَ الشَّرْ قُ إلَيْها طوائِفَ الرُّكْبان
قد أعادتْ عَهْدَ الأعاريب في مِصـ ـرَ إلى ناعمٍ من العَيْشِ هاني[١٧]
وأظلَّتْ بِنْتَ الفَدافِدِ والبِيـ ـدِ بِأَفْياءِ دَوْحِها الفَيْنان[١٨]
دَرَجَتْ بَيْنَ فِتْيَةٍ وَشُيُوخٍ كلُّهُمْ يَنْتَمِي إلَى سَحْبانِ[١٩]
وأَطَلَّتْ من الخِباءِ عَلَيْهِم فَسَبَتْهُمْ بِسِحْرِها الفَتَّانِ[٢٠]
فُتِنوا بالعُذَيْبِ والسَّفْحِ والجِزْ عِ ووادِي العَقيقِ والصمَّانِ[٢١]
يتلقَّوْنَ وَحْيَها كُلَّ حِينٍ ويناجُون طَيْفَها كُلَّ آنِ
ويُغنُّونَ باسمِها مثلَ ما غَنـ ـنَى زُهَيْرٌ بِسيرَةِ ابْنِ سِنانِ[٢٢]
نثرتْ دَرَّها الفَريدَ فكانوا أسْرَعَ الناسِ في الْتِقَاطِ الجُمانِ[٢٣]

* * *

رُبَّ شَيْخٍ أَفْنَى سَوادَ الليالي ... ساهِدَ العَيْنِ جاهِدًا غَيْرَ واني
مِنْ بُحُوثٍ إلَى كتابةِ نَقْدٍ ... ثُمَّ مِنْ مُعْجَمٍ إلَى دِيوان[٢٤]
يَقْنِصُ الآبِداتِ عَزَّتْ عَلَى الصَّيـ ... ـدِ، فماسَتْ بَيْنَ الرُّبا والرِّعانِ[٢٥]
سارحاتٍ كأنَّها قِطَعُ الوَشـ ... ـيِ يُطَرِّزْنَ سُنْدُسَ القِيعانِ[٢٦]
إنْ تسمَّعْنَ نَبْأَةً غِبْنَ في الرِيـ ... ـحِ، كَسِرٍّ يُصانُ بالكِتمانِ[٢٧]
فإذا ما أَمِنَّ يَخْرجْن أَرْسا ... لًا، كَخَيْلٍ نَشِطْن من أَرْسانِ[٢٨]
كلُّ جُزْءٍ في جِسْمِهِنَّ له عيـ ... ـنٌ على الشرِّ، أو له أُذُنان
لم يَزَلْ صاحبِي يُعالِجُ مِنْهُنـ ... ـنَ نِفارًا مُسْتَعْصِيًا، ويُعانِي[٢٩]
في فَلاةٍ لا تحْمِلُ الرِّيحُ فيها ... غَيْرَ رَنَّاتِ قَوْسِهِ المِرْنانِ[٣٠]
كلَّما طَارَ خَلْفَهُنَّ تَسَرَّبْنَ ... هَبَاءً، في غَيْهَبِ النِّسْيانِ[٣١]
فتراهُ حِينًا كما وَثبَ اللَّيْثُ ... وحِينًا يَنْسابُ كالأُفْعُوانِ[٣٢]
وهي تلهو به، فآنًا تُجافِيهِ، ... وآنًا تُمْلِي له فَتُدانِي[٣٣]
مرةً في مدَى يَدَيْهِ، وأُخْرَى ... ما له باقْتِناصِهِنَّ يَدانِ[٣٤]
لم يَقِفْ نَادِمًا يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ، ... فَعالَ الْمُجَوَّفِ الْحَيْرانِ[٣٥]
ثم كانتْ عَواقِبُ الصَّبْرِ أَنْ ذَلَّتْ ... له الشَارِداتُ بَعْدَ الجِرانِ[٣٦]
مَلَّكَتْهُ أعْناقَها في خُضوعٍ ... وَحَبَتْه قِيادَها في لَيانِ[٣٧]
رُبَّ شِعْرٍ لَه يُرَدِّدُه الدهـ ... ـرُ، فتُصْغِي مَسامِعُ الأكوانِ
يَتَمَنَّى الربيعُ لو تَخِذَتْ مِنـ ... ـهُ حُلاها ذَوائِبُ الأغْصانِ[٣٨]
من بَناتِ الخيالِ لو كان يُسْقَى ... لَعَدَدْنَاه من بَناتِ الدِّنانِ[٣٩]
رَدَّدَتْه القِيانُ يُكْسِبْنَهُ حُسْنًا، ... فأَرْبَى عَلَى جَمالِ القِيانِ[٤٠]
قد أثارَ الغُبارَ في وَجْهِ مَيْمُو ... نٍ، وَعَفَّى عَلَى فَتَى ذُبْيانِ[٤١]

* * *

شِيخَةَ الدارِ، أنْتُمُ خَدَمُ الفُصـ ... ـحَى وحُرَّاسُ ذلكَ البُنْيانِ
لَبِسَتْ جِدَّةَ الصِّبا في ذراكُمْ ... وغَدَتْ من حُلاه في رَيْعانِ[٤٢]
غَيْرَ أنَّ الحياةَ تعْدُو، ولا يُدْ ... رِكُ فِيها طِلَابَهُ الْمُتوانِي[٤٣]

سابقوها بالدِّينِ والْخُلُقِ السَّمـ ـحِ وصِدْقِ الوَفاء لـلإخْوان
سابقوها بالْجِدِّ، فالْجِدُّ والمَجـ ـدُ — كما شاءتْ العُلا — توْءمان
ذَلِّلُوا للشَّبابِ مُسْتَعْصِيَ الفُصـ ـحَى، فإنَّ الرَّجَاء في الشبَّان
وانـثُـرُوهـا قَـلائـدًا وعُـقُـودًا تَـتَـحَـدى قَـلائـدَ الـعِـقْـيـانِ[٤٤]

* * *

بَسَم الدهرُ أَنْ رَآكم بِناءً عَبْقَرِيًّا مُوَطَّدَ الأركان
كم رَجا الدهْرُ أَنْ يُشاهدَ يَوْمًا جَمْعكم سالمًا من الشَنَآن[٤٥]
إنّما الكفُّ بالبَنانِ، ولا تُجـ ـدِي فَتِيلًا كَف بغير بَنان[٤٦]
جَمعتْكُمْ أواصِرٌ وصِلاتٌ طَهُرتْ من دَخائلِ الأضْغانِ[٤٧]
فاسلُكوا المَهْيعَ القَويمَ وسِيروا في شُعاعِ الْمُنى وظِلِّ الأماني[٤٨]
واشكُروا للوزير بِيضَ أيادِيه، ومِدْرارَ فَيْضِهِ الهَتَّان[٤٩]
يَبذُلُ الْخَيْرَ فِطْرَةً، ليس يَثْنيه عن الْخَيْر والصَنيعَةِ ثاني[٥٠]
هو ذُخْرُ الطُلَّابِ، كما وجدوا فيـ ـهِ أَمانًا من طَارِقِ الْحَدَثان[٥١]
يبْعَثُ الغَيْثَ والرجاء لقاصٍ ويَمُدُّ اليَمينَ بِرًّا لِداني
كم له مِنَّةٌ عَلَى الضَّادِ هزَّتْ كُلَّ لَفْظٍ فيها إلَى الشكْرانِ[٥٢]
سَعِدَ العِلْمُ واسْتَعَزَّ «بِحِلْمي» وغَدَا دَوْحُهُ قريبَ المَجاني[٥٣]
سار مُسترشدًا بِهَدْيِ مَلِيكٍ ما لَهُ في أصَالةِ الرَأْيِ ثاني[٥٤]
مَلِكٌ تَسْعَدُ البِلادُ بِنُعْما هُ، ويُزْهَى بنورِه القَمَران[٥٥]
عاشَ للدينِ والمَكارِمِ والنُّبـ ـلِ وَبَثِّ الْحَياةِ والعِرْفان[٥٦]
ولْيَعِشْ للبِلادِ فاروقُ مِصْرٍ قُدْوَةَ الناهِضِينَ رَمْزَ الأَماني

هوامش

(١) ابنة السابقين: يريد اللغة العربية. قحطان: أبو العرب العاربة. تراث: ميراث، الأمجاد: جمع ماجد، الكريم الشريف: عدنان: أبو العرب المستعربة.

(٢) فرع القوم: علاهم بالشرف أو الجمال. الجرس: الصوت. الشعري: كوكب وهما شعريان. تزعم العرب أنهما أختا سهيل.

(٣) ابنة الضاد: اللغة العربية.

(٤) القفر: المفازة لا نبات بها. الغصون الحاليات الدواني: أي المتحلية بالثمر القريبة القطوف.

(٥) كانت الشمس رمزًا لتاج الفرس، المغافر: جمع مغفر كمنبر.

(٦) الهدى: الرشاد. السنا: النور.

(٧) المين: الكذب.

(٨) الريحانة: طاقة الريحان وهو نبت طيب الرائحة.

(٩) بانوا: فارقوا وارتحلوا. المغاني: جمع مغنى المنزل غنى به أهله.

(١٠) أصاخ له: استمع. رنا رنوًا: أدام النظر بسكون الطرف.

(١١) القطاة: طائر. فزعه: أخافه. العقاب: طائر والجمع عقبان، والكاسر من الطير كالمفترس من الحيوان، كسر الطائر كسرًا وكسورًا ضم جناحيه يريد الوقوع.

(١٢) الزعازع: الشدائد من الدهر. الأسى: الحزن. الهوان: من هان هونًا وهوانًا ومهانة أي: ذل.

(١٣) تدب: تسير ببطء.

(١٤) الدهر ملقي العنان: كناية عن الخضوع والانقياد، العنان: سير اللجام.

(١٥) ريب الزمان: صَرْفه.

(١٦) يساميه: يباريه ويفاخره.

(١٧) الأعاريب جمع أعراب: سكان البادية.

(١٨) بنت الفدافد والبيد: اللغة العربية. الفدافد: جمع فدفد، والبيد: جمع بيداء، وكلاهما بمعنى الفلاة. أفياء: جمع فيء ما كان شمسًا فينسخه الظل. الدوح مفرده دوحة: الشجرة العظيمة. الفينان: الحسن الشعر الطويله.

(١٩) درج: مشى، ويريد نشأت. فتية وشيوخ: رجال دار العلوم من طلاب وأساتذة. سحبان: بليغ يضرب به المثل.

(٢٠) أطلت عليهم: أشرفت. الخباء: من الأبنية يكون من وبر أو صوف أو شعر. سبتهم: أسرتهم.

(٢١) فتنوا بالشيء: أعجبوا به. العذيب والسفح والجزع ووادي العقيق والصمان: أماكن ببلاد العرب.

(٢٢) ابن سنان: هو هرم بن سنان كان جوادًا كريمًا أولع بمدحه زهير بن أبي سلمى، وزهير شاعر جاهلي أجاد الحكمة مع الصدق وعدم المبالغة والسهولة.

(٢٣) الجمان: اللؤلؤ واحده جمانة.

(٢٤) بحوث: جمع بحث.

(٢٥) يقنص: يصيد. الآبدات: الشاردات من الوحش. ماست: تبخترت. الربا: جمع ربوة ما ارتفع من الأرض. الرعان: جمع رعن، أنف يتقدم الجبل.

(٢٦) سارحات: مطلقات. الوشى: النقش. التطريز: نقش الثوب، القيعان: جمع قاع أرض سهلة مطمئنة.

(٢٧) النبأة: الصوت الخفي.

(٢٨) الإرسال: جمع رسل، القطيع من كل شيء. الأرسان: جمع رسن، الحبل.

(٢٩) النفار: النفور والشرود.

(٣٠) المرنان: ذات الرنين عند شد وترها.

(٣١) الغيهب: الظلام.

(٣٢) الأفعوان: ذكر الأفاعي.

(٣٣) تجافيه: تبتعد عنه. تملي له: أي تمد له في أسباب الأمل.

(٣٤) مرة في مدى يديه: أي في مقدوره. وأخرى ما له باقتناصهن يدان: أي ليس له قدرة على اقتناصهن.

(٣٥) المجوف: من لا قلب له. فعال: أي فعل.

(٣٦) ذلت: خضعت. الحران: مصدر حرنت الدابة فهي حرون (بابه نصر)، وهي الدابة التي إذا اشتد جريها وقفت.

(٣٧) الليان: اللين والطاعة.

(٣٨) ذوائب الأغصان: ما تدلى منها.

(٣٩) بنات الدنان: الخمر والدنان: جمع مفرده دن وعاء الخمر.

(٤٠) القيان: جمع قينة الجارية المغنية.

(٤١) أثار الغبار في وجه ميمون: سبقه، ويريد بميمون الأعشى، شاعر جاهلي كان العرب يتغنون بشعره، لم يمدح أحدًا إلا رفعه، أراد الوفود على النبي ﷺ ولكنه مات قبل الوصول إليه. وفتى ذبيان: هو النابغة الذبياني، كان يضرب له قبة بعكاظ ليحكم بين الشعراء، مدح النعمان بن المنذر، وكان بارعًا في الوصف.

(٤٢) جدة الصبا: جديده. الذرا: الظل والكنف. ريعان كل شيء: أوله وأفضله.

(٤٣) طلابه: طلبه.

(٤٤) قلائد العقيان: أي قلائذ الذهب.

(٤٥) الشنآن: البغض والكراهة.

(٤٦) البنان: الأصابع أو أطرافها. الفتيل: السحاة التي في شق النواة، والمراد الشيء القليل جدًّا.

(٤٧) الأواصر: جمع آصرة ويراد بها الصلة. الأضغان: جمع ضغن الحقد.

(٤٨) المهيع: الطريق.

(٤٩) الهتان: الكثير الانصباب.

(٥٠) الصنيعة: المعروف والمنة.

(٥١) طارق الحدثان: ما يصيب من نوب الدهر.

(٥٢) المنة: العطية.

(٥٣) المجاني: جمع مجنى ما يجنى. حلمي: هو محمد حلمي عيسى باشا وزير المعارف في ذلك الوقت.

(٥٤) أصالة الرأي: قوته وثباته.

(٥٥) يزهى: يفتخر.

(٥٦) بث الحياة: نشرها.

ضِحكُ القَدَر

قال الشاعر هذه الأبيات سنة ١٩١٠م حينما كان طالبًا بإنجلترا، وقد زار «لندن» في فصل الشتاء، ومن العجيب بها أن الضباب يتكاثف أحيانًا فيحجب الأضواء، ويجعل المدينة في ظلام دامس، وحينئذ يحار المبصر ويضل الطريق، وقد يهدي العمي المبصرين في هذه الحالة لاعتيادهم الضرب في الأرض على أي حال.

أَبْصَرْتُ أَعْمَى في الضبَابِ بِلَنْدَنٍ يَمْشِي فَلَا يَشْكُو وَلَا يَتَأَوَّهُ
فأَتَاهُ يَسْأَلُهُ الْهِدَايَةَ مُبْصِرٌ حَيْرَانُ يَخْبِطُ فِي الظلَامِ وَيَعْمَهُ[1]
فَاقْتَادَهُ الأَعْمَى فَسَارَ وَرَاءَهُ أَنَّى تَوَجَّهَ خَطْوُهُ يَتَوَجَّهُ
وَهُنَا بَدَا الْقَدَرُ الْمُعَرْبِدُ ضَاحِكًا وَمَضَى الضبابُ ولَا يَزَالُ يُقَهْقِهُ!

هوامش

(١) يخبط الأرض في الظلام: يسير فيها على غير هدى. يعمه: يتحيَّر ويتردد.

الجامعة المصرية

ألقيت في احتفال علمي رائع في سنة ١٩٣٢م، احتفالًا بافتتاح الجامعة المصرية.

دَعَوْتُ بَيانِي أن يفَيضَ فَأَسْعدَا ... ونَادَيْتُ شِعري أن يُجيبَ فغرَّدا
وأبدعْتُ نَظْمًا كالرَّبيع مفوَّفًا ... يُجَمِّلُ عَصْرًا كالشَّبابِ مُجدَّدا[١]
وما الشِّعرُ إلَّا تَرْجُمانٌ مُخلَّدٌ ... يَقُصُّ على الأجْيالِ مَجدًا مُخلَّدا
فَلَولا السَّجَايا الغُرُّ ما قال قَائِلٌ ... ولولا «فؤادٌ» ما غَدَا النِّيلُ مُنْشِدَا[٢]
فَسَلْسَالُه أَضْحَى بِنُعْمَاهُ كَوْثَرًا ... وقِيعَانُه أمستْ بِمَسْعاه عَسْجَدا[٣]
مَليكٌ حَبَتْه مِصرُ مَحْضَ وَلَائِها ... صَمِيمًا، وأَوْلَى مِصرَ عِزًّا وسُؤْدَدا
أصالَةُ عَزْمٍ أَخْجَلَتْ كلَّ صَارِم ... مِنَ البيضِ، حَتَّى خاف أنْ يَتَجَرَّدا
وَرَأْيٌ كَوَجْهِ الصُّبْحِ ما ذَرَّ نُوره ... على مُدْلَهِمِّ الْخَطْبِ حتَّى تَبَدَّدا[٤]
وَوَجْهٌ كأنوارِ اليَقينِ رَأَيْتُه ... فأبْصَرتُ فيه المجْدَ والنُّبْلَ والنَّدَى
أَلَمْ يُعْلِ صَرْحَ العِلْمِ شُمًّا قِبَابُه ... تُطَالِعُهَا زُهْرُ الكواكِبِ حُسَّدَا؟[٥]
فَمِنْ مَعْهَدٍ يُبنَى على إِثْرِ مَعْهَدٍ ... إلى أنْ غَدَتْ أرضُ الكنَانةِ مَعْهَدًا!

* * *

زُهِينَا على الدُّنْيا بِجَامِعَةٍ غَدَت ... حَدِيثًا بأُذْنِ الشَّرْقِ حُلْوًا مُرَدَّدا
ترُدُّ الشَّبَابَ الغضَّ حَزْمًا وَحِكْمَةً ... وتصْقُلُه صَقْلَ القُيونِ المُهَنَّدا[٦]
تُزَوِّدُهُ التَّوفيقَ في كلِّ مَطْلَبٍ ... وَمَنْ طَلَبَ العِلْمَ الجليلَ تَزَوَّدا
غَدَتْ دَوْحَةً فَيْنَانَةً حُلْوَةَ الْجَنَى ... بَعيدَةَ مَدِّ الظِّلِّ فَيَّاحَةَ المَدَى

غَرَسْتَ وهذا فضلُ ما قد غَرَسْتَه ... وهذا هوَ الغُصْنُ الذي كان أَمْلَدا[٧]
تَعَهَّدْته كالزَّارعِ الطَّب نَوْمُه ... غِرَارٌ إلى أن يُبْصِرَ الزَّرْعَ أَحْصَدا[٨]
بِكَفٍّ من الإحْسانِ والرِّفقِ صُوِّرَتْ ... وعَيْنٍ تَرَى في يَوْمها ما تَرَى غَدَا
كَذاكَ ابنُ إسماعيلَ يَنْتَهِبُ المُنَى ... دِرَاكًا، ويَمْضِي لِلْمَحَامِدِ مُصْعِدَا[٩]
وَيُدْرِكُ ما يُعْيِي الْجَحَافِلَ وَحْدَهُ ... وَيَبْلُغُ شَأْوًا يُعْجِزُ الْجمْعُ مَفْرَدا
وَيَسعى إلى أنْ يُذْهِلَ النَّجْمَ سَعْيُه ... وَيبذُلُ حتى يُدْهِشَ الْجُودَ وَالْجَدا[١٠]
ويَرْقب رَبَّ العَرْشِ فِيما يُريدُه ... ويَنْصُرُ دِينَ الْحَقِّ والنُّورِ والهُدَى[١١]
إذا مَا انْتَهَى مِنْ مَقْصِدٍ لانَ صَعْبُه ... دعاهُ هَوى مِصرٍ فجدَّدَ مَقْصِدا[١٢]
رُوَيْدَكَ أجهَدْتَ المُؤرِّخَ! ما وَنَى ... ولا فَارَقَتْ يَوْمًا بَرَاعَتُه اليَدَا
هَزَزْتَ إلى التَّأْليفِ كُلَّ مُبَرِّزٍ ... أَدِيبٍ إذَا مَا أَرْسلَ الفِكْرَ سدَّدا[١٣]
فَفَاضَتْ بَجَدْواك العقولُ وَبَلَّلَتْ ... بمصْرَ ظِماءً كان حَرَّقَهَا الصَّدَى[١٤]
فَفِي كلِّ يومٍ لِلْعُلُومِ مُجَلَّدٌ ... حَقيقٌ بما أَسْدَيْتَ يَتْلُو مُجلَّدا
سَلوا مكْتَباتِ الْعِلْمِ تَنْطِقُ كُتْبُهَا ... بآثَارِ مَجْدٍ يَنْتَمِينَ لِأَحْمَدَا
وَمنْ بَيْنَ فَوْقَ العِلمِ وَالعدلِ مُلكَه ... رَفيعًا، فَقَدْ أَرسَى الأساسَ وَوطَّدا
بَهرْتَ رِجالَ العلمِ في الغَرْبِ فَانْثَنُوا ... إليكَ يَسوقونَ الثنَاءَ المنضَّدا[١٥]
وأَوْلَوْكَ أَلْقَابًا نَواصعَ كالضُّحَا ... ضِخامًا على آثارِ فَضْلكَ شُهَّدا
وَأصبحتَ رَمْزًا عالَميًّا سَعتْ له ... جَهابِذَ أهلِ الأرضِ مَثْنَى وَمَوْحَدا[١٦]
فِخَارًا أبا الفارُوقِ لم يَبْقَ مَنهَجٌ ... إلى العلمِ إلَّا صار سَهْلًا مُعَبَّدا
تَطَلَّعتِ الآمالُ شرْقًا وَمَغْرِبًا ... فَلم تَجِدِ الآمالُ إلَّاكَ مَعقِدا
وحامَتْ قُلوبُ الشَّعبِ حَولكَ مِثْلَمَا ... تحومُ عِطَاشُ الطَّيْرِ أَبْصَرنَ مَوْرِدا[١٧]
فَعِشْ لِبني مِصرٍ غِيَاثًا ورَحمةً ... فَآمالهمْ في أن تَعيشَ وَتَسْعَدا[١٨]
وَعاشَ وَلِيُّ العهدِ قُرَّةَ أَعْيُنٍ ... وَدامَ مِنَ اللهِ العزيزِ مُؤَيَّدا[١٩]

هوامش

(١) مفوفًا: فيه خطوط بيض.

(٢) السجايا: جمع سجية وهي الخلق. الغر: جمع غراء أي: بيضاء.

(٣) السلسال: الماء العذب. النعمى: اليد البيضاء الصالحة. الكوثر: نهر في الجنة يتفجر منه جميع أنهارها. القيعان: جمع قاع وهو الأرض المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام. العسجد: الذهب.

(٤) ذر: طلع وأشرق. الخطب: الأمر. المدلهم: الشديد الظلمة.

(٥) الصرح: البناء العالي. شُمًّا: جمع شماء أي: مرتفعة. زهر: جمع أزهر وهو المتلألئ.

(٦) ترد: تصير. الغض: الناضر. الحزم: ضبط الأمور والأخذ فيها بالثقة. الحكمة: العلم بحقائق الأشياء. تصقله: تجلوه. القيون: جمع قين وهو الحداد وصانع السيوف. المهند: السيف المشحوذ.

(٧) الأملد: من الغصون الناعم اللين.

(٨) الطب: الماهر الحاذق بعمله. الغرار: القليل. أحصد: أي حان أن يحصد.

(٩) المنى: جمع منية. وهي الأمنية. الدراك: اللحاق السريع. المحامد: جمع محمدة وهي الخصلة يحمد عليها. مصعدًا: اسم فاعل من أصعد في الأرض إذا مضى. والمراد المضي في ارتفاع.

(١٠) يذهل: يدهش. الجدا: العطية.

(١١) رب العرش: الله سبحانه وتعالى. يرقب أي: ينتظر جزاءه وثوابه فيما يعمل.

(١٢) مقصد: مطلب من مطالب الخير للبلاد.

(١٣) هززت: حركت ونشطت. المبرز: من يفوق أصحابه فضلًا.

(١٤) الصدى: العطش. الجود: العطية. الظماء: جمع ظمآن وهو العطشان.

(١٥) المنضد: ما كان بعضه فوق بعض.

(١٦) الجهابذ: جمع جهبذ بالكسر وهو النقاد الخبير.

(١٧) المورد: مكان الماء. حام الطير على الشيء: دوم.

(١٨) غياث: إغاثة ومعونة.

(١٩) قرة أعين: من قرت العين تقر بالكسر والفتح قرة بالفتح والضم بردت وانقطع بكاؤها أو رأت ما كانت متشوقة إليه. والقرة: ما قرت به العين.

العروبة

ألقيت هذه القصيدة بمؤتمر الثقافة العربي الأول، والذي أقامته جامعة الدول العربية بلبنان عام ١٩٤٧م.

لُبنانُ روضُ الهوى والفنِّ لُبنانُ ... الأرضُ مسكٌ، وهمسُ الدوحِ ألحانُ[١]
هل الحِسانُ على العهدِ الذي زعمت؟ ... وهل رِفاقُ شبابي مثلَما كانوا؟
أين الصبا؟ أين أوتاري وبهجتُها؟ ... طوت بساط لياليهنَّ أزمان
أرنو لها اليومَ والذكرى تُؤرِّقني ... كما تنبَّه بعد الْحُلمِ وسنان[٢]
هَبْني رجعتُ إلى الأوتارِ رنَّتَها ... فهل لشَرْخِ الصبا واللهوِ رُجْعان؟[٣]
لا الكأس كأسٌ إذا طاف الحباب بها ... بعد الشبابِ، ولا الريحانُ ريحان[٤]
ما للخميلةِ؟ هل طارت بلابلُها ... وصَوَّحتْ بعد طول الزهْوِ أفنانُ؟[٥]
وهَل رياضُ الهوى ولَّت بشاشتُها ... وغادرْت ضاحكَ النُّوَّارِ غُدران؟[٦]
كم مّد غصنٌ بها عينًا مشرَّدةً ... إلى قدودِ العذارى وهُو حيران[٧]
لقد رأى البانَ لا تسعَى به قدمٌ ... فيا لدَهْشتِه لمَّا مشى البَانُ[٨]
غِيدٌ لها من شذَى لُبنانَ نفحتُه ... ومن مجانيه تُفَّاحٌ ورمَّان[٩]
من نَبْعِه خُلِقَتْ، ما بالُها صرفتْ ... سِرْبَ الشفاه الحيارَى وهو ظمآن؟[١٠]
عينان أسكرتا شعري فإن عَثَرَتْ ... به السبيلُ، فعذرًا فهو نشوان[١١]
وطلعةٌ كخدودِ الزهرِ غازلها ... من الأصائِل أطيافٌ وألوان[١٢]
من الملائِك إلَّا أنها بشرٌ ... وأنَّ نظرتَها البَهماء شَيْطَانُ[١٣]

* * *

لله أيامُنا الأولَى التي سلفتْ ... وللصبابةِ مَيْدانٌ ومَيدان[١٤]
والحبُّ كالطير رَفَّافٌ على فَنَنٍ ... له إلى الإلْفِ تغريدٌ وتَحنان[١٥]
هيمانُ والماءُ في لُبنانَ عن كَثَبٍ ... لكنَّه بسوَى الأمواهِ هيمان[١٦]
بدت له جارةُ الوادي الخصيبِ ضُحًا ... كلُّ الأحبةِ في لُبنانَ جيران
فأرسل العينَ في صمتٍ بلاغتُه ... بكلِّ ما قاله في دنياه سَحبان[١٧]
وللعُيونِ أحاديثٌ بلا كلِمٍ ... وكم لها في الهَوى شرحٌ وتبيان
والحبُّ سِرٌّ من الفِرْدوسِ نَبْعَتُهُ ... وخيرُ ما يحفَظُ الأسرارَ كتمان[١٨]
رنا لها فتمادتْ في تدلُّلها ... العينُ غاضبةٌ، والقلبُ جذْلانُ[١٩]
وغطَّتِ الوجهَ بالمِنْديلِ في خَفَرٍ ... كما توارَى وراء الشكِّ إيمانٌ[٢٠]
وأعرضتْ وإباءُ الغِيدِ لُعْبَتُها ... فكلَّما اشتدّ عُنْفًا فهو إذعان[٢١]
إنَّ العذارَى — حماك اللهُ — أحْجِيَةٌ ... بها النفورُ رضًا، والحقُّ نُكْران[٢٢]
هَزَزْتُ أوتارَ شعري حول شُرْفَتِها ... كما ترنَّم بالأسحارِ رُعْيان
شعرٌ من الله تلحينًا وتهْيِئَةً ... لا النَّايُ نايٌ، ولا العِيدانُ عِيدان
إذا شدا أنصتتْ أُذْنُ الوجودِ له ... وللوجودِ كما للناس آذان
شدا لها فرأى ليلُ الهوى عَجَبًا ... ولْهى يجاذبُها الأشواقَ ولهان
رَيّا حوت فتنةَ الدنيا غلائلُها ... يضمُّها شاعرٌ للعِيد صَدْيَاُن[٢٣]
لانتْ لشعري كما لانتْ معاطفُها ... والشعرُ سِحرٌ له بحرٌ وأوزان[٢٤]
فتنتُها حينما همّتْ لتفتِنَني ... والشعرُ للخفراتِ البِيضِ فتّان[٢٥]
سلاحُها لحظُها الماضي وأسلحتي ... فَنٌّ يجرِّدُه للغزوِ فَنّان[٢٦]
كان الشبابُ شفيعي في نضارتِه ... الزهرُ مؤتلِقٌ، والعودُ فَيْنان[٢٧]
ماذا إذا لمحتني اليومَ في كِبَري ... وملءُ بُرْدَيَّ أسقامٌ وأَشجان؟[٢٨]
طويتُ من صَفَحاتِ الدهرِ أكثَرها ... وَعرَّقتني تصاريفٌ وحِدثان[٢٩]
إني كتابٌ إلى الأجيال تقرؤهُ ... له التغنِّي بمجدِ العُرْبِ عُنوان

* * *

مَجدٌ على الدهرِ مذ كانت أوائلُه ... ودولةٌ لبني الفُصحى وسُلطَانُ

صَوَارِمٌ ريعت الدنيا لوثبتِها ... وحُطِّمتْ صَوْلَجاناتٌ وتيجان[٣٠]
الناسُ عندهُمُ أبناءُ واحدةٍ ... فليس في الأرض ساداتٌ وعُبْدان[٣١]
تراكضوا فوقَ خيلٍ من عزائمهم ... لهم من الحقِّ أَسْيافٌ وخُرْصان[٣٢]
وكلمَا هدموا لِلشركِ باذخةً ... أُقيم للدينِ والقِسْطاسِ بُنيان[٣٣]
في السلم إن حَكموا كانوا ملائكةً ... وفي لَظى الحرب تحتَ النقْعِ جِنَّان[٣٤]
أقلامُهم سايرتْ أسيافَ صولتِهم ... للسيفِ فتحٌ، وللأقلامِ عِرفان[٣٥]
فأين مِن شرعِهم روما وما تركت؟ ... وأين من علمهم فُرْسٌ ويونان؟[٣٦]
كانوا أساتذةَ الآفاقِ كم نهلتْ ... من فيضِهم أممٌ ظَمْأَى وبُلدانُ[٣٧]
كانوا يدًا ضمَّت الدنيا أصابعُها ... ففرّقتْها حَزازاتٌ وأضغان

* * *

تنمرَ الغربُ واحمرَّت مخالبُه ... وأرهفت نابَها للفتكِ ذُؤبان[٣٨]
ثاراتُ طارقِ الأولى تُؤَرِّقُهم ... وما لما تتركُ الثاراتُ نسيان[٣٩]
تيقَّظ الليثُ ليثُ الشرقِ محتدمًا ... فارتجَّ منه الشرى واهتزَّ خَفَّان[٤٠]
غضبانَ ردَّ إلى اليافوخِ عُفْرَتَه ... وَمَنْ يصاولُ ليثًا وهو غضبان؟[٤١]
لقد حَميْنا أُباةَ الضيمِ حَوْزَتنا ... من أن تُباحَ، ودِنَّاهُم كما دانُوا[٤٢]

* * *

بني العروبةِ إنَّ الله يجمعُنا ... فلا يفرِّقُنا في الأرضِ إنسان
لنا بها وطنٌ حرٌّ نلوذُ به ... إذا تناءتْ مساقاتٌ وأوْطَانُ
غدا الصليبُ هلالًا في توحُّدِنا ... وجمَع القومَ إنجيلٌ وقرْآن
ولم نبالِ فُروقًا شَتَّتتْ أُممًا ... عدنانُ غسّانُ أو غسّانُ عدنان[٤٣]
أواصرُ الدَّمِ والتاريخِ تَجمعُنا ... وكلُّنا في رِحابِ الشرقِ إخوان

* * *

قلبي وفيضُ دموعي كلّما خطرتْ ... ذكرىَ فِلَسْطين خفَّاقٌ وهتَّان
لقد أعاد بها التاريخُ أنْدلُسًا ... أخرى، وطاف بها للشرِّ طوفان
ميراثُنا في فتى حِطِّينَ أين مضى؟ ... وهل نهايتُنا يُتْمٌ وحِرمان؟[٤٤]

ردّوا تراثَ أبينا ما لكم صِلَةٌ ... به، ولا لكُم في أمرنا شان
مصيبةٌ برِم الصبرُ الجميلُ بها ... وعزّ فيها على السُّلْوانِ سلوَانُ
بني فلسطين كونوا أُمَّةً ويدًا ... قد يختفي في ظِلالِ الوردِ ثُعبان
وكيف يأمَنُ رُعيانٌ وإن جَهِدوا ... إذا تردَّى ثيابَ الشَّاءِ سِرْحان؟![٤٥]

* * *

ومصرُ والنيلُ ماذا اليوْمَ خطبُهما؟ ... فقد سَرى بحديثِ النيلِ رُكْبان
كنانةُ الله حصنُ الشرق تحرُسُه ... شيبٌ خِفافٌ إلى الْجُلَّى وشُبَّان[٤٦]
أَبَوْا على القسر أن يرضَوْا معاهدة ... بكل حرفٍ بها قيدٌ وسَجَّانُ[٤٧]
وكم مَشَوْا للقاء الموتِ في جَذَلٍ ... والموتُ منكمشُ الأظفارِ خَزْيان[٤٨]
لكل جسمٍ شراييٌن يعيشُ بها ... ومصرُ للشرقِ والإسلامِ شِرْيان

* * *

بني العروبة مُدّوا للعلوم يدًا ... فلن تُقامَ بغيرِ العلمِ أركانُ
جمعتُمُ لشبابِ الشرقِ مؤتمرًا ... بمثله تزدهي الفصحى وتزدان
فقرِّبوا نَهجهم فالروحُ واحدةٌ ... وكلُّهم في مجالِ السبقِ أقران
لا تبتغوا غيرَ إتقانٍ وتجربةٍ ... فقيمةُ الناسِ تجريبٌ وإتقان
وحبِّبوا لغةَ العُرْبِ الفصاحِ لهم ... فإنّ خِذْلانَها للشرقِ خِذْلان
قولوا لهم: إنَّها عُنوانُ وَحْدَتِهم ... وإنَّهم حولَها جندٌ وأعوان
وكمِّلوهم بأخلاقٍ ومَرْحَمةٍ ... فإنَّما المرءُ أخلاقٌ ووِجْدان

هوامش

(١) مسك: طيب له رائحة ذكية. همس الدوح: حفيف الأشجار الخافت.
(٢) أرنو: أنظر وسنان: نعسان.
(٣) شرح الصبا: أوله. رجعان: رجوع وعودة.
(٤) الحباب: هو ما يعلو الكأس من فقاعات.
(٥) صوحت: جفت.
(٦) ولت: مضت وذهبت. بشاشتها: فرحتها وابتسامتها. غدران: جمع غدير.

(٧) مشردة: تائهة. قدود: قوام.
(٨) البان: غصن الشجرة الطري.
(٩) شذا: الرائحة الذكية النفاذة. نفحته: رائحته. مجانيه: حصاده.
(١٠) نبعه: أصله. سرب: جماعة.
(١١) عثرت: سقطت وكبت. نشوان: فرحان متمايل.
(١٢) طلعة: رؤية وجهه. أصائل: جمع أصيل وهو الوقت من بعد العصر إلى غروب الشمس. أطياف: أخيلة.
(١٣) البهماء: المبهمة.
(١٤) سلفت: مضت. الصبابة: رقة الشوق وحرارته.
(١٥) رفاف: متحرك مرفرف. فنن: غصن. الألف: الأليف المحبوب.
(١٦) هيمان: هائم عطشان. كثب: قرب.
(١٧) سحبان: هو سحبان بن وائل خطيب العرب وضرب به المثل في الفصاحة.
(١٨) نبعته: أصله.
(١٩) رنا: نظر بطرف عينه. جذلان: فرحان.
(٢٠) خفر: شدة الحياء. توارى: استتر واختفى.
(٢١) إذعان: خضوع.
(٢٢) أحجية: ألغاز. النفور: البعد والجفاء.
(٢٣) ريا: بمعنى ناعمة. غلائلها: الملابس الشفافة الرقيقة. صديان: عطشان.
(٢٤) لانت: رقت وأطاعت. معاطفها: جوانبها.
(٢٥) فتنتها: سحرتها. الخفرات: شديدي الحياء.
(٢٦) لحظها: النظر بمؤخرة العين. يجرده: يجرد السيف من غمده أي: يخرجه.
(٢٧) فينان: الحسن الطويل.
(٢٨) بردي: البرد كساء أسود تلبسه العرب.
(٢٩) عرقتني: بمعنى أجهدتني. تصاريف: نوائب ومكاره. حدثان: أحداث.
(٣٠) صوارم: قواطع. ريعت: فزعت. صولجانات: جمع صولجان وهو عصاة الملك.
(٣١) عبدان: عبيد.
(٣٢) تراكضوا: أسرعوا في العدو. خرصان: الرماح.
(٣٣) الشرك: الكفر. باذخة: عالية. القسطاس: العدل.

(٣٤) لظى: نار ملتهبة. النقع: الغبار. جنان: من الجن.

(٣٥) صولتهم: الشجاعة والإقدام.

(٣٦) شرعهم: منهجهم وطريقتهم.

(٣٧) الآفاق: النواحي. نهلت: أخذت وشربت. فيضهم: عطائهم.

(٣٨) ذؤبان: ذئاب.

(٣٩) طارق: هو طارق بن زياد الفاتح العربي المشهور.

(٤٠) محتدمًا: هائجًا غاضبًا. ارتج: اهتز. الشرى: طريق كثير الأسود. خفان: الملك.

(٤١) اليافوخ: المخ. عفرته: بمعنى لبدة الأسد. يصاول: يهاجم.

(٤٢) أباة الضيم: الذين لا يرضون بالذل والهوان. حوزتنا: بلادنا.

(٤٣) عدنان: من آباء العرب وأطلق اسمه على العدنانيين نسبة إليه. غسَّان: أبو العرب الغساسنة ويدينون بالمسيحية.

(٤٤) فتى حطين: هو القائد العربي الشهير صلاح الدين الأيوبي المنتصر في معركة حطين.

(٤٥) رعيان: رعاة. تردى: لبس. الشاء: الكثير من الغنم. سرحان: الذئب.

(٤٦) كنانة الله: المقصود «مصر». شيب: بيض الشعر. خفاف إلى الجلَّى: يهرعون في خفة وسرعة إلى ميدان القتال.

(٤٧) أبوا: رفضوا. القسر: الإكراه على الأمر. معاهدة: المقصود معاهدة سنة ١٩٣٦ التي كانت مبرمة بين مصر وإنجلترا.

(٤٨) جذل: فرح. منكمش الأظفار: أظفاره غير طويلة لا يستطيع أن ينشبها في ضحاياه. خزيان: مستحٍ وخجلان.

أفُولُ نجمَين

في ١٨ من نوفمبر سنة ١٩٣٣م غادر سرب الطائرات الحربية المصرية إنجلترا قاصدًا إلى مصر، وفيما كان السرب طائرًا في سماء فرنسا سقطت إحدى طائراته محترقة في بلدة «مونشو سورنج»، واحترق طياراها المرحومان «فؤاد حجاج» و«شهدي دوس»، وبذلك أفل نسران من نسور مصر، وفقدت وهي في مستهل نهضتها شابين من خيرة شبابها جرأةً وشهامةً وإقدامًا.

وهكذا أبى القدر إلا أن يكون لمصر ذات التاريخ المجيد أثر جليل خالد في هذا الميدان الفسيح، الذي احتسبت فيه الأمم المتمدينة الألوف من أبنائها؛ لتسخير الريح وتدليل الهواء في سبيل العز والمنعة والحضارة والفخار.

وفي هذه القصيدة يصور الشاعر هذا الحادث الجلل، ويصف وقعه وآثاره:

جَمَعَ الشُّجُونَ وَبدَّدَ الأحْلَامَا ... خَطْبٌ أَنَاخَ بكَلْكَلٍ وأَقَامَا[١]

أَخْلَى الكِنَانَةَ مِنْ أَمَرِّ سهَامِهَا ... عُودًا، وَرَاع النيلَ والأَهْرَاما[٢]

وعدَا عَلَى رَوْضِ الشَّبَابِ وظِلِّه ... فَغَدَا بِه رَوْضُ الشَّبَابِ حُطَاما

غُصْنَان، هَزَّهُمَا الصِّبَا فتَمَايَلا ... وسَقَاهُما الأَمَلُ الرَّوِيُّ جِمَاما[٣]

نَجْمان، غالهُما الزَّمانُ فأصْبحَا ... بَعْدَ التَّأَلُّق والسُّطُوعِ رُكَاما[٤]

نَسْران، لو رَضِيَ القَضَاءُ لحلَّقا ... دَهْرًا، على أُفُقِ الدِّيارِ وَحَاما

* * *

ابْكِ الشَّبَاب الغضَّ في رَيْعَانِه ... وأَفِضْ عَليه مِنَ الدُّمُوعِ سِجَامَا[٥]

وانْثُرْ أزَاهِيرًا عَلَى الزَّهْرِ الَّذِي ... كانَتْ لَه كُلُّ القُلوبِ كِماما[٦]
وابْعَثْ أَنينَكَ للسَّحابِ شِكَايةً ... فـإِلَامَ تـحْـتَـبِسُ الأَنِـينَ إِلَامـا؟
لَهْفِي عَلَى أَمَلٍ مَضَى في لَمْحةٍ ... لوْ دَامَ في الدُّنْيا السُّرُورُ لَدَاما!
لـمْ نَشْـكُرِ الأَيَّامَ عـند بَرِيـقِـه ... حَتَّى أَخَذْنَا نَشْتَكِي الأَيَّاما
لم تَلْمَحِ العَيْنُ الطُّمُوحُ شُعَاعَه ... حَتَّى رَأَتْ ذَاكَ الشُّعاعَ ظَلَاما

* * *

حَجَّاجُ! لاقيْتَ اليقينَ مُكَافِحًا ... بَطَلًا، ويا شُهْدِي! قَضَيْتَ هُمَاما
رَكبَا الهَوَاء، وكلُّ نفْسٍ لَو دَرَتْ ... غَرَضٌ تَنَازَعُهُ المنُونُ سِهَاما
والمَوْتُ يَلْقَى الأُسْدَ في عِرِّيسِها ... ويَغُولُ حَوْلَ كِنَاسِها الآرَاما[٧]
لا الدِّرْعُ تُصْبِحُ حينَ تَبْطِشُ كَفُّه ... دِرْعًا، ولَا السَّيْفُ الْحُسَامُ حُسَاما
رَكِبنَا جَمُوحَ الْجَوِّ يَلْوِي رَأْسَه ... كِبْرًا، ويَأْنَفُ أَنْ يُنيلَ زِمَاما
في عَاصِفَاتٍ لم تُزَعْزَعْ مِنْهُمَا ... عَزمًا كَحَدِّ السَّيْفِ أَوْ إِقْدَاما
والجَوُّ أَكْلَفُ، والسَّماءُ مَرِيضَةٌ ... واللَّيْلُ دَاجٍ، والْخُطُوبُ تَرَامَى[٨]
والموْتُ يَخْفِقُ في جَنَاحَيْ جَارِحٍ ... مَلَأَ الفَضَاءَ شَرَاسَةً وعُرَاما[٩]
بسَمَا إلى الْخَطْبِ العَبُوسِ، وإِنَّما ... يَلْقَى الكميُّ قَضَاءَه بَسَّاما[١٠]
لهْفِي عَلَى البَطَلين غالَهُمَا الرَّدَى ... لَمْ يَمْلِكا دَفْعًا ولَا إِحْجَاما![١١]
الموْتُ تَحْتَهما يَصُولُ مُخاتِلًا ... والموتُ فَوقَهما يَحُومُ زُؤَاما[١٢]
ثَبَتَا لِحُكْمِ الله — جَلَّ جَلالَهُ — ... والْخَطْبُ يَلْقَاه الكِرَامُ كِرَاما
والسَّيْفُ أَكْثَرُ ما يُلاقِي حَتْفَه ... يومَ الكَرِيهةِ صَارِمًا صَمْصَاما[١٣]
قد يُنْسِئُ المَوتُ النِّمالَ بِجُحْرِها ... ويَغُولُ في آجَامِه الضِّرْغَاما[١٤]
يا هَوْلَها من لَحْظَةٍ لا نَارُها ... بَرْدٌ، ولَا كَان اللَّهِيبُ سَلَاما
هَلْ أَخْطَرا فِيها عَلَى بَالَيْهما ... الـنـيـلَ والآبـاءَ والأَعْـمَـامـا؟
والمَوْطِنَ الصَّدْيَانَ يَرْقُبُ عَوْدةً ... وَيْلَاه! قَدْ عادَا إليه رِمَاما[١٥]
أَتقَاسَما فيها الوَدَاعَ بلَفْظَةٍ ... أَمْ لَمْ تَدَعْ لَهُمَا المَنُونُ كلَاما
هل فَكَّرا في الأُمِّ تندُب حَظَّها ... والزَّوْج تُسْكِتُ وَالِهِينَ يَتَامَى[١٦]
إنَّ السَّلامَةَ قد تَكُونُ مَذَلَّةً ... ويَكُونُ إِقْدامُ الجريء حِمَاما[١٧]
والمرءُ يَلْقَى باختيارِ كِلَيْهِما ... حَمْدًا يُحلِّقُ بِاسْمِه أَوْ ذَاما[١٨]

والمَجْدُ يَعْتَدُّ الْحَيَاةَ قَصِيرةً ويَرَى فَناءَ الْخَالِدِين دَوَاما![١٩]

هوامش

(١) أناخ: برك. والكلكل: الصدر. أقام: استمر.

(٢) الكنانة: جعبة تجمع فيها السهام.

(٣) الروى: البالغ غاية الري. الجمام: جمع جم (بالفتح) وهو معظم الماء والكثير منه.

(٤) غالهما: أهلكهما. التألق: اللمعان والإضاءة. السطوع: الانتشار. وأصبحا ركامًا، أي: قطعًا متراكمة بعضها فوق بعض.

(٥) سجامًا: كثيرًا.

(٦) الكمام: جمع كم (بالكسر) وهو وعاء الطلع وغطاء النور.

(٧) العرّيس: مأوى الأسد. يغولها: يأخذها من حيث لا تدري ويهلكها. الكناس: بيت الظبي في الشجر يستتر فيه. سمي كذلك؛ لأنه يكنس الرمل حتى يصل إليه. الآرام: الظباء الخالصة البياض، الواحد رئم.

(٨) أكلف: مغبر مدلهم. مريضة. أي: غير صاحية ولا صافية. الليل داج: أي قد غامت سماؤه وخفيت نجومه. ترامى: تترامى.

(٩) الجارح: المفترس من الطير. الشراسة: الشدة والأذى. العرام: الحدة والشدة.

(١٠) العبوس: المقطب. الخطب إذا اشتد وصف بالعبوس. الكمي: الشجاع.

(١١) الردى: الهلاك. إحجامًا أي: رجوعًا وانصرافًا. غالهما: ذهب بهما.

(١٢) يصول: يثب ويعدو. المخاتلة: الخداع عن غفلة. يحوم: يحلق مطيفًا بهما. الزؤام من الموت: الكريه المجهز.

(١٣) الكريهة: الحرب وشدتها. الصارم الصمصام: السيف القاطع الصلب.

(١٤) ينسئ: يهمل ويؤجل. يغول: يهلك. الآجام: الشجر الكثيف الملتف، الواحدة: أجمة. يتخذها الأسد مأوى له. الضرغام: الأسد.

(١٥) الصديان، أي: المتعطش لها. الرمام: جمع رمة، وهي ما تفتت من العظام. يريد رفاتهما.

(١٦) تندب حظها: تبكيه. ووالهين، أي: أطفالًا روعهم الحزن ففزعوا إلى أمهم.

(١٧) الحمام: الموت.

(١٨) كليهما، أي: السلامة والإقدام. ويخلق باسمه، أي: يرفع ويذيع شهرته، مأخوذ من تحليق الطائر وهو ارتفاعه في طيرانه. الذام: العيب.

(١٩) يعتد: يعد. الخالدون: أي ذوو الأعمال الخالدة.

من شاعرٍ إلى شاعِر

حينما توافد أدباء الأقطار العربية لتكريم المرحوم أحمد شوقي بك في سنة ١٩٢٧م، وتوليته إمارة الشعر حيّا الشاعر صديقه بهذه القصيدة:

وَقَـفْـتَ تُـجـدِّد آثـارَهـا وتُنْشِرُ لـلـعُـرْب أشْـعَـارَهـا[١]
وترْجِعُ بَغْدادَ بعد الفَنَاء تُحدِّثُ لـلـنَّـاسِ أَخْـبـارَهـا[٢]
وتبْعَثُ حَسَّان من رَمْسِه وتُحيِي عُكاظَ وسُمَّارها[٣]
بشِعْرٍ له نَبَراتٌ تهُزُّ نِياطَ القُلوبِ وأوْتَارها[٤]
أطاعَتْ قوافِيه بَعْد الشِّماسِ جَرِيءَ القَرِيحةِ جَبَّارَها[٥]
ونَظْمٍ له نَفَحَاتُ الرِّياضِ إذَا نَقَّط الطُّلُّ أزهارَها[٦]
فمِن حِكمةٍ عَلَّمتْها السّنُونَ جِوارَ النُّفوسِ وإسْرَارَها
لها صَفْحَةُ الْكَوْن مَنْشورةٌ يُتَرْجم بالشِّعر أَسْطارَها[٧]

* * *

وتشْبِيبِ لاهٍ لَعُوبِ الشَّبابِ يُناجي السماءَ وأقْمارَها[٨]
تراه وَظِلُّ الصِّبَا وارفٌ جَموحَ العَرِيكةِ مَوَّارَها[٩]
يُغْني كَما صَدَحت أيْكةٌ وقد نَبَّهَ الصبحُ أطْيارها[١٠]
ويَبْكِي فَيُبْكي رُسومَ الديارِ ، حَنَانًا عَليه، وآثارها[١١]
ويَنْسَبُ حتى يَلينَ الهَوَى وتقْضي الصّبَابةُ أوْطارها[١٢]
وتنْسَى الكواعبُ آيَ الحِجابِ وتَبْكي العَجائزُ أعمارَها[١٣]

* * *

وتصْويرِ طَبٍّ صنَاع اليَدَيْن ... حَبَتْه الطَّبيعةُ أسرارها[١٤]
كأنَّ (رُفائيلَ) في كَفِّهِ ... يُعيدُ الفُنونَ وأَعْصارها[١٥]
يُريك إذا خَطَّ في طِرْسِه ... حياةَ القُرون وأدْوَارها[١٦]
ويَرْسُم (أندَلُسًا) باليَرَاعِ ... فتلمِسُ كفُّك أَسْوارها[١٧]
وإن وَصَف الحربَ خِلْتَ الْحِرابَ ... تَسُدُّ من الأرض أقطارها
فتُمْسِكُ جَنْبك ذُعرًا تخافُ ... قَناها وتَرْهَبُ بتَّارها
أَشَوْقِي وأنت طَبيبُ النُّفوسِ ... وَضَعْت عن النفس آصارَها[١٨]

* * *

نَصَرْتَ الفَضيلةَ، مِن بَعْدِ أنْ ... طَوَاها الزمانُ، وأنْصَارَها
وجِئْتَ لِمِصْرَ كعيسى المسِيح ... تُفَتِّحُ للنّور أَبْصَارَها[١٩]
بِآيٍ تُفَصِّلَها مُحْكَمَاتٍ ... كأنَّ مِنَ الوَحْيِ أَفْكارَها
تَرُدُّ الشبِيبَةَ للصالحاتِ ... وتَرْجِعُ للدِّين هَتَّارها[٢٠]
جَزَيْتُ بِشِعْرِك شعرًا وهل ... تُجازِي الخمائلُ أمطارَها؟[٢١]
فكنتَ شَريفَ قَوافي البَيانِ ... وكنتُ بِفَضْلك مِهْيارَها[٢٢]
فَغرِّد كما شِئْتَ لا فُضَّ فُوكَ ... وعِش بَطَلَ الضَّادِ مِغْوارها

هوامش

(١) آثارها: أي آثار اللغة العربية، تنشر: تبعث بعد الموت.

(٢) بغداد: عاصمة العراق وهي تقع على نهر دجلة أنشأها أبو جعفر المنصور، وجعلها مقر ملكه. وكانت مهد الحضارة العربية وأزهى مدن العالم في العصر العباسي لغةً وعلمًا.

(٣) حسان: هو ابن ثابت الأنصاري الخزرجي الصحابي، شاعر النبي ﷺ أدرك الجاهلية والإسلام، وتوفي سنة ٤٠هـ. الرمس: القبر. عكاظ (يؤنث ويذكر، فالتأنيث لغة الحجاز والتذكير لغة تميم): سوق للعرب بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال

ذي القعدة وتستمر عشرين يومًا، وقيل: شهرًا، تجتمع فيها قبائل العرب فيتناشدون ويتفاخرون. السمار: المتسامرون.

(٤) نبراته: رنين إنشاده وجرس توقيعه. نياط القلب: عرق غليظ نيط به القلب، أي: علق، إلى الوتين.

(٥) القوافي: جمع قافية بمعنى القصيدة. الشماس: التأبي والامتناع. قريحة الشاعر: ملكته التي يقتدر بها على نظم الشعر.

(٦) نفحات الرياض: ما ينتشر عنها ويفوح من رائحة عطرة. الطل: المطر الضعيف أو الندى.

(٧) منشورة: مبسوطة غير مطوية.

(٨) التشبيب: وصف الشاعر محاسن المرأة وتعديد مناحي الجمال فيها. لعوب الشباب: مرح به مدل. المناجاة: المسارة.

(٩) الوارف: الواسع الممتد. وجعله للصبا ظلًّا وارفًا، كناية عن اكتمال قوته؛ لأن الشجرة إذا تم نموها امتدت فروعها واتسع ظلها. جموح العريكة: أي له نفس قوية وطبيعة غالبة. الجموح: من صفات الخيل، وهو الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء. الموار: فعال من المور. وهو مبالغة في الثورة والاضطراب.

(١٠) الصدح: رفع الصوت بالغناء. الأيكة: الحديقة ذات الأشجار الكثيرة الملتفة.

(١١) رسوم الديار: آثارها التي تبقى على الأرض دالة عليها.

(١٢) النسيب: التشبيب بالمرأة في الشعر وذكر محاسنها. الصبابة: حرارة الشوق والهوى. الأوطار: جمع وطر (بالتحريك) وهو كالحاجة.

(١٣) الكواعب: جمع كاعب، وهي الجارية نهد ثديها.

(١٤) الطب (بالفتح): الماهر في عمله. صناع اليدين: يحذق الصنعة بهما. حبته: منحته وخلعت عليه.

(١٥) رفائيل: مصور إيطالي مبدع ولد في ٦ أبريل سنة ١٤٨٣م، وتوفي في ٦ أبريل ١٥٢٠م. الأعصار: الأزمنة، الواحد، عَصر (بالفتح).

(١٦) الطرس: الصحيفة يكتب فيها.

(١٧) اليراع: القلم.

(١٨) الآصار: جمع إصر، وهو ما تئن تحته النفس من أثقال وأعباء.

(١٩) يشير إلى معجزة عيسى — عليه السلام — في إبراء الأكمه.

(٢٠) يريد بالهتار: الذي غلبه الشيطان على عقله فمرق من الدين واستخف بتعاليمه.

(٢١) الخمائل: المواضع الكثيرة الشجر، الواحدة خميلة.

(٢٢) مهيار: هو الأديب الشاعر أبو الحسن مهيار بن مرزويه الفارسي الديلمي، المعروف بجودة الصياغة وقوة الشعر، وقد كانت وفاته ليلة الأحد لخمس خلون من شهر جمادى الآخرة سنة ٤٢٨هـ.

تَحِيَّة الإِيَاب

استقبل الشاعر الملك فؤاد عند عودته من أوروبا في نوفمبر سنة ١٩٢٧م.

ذَاكَ لَأْلاؤُهُ وهـــــذا رُواؤُه والضِّياءُ الذِي تَرَوْنَ ضِياؤُهْ[١]
وبَهاءُ الرِّياضِ كَللَها الغَيـ ـثُ فتَاهتَ بنَوْرِهنّ بَهاؤُهْ[٢]
والنَّسِيمُ الذِي جَرَى طَيِّبَ النَّشـ ـرِ جَرَى ذِكْرُهُ به وثَناؤهْ[٣]
ذاك وَجْهُ المَلِيكِ، وَجْهُ أَبي الفا رُوقِ هذَا سَنَاهُ هذَا سَنَاؤهْ[٤]

* * *

ظَهَر الرَّكْبُ والقُلُوبُ حَوَالَيـ ـهِ تُرَجِّيهِ والنُّفوسُ فِدَاؤُه
تَجْتَلِيه العُيُونُ مُسْتَبْشراتٍ وبَرِيقُ السُّرور فيها وماؤُهْ[٥]
وهُتَافُ الإِخْلَاصِ يَخْتَرِق الْجوْ وَ فُتَمْليهِ واضِحًا أَصْدَاؤهْ[٦]
وَدَّتِ النَّيْراتُ لو هَبَطَتْ فِيـ ـهِ فزَاد ازْدِهاءَهُنَّ ازْدهاؤُهْ[٧]
مَوْكِبٌ لم يَنَلْهُ رَمْسِيسُ ذو التَّا جَيْن في عَصْرِه ولا خُلَفاؤهْ[٨]
حَكَموا شَعْبَهُم ولم يَملكُوهُ مِقْوَدُ الشَّعْبِ حُبُّهُ ووَلاؤُهْ[٩]

* * *

عَاد للقُطْرِ ربُّهُ مثلَما عا دَ إلى المِدْنَفِ العَلِيل شفاؤُهْ[١٠]
وَبدَا كالصَّبَاحِ فانْهَزَمَ اللَّيـ ـلُ وَوَلَّتْ مَذْعُورةً ظَلْماؤهْ
مَلِكٌ شَادَ لِلْكَنَانةِ مَجْدًا أَحْكَمَتْ وَضْعَ أُسِّهِ آباؤُهْ
كُلُّهمْ كانَ لِلْمَحامِدِ بَنَّا ءً أَبِيًّا عَلَى الزَّمَانِ بِناؤه

هِـمَّـةٌ تَـفْـرَعُ الـسـمَـاءَ وعَـزْمٌ ... لَيْس للسَّيْفِ حَدُّهُ ومَضَاؤه[١١]
ونَـفَـاذٌ فـي الـمُـعْـضِـلاتِ بـرَأْيٍ ... ثَـاقِبٍ يَـكْـشِـفُ الـغُـيـوبَ ذَكـاؤه
ومُـحَـيًّـا فِـيـه مِـنَ الـلـه سِـرٌّ ... كَـادَ يُـعْـشِـيـهِ نُـورُهُ وحَـيَـاؤُه
صَـفْـحَـةٌ خَـطَّـهـا الإلـهُ فـفـيـهـا ... أَلِفُ النُّبْل — لو قَرَأْتَ — وياؤُه[١٢]

* * *

بَـهَـرَ الـغَـرْبَ طَـلْـعَـةٌ مِـنْك كـادَتْ ... تَـتَـمَـشَّـى شَـوْقًـا لـهـا أَرْجَـاؤه
لَـمَـحُـوا عِـزَّةً وشَـامُـوا بِـكَـفَّـيـ ... ـك غَـمَـامًـا هَـتَّـانـةً أَنْـدَاؤه[١٣]
وبَـدَا لـلْـعُـيـونِ والـدُّكَ الـمِـسـ ... ـمَـاحُ تُـحْـيِـيـهِ ثـانـيًـا أَبْـنـاؤه
فِيكَ منهُ الْجَبينُ والْخُلُقُ الرَّحـ ... ـبُ وبُـعْـدُ الـمَـدَى وفِـيـكَ إبَـاؤه
لُحْتَ فيهم فأدْرَكُوا صَوْلَةَ الشَّرْ ... قِ ومَـرَّتْ بِـذِكْـرِهـم أَنْـبِـيـاؤه
وَرَأَوْا في الْجَلالِ «تُوتَنْخمونًا» ... صـاعِـدًا جَـدُّه رَفِـيـعًـا لِـواؤُه[١٤]
أَيْـنـمـا سَـارَ فـالْـعُـيـونُ نِـطَـاقٌ ... وقُـلـوبُ الـمُـجَـاهِـديـنَ وِقَـاؤُه
تَتَمَشَّى في رَكْبِه الشَّمْسُ إكْبَا ... رًا ويَنْشَقُّ عَنْ سَنَاها رِدَاؤُه[١٥]
أَنْتَ أَعْلَى كَعْبًا وأَبْقَى عَلَى الدَّهـ ... ـرِ وإنْ زَاحَم الْخُلودَ بَقَاؤُه[١٦]
لَـو وَزَنَّـا بـمـا أَقَـمْـتَ مـن الـدُّسـ ... ـتُـورِ آلاءَه اخْـتَـفَـتْ آلاؤه[١٧]
عَـجَـز الـدَّهْـرُ أَنْ يُـحِـيـطَ بـمَـعْـنـا ... كَ وأَلْـقَـتْ قِـيـادَهـا شُـعَـراؤُه[١٨]
إنَّ مَـنْ رامَ لِـلْـكَـواكِـبِ عَـدًّا ... يَـتَـسـاوَى ابـتـداؤُهُ وانْـتـهـاؤه[١٩]

هوامش

(١) اللألاء: السنا والضياء. الرواء: الحسن والبهاء.

(٢) بهاء الرياض: ما تظهر فيه من نضرة وازدهار. كللها الغيث: جعلها تظهر مغطاة بالزهر والثمر. تاهت: ظهرت بمظهر المدل المعجب بحسنه وجماله.

(٣) النشر: ما ينتشر عن الطيب من ريح يعبق به الجو ويطيب الهواء.

(٤) السنا (بالقصر): الإشراق والتلألؤ. (وبالمد): الشرف والرفعة.

(٥) تجتليه: تتطلع إليه وتنظر. مستبشرات: فرحات. ماء السرور: ما يفيض به الوجه من لألاء وضياء.

(٦) الأصداء: ما يعود على المصوت بمثل صوته. وضوح الأصداء: دليل على قوة الهتاف وشدته.

(٧) الازدهاء: ما تتيه به وتزدهي من آيات الحسن.

(٨) رمسيس: من ملوك مصر الأقدمين، ويريد بالتاجين: تاج الوجه القبلي وتاج الوجه البحري.

(٩) المقود: ما تقود به.

(١٠) ربه: مالك أمره. المدنف: الذي أضناه المرض وثقل عليه فكاد يذهب به.

(١١) تفرع السماء: تزيد عليها علوًّا وارتفاعًا. مضاؤه: نفاذه في الأمور وقطعه لها.

(١٢) النبل: الشرف والرفعة. ويريد بالألف والياء: أنه جمع جميع خلال النبل لم يفته منها شيء.

(١٣) لمحوا: رأوا. شاموا: نظروا. الهتانة: التي تمطر في كثرة وتتابع. الأنداء: جمع ندى، وهو ماء السحاب.

(١٤) توتنخمون: هو توت عنخ أمون، أحد ملوك مصر الأقدمين، وكان عصره من أزهى عصور مصر رخاء ورفاهية. الجد: الخط. اللواء: العلم.

(١٥) السنا: اللألاء والضياء.

(١٦) أعلى كعبًا، أي: أشرف منزلة وأعز مكانًا.

(١٧) آلاؤه: أياديه ونعمه على أمته.

(١٨) أن يحيط بمعناك: أن يلم بما اتصفت به من خلالك الحميدة.

(١٩) رام: قصد وأراد.

العيدُ المِئَويّ لوزارة المعارف

احتفلت وزارة المعارف المصرية في اليوم الثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٣٧م بعيدها المئوي، وقد أنشدت هذه القصيدة في هذا اليوم بدار الأوبرا في حشد حافل جمع عظماء مصر وكبار علمائها وأدبائها.

أَخْرَجَ الرَّوضُ أَطْيَبَ الثمراتِ ... هَاتِ ما شِئتَ من قَرِيضِكَ هَاتِ
زَهَرَاتٌ تتِيهُ بالغُصْنِ زَهْوًا ... وغُصونٌ تَتِيهُ بالزَّهَرات
صَيَّرتْ صَفْحَةَ الرِّياضِ سماءً ... وَتَجنَّتْ فيها عَلَى النَّيِّرات[١]
لم تُفَارِقْ كِمَامَها، وشذَاها ... يَنْشُرُ الطَّيبَ في جَمِيع الْجِهات[٢]
ترْهبُ الرِّيحُ أن تَخدَّ لَهَا خدْ ... دًا فَتَجْرِي في خَشْيةٍ وَأَنَاةٍ[٣]
مُصْغياتٌ إذ الْحَمائمُ رَنَّتْ ... بين تلكَ الْخمائِلِ النَّضِرَات
ضاحِكاتٌ إذا بَكَى عابسُ الغيـ ... ـثِ وفاضتْ عَيْناه بالعَبَرَات
وإذا ما جَرَى الغدِيرُ تدَانتْ ... لتُحَيِّي الغدِيرَ بالقُبُلات
إنَّ للرَّوْضِ في مَعانِيه حُسْنًا ... فَوْقَ حُسْنِ المَلَامِح الفاتِنَات
كَمْ مِنَ الزَّهْرِ فيه مِنْ سِحْرِ عَيْنٍ ... ومِن النَّبْتِ فيه مِنْ قَسَمَات![٤]
فانظُرِ الرَّوضَ لا تَرَى غَيْرَ تِبْرٍ ... من تُرَابٍ ودُرةٍ مِن حَصَاةٍ[٥]
حَبَّةٌ أَنْبَتَتْ سنابلَ سَبْعًا ... ثُمَّ مِلءَ الفَضَاء من سُنْبُلاتِ[٦]
ونَواةٌ جادتْ بنَخْلٍ ونَخْلٍ ... وَارِفِ الظِّلِّ دائمِ الثَّمَرَات
يُرْسِلُ الطَّيْرُ في مَداه نَشِيدًا ... مَوْصِلِيَّ الأَدَاءِ والنَّبَرات[٧]
يَمْلِكُ النَّفْسَ أينَما نَظَرَتْه ... فَهْوَ قَيْدُ النُّفُوسِ والنَّظَرَات

كم تَهَادَى مع النَّسِيمِ اخْتِيالًا ... كالغَذَارَى يَمِسْنَ في الْحِبَرَات[٨]
تَتَنَاءَى به الظِّلَالُ لِجَمْعٍ ... ثم تَدْنُو مُدِلَّةً لِشَتَات[٩]
مِثْلَ كفِّ الرسَّامِ جاءتْ ورَاحتْ ... بَيْن قِرْطَاسِه وَبَيْنَ الدَّوَاة[١٠]
أو كَوَجْهِ الحَسْناءِ يَبْدُو ويَخفَى ... بَيْن مَيْل الهَوَى وخوْفِ الوُشَاةِ[١١]
كلَّما رُمْتَ منه قَطْفَ جَنَاةٍ ... سَبَقَتْ راحتَيْك ألْفُ جَنَاةِ[١٢]
وإذا بارَك الإلَهُ بأرْضٍ ... جَعَل التِّبْرَ في مَكانِ النَّبَات
وحَبَاها خِصْبًا إذا مَسَّ صَحْرًا ... تَرك الصخرَ جَنَّةَ الجَنَّات

* * *

رُبَّ أَرْضٍ للغافلين مَوَاتٌ ... وهْيَ لِلْعامِلينَ غَيْرُ مَوَاتِ
إنْ تَطَلَّعْتَ للرَّغائِبِ فابذُلْ ... تِلْك في الدَّهْرِ سُنَّةُ الكَائِنات
لَكَ كَفَّانِ، تلك تُعْطي وهَذِي ... تَتَلَقَى مَثُوبَةَ الْحَسَنَات
تَرْتَجِي الْحَصْدَ ثمَّ تقعُدُ في الشَّمـ ... ـسِ، لك الله يا أَخا التُّرَّهَات![١٣]
ضِلَّةً تطلُبُ الزُّلالَ من النَّا ... رِ وتَبْغِي غَضارةً من فَلَاة[١٤]
ليس يجْني من السُّبَاتِ سِوى الأحـ ... ـلَامِ فانهَضْ، وُقِيتَ شَرَّ السُّباتِ

* * *

قَدْ غَرَسْناهُ رَوْضَ عِلْمٍ فأزْرَى ... حُسْنهُ بالْحَدَائقِ الباسِقات
وَبذَرْنا به القُلوبَ صِغارًا ... وكِرَامَ النُّفُوسِ والمُهَجَات[١٥]
وسَقَيْنا ثَرَاهُ مَاءً مِنَ الأَنْ ... هانِ أَحْلَى مِنْ كُلِّ ماءٍ فُرَات[١٦]
وَغَذَوْنَاه طَيِّبًا بجُهودٍ ... ضاعَفَتْ مِن ثِمَارِهِ الطَّيِّبَات[١٧]
وَحَمَيْناهُ أن تعِيثَ به الأيـ ... ـدِي وتجْني عَلَيْه كَفُّ الْجُنَاة[١٨]
وجَعَلْنا له مِنَ الخُلُقِ العَا ... لِي سِيَاجًا مُوَثَّق اللَّبِنَات[١٩]
وحَفِظْنا من الرِّيَاحِ جَنَاهُ ... وَوَقَيْناه شِرَّة الْحَشَرات[٢٠]
إيهِ يا رَوْضَةَ المَعارِف لا زِلـ ... ـتِ مَثَابَ الْخَيْراتِ والْبَرَكَاتِ[٢١]
أَنت أنبَتِّ في ثَرَى النِّيلِ شَعْبًا ... نافِذَ الرَّأْيِ طاهِرَ النَّزَعات
أَعْجَزَ الغَرْبَ هِمَّةً وذَكاءً ... وكذَا الشَّرْقُ مَوْطِنُ المُعْجِزات
خُطُواتٌ نَحْوَ المعَالي فِسَاحٌ ... لا عَدَاها السَّدادُ مِن خُطُوات[٢٢]

سَلَكَتْ أَوْسطَ الطَّريقِ وجَازَتْ كُلَّ ما في الطَّريقِ من عَقَبَات[٢٣]
وجُهُودٌ تَمْضِي وتَأْتِي جُهُودٌ مُحْكَماتٌ مَوصُولةُ الْحَلَقَات
نَسَجتْ من جِهَادها لبَنِي مِصـ ـرَ دُرُوعًا حَصِينةً سابِغَات[٢٤]

* * *

إنَّما مَوْلِدُ المَعَارِفِ في مِصـ ـرَ دَبِيبُ الْحَياةِ بين الرُّفَات
جَلَّ رَبِّي! آمنتُ بالله ربي! فالقِ الْحَبِّ باعِثِ الأمْوات
أَرْسَل الله للكِنَانةِ نَدْبًا هِبْرِزيَّ الأعْرَاقِ والعَزَمَاتِ[٢٥]
فأتاه (مُحمَّدٌ) جدُّ (إسْما عِيلَ) بالْخِصبِ مُورِقًا والْحَياة[٢٦]
هلْ رأيتَ النَّجْمَ الذي يَبْهَرُ العَيـ ـنَ ويَمْحُو دَيَاجِرَ الظُّلُمات؟[٢٧]
هل رأيتَ الغدِيرَ يَنْسَابُ في القَفـ ـرِ فَيهْتَزُّ مُخْصِبَ الْجَنَبَات؟[٢٨]
هل رأيتَ الْحَياة تَسْرِي إلى الجِسـ ـم فَتُحْيِي عِظَامَه النَّخِرات؟[٢٩]
هل رأيتَ الآمالَ بَعْد نِفَارٍ؟ واقْتبالَ الشَّبَابِ بَعْدَ فَوَاتٍ؟[٣٠]
لَقِيتْ مصرُ قَبْلَه ما يُلاقِي غَرَضٌ جَاء فِي اتجاهِ الرُّمَاة[٣١]
جَهلوا دَاءَها الدَّفِينَ وشَرٌّ مِنْ دَفِينِ الأدْواء جَهْلُ الأُسَاةِ
نكَثُوا جُرْحَها فسالتْ دِمَاهَا قَطَرَاتٍ تَجْرِي إلى قَطَرَات[٣٢]
لا تَرَى في الظَّلامِ للعِلْم إلَّا مُقْفِراتٍ من دُورِهِ دارِسات[٣٣]
يَكْرهُ الظُّلْمُ كلَّ شيءٍ من الضَّوْ ءِ ولو كانَ في ابتِسام الفَتَاة
لَمْ يَكُنِ منْهُ غَيْرُ وَمْضٍ منَ (الأزْ هَرِ) يَبْدُو مُفَزَّعَ اللَّمَحَات[٣٤]
كَذُبَالِ المِشْكاةِ قَدْ جَفَّ إلَّا أَثَرًا من بُلَالةِ المِشْكَاة[٣٥]
فَأتَى مُنْقِذُ البِلادِ فَأَحْيَا ها بِرَأْيٍ وَعَزْمَةٍ وثَبَات
لو دَعا أَنْجُمَ السَّماء لَلبَّتْ مُهْطِعاتٍ لأمْرِه صاغِرَاتِ[٣٦]

* * *

شادَ في مِصْرَ للمعَارِفِ ديوا نًا مَنِيعَ الأعلامِ والشُّرُفَات
وبَنَى للعُلُومِ خَيْرَ بِنَاءٍ عَلَوِيٍّ فكانَ خَيْرَ البُنَاة
نَهضتْ مِصْرُ بَعدَه نَهَضَاتٍ تَسْتَحِثُّ الْخُطَا إلى نَهَضَات
أَرْسَلَ العِلْمُ نورَه فَسَرَى الرَّكـ ـبُ يقُودُ المُنى إلَى الغَايَات

وَرأَيْـنـا بـكُـلِّ أَرْض رِيـاضًـا دانـيـاتٍ قُـطُـوفُـهـا زَاهِـيَـات

* * *

كلُّ يومٍ عند الصَّباحِ تَرَى جَيـ ـشًا مِنَ النَّشءِ صادِقَ الوَثَبَات
جعلوا كُتْبَهُم مكانَ المواضِي ويَراعَاتِهم مكانَ القَنَاة[٣٧]
طَلَعوا أَوَّل الغَداةِ فزَانُوا بِسَنا ضَوْئهمْ جَمَالَ الغَدَاةِ[٣٨]
مِثْلَ سِرْبٍ للطَّيْر هَمَّت خِفَافًا ثم راحتْ لوَكْرِها مُثْقَلات[٣٩]
نَثَرُوا جَمْعَهم فأبْصَرْتُ فِيهِم أنجُمًا في الفَضَاء مُنْتَثِرَات
ورأيتُ الفِلْذَاتِ تَمْشي على الأرْ ض فَخلُّوا الطَّرِيقَ للفِلْذَات[٤٠]
هُمْ أَمانيُّ (مِصْرَ)، هم مُرْتَجاها هُمْ حَنايا ضُلوعِها الْخَافِقَات

* * *

مِائةٌ من سِني (المعارف) مَرَّتْ زَاهِياتٍ بما حَوَتْ حافِلَات
بَلَغَتْ مِصْرُ في مَدَاهُنَّ شَأْوًا فوقَ شَأْوِ الكَواكِب السابِحات[٤١]
وغدَا مَجْدُها الْحِدِيثُ — وقد شا عَ شذَا عِطْره — حديثَ الرُّوَاة[٤٢]
أصبحتْ كَعْبَةً يَحُجُّ إليها الشَّرْ قُ بين الخُشُوعِ والإِقْنات[٤٣]
تَتَهادَى وحَقَّ أنْ تَتَهادَى بين ماضٍ زاهي الْجَبينِ وآتي
كلُّ تاريخها كتابٌ منَ المجـ ـدِ كريمٌ مُطَرَّزُ الصَّفَحَات
بَعَثَتْ دارسَ الفُنُونِ وأحْيَتْ بعد يأسِ الزَّمان أُمَّ اللُّغات[٤٤]
وأعادَتْ إلَى العُلوم مَنَارًا كان صُبْحَ الدُّجَى وهَدْيَ السُّرَاة[٤٥]
أَنجَبتْ للْبِلاد أبطالَ عَزْمٍ هُمْ دُرُوعُ البِلادِ في الأَزَمَاتِ
دَعَوا الشَّعْبَ للعُلَا فَرَأَيْنا خَيْرَ شَعْبٍ أَجابَ خَيْرَ الدُّعَاة
أَنْجَبَتْ كلَّ عالمٍ بَهَرَ الكَوْ نَ بآيَاتِ عِلمِهِ البَيِّنَاتِ
أَنْجبَتْ كلَّ شاعرٍ عَبْقَرِيٍّ صادِقِ الحِسِّ بارعِ اللَّفَتَات
تَتَمنَّى الأَزْهارُ لو كنَّ يَومًا في قَوافِيه مَوضِعَ الكَلِمَات
أَنْجبتْ كُلَّ كاتِبٍ يَمْلِكُ السَّمـ ـعَ، بآثارِ فَنِّهِ الْخالِداتِ
أَنْجبتْ كُلَّ مِدْرَهٍ وخَطِيبٍ سَاحِرِ القَوْلِ، صَادِقِ الحَمَلَات[٤٦]
وَحَمتْ شِرْعَةَ الخلائِق أنْ يَغـ ـبَرَّ صَافِي نَميرِها بقَذَاة[٤٧]

قد وَلَجْنا الْحَياةَ من كلِّ بَابٍ فَرَأَيْنا الأخلاقَ بابَ النَّجَاة
أصْبحتْ مِصْرُ مَعْهدًا لشَبابِ الشـ ـشَرْقِ، يَسْعَونَ نَحْوَها بالمِئَات
عَقَدَتْ بَيْننا اللَّيالي صِلَاتٍ مُحْكَماتٍ أَحْبِبْ بها مِن صِلَات

* * *

إنَّ عِيدَ المعَارِفِ اليَوم عِيدٌ للنُّهَى والْجُهُودِ والذِّكْرَيَات[٤٨]
عِيدُ يُمْنٍ لِمِصْرَ، فالدَّهْرُ دانٍ خاضِعُ الرَّأسِ، والزَّمانُ مُوَاتي
بَلَغتْ مِصْرُ ما تُرَجِّي وفَازَتْ بَعْد طُولِ الأسَى، وذُلِّ الشَّكَاة
وأطَاحتْ قُيُودَها فَاستقلَّتْ وامَّحَى ما تَرَكْنَ مِنْ نَدَبَاتِ
واسْتَعزَّتْ بِطلْعةِ المَلِكِ الفَا رُوقِ، زَيْنِ الحِمَى وَفخْرِ الحُمَاة
يُشْرِقُ المُلْكُ بالمَلِيكِ ويُزْهَى بمَجَالي آلائِه المُشْرِقَات
تجْتَلِيه العُيونُ بَدْرًا، وتفْدِيـ ـه عُيونُ الزَّمانِ بالحَدَقَات[٤٩]
عَهْدُه في العُهُود أنْضَرُ عَهْدٍ كجمَالِ الرَّبِيع في الأَوْقَات
بَهَر الشِّعْرَ أن يُحيط بمَعْنًى مِن مَعانِي صِفَاتِه الباهِرات
عاشَ للعِلْمِ والبلادِ هُمامًا أرْيَحِيًّا، وعاشَ للمَكْرُمَات

هوامش

(١) تجنت: طغت وعلت. النيرات: الكواكب المنيرة المضيئة.

(٢) الكمام: جمع كم (بكسر الكاف فيهما)، وهو وعاء الطلع وغطاء النور. الشذا: قوة ذكاء الرائحة وسطوعها.

(٣) ترهب: تهاب وتخشى. تخد: أي تجرح وتخدش.

(٤) القسمات: جمع قسمة (بكسر السين وفتحها): وهي الحسن.

(٥) التبر: الذهب قبل صوغه. الدر: اللآلئ، الواحدة، درة.

(٦) يشير إلى الآية الكريمة: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾.

(٧) الموصلي: نسبة إلى إبراهيم الموصلي أو ابنه إسحاق، وكلاهما مغن عباسي بلغ شهرة واسعة في الضرب والغناء. ولد إبراهيم سنة خمس وعشرين ومائة هجرية بالكوفة،

وتوفي ببغداد سنة ١٨٨هـ. وولد إسحاق سنة ١٥٠ (وهي السنة التي ولد فيها الإمام الشافعي ومات فيها الإمام أبو حنيفة)، وتوفي ببغداد في أول خلافة المتوكل سنة ٢٣٥هـ.

(٨) الحبرات (بالتحريك، وبكسر الحاء مع فتح الباء): جمع حبرة. وهي ضرب من برود اليمن، وملاءة سوداء اختص بها نساء مصر.

(٩) تتناءى: تبعد. مدلة: من الدلال، وهو التمتع. الشتات: الفرقة.

(١٠) القرطاس: الصحيفة يكتب عليها.

(١١) الوشاة: الساعون بالكذب والنميمة.

(١٢) الجناة: ما يجنى من الشجر.

(١٣) الترهات (في الأصل): الطرق الصغار تتشعب عن الجادة، ثم استعير للباطل الذي لا يقوم على رأي صحيح، الواحدة ترهة، فارسي معرب.

(١٤) ضلة، أي: ضلالًا وبعدًا عن الرشد والهدى. الزلال: الماء البارد العذب الصافي. الغضارة: الخصب. الفلاة: الصحراء والمفازة لا ماء فيها.

(١٥) المهجات: جمع مهجة وهي الروح.

(١٦) الفرات: المفرط في العذوبة.

(١٧) غذوناه: غذيناه (بالتضعيف).

(١٨) تعيث به، أي: تعبث به وتفسده. الجناة: الأشرار ودعاة الإفساد، الواحد، جانٍ.

(١٩) السياج: ما أحاط بالشيء. يحفظه ويقيه. اللبنات: ما يضرب من الطين مربعًا للبناء، الواحدة: لبنة. توثيق اللبنات: إحكام البناء.

(٢٠) جناه: ثماره التي تجنى منه. يريد الناشئين في دور العلم. الشرة (بالكسر): الشر.

(٢١) مثاب الخيرات والبركات، أي: حيث توجد وتجتمع.

(٢٢) فساح: واسعات. لا عداها: لم يعدها ولم يتجاوزها، والجملة دعائية. السداد: التوفيق وإصابة الغرض.

(٢٣) جازت: تخطت وتغلبت.

(٢٤) الدروع: جمع درع، وهو ثوب ينسج من زرد الحديد يلبس في الحرب وقاية من سلاح العدو، مؤنث وربما ذكر. سابغات: تامة طويلة.

(٢٥) يريد «بالكنانة»: مصر. الندب: السريع إلى الفضائل الذي يخف لقضاء الحاجة عندما يندب إليها. هبرزي الأعراق والعزمات: أي طيب الأصول، قوي فيما يهم به ويعزم عليه.

(٢٦) محمد: هو محمد علي باشا ابن إبراهيم أغا جد الأسرة المالكة في ذلك الوقت.

(٢٧) يبهر العين: يغلبها ضوءه وتألقه فلا تقوى على النظر إليه. الدياجر: جمع ديجور. وهو الظلام.

(٢٨) الجنبات: النواحي.

(٢٩) النخرات: البالية المتفتتة.

(٣٠) النفار: التباعد والفوت. اقتبال الشباب: عنفوانه واكتماله. بعد فوات: أي بعد ذهاب ومضيّ.

(٣١) الغرض: الهدف الذي يرمي إليه. الرماة: جمع رام، وهو الذي يرمي بسهامه نحو الهدف.

(٣٢) يقال: نكأ القرحة ينكؤها: إذا قشرها قبل أن تبرأ فنديت وسال دمها.

(٣٣) مقفرات: خاليات. دارسات: قد عفا أثرها وامحى.

(٣٤) منه: أي من الضوء. الومض: اللمعان الخفيف لا يظهر حتى يختفي. الأزهر: هو ذلك المسجد التاريخي العظيم، الذي بناه جوهر الصقلي في أوائل حكم الدولة الفاطمية سنة ٣٥٩–٣٦١هـ/ ٩٧٠–٩٧٢م، وكان لا يزال دارًا للتعليم يؤمها المسلمون من جميع الأقطار الإسلامية. المفزع: الخائف. اللمحات: جمع لمحة، وهي لمعة الضوء وبريقه.

(٣٥) الذبالة: الفتيلة، المشكاة: الأنبوبة في وسط القنديل، يريد القنديل.

(٣٦) لبت: أجابت. مهطعات: مسرعات. صاغرات: ذليلات.

(٣٧) المواضي: السيوف القواطع، الواحد: ماض. اليراعات: الأقلام، الواحدة: يراعة. القناة: الرمح.

(٣٨) أول الغداة: الصباح المبكر. سنا الضوء: تلألؤه وتألقه.

(٣٩) السرب: الجماعة. همت: أي خرجت لقصدها وبغيتها. راحت: رجعت. الوكر: عش الطائر أين كان.

(٤٠) الفلذات: جمع فلذة (بالكسر)، وهي القطعة من الكبد.

(٤١) المدى: الأمد والنهاية. الشأو: الغاية. السابحات: الجاريات في أفلاكها ومداراتها.

(٤٢) شذا العطر: قوة ذكاء رائحته وسطوعها.

(٤٣) الكعبة: البيت الحرام بمكة، وإليها يتجه المسلمون في صلاتهم ويقصدونها في حجهم. الإقنات: إظهار التواضع والخشية.

(٤٤) دارس الفنون: ما عفا منها وذهب أثره. أم اللغات: اللغة العربية.

(٤٥) المنار: مبعث النور ومصدره. الدجى: الظلام، السراة: جمع سار.

(٤٦) المدره: القوي الحجة.

(٤٧) الشرعة (بالكسر): مورد الشاربين. الخلائق: الطبائع والسجايا، الواحدة: خليقة. يغبر: يصير أغبر كدرًا. النمير: الماء العذب الصافي. القذاة: ما يقع في الشراب مما يكدره.

(٤٨) النهى: العقول، الواحدة: نهية (بالضم) وسمي العقل بها؛ لأنه مصدر النهي والضبط والكف.

(٤٩) تجتليه: تستبينه وتراه. الحدقات: جمع حدقة. وهي سواد العين.

كلُّ بَيتٍ فيه سَعدٌ مَاثِل

نشرت هذه القصيدة حينما نقل رفات المغفور له سعد زغلول باشا إلى الضريح الذي أعد له في يونيه سنة ١٩٣٦م.

اكْشفوا التُّرْبَ عن الكَنْز الدفينْ وارفعوا السّتْرَ عن الصبح المبينْ[١]
وابعثوه عَسْجدًا مُؤْتلِقًا زاد في لألائه طولُ السنين[٢]
وانتضوا من غمدِه سيفَ وَغًى كان إن صال يَقُدُّ الدارعين[٣]
وقناةً جَلَّ من ثَقَّفها للحِفاظِ المُرِّ والعزم المكين[٤]
لوتِ الدهرَ على باطله وهي كالحقِّ صَفاةٌ لا تلين[٥]
هزمت جيشَ الأباطيلِ فما غادرتْ غير جَريحٍ أو طعين[٦]
كتب الله على عامِلها إنما الْخُلْدُ جزاءُ العاملين[٧]

* * *

جدث ضمَّ سناء وسنا ومصاص الطهر في دنيا ودين[٨]
طاعة الأملاك فيه امتزجت في السموات بعز المالكين
فتشوا في الترب عن عزمته وعن الإقدام والرأي الرصين
واخفضوا أبصاركم في هيبةٍ إن رأت أبصاركم نور اليقين
واخشوا بالصمت في محرابه أفصح الألسن صمت الخاشعين!
وانتحوا من قبره ناحيةً واحذروا أن تزحموا الروح الأمين[٩]
وحنانًا بضريحٍ طالما صقلته قبلات الطائفين

وجثت مصر به خاشعة ... تذرف الدمع على خير البنين[١٠]
صيحةٌ قدْسِيَّةٌ إن سكتَتْ ... فلها في مِصْرَ رَجْعٌ ورَنينْ[١١]
وعَرينٌ حَلَّ فيه ضَيْغمٌ ... رحمةُ الله على لَيْثِ العرين![١٢]
ومضاءٌ عَرَفَتْ مِصْرُ به ... أنَّ للحقِّ يمينًا لا تمين[١٣]
لا أرَى قَبْرًا ولكني أرَى ... صفحةً من صَفَحاتِ الخالدين
أو أراه قَصَبَ المجدِ الذي ... دونه ينفق جُهْدُ السابقين
أو أراه عَلَمًا في فَدْفَدٍ ... لمعتْ أضواؤُه للحائرين[١٤]
أو أراه روضةً إنْ نَفَحتْ ... خَجِلَ الوردُ وأغْضَى الياسَمين[١٥]
أو أراه دَوْحَةً وارفةً ... نَشَرَتْ أفياءَها للاجئين[١٦]
أو أراه قلبَ مصرٍ نابضًا ... بِمُنًى تمحو من القلبِ الأنينْ

* * *

نَقَلوا التابوتَ تَحْتَفُّ به ... رَحَماتٌ من شمالٍ ويمين[١٧]
ذاك بَعْثٌ حَيِيَتْ مصرُ به ... من جديدٍ، تلك عُقبى الصابرين![١٨]
هل علمتم أنَّ مَنْ واريتُمُ ... في حَنايا كلِّ مصريٍّ دفين؟[١٩]
ما لِسعدٍ خُفْرةٌ واحدةٌ ... هو مِلءُ القلبِ، ملءُ الأرَضين[٢٠]
كلُّ بيتٍ فيه سعدٌ ماثلٌ ... في إطارٍ من حَنانٍ وحنين
نظرةُ الرئْبالِ في نظرته ... وانبلاجُ الحقِّ في ضَوْءِ الجبين[٢١]
وضعتْ مصرُ به آمالَها ... فاستقرَّتْ منه في حِصْنٍ حصين
هو للأبناء علمٌ وأبٌ ... وهو للآباء خِلٌّ وخَدينْ[٢٢]
كان سعدٌ عَلَمًا منفردًا ... هل يُرَى للشمس في الأفْقِ تَنين؟[٢٣]
إنَّ أمَّ المجدِ مِقْلاتٌ فكم ... سَوَّفَتْ بين جَنينٍ وجَنين![٢٤]
تبخل الدنيا بآسادِ الشرَى ... أيُّها الدنيا إلى كم تَبْخَلين؟[٢٥]
أنتِ قد أنجبت سعدًا بطلًا ... وقليلٌ مثلَه مَنْ تلدين
وجدتْ مصرُ به واحدَها ... ربَّ فَرْدٍ بأُلوفٍ ومئين![٢٦]
ومن الناسِ نضارٌ خالصٌ ... ومن الناس غُثاءٌ وغَرين
ومن الناس أسودٌ خُدَّرٌ ... ومن الناس ذُبابٌ وطنينْ[٢٧]
قاد للمجد مناجيد الحمى ... كلُّهم أزْوَعُ مُنْبَتُّ القَرينْ[٢٨]

تـقـرأُ الأقـدامَ فـي صـفـحـتِـه ... مـثـلَـمـا تـقـرأُ خـطَّ الـكـاتـبـيـن
كـلَّـمـا مـرَّتْ بـه عـاصـفـةٌ ... زَعـزَعٌ، مرَّت على طَوْدٍ ركين[٢٩]
تـقـرَعُ الأقـدارُ مـنـه عَـزْمَـةً ... أنِـفَـتْ صـخـرتُـهـا أنْ تـسـتـكـيـن
يـا بـنـي الـرُبَّـانِ لا تـسـتـيـئـسـوا ... إنْ مضى الموتُ برُبانِ السفين
إنَّ سـعـدًا أخـضـع الـريـح لـكـم ... والـبـقـيَّـاتُ عـلـى الـلـه الـمـعـيـن
لاحـتِ الـفـرصـةُ فـي إبَّـانِـهـا ... إنـهـا لا تُـرْتَـجَـى فـي كلِّ حـيـن[٣٠]
فـهـلـمُّـوا فـاقْـنِـصـوا طـائـرَهـا ... كلّكُمْ بالسبق والنصر قمين[٣١]
صَـدَقَ الـلـه تـعـالَـى وعـدَه ... إنـمـا الـفـوزُ ثـواب الـمـخـلـصـيـن!

هوامش

(١) الستر: الحجاب.
(٢) العسجد: الذهب.
(٣) انتضوا: أخرجوا. وغى: الحرب. صال: وثب وجال. يقد: يشق ويقطع. الدارعين: لابسي الدرع والمراد المحاربين.
(٤) قناة: الرمح. ثقفها: سواها. للحفاظ المر: للمحافظة القوية.
(٥) لوت: أخضعت وألانت. صفاة: صخرة ملساء قوية.
(٦) جيش الأباطيل: جيش الكذب والبهتان.
(٧) عاملها: عامل الرمح: صدره الذي يركب فيه السنان.
(٨) جدث: قبر. سناء: الرفعة والشرف. سنا: الضوء. مصاص الطهر: خلاصته.
(٩) الروح الأمين: سيدنا جبريل.
(١٠) جثت: ركعت.
(١١) رجع: ترديد.
(١٢) عرين: بيت الأسد. ضيغم: الأسد. ليث: أسد.
(١٣) مضاء: نفاذ. يمينًا: قوة. لا تمين: لا تكذب.
(١٤) فدفد: الفلاة أو المكان المرتفع من الأرض.
(١٥) نفحت: انتشرت رائحتها الذكية. أغض: أدنى جفونه وأخفض من نظرته.
(١٦) أفياءها: ظلالها.

(١٧) تحتف به: تحيط به.
(١٨) عقبى: جزاء.
(١٩) حنايا: أضلع.
(٢٠) الأرضين: الأرض.
(٢١) الرئبال: الأسد. انبلاج: إضاءة.
(٢٢) خل: الصديق الودود. خدين: الصديق.
(٢٣) تنين: شبيه.
(٢٤) مقلات: قليل الولادة، سوفت: باعدت.
(٢٥) آساد الشرى: آساد الجبال.
(٢٦) نضار خالص: ذهب نقي. غثاء: ما يحمله السيل من قذر. غرين: طين يخالطه ماء.
(٢٧) خدر: جمع خادر يقال: أسد خادر: ملازم عرينه.
(٢٨) مناجيد: شجعان. منبت القرين: ليس لهم مثيل.
(٢٩) زعزع: متحركة. طود: جبل.
(٣٠) إبانها: حينها.
(٣١) طائرها: ثمرتها. قمين: جدير.

وَصِيَّته

عرض على الشاعر بعض أصدقائه قطعة نثرية باللغة الفرنسية يوصي فيها كاتبها ابنته بالتحلي بكريم الصفات، ثم طلب إليه أن يقول شعرًا على مثالها، فنظم هذه القصيدة في سنة ١٩١٨م.

يَا بْنَتِي إنْ أردْتِ آيةَ حُسْنٍ ... وجَمالًا يَزِينُ جِسْمًا وعَقْلا[1]
فانْبِذِي عادةَ التَّبرجِ نَبْذًا ... فجمالُ النُّفوسِ أسْمَى وأعْلَى
يَصْنَع الصَّانِعُون وَرْدًا ولَكِنْ ... وَرْدَةُ الرَّوض لا تُضَارَعُ شَكْلا
صِبْغَةُ اللهِ صِبْغَةٌ تَبْهَر النَّفـ ... ـسَ، تعالى الإلَهُ عَزَّ وجَلَّا
ثمَّ كُوني كالشَّمس تسْطَع لِلنَّا ... سِ سَواءٌ: مَنْ عَزَّ مِنْهُم وَذلّا
فامْنَحِي المُثْرِيَاتِ لِينًا ولُطْفًا ... وامْنَحِي البائساتِ بِرًّا وفَضْلًا
زِينَةُ الوَجْه أَن تَرَى العَيْنُ فيه ... شَرَفًا يَسْحَرُ العُيُونَ ونُبْلًا
واجعَلِي شِيمةَ الحَيَاء خِمارًا ... فَهْوَ بالْغَادة الكَريمةِ أَوْلَى[2]
ليس لِلْبِنْت في السَّعادة حَظٌّ ... إن تَنَاءَى الحياءُ عَنْها ووَلَّى
والْبِسِي مِنْ عَفَاف نَفْسِكِ ثوْبًا ... كلُّ ثَوْبٍ سِوَاه يَفْنَى ويَبْلَى
وإذا ما رأَيتِ بُؤْسًا فَجُودِي ... بدُموع الإحْسان يَهْطِلْن هَطْلا[3]
فدُمُوع الإحسان أنْضَر في الْخدِّ ... وأَبَهى من اللآلِي وأغْلَى
وانظُرِي في الضَّمير — إن شِئْتِ مرآ ... ةً — ففيه تبدُو النفوسُ وتُجْلَى
ذاكِ نُصْحِي إلى فتَاتِي وسُؤْلي ... وابْنَتي لا ترُدّ للأَب سُؤْلا

هوامش

(١) الآية: العلامة.
(٢) الشيمة: السجية والطبع. الخمار: ما تغطي به المرأة رأسها ووجهها.
(٣) يهطل: ينصب انصبابًا في تتابع وكثرة.

ذِكرى قاسِم أمين

أذيعت بدار الإذاعة في سنة ١٩٣٨م لمرور ثلاثين سنة على وفاته.

مَلَّ مِنْ وَجْدِهِ وَمِنْ فَرْطِ مَا بِهْ ... وَأَرَاقَ الشَّرَابَ مِنْ أَكْوَابِهْ!
وَإِذَا الْقَلْبُ أَظْمَأَتْهُ الْأَمَانِيُّ، ... فَمَاذَا يُرِيدُهُ مِنْ شَرَابِهْ؟
وَإِذَا النَّفْسُ لَمْ تَكُنْ مَنْبِتَ الأُنْـ ... ـسِ، تَنَاءَى الْقَرِيبُ مِنْ أَسْبَابِهْ
وَأَشَدُّ الآلَامِ أَنْ تُلْزِمَ الثَّغْرَ ابتسَا ... مًا، والْقَلْبُ رَهْنُ اكتِئَابِه

* * *

كُلَّمَا اخْتَالَ فِي الزَّمَانِ شَبَابٌ ... عَصَفَتْ رِيحُهُ بِلَدْنِ شَبَابِهْ!
وَالنُّبُوغُ النُّبُوغُ يَمْضِي، وَتَمْضِي ... كلُّ آمَالِ قَوْمِهِ فِي رِكَابِهْ
غَرِدٌ، مَا يكَادُ يَصْدَحُ حَتَّى ... يُسْكِتَ الدَّهْرُ صَوْتَهُ بِنُعَابِهْ[١]
وَحَبَابٌ، إِذَا عَلَا الْمَاءَ وَلَّى ... فَاسْأَلِ الْمَاءَ هَلْ دَرَى بِحَبَابِهْ؟[٢]
وَسَفِينٌ، مَا شَارَفَ الشَّطَّ حَتَّى ... مزَّقَ الْيَمُّ دُسْرَهُ بِعُبَابِهْ[٣]

* * *

بَخِلَ الدَّهْرُ أَنْ يُطَوِّلَ لِلْعَقْلِ، ... فَيَجْرِي إِلَى مَدَى آرَابِهْ[٤]
كلَّمَا سَارَ خُطْوَةً وَقَفَ الْمَوْ ... تُ، فَسَدَّ الطَّرِيقَ عَنْ طُلَّابِهْ
وَابْتِدَاءُ الْكَمَالِ فِي عَمَلِ الْعَا ... مِلِ بَدْءُ الشَّكَاةِ مِنْ أَوْصَابِهْ[٥]
ضِلَّةً نَكْتُمُ الْمَشِيبَ فَيَبْدُو ... ضَاحِكًا سَاخِرًا خِلَالَ خِضَابِهْ[٦]
أَيْنَ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُرْشِدَ الدُّنْيَا، ... وَسَوْطُ الْمَنُون فِي أَعْقَابِهْ؟[٧]

أَيُّهَا الْمَوْتُ: أَمْهِلِ الْكَاتِبَ المِســـ ـكِينَ يُرْسِلْ أَنْفَاسَهُ فِي كِتَابِهْ
آهِ لَوْ يَشْتَرِي الزَّمَانُ قَرِيضِي بِسِنِينٍ تُعَدُّ لِي فِي حِسَابِهْ
مَا حَيَاتِي؟ وَالْكَوْنُ بَعْدَ جِهَادٍ لَمْ أَزَلْ وَاقِفًا عَلَى أَبْوَابِهْ
تَظْمَأُ النَّفْسُ فِي حَيَاةٍ هِيَ الْقَفـ ـرُ، فَتَرْضَى بِنَهْلَةٍ مِنْ سَرَابِهْ
أَنَا قَلْبِي مِنَ الشَّبَابِ وَجِسْمِي أَثْخَنَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ بِجِرَابِهْ
أَمَلٌ هَذِهِ الحَياةُ، فَهَلْ يَعْثُرُ بِي الْمَوْتُ دُونَ وَشْكٍ طِلَابِهْ؟
كُلَّمَا رُمْتُ لَمْحَةً مِنْ سَنَاهُ هَالَنِي بُعْدُهُ وَطُولُ شِعَابِهْ[8]
مَا الذِي تَبْتَغِي يَدُ الدَّهْرِ مِنِّي؟ وَدَمِي لا يَزَالُ مِلءَ لُعَابِهْ[9]
دَعْ يَرَاعِي يا دَهْرُ يَمْلَأ سَمْعَ النِّيـ ـلِ، مِنْ شَدْوِهِ وَعَزْفِ رَبَابِهْ
كُلُّ شَيْءٍ لهُ نِصَابٌ سِوَى الْفَنـ ـنِ، فَلَا حَدَّ يَنْتَهِي لِنِصَابِهْ[10]

* * *

عَصَفَتْ صَيْحةُ الرَّدَى بِخَطِيبٍ وَهُوَ لَمْ يَعْدُ صَفْحَةً مِنْ خِطَابِهْ
سَكْتَةٌ أَسْكَتَتْ نَئِيجَ خِضَمٍّ عَقَدَ النَّوْءُ لُجَّهُ بِسَحَابِهْ[11]
سَكْتَةٌ أَطْفَأَتْ مَنَارَ طَرِيقٍ كَمْ مَشَتْ مِصْرُ في ضِياء شِهَابِهْ
وَمَضى (قَاسِمٌ) وَخَلَّفَ مَجْدًا تَفْرَعُ النَّجْمَ رَاسِيَاتُ قِبَابِهْ[12]

* * *

قَدْ نَكِرْنَاهُ حِين قَامَ يُنَادِي وَفَهِمْنَا مَعْنَاهُ يَوْمَ احْتِسَابِهْ
رُبَّ مَنْ كُنْتَ فِي الْحَيَاةِ لَهُ حَرْ بًا، شَقَقْتَ الْجُيُوبَ عِنْدَ غِيَابِهْ
وَتَحَدَّيْتَ شَمْسَهُ، فَإِذَا وَلَّى تَمَنَّيْتَ لَمْحَةً مِنْ ضَبَابِهْ
لَمْ يَفُزْ مِنْكَ مَرَّةً بِثَنَاءٍ فَنَثَرْتَ الأَزْهَارَ فَوْقَ تُرَابِهْ
يُعْرَفُ الْوَرْدُ حِينَمَا يَنْقَضِي الصَّيـ ـفُ، وَيُبْكَى النُّبُوغُ بَعْدَ ذَهَابِهْ
كَمْ نَدَبْنَا الشَّبَابَ حِينَ تَوَلَى وَشُغِفْنَا بِالْبَدْرِ بَعْدَ احْتِجَابِهْ!
كَتَبَ اللهُ أَنْ يَعِيشَ غَرِيبًا كُلُّ ذِي دَعْوَةٍ إلى الْحَقِّ نَابِهْ
لا تَرَى فَوْقَ قِمَّةِ الطَّوْدِ إلَّا بَطَلًا لا يَهَابُ هَوْلَ صِعَابِهْ
كُلُّ ذَاتِ الْجَنَاحِ طَيْرٌ، وَلَكِنْ عَرَفَ الْجَوُّ نَسرَهُ مِن غُرَابِهْ
كَمْ رَأَينَا فِي النَّاسِ مَن يُبْهِرُ الْعَيـ ـنَ، وَمَا فِيهِ غَيْرُ حُسْنِ ثِيَابِهْ

يَـمْـلَأُ الأرضَ وَالـسَّـمَـاء رِيَـاءً وَعُـيُـوبُ الـزَّمَـانِ مِـلْءُ عِـيَـابِـهْ[١٣]

* * *

نَـقَـدَ الـنَّـاسَ (قَـاسِـمًـا) فَـرَأَوْهُ أَصبَرَ النَّاسِ فِي تجَرُّعِ صَابِهْ[١٤]
حُـجَّـةُ الْـجَـاهِـلِ الْـمِـرَاءُ، فَـإِنْ شَـا ءَ سُـمُـوًّا، أَمَـدَّهَـا بِـسِـبَـابِـهْ[١٥]
قَدْ يُغَشِّي الْوِجْدَانُ بَاصِرَةَ الْعَقـ ـلِ، فَيُعْمِيهِ عَنْ طَرِيقِ صَوَابِهْ
صَالَ بِالرَّأْيِ (قَاسِمٌ) لَا يُبَالِي وَمَضَى فِي طَرِيقِهِ غَيْرَ آبِهْ
كَمْ جَرِيءٍ لَا يَرْهَبُ السَّيْفَ إِنْ سُلـ ـلَ وَنِكْسٍ يَخَافُ مَسَّ قِرَابِهْ
وَالشُّجَاعُ الَّذِي يُجَاهِرُ بِالْحَقِّ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ مُرُّ عَذَابِهْ
كَيْفَ يَهْدِي النَّصِيحُ إِنْ رِيعَ يَوْمًا مِنْ قِلًى مَنْ يُحِبُّ أَوْ إِغْضَابِهْ؟[١٦]
وَطَرِيقُ الإِصْلَاحِ فِي كُلِّ شَعْبٍ عَسِرُ الْمُرْتَقَى عَلَى مُجْتَابِهْ
يَعْشَقُ الشَّعْبُ مَنْ يُدَلِّلُهُ زُو رًا، بِمَذْقٍ مِنْ سُخْفِهِ وَكِذَابِهْ[١٧]

* * *

قُمْتَ لِلْجَهْلِ تَقْلِمُ الظُّفْرَ مِنْهُ وَتَفُضُّ الْحِدَادَ مِنْ أَنْيَابِهْ[١٨]
فِي زَمَانٍ كَانَ الْقَدِيمُ بِهِ قُدْ سًا، يُذَادُ الْجَدِيدُ عَنْ مِحْرَابِهْ[١٩]
يَا نَصِيرَ النِّسَاءِ، وَالدِّينُ سَمْحٌ لَوْ وَعَيْنَا السَّرِيَّ مِنْ آدَابِهْ[٢٠]
قَدْ خَشَيْنَا عَلَى الْحَمَائِمِ فِي الدَّوْ حِ، أَظَافِيرَ بَازِهِ أَوْ عُقَابِهْ[٢١]
إِنْ أَرَدْتَ الظِّبَاءَ تَمْرَحُ فِي السَّهـ ـلِ، فَطَهِّرْ أَكْنَافَهُ مِنْ ذِئَابِهْ[٢٢]
كَمْ ضِرَاءٍ وَسْطَ الْمَدَائِنِ أَنْكَى مِنْ ضِرَاءِ الضِّرْغَامِ فِي وَسْطِ غَابِهْ![٢٣]
وَشِبَاكٍ، مِنَ الْجَرَائِمِ وَالْخَتْلِ، حَوَاهَا شَيْطَانُهُمْ فِي جِرَابِهْ[٢٤]
وَإِذَا مَا الْحَيَاءُ لَمْ يَسْتُرِ الْحُسْنَ، فَمَاذَا يُفِيدُهُ مِنْ نِقَابِهْ؟

* * *

قُمْتَ تَدْعُو الْبَنَاتِ لِلْعِلْمِ فَانْظُرْ كَيْفَ حَلَّقْنَ فَوْقَ شُمِّ هِضَابِهْ[٢٥]
وَزَهَا النِّيلُ بِابْنَةِ النِّيلِ فَاخْتَا لَ، يَجُرُّ الذُّيُولَ مِنْ إِعْجَابِهْ
وَغَدَا الْبَيْتُ جَنَّةً بِالَّتِي فِيهِ، خَصِيبًا بِالْأُنْسِ بَعْدَ يَبَابِهْ[٢٦]
يَا فَتَى الْكُرْدِ، كَمْ بَزَزْتَ رِجَالًا مِن صَمِيمِ الْحِمَى، وَمِنْ أَعْرَابِهِ![٢٧]

نَسَبُ الْمَرْءِ مَا يَعُدُّ مِنَ الْأَعْـ ـمَالِ، لا مَا يَعدُّ مِنْ أَنْسَابِه
كَمْ سُؤَالٍ بَعَثْتَ إِثْرَ سُؤَالٍ أَيْقَظَ النَّائِمِينَ رَجْعُ جَوَابِه
كُنْتَ فِي الْحَقِّ لِلْإِمَامِ نَصِيرًا وَالْوَفِيَّ الصَّفِيَّ مِنْ أَصْحَابِه[٢٨]
نَمْ هَنِيئًا، فَمِصْرُ نَالَتْ ذُرَا الْمَجـ ـدِ، وَفَازَتْ بِمَحْضِهِ وَلُبَابه[٢٩]
مِنْكَ عَزْمُ الدَّاعِي، وَفَضْلُ الْمُجَلِّي وَمِنَ اللهِ مَا تَرَى مِنْ ثَوَابِه[٣٠]

هوامش

(١) النعاب: صوت الغراب.

(٢) حباب: حباب الماء بفتح الحاء نفاخاته التي تعلوه.

(٣) الدسر: خيوط تشد بها ألواح السفينة. واحدها دسار ككتاب. عبابه: أمواجه.

(٤) طول له: أمهله. مدى: غاية. آراب: جمع إرب وهو الحاجة والمطلب.

(٥) الشكاة: الشكوى. أوصاب: جمع وصب المرض.

(٦) الضلة: بكسر الضاد عدم الهدى. الخضاب: صبغ يوضع على الشعر لإخفاء الشيب.

(٧) أعقاب: جمع عقب وهي مؤخر القدم.

(٨) رمت: أردت. السنا: الضوء. هالني: أزعجني. شعابه: جمع شعب وهو الطريق في الجبل.

(٩) إشارة إلى وفاة نجل الشاعر البكر عام ١٩٣٥م.

(١٠) النصاب: المقدار المعين.

(١١) النئيج: الصوت. الخضم: البحر العظيم. النوء: النجم مال للغروب أو سقوط النجم في المغرب مع الفجر، وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق وكانت العرب تنسب الرياح والأمطار إلى النوء، والمراد هنا العواصف التي تنشأ عن النوء.

(١٢) قاسم: هو الرجل الاجتماعي العظيم الذي دافع عن المرأة المصرية طول حياته، وبذل في سبيل تحريرها جهدًا كبيرًا وقوة فتية حتى تنهض إلى مكانة سامية، وألف في سبيل تحريرها كتابيه: تحرير المرأة، والمرأة الجديدة. وهو من أصل كردي ولد سنة ١٨٦٥م، وبعد أن فاز بقسط كبير من العلم في مصر سافر إلى فرنسا، وهناك درس الحقوق ثم رجع إلى مصر في سنة ١٨٨٥م وعين قاضيًا بالمحاكم الأهلية، ثم مستشارًا

واشترك في إنشاء الجامعة المصرية وتوفي سنة ١٩٠٨م. تفرع: فرع القوم علاهم بالشرف والجمال.

(١٣) الرياء: أن تظهر للناس غير ما أنت عليه؛ لتخدعهم عن حقيقة أمرك. عيابه: عياب جمع عيبة وهي الحقيبة.

(١٤) تجرع: من جرعت الماء كنفع جرعا إذا بلعته، والجرعة من الماء كاللقمة من الطعام. صابه: الصاب عصارة شجر مر.

(١٥) المراء: من ماريته أماريه مماراة ومراء: جادلته بالحق أو بالباطل.

(١٦) ريع: خاف وفزع. القلى: البغض.

(١٧) يُدَلِّلُهُ: يرضي رغباته. مذق: المذق الخلط. سخفه: سخف الثوب سخفًا وسخافة رق لقلة غزله، فهو سخيف ومنه قيل: رجل سخيف وفي عقله سخف أي: نقص والمراد بالسخف هنا الهراء من الكلام، الكذاب: الكذب.

(١٨) تقلم: قلمت الظفر قطعته وما يسقط منه يسمى القلامة. الحداد: جمع حديد القوى. وناب حديدة أي: حادة قوية. فض الله فاه: نثر أسنانه.

(١٩) القدس: الطهر والمراد به هنا الشيء الذي لا يحل تغييره وتبديله. يذاد: يدفع ويطرد. المحراب: صدر المجلس أو محراب المسجد أو المسجد نفسه.

(٢٠) سمح: يسر. وعينا: أدركنا. سرى الآداب: شريفها وعاليها.

(٢١) الحمائم: جمع حمامة. الدوح: الشجر العظام ومفرده دوحة. الباز: طير جارح وكذا العقاب.

(٢٢) الظباء: جمع ظبية. تمرح: ترتع وتلعب. السهل: الأرض المستوية. أكنافه: جمع كنف وهو الجانب.

(٢٣) ضراء: من ضرى الكلب بالصيد ضراء بكسر الضاد وفتحها فهو ضار إذا تعوده، والمراد هنا بالضراء الجرأة والفتك. أنكى: من قولهم: نكيت في العدو من باب رمى إذا قتلت وأثخنت والاسم منه النكاية، والمراد بأنكى هنا: أشد وأبلغ. الضرغام: الأسد. الغاب: جمع غابة.

(٢٤) الختل: الخداع والمكر.

(٢٥) حلق الطائر: طار في دوران. شم: جمع شماء وأشم، والشمم ارتفاع في الجبل والأنف، وشم الهضاب مرتفعها.

(٢٦) يبابه: اليباب: القفر.

(٢٧) فتى الكرد: قاسم؛ لأنه كردي الأصل من بلاد كردستان أقليم من أقاليم العراق يقع جزء منه بين دجلة والفرات. بززت: غلبت. صميم: خالص. الحمى: المراد بالحمى هنا مصر.

(٢٨) الإمام: المرحوم الشيخ محمد عبده. الصفي: المختار.

(٢٩) الذرا: جمع ذروة: وهي أعلى كل شيء. المحض: الخالص. اللباب: لب النخلة قلبها.

(٣٠) المجلى: السابق من أفراس الحلبة.

دَارُ العُلوم

احتفل كبار خريجي دار العلوم في شهر أغسطس سنة ١٩٢٧م بانقضاء خمسين عامًا منذ إنشائها. وقد حضر هذا الحفل الجامع علية رجال مصر، وخيرة علمائها وأدبائها. وأنشد الشاعر هذه القصيدة في هذا المهرجان:

يا خَلِيلَيَّ خَلِّيانِي وَما بي ... أَوْ أَعِيدَا إِلَيَّ عَهْدَ الشَّبَابِ
حُلمٌ قد مَضَى، وَأَيَّامُ أُنْسٍ ... ذَهبتْ غيرَ مُزْمِعاتِ الإِيَابِ
وَأَزَاهِيرُ كُنَّ تَاجَ عَرُوسٍ ... غُفِّرَتْ بعدَ لَيْلَةٍ فَي التُّرابِ
وبساطٌ للشَّاربينَ يُصَلِّي ... فيه إِبْريقُهم بلا مِحْرابِ[١]
في حَدِيثٍ أَحْلَى من الأَمَلِ الْحُلـ ... ـوِ وَأَصْفَى دِيباجَةً مِنْ شَرابِ[٢]
كلُّ فَصْلٍ كَأَنَّه صَفْحَةُ الرَّوْ ... ضِ وَعِنْد العُقَارِ فَصْلُ الْخِطابِ[٣]
ومُجُون يَحُوطُه الأَدَبُ الْجَمـ ... ـمُ فما رَاعَه اللسانُ بِعَابِ
يَتَغَنَّوْنَ بالنُّواسِيِّ حِينًا ... وَبِشِعْر الفَتَى أَبي الْخطَّابِ[٤]
كُلَّما هَزَّتِ المُدَامُ يَدَيْهِمْ ... قَهْقَهَتْ ثُلَّةٌ مِنَ الأَكْوَابِ[٥]
صاحَ فيهم دِيكُ الصَّباحِ فَطارُوا ... كلُّ جَمْعٍ لفُرْقَةٍ واغْتِرَابِ!

* * *

يَا شَبابًا أَقام أَقْصَرَ مِنْ حَسْوَةِ ... طَيْرٍ عَلَى وَحْي وَارْتِيابِ[٦]
لَكَ عُمْرُ النَّدَى يَطِيرُ مَعَ الشَّمْسِ ... وَعُمْرُ الْبُرُوقِ بَيْنَ السَّحَابِ
كُنْتَ فِينا كما لَمَحْنَا حَبابًا ... فَنَظَرْنَا فَلَمْ نَجِدْ مِنْ حَبَابِ[٧]

وَعَرَفْناكَ مُذْ ذَهَبْتَ كما يُعْرَفُ ... فَضْلُ النُّبُوغِ بعدَ الذَّهَاب
مُذْ خَلَعْنا ثِيابَكَ القُشْبَ ... لم نَنْعَمْ بِشَيءٍ مِنْ مُنْفِساتِ الثِّيابِ[8]
وَرَأَيْنا في لَوْنِك الفَاحِمِ اللمَّا ... حِ هُزْوًا بلَوْنِ كلِّ خِضَاب
أيْنَ لَوْنُ الْحَيَاةِ والقَهْرِ والقُوَّةِ ... مِنْ لَوْنِ ناصِل الأعْشاب؟[9]

* * *

يا سَوَادَ العُيُونِ! يا حَبَّةَ القَلْبِ! ... ويا خَالَ كُلِّ خَوْدٍ كَعَابِ![10]
سَرَقَ اللَّيْلُ مِنْك لَوْنًا فأمْسَى ... مَسْرَحَ اللَّهْوِ مَوْطِنَ الإطْرَابِ
وَرَأَى فيك أَحْمَدٌ لَوْنَ كافُو ... رٍ فَغَنَّى خَوالِدَ الآدَاب[11]
بَسْمَةٌ للزَّمَانِ أَنْتَ، تَلَتْها ... كَثْرَةٌ للزَّمَانِ عَنْ أَنْيابِ
كُلَّما رُمْتُ خَدْعَ نَفْسِي بِنَفْسِي ... كَشَفَتْ لِي الْمِرْآةُ وَجْهَ الصَّوَاب
رُبَّ صِدْقٍ تَوَدُّ لَو كَانَ كِذْبًا ... وَكِذَابٍ لو كانَ غَيْرَ كِذَاب!
لَيْتَ لي لَمْحَةً أُعِيدُ بها مِنـ ... ـكَ بَقَايا تِلْكَ الأَمَانِي العِذَاب
حَيْثُ أَخْتَال ناضِرَ العُودِ بَسَّا ... مًا كَثِيرَ الهَوَى قَليلَ العِتاب
في صِحَابٍ مِثْلِ الدَّنَانِيرِ لا تبـ ... ـلَى مَودَّاتُهم بطُولِ الصِّحَابِ
بِوُجُوهٍ غُرٍّ تَرَاها فَتَتْلُو ... فِي أَسَارِيرِها سُطُورَ كِتَاب[12]
تَسْبِق الْخطْوَ للشُّرُور وِثابًا ... لا تُنَال المُنَى بغَيْر الوِثَاب
وَتَجُرُّ الذُّيُولَ في غَيْرِ نُكْرٍ ... طَاهِرِي النَّفْسِ طَاهِري الْجِلْبابِ[13]
إنْ دَعَانا الهَوَى لِغَيْرِ سَدِيدٍ ... سَدَّدَتْنا كَرَائمُ الأَحْسَاب
زَيْنَبٌ، أيْنَ مِنْك زَيْنَبُ، والشَّملُ ... جَميعٌ والعَيْشُ خِصْبُ الْجَنَاب؟[14]
وَبَنَاتُ الثُّغُورِ يَلْعَبْن بالْأَلـ ... ـبَابِ لِعْبَ الشُّمُولِ بالأَلْبابِ[15]
يَتَظَاهَرْن بالْحِجَاب، وَهَلْ أَذ ... كَى الجَوَى غَيْرُ لُؤَم ذَاك الحِجَابِ؟[16]
كَم وُجوهٍ تَنَقَّبَتْ بسُفُورٍ ... ووُجُوهٍ قد أَسْفَرت بِنِقَاب!
أيْنَ تِلْك الأيَّام؟ بَانَتْ وبنَّا ... وَتَوَلَّتْ بَشَاشَةُ الأحْبابِ![17]

* * *

لَيْتَ شِعْري، أَيَرْجِعُ الأَمسُ عَهْدًا ... غَصَبتْه الأيَّامُ أيَّ اغْتِصَابِ؟
عَهْدَ دارِ العُلوم، أَنْتَ يَدَ الدَّهـ ... ـر، جَمَالُ الدُّهُورِ والأَحْقَاب[18]

إنْ ذَكَرْناكَ هَزَّنا الشَّوْق للشَّوْ ... قِ وَلَهْوِ اللِّدَاتِ وَالأَتْرَاب[١٩]
أَنْتَ خِدْنُ الشَّبابِ، بَيْنكما في الـ ... ـوَهمِ قُرْبَى وَشِيجةُ الأَنْساب[٢٠]
فكأَنّي أَرَى الزَّمَانَ وَقَدْ دَا ... رَ وَعادَ الصِّبا نَضِيرَ الإهَاب[٢١]
وَأَرَى «الْجَارِمَ» الفَتِيَّ يَقُودُ الـ ... ـحَشْدَ في جَحْفَلٍ مِنَ الطُّلَّاب
وَاثِبًا لاهِيًا، لَعُوبًا ضَحوكًا ... غَيْرَ مَا وَاجِلٍ وَلا هَيَّابِ[٢٢]
وَاثقًا بالإله، لَيْسَ يَرَى الصَّعْبَ ... سِوَى أَن تَهابَ خَوْضَ الصِّعَاب
فَهْوَ كالطَّائِرِ الطَّلِيقِ فَحِينًا ... في وِهَادٍ وَمَرَّةً في هِضَاب
عابِث بالغُصُونِ في ظِلِّ رَوْضٍ ... حَاكَ أَفْوافَه مُلِثُّ الرَّبَاب[٢٣]
يَحْمِل الكُتْبَ في الصَّبَاحِ، وَلِلْآ ... مالِ في صَدْرِه نَئِيجُ العُبَاب[٢٤]
رَأْسُه رَأْسُ مَالِه، وامتِلاءُ الرَّأْ ... س خَيْرٌ من امْتِلاء الوِطَاب[٢٥]
كُلُّ يَوْمٍ في الامْتِحاناتِ هَيْنٌ ... خَطْبُهُ غَيْرَ خَطْبِ يَوْمِ الْحِسَاب[٢٦]

* * *

إيهِ دارَ العُلُوم، كُنْتِ بِمصْرٍ ... في ظَلامِ الدُّجَى ضِيَاءَ الشِّهَاب[٢٧]
في زَمانٍ مَنْ كَانَ يُمْسكُ فِيهِ ... قَلَمًا عُدَّ أَكْتَب الكُتَّاب!
أَنْتِ أُمُّ الأَشْبالِ، إنْ غَابَ لَيْثٌ ... صالَ لِلْحَقِّ بَعْدَه لَيْثُ غَابِ
تَلدين البَنِينَ مِنْ كُلِّ ماضٍ ... شَمَّرِيٍّ مُزَاحِمٍ وَثَّاب[٢٨]
شاعِرٍ يُنْصِتُ الوُجُودُ إذا قَا ... لَ وَيَهْتَزُّ هِزَّةَ الإعْجَاب
شِعْرُه زَفْرَةُ الغرَامِ، تَعالَتْ ... عن قُيُود الأَوْتادِ والأَسْبَاب[٢٩]
تَتَغَنَّى به العَذَارَى فَيبْعَثْن ... الهَوَى بعد صَحْوةٍ وَمَتَاب[٣٠]
تخِذَتْ فيكِ بِنْتُ عَدْنَانَ دارًا ... ذَكَّرَتْها بَدَاوَةَ الأَعْرَاب[٣١]
عَادَها الحُسْنُ في ذَرَاكِ ورَوَّا ... هَا عَلَى غُلَّةٍ نَمِيرُ الشَّبَابِ[٣٢]
وَغَدَتْ في عُكَاظَ بَيْنَ شُيُوخٍ ... فَتَنَتْهم بِسِحْرِها الْخلَّاب[٣٣]
خَلَعُوا في طِلابِها جِدَّة الْعُمْرِ، ... وقَدْرُ المطْلوبِ قَدْرُ الطّلَاب[٣٤]
وَدَنَوْا من خِبَائِها فَأَرَتْهم ... ثَمَراتِ النُّهَى وَسِرَّ الكِتَابِ[٣٥]

* * *

لَكِ دَارَ العُلومِ في كُلِّ نَفْسٍ ... أَثَرُ القَيْنِ في صِقَال الْحِرَابِ[٣٦]

حَسْبُ مُطْرِيك أنَّ كلَّ نَجيبٍ نَفْحَةٌ مِنْ رِجَالِكِ الأنْجَابِ
أنْتِ كالنِّيلِ، كُلَّما مَسَّ جَدْبًا هَزَّهُ بالنَّمَاء والإخْصَاب
كِيمِياءُ العُقُولِ أنتِ، تصوغيـ ـنَ نضارًا من النّحاسِ المُذَابِ[٣٧]
إنَّ خَمسِينَ حِجَّةً قد كَفَتْ مِنْكِ لِمَلْءِ الدُنْيا بكلِّ عُجاب[٣٨]
نَهَضَتْ مِصْرُ نَهْضَةَ النَّسْر فيها واسْتَوَتْ فَوْقَ مُسْتَقَرِّ العُقاب[٣٩]
كُلُّ عامٍ كَأَنَّهُ خُطْوَةُ الْجَبَّارِ أو وَثْبَةُ الأُسُودِ الغِضاب
كُلُّ عَامٍ كَأَنَّهُ عَلَمُ النَصْرِ بِكَفِّ المُظَفَّرِ الغَلَّاب
كُلُّ عامٍ كَطَالِعِ السَّعدِ شِمْنا هُ عَلَى طُولِ غَيْبةٍ وَاحْتِجاب[٤٠]
كُلُّ عَامٍ كَالفَجْرِ يَهْزِمُ لَيْلًا نَابِغِيَّ الهُمُومِ والأوْصاب[٤١]
كُلُّ عَامٍ كأَنَّهُ الأَمَلُ الضَا حِكُ، وافاكَ بعدَ طُولِ ارْتِقابِ
كُلُّ عامٍ كَوَافِدِ الْغَيْثِ تَلْقَا هُ وُجُوهُ الرِّيَاضِ بالتَرْحابِ

* * *

لا تهابِي دارَ العُلُومِ مُلِمًّا آفَةُ المجدِ والعُلَا أَنْ تَهابي![٤٢]
إنَّ في مِصْرَ لو عَلِمْتِ قُلُوبًا وَاجِفَاتٍ لقَلْبِكِ الوَجَّاب[٤٣]
سَتَنَالِينَ بالمَلِيكِ فؤادٍ كلَّ ما تَرْتَجِينَ مِنْ آرَاب[٤٤]
لا تُرَاعِي وفي الكِنَانةِ سَعْدٌ بَيْنَ أشْبَالِهِ الشِّدَادِ الصِّلاب[٤٥]
واطلبي الْخَيْرَ والمُنى مِنْ فُؤَادٍ ناشرِ الفَضْلِ، ناصِرِ الآداب
لا خَلَتْ مِصْرُ مِنْ نَدَاهُ فَقَدْ صا رَ عِنَانَ القُلوبِ طَوْقَ الرِّقاب[٤٦]

هوامش

(١) يريد بصلاة الإبريق: ميله في أيدي الشاربين ليصبوا منه الخمر ثم اعتداله. تشبيهًا بركوع المصلي واستوائه. المحراب: مكان الإمام في المسجد.

(٢) ديباجة الشيء: رواؤه ومظهره.

(٣) الفصل: القطعة من الحديث. صفحة الروض: ما بدا لك منه موشى بالزهر والنور. العقار: الخمر. فصل الخطاب: الكلام يسمو فلا يدرك له شأو ولا مدى.

(٤) النواسي: هو أبو نواس الحسن بن هانئ الشاعر المتفنن الجاد الماجن، ولد بقرية من كور خوزستان سنة ١٤٥هـ. وتوفي ببغداد سنة ١٩٩هـ. وأبو الخطاب: هو

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي، أشعر قريش وأرق أصحاب الغزل وأوصف الشعراء لأحوال النساء، ولد بالمدينة ليلة مات عمر بن الخطاب، ومات محترقًا في سفينة سنة ٩٣هـ. وخص النواسي وأبا الخطاب لما عرف من الأول من مجونه ووصفه للخمر، وعن الثاني من غزله وتشبيبه.

(٥) المدام: الخمر. القهقهة: ارتفاع الصوت بالضحك. الثلة: الجماعة.

(٦) حسوة الطير: المرة من شربه، ولا تكون إلا بمقدار ما يضع منقاره في الماء ثم يرفعه في عجلة وخوف شأن الذي يشغله ما يريبه. فهو يخاف أن يؤتى من مأمنه. الوحي: العجلة والسرعة. الارتياب: الشك.

(٧) الحباب: الفقاقيع تعلو سطح الماء.

(٨) القشب: الجديدة من الثياب، الواحد: قشيب. منفسات الثياب: النفيس المرغوب فيه منها.

(٩) القهر: الغلبة والاستطالة. ناصل الأعشاب: الذابل الذي ذهب لونه.

(١٠) سواد العيون: أعز شيء فيها. حبة القلب: سويداؤه. الخال: الشامة السوداء في الخد. والخود الشابة الحسنة الخلق الناعمة. الكعاب: الناهدة الثديين.

(١١) أحمد: هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي، الشاعر الحكيم، صاحب الأمثال السائرة، والمعاني النادرة. ولد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ ومات مقتولًا سنة ٣٥٤هـ. وكافور: هو أبو المسك الإخشيدي كان أسود اللون. تولى كافور ملك مصر سنة ٣٥٥هـ وبقي عليها إلى أن مات سنة ٣٥٧هـ. وكان أبو الطيب اتصل بكافور ومدحه. رجاء أن ينال عنده ما لم ينل عند غيره.

(١٢) غر: بيض. يصفها بالسماحة والطلاقة. أسارير الوجه: غضونه وخطوطه.

(١٣) نجر الذيول: أي نمشي في تيه واختيال.

(١٤) زينب: كنى بها الشاعر عن المحبوبة. الجناب: الناحية. خصب الجناب: أي معشب النواحي مخضرها. وهو كناية عن رغد العيش وخفضه.

(١٥) بنات الثغور: يشير إلى موطنه الأول رشيد، وهي ثغر من الثغور المصرية المعروفة بجمال خودها، وحسن عيدها، ويذكر أيامه الأولى بها. الألباب: العقول. الشمول: الخمر.

(١٦) الحجاب: ما تضعه المرأة على وجهها تستره به. الجوى حرقة الوجد وشدته. إذكاء الجوى: إشعاله وإيقاده.

(١٧) بانت وبنا: انقطعت عنا وانقطعنا عنها. تولت بشاشة الأحباب: أي حرمنا الهرم والكبر أنس الشباب وبشره.

(١٨) يد الدهر: أي طول الزمان. الأحقاب: السنون.

(١٩) هزنا الشوق: استخفنا وحركنا، اللدات والأتراب: المماثلون لك في سنك.

(٢٠) الخدن: الصديق. وشيجة: مشتبكة لا انفصام لها.

(٢١) وقد دار: أي عاد بنا إلى سيرتنا الأولى من الصبا والشباب. الإهاب: الجلد. نضرة الإهاب: دليل الشباب والفتوة.

(٢٢) الواجل: الخائف. الهياب: غير المقدام الذي يفقد الجرأة رعبًا وفزعًا.

(٢٣) الأفواف: ضروب من برود اليمن. تشبه الأزهار بها. ملث الرباب: السحاب الممطر.

(٢٤) العباب: الموج. نئيجه: صوته.

(٢٥) الوطاب: جمع وطب (بالفتح) وهو سقاء اللبن. يكنى بامتلاء الوطاب عن الغنى وبامتلاء الرأس عن العلم!

(٢٦) خطبه: خطره وشدته. يوم الحساب: يوم البعث. ويريد به هنا يوم امتحان الحساب.

(٢٧) ظلام الدجى: يريد به ظلمة الجهالة التي كانت تخيم على مصر، ويخبط فيها المصريون. الشهاب: أحد نجوم سبعة تعرف بالدراري.

(٢٨) الماضي: المقدام الذي لا يثنيه شيء. الشمرى: (بفتح الشين والميم أو بكسرهما) المجرب الجريء غير الهياب. المزاحم: الذي يغالب غيره ويقوى عليه. الوثاب: السباق إلى الغايات.

(٢٩) زفرة الغرام: جعل الشعر كزفرة المغرم حري صادقه التعبير عما يختلج في النفس، ويجيش في الصدر. الأوتاد: جمع وتد، وهو عند العروضيين على ضربين: مجموع ومفروق، فالمجموع هو كل ثلاثة أحرف سكن ثالثها، والمفروق كل ثلاثة أحرف سكن ثانيها. الأسباب: جمع سبب وهو كل حرفين تحركا أو سكن ثانيهما، ويسمى الأول منهما ثقيلًا والآخر خفيفًا. والأوتاد والأسباب ما تتألف منها التفعيلات في الشعر.

(٣٠) العذارى: الأبكار، الواحدة: عذراء. الصحوة: الإقلاع عن الهوى والخلاص من أسباب المجون. المتاب: التوبة.

(٣١) فيك: يخاطب دار العلوم. بنت عدنان: اللغة العربية، نسبة إلى عدنان الجد الأعلى للعرب. بداوة الأعراب: إقامتهم في البادية.

(٣٢) ذراك: نواحيك. الغلة: العطش أو شدته. النمير: الزاكي من الماء الناجع في الري.

(٣٣) عكاظ: سوق للعرب بين نخلة والطائف، وكانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يومًا، تجتمع فيها قبائل العرب فيتعاكظون، أي: يتناشدون ويتفاخرون. الخلَّاب: الذي يأسر الألباب ويستهويها.

(٣٤) طلابها: طلبها وتعلمها. جدة العمر: أوائله. ويريد أيام الشباب ومقتبله. وخلع جدة العمر: كناية عن إفناء الشباب وبذله.

(٣٥) الخباء: البيت يصنع من وبر أو شعر أو صوف.

(٣٦) القين: الحداد. صقال الحراب: شحذها وإعدادها.

(٣٧) النضار: الذهب. والكيمياء فيما كانوا يزعمون تصيير المعادن الخسيسة ذهبًا.

(٣٨) الحجة: السنة.

(٣٩) العقاب: طائر لا يتخذ وكره إلا في أعالي الجبال.

(٤٠) طالع السعد: فأله وما يجيء بشيرًا به ودليلًا عليه. شمناه: نظرناه.

(٤١) نابغي الهموم: كثيرها شديدها. وهو نسبة إلى النابغة الذبياني الشاعر المعروف، ويشير إلى قول النابغة في وصف الليل:

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

الأوصاب: الآلام.

(٤٢) ملمًّا: شيئًا ينزل بك مما تكرهين وتخافين، يشير إلى الفكرة التي نبتت في ذلك الوقت بإلغاء دار العلوم.

(٤٣) واجفات: مضطربة شفقة عليك. الوجاب: الخفاق.

(٤٤) فؤاد: هو الملك أحمد فؤاد الأول. الآراب: جمع أرب. وهو البغية والمأرب.

(٤٥) لا تراعي: لا تخافي ولا يملأ الرعب نفسك. الكنانة: مصر. سعد: هو سعد زغلول باشا زعيم النهضة.

(٤٦) الندى: الكرم والمعروف. العنان: ما تقاد به الدابة. والطوق: ما يكون حول العنق.

مَوْلدُ الفَاروق

نظم الشاعر هذه القصيدة بمناسبة احتفال البلاد بذكرى مولد الملك فاروق آخر ملوك مصر سنة ١٩٤٣م.

هاتِ من وحي السماء الكلِما ... واجعلِ الأيامَ والدنيا فمَا
وابْعثِ الشِّعْرَ جنَاحَيْ طائرٍ ... كُلَّما شارَفَ أُفْقًا دَوَّمَا[١]
أيُّ يَوْمٍ سعِدَتْ مِصْرُ به ... كان في طيِّ الأماني حُلُمَا
مولِدُ الفاروقِ يَوْمٌ بلغَتْ ... رايةُ الإسلام فيه القِممَا
طافت الأملاكُ تَرْقِي مهدَه ... وتُناجي ربَّها أن يَسلَمَا[٢]
فرأتْ لما رأتْه ملَكًا ... نورُه من نورِ سُكَّانِ السَّما[٣]
يُطبِقُ الغيمُ لدَى عَبْستِه ... ثمَّ يَنجابُ إذا ما ابتسمَا[٤]
ورأت في ابنِ فؤَادٍ ناشئًا ... يملأ الدنيا ويُحيي أممَا[٥]
وكريمًا بشَّرَ استهلالُه ... أنَّ في فيه الهدى والْحِكمَا[٦]
وجَبينًا علويًّا مُشْرِقًا ... يبهَرُ العينَ ويمحو الظُّلَمَا[٧]
كتب الله عليه أسْطُرًا ... تقْرأ النبْلَ بها والشّمَمَا[٨]
وَيدًا إنْ سكنت في يومِها ... هزَّت السيف غدًا والقلمَا
يتمنى الغيْثُ لو ساجلها ... أو تلقّى عن نداها الكرمَا[٩]
زُهِيَ المهدُ فَمَنْ أنبأه ... أنه يحوي العُلا والهممَا؟
وشدا الكونُ لدى مَوْلده ... أينما سرت سمعْتَ النَّغَمَا
وتنادت بُشْرَياتٌ باسمه ... صُدَّحًا في كلِّ أفق حُوَّمَا[١٠]

ومضت أصداؤها هاتفةً ... أنجبت مصرُ فتاها المعلَمَا[11]
ومشَى الدهرُ إلى ساحتهِ ... رأسُه كاد يُداني القدَمَا[12]
واللَّيالي خاشعاتٌ حولَهُ ... يترقبن رضاه خَدَما
وُلِدَ السعدُ على أبوابِه ... ونَما في ظلِّه لمَّا نمَا
فأتى التاريخُ في أبطالِه ... يلمحون العَبْقَرِيَّ المُلهَمَا
وبدا العرشُ وقد حلَّ به ... يَفْرَعُ الشمسَ ويعلو الأنجمَا[13]
ما رأى بعَد سليمانَ له ... مُشبهًا في عدلهِ إنْ حَكمَا[14]
زانه الفاروقُ من خَيْرِ أبٍ ... فدعِ المأمونَ والمعتصِمَا[15]
حينَ عزَّ الدينُ والملكُ به ... هَنَّأَ المِنْبرُ فيه العَلَمَا
لا ترَى العينُ به إلَّا عُلًا ... كلّما تسمو له العَيْنُ سَمَا
أين شعري وفُنوني مِنْ مدًى ... لو مضَى حَسَّانُ فيه أُفحِمَا[16]
أنا من فَيْضٍ له مُتّصِلٍ ... أنعُمٌ تمضِي فأَلقَى أنعُمَا
ليس بِدعًا أنْ زَهَا شعري به ... يزدهي الروضُ إذا الغَيْثُ همَا

هوامش

(١) شارف: أشرف عليه. أفقًا: ناحية. دَوّما: حلق في طيرانه.
(٢) الأملاك: الملائكة. ترقي: تعيذه.
(٣) سكان السما: المقصود الملائكة.
(٤) يطبق: يغطي. الغيم: السحاب. عبسته: تجهمه. ينجاب: ينكشف
(٥) ابن فؤاد: الملك فاروق ابن الملك فؤاد.
(٦) استهلاله: مطلعه. الهدى: الهداية. الحكما: اتقان الأمور.
(٧) علويًّا: نسبة إلى محمد علي باشا رأس الأسرة العلوية. يبهر: يعجب.
(٨) الشمم: الارتفاع والعلو والشرف.
(٩) الغيث: المطر وفيه مجاز مرسل. ساجلها: باراها وفاخرها. نداها: جودها.
(١٠) صدحًا: مغنيات بصوت حسن. حومًا: دائرًا حوله.
(١١) المعلما: من له علامة تميزه في الشرف أو في الشجاعة أو نحوهما.
(١٢) ساحته: المكان الذي هو به.

(١٣) يقرع: يعلو ويزيد علوه عليها.

(١٤) سليمان: سيدنا سليمان الحكيم لقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾.

(١٥) المأمون: الخليفة المأمون بن هارون الرشيد وكان عظيمًا. المعتصم: الخليفة المعتصم صاحب الجولات والصولات والفتوحات العظيمة.

(١٦) من مدى: غاية. حسان: هو حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ. أفحما: أسكت وأعجز عن أن يقول شعرًا.

قبعة بعد عمامة

كان الشاعر عضوًا في بعثة أرسلتها الحكومة المصرية إلى إنجلترا سنة ١٩٠٨م، فأرسل وهو هناك إلى والده صورته وهو بالقبعة وكتب تحتها هذين البيتين:

لَـبِـسْـتُ الآنَ قُـبَّـعَـةً بَـعـيـدًا عن الأوطانِ، مُعتادَ الشُّجونِ
فإنْ هِيَ غَيَّرَتْ شكلي فإنِّي «متى أضع العِمامةَ تعرفوني»

رثاء زعيم

أنشدت هذه القصيدة في حفلة تأبين المغفور له محمد محمود باشا بدار الأوبرا عام ١٩٤١م.

جُودِي بما شئتِ من ذوْبِ الأسَى جُودِي
أَوْدَتْ صُروفُ الليالي بابنِ محمودِ[١]
أَوْدَتْ بأشجعِ من حَفَّ الرَّعيلُ به
يومَ النِّضالِ، ومَنْ نادَى ومَن نُودي[٢]
أَوْدَتْ بمن تعرفُ الساحاتُ كَرَّتَه
إذا تنكَّبَ عنها كلُّ مَزْءود[٣]
ويشهدُ الحقُّ أنَّ الحقَّ في يدِه
سيفٌ يرُوعُ المنايا غيرُ مغمود[٤]

* * *

دعته مصرُ وللأحداثِ مَلْحَمةٌ
والخطبُ ما بينَ تَهْدارٍ وتهديد[٥]
وأنفُسُ الناسِ في ضيقٍ وفي كمدٍ
كأنَّها زفرةٌ في صدرِ معمود[٦]
حيرَى تلوذُ بآمالٍ محطمةٍ
كما يلوذُ غريمٌ بالمواعيد[٧]

طارت شَعاعًا وهَوْلًا مثلما عصفت
هُوجُ الرياحِ برملِ البيدِ في البيدِ[٨]
والجوُّ أكْلَفُ، والدنيا مُقطِّبةٌ
أيامُها البيضُ من ليلاتها السّود![٩]
ومصرُ ليس لها حِصْنٌ ولا وَزَرٌ
إلّا الغطاريفَ من أبنائها الصِّيد[١٠]
لها سلاحٌ من الإيمَان تشرَعُه
ينبو له كلُّ مصقولٍ ومحدود[١١]
فجاءها خالديَّ العزمِ في نفرٍ
شُمِّ الأُنوفِ صناديدٍ مناجيد[١٢]
من كلِّ أرْوعَ عُنوانُ الجهادِ به
قلبٌ ركينٌ، ورأيٌ غيرُ مخضود[١٣]
جاءوا يزاحمُهم عزمٌ وتفديةٌ
كما تصادم جُلْمودٌ بجلمود[١٤]
كأنَّهم حينما شدّوا لغايتهم
سهمُ المقاديرِ في قصدٍ وتسديدِ
صدُورهم بلقاء الهوْلِ شاهدةٌ
والطعنُ في الظهرِ غيرُ الطعنِ في الجِيد![١٥]
جادوا لمصرَ وفدَّوْها بأنفسهم
«والجودُ بالنفسِ أقصَى غايةِ الجود»
كم هشَّم الدهرُ من سنٍّ ليعجُمَهم
ولم تزَلْ في يديْه نَضْرةُ العود[١٦]
إن الذي خلق الأبطالَ صوَّرهم
من ثَوْرة البحرِ أو بأسِ الصياخيد[١٧]
يمشي الشجاعُ لحد السيف مُبتسمًا
ويرهَبُ الغِمدَ ذُعرًا كلُّ رِعْديد[١٨]
كم همّةٍ تفرَع الأجيالَ سامقةً
وهمةٍ ركدت بينَ الأخاديدِ[١٩]

وكم فتًى تسبِقُ الأيامَ وثبتُه
وللبطولةِ أُفْقٌ غيرُ محدود
وخاملٍ ما لآثارِ الحياة به
إلّا ورودُ اسمِه بينَ الموالِيدِ
ومَيّتٍ بعث الدنيا وعاش بها
ما كلُّ من ضمّه قبرٌ بملحود![٢٠]
سبحانك الله، إن تحرم فتزكيةٌ
وإن تُثِبْ فعطاءٌ غيرُ محدود[٢١]
تعطِي النفوسَ على مقدارِ جوْهرِها
ما كان لليثِ منها ليس للسِّيد[٢٢]
والمجدُ عَزْمةُ أبطالٍ مسدَّدةٌ
بريئةُ النصلِ من شكٍّ وترديد
وللعلا من صفات الغِيدِ أنَّ لها
دَلًّا يُروِّعُ تقريبًا بتبعيد

* * *

جاءوا إليك كموجِ البحرِ عُدَّتُهم
رأيٌ أصيلٌ، وصدرٌ غيرُ مفئودِ[٢٣]
فَقُدْتهم غيرَ هيّابٍ ولَا فَزِعٍ
إلى لواءٍ بحبلِ الله معقود[٢٤]
تمشي بهم في فيافي الشوْكِ معتزمًا
من يطلب المجدَ لا يبخلْ بمجهودِ[٢٥]
لا يستبيك سوى مصرٍ ونهضتِها
فكل شيءٍ سواها غيرُ موجود[٢٦]
من يقصد النجمَ في عُلْيا سماوتِه
نأى بِجانبِه عن كلِّ مقصود
وراءك الركبُ في يأسٍ وفي أملٍ
لما يرون، وتصديقٍ وتفنيد[٢٧]

تحنو على ضعفٍ من طال الطريقُ به
حـنـانَ والـدةٍ ثَـكْـلَـى بـمـولـود
وتلـمَـحُ الأفْـقَ، هـل بـالأفْـقِ مـن نـبـأٍ؟
وهـل مـن الـدهـرِ إنـجـازٌ لـمـوعـودِ؟
وهـل طـيـوفُ الأمـانـي وهـي حـائـرةٌ
تـدنـو بـطـيـفٍ مـن الآمـالِ مـنـشـود؟
وهل ترىَ مصرُ صُبحًا بعدَ ليلتها؟
وهـل تـقَـرُّ عُـيـونٌ بـعـدَ تـسـهـيـد؟
وهـل لـمـعـتَـقـلٍ فـي الـبـحـرِ مـن أملٍ
فـي أن يَـرَى قـومَـه من بعدِ تشريد؟[٢٨]
حـتـى بـدت غُـرَّةُ الـدُسْـتـورِ عـن كَـثَـبٍ
كـمـا تـبـدَّى هـلالُ الـعِـيـدِ فـي الـعـيـد[٢٩]
فـأرسـلـتْ مـصـرُ بـنـتُ الـنـيـل من دِمـهـا
وَردًا تَـزيـنُ بـه هـامَ الـصـنـاديـد[٣٠]
وصـفَّـقـت لـحُـمـاةِ الـغِـيـلِ تُـنـشـدُهـم
مـن الـبـطـولـةِ مـأثـورَ الأنـاشـيـد
والـنـاسُ بـيـنَ بـشـاشـاتٍ وتـهـنـئـةٍ
وبـيـنَ شـكـرٍ وتـكـبـيـرٍ وتـحـمـيـد
جـاء الـزمـانُ فـلا قـوْلٌ بـمـمـتـنـعٍ
عـلـى الـلـسـانِ، ولا حـرٌّ بـمـصـفـود[٣١]
وأشـرقَ الـصـبـحُ والـدنـيـا مـهـلِّـلَـةٌ
كـأنَّـه بَـسـمـاتُ الـخُـرّدِ الـغِـيـد[٣٢]
مـن يـنـصـرِ الـلـه لا جَـوْرٌ يَـحـيـدُ بـه
عـن الـطـريـق، ولا جَـهْـدٌ بـمـفـقـود![٣٣]
سيكتُبُ الدهرُ، فليكتبْ! فليس يَرَى
إلا صـحـائـفَ تـشـريـفٍ وتـمـجـيـدِ

* * *

نَمَتْ خلائقُه في بيتِ مَكْرُمةٍ
في سُوحِهِ المجدُ فينانُ الأماليد
بيتٌ دعائمهُ نُبْلٌ وتضحيةٌ
إذا بنى الناسُ من صخرٍ ومن شيد[٣٤]
وسار في سَنَن الآباء متَّئِدًا
أمرٌ مطاعٌ، ورأيٌ غيرُ مردود[٣٥]
وهمّةٌ تتأبَّى أن يُقال لها:
إن جازتِ النجمَ في مسعاتِها: عودِي[٣٦]
تجرَّدت لصعابِ الدهرِ واثبةً
وَيْلَ المصاعبِ من عزمٍ وتجريد[٣٧]
وفكرةٌ لو تمشّت نحوَ معضلةٍ
صَفَتْ مواردُها من كلِّ تعقيد
وعزَّةٌ نظرت للكونِ مِن شَرَفٍ
عالٍ، يَعِزُّ على رَقْيٍ وتصعيد[٣٨]
قالوا: هي الكِبْرُ، قلتُ: الكبر مَحْمَدةٌ
إذا تساميتَ عمّا بالعلا يودِي[٣٩]
ترنو إليه فتُغضِي من مهابتِه
فالطرفُ ما بينَ موصولٍ ومصدود
خاض السياسةَ نفَّاذَ الذكاءِ فما
رأْيٌ بنابٍ، ولا عزمٌ بمكدود[٤٠]
فكم له وقفةٌ فيها مجلجِلةٌ
وكم مقامٍ عزيزِ النصر مشهود!
وكان خصمًا شريفَ الصدرِ مرتفعًا
عن الدنيّاتِ إنْ عادَى وإنْ عودي
فاسأل مُناصرَه، أو سَلْ مخالفَه
فليس فضلُ ابنِ محمودٍ بمجحود[٤١]
لمَّا رمَى زُخْرُفَ الدنيا وباطلَها
ألقتْ إليه المعالي بالمقاليد

خـذِ الـرثـاء نـواحًـا مـلـؤُه شَـجَـنٌ
لـم تـبـقَ بـعـدَكَ أدواحٌ لـتـغـريـدي![٤٢]
مـا فـي يـدي غـيـرُ أوتـارٍ مـحـطَّـمـةٍ
يبكي لها العُودُ، أو تبكي على العودِ
وكـلُّ جـمـعٍ إلـى بَـيْـنٍ وتـفـرقـةٍ
وكـلُّ شـمـلٍ إلـى نـأْيٍ وتـبـديـد![٤٣]
أمست تـجـالـيـدُه فـي جـوْفِ مـظـلـمـةٍ
كـم صَـوْلـةٍ وإبـاءٍ فـي الـتـجـالـيـد![٤٤]
نَـمْ ملء جـفـنـيْـكَ فـي رُحْـمَـى ومـغـفـرةٍ
ووارفٍ مـن ظِـلال الـلـه مـمـدودِ
إنّ الـبـطـولـةَ والأجـسـادُ فـانـيـةٌ
تـبـقَـى على الدهر في بعثٍ وتجديد
لـم يَـحْـلُ مـنـكَ مـكـانٌ قـد تـركـتَ بـه
مـا يـمـلأُ الأرضَ مـن ذكـرٍ وتـخـلـيـد

هوامش

(١) أودت: ذهبت. صروف: نوائب وأحداث. ابن محمود: هو محمد محمود باشا وهو أحد رؤساء وزراء مصر السابقين.
(٢) حف: طاف به. الرعيل: الجمع.
(٣) الساحات: الميادين. كرته: هجومه. تنكب: مال. مزءود: مذعور، خائف.
(٤) يروع: يفزع. المنايا: الموت. غير مغمود: مسلول خارج الغمد.
(٥) ملحمة: معركة أو وقيعة عظيمة. الخطب: المصاب. تهدار: باطلًا.
(٦) كمد: حزن مكتوم. زفرة: تنفس. معمود: شديد الحزن.
(٧) تلوذ: تأوي. غريم: مغرم.
(٨) شعاعًا: منتشرة، متفرقة. هولًا: فزعًا. هوج: حمق. البيد. الصحراء.
(٩) أكلف: أسود. مقطبة: متجهمة.

(١٠) حصن: واق، حافظ. وزر: ملجأ. الغطاريف: السادة العظماء الشجعان، الكرماء. الصيد: الرؤساء المعتزون بأنفسهم.

(١١) تشرعه: تسنه. ينبو: يتجافى ويبعد. مصقول: سيف. محدود: ذو حد.

(١٢) خالدي: نسبة إلى البطل الإسلامي خالد بن الوليد. شم الأنوف: عالي الهمة. صناديد: شجعان. مناجيد: معينون.

(١٣) أروع: رجل يعجبك. عنوان الجهاد به: يعرف به الجهاد. قلب ركين: قلب له أركان عالية أي: قوي. غير مخضود: غير مقطوع أو مكسور أي: سديد.

(١٤) تفدية: فداء. جلمود: صخر.

(١٥) الجيد: العنق.

(١٦) سن: عمر. ليعجمهم: يسكتهم فلا يسمع لهم صوت. نضرة العود: رونقه.

(١٧) بأس: شدة. الصياخيد: الصخور.

(١٨) رعديد: جبان.

(١٩) تفرع: تزداد علوًّا، أعلا من. ركدت: سكنت وهدأت. الأخاديد: الشقوق المستطيلة من الأرض.

(٢٠) بعث الدنيا: أحياها بعد موتها.

(٢١) تزكية: إصلاح. تثب: تجزى. محدود: لا حدود له.

(٢٢) جوهرها: لبها وما بداخلها. الليث: الأسد والمقصود عظماء الرجال. السيد: العوام.

(٢٣) مفئود: من أصيب فؤاده أي: الخائف الجبان.

(٢٤) لواء: علم. معقود: موصول.

(٢٥) فيافي الشوك: الصحراء الممتلئة بالشوك والمراد السبل الصعبة.

(٢٦) لا يستبيك: لا يستهويك.

(٢٧) تفنيد: تكذيب.

(٢٨) معتقل في البحر: المقصود زعماء مصر الذين نفاهم الإنجليز.

(٢٩) غرة: أول.

(٣٠) هام: رأس. الصناديد: الشجعان.

(٣١) مصفود: مقيد.

(٣٢) الخُرد: ذات الحياء. الغيد: المرأة الشابة الحسناء.

(٣٣) جور: ظلم.
(٣٤) شيد: ما طلي به.
(٣٥) سنن الآباء: شريعة الآباء. مئتدًا: متمهلًا.
(٣٦) تتأبى: تأنف وتمتنع.
(٣٧) تجردت: استعدت وتهيأت.
(٣٨) رقي: ارتقاء.
(٣٩) تساميت: علوت. يودي: يقتل.
(٤٠) نفاذ الذكاء: حاد الذكاء. بناب: بعيد. بمكدود: متعب.
(٤١) بمجحود: بمنكر.
(٤٢) أدواح: الشجر الكبير ذو الأفرع الكثيرة.
(٤٣) بين: فراق. نأي: بعد.
(٤٤) التجاليد: جسم الإنسان وأعضاؤه.

التَّاجيَّةُ الكُبْرى

قيلت هذه القصيدة في تهنئة الملك فاروق بتولي سلطته الدستورية يوم الخميس ٢١ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٦هـ/٢٩ يوليه سنة ١٩٣٧م.

خَشَعَت لفَيضِ جَلالِكَ الأبْصارُ وَذَكَتْ بِمِسْك خِلَالِكَ الأَشْعَارُ
وَتوسَّمتْ مِصرُ العُلَا في طَلْعةٍ قد حَفَّها الإجْلالُ والإكْبار[١]

* * *

مَلِك تَغَار النَّيِّراتُ إذا بَدَا أَسَمِعْتَ أنَّ النَّيِّرات تَغَار؟[٢]
وَدَّتْ لَو اشْتَملتْ بَفضْل رِدَائه هَيْهاتَ ثَوْبُ المَجْدِ لَيْس يُعَار
شَتَّانَ بَيْن النيِّراتِ ومَنْ بِهِ سُبُلُ البُطُولَةِ والْحَيَاة تُنَار
تهْدَى العُيُونُ بضَوْئهنّ وضَوْءُه تُهْدَى البَصائِرُ فِيه والأَبْصَارُ[٣]
ولها مَدارٌ من فَضَاءٍ مُبْهَمٍ ولَكَ العُلَا والمكْرُمَاتُ مَدَار
غُضِّي جُفُونَكِ يا نُجومُ فدوْنَه تَتَضاءَلُ الآمَالُ والأَقْدار
أنتُنّ أقْربُ مُشْبِهٍ لِهِبَاته فِكلاكُما مِنْ راحَتَيْه نثَار[٤]

* * *

مِن حُسْنِه اخْتَلَس الأصيلُ جَمالَه وبِبِشْرِهِ تَتَبسَّمُ الأَسْحَار[٥]
تبدُو سَجَايا النُّبْلِ وَهْي قَلائِلٌ فإذا حَلَلْن ذَرَاه فَهْي كِثَار
أَبْصَرنَ فِيه نَصِيرَ كُلِّ كَريمةٍ إنْ قَلَّت الأَعْوانُ والأنْصار

* * *

لـلـه يـومُـكَ والـضِّـيـاءُ يَـعُـمُّـه ... فَـعَـشِـيُّـهُ سِـيَّـانِ والإبْـكـار
نَسِـيت بـه الآمـالُ جَـفْـوةَ دَلّـهـا ... ومِـنَ الـدَّلالِ تَـحـجُّـب ونِـفَـارُ[٦]
يَـوْمٌ تَـمـنَّـاه الـزَّمـانُ وطَـالَـمـا ... مَـدَّتْ إلـيـه رُءُوسَـهـا الأَعْـصَـار[٧]
سَفَرتْ به البُشْرَى فَطاحَ قِناعُها ... عَمْدًا وطَار مع الهَواء خِمار[٨]
والنَّفْسُ أَغْرَى بالْجَمالِ مُحجَّبًا ... إنْ زُحْزِحَتْ مِنْ دُونِه الأسْتار[٩]
ما صُبْحُ يومٍ والسَّماءُ مَريضةٌ ... كصَبَاحِ يَوْمٍ والنَّهارُ نَهار[١٠]
يَوْمٌ غَدَا بين الدُّهُورِ مُمَلَّكًا ... يُومأ إلَيه مَهَابةً ويُشَار[١١]
الأمْسُ يَجْزَع أنْ تقَدَّمَ خُطْوَةً ... وَغَدٌ أَطَارَ صَوابَه اسْتِئْخار[١٢]
يوْمُ جَثَا التاريخ فيه مُدوِّنًا ... لله ما قَدْ ضَمَّتْ الأَسْفارُ![١٣]
وتصفَّح الأخْبَارَ يَبْغِي مِثْلَه ... هَيْهَاتَ تحْوِي مِثْلَه الأخْبَار
يـوْمٌ كـأَنَّ ضِـيَـاءَه مِـنْ أعْـيُـنٍ ... مِنْ طُولِ ما اتَّجَهتْ له الأنْظارُ

* * *

يَكْفِيه أن يُنْمَى لِأَكْرمِ سُدَّةٍ ... سَعِدَتْ بها الأيَّامُ والأمْصَارُ[١٤]
بَيْتٌ له عَنَتِ الوُجُوه خَواشِعًا ... كالبَيْت يمْسَح رُكْنه ويُزَار[١٥]
ضُمَّتْ به فِلَذُ القُلُوبِ فكَوَّنتْ ... بَيْتًا، فلا صَخْر ولا أَحْجَار[١٦]
الدينُ والْخُلُقُ المَتِينُ أَساسُه ... وحِيَاطَةُ المَوْلَى له أَسوَار
رَحُبتْ به السَّاحَاتُ فَهْوَ مَثابةٌ ... وعَلاَ عُلُوَّ الْحَقِّ فهْوَ مَنَار[١٧]
غِيلٌ تهَابُ الأُسْدُ بَطْشَ لُيوثِه ... وتَخُونُها الأَنيَابُ والأظْفَارُ[١٨]
مِنْ كُلِّ خَطَّارٍ إلَى غَايَاتِهِ ... يُزْهَى به الصَّمْصَامُ والْخَطَّار[١٩]
نَدْب إذا حَلَّ الْحُبَاءَ لغَارةٍ ... أَلْقَى السِّلَاحَ الفَارِسُ المِغْوَار[٢٠]
حامَتْ نُسورُ النَّصْرِ حَوْلَ جُيُوشِهم ... حتَّى كأَنَّ غُبارَها أَوْكار[٢١]
شُمْسُ العَدَاوةِ والْحُسَامُ مُجَرَّدٌ ... فإذَا انْطَوَى فَمَلائِكٌ أَطْهار[٢٢]
سَبَقوا وُثُوبَ الْحادِثاتِ وبادَرُوا ... إنَّ الْحَياةَ تَوثُّبٌ وبِدَار[٢٣]
وعَلَوْا لِنَيْلِ المَجْدِ كُلّ مَطِيَّةٍ ... لو كَان نَجْمًا في السَّمَاء لَطَارُوا
الْخَالِدُون عَلَى الزَّمان وأَهْلِهِ ... تَفْنَى الرجالُ وتَخْلُدُ الآثارُ

جاءُوا ومِصْر عَفَتْ معالمُ مَجْدها ... لا مِصْرُ مِصْرُ ولا الدِّيارُ دِيَارُ[٢٤]
العِلْمُ يخْفِقُ للزَّوالِ سِرَاجُه ... والعَدْلُ مُنْدَكُّ الذُّرَا مُنْهارُ[٢٥]
والناسُ في حَلَكِ الظَّلام يَسُوقُهم ... نَحْوَ الفَنَاء تَخَبُّطٌ وعِثَار[٢٦]
فَبدَا (مُحمَّدكُم) فهَبَّ صَرِيعُهمْ ... حَيًّا، كَذَاك البَعْثُ والإنْشَار[٢٧]
والتفَّت الرَّاياتُ حولَ لِوائِه ... ودَعا الغُفَاةَ إلى المَسِير فَساروا[٢٨]
وأعادَ مَجْدَ الأَوَّلين بَعزْمةٍ ... إيرادُها للله والإصْدَار[٢٩]
إنَّ النُّفوسَ تَضِيقُ وَهْيَ صَغِيرةٌ ... ويَضِيق عنها الكَوْنُ وَهْيَ كِبَار
فاروقُ، عيدُك هَزَّ أَدْوَاحَ المُنَى ... وتَعطَّرتْ بعَبِيرِه الأَزهارُ
اليُمْنُ يَسْطَع في جَبِينِ نهارِه ... والسَّعْدُ كوْكبُ لَيْلِه السَّيَار
رَقَصَتْ به الرَّاياتُ باديةَ الْحُلَى ... الْحُبُّ رَنَّحها والاسْتِبْشَار
مُتَلفِّتاتٍ حَوْلَ رَكْبِك حُوَّمًا ... لا يَسْتقِر لوَجْدِهِنّ قَرَار[٣٠]
مُتَدلِّلاتٍ ما عَرَفْن صَبَابةً ... نَشْوَى وما لَعِبْت بهنّ عُقَار[٣١]
جَعَلتْ سَمَاءَ النيل رَوْضًا أَخْضَرًا ... هَيْهاتَ مِنْه الرَّوْضَةُ المِعْطار

* * *

والناسُ قَدْ سَدُّوا الفَضَاء كأَنَّهم ... بَحْرٌ يَعجُّ عَجِيجُه زَخَّار[٣٢]
لو صُبَّتِ الأَمْطَارُ صَبًّا فَوْقَهم ... ما مَسَّ مَوْطِئَ نَعْلِهم أَمْطارُ
مُتجمِّعين كأَنَّهم سِرْبُ القَطا ... مُتَدفِّقين كأَنهم أنْهار[٣٣]
قَدْ لَوَّحوا بالرَّاحَتَيْن وزَاحَمُوا ... وتَلفَّتوا بالنَّاظِرَيْن ومَارُوا[٣٤]
لهُم دَوِيٌّ بالهُتافِ وضَجَّةٌ ... ولهمْ بصِدْقِ دُعائِهم تَهْدَار[٣٥]
رفَعُوا العَمارَ وَبَعْثرُوا أَزْهَارَهم ... فالْجَوُّ زَهْرٌ ناضِرٌ وعَمَار[٣٦]
حُبُّ المَلِيكِ الأَرْيَحِيِّ شِعَارهم ... لو كَانَ يُنْسَجُ للْوَلَاء شِعار[٣٧]
قَرءُوا السعادةَ في جَبِينك أَسْطُرًا ... بيَدِ المُهيْمن هذه الأَسْطار[٣٨]
ورَأَوْا شَبَابًا كالْجمَان يَزِينُه ... أَنَّى التَفَتَّ جَلَالةٌ ووَقَار[٣٩]
سُسْتَ القُلوبَ فنلْتَ أكْرمَ وُدِّها ... وعَرَفْتَ بالإحْسانِ كيف تُثار
ومِنَ القُلُوبِ حَدائقٌ بَسَّامةٌ ... ومِنَ القُلُوبِ سَباسِبٌ وقِفَارُ[٤٠]
مَنْ يَغْرِسِ الصُّنْعَ الْجَميلَ بأُمَّةٍ ... فَلهُ من الشُّكْرِ الْجَمِيلِ ثِمَار
لما رَأَوْك رأَوْا بَشاشاتِ المُنَى ... الوَجْهُ نَضْرٌ والشَّبَابُ نُضَار[٤١]

مُتَسرْبِلًا ثَوْبَ الهُدَى مُتواضِعًا ... لله، لا صَلَفٌ ولَا اسْتِكْبار[٤٢]
نُورُ الإلَه يَدُور حَوْلَك هَالةٌ ... لم تَزْدَهِر بمَثِيلها الأَقْمَار[٤٣]
في مَوْكِبٍ للمُلْك يَخْتَلِب النُّهَى ... وَتَتيه في تَصْوِيره الأفَكْارُ[٤٤]
فَتَن العُيوَن الشَّاخِصاتِ بِسِحْره ... إنَّ الْجَمالَ لَفاتِنٌ سَحّار[٤٥]

* * *

فاروقُ، تاجُك رَحْمةٌ وسَعادةٌ ... للوادِيَيْن وعِزَّةٌ وفَخار[٤٦]
تتألّق الآمالُ في جَنَباتِه ... ويَدُورُ نَجْمُ السَّعْدِ حَيْثُ يُدَار
ما نالَه (كِسْرَى) ولم يَظْفَر له ... بمُمَاثِل يومَ الفَخارِ (نِزَارُ)[٤٧]

* * *

نورُ الجبين السَّمْحِ مازَجَ ضَوْءَه ... فتَشَابَه الأضْوَاءُ والأَنْوَار
المُلْكُ فيكَ طَبِيعةٌ وورَاثةٌ ... والمَجْدُ فيكَ سَليقَةٌ ونِجَار[٤٨]
أَعْلَيْتَ دينَ الله جَلَّ جَلالُه ... فَرَسَا له أَصْلٌ وطَالَ جِدَار
الدِّينُ نُورُ النَّفْسِ في ظُلُماتِها ... والعَقْلُ يَعْثُرُ والظُّنُونُ تَحَار
بِيْن المَنابر والمآذِن بَهْجَةٌ ... وتَحدُّثٌ بِصَنِيعكم وَحِوَار
آياتُ نُبْلِك في شَبابِك سُبَّقٌ ... للمَجْدِ لم يُشْقَقْ لهنّ غُبَار
يَبْدو شَذَا الرَّيْحانِ أَوَّلَ غَرْسِه ... ويَبينُ قَدْرُ الدُّرِّ وَهْي صِغَار[٤٩]
فَتَحَتْ لك الدُّنيا كنوزَ هِبَاتِها ... تخْتارُ مِنها اليَوْمَ ما تَخْتار
يُمْناك يُمْنٌ للبلاد ورَحْمةٌ ... غَدَقٌ ويُسْرَى راحَتَيْك يَسارُ
بَهَرتْ رِجالَ الغَرْب منك شَمائِلٌ ... خُلُقٌ أَغَرُّ وَرَاحةٌ مِدْرار
عَرَفوا بمَجْدك مَجْدَ مِصْرَ ونُبْلَها ... وتَحدَّثتْ بِخلالك السُّمَّار
وغَدَوْتَ فَألًا للعُلَا فتحقَّقَتْ ... فيك المُنَى وانحطَّتِ الآصَارُ[٥٠]
وتخطَّرتْ مِصْرٌ إلى فَارُوقِها ... غَيْداءَ ما شانَ الْجَمالَ إسَار[٥١]
شَمَّاءَ يَحْنِي الدهرُ أَصْيَدَ رَأْسِه ... لجَلالها وتُطَأْطِئُ الأَقْدار[٥٢]
فانْعَم بما أُوتيتَ واهْنَأ شاكِرًا ... نِعَمَ الإلَهِ فإنَهنّ غِزَار
لا زِلْتَ بالنَّصْر المُبِينِ مُتوَّجًا ... تَحْيَا بِك الأَوْطانُ والأَوْطار[٥٣]

هوامش

(١) توسمت: تبينت. حفها: أحاط بها واستدار.

(٢) النيرات: الكواكب الوضاءة المتلألئة.

(٣) البصائر: جمع بصيرة، وهي العقل والفطنة.

(٤) النثار: المنتثر المتفرق.

(٥) الأسحار: جمع سحر (بالتحريك)، وهو قبيل الصبح.

(٦) الجفوة: الإعراض. الدل: التمنع مع رغبة. التحجب: التستر والاختفاء. النفار: الصد والبعد.

(٧) الأعصار: الدهور، الواحد، عصر.

(٨) سفرت: بانت وتجردت عما يسترها.

(٩) أغرى: أكثر ولعًا وأشد تعلقًا.

(١٠) مريضة: أي متلبدة بالغيوم غير صاحية الجو. النهار نهار، أي: صحو مضيء.

(١١) مملكًا، أي: ملكا عليها، يومأ إليه: يشار إليه. المهابة: الخشية.

(١٢) استئخار: أي تأخر. أطار صوابه: ذهب بلبه ورشده.

(١٣) جثا: جلس على ركبتيه. الأسفار: الكتب الكبار، الواحد: سفر.

(١٤) ينمي أي: يرتفع بالانتساب إليها. لأكرم سدة، أي: لأكرم بيت. السدة (في الأصل): الباب والظلة فوقه.

(١٥) عنت: خضعت. ويريد بالبيت (الثاني): الكعبة.

(١٦) فلذ القلوب: قطعها، الواحدة: فلذة (بالكسر).

(١٧) رحبت: اتسعت. الساحات: النواحي. مثابة: أي مقصد للقاصدين وملتقى للوافدين. المنار: مبعث النور.

(١٨) الغيل (بالكسر): الشجر الكثير الملتف، وهو موضع الآساد. الليوث: الآساد، الواحد: ليث(بالفتح). بطشها: عدوانها في شدة وصولة.

(١٩) خطار إلى غاياته، أي: ساع إليها في تيه وإعجاب. يزهى: يعجب. الصمصام: السيف لا ينثني. الخطار: الرمح.

(٢٠) الندب: الخفيف السريع في الإغاثة. الحباء (بالضم وبكسر): جمع حبوة (بالضم والفتح)، وهو ثوب يشده العربي وهو جالس القرفصاء. وحل الحبوة كناية عن

القيام، كما يكنى بربطها عن القعود، ويريد «بحل الحباء»: الاستعداد للحرب. المغوار: الشجاع الكثير الغارة.

(٢١) حامت: حلقت ودارت، وفي حومان النسور دليل على كثرة قتلهم لأعدائهم، فهي تحوم لتطعم من جثث القتلى. الأوكار: جمع وكر، وهو العش.

(٢٢) شمس العداوة: أي لا يرجعون ولا ينثنون عن التنكيل بأعدائهم. الحسام المجرد: السيف المسلول من غمده. انطوى: أي أدخل في غمده، وهو كناية عن السلم.

(٢٣) بدار: أي سرعة وتعجل.

(٢٤) عفت: اندثرت وانمحت.

(٢٥) يخفق: يضطرب في نوره. الذرا: جمع ذروة، وهي من كل شيء أعلاه. منهار: متهدم.

(٢٦) العثار: التعثر في الشيء، لا تكاد تستوي حتى تقع.

(٢٧) محمدكم، أي: محمد علي باشا بن إبراهيم أغا، جد الأسرة العلوية، ولد ببلدة قولة سنة ١١٨٣هـ/١٧٦٩م، وكان يحترف تجارة الدخان في صباه، ثم تطوع في الحملة العثمانية التي جاءت لطرد الفرنسيين من مصر، وبقي في مصر بعد جلاء الفرنسيين حتى صار واليًا عليها، وإليه تعزى نهضتها في مناحيها المختلفة. وكانت وفاته بالإسكندرية في ١٣ من رمضان سنة ١٢٦٥هـ/٢ من أغسطس سنة ١٨٤٩م. ونقلت جثته إلى القاهرة حيث دفنت بمسجده الذي شيده بالقلعة.

(٢٨) اللواء: العلم. الغفاة: النائمون.

(٢٩) الإيراد والاصدار: الفعل والترك.

(٣٠) حومًا: حائمة تدور به وتطوف. الوجد: الشوق وشدته.

(٣١) العقار: الخمر، لمعاقرتها.

(٣٢) يعج عجيجه: يرتفع صوت أمواجه المتلاطمة. الزخار: الذي فاض وطما.

(٣٣) السرب: الجماعة. القطا: جمع قطاة. وهي طائر في حجم الحمامة.

(٣٤) ماروا: تحركوا بسرعة جيئة وذهابًا.

(٣٥) الدوي: الصوت الشديد. التهدار: الصوت المرتفع.

(٣٦) العمار: الريحان، الواحدة: عمارة (بالفتح).

(٣٧) الأريحي: الذي يرتاح للندى والمعروف. الشعار: الثوب الذي يلي الجسد. الولاء: الإخلاص والمحبة.

(٣٨) المهيمن: من أسماء الله تعالى.

(٣٩) الجمان: اللؤلؤ.

(٤٠) بسامة: مشرقة بالنور والزهر، السباسب: المفازات لا ماء فيها، الواحدة سبسب. القفار: الأرض المقفرة المجدبة، الواحدة: قفر.

(٤١) البشاشات: جمع بشاشة، وهي طلاقة الوجه وبشره. نضر: حسن جميل. النضار: الذهب أو الفضة، وقد غلب على الأول.

(٤٢) متسربلًا: لابسًا. الصلف: الكبر.

(٤٣) الهالة: دائرة تحيط بالقمر. تزدهر: تضيء وتتلألأ.

(٤٤) يختلب النهى: يسلب العقول، وواحدة النهى: نهية. تتيه: تضل وتعيا.

(٤٥) فتن العيون استمالها وجعلها تنصرف إليه إعجابًا. الشاخصات: الناظرات إليه المتعلقة به.

(٤٦) الواديان: مصر والسودان.

(٤٧) كسرى (بكسر الكاف وفتحها): لقب ملوك الفرس. نزار: هو نزار بن معد، وقبيلته أشرف العرب أحسابًا.

(٤٨) السليقة: الطبيعة. النجار (بالكسر): الأصل والحسب.

(٤٩) شذا الريحان: رائحته العطرة التي تنبعث عنه.

(٥٠) الآصار: أي الأعباء والأثقال التي كانت تنوء بها مصر، الواحد: إصر (بالتثليث).

(٥١) تخطرت: مشت في تيه وعجب. الغيداء من النساء: اللطيفة الحسنة المتثنية لينا.

(٥٢) شماء: ذات أنفة وإباء. أصيد رأسه: أي رأسه الذي يميل كبرًا وزهوًا.

(٥٣) الأوطار: الحاجات ذات البال والشأن، الواحد: وطر (بالتحريك).

السُّودان

أنشد الشاعر هذه القصيدة في جمع حافل بالخرطوم في زيارة للسودان الشقيق عام ١٩٤١م.

يا نَسْمَةً رنَّحتْ أعطافَ وادينا ... قِفي نُحيِّيك، أو عوجي فحيِّينا![١]
مرَّتْ مع الصبح نَشْوَى في تكسُّرها ... كأنَّما سُقِيتْ من كفِّ ساقينا[٢]
أرختْ غدائرَها أخلاطَ نافِجةٍ ... وأرسلتْ ذيلَها وردًا ونِسْرينا[٣]
كأنَّها روضةٌ في الأفقِ سابِحةٌ ... تمجُّ أنفاسُ مَسْراها الرياحينا[٤]
هبَّتْ بنا من جنوبِ النيلِ ضاحكةً ... فيها من الشوقِ والآمالِ ما فينا
إنَّا على العهدِ لا بُعدٌ يحوِّلنا ... عن الودادِ، ولا الأيامُ تُنْسينا
أثرتِ يا نسمَة السودانِ لاعجةً ... وهِجْتِ عُشَّ الهَوى لو كنتِ تدرينا[٥]
وسِرْت كالحلم في أجفان غانية ... ونشوة الشوق في نجوى المحبينا
ويحي على خافقٍ في الصدر محتبِسٍ ... يكاد يطفر شوْقًا حين تسرينا
مرّت به سنواتٌ ما بها أَرَجٌ ... من المُنَى فتمنّى لو تمرِّينا![٦]

* * *

نبَّهتِ في مصرَ قُمْريًّا بِمُعشبةٍ ... من الرياض كوجهِ البِكْر تلوينا[٧]
فراح في دَوْحِهِ، والعودُ في يده ... يردِّد الصوتَ قُدْسيًّا فيُشْجينا
صوتٌ من الله تأليفًا وتهيئةً ... ومن حفيفِ غصونِ الروْضِ تلحينا
يَطيرُ من فَنَنٍ ناءٍ إلى فَنَنٍ ... ويبعَثُ الشدْوَ والنجوَى أفانينا

يا شاديَ الدَّوْحِ، هل وعدٌ يقربُنا ... من الحبيبِ، فإنَّ البعدَ يُقْصينا؟
تشابهت نَزَعاتٌ من طبائعنا ... لما التقتْ خَطَراتٌ من أمانينا[٨]
فجَاء شعري أنَّاتٍ مُنَغَّمةً ... وجاء شعرُك غَمْرَ الدمع محزونا
شعرٌ صَدَحنا به طبعًا وموهِبَةً ... وجاشَ بالصدرِ إلهامًا وتلقينا
والنَّفسُ إنْ لم تكنْ بالشعرِ شاعرةً ... ظَنَّتْه كلَّ كلامٍ جاء موزونا
تعزّ يا طيرُ، فالأيامُ مقبلةٌ ... ما أضيقَ العيشَ لو عزَّ المُعَزّونا!
خُذِ الحياةَ بإيمانٍ وفلسفةٍ ... فربَ شرٍّ غدًا بالخيرِ مقرونا
فَكمْ وزنًا فما أجدتْ موازنةٌ ... في صَفْحةِ الغيبِ ما يُعْيي الموازينا
الكون كوَّنه الرحمنُ من قِدَمٍ ... فهل تريدُ له يا طيرُ تكوينا؟!
إن المُنَى لا تُواتي من يهيمُ بها ... كالغيدِ ما هجَرتْ إلّا الملحّينا[٩]
تبكي وبينَ يديْكَ الزهرُ من عَجَبٍ ... والأرضُ تبرًا ورَوْضاتُ الهَوى غِينا[١٠]
والماءُ يسبَحُ جذْلانَ الغَديرِ إلى ... منابتِ العُشْبِ يُحييها فيُحيينا
والزهرُ ينظرُ مفتونًا إلى قَبَسٍ ... يُطِلُّ بين ثنايا السُّحْبِ مفتونا
قد حزْتَ مُلْكَ سليمانٍ ودولَته ... لكَ الرياحُ بما تختارُ يجرينا[١١]
ما أجملَ الكونَ لو صحَتْ بصائرُنا ... وكيف نُبْصِرُ حُسْنَ الشيءِ باكينا؟
الله قد خلق الدنيا ليُسعدنا ... ونحن نملؤُها حُزنًا وتأبينا

* * *

إن جُزْتَ يومًا إلى السودانِ فارْع له ... مودّةً كصفاء الدرِّ مكنونا[١٢]
عهدٌ له قد رَعَيْنَاهُ بأعيُنِنا ... وعُرْوةٌ قد عقدناها بأيدينا
ظِلُّ العرُوبةِ والقرآنِ يجمَعُنَا ... وسَلْسَلُ النيل يُرويهم ويُروينا
أشعّ في غَلَسِ الأيام حاضرُنا ... وضاء في ظُلْمةِ التاريخِ ماضينا[١٣]
مجدٌ على الدهر، فاسألْ مَن تشاءُ به ... عَمْرًا إذا شئتَ، أو إنْ شئتَ آمونا[١٤]

* * *

تركتُ مِصْرَ وفي قلبي وقاطرتي ... مراجلٌ بلهيبِ النار يَغْلينا[١٥]
سِرْنا معًا فُبخارُ النار يدفَعُها ... إلى اللقاء، ونارُ الشوق تُزجينا[١٦]
تشقُّ جامحةً غُلْبَ الرياضِ بنا ... كالبرقِ شقَّ السحاب الحُفَّلَ الجونا[١٧]

وللخمائِل في ثوب الدجَى حَذَرٌ ... كأنَّها تتوقَّى عينَ رائينا
كأنهنَّ العَذارَى خِفْن عاذلةً ... فما تعرَّضْنَ إلَّا حيثُ يمضينا
وللقُرَى بين أضْغاثِ الكَرَى شَبَحٌ ... كالسرِّ بين جنايا الليلِ مدفونا
نستبعدُ القُرْبَ من شوقٍ ومن كَلَفٍ ... ونستحث وإنْ كنَّا مُجدّينا
وكم سألْنا وفي الأفْواهِ جَابتُنا ... وفي السؤالِ عَزاءٌ للمشوقينا[١٨]
وَكم وكم ملَّ حادينا لجاجتنا ... وما علينا إذا ما ملَّ حادينا
حتَّى إذا ما بدتْ «أَسْوانُ» عن كَثبٍ ... غنَّى بحمدِ السُّرى والليلِ سارينا[١٩]

* * *

وما شجاني إلَّا صوتُ باخرةٍ ... تستعجلُ الركبَ إيذانًا وتأذينا[٢٠]
لها ترانيمُ إنْ سارتْ مُهَمْهِمَةً ... كالشعرِ يُتْبعُ بالتحريكِ تسكينا
يا حُسنَها جنَّةً في الماء سابحةً ... تلقى النَّعيمَ بها والحورَ والعينا[٢١]
مرَّتْ تهادَى، فأمواجٌ تُعانقها ... حينًا، وتلثِمُ من أذيالها حينا[٢٢]
والنَّخلُ قد غَيَّبتْ في اليمِّ أكثرَها ... وأظهرتْ سَعَفًا أحْوَى وعُرْجونا[٢٣]
ما لابنةِ القَفْرِ والأمواه تسكُنُها؟ ... وهل يجاورُ ضَبُّ الحرَّة النونا؟[٢٤]
سِرْ أيُّها النيلُ في أمْنٍ وفي دَعَةٍ ... وزادك الله إعزازًا وتمكينا
أنْتَ الكتابُ كتابُ الدهر، أسطرُهُ ... وَعَتْ حوادثَ هذا الكون تدوينا
فكم مُلوكٍ على الشَّطيْنِ قد نزلوا ... كانوا فراعينَ أو كانوا سلاطينا
فُنونُهم كنّ للأيام مُعْجِزةً ... وحُكمهم كان للدنيا قوانينا
مرّوا كأشرطةِ «السّيما» وما تركوا ... إلا حُطامًا من الذكرى يُؤَسِّينا
إنا قرأنا الليالي من عواقِبها ... فصار ما يُضحكُ الأغْرارَ يُبكينا![٢٥]

* * *

ثم انتقلنا إلى الصحراء، تُوسِعُنا ... بُعْدًا، ونُوسعُها صبرًا وتهوينا[٢٦]
كأنَّها أملُ المأفون أطلقهُ ... فراح يخترق الأجواءَ مأفونا[٢٧]
والرملُ يزخَرُ في هَوْلٍ وفي سَعَةٍ ... كالبحرِ يزخَرُ بالأمواجِ مشحونا
تُطلُّ من حَوْلها الكُثْبانُ ناعسةً ... يمدُدْنَ طَرْفًا كليلًا ثم يُغْفينا
وكم سَرابٍ بعيدٍ راح يَخدَعُنا ... فقلت: حتى هُنا نلقى المُرائينا!

أرضٌ من النوم والأحلام قد خُلِقتْ ... فهل لها نبأٌ عند «ابن سيرينا»؟[٢٨]
كأنما بسط الرحمنُ رُقْعتَها ... من قبل أن يخلُقَ الأمواهَ والطينا
تسلَّبَتْ من حُلِيِّ النَبْتِ آنفةً ... وزُيِّنت بِجلالِ الله تزيينا[٢٩]
صمْتٌ وسحرٌ وإرهابٌ وبعدُ مدًى ... ماذا تكونين؟ قولي، ما تكونينا؟
صحراءُ فيكِ خَبيئًا سرُّ عِزَّتِنا ... فأفصحي عن مكانِ السرِّ واهدينا
إنّا بنو العُربِ يا صحراءُ كم نَحتت ... من صخركِ الصلْدِ أخلاقًا أواليا
عزّوا، وعزّت بهم أخلاقُ أمّتِهم ... في الأرضِ، لمّا أعزّوا الْخلْقَ والدّينا
مِنَصّةُ الحكْم زانوها ملائكة ... وجَذْوَة الحرب شبّوها شياطينا
كانوا رُعاةَ جمالٍ قبلَ نهضتِهم ... وبعدها مَلأوا الآفاق تمدينا
إن كَبّرتْ بأقاصي الطين مِئْذَنةٌ ... سمعتَ في الغرب تهليلَ المصلّينَا

* * *

قف يا قِطارُ فقد أوهى تصبُّرَنا ... طولُ السفارِ، وقد أكْدَتْ قوافينا
وقد بدتْ صفحةُ الْخُرْطوم مُشْرقةً ... كما تجلَّى جلالُ النورِ في «سينا»
جئنا إليها، وفي أكبادنا ظمأٌ ... يكاد يقتُلُنا لولا تلاقينا
جئنا إليها، فمن دارٍ إلى وطنٍ ... ومن منازِل أهلينا لأهلينا
يا ساقيَ الحيِّ جدّدْ نَشْوَةً سلفتْ ... وأنت «بالجِبَنَاتِ» الْحُمرِ تسقينا[٣٠]
واصدَحْ بنونيةٍ لما هتفتُ بها ... تسرّق السمع «شوقي» و«ابنُ زيدونا»[٣١]
وأحْكِم اللحنَ يا ساقي وغنّ لنا ... «إنَّا محّيوكِ يا سلمى فحيينا»[٣٢]

هوامش

(١) رنحت: أمالت. أعطاف: جوانب. وادينا: المقصود وادي النيل. عوجي: ميل أو ارجعي.

(٢) نشوى: فرحة متمايلة. تكسرها: تمايلها.

(٣) أخلاط: هو امتزاج الأشياء. نافجة: المسك. نسرين: نبات ذو رائحة ذكية.

(٤) تمج: تنشر.

(٥) لاعجة: شدة وألم في الصدر.

(٦) أرج: هو رائحة الطيب والمعنى أنها سنوات خالية من الأماني.

(٧) قمريًّا: نسبة إلى الطائر المعروف بالقمري والشاعر يقصد نفسه. معشبة: أرض كثيرة العشب.

(٨) نزعات: صفات. خطرات: خواطر.

(٩) الملحين: الملحفين الدائمي السؤال.

(١٠) غينا: جمع غيناء أي: خضراء طويلة الشجر.

(١١) حزت: ملكت. سليمان: سيدنا سليمان — عليه السلام — وفي البيت اقتباس من الآية الكريمة: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾.

(١٢) جزت: سرت إلى. أرع: احفظ.

(١٣) أشبع: أنار. غلس الأيام: ظلام الأيام.

(١٤) عمرًا: يريد عمرو بن العاص. آمونا: توت عنخ أمون من فراعين قدماء المصريين.

(١٥) مراجل: أوعية النار التي لا دخان لها.

(١٦) تزجينا: تدفعنا.

(١٧) جامحة: غالبة. غلب: جمع غلباء: الحديقة الكثيفة الشجر. الجونا: جمع جون: الأسود.

(١٨) جابتنا: إجابتنا.

(١٩) سارينا: هادينا.

(٢٠) إيذانًا: إعلامًا بسفرها. تأذينا: الدعوة.

(٢١) الحور: النساء الجميلات. العينا: خيار الشيء.

(٢٢) تهادى: تتمهل.

(٢٣) سعف: غصن النخلة. أحوى: هو الذي خالط خضرته سواد وصفرة. العرجون: هو ما يبقى يابسًا على النخلة بعد قطع الفروع.

(٢٤) الحرة: الأرض ذات حجارة سود. النون: الحوت.

(٢٥) عواقبها: آخرها. الأغرار: غير المجربين.

(٢٦) توسعنا: تزيدنا.

(٢٧) المأفون: ضعيف العقل. الأجواء: ما بين السماء والأرض.

(٢٨) ابن سيرينا: عالم من علماء المسلمين له كتاب في تفسير الأحلام.

(٢٩) تسلبت: خلت من.
(٣٠) سلفت: مضت. الجبنات: أوعية من الخفار يصنع السودانيون القهوة بها.
(٣١) نونية: يقصد هذه القصيدة وهي نونية. شوقي: هو الشاعر أحمد شوقي وله قصيدة نونية أيضًا أولها:

يا نائح الطلح أشباه عوادينا نأسى لواديك أم تأسى لوادينا

ويعارض بها الشاعر الأندلسي ابن زيدون في نونيته ومطلعها:

أضحى التنائي بديلًا عن تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

(٣٢) إنا محيوك يا سلمى فحيينا: مطلع نونية الشاعر عمرو بن سعد بن مالك وهو شاعر جاهلي، وكان يلقب بالمرقش الأكبر. وتكملة البيت: وإن سقيت كرام الحي فاسقينا.

إلى الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا

أرسل الشاعر هذه الأبيات إلى صديقه الأستاذ أحمد لطفي السيد بمناسبة انتخابه رئيسًا لمجمع اللغة العربية عام ١٩٤٥م.

وقالوا: غدًا لطفي رئيسًا فحيِّه ... وهَنِّئْه واهتِفْ باسمِه في المحافلِ
فقلتُ: وهل يرضَى ليَ العقلُ أَنّني ... إذا صُغْتُ مدحًا قيل: تحصيلُ حاصل
فقالوا: رفيعٌ زاد قَدْرًا ورِفْعةً! ... فقلتُ: نعم، لو صحَّ تكميلُ كامل
فقالوا: عليك الشعرَ ويحَك إنه ... فسيحُ المرامي لا يضيقُ بقائل
فقلت: وأين الشعرُ؟ أينَ خيالُهُ؟ ... وأينَ الثرَيّا من يد المتناول؟[1]
فقالوا: فماذا أنت في الجمع صانعٌ؟ ... فقلت لهم: صُنْع العَيِيِّ المُجامل[2]
ففي سكتةِ المبهورِ أصْدقُ مِدْحةٍ ... وكلُّ كلامٍ بينَ حقٍّ وباطل[3]

هوامش

(١) الثريا: نجوم السماء.
(٢) العيي: الثقيل في نطقه.
(٣) المبهور: المندهش.

العاشق الغضبان

سنة ١٩٠٤م

هَـجَـرَتـنـا وهَـجَـرْنـا زَيْـنَـبـا وصَحـا القَلْبُ الذي كان صَبَا[١]
طـالـمـا سُـقْـتُ فُـؤادِي نَـحْـوهـا فَـنَـبَـتْ عـنـه مِـطَـالًا، ونَـبـا[٢]
ودعـوتُ الـوَجْـدَ لـلَّـهْـوِ بـهـا فـأَبَـتْ دَلًّا عـلـيـه، وأَبَـى
نَـعَـبَ البَـيْـنَ بِـنَـا، سُـقـيًـا لـه! فـاسْـتَـعَـدْتُ البَـيْـنَ لـمّـا نَـعـبـا[٣]
ومضَـى الشّـوْقُ فـما جـادتْ له مُـقْـلَـتـي بـالـدَّمْـع لـمّـا ذَهَـبـا
عَـلِـقـتْ غَـيْـرِي وتَـرْجُـو صِـلَـتـي؟ عَـجَـبًـا مـمّـا تُـرَجِّـي عَـجَـبـا![٤]
هل يَـحُـلُّ الـغِـمْـدَ سَـيْـفَـانِ معًـا؟ أو يـضُـمُّ الـغِـيـلُ إلَا أَغْـلَـبـا؟[٥]

* * *

إنَّ هـذا الْـحُـسْـنَ كـالـمـاء، إذَا كَـثُـر الـنَّـاهِـلُ مِـنْـه نَـضَـبـا[٦]
وهو مِـثْـلُ الـزَّهْـرِ، إنْ أَكْـثَـرْتِ مِـنْ شَـمِّـهِ يـا زَيْـنُ، أَمْـسَـى حَـطَـبـا[٧]
وهو مِـثْـلُ المَـال، إنْ أَسْـرَفْـتِ فِـي بَـذْلِـهِ لـلـسَّـائِـلـيـه، سُـلِـبَـا

* * *

قَـدُّك الـمـائِـسُ قـد بَـغَّـضَ لـي[٨] كُـلَّ غُـصْـنٍ بَـيْـنَ أَنْـفـاسِ الـصَّـبـا
وجَـنَـى خَـدَّيْـكِ قـد زَهَّـدَنـي في حَـديثِ الوَرْدِ يُزْهَى في الرُّبـا[٩]

أَبْصَروا البَدرَ فقالُوا: وَجْهُها! فـتَـغـشَّـيْـتُ بـثَـوْبـي هَـرَبـا[١٠]
فـاحـتَـجِبْ يـا بـدرُ عـن أَعْـيُـنـنـا وعَـزِيـزٌ عِـنْـدنـا أَنْ تُـحْـجَـبـا!

* * *

أَنَـا يـا زَيْـنَـبُ مـاءٌ، فـإذا هِـجْـتِـنِـي صِـرْتُ لَـظًى مُـلْـتَـهِـبًـا[١١]
أَرْكَـبُ الـمَـرْكَـبَ صَـعْـبًـا خَـشِـنًـا إنْ دَعَـتْـنـي هِـمَّـتـي أنْ أَرْكَـبـا
ضـاربًـا فـي سُـبُـلِ الـمَـجْـدِ ولَـوْ رَصَـفُـوهـا بـالـعَـوالِـيـوالـظُّـبـا[١٢]

هوامش

(١) صحا القلب: ترك الهوى وخلاه جانبًا. صبا: أحب وهوى.

(٢) نبت: بعدت. المطال: التسويف بالوعد مرة بعد أخرى.

(٣) البين: الفرقة. نعيبه: إيذانه بالشتات والبعد. سقيا له: يدعو له بالسقيا. استعاد الشيء: طلب إعادته.

(٤) علقت غيري: أحبته وتعلقت به.

(٥) الغمد: جفن السيف. الغيل: الشجر الكثير الملتف تتخذه الآساد مأوى لها. الأغلب: الأسد.

(٦) الناهل: الشارب. نضب: قل وذهب.

(٧) يا زين، أي: يا زينب.

(٨) القد: القامة. المائس: اللدن المتثني. الصبا: ريح تهب من الشرق في بلاد العرب.

(٩) جنى خديك: شبه حمرة خديها بما يجنى من الورد. يزهى: يزدهي حسنًا ونضرة. الربا: الأماكن المرتفعة الواحدة ربوة.

(١٠) تغشيت: تغطيت.

(١١) هجتني: أثرتني. اللظى: النار.

(١٢) العوالي: الرماح. الظبا: السيوف.

عيدُ الجلُوس الملكي

بمناسبة تولي الملك فاروق سلطته الدستورية في مايو سنة ١٩٣٨م.

جَمَعْتُ مِنْ فَرْعِ ذَاتِ الدَّلِّ أَوْتَارِي ... وصُغْتُ مِنْ بَسَمَاتِ الغيدِ أَشْعَارِي[١]
وَعِشْتُ لِلْفَنِّ أَحْيَا فِي بَدَائِعِهِ ... بَيْنَ الظِّلَالِ، وَبَيْنَ السَّلْسَلِ الْجَارِي
أَشْدُو، فَإِنْ شِئْتَ أن تُصْغِي لِسَاجِعَةٍ ... مِنَ الْخُلُودِ فَأَنْصِتْ تَحْتَ أَوْكَارِي
كَادَتْ تَزُفُّ يَرَاعِي الطَّيْرُ تَحْسَبُهُ ... وَقَدْ تَغَنَّى بِشِعْرِي سِنَّ مِنْقَارِ[٢]
قَدْ عَلَّمَتْهُ التَّغَنِّي فَوْقَ أَيْكَتِهِ ... فَفَاقَهَا فِي التَّغَنِّي فَوْقَ أَسْطَارِ
كَأَنَّ دَاوُدَ أَلْقَى عِنْدَ بَرْيَتِهِ ... أَثَارَةً مِنْ تَرَانِيمٍ وَأَسْرَارِ[٣]
أَعْدَدْتُه قَبَسًا يُذْكِي تَوَقُّدُهُ ... عَزْمَ الشَّبَابِ، وَيَهْدِي لَيْلَةَ السَّارِي[٤]
وَيَكْشِفُ الْأَمَلَ الْمَحْجُوبَ سَاطِعُهُ ... وَالْيَأْسُ تَغْشَى بِأَسْدَافٍ وَأَسْتَارِ[٥]

* * *

الشِّعْرُ عَاطِفَةٌ تَقْتَادُ عَاطِفَةً ... وَفِكْرَةٌ تَتَجَلَّى بَيْنَ أَفْكَارِ
الشِّعْرُ إِنْ لَامَسَ الْأَرْوَاحَ أَلْهَبَهَا ... كَمَا تَقَابَلَ تَيَّارٌ بِتَيَّارِ
الشِّعْرُ مِصْبَاحُ أَقْوَامٍ إِذَا الْتَمَسُوا ... نُورَ الْحَيَاةِ، وَزَنْدُ الأُمَّةِ الْوَارِي[٦]
الشِّعْرُ أُنْشُودَةُ الفَنَّانِ يُرْسِلُهَا ... إِلَى الْقُلُوبِ، فَتَحْيَا بَعْدَ إِقْفَارِ
الشِّعْرُ هَمْسُ غُصُونِ الدَّوْحِ مَائِسَةً ... وَدَمْعَةُ الطَّلِّ فِي أَجْفَانِ أَزْهَارِ
الشِّعْرُ لِلْمُلْكِ جَيْشٌ لَا يُصَاوِلُهُ ... جِلَادُ مُرْهَفَةٍ أَوْ فَتْكُ بَتَّارِ[٧]
يَغْزُو وَيُنْصَرُ. لَا أَشْلَاءُ مَعْرَكَةٍ ... تُرَى وَلَا وَثَبَاتٌ حَوْلَ أَسْوَارِ

إِذَا تَـخَـطَّـرَ فِـي الْأَفْـوَاهِ تُـنْـشِـدُهُ ... غَضَّ الْـجُـفُـونَ حَـيَـاءً كُـلُّ خَـطَّـارِ[٨]
وَإِنْ أَغَـارَ تَـنَـادَى كُـلُّ ذِي هَـلَـعٍ ... إِلَـى الْـفِـرَارِ، وَأَوْدَى كُـلُّ مِـغْـوَارِ[٩]
قَدْ كَانَ حَسَّانُ جَيْشًا فِي قَصَائِدِهِ ... أَشَـدَّ مِـنْ كُـلِّ زَحَّـافٍ وَجَـرَّارِ[١٠]
وَكَانَ مُـلْـكُ بَـنِـي مَـرْوَانَ فِـي أُطُـمٍ ... عَالٍ مِنَ الشِّعْرِ، يَرْمِي الشُّهْبَ بِالنَّارِ[١١]
وَهَل زَهَتْ بِبَنِي الْعَبَّاسِ دَوْلَتُهُمْ ... إِلَّا بِـأَمْـثَـالِ حَـمَّـادٍ وَبَـشَّـارِ؟[١٢]
فَـقُـلْ لِـمَـنْ رَاحَ لِـلْأَهْـرَامِ يَـرْفَـعُـهَـا: ... الْخُلْدُ فِي الشِّعْرِ لَا فِي رَصْفِ أَحْجَار
كَمْ حِكْمَةٍ فِيهِ لَا تَفْنَى بَشَاشَتُهَا ... وَمِـنْ حَـدِيـثٍ عَـلَـى الْأَيَّـام سَـيَّـارِ
الـشِّـعْـرُ لِـلْـمُـلْـكِ مِـرْآةٌ مُـخَـلَّـدَةٌ ... عَـلَـى تَـعَـاقُـبِ أَجْـيَـالٍ وَأَدْهَـارِ
صَوَّرْتُ فِيهِ سَنَا الْفَارُوقِ مُؤْتَلِقًا ... يَـزْدَانُ بِـاثْـنَـيْـنِ: إِجْـلَالٍ وَإِكْـبَـارِ[١٣]
وَصُـغْـتُـهُ فَـاتِـنَ الْأَلْـوَانِ مُـزْدَهِـرًا ... كَـأَنَّـمَـا نَـقَـشَـتْـهُ كَـفُّ آذَارِ[١٤]

* * *

مُلْكٌ مِنَ النُّورِ قَدْ ضَاءَتْ دَعَائِمُهُ ... كَـأَنَّـمَـا شِـيـدَ مِـنْ هَـالَات أَقْـمَـار
وَدَوْلَـةٌ رَكَّـزَ الْإِسْـلَامُ رَايَـتَـهُ ... فِـيـهَـا عَـلَـى طَـوْدِ تَـارِيـخٍ وَآثَـارِ
وَعَاهِلٌ مِنْ صَمِيمِ النِّيل نَبْعَتُهُ ... أَمَـا تَـرَى لِـيَـدَيْـهِ وَكْفَ أَمْـطَـارِ![١٥]
أَحْيَا النُّفُوسَ بِآمَالٍ تُضَاحِكُهَا ... فَالْيَأْسُ فِيهَا غَرِيبُ الْأَهْلِ وَالدَّارِ

* * *

كَـأَنَّ أَيَّـامَـهُ وَالْـبِـرُّ يَـغْـمُـرُهَـا ... صَحَائِفُ الطُّهْرِ فِي أَيْمَانِ أَبْرَارِ
كَـأَنَّـمَـا عَـهْـدُهُ وَالْـبِـشْـرُ يَـمْـلَـؤُهُ ... تَبَسُّمُ الشَّرْقِ عَنْ أَنْفَاسِ أَسْحَارِ
كَـأَنَّ ذِكْـرَاهُ لَـمَّـا سَـارَ سَـائِـرُهَـا ... عَـبِـيـرُ دَانِـيَـةَ الظِّـلَّـيْـنِ مِـعْـطَـارِ[١٦]
كَـأَنَّ أَمْـدَاحَـهُ فِـي أُذْنِ سَـامِـعِـهَـا ... مَسَاقِطُ الشَّهْدِ مِنْ أَعْوَادِ مُشْتَارِ[١٧]
كـأَنَّ طَـلْـعَـتَـهُ وَالـشَّـوْقُ يَـرْقُـبُـهَـا ... وَجْهُ الصَّباحِ يُحَيِّي نِضْوَ أَسْفَارِ[١٨]

* * *

«فَـارُوقُ» يَا زِينَةَ الدُّنْيَا وَبَهْجَتَهَا ... وَأَسْعَدَ النَّاسِ فِي وِرْدٍ وَإِصْدَارِ[١٩]
وَابْنَ الْمُلُوكِ الْأُلَى فَلَّتْ عَزَائِمُهُمْ ... مِنْ حَدِّ كُلِّ صَلِيبِ الْحَدِّ جَبَّارِ[٢٠]
أَقْـمَـارُ مَـمْـلَـكَـةٍ، آسَـادُ مَـلْـحَـمَـةٍ ... أَمْـلَاكُ مَـرْحَـمَـةٍ، صُـنَّـاعُ أَقْـطَـارِ[٢١]

مِنْ كُلِّ نَدْبٍ بَعِيدِ الرَّأْيِ مُسْتَبِقٍ إلى الْجِهَادِ مُغَارِ الْفَتْلِ صَبَّارِ[٢٢]
الْمَجْدُ أَبْقَى لَهُمْ ذِكْرَى مُخَلَّدَةً أَعْمَارُهُمْ وُصِلَتْ مِنْهَا بِأَعْمَارِ

* * *

الشَّعْبُ شَعْبُكَ، وَالْأَيَّامُ بَاسِمَةٌ وَالدَّهْرُ كَالزَّهْرِ، فِي صَفْوٍ وَإِنْضَارِ
أَحَبَّكَ الشَّعْبُ فَانْعَمْ فِي مَحَبَّتِهِ فَأَنْتَ مِلْءُ قُلُوبٍ، مِلْءُ أَبْصَارِ
مُرْ وَانْهَ فِي الْحَقِّ، فَالْأَسْمَاعُ مُصْغِيَةٌ فِدَاؤُكَ النَّفْسُ مِنْ نَاهٍ وَأَمَّارِ
وَارْفَعْ لِوَاءَكَ فَوْقَ الشَّرْقِ تَلْثِمُهُ أَفْوَاهُ أَوْدِيَةٍ فِيهِ وَأَمْصَارِ

* * *

ذِكْرَاكَ فِي الدَّهْرِ آيَاتٌ مُطَهَّرَةٌ تَحْلُو بِغَنٍّ وَتَرْتِيلٍ وَتَكْرَارِ
شَدَوْتُ بِاسْمِكَ حَتَّى كِدْتُ مِنْ طَرَبٍ أَظُنُّنِي ذَا جَنَاحٍ بَيْنَ أَطْيَارِ
فَإِنْ سَمِعْتَ رَنِينًا كُلُّهُ عَجَبٌ فَالْعُودُ عُودِي، وَالأَوْتَارُ أَوْتَارِي
جُلُوسُكَ الْيَوْمَ أَثْمَارُ الْمُنَى يَنَعَتْ يَا حُسْنَهَا مِنْ مُنًى خُضْرٍ وَأَثْمَارِ!
عِيدٌ بِهِ الْأَرْضُ وَالْآفَاقُ مُشْرِقَةٌ تَمَازَجَتْ فِيهِ أَنْوَارٌ بِأَنْوَارِ[٢٣]
عِيدٌ كَأَنَّ اللَّيَالِي قَدْ وَهَبْنَ لَهُ مَا فِي الْخَلِيقَةِ مِنْ يُمْنٍ وَإِيسَارِ
النِّيلُ فِيهِ جَرَى يُمْلِي بَشَائِرَهُ وَيَنْثَنِي بَيْنَ أَدْوَاحٍ وَأَشْجَارِ
إِذَا الرَّبِيعُ رَمَى فِيهِ أَزَاهِرَهُ جَزَاهُ بِالتِّبْرِ دِينَارًا بِدِينَارِ
أَوِ الْحَمَائِمُ غَنَّتْ فَوْقَ مَائِجَةٍ حَبَا الْحَمَائِمَ تَهْدَارًا بِتَهْدَارِ

* * *

يَا كَالِئَ الدِّينِ وَالدُّسْتُورِ مِنْ جَنَفٍ وَحَارِسَ النِّيلِ مِنْ أَوْضَارِ أَكْدَارِ[٢٤]
وَحَافِزَ الشَّعْبِ يَدْعُوهُ فَيَتْبَعُهُ إِلَى النُّجُومِ جَرِيئًا غَيْرَ خَوَّارِ[٢٥]
الْعِلْمُ لِلشَّعْبِ رُكْنٌ غَيْرُ مُنْصَدِعٍ وَالشَّعْبُ بِالْعِلْمِ صَفٌّ غَيْرُ مُنْهَارِ
اخْتَارَكَ اللهُ لِلْإِسْلَامِ تَنْصُرُهُ فَكُنْتَ مَؤْئِلَهُ يَا خَيْرَ مُخْتَارِ
عِشْ فِي الْقُلُوبِ فَقَدْ أَعْطَتْ مَقَالِدَهَا وَفِي نَعِيمٍ عَمِيمِ الْغَيْثِ مِدْرَارِ

هوامش

(١) الفرع: الشعر.

(٢) زق الطائر فرخه: أطعمه. اليراع واليراعة: القلم. سن المنقار: طرفه.

(٣) داود عليه السلام: نبي كتابه يسمى الزبور، وما كان يتغنى بتلاوته منه يسمى المزامير جمع مزمار. أثارة الشيء: بقيته، الترانيم: جمع ترنيم وهو ترجيع الصوت في تطريب وتغن. الأسرار: جمع سر وهو هنا الحكمة والمعنى السامي.

(٤) القبس: الشعلة من النار وكذا المقياس. يذكى: يشعل من أذكى النار. الساري: السائر ليلًا.

(٥) المحجوب: المستور. تغشى: تغطى. الأسداف: جمع سدف، الستر.

(٦) الزند: العود الأعلى الذي يقدح به النار. والزندة العود الأسفل وهما زندان، الواري: الذي يخرج النار، من ورى الزند وريا خرجت ناره.

(٧) يصاوله: يواثبه. الجلاد والمجالدة بالسيوف: المضاربة بها. المرهفة: المشحوذة. البتار: السيف القاطع.

(٨) تخطر: اهتز وتبختر. غض طرفه: خفضه. خطار: رمح خطار ذو اهتزاز، ورجل خطار بالرمح طعان به.

(٩) أودى: هلك.

(١٠) حسان: حسان بن ثابت شاعر الرسول — عليه السلام — دافع عنه بلسانه، فأخاف المعاندين وأذل الجاحدين.

(١١) أطم: الأطم القصر وكل حصن مبني بحجارة والجمع آطام وأطوم. الشهب: جمع شهاب وهو شعلة من نار ساطعة والشهب أيضًا الدراري.

(١٢) زهت: ازدهرت وأشرقت. حماد: هو حماد بن عمر من أهل الكوفة شاعر عباسي كان معلمًا وشاعرًا محسنًا، وكان بالكوفة ثلاثة يقال لهم: الحمادون حماد عجرد وهو هذا وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان النحوي، وكانوا يتعاشرون ويتنادمون وقد اتهموا بالزندقة كلهم. وبشار: هو أبو معاذ بشار بن برد العقيلي ولاء الفارسي أصلًا. أخذ العربية عن أعراب البصرة ونبغ في الشعر لذكائه وكان هجَّاءً ماجنًا.

(١٣) السنا: الضياء: مؤتلقًا: من ائتلق البرق لمع. الإجلال والإكبار: التعظيم.

(١٤) فاتن: مأخوذ من الفتنة وهي الإعجاب بالشيء. مزدهرًا: متألقًا مشرقًا. آذار: شهر رومي يوافق شهر مارس.

(١٥) العاهل: الملك الأعظم أو الخليفة. صميم الشيء: خالصه. النبعة: الشجرة تتخذ منها القسي والجمع نبع. وكف المطر: سيله.

(١٦) دانية الظلين: قريبتهما ووارفتهما والمراد بالظلين ظل الصباح وظل ما بعد الزوال.

(١٧) المشتار: من يستخرج العسل من الخلية.

(١٨) النضو: المهزول.

(١٩) البهجة: الحسن. الورد: ضد الصدر من ورد الماء أتاه ليستقي. الإصدار: الرجوع من صدر عن المكان إذا رجع عنه والمراد بالورد والإصدار، تصريف الأمور.

(٢٠) فل الجيش: من باب قتل فانفل كسره فانكسر.

(٢١) الملحمة: القتال. أملاك: جمع ملك من ملائكة السماء. صناع أقطار: المراد به هنا أنهم ساسة فاتحون.

(٢٢) الندب: الخفيف في الحاجة. بعيد الرأي: ذو دهاءٍ وحنكة. مستبق إلى الجهاد: سباق إليه. مغار الفتل: كناية عن الصلابة وقوة الحسم.

(٢٣) الأنوار، الأولى: جمع نور وهو الزهر. والأنوار الثانية: جمع نور بمعنى الضوء.

(٢٤) الكالئ: الحافظ. الجنف: الجور والظللم. الأوضار: جمع وضر، القذارة.

(٢٥) حفزه: حثه. الخوار: كثير الجبن.

دَمْعَةٌ عَلى صَديق

في اليوم الأول من شهر مارس سنة ١٩٣٦م انتقل إلى جوار ربه المرحوم الأستاذ «أبو الفتح الفقي» وكيل دار العلوم، ورئيس جماعة دار العلوم، فكان لنعيه وقع على القلوب أليم، وفقدت مصر بفقده عالمًا من أفاضل علمائها، ورجلًا من خيرة رجالها.

وكان — رحمه الله — صديقًا حميمًا للشاعر، فبكاه ورثاه بهذه القصيدة التي ألقيت في الحفلة التي أقامتها لتأبينه جماعة دار العلوم بدار الأوبر في مساء الاثنين ٢٠ من أبريل سنة ١٩٣٦م.

مَلكَ المُصَابُ عليهِ كُلَّ جِهاتِه ... إنْ كانَ مِن صَبْرٍ لَدَيْكَ فهاتِهِ!
أسْوانُ تَعْرِفُهُ إذا اخْتَلَطَ الدُّجَى ... بالنَّبْرَةِ السَّوْدَاء في أنَّاتِه[1]
يَبْكِي وَيَنْظُرُ في السَّماء مُصَعِّدًا ... ما يَبْتَغِي الْحَيْرَانُ مِنْ نَظَرَاتِه؟[2]
خَفَقَانُ نَجْمِ الْأُفْقِ مِن خَفَقَانِه ... وَهَجِيرُ قَيْظِ البِيدِ مِنْ زَفَرَاتِه!
وبُكاءُ كلِّ غَمَامَةٍ هَتَّانَةٍ ... مِنْ بَعْضِ ما يُبْدِيهِ مِنْ عَبَرَاتِهِ
وَنُوَاحُ ذاتِ الطَّوْقِ في أعْوادِها ... ما تُرْسِلُ الْأَقْلَامُ مِن نَفَثَاتِه
يرْثِي فيحتبِسُ البكاءُ بصَوْتِه ... أينَ الرَّخِيمُ الْعَذْبُ مِنْ أصْوَاتِه؟
في صَدْرِه قَلِقُ الْجَوَانِحِ مُوجَعٌ ... مَلَّتْ نُجُومُ اللَّيلِ من دَقَّاتِه
كَالطَّيْرِ في قَفَصِ الْحَدِيدِ مُوَثَّقًا ... قد أَوْهَن الأَسْلَاكَ من خَفَقَاتِه
يَبْكِي ويَضْرِبُ بِالْجَنَاحِ مُجرَّحًا ... يا وَيْلَ، ما فَعلتْ يَمينُ رُمَاتِه!

* * *

نُوَبٌ كلَيْلاتِ المَحاق تَتابعتْ ... مُتَشابهاتٍ، هذه مِنْ هاتِه[٣]
وبناتُ دَهْرٍ قد زَحَمنَ مَنَاكِبي ... وَيْلَاهُ! لَوْ أَسْطِيُع وَأَدَ بَنَاتِه![٤]
أَوْدَى (أبو الفتحِ) الْمُرجَّى واختَفَى ... عَلَمٌ طَواه الدهرُ في طَيَّاتِه[٥]
وانحازَ للرَّكْبِ الذي من آدمٍ ... ما زَال يُزْعجنَا رَنِينُ حُدَاتِه[٦]
سارتْ به الأحْبابُ تَسْتَبِقُ الْخُطَا ... والْقَلْبُ مَكْظومٌ عَلَى حَسَرَاتِه
فوقفتُ أَنْظُر في الفلَاةِ فلم أجِدْ ... إلَّا جلالًا في فسيح فَلاتِه![٧]

* * *

يَا جَامِعًا شَملَ الشُّيوخ بحَزْمِهِ ... مَنْ ذَا يَلُمُّ اليومَ مِن أشْتَاتِه؟
يَمْشِي الرَّعيلُ نواكسًا أبصارُهُ ... من بعدِ ما عَبِثَ الرَّدَى بِحُماتِه[٨]
أَلْوَى بِعَزْمَتِهِ وَهَدّ شِماسَه ... قَدَرٌ أطاحَ القَرْمَ عَن صَهَوَاتِه[٩]
حَيْرَانُ يَعثُرُ بالأعِنَّةِ مثلَما ... يتَعَثَّرُ التَّمْتَامُ في تاءاتِهِ
يَطْفُو نَشِيجُ اليَأْسِ من لَهَوَاتِه ... وَتَئِزُّ نَارُ الشَّوْقِ فِي لَبَّاتِهِ[١٠]
سارتْ به الفُرْسانُ تخْبِطُ في الدُّجَى ... والرَّكْبُ قد زاغَتْ عُيونُ هُداتِه
يَبْكُون للطَّرْفِ المُخَلَّى سَرْجُه ... والفارِسِ المُنْبَتِّ عن غايَاتِه[١١]
يَبْكُون للدِّرْعِ المطَرَّحِ حَطَّمَتْ ... أيدِي الزَّمانِ العُسْرُ من حَلَقاتِه[١٢]
يَبكُون أطولَهم يدًا، وأبَرَّهم ... كفًّا، وَأَسْبَقَهم إلى قَصَباتِه[١٣]

* * *

خُلُقٌ كما يَصْفُو النُّضارُ وطَلْعةٌ ... أَزْهَى من ابنِ الليلِ في هالاتِه
مَنْ صارَ في الْخَمْسِينَ فَخرَ بِلادِه ... قد كان في العِشْرينَ فَخْرَ لِدَاتِهِ
والدَّهْرُ لا يُنْشِي الرِّجالَ صَوارِمًا ... إلّا إذا نَضِجُوا على جَمَراتِه
صانَ الكَرامةَ أَن تُمَسَّ، وَإنَّما ... إذلالُ نَفْسِ المَرْء من زَلَّاتِه
مُنِعَ الرَّقيقُ ولا تزالُ عِصابةٌ ... تَهْفُو إلى أَغْلالِهِ وسِمَاتِه!
قد كان كالفَلَكِ الدَّءُوبِ نَشاطُه ... لَا يسْتريحُ الدَّهرَ من دَوْرَاتِه
فإذا تراءَى ساكنًا فَلِأَنَّه ... في أسرَعِ الأَحْوَالِ من حَرَكَاتِه!
الْحَقُّ والإيمانُ مِلْء فُؤَادِه ... وَبَلَاغةُ الأَعْرابِ مِلء لَهاتِه
فإذا تخطَّرَ للجِدَالِ مُصَاوِلًا ... فاحْذَرْ فَتى الفِتْيانِ في صَوْلاتِه!

السيلُ في دَفَعاتِه، والسيفُ في عَزَمَاتِه، والمَوتُ في وَثَباتِهِ
لبس القَويُّ بنَابِه وبظفْرِهِ مِثْلَ القَويِّ برَأيِه وثَبَاتِه
والْحُجَّةُ البَيْضاءُ أَفْضَلُ مَقطَعًا من نَصْلِ كُلِّ مُهنَّدٍ وشَبَاتِه[١٤]

* * *

ماذا أصابَ الليثُ عن غَدَواتِهِ صُبْحًا، وماذَا نَالَ من رَوْحاتِه؟
سَمَحتْ له الدُّنيا بماء سَرَابِها فابتاعَه منها بماءِ حَياتِه
إنَّ الأمانِيَّ الْحِسَانَ جَمِيلةٌ لو حقَقَ الإنْسانُ أمْنِيّاتِه!
فلرُبّ رَوْضٍ للنَّواظِر مُعْجِبٍ كمنَتْ سُمومُ الصِّلِّ في زَهَراتِه![١٥]
قد كان لي أملٌ سَقَيْتُ فُروعَه بدَمِي وغَذَّيتُ المُنَى بعَذَاتِه[١٦]
أَحْنُو عليه من الهَجيرِ يَمَسُّه ومن النَّسِيم يَهُزُّ من أسَلاتِه[١٧]
وأَذُودُ عنْهُ الطيْر إن حامتْ على زَهْرٍ يُضِيءُ الأفقَ في عَذَباته[١٨]
الليلُ يَنْفحُه بذَائبِ طَلِّه والصُّبحُ يَمْنَحُه شُعَاعَ إيَاتِه[١٩]
حتى إذا قَويتْ لِدَانُ غُصونِه واستَحْصَد المَرْجُوُّ من ثمَراتِه[٢٠]
وأَخَذْتُ أَسْتَجْلِي السَّنَا من نَوْرِه وأشمُّ ريحَ الْخُلْدِ من نَفَحاتِه[٢١]
وأُفاخِرُ الزُّرَّاعَ أنَّ غِرَاسَهم لم يَزْكُ مِثلَ زَكائهِ ونَباتِه[٢٢]
عصفت به هُوجٌ فخر مُعَفَّرًا وجَنَى عَلَيْه الْحَيْنُ قَبْل جَناتِه[٢٣]
وَوَقَفْتُ أَنظُرُ للحُطَامِ مُحَطَّمًا مُتَفَتِّتَ الأفْلاذِ مثلَ فُتاتِه[٢٤]
أَهْوِنْ بدُنْيا مَا لحيّ عِنْدها وَعْدٌ يُنجَّزُ غَيْرَ وَعْدِ وَفاتِه!
سَلْ كُلَّ مَنْ كَتَب الكَتائب غَازِيًا هل رَدَّ عنه الْجَيْشُ سَهْم مماتِهِ؟
إنَّ ابنَ داودٍ علَى سُلْطانِه قد خَرَّ مُنْفَرِدًا على مِنْساتِهِ[٢٥]
وهو الذي مَلَك المُلوك ببَأسِه وأخاف جِنَّ الأرضِ من سَطَواتِهِ
كلُّ ابنِ أنثى في الْحَياةِ إلى مدًى والمرءُ في الدُّنيا إلى مِيقاتِهِ

* * *

أَأخِي! دعوتُ فلم تُجِبْ، ولرُبَّما قد كنتَ أسبقَ ناهضٍ لدُعاتِهِ
قد كان عَهْدُك في بَشاشةِ أُنْسِهِ عَهْدَ الشَّبابِ مَضَى إلى طيَّاتِهِ[٢٦]
كان الزمانُ يُظِلُّنا برَبِيعِه فتركتني للقُرِّ من مَشْتَاتِهِ[٢٧]

أبكِي الشَّبابَ وزَهْوَهُ وصِحابَه ... والمُشْرِقَ الوَضَّاحَ من بَسَماتِهِ
كُنَّا كَفَرْعَيْ بانةٍ فَتفَرَّقا ... والدَّهْرُ لا يَبْقَى على حَالَاتِه![28]
والعُمْرُ أضْيَقُ أن يُمَدَّ لسالِكٍ ... إن أوْسَع الْخُطُواتِ في سَاحاتِه
أَصْفَيْتني مَحْضَ الودادِ وطَالما ... خَلَط المُماذِقُ مِلْحَه بفُرَاتِه[29]
ورَفَعْتَ من شِعْري، وكنتَ تُحِبُّه ... وتُحِسُّ سِرَّ الفَنِّ في أبْياتِه
فاسمَعْه من باكٍ أَطَاع شُجونَه ... فَطَغَتْ زَواخِرُها عَلَى مَرْثَاتِه[30]
نَظَم الدُّمُوعَ فكُنَّ بَحْرًا كامِلًا ... وأقام بالزَّفَراتِ تفْعيلاتِه[31]
أَنْشِدْه حَسّانًا إذا لاقَيْتَهُ ... في جَنةِ الفِرْدَوْسِ بين رُواتِه[32]
وافخرْ بقَوْمِكَ أنْ أعادُوا لِلْورَى ... عهدَ البَيانِ ومُجْتلى آياتِهِ[33]
وانعَمْ برضْوانِ الإله وظِلِّه ... واسعَدْ بعَيْشِ الْخُلْدِ في جَنَّاتِهِ[34]
إن الذي خَلَقَ البُكاءَ أغاثَه ... باللُّطفِ والإحْسانِ من رَحَماتِهِ

هوامش

(١) الأسوان: الحزين. الدجى: الظلام. النبرة: الصوت. ويريد بالنبرة السوداء: صوته الحزين.

(٢) مصعدًا، أي: متردد النظرات لا يكاد يستقر بصره في بقعة.

(٣) النوب: المصائب تنوب بها الأيام وتصيب. المحاق (بالتثليث): آخر الشهر. وقيل: ثلاث ليال من آخره. أي: إنها نوب مدلهمة حالكة الليالي المحاق كلها سود.

(٤) بنات الدهر: حادثاته وشدائده. زحمن مناكبي: أي أثقلتني لكثرتهن حتى عييت بحملهن. وأد البنت: دفنها في القبر وهي حية، فعلت العرب ذلك مخافة العار والحاجة.

(٥) أودى: مات.

(٦) انحاز: مال. الحداة: الذين يرفعون الصوت بالغناء يستحثون بذلك الإبل على المسير.

(٧) الفلاة: القفر. ويريد بها حيث قبور الموتى.

(٨) الرعيل: القطعة من الجياد شبه به جماعة دار العلوم. نواكسو الأبصار: مطأطئو الرءوس، أبصارهم إلى الأرض.

(٩) ألوى بعزمته: أتى عليها وأوهنها. شماسه: أي عزته وتأبيه وامتناعه. القرم: السيد العظيم، الصهوات: جمع صهوة (بالفتح) وهي مقعد الفارس من الفرس.

(١٠) تئز: تصوت. اللبات: جمع لبة وهي المنحر.

(١١) الطرف: الفرس الكريم. والكلام على المجاز. المخلى سرجه: أي الذي أصبح مكانه من سرجه خاليًا. المنبت: الذي حيل بينه وبين إدراك غايته.

(١٢) الدرع: ثوب ينسج من زرد الحديد يلبس في الحرب وقاية من سلاح العدو (يؤنث ويذكر). المطرح: الملقى. العسر: الشديدة.

(١٣) يكنى بطول اليد: عن السبق إلى الفضل. أبرهم كفًّا: أي أكثرهم جودًا وعطاء. وأسبقهم إلى قصباته، أي: إنه كان أولهم في ذلك. القصبات في الأصل: ما كان ينصب في حلبة السباق، فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق من غير نزاع.

(١٤) المهند: السيف المطبوع من حديد الهند وهو من أجود السيوف. نصل المهند وشباته: حديدته بحدها.

(١٥) كمنت: توارت واستخفت. الصل: الحية التي لا ينفع مع سمها علاج.

(١٦) العذاة: الأرض الطيبة البعيدة الوخم. ويريد بها منبته الطيب. وهذا البيت والأبيات الثمانية بعده في غرض خاص بالشاعر.

(١٧) الهجير: شدة الحر. الأسلات: الفروع الدقيقة.

(١٨) أذود: أمنع وأطرد. حامت: حلقت ودارت. العذبات: الأغصان.

(١٩) ينفحه: يهب عليه بليلًا. الطل: الندى. الإياة: النور. أي: إن أسباب الحياة والرغد كانت موفورة.

(٢٠) لدان الغصون: اللينة الطرية. الواحد، لدن. استحصدت الثمرات: قاربت النضج وحان لها أن تحصد.

(٢١) أستجلى: أنظر وأتبين. النور: الأزهار، الواحدة، نوره. سناه: تألقه وإشراقه. نفحاته: ما يفوح وينتشر من رائحة العطرة. أشم ريح الخلد: أي ريح الجنة.

(٢٢) يزكو: ينمو.

(٢٣) الهوج: الرياح العاصفة غير المستوية في هبوبها. يريد عصف الموت. المعفر: الذي اختلط بالتراب. الحين: الهلاك. الجناة: ما يجنى.

(٢٤) الحطام: ما تحطم وتكسر. يريد رفاته. محطمًا، أي: مهدود القوى حزنًا. الأفلاذ: جمع فلذة (بالكسرة) وهي القطعة من الكبد. يصف في هذا البيت والأبيات

الثمانية قبله فقيده الذي أودى من بعد ما اكتمل وقوي، مشبهًا إياه بالنبت في أدواره المختلفة، ثم يذكر ما كان يبذله في سبيله حتى إذا ما استحصد عدا عليه الموت فاختطفه من بين يديه، أحوج ما يكون إليه، وتركه محطم الأوصال مفتت الكبد حزنًا.

(٢٥) ابن داود: هو سليمان بن داود — عليهم السلام — وقد آتاه الله ملكًا وسلطانًا واسعًا، وسخر له الريح والجن وعلمه منطق الطير. وقد ورد في القرآن الكريم تعدد نعم الله عليه. المنسأة (بالكسرة): العصا. يشير إلى ما يروى أنه — عليه السلام — مات متكئًا على عصاه، وبقي كذلك لا يعرف موته، حتى نخرت عصاه فلم تقو على حمله فخر على الأرض، فعلم أنه ميت.

(٢٦) الطيات: جمع طية، وهي الجهة والمقصد.

(٢٧) ربيع الزمان: أيامه النضرة الطيبة. يريد به أيام الشباب. القر: البرد. المشتاة: زمن الشتاء. ويريد بقر الشتاء أيام الكبر.

(٢٨) البانة: واحدة البان، وهو شجر سبط القوام لينه، ورقه كورق الصفصاف.

(٢٩) محض الوداد: خالصه. أصفاه محض الوداد: صدقه الإخاء والمحبة. المماذق: الكاره الذي لا إخلاص عنده. الفرات: العذب.

(٣٠) الشجون: الهموم والأحزان، الواحد: شجن (بالتحريك). طغت: فاضت وجاوزت الحد. زواخرها: أي كثيرها وعميمها تشبيهًا لها بالبحر الزاخر الكثير الماء. مرثاته، أي: ما أعده لك من شعر يرثيك به.

(٣١) نظم الدموع: ضمها وألفها. بحرًا كاملًا: أي ممتلئًا. ويريد به أحد بحور الشعر المسمى بالكامل، وفي هذا اللفظ تورية ظاهرة؛ لأن القصيدة من هذا البحر. الزفرات: الأنفاس الحارة من الحزن. التفعيلات: الأجزاء التي يتألف منها الشعر.

(٣٢) يريد بحسان: حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله ﷺ.

(٣٣) بقومك: أي بأبناء دار العلوم. مجتلى آياته: أي آياته الناطقة البينة المرئية.

(٣٤) رضوان الإله: رضاه.

الدعوةُ إلى الوئام

أنشدها الشاعر بين يدي سعد زغلول باشا سنة ١٩٢١م.

لـبَّـيْـكَ يـا مِـلءَ الْـقُـلُـو بِ وَأَثْبَتَ الأبْطالِ قَلْبَا
نـادَيْـتَ قَـوْمَـكَ لـلْـحَـيَـا ةِ فَـأَقْـبَـلُـوا عَـدْوًا وَوَثْـبَـا
وَرَفَـعْـتَ صَـوْتَـكَ وَالْـقُـلُـو بُ خَـوَافِـقٌ وَهَـلًا وَرُعْـبَـا[١]
أَلَّـفْـتَ بَـيـنَ الـعُـنْـصُـرَيْـنِ وَكُـنْـتَ لِـلـرَّحْـمَـن حِـزْبَـا[٢]
نَـبَـذُوا الـشِّـجَـار وأَبْـدَلُـو هُ لِـمِـصْـرَ إخْـلاصًـا وَحُـبًّـا
وَتَـبـادَرُوا صَـوْبَ الـنَّـجـا ةِ لَـعَـلّـهُـمْ يَـجِـدُونَ ثَـقْـبَـا[٣]
وَسَـعَـى الْـهِـلالُ إلى الـصَّـلِـيـبِ وَأَقْـبَـلَا جَـنْـبًـا فَـجَـنْـبَـا
وَالسَّـيْـفُ مَـسْـلُـولٌ وَسَـيْـلُ الـ ـمُـرْجِـفِـيـنَ يَـعُـبُّ عَـبًّـا[٤]
وَالأَرْضُ وَاجِـفَـةٌ وَمِـصْـرٌ تَـرْقُـبُ الْـقَـدَرَ الْـمُـحَـبَّـا
فَـوَقَـفْـتَ فَـانْـحَـنَـتِ الـرُّءُو سُ فَـكُـنْـتَ أَعْـلَى الـنَّـاسِ كَـعْـبَـا
وَخَـطَـبْـتَ بِـالـصَّـوتِ الْـجَـهِـيـ ـرِ فَـمـا امـرؤٌ إلا وَلَـبَّـى
وَبَـرَزْتَ كَـاللَّـيْـثِ الْـهَـصُـو رِ دَعَـتْـهُ أَشْـبـالٌ فَـهَـبَّـا
كَـالـسـيـف سُـلَّ مِـنَ الْـقِـرا بِ مُـثَـقَّـفَ الْـحَـدَّيْـنِ عَـضْـبَـا[٥]
يـا سَـعْـدُ أَنْـتَ لَـهـا إذَا لَـهَـبُ الْـجِـدَالِ عَـلَا وَشَـبَّـا
يـا سَـعْـدُ أَنْـتَ لَـهـا إذَا مـا صَـرْصَـرُ الْأَحْـداثِ هَـبَّـا[٦]
تَـسْـعَـى إلى بـاريـسَ كالْـمُـخْـتـ ـارِ ضَـمَّ إلـيْـهِ صَـحْـبَـا[٧]
يـا خـادِمَ الْـوَطَـنِ الْأَمِـيـ ـن خَـدَمْـتَـهُ شَـرْقًـا وَغَـرْبَـا

كُـنْ لِـلْـوِزَارَةِ سَـاعِـدًا وَتَـوَحَّـدَا رَأْيًـا وَلُـبًّـا[٨]
سَـعْـدٌ وَعَـدْلِـي يَـعْـمَـلَا نِ فَـمـا أَجَلَّ وَمـا أَحَبَّـا
سَـعْـدٌ وَعَـدْلِـي يَـعْـمَـلَا نِ فَلا نَخَافُ الْيَوْم خَطْبَا
صِـنْـوَانِ فِـي حُـبِّ الْـبِـلا دِ وَنِيلِـهَا الْمَيْمُونِ شَبَّا
كُـونـا يَـدًا فِـي الْـحَـادِثـا تِ وَذَلِّلَا مَا كَانَ صَعْبَا
دَامَ الْـوِفـاقُ وَدامَ سَـعْـدٌ صَـائِـبَ الآراء نَـدْبَـا[٩]
الـشـعْـبُ أَنْـتَ فَـمَـنْ رَآ كَ فَقَدْ رَأَى فَرْدًا وَشَعْبَا

هوامش

(١) يشير إلى ذهابه مع نفر من أصحابه إلى دار العميد البريطاني وإبلاغه صوت الشعب المصري، كان ذلك عقب أن وضعت الحرب الكبرى أوزارها في نوفمبر سنة ١٩١٨م وخرجت منها بريطانيا منتصرة، ولهذا كانت مطالبة سعد باستقلال بلاده في ذلك الوقت شجاعة ومخاطرة تعرض بسببها للاعتقال والنفي.

(٢) يريد بالعنصرين: مسلمي مصر وقبطها. وفي الشطر الثاني إشارة إلى الآية القرآنية الكريمة: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية ٢٢ من سورة المجادلة.

(٣) تبادروا: تسارعوا. الصوب: الجهة.

(٤) سل السيف: أخرجه من غمده. المرجفون الذين يخوضون في أخبار الفتن ونحوها. يعب: يتتابع ويسمع له صخب، وهذا كناية عن الشدة والطغيان.

(٥) التثقيف: التسوية. العضب: القاطع.

(٦) الصرصر من الرياح: ما كان شديد الصوت، أو شديد البرد. الأحداث: نوب الدهر ومصائبه. هبت الريح: هاجت وثارت.

(٧) يريد بالمختار النبي محمدًا ﷺ. الصحب: جمع صاحب، يشبه سعدًا وهو يسعى مع أصحابه أعضاء الوفد المصري إلى باريس سنة ١٩١٩م؛ لإسماع المؤتمرين فيها صوت مصر وإعلاء كلمتها، وإظهار حقها بالنبي ﷺ وهو يجاهد مع أصحابه لإعلاء كلمة الله.

(٨) يريد بالوزارة وزارة عدلي يكن باشا سنة ١٩٢١م، وكانت تتأهب لمفاوضة الحكومة الإنجليزية في حل القضية المصرية معتمدة على ثقة سعد وتأييده. الساعد: ما بين المرفق والكف، اللب: القلب، يطلب إلى سعد أن يؤيد الوزارة العدلية ويتحد معها رأيًا وقلبًا حتى تكلل المفاوضة بالنجاح، وقد كرر هذا المعنى في الأبيات الآتية وحض الوفد والوزارة على التعاون، وأشاد بفضلها جميعًا، وفضل الوفاق، وذلك لأن سعدًا في ذلك الوقت كان يطلب مفاوضة الإنجليز باعتباره زعيمًا للشعب المصري ووكيلًا عنه في طلب الحرية والاستقلال، وكانت الوزارة تبغي الانفراد بالمفاوضة؛ لأنها هيئة رسمية تفاوض هيئة رسمية مثلها وهي الحكومة الإنجليزية.

(٩) رجل ندب: خفيف في الحاجة نجيب.

إلى مجلة الهلال

سنة ١٩٤٧م

قد قرأتُ الهلال خمسين عامًا فاق فيها بدرَ السماء اكتمالًا
وعجيبٌ يزيدُ في كلِّ شهرٍ ثمّ يُدْعَى برغم ذاك هِلالا

تهنِئَة الفارُوق بعيدِ الفِطر

سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م

تَـبَـلَّـجَ بـالْـبُـشْـرَى وَلاحَـتْ مَـوَاكِـبُـهْ
ورَفَّـتْ بِـأَنْـفَـاسِ الـنَّـسـيـمِ سَـبَـائِـبُـهْ[١]
أَطَـلَّ صَـبَـاحُ الْـعِـيـدِ جَـذْلَانَ ضـاحِـكًـا
يُـمـازِحُ وَسْـنَـانَ الـدُّجَـى ويُـلاعِـبُـه[٢]
وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلُ فِي صَحْوَةِ الْمُنَى
وَقَدْ سَـهِـرَتْ شَـوْقًـا إِلَـيْـهـا كَـوَاكِـبُـه؟
تُـنَـاجِـيـه أَلْـحَـانُ الْـهَـوَى فَـيُـجِـيـبُـهـا
وَتَـسْـتُـر لَـوْعَـاتِ الـمـحـبِّ غَـيَـاهِـبُـه[٣]
تَـرَدَّى مُـسُـوحَ الـنُّـسْـكِ فـي زِيِّ راهِـبٍ
وَطَـارَتْ تـسُـدُّ الْـخَـافِـقَـيْـنِ ذَوَائِـبِـه[٤]
وَأَعْـجَـبَـه أَنْ دَارَتِ الأَرْضُ تَـحْـتَـه
كَـدَوْرِ شَـرِيـطٍ مَـا تَـنَـاهَـى عَـجَـائِـبُـهْ
إِذَا أَبْـصَـرَ الإِحْـسَـانَ فـيـهـا تَـلَـأْلأَتْ
أَسَـارِيـرُه واهْـتَـزَّ بـالـعُـجْـبِ جـاَنِـبُـه

يَـمُـوجُ فَـيـعْـلُـو الـبَـرَّ والـبَـحْـرَ مَـوْجُـه
وتَـمْـلِـك أَرْجَـاءَ الـفَـضَـاء مَـذَاهِـبُـه[٥]
عَـلَـيْـهِ الـنُّـجُـومُ الـسَّـابِـحَـاتُ سَـفَـائِـنٌ
يُـغـالِـبُـهـا آذِيُّـه وتُـغـالِـبُـه[٦]
سَـفَـائِـنُ لَـمْ يَـعْـرِفْ لَـهَـا الـدَّهْـرُ سـاحِـلًا
وَسَـفْـرٌ عَـلَـى الأَيَّـامِ مَـا مَـلَّ دَائِـبُـهْ[٧]
رَآهُ سَـلِـيـلُ الـطّـيـنِ يَـجْـتَـابُ لَـيْـلَـه
فَـهَـلْ هَـدَأَتْ دُون الـمَـسِـيـرِ جَـوائِـبُـه؟[٨]
تَـلَـقَّـاه فَـجْـرُ الْـعِـيـدِ فـي عُـنْـفُـوَانِـه
تـصُـولُ بـشُـهْـبِ الـصَّـافِـنَـاتِ كَـتَـائِـبُـه[٩]
تـأَلَّـق كـالـحَـقِّ الْـمُـبِـيـن إِذَا بَـدَا
تَـوَلَّـى ظَـلَـامُ الـشَّـكِّ وارْتـاعَ شَـاحِـبُـه[١٠]
ولـلـصُّـبـح عِـنْـدِي مِـنَّـةٌ كُـلَّـمَـا نَـبَـا
بـي الـلَّـيْـلُ أَوْ طَـالَـتْ عـلـيَّ هَـيَـادِبُـهْ[١١]
أَرَاهُ فـأَلْـقَـى الـبِـشْـرَ فـي قَـسَـمَـاتِـه
طَـهُـورًا كَـثَـغْـرِ الـطِّـفْـلِ حـيـن تُـدَاعِـبُـه
وَأَشْـعُـرُ أَنَّ الْـكَـوْنَ عَـادَتْ حَـيَـاتُـه
إِلـيـه وَأَنَّ الأُنْـسَ قَـدْ آبَ غَـائِـبُـه
يَـهَـشُّ إِلـيـه كُـلُّ حَـيٍّ كَـأَنَّـمَـا
أَشِـعَّـتُـه حُـلْـمُ الـصِّـبَـا وَرَغَـائِـبـه
وَتَـصْـحُـو لَـه الأَزْهَـارُ مِـنْ وسَـنَـاتِـهَـا
تُـضَـاحِـكـه وَالـطَّـلُّ لَـم يَـجْـرِ ذَائِـبُـه[١٢]
وتَـسْـتَـقْـبِـل الأَطْـيَـارُ بَـسْـمَـةَ نُـورِه
فَـيَـبْـهَـرُنـا مِـنْ كُـلِّ لَـحْـنٍ غَـرَائِـبُـه
تَـرَاهَـا على الأَفْـنانِ سَـكْـرَى من السَّـنـا
يُـنَـاغِـي أَلِـيـفٌ إِلْـفَـه فَـيُـجَـاوِبُـه

قِـيَـانٌ أدَقَّ الـلـهُ أَوْتـارَ عُـودِهَـا
فـأَحْيَتْ أغـانِيـه وَأَشْـجَتْ مَضَـارِبـه[١٣]
كَأَنَ ضِيَاءَ الصُّبْحِ والكَوْنُ مُشْرِقٌ
سَنَا طَلْعَةِ الْفَارُوقِ لاحَتْ رَكائِبُه
أَطَلَّ هِلَالُ العِيدِ يَحْظَى بنَظْرَةٍ
فَأَبْصرَ نورًا يَبْهَرُ النُّورَ ثاقِبُه[١٤]
وشاهَدَ في طُهْر المَلَائِكِ سَيِّدًا
سَمَتْ فَوْقَ أَفْلَاكِ السَّماء مَناسِبُه[١٥]
تَراه فَتَلْقَى أمَّةً في شَبَابِها
وتُصْغِي إلى الآمَالِ حِينَ تُخَاطِبُهْ
أصَالةُ رَأْيٍ في ابْتِسَام سَمَاحَةٍ
وصَوْلَةُ عَزْمٍ يُرْهِبُ الدَّهْرَ قاطِبُه[١٦]
تأَثَّر خَطْوَ الْحَزْمِ في كُلِّ مَطْلَبٍ
وهَلْ يَعْظُم المَطْلُوبُ والْحَزْمُ طَالِبُه؟[١٧]
مَلِيكٌ من الأفلَاذِ أَعْوَادُ عَرْشِه
فَمنْ ذَا يُدَانِيه ومَنْ ذَا يُقَارِبُه؟[١٨]
مَحَبَّته في كُلِّ قَلْبٍ شَغَافُه
وإحْسَانُه في كُلِّ كَفٍّ رَوَاجِبُه[١٩]
حَوَت رِيشَةُ الرَّسامِ بَعْضَ سِمَاتِه
وعَزَّتْ عَلَى رِيش القرِيضِ مَناقِبُه
لكُلِّ خَيالٍ في فَمِ الشِّعرِ غَايةٌ
ولا تَنْتَهي غَاياتُه ومَآرِبُه
صِفِ البِحْرَ في أمواجِهِ وكُنُوزِه
وقُلْ: هَذِهِ آلاؤُه ومَوَاهِبُه[٢٠]
صِف الهِمَمَ الْجُرْدَ التي تقنِصُ المُنَى
وقُلْ: هَذِه أَفْرَاسُه ونَجَائِبُه[٢١]

صِف الأَنْجُمَ الزُّهْرَ اللَّوَامِع في الدُّجَى
وقُـلْ: هَـذِه أَقْـدَارُه ومَـرَاتِـبُـه[٢٢]
صِفِ السُّحْبَ أيْنَ السُّحْبُ من فَيْضِ جُودِه
إذا وَكَفَتْ لـلبَائِسِين سَحَائِبُه؟[٢٣]
تمنَّتْ زُهُورُ الرَّوْضِ لو أَنَّ طِيبَها
له نَفْحَةُ الذِّكْرِ الذِي هُو كَاسِبُه[٢٤]
فمَا كَرَمٌ إلَّا ومِنْه انْبِعَاثُهُ
ولا شَرَفٌ إلَّا وفاروقُ صَاحِبُهْ
إذا اصطَنَع اللهُ أمْرًا جَلّ سَعْيُهُ
وعَمَّتْ أيَادِيه وطَابَتْ نَقَائِبُه[٢٥]
به ازْدَادَ دينُ اللهِ عِزًّا وَردَّدَتْ
مَنَابِرُه آلاءَه ومَحَارِبُهْ
وَقُورٌ بدَرْسِ الدِّينِ يُطْرِق خاشِعًا
من النُّسْكِ يَرْجُو رَبَّه ويُرَاقِبُه[٢٦]
بِجانبِه الشَّعبُ الوَفيُّ يَحُوطُه
وتَزْحَمُه أعْضَادُه ومَناكِبُه
وجِبْرِيلُ يَهْفُو فَوْقَه بجَنَاحِه
حَنَّانًا، وفَيْضُ اللهِ يَنْهَلُّ سَاكِبُه
تجَلَّى به عَصْرُ الرَّشِيدِ وعِزُّه
وسالِفُ عَهْدِ الرَّاشِدِين وذَاهِبُه[٢٧]
إذا الشَّعْبُ وَالَاه فَذلِك فَرْضُهُ
وإنْ هُوَ فَدَّاه فَذلِك وَاجِبُهْ[٢٨]

* * *

شَهِدْتُك يَوْمَ العِيدِ والشَّعْبُ حاشِدٌ
تهِيمُ بِهِ أَشْوَاقُه وتُجَاذِبُه

لـه صَـوْتُ صِـدْقٍ بـالـدُّعَـاءِ مُـجَـلْـجِـلٍ
يُـفَـتَّـحُ أبـوابَ الـسَّـمَـواتِ صـاخِـبُـه
فَعيْن اشْتياقٍ تَرْتَجِي لُقْيَة المُنَى
وصَـدْرُ وَلَاءٍ خـافِـق الـقَـلْـبِ واجِـبُـه
رأيـتُ كَـأَنَّ الْـبَـحْـر مُـدَّ بِـمِـثْـلِـهِ
وقَـــدْ زَأَرَتْ أَمْـــوَاجُـــهْ وغَـــوارِبُـــه
هُنَاك بَدَا العِيدَانِ: وَجْهُكَ والضُّحَى
مَـــشَـــارِقُـــه وَضَّـــاءةٌ ومَـــغَـــارِبُـــه
طَـلَـعْـتَ فَـأَبْـصَـرْنَـا الْـجَـلَالَ مُـصَـوَّرًا
نَرَاه فيُغْضِي طَرْفُنَا وَهُو هَائِبُه[٢٩]
لَكَ البَسْمَةُ الزَّهْرَاءُ تَخْتَلِبُ النُّهَى
ويُمْحَى بهَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ شَوَائِبه[٣٠]
طَلَعْتَ فقُلْنَا: خَيْرُ مَنْ سَاسَ أُمَّةً
وأَشْرَفُ مَنْ شُدَّتْ عَلَيه عَصَائِبه[٣١]
لَـدَى مَـوْكِـبٍ لْـلـمُـلْـكِ عَـزَّ مِـثَـالُـه
تُـحـيـطُ بـه فُـرْسَـانُـه وكَـواكِـبُـهْ
يُشاهِدُه التَّارِيخُ والعُجْبُ مِلْؤُه
فَيَذْهَلُ عَنْ حَصْرِ الذِي هُو كاتِبُه
فَمنْ شَاء مَجْدَ المُلْكِ في بُعْدِ شَأْوِه
فَـهـذِي عَـوالِـيـهِ وِتـلـكَ قَـوَاضِـبـه[٣٢]
وَهَـذا الـذَّكَـاءُ الـعَـبْـقَـرِيُّ مَـلِـيـكُـه
وهَـذِي الْـجُـنُـودُ الـزَّاخَـرات مَـواكِـبُـهْ
مَـلِـيـكٌ لـه عَـزْمُ الـصِّـبَـا ووُثُـوبُـه
وآرَاءُ مـا بَـعْـد الـصِّـبَـا وتَـجـارِبُـه

* * *

تخطَّر شَهْرُ الصَّوْمِ يَسْحَب ثَوْبَه
فَتَنْشُرُ مِسْكًا فِي الفَضَاء مَسَاحِبُه[٣٣]
تحمَّل للفَارُوقِ أَجْرَ مُجَاهِدٍ
يَتِيه به إنْ حَاوَلَ العَدَّ حَاسِبُه
وعَادَ إلى مَوْلَاه جَمًّا ثَوابُه
مَلِيئًا مِنَ الإحْسَان بُجْرًا حَقَائِبُه[٣٤]
تحَدَّثت في المِذْيَاعِ عَن فَضْلِ صَوْمِه
وكَمْ مَثَلٍ عالِي الذُّرَا أنْتَ ضارِبُه[٣٥]

* * *

هَنِيئًا لك العِيدُ الّذِي بِكَ أَشْرَقَتْ
منازِلُه بِشْرًا، وضَاءَتْ رَحائبُه
رَأَتْ فِيه مِصْرٌ همَّةً عَلَوِيَّةً
يَرى كُلُّ بَأْسٍ عَزْمَها فيُجَانِبُه[٣٦]
وأَبْصَر فِيه النِّيلُ خَيْرَ مُمَلَّكٍ
تَجِلُّ مَسَاعِيه، وتَصْفُو مَشَارِبُه
بَصِيرٌ إذا سَاسَ الأُمُور تَكَشَّفَتْ
وبانَ لَهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبه
يُزَاوِلها مِنْه حَصِيفٌ مُدَرَّبٌ
بَعِيدُ المَرامِي صَادِقُ الرَّأْيِ صَائِبه[٣٧]
إذا مَدَّ زَنْدَ العَزْمِ في إثْرِ مَطْلَبٍ
تَدَانَتْ أقَاصِيه، ولَانَتْ مَصَاعِبُه[٣٨]
نَعِمْنا بالاسْتِقْلَالِ في يُمْنِ عَهْده
وَأَسْفَر لَيْلٌ لم يَنَمْ فيه ناصِبُهْ[٣٩]
وَعَزَّ حِمَى مِصْرٍ بجُهْدِ رجَالِها
وعادَ لَهَا من لامِعِ المَجْد عَازِبُه[٤٠]

فـعِـشْ لـلـهُـدَى والـمَـكْـرُمَـاتِ فـإنَّـمـا
سَـجَـايَـاكَ آيـاتُ الـهُـدَى وجَـوالِـبُـه[٤١]

هوامش

(١) تبلج: أضاء وأشرق والضمير يعود إلى الصباح الذي سيأتي ذكره. لاحت: ظهرت وبدت. السبائب: الأعلام. الواحدة: سبيبة. رفت: خفقت واهتزت.

(٢) جذلان: فرحًا. الوسنان: الذي غشيته سنة النوم. الدجى: ظلام الليل.

(٣) تناجيه: تساره وتجاذبه الحديث. غياهبه: ظلماته وحنادسه.

(٤) تردى: لبس. مسوح النسك: ما يظهر فيه الزهاد من لباس أسود. الخافقين: المغرب والمشرق. ذوائبه: أطرافه، ويريد ألسنة الظلام.

(٥) مذاهبه: طرقه.

(٦) الآذي: الموج.

(٧) السفر: المسافرون. الواحد سفر. الدائب: المستمر فيما أخذ فيه.

(٨) سليل الطين: آدم؛ لأنه خلق من الطين. يجتاب: يقطع.

(٩) في عنفوانه: في اكتماله ورائع نوره. تصول: تسطو وتعدو. الشهب: جمع أشهب، وهو الذي فيه بياض يصدعه سواد. الصافنات: الخيل تقوم على ثلاث قوائم وطرف الرابعة، ولا يكون ذلك إلا في الجياد العتاق. الكتائب: جمع كتيبة، وهو الجيش. ويريد بالكتائب: جيوش الضوء، وبشهب الصافنات: الأشعة للونها وسرعة جريها.

(١٠) تألق: أضاء وأشرق.

(١١) نبا بي الليل: أي نبا جنبي عن الليل كأنه فراش خشن، فاستوحشت وضجرت. هيادبه: سحائب ظلماته.

(١٢) تصحو: تتفتح. سناتها: سباتها.

(١٣) القيان: الجواري المغنيات. شبه الطير بها. أشجت: أثارت الشجو وحركت الشوق. أغانيه: أي أغاني العود.

(١٤) ثاقبه: نوره الذي يبذ كل نور.

(١٥) مناسبه: أي أنسابه وأصوله.

(١٦) القاطب: العابس عن غضب وشدة. القاطب: الأسد (أيضًا). والكلام على كلا المعنيين مستقيم. فعلى الأول جعل عزمه العابس يخيف الدهر. وعلى الثاني جعل من عزمه أسدًا يخشى الدهر بطشه.

(١٧) تأثر: احتذى وترسم.

(١٨) الأفلاذ: قطع الأكباد.

(١٩) شغاف القلب (هنا): سويداؤه. الرواجب: بواطن مفاصل الأصابع، وقيل غير ذلك، الواحدة راجبة.

(٢٠) كنوز البحر: ما ينطوي عليه من جوهر كريم ومنافع للناس. الآلاء: النعم.

(٢١) الجرد: من صفات الخيل. وهي القصيرة الشعر، وهو مما تمدح به. تقنص المنى: تظفر بها وتلحقها. النجائب: كرام النوق. الواحدة: نجيبة. والأفراس والنجائب، عدة الإنسان في بلوغ الغايات.

(٢٢) الزهر: الناصعة البياض. الدجى: الظلام. الأقدار والمراتب: المنازل والدرجات.

(٢٣) فيض جوده: عميم كرمه. وكفت: أمطرت.

(٢٤) نفحة الذكر: سيرته الطيبة التي تملأ الأرجاء. كاسبه: المتصف به.

(٢٥) اصطنعه: تولاه برعايته وحاطه بعنايته. وجل: عظم. عمت: انتشرت، الأيادي: النعم، النقائب: الخلال الطيبة، الواحدة: نقيبة. طيبها: حسنها وبلوغها غاية الكمال.

(٢٦) يرجو: يخاف. يراقب: يخشى.

(٢٧) تجلى: وضح وبان، الرشيد: هو هارون الرشيد أحد الخلفاء العباسيين. وكان عهده من أزهى عهود الدولة حضارة ومدنية. الراشدون: الخلفاء الأربعة وقد بلغ الدين في عهدهم غايته.

(٢٨) والاه: أخلص له الولاء ودان له. فرضه: واجبه. فداه: جعل نفسه فداءً له.

(٢٩) يغضي: يكسر الطرف حياءً. هائبه: في خشية منه.

(٣٠) الزهراء: المشرقة إشراق النجوم. تختلب النهى: تستلب العقول. شوائب الهم: ما يشوب النفس ويعكر صفوها.

(٣١) العصائب: جمع عصابة، وهي ما يشد على الرأس.

(٣٢) الشأو: الغاية والمدى. العوالي: الرماح. القواضب: السيوف.

(٣٣) مساحب الثوب: ما ينجر منه على الأرض.

(٣٤) بجرًا حقائبه: منتفخة من كثرة ما فيها من الثواب.

(٣٥) الذرا: جمع ذروة، وهي من كل شي أعلاه.

(٣٦) علوية: نسبة إلى جده رأس الأسرة الملكية في مصر «محمد علي باشا». البأس: القوة والشدة. يجانبه: يباعده.

(٣٧) الحصيف: الذي استحكم عقله. المدرب: ذو الخبرة بالأمور. بعيد المرامي: بعيد النظر، صائبه: أي: لا يخطئ مواقع الأمور.

(٣٨) يريد بزند العزم: ذراعه القوي الفتي، والمقصود همته التي لا تنثني أمام المطالب. تدانت: قربت. أقاصيه: ما بعد وعز. لانت: هانت وسهلت.

(٣٩) الناصب: المضني المتعب.

(٤٠) الحمى: ما يجب عليك حمايته. عازبه: ما بعد عليها قديمًا وامتنع.

(٤١) سجاياك: طباعك وخلالك. جوالبه: تجلبه وتأتي به.

أعلَامُ المجمَع

في رثاء الأساتذة أحمد الإسكندري وحسين والي ونلينو أعضاء مجمع اللغة العربية. أنشدت بدار الأوبرا في فبراير سنة ١٩٣٩م.

غدًا في سَماءِ الْعبْقَرِيَّةِ نلتقي ... وتجتمعُ الأنْدادُ بَعْدَ التَّفَرُّقِ
وَنذكر عيْشًا كالأزَاهِر لم يَطُلْ ... وَوُدًّا كَمشْمُولِ الرَّحيقِ الْمُصَفقِ[١]
وَنَضْحك من آمالِنا كيف أنَّها ... أَصَاخَتْ إلى وَعْدِ الزَّمان المُلَفِّقِ
ونَسْبَحُ في أنْهَارِ عَدْنٍ كأنَّما ... سَرَائِرُنَا مِن مائِها المُتَدَفِّق
ونَخْتَرِق الأجْواءَ بَيْنَ مُدَوِّمٍ ... يَمدُّ جَنَاحَيْهِ وبين مُصَفِّق[٢]

* * *

ذَكَرْتُ أَحِبَّائي وقَدْ سَارَ رَكْبُهُمْ ... إلى غير آفاقٍ على غير أَيْنُقِ[٣]
أُودِّعهم ما بَيْنَ لَوْعَةِ وَاجِدٍ ... تَطِيرُ به الذِّكْرَى وَزفْرَةِ مُشْفِق
وَأَبْعَثُ في الصَّحْراء أَنَّاتِ شَيِّقٍ ... وهَلْ تَسْمعَ الصَّحراء أَنَّاتِ شَيِّقِ؟!
تعلقتُ بالحَدْبَاءِ حَيْرانَ وَالِهًا ... وكيف! ومَاذَا نافِعِي من تعلُّقِي؟![٤]
لَمَسْتُ فلم أَلْمِسْ سوى أَرْيَحِيَّةٍ ... من النورِ لُفَّتْ في رِدَاءٍ مُخلَّقِ[٥]

* * *

أَتُدْفَنُ في الأرض الكنوزُ وفوقها ... خَلاَءٌ إلى لأْلائِهَا جِدُّ مُمْلِقِ[٦]
ويَمْضِي الْحِجَا مَا بَيْنَ يومٍ وليلةٍ ... كَلَمْحَة طَرْفٍ أَو كَوَمْضَةِ مُبْرِقِ[٧]
يضيق فضاءُ الأرض عن هِمَّةِ الفَتى ... ويُجمَعُ في لَحْدٍ من الأرض ضيِّقِ

تَبَابٌ لهذا الدَّهْرِ مَاذَا يُرِيدُه؟ وأَيّ جديدٍ عنده لم يُمَزّقِ؟[٨]
يُصَدِّعُ من أَعْلاَمِنَا كلَّ راسخٍ ويُطفِئ من أَنْوَارِنَا كلَّ مُشْرِقِ
هُوَ الموتُ مَا أَغْنَى اسمه عَنْ صِفَاتِه وعن كلِّ أَلْوَانِ الكلام المُنَمَّقِ!
رَمَتْنِي عوَادِيه فإن قلتُ: إِنَّهَا مَضَتْ بِأَمانِيِّ الحياة فَصَدِّقِ!

* * *

أَأَحمدُ أين الأَمْسُ والأمسُ لم يَعُدْ سِوَى ذِكرياتٍ للخيال المُؤَرِّقِ
كَأَني أراكَ اليومَ تخطُبُ صَائِلًا وتَهْدِرُ تَهْدَارَ الْفَينقِ المُشَقْشِقِ[٩]
تُنَافِحُ عن بِنْتِ الصَّحارِي مُشَمِّرًا وتَفْتَحُ مِن أَسْرَارِهَا كُلَّ مُغْلَقِ[١٠]
مَضَى حَارِسُ الفُصْحى فَخَلَّده اسْمُه كما خلَّد الأَعْشى حَديثَ الْمُحَلَّقِ[١١]
فَقدْنَا به زَيْنَ الْفَوَارِسِ إن رَمَى أَصَابَ وإِنْ يُرْخِ الْعِنَانَيْنِ يَسْبِقِ
فَقُلْ للَّذِي يَسْمُو لذَيْلِ غُبارِهِ ظلَمْتَ العِتَاقَ الشَّيْظَمِيَّاتِ فَارفُقِ[١٢]
إذا ما رَمَى عِنْدَ الجِدَالِ عَبَاءَهُ رَمَاكَ بِسَيْلٍ يَقْذِفُ الصَّخْرَ مُغْرِقِ
فجانِبْ إذا كُنتَ الحكِيمَ سُؤَالَهُ وَأَطْرِقْ إلى آرائِهِ ثُمَّ أَطْرِقِ

* * *

أَأَحْمَدُ، إِنْ تَمْرُرْ بِوَالِي فَحَيِّه وَبَلِّغْه أَشْوَاقَ الفُؤادِ المُحَرَّقِ[١٣]
طَوَيناه صيَّادَ الأَوابِدِ لَمْ يَدَعْ عَزِيزًا عَلَى الأَفْهامِ غَيْر مُوَثقِ[١٤]
لَهُ نَظْرَةٌ لم يحتَمِلْ وَقعَ سِحْرِهَا غريبُ ابن حُجْرٍ أَو عَوِيصُ الفَرَزْدَقِ[١٥]
أَحَاطَ بآثار الْخَلِيلِ بْنَ أَحْمَدٍ إحاطَةَ فيَّاضِ البَيَانِ مُدَقِّقِ
إذا مَسَّ بالكَفِّ الجبينَ تدافَعَتْ جُيُوشُ المعانِي فَيْلقًا إِثْرَ فَيْلَقِ[١٦]

* * *

ويومًا مع الإسكندريّ رأيته يُجاذِبُه فَضْلَ الْحَدِيثِ المشَقَّقِ[١٧]
فَهَذَا يَرَى في لَفْظَةٍ غَيرَ مَا يَرى أَخوه ويختارُ الدليلَ وَينْتَقِي
فقلت: أرى ليثًا وليثًا تَجَمَّعَا وأَشْدَقَ مِلءَ العَيْنِ يَمْشِي لأَشْدَقِ[١٨]
وأَعْجَبَنِي رأيٌ سَلِيمٌ وَمَنْطِقٌ يَصُولُ على رأيٍ سليمٍ ومَنْطِقِ
وقد لوَّحتْ أَيْدِيهِمَا فكأَنّها إِشاراتُ راياتٍ تروحُ وتَلتَقِي

ولم أرَ في لفْظَيْهِمَا نَبْرَ عَائِبٍ ولم أَرَ في عَيْنَيْهِمَا لَمْحَ مُحْنَقِ[١٩]
فقلتُ: هِيَ الفُصْحَى بِخَيرٍ وَإِنَّهَا بِأَمثالِ هَذَيْن الْحَفيَّيْنِ تَرْتَقي

* * *

وَلَمْ أَنْسَ نَلِّينُو وقَدْ جَاء فَيْصَلًا بِحُجَّةِ بَحَّاثٍ وَرَأْيِ مُحَقِّقِ[٢٠]
وَفِكْرٍ لهُ مِنْ فطْرَةِ الرُّومِ دِقَّةٌ ومِنْ نَفحاتِ العُرْبِ حُسْنُ تَأَلُّقِ
يُنَسِّقُ علم الأوّلين مُجاهِدًا ولا خَيْرَ في عِلْمٍ إِذَا لَمْ يُنَسَّقِ
تَقَاسَمَهُ غَرْبٌ وشَرْقٌ فَأَلَّفَتْ مَنَاقِبُهُ ما بَيْنَ غَرْبٍ ومَشْرِقِ
فَدَعْ ما يُغَطِّي الرّأس واسْمَعْه لا تجِدْ سِوَى عَرَبِيٍّ في العُروُبَة مُعْرِقِ
إذا صَالَ أَلْقَى الرُّمحَ كُلُّ مُنَازِلٍ وإِنْ هو دَوّى سَفّ كلُّ مُحَلِّقِ[٢١]
عَشقْناه وَضَّاحَ الْخَلاَئِقِ مُخْلِصًا وَمَنْ يَكُ وضّاحَ الخلائق يُعْشَق
فَيَا مَجْمَعَ الفُصْحى عَزَاءً فَكُلُّنَا إِلَى الشاطىء المَوْعُودِ ركّابُ زَوْرَقِ
وما عَقِمَتْ أُمُّ اللُّغَاتِ ولا خَلَتْ خَمائِلُهَا منْ سَجْعِ كلِّ مُطَوَّقِ

هوامش

(١) الرحيق: صفوة الخمر. المشمول: البارد يقال: (غدير مشمول). هبت عليه ريح الشمال فأبردته. المصفق: المصفى بتحويله من إناء إلى إناء.

(٢) مدوم: دوم الطائر حلق في الهواء دون أن يحرك جناحيه. مصفق: من صفق الطائر بجناحيه حركهما فسمع لحركتهما صوت.

(٣) أينق: جمع ناقة وجمع الجمع: أيانق.

(٤) الحدباء: النعش.

(٥) مخلق: الخلوق والخلقة ضرب من الطيب. المخلق: ما وضع عليه الخلوق.

(٦) جد مملق: مفتقر جدًّا.

(٧) الحجا: العقل والفطنة.

(٨) التباب: القطع والإهلاك. وتبا له: دعاء عليه بالهلاك.

(٩) هدر الفنيق: ردد صوته في حنجرته. التهدار: مصدر منه. المشقشق: البعير يخرج من فيه ما يشبه الرئة إذا هاج ويسميها العامة (القلة).

(١٠) تنافح: تدافع. بنت الصحاري: كناية عن اللغة العربية. مشمرًا: مجتهدًا. أسرارها: خفاياها ومعضلاتها. مغلق: مقفل.

(١١) الأعشى: هو أعشى قيس أبو بصير من فحول شعراء الجاهلية. المحلق: لقب عبد العزى بن حنتم وكان فقيرًا خامل الذكر مدحه الأعشى بقصيدته التي مطلعها:

أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي تعشق

فنبه ذكر المحلق وعلا شأنه، وخلد التاريخ اسمه.

(١٢) العتاق: من الخيل. النجائب، ومفرده عتيق ككريم. الشيظميات: واحدها شيظمي وهو الفرس الرائع بطول جسمه وقوته. ارفق: ترفق وتلطف.

(١٣) والي: هو المرحوم حسين والي عضو المجمع اللغوي وأحد فحول العربية في عصر النهضة. تخرج في الأزهر وزاول مهنة التدريس فيه وفي مدرسة القضاء الشرعي، وتدرج في مناصب الأزهر السامية. ولما أنشئ المجمع اختير عضوًا فيه وكانت مواقفه فيه خالدة، وآراؤه حكيمة، وله عدة مؤلفات في الأدب واللغة ورسم الحروف. أشواق: جمع شوق وهو نزاع النفس وحركة الهوى. المحرق: من حرقه باليد يحرقه بالغ في الإحراق.

(١٤) الأوابد: الوحوش، والمراد عويصات المسائل وغرائبها مما يعز فهمه. الموثق: المحكم المتقن.

(١٥) ابن حجر: امرؤ القيس إمام شعراء الجاهلية. عويص: من عوص الكلام صعب، والعويص من الشعر ما صعب فهم معناه. الفرزدق: أحد فحول الشعراء الأمويين مشهور بصلابة الشعر وغرابته.

(١٦) تدافعت: تدافعوا في الحرب: دفع بعضهم بعضًا. الفيلق: الجيش.

(١٧) الإسكندري: هو المرحوم الأستاذ أحمد علي السكندري. حجة الأدب العربي واللغة العربية، تلقى دروسه في الأزهر، ثم في دار العلوم، ثم كان مدرسًا في المدارس الأميرية، فناظرًا لمدارس المعلمين فأستاذًا بدار العلوم، فعضوًا في المجمع توفي سنة ١٩٣٨م. يجاذبه: يجذبه حوله عن موضعه كجاذبه. والمراد هنا النقاش والمجادلة؛ لأن كلًّا يجذب الآخر لرأيه بكلامه. جذب الشيء فضل: الفضل هنا بمعنى الطرف. المشقق: شقق الكلام أخرجه أحسن مخرج.

(١٨) أشدق: الشدق. سعة الشدق وخطيب أشدق بليغ.

(١٩) نبر: نبر فلانًا بلسانه نال منه. لمح: لمح إليه اختلس النظر ولمح البرق لمع. محنق: الحنق. الغيظ أو شدته.

(٢٠) نلينو: هو المستشرق الإيطالي الكبير الأستاذ نلينو ولد في تورينو من بلاد إيطاليا سنة ١٨٧٢م. وأتقن دراسة الرياضيات والفلك والفلسفة والفقه وتاريخ الأديان. وفد إلى القاهرة في بعثة إيطالية سنة ١٨٩٣م؛ ليتزود من علوم الشرق، ولا سيما العلوم الإسلامية ثم عاد إلى وطنه فاشتغل مدرسًا للعلوم العربية في المعهد الشرقي بنابولي وفي جامعة روما ثم بلرم. فأستاذًا للتاريخ الإسلامي بجامعة روما. وألقى محاضرات هامة في الجامعة المصرية بين عامي سنة ١٩٠٩ وسنة ١٩١٣، ثم دعاه الملك فؤاد سنة ١٩٢٦م؛ ليكون أستاذًا بكلية الآداب واختير عضوًا في المجمع كما اختير عضوًا في مجمع إيطاليا، وفي الجمعيتين الشرقيتين الإنجليزية والألمانية. وفي مجمع دمشق العلمي. توفي سنة ١٩٣٨م.

(٢١) دوَّى: دوى الطائر: طار في الهواء ولم يحرك جناحيه. سف الطائر: هبط إلى الأرض.

بَغدَادُ

ألقيت في حفل افتتاح المؤتمر الطبي العربي ببغداد في ٩ من فبراير سنة ١٩٣٨م.

بَـغْـدَادُ، يَـا بَـلَـد الـرَشِـيـدِ! وَمَـنَـارَةَ الْـمَـجْـدِ الـتَّـلِـيـدِ![1]
يَـا بَـسْـمَـةً لَـمَّـا تَـزَلْ زَهْـرَاءَ فـي ثَـغْـرِ الْـخُـلُـودِ
يَا مَـوْطـنَ الْـحُـبِّ الْـمُـقِـيـ ـمِ وَمَضْرِبَ الْمَثَلِ الشَّرُودِ[2]
يَـا سَـطْـرَ مَـجْـدٍ لِـلْـعُـرُو بَـةِ خُـطَّ فـي لَـوْحِ الْـوُجُـودِ
يَـا رَايَـةَ الإِسْـلامِ، وَالـ إِسْـلَامُ خَـفَّـاقُ الْـبُـنُـود
يَـا مَـغْـرِبَ الْأَمَـلِ الْـقَـديـ ـمِ، وَمَشْرِقَ الْأَمَلِ الْجَدِيد
يَا بِـنْـتَ دِجْـلَـةَ، قَـدْ ظَـمِـئـ ـتُ لِرَشْفِ مَبْسِمِك الْبَرُودِ[3]
يَـا زَهْـرَةَ الـصـحْـراءِ، رُدِّ ي بَـهْـجَـةَ الـدنْـيَـا وزِيـدِي
يَـا جَـنَّـةَ الأَحْـلَامِ، طَـا لَ بِـقَـوْمِـنَـا عَـهْـدُ الـرُّقُـودِ
يَا بُـهْـرَةَ الْـمُـلْـكِ الْـفَـسِـيـ ـحِ، وَصَـخْـرَةَ الْـمُـلْكِ الْوَطِيدَ[4]
يَـا زَوْرَةً تُـحْـيِـي الْـمُـنَـى إِنْ كُـنْـتِ صَـادِقَـةً فَـعُـودِي!

* * *

بـغْـدَادُ، يـا دَارَ الـنـهَـى وَالْـفَـنِّ، يـا بَـيْـتَ الْـقَـصِـيـدِ
نبتَ الْـقَـرِيـضُ عَـلَـى ضِـفَـا فِـكِ بَـيْـنَ أَفْـنَـانِ الْـوُرُودِ
سَـرَقَ الـتَـدَلُّـلَ مْـن «عِـنَـا نِ» والـتَّـفَـنُّـن مِـنْ «وَحِـيـدِ»[5]
يَـشْـدُو كَـأَنَّ لَـهَـاتَـهُ شُـدَّتْ عَـلَـى أَوْتَـارِ عُـودِ

بَـغْـدَادُ، أيْـنَ الْـبُـحْـتُـرِيُّ؟ وَأَيْـنَ أَيْـنَ ابْـنُ الْـوَلِـيـدِ؟[٦]
ومَـجَـالِـسُ الـشُـعَـرَاء فـي بَيْتِ ابْنِ يَحْيَى وَالرَّشِيد؟[٧]
أَيْـنَ الْـقِـيَـانُ الـضَـاحِـكَـا تُ يَمسْنَ في وَشْيِ الْبُرُودِ؟[٨]
الـسَـاحِـرَاتُ الْـفَـاتِـنـا تُ النُّجْلُ مِنْ هِيفٍ وَغِيدِ[٩]
الـسَـاهِـرَاتُ مَـعَ الـنـجُـو مِ الآنِـفَـاتُ مِـنَ الْـهُـجُـودِ
مِـنْ كُـلِّ بَـيْـضَـاء الـطـلَـى مَهْضُومَةِ الْكَشْحَيْنِ رُودِ[١٠]
يَـخْـطِـرْنَ حَـتَّـى تَـعْـجَـبَ الـ أَغْصَـانُ مِـنْ لِـينِ الْـقُـدُودِ[١١]
وَإذا سَـفَـرْنَ فَـأَيْـنَ ضَـوْ ءُ الشَّمْسِ مِنْ شَفَقِ الْخُدُودِ؟
يَـعْـبَـثْـنَ بِـالأَيَّـام، وَالـ أَيَّـامُ أَعْـبَـثُ مِـنْ وَلِـيـدِ!
خَـبَـأَ الْـجَـمَـالُ لَـهُـنَّ كَـنْـزًا بَـيْـنَ سـالِـفَـةٍ وَجِـيـدِ[١٢]

* * *

كَـمْ جَـاشَ جَـيْـشُـك بِـالْـفَـوَا رِسِ مِـنْ أَسَـاوِرَةٍ وَصِـيـدِ![١٣]
لِـلـنـصْـرِ فِـي أَعْـلَامِـهِـمْ صِـلَـةٌ بِـأَبْـنَـاء الْـغُـمُـود[١٤]
مُـلْـكٌ إذَا صَـوَّرْتَـهُ عَـجَـزَ الْـخَـيَـالُ عَنِ الصُعُودِ
وَجُـهُـودُ جَـبَّـارِيـنَ تَـصـ ـغُرُ دُونَهَا شُمُّ الْجُهُودِ[١٥]
الـرُّسْـل تَـتْـلُـو الـرسْـلَ مِـنْ بِـيـضٍ صَـقَـالِـبَـةٍ وَسُـودِ[١٦]
سَارُوا «لِقَصْرِ الْخُلدِ» يُعـ ـشِي طَرْفَهُمْ وَهَجُ الحَدِيدِ[١٧]
يَـتَـعَـثَّـرُونَ، كَـأَنَّـهُـمْ يَمْشُونَ في حَلَقِ الْقُيُودِ[١٨]
الـجَـوُّ يَـسْـطَـعُ بـالـظـبَـا وَالأَرْضُ تَـزْخَـرُ بِـالْـجُـنُـودِ[١٩]
حـتَّـى إذَا رَجَـعُـوا بَـدَا بِـجِـبَـاهِـهِـمْ أَثَـرُ الـسـجُـودِ

* * *

الْـفَـلْـسَـفَـاتُ عَـرَفْـتِـهـا وَالْـعِـلْـمُ طِـفْـلٌ فِـي الْـمُـهُـودِ
وَالْـغَـرْبُ يَـنْـظُـرُ فِـي خُـمُـودٍ نَـحْـوَ قـاتِـلَـةِ الْـخُـمُـودِ
كَـمْ مَـوْئِـلٍ لِـلْـمُـسـتَـجِـيـ ـرِ، وَمَـنْـهَـلٍ لِـلْـمُـسـتَـفِـيـدِ
وَ«الْـجَـاحِـظُ» الْـمَـرِحُ الـلَّـعُـو بُ يَـغُـوصُ لِـلـدُّرِّ الْـفَـرِيـدِ[٢٠]
بَـغْـدَادُ، يـا وَطَـنَ الْأَدِيـبِ، وَأَيْـكَـةَ الـشـعْـر الْـغَـرِيـدِ

جَـدَّدْتِ أَحْـلَامِـي، وَكُـنْـتُ صَحَوْتُ مِنْ عَهْدٍ عَهِيدِ[٢١]
جَمَعَ الْخَيَالُ فَمَا اطْمَأَنَّ، وَلا اسْـتَـقَـرَّ إِلَـى خُـلُـودِ
جَـازَ الْـقُـرونَ الـنَّـائِـيَـا تِ، وَفَكَّ أَسْرَارَ الْعُـقُودِ[٢٢]
ذَكَـرَ الْـعُـهُـودَ فَـأَنَّ لِـلـذِّ كْرَى، وَحَـنَّ إِلَـى الْـعُـهُـودِ
وَاهْتَاجَهُ الطيْفُ الْبَعِيدُ، فَـجُـنَّ لِـلـطـيْـفِ الْـبَـعِـيـد
وَصَـبَـا إِلَـى ظِـلِّ الْـعُـرُو بَةِ في حِمَى الْمُلْكِ الْعَتِيد[٢٣]

* * *

يَـا أُمَّـةَ الْـعَـرَبِ ارْكُـضِـي مِلءَ الْعِنَانِ، وَلَا تَـهِـيدِي[٢٤]
سُـودِي، فَـآمَـالُ الْـمُـنَـى وَالْـعَـبْـقَـرِيَّـةِ أَنْ تَـسُـودِي
هَـذَا أَوَانُ الْـعَـدْوِ لَا الـ إِبْـطَـاءِ وَالْـمَـشْـيِ الْـوَئِـيـدِ
الْـمَـجْـدُ أَنْ تَـتَـوَثَّـبِـي وَإِذَا وَثَـبْـتِ فَـلَا تَـحِـيـدِي
وَتُـحَـلِّـقِـي فَـوْقَ الـنُّـجُـو مِ بـلَا شَـبِـيـهٍ أَوْ نَـدِيـدِ
وَإِذَا شَـدَا الْـكَـوْنُ الْـمَـفَـا خِرَ كُنْتِ عُنْوَانَ النَشِيدِ
لَا تـخْـطِـئِـي حَـدَّ الْـعُـلَا مَـا لِـلْـمَـعَـالِـي مِـنْ حُـدُودِ!
مَـنْ يَـصْـطَـدِ الـنِمِـرَ الْـوَثُـو بَ يَـعِـفُّ عَـنْ صَـيْـدِ الْـفُـهُـودِ

* * *

هَـذِي طَـلَائِـعُ نَـهْـضَـةٍ ذَهَـبَـتْ بِـآثَـارِ الـركُـودِ
بَـغْـدَادُ أَشْـرَقَ نَـجْـمُـهَـا وَبَدَا بِـهَـا سَـعْـدُ الـسـعُـودِ
سَـلَـكَـتْ إِلَـى الْـمَـجْـدِ الْـقَـدِيـ ـمِ مَـحَـجَّـةَ النَهْجِ السدِيدِ[٢٥]
وَزَهَـتْ بِـأَقْـمَـارِ الْـهُـدَى وسَـطَـتْ بِـأَظْـفَـارِ الْأُسُـودِ[٢٦]
بَـغْـدَادُ، إِنَّـا — وَفْـدَ مِـصـ ـرَ — نَفيضُ بالشوْقِ الأَكِيد[٢٧]
جِـئْـنَـا نُـحَـيِّـي الْـعِـلْـمَ وَالـ آدَابَ فِـي الْـعَـدَدِ الْـعَـدِيـدِ
مَـرْآكِ عِـيـدٌ لِـلْـمُـنَـى فُـزْنَـا بِـهِ فِـي يَـوْمِ عِـيـد[٢٨]
أَهْـلُـوك أَهْـلُـونَـا، وَأَبْـنَـا ءُ الْـعَـشِـيـرةِ وَالْـحُـدُودِ
بَـيْـنَ الـقُـلُـوبِ تَـشَـوُّفٌ كَتَشَوُّفِ الصبِّ العَمِيدِ[٢٩]
حَـتَّـى يَـكَـادَ يُـحِـبُّ نَـخـلَـكِ نَـخْـلُ أَهْـلِـي فِـي «رَشِـيـدِ»[٣٠]

شَطَّتْ مَنَازِلُنَا، وَمَا ... احْتَاجَ الفُؤَادُ إِلَى بَرِيدِ[31]
الرَافِدَانِ تَمَازَجَا ... فِي الْحُبِّ بِالنِّيلِ السعِيدِ[32]
وَتَعَانَقَ الظِّلَانِ: ظِلُّ الطـ ... ـطَاقِ وَالْهَرَمِ الْمَشِيدِ[33]
جِئْنَاكِ نَسْتَبِقُ الْخُطَا ... أَنْضَاءَ أَوْدِيَةٍ وَبِيدِ[34]
طَالَتْ بِنَا الصَّحْرَاءُ حَتـ ... ـتَى خِلْتُهَا أَبَدَ الْأَبِيدِ[35]
يَتَخَلَّصِ الْمَرْمَى المَدِيـ ... ـدُ بِهَا إِلَى مَرْمًى مَدِيدِ
كَتَخَلُّصِ الْحَسْنَاء مِنْ ... وَعْدٍ طَوَتْهُ إِلَى وُعُودِ
بَحْرٌ بِلَا شَطَّيْنِ يَزْ ... خَرُ بالتَّنَائِفِ وَالنُّجُودِ[36]
وَسَفِينَتِي «نَرْنٌ» بِهَا ... مَا فِي فُؤَادِي مِنْ وُقُودِ[37]
جِئْنا إِلَى الْغَازِي سَلِيـ ... ـلِ الْعُرْبِ وَالْحَسَبِ الْمَجِيدِ[38]
نَخْتَالُ بَيْنَ هِبَاتِهِ ... فِي ظِلِّ إِحْسَانٍ وَجُودِ
أَحْيَا الْمُنى بِالْعَزْمِ وَالتَّدْ ... بِيرِ والسَعْيِ الْحَمِيدِ
وَغَدَتْ بِهِ سُوحُ الْعُرو ... بَةِ مَنْهلًا عَذْبَ الْوُرُودِ[39]
فِي نَهْضَةِ «الْفَارُوقِ» وَالـ ... ـغازي غِنًى لِلْمُسْتَزِيدِ
«فَارُوقُ» مُنْبَثَقُ الرجَا ... ء ومُلْتَقَى الرُّكْنِ الشَدِيدِ[40]
عَاشَا وَعَاشَ الشَّرْقُ فِي ... عِزٍّ وَفِي عَيْشٍ رَغِيدِ

هوامش

(١) بغداد: مدينة عظيمة على شاطئ نهر دجلة من بلاد العراق، وكانت مقر الخلافة العباسية، بناها أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين سنة ١٤٥هـ. والرشيد هو هارون الرشيد خامس خلفاء بني العباس تولى الخلافة (١٧٠–١٩٣هـ)، وكان عصره عصر نعيم ورخاء، وفي زمنه ازدهرت بغداد وعظم شأنها.

(٢) الشرود: السائر الذائع المنتشر.

(٣) المبسم: الثغر، وهو ما تقدم من الأسنان حيث يكون الابتسام، والمراد الريق. البرود: البارد.

(٤) بهرة الملك: قصبته ومقره. الوطيد: الثابت المتين.

(٥) عنان: جارية الناطفي كانت مغنية رائعة الحسن فاتنة الدلال. وحيد: اسم مغنية اشتهرت في العصر العباسي بافتتانها في الغناء، ولابن الرومي قصيدة في وصفها.

(٦) البحتري: هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي، شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية المقربين إلى الخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان، وكانت ولادته بمنبج (وهي بلدة قديمة بين حلب والفرات) سنة ٢٠٦هـ. وتوفي بها سنة ٢٨٤هـ. ومسلم بن الوليد الملقب بصريع الغواني كان أيضًا من الشعراء المفلقين في عهد هارون الرشيد، وهو أول من تكلف البديع في شعره. وكانت وفاته بجرجان سنة ٢٠٨هـ.

(٧) ابن يحيى هو الفضل بن خالد بن برمك، وكان هو وأخوه جعفر وأبوهما يحيى من وزراء الرشيد، وأنبه الناس وأبعدهم صيتًا وأرفعهم قدرًا وأعظمهم كرمًا، وبلغ من أمرهم أنهم زاحموا الخليفة في نفوذه وسلطانه، وأصبح الملك في قبضتهم، ولهذا غضب عليهم الرشيد وفتك بهم. وكانوا إلى كياستهم وحسن سياستهم رجال فضل وعلم وأدب، وكانت مجالسهم ونواديهم مقصد الشعراء وكعبة البلغاء والأدباء.

(٨) القيان: جمع قينة وهي الأمة المغنية. الوشي: مصدر وشيت الثوب من باب وعد أي رقمته ونقشته. البرود: جمع برد وهو الثوب المخطط.

(٩) النجل: جمع نجلاء صفة من النجل بفتحتين وهو سعة العين وحسنها. هيف: جمع هيفاء صفة من الهيف بفتحتين وهو ضمر البطن ورقة الخاصرة. غيد: جمع غيداء صفة من الغيد بفتحتين وهو لين الأعطاف والتثني.

(١٠) الطلى: الأعناق أو أصولها، واحدتها طلية، مهضومة: ضامرة لطيفة. الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي، مضهومة الكشحين: هيفاء ضامرة البطن رقيقة الوسط. رود: رقيقة لينة ناعمة.

(١١) القدود: جمع قد وهو القامة وحسن التقطيع والاعتدال.

(١٢) السالفة: جانب العنق. الجيد: العنق أو مقدمة أو موضع القلادة منه.

(١٣) جاش جيشك: ماج واضطرب لكثرته كالبحر الزاخر المائج. الفوارس: جمع فارس وهو راكب الفرس. الأساورة: جمع أسوار بضم الهمزة وكسرها وهو القائد والجيد الرمي بالسهام. الصيد: جمع أصيد وهو الملك ورافع رأسه كبرًا والأسد.

(١٤) أبناء الغمود: كناية عن السيوف.

(١٥) شم: جمع أشم وهو المرتفع العالي.

(١٦) الصقالبة: جيل تتاخم بلادهم بلاد الخزر بين بلغر وقسطنطينية، والمراد الأمم والممالك الأوروبية المجاورة لبحر الخزر والبحر الأسود في الشمال والغرب.

(١٧) يريد بقصر الخلد قصر الخليفة ببغداد، الطرف: العين. يعشي طرفهم: يصيب عيونهم بالعشا، وهو سوء البصر بالليل والنهار، وهج الحديد: توقده ولمعانه.

(١٨) عثر في مشيه وتعثر: كبا وزل وسقط. الحلق: جمع على غير قياس لحلقة.

(١٩) يسطع: يرتفع، والمراد يزدحم ويتلألأ من قولهم: سطعت النار إذا ارتفعت وعظم لهبها واشتد توقدها، الظبا: جمع ظبة وهي حد السيف والرمح نحوهما. تزخر: تمتلئ.

(٢٠) الجاحظ: هو أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر الكناني البصري، ولد بالبصرة حوالي سنة ١٦٠هـ. وكان راوية فيلسوفًا كاتبًا مصنفًا أديبًا عالمًا بالحيوان والنبات وصافًا لأحوال الناس فكه المجلس خفيف الروح غاية في الظرف وطيب الفكاهة، ومن مؤلفاته المشهورة كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين وكتاب البخلاء، وطريقته في الكتابة لا تزال قدوة ومثالًا عاليًا لنوابغ الكتاب، وكانت وفاته ببغداد سنة ٢٥٥هـ وقد نيف على التسعين.

(٢١) عهد عهيد: زمن قديم.

(٢٢) القرون: جمع قرن وهو مائة سنة. النائيات: البعيدات. العقود: جمع عقد وهو العشرة من العدد، فالعقود عشرات السنين.

(٢٣) صبا: مال وتاق. والعروبة مصدر عرب لسانه إذا كان عربيًّا فصيحًا. والمراد القومية العربية. الحمى: المكان المحمي الذي لا يقرب ولا يجترأ عليه. العتيد: العظيم.

(٢٤) اركضي: أمر من الركوض وهو العدو والإسراع. العنان ككتاب: سير اللجام الذي تمسك به الدابة. ملء العنان: كناية عن شدة الركوض ونهاية الإسراع. لا تهيدي: لا تبالي أو تخافي.

(٢٥) المحجة: جادة الطريق أي: معظمه. النهج: الطريق الواضح.

(٢٦) زهت: افتخرت وتاهت، ويريد بأقمار الهدى علماءها الأعلام وقادتها وزعماءها الذين يهدونها سبيل الرشاد. سطت: صالت وقهرت وبطشت.

(٢٧) كان الوفد الذي يشير إليه الشاعر مؤلفًا منه والمرحوم الأستاذ أحمد عمر الإسكندري ممثلين للمجمع اللغوي، ثم من أطباء على رأسهم علي إبراهيم باشا.

(٢٨) المنى جمع منية وهي ما يتمناه الإنسان ويريده ويهواه. به: المرأى. وأشار بالشطر الثاني إلى موافقة حفلة افتتاح المؤتمر (٩ من فبراير سنة ١٩٣٨م) ليوم عرفة (وقفة عيد الأضحى من ذي الحجة سنة ١٣٥٦هـ).

(٢٩) التشوف: التطلع إلى الشيء والنظر والإشراف، والمراد الحب والاشتياق. الصب: العاشق المستهام، العميد: الذي هده العشق وأضناه الغرام.

(٣٠) رشيد: بلد الشاعر من بلدان مديرية البحيرة على فرع النيل الغربي (فرع رشيد).

(٣١) شطت: بعدت.

(٣٢) الرافدان: دجلة والفرات.

(٣٣) الطاق: إيوان كسرى وهو على مسافة بعيدة من بغداد، ويريد بالهرم هرم الجيزة الأكبر على مقربة من مدينة الجيزة في جنوبها الغربي، وهو إحدى عجائب الدنيا السبع، وبه عرفت مصر وامتازت عن سائر الممالك والبلاد، بناه الملك خوفو مؤسس الأسرة الرابعة من الأسر الملكية المصرية قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة، المشيد: المطلي بالشيد وهو ما تطلى به الجدران من جص ونحوه، المشيد أيضًا: الرفيع العالي.

(٣٤) نستبق الخطا: نبتدرها ونعاجلها ونسرع فيها. الخطا: جمع خطوة. أنضاء: جمع نضو وهو المهزول الذي أضعفه السفر وأضناه أي: هزله. البيد: جمع بيداء وهي الصحراء.

(٣٥) خلتها: ظننتها. الأبد: الدهر والزمان والدائم، وهو يريد بالصحراء هنا بادية الشام في شمال الجزيرة العربية، ويجتازها المسافر من دمشق إلى بغداد بسيارة (نرن) في نحو ٢٠ ساعة في ذلك الوقت.

(٣٦) يزخر: يعظم ويمتد ويزدحم. النتائف: جمع تنوفة وهي المفازة أو الأرض الواسعة البعيدة الأطراف أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس. والنجود: جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض.

(٣٧) أراد بالسفينة السيارة الكبيرة الصحراوية التي كان يركبها. و«نرن» اسم شركة أجنبية تملك السيارات الكبيرة التي تغدو وتروح في تلك الصحراء بين دمشق وبغداد. الوقود: بضم الواو وفتحها النار أو اتقادها.

(٣٨) الملك غازي ملك العراق ابن الملك فيصل ابن الملك حسين.

(٣٩) السوح: جمع ساحة وهي الناحية والفضاء بين دور الحي، والمراد بالعروبة القومية العربية. المنهل: المورد أي: مكان النهل وهو الشرب، والورود مصدر ورد الماء إذا بلغه ووافاه، والمراد المورد والماء.

(٤٠) منبثق: اسم مكان من انبثق السيل ونحوه إذا تفجر. الركن: العز والمنعة.

صَومَان

نزل الشاعر ضيفًا في أحد الرمضانات ببعض أثرياء قومه وكانوا بخلاء، فقال هذين البيتين. ١٩٠٥م.

أتـى رَمـضـانُ غَـيـر أنَّ سـراتـنـا يَزيدونه صَوْمًا تَضيقُ به النفسُ
يصومون صَوْمَ المسلمينَ نهارَهُ وصوْمَ النصارَى حينما تغرُبُ الشمسُ

الزِّفَافُ الملكيّ

أنشدت بدار الأوبرا في الحفل الذي أقامه الأدباء والشعراء؛ لتهنئة الملك فاروق بزفافه في يناير سنة ١٩٣٨م.

صَفَا وِرْدُهُ عذْبًا وَطابَتْ مَنَاهِلُهْ ... وَجَلَّتْ يَدُ الدَّهْرِ الَّذِي عَزَّ نَائِلهْ[١]

وأقبلَ مُنْقاد العِنَانِ مُذَلَّلًا ... تَطَامَنَ مَتْنَاهُ، وَدَانَتْ صَوَائِلُهْ[٢]

يُطَأطِئ للفاروقِ رَأسًا، وتَنحنِي ... أَمام سَنَا المُلْكِ المَهيبِ كَوَاهِلُه[٣]

تَلفَّتَ في الآفاقِ شَرْقًا وَمغْرِبًا ... فَلَمْ يَر في أنحائِهَا مَن يُماثلُه

رَأَى مَا رَأَى! لَمْ يَلْقَ عَزْمًا كعزْمِهِ ... تَقُدُّ مواضِيه، وتَفْرِي مَنَاصِلُهْ[٤]

يذوبُ مضَاءُ السيفِ عِنْدَ مَضَائِهِ ... فَمَا هو إلا غِمْدُهُ وحَمَائِلُهْ[٥]

إِذا ما انْتضَاهُ، فالسعودُ أعِنَّةٌ ... إلى ما يُرَجِّي، واللَّيالي رَوَاحِلُهْ[٦]

رَأَى طَلْعةً، لوْ أَنَّ لِلْبَدْرِ مِثْلَهَا ... لَمَا انحدرتْ دونَ النجومِ مَنَازِلهْ

عَلَيْهَا شُعَاعٌ، لَوْ رَمَى حَائلَ الدُّجَى ... لَفَاخَرَ وَجْهَ الصبحِ في الحُسْنِ حائلُهْ[٧]

تَرَاهَا، فَتُغْضِي للجلالِ، ورُبَّمَا ... تشَوَّفَ لَحْظُ العَيْنِ لَوْ جَالَ جَائلهْ![٨]

هُوَ الشمسُ يدنُو في الظَّهيرةِ ضَوْءُهَا ... ويَصْعُبُ مَرْآهَا على مَن يُحَاولهْ

هَوَ الروضُ أو أَزْهَى من الروض نَضْرَةً ... إذا دَاعبَتْ وَجْهَ الربيع خَمَائِلُهْ[٩]

هُوَ الأَمَلُ البَسَّامُ، رَفَّ جناحُهُ ... فطارتْ به من كلِّ قلبٍ بَلابِلُهْ[١٠]

هُوَ الكوكبُ اللَّمَّاحُ، يَسْطَعُ بالْمُنَى ... وَتَنْطِقُ بالغيثِ العَميم مَخَايِلُهْ[١١]

تَرَى بَسْمَةَ الآمالِ في بَسَمَاتِه ... وتَلْمَحُ سِرَّ النُّبْلِ حِينَ تُقَابِلُهْ

شَبَابٌ كَمَا يَصْفُو اللُّجَيْنُ كأَنَّمَا ... تَمَلَّأ مِنْ مَاء الفَرَادِيسِ نَاهِلُهْ[١٢]

يُفَدِّيهِ غُصْنُ الدَّوْحِ رَيَّانَ نَاضِرًا ... إِذَا اهْتَزَّ في كَفِّ النَّسَائِمِ مَائِلُهْ[١٣]
تَطَلَّعَ رُمْحُ الخطِّ يَبْغِي اعْتِدَالَهُ ... فَعَادَ حَسِيرًا يَنْكُتُ الأَرْضَ ذَابِلُهْ[١٤]
وَمِنْ أَيْنَ لِلرُّمْحِ المُثَقَّفِ عَزْمُهُ ... وَمِنْ أَيْنَ لِلرُّمْحِ الطَّوِيلِ طَوَائِلُهْ؟[١٥]
إِذَا حَفَزَتْهُ الحادثاتُ رَأَيْتَهُ ... وَقَدْ شَكَّ أَحْشَاءَ الحوادثِ عَامِلُهْ[١٦]
علاهُ تَحدَّى الدهرَ في بُعْدِ شأْوِهِ ... فَمَنْ ذَا يُدانيهِ، ومَن ذا يُفاضِلُهْ؟[١٧]
ورَأْيٌ كأَنْفَاسِ الصَّباحِ وقَدْ بَدَا ... تَشِفُّ مَجَالِيه، وتَهْفُو غَلَائِلُهْ[١٨]
وَخُلْقٌ كَمُخْضَلِّ النَّسيمِ بِرَوْضَةٍ ... ذَوائِبُهُ نَفَّاحَةٌ وَجَدَائِلُهْ[١٩]
يَمَسُّ جَبينَ النيل في رِفْقِ عاشقٍ ... وَتَفْتَحُ أكمامَ الزهورِ مَسَاحِلُهْ[٢٠]

* * *

دَعَوْتُ إِليكَ الشِّعْرَ فانقادَ صَعْبُهُ ... وقَد كانَ قبلَ اليوم شُمْسًا جَوَافِلُهْ[٢١]
وَمَا كِدْتُ أدعُو الوحْيَ حتى سَمِعْتُه ... تُبَادِهُنِي آيَاتُهُ ورَسَائِلُه[٢٢]
خَيَالٌ إِذَا أرْسَلتُهُ إِثْرَ نَافِرٍ ... أَتَتْ بِأَعَزِّ الآبداتِ حَبَائِلُهْ[٢٣]
ولَفْظٌ كَوَجهِ الرَّوْضِ في ميْعَةِ الضُّحَى ... وقَدْ صَدَحَتْ فوقَ الغُصونِ عَنَادِلُهْ[٢٤]
إِذا قُلْتُه أَلقَى عُطارِدُ سَمْعَهُ ... وسَاءَلَ شمسَ الأفْقِ مَنْ هو قائِلُهْ![٢٥]
وإن سارتِ الريحُ الهَبُوبُ بجَرْسِهِ ... فآخرُ أكنَافِ الوُجُودِ مَراحِلُهْ[٢٦]
إِذا ذُكِرَ الفاروقُ فاضَ مَعِينُهُ ... وثَجَّتْ قوافيهِ، وعَبَّتْ حَوَافِلُهْ[٢٧]
يقولُ: وَمَا لِي حِينَ أَكتُبُ قَوْلَهُ ... مِنَ الفَضْلِ شَيْءٌ، غَيْرَ أَنِّي نَاقلُهْ
رَأَى مَلِكًا يَحْيَا القَريضُ بِوَصْفِهِ ... فضائلُهُ جَلَّتْ، وعَمَّتْ فَوَاضِلُهْ
رَأى مَلِكًا يُزْهَى بِهِ الدِّينُ والتُّقَى ... شمائلُ أملاكِ السماء شمائلُهْ
رَأى مَلِكًا كالنِّيلِ: أما عَطَاؤُهُ ... فَغَمْرٌ، وأما المكرماتُ فساحِلُهْ
فَغَرَّدَ في الأَجواءِ باسْمِكَ طيرُهُ ... ورَدَّدَ في الآفاقِ ذكرَكَ هادِلُهْ[٢٨]
وصَاغَتْ لَكَ التِّبْرَ المُصَفَّى فُنُونُهُ ... وحَاكَتْ لَكَ البُرْدَ المُوَشَّى أَنَامِلُهْ[٢٩]
ولم يَبْقَ من نَسْجِ السَّحائبِ زَهرةٌ ... ترِفُّ نَدًى إلا حَوَتْهَا فَوَاصِلُهْ[٣٠]
وَصَبَّ شُعَاعَ الشَّمسِ تاجَ مَهابةٍ ... لِمَنْ تَوَّجَتْهُ بالفَخَارِ فَضَائِلُهْ
وَفَكَّ رُموزَ السحرِ من أرضِ بابلٍ ... لأجلكَ، حتى استَنْجَدَتْ بكَ بَابِلُهْ[٣١]
أَعَدْتَ له عهْدَ الرَّشِيدِ فأَسْرَعَتْ ... إلى سُدَّةِ الفاروقِ تشْدُو بَلابِلُهْ[٣٢]
وما أنتَ في الأَمْلاكِ إلا قصيدةٌ ... تفاعيلُها البِرُّ الَّذِي أنتَ فاعِلُهْ[٣٣]

يَهُبُّ طِريحُ الشِّعْرِ في دَوْلةِ النُّهَى ... وَتُلْهَمُ أَسْرَارَ البيانِ مَقاوِلُهْ[٣٤]
حَمَلْتُ لَهُ الرَّيْحَانَ يومَ زِفافِهِ ... نَضِيرَ الْحَواشِي يَنْشُرُ المِسْكَ خاضِلُهْ[٣٥]
أُزَاحِمُ للفاروقِ حَشْدًا كأنّهُ ... خِضَمٌّ مِنَ الأمواجِ ضاقتْ سَبَائِلُهْ[٣٦]
يُغَطِّي أَدِيمَ الأرضِ عَزَّ اختراقُهُ ... وسُدَّتْ عَلَى أَقْوَى الرجالِ مَدَاخِلُهْ[٣٧]
إذا أنتَ لَمْ تَعْرِفْ مَدَى أُخْرَياتِهِ ... فَسَلْ طَرْفَكَ المَمْدُودَ أَيْنَ أَوَائِلُهْ؟
حَمَلْتُ لَهُ الرَّيْحَانَ أَرْفَعُ مِعْصَمِي ... إِلَى المَلِكِ الفَرْدِ الذي فاز آمِلُهْ[٣٨]
وقد مَلأَ الأُنْسُ الوجوهَ فأَشْرَقتْ ... من البِشْرِ حتى كادَ يَقْطُرُ سَائلُهْ
طَلَعْتَ على الجمعِ الْحَفِيلِ بِمَوْكِبٍ ... يُبَادِلُكَ الشَّعْبُ المُنَى وتُبَادِلُهْ[٣٩]
مَوَاكِبُ لَمْ يُعْرَفْ لرمسيس مِثْلُهَا ... وَلَا خَطَرَتْ في مِثْلِهِنَّ قَنَابلُهْ[٤٠]
يُحِيطُ بِهَا عِزُّ المَلِيكِ ومَجْدُهُ ... وتَزْحَمُهَا فُرْسَانُهُ وَصَوَاهِلُهْ
إِذَا امْتَلَكَ الحبُّ النفوسَ هَفَتْ لَهُ ... سِراعًا وأَعْطتْ فَوقَ ما هُوَ سَائلُهْ[٤١]
رَأَوْكَ فَعَالَوْا بالهُتَافِ كأنّمَا ... يُنَافِسُ نِدٌّ نِدَّهُ ويُسَاجِلُهْ[٤٢]
كأَنهمُ جَيْشُ الغمائِم أَرَّقتْ ... رَوَاعِدُهُ جَفْنَ الدُّجَى وزَوَاجِلُهْ[٤٣]
فلا عَيْنَ إِلَّا وَهْيَ تَرْتَقِبُ المُنَى ... وَلَا صَدْرَ إلا فارِحُ القلبِ جَاذِلُهْ[٤٤]
وقَدْ رُفِعَتْ أعلامُ مِصْرَ خَوَافِقًا ... يُغَازِلُهَا مَسُّ الصَّبَا وتُغَازِلُهْ[٤٥]
فإِنْ كانَ مِنْ عَيْنٍ فإِنّكَ نُورُهَا ... وإِنْ كانَ مِنْ قَلْبٍ فإِنَّكَ آهِلُهْ[٤٦]
وإِنْ كانَ مِنْ دَهْرٍ فأنتَ نَعيمُهُ ... وإِنْ كانَ مِنْ فَضْلٍ فإِنَّكَ بَاذِلُهْ
رَأَى فِيكَ هَذَا الشَّعْبُ آمَالَهُ الّتي ... تَمَنَّى عَلَى الأيام وَهْيَ تُمَاطِلُهْ
أَحَبَّكَ حَتَّى صَارَ حُبُّكَ رُوحَهُ ... ونُورَ أَمَانِيه الذِي لا يُزَايِلُهْ[٤٧]
فَمَنْ شَاءَ بُرهانًا عَلى صَادِقِ الهَوَى ... فهذِي الْجُمُوعُ الزاخراتُ دَلَائِلُهْ
نَثَرْتَ بُذُورَ الْحُبِّ في كُلِ مُهْجَةٍ ... وَتِلْكَ التي تَهْفُو إليكَ سَنَابِلُهْ
حَياتُكَ يَا فاروقُ لِلدِّينِ عِصْمَةٌ ... وأَعْمَالُكَ الغُرُّ الْجِسَامُ مَعاقلهْ[٤٨]
مَنَابِرُهُ تَهْتَزُّ بِاسْمِكَ فَوقَهَا ... وَتَلْتَفُّ مِنْ شَوْقٍ عَلَيْكَ مَحَافِلُهْ
تُعَفِّرُ بِالتُّرْبِ الْجَبِينَ الَّذِي عنَا ... لَهُ الشَّرْقُ وَانْقَادَتْ إِلَيْه جَحَافِلُهْ
لَهُ لمَعَاتُ المشرَفي ازْدَهَتْ بِهِ ... عَلَى كلِّ أَبْنَاءِ الغُمُودِ صَيَاقِلُهْ[٤٩]
لَيَالِيكَ أقمارُ الزَّمَانِ وسَعْدُهُ ... وأَيَّامُكَ البِيضُ الْجِسَانُ أَصَائِلُهْ[٥٠]
قَدِ اخْتَارَكَ الرَّحْمَنُ مَوْضِعَ فَضْلِهِ ... إِذَا عَزَّ مَوْصُولٌ فَقَدْ جَلَّ وَاصِلُهْ[٥١]

هَنِيئًا لكَ اليومُ السَّعِيدُ الَّذِي زَهَا ... عَلَى الدَّهْرِ لَمَّا لَمْ يَجِدْ مَا يُشَاكِلُهْ
يُذَكِّرُنَا المأمونَ يومَ زِفافِهِ ... وَقَدْ مَشَتِ الدُّنْيَا إِلَيْهِ تُجَامِلُهْ
وَسَالَ بِهِ سيلُ النُّضَارِ كأَنَّمَا ... تَفَجَّرَ مِنْ بَيْنِ السَّحَائِبِ وَابِلُهْ
وَأَيْنَ مِنَ المأمونِ أَوْ مِنْ زِفَافِهِ ... جَلَالَةُ مَلكٍ أَعْجَزَتْ مَنْ يُطَاوِلُهْ
أَبَى الدهرُ أَنْ يَلقَى ليومِكَ ثَانيًا ... يُقَارِبُهُ في نُبْلِهِ أَوْ يُعَادِلُهْ
تَخَيَّرْتَ مِنْ وادي الكنانة زهرةً ... تتيهُ بِهَا جَنَّاتُه وَظَلَائِلُهْ[٥٢]
فَرِيدَةُ مَجْدٍ يَعْرِفُ المجْدُ قَدْرَهَا ... وتُزْهَى بِهَا الفَخَارِ عَقَائِلُهْ[٥٣]
ودُرَّةُ خِدْرٍ أَقْسَمَ الْخِدْرُ إِنَّهُ ... عَلَى مِثْلِهَا لَمْ تُلْقَ يَوْمًا سَدَائِلُهْ[٥٤]
يَتِيهُ بِهَا ضَافي الشبابِ ونَضْرُهُ ... وَتَسْمُو حَوَاليهِ بِهَا وعَوَاطِلُهْ[٥٥]
تَخَيَّرْتَهَا فوْقَ السَّحابِ مَكانةً ... وَأَصْفَى مِنَ الْماء الَّذِي هُوَ حَامِلُهْ
حَبَاها إِلهُ العَرْشِ أَكْبَرَ نِعمةٍ ... فَجَلَّتْ أَيَادِيه وعَمَّتْ جَلَائِلُهْ
فَعِشْ فِي رِفَاءٍ بالبنينَ مُمْتَّعًا ... يُضِيءُ بِكَ الوادِي وَيَخضَرُّ مَاحِلُهْ[٥٦]
وَدُمْ لِبَنِي مِصْرٍ أَمانًا ورحمةً ... فأنت حِمَى النِّيلِ الوَفِي وَعَاهِلُهْ

هوامش

(١) ورده: المراد ماؤه، والضمير للدهر. المناهل: موارد الماء، جمع منهل. يد الدهر: نعمته: عز نائله: قل عطاؤه.

(٢) مذللًا: طيعًا. تطامن: ذل وسكن. المتنان: جانبا الظهر. دانت: خضعت. الصوائل: جمع صائل، الحيوان يهجم على الناس ويؤذيهم.

(٣) سنا الملك: ضياؤه. الكواهل: جمع كاهل، الظهر مما يلي العنق.

(٤) تقد: تقطع. المواضي: جمع ماض، السيف الحاد. تفري: تقطع. المناصل: السيوف، جمع منصل.

(٥) يذوب: يفنى. غمد السيف: قرابه. الحمائل: جمع حمالة، علاقة السيف.

(٦) انتضى السيف: سله من غمده. السعود: نجوم عشرة مختلفة المطالع يتيمن العرب بها، جمع سعد. الرواحل: جمع راحلة الناقة الكريمة يسافر عليها.

(٧) عليها شعاع: لها ضياء. حائل الدجى: حالك الظلام. وجه الصبح: أوله.

(٨) تغضي: تغمض العين حياء. تشوف: تشوق. جال جائله: تردد نظره.

(٩) نضرة: حسنًا. داعبت: لامست. وجه الربيع: نبته وزهره الذي يغطي الأرض. الخمائل: جمع خميلة، الشجر الملتف المتدلي الأغصان.

(١٠) الأمل البسام: المقبل المرجى. رف جناحه: تحرك وانبسط. طارت: ذهبت. البلابل: جمع بلبلة، الهم واضطرب القلب.

(١١) اللماح: اللماع. المخايل: دلائل الخير، جمع مخيلة.

(١٢) اللجين: الفضة، تملأ: ارتوى. الفراديس: الجنان، جمع فردوس. الناهل: الراوي.

(١٣) يفديه: يقول له: «جعلت فداك». الدوح: جمع دوحة، الشجرة العظيمة. ريان: راويًا. ناضرًا: حسنًا. النسائم: جمع نسيم، الريح اللينة.

(١٤) تطلع: رفع بصره. الخط: مرفأ السفن بالبحرين، وتنسب إليه الرماح؛ لأنها تباع فيه. حسيرًا: كليلًا ضعيفًا. ينكث الأرض: يبحث فيها بعود أو نحوه. ذابل الرمح: قناته.

(١٥) المثقف: المقوم المهذب. الطوائل: الأعمال العظيمة، جمع طائل أو طائلة.

(١٦) حفزته الحادثات: أثارته لدفعها. شك: أصاب. الأحشاء: الأمعاء، جمع حشأ. عامل الرمح: صدره.

(١٧) تحدى الدهر: طلب أن يأتي بمثل فعاله. الشأو: الغاية.

(١٨) أنفاس الصباح: أضواؤه. مجاليه: أشعته، جمع مَجْلى. تهفو: تهتز وتنتشر. غلائله: أول ما يبدو من أنوار النهار، جمع غلالة، وأصلها الرقيق يلامس الجسم.

(١٩) المخضل: الرطب الندي. ذوائب النسيم: أوائله، جدائله: أواخره، وأصل الذوائب جمع ذؤابة. شعر الناصية، وأصل الجدائل جمع جديلة: الشعر المضفور خلف الرأس ففي كلتيهما استعارة. نفاحة: فواحة.

(٢٠) جبين النيل: صفحة مائه، الأكمام: جمع كم، غلاف الزهرة. المساحل: جمع مسحل، الثوب النقي من القطن استعارها لخطرات النسيم.

(٢١) الشمس: أصله ضم الميم، وسكنت، جمع شَموس، الحصان يستعصي على راكبه. الجوافل: جمع جافل، الشارد الجموح.

(٢٢) الوحي: هنا الإلهام. تبادهني: تفاجئني وتأتيني على البديهة.

(٢٣) النافر والآبد: الشارد. الحبائل: شباك الصيد، جمع حبالة.

(٢٤) ميعة الضحى: أوله. العنادل: جمع عندليب، طائر صغير غرد.

(٢٥) عطارد: كوكب الفن والشعر.

(٢٦) الهبوب: السريعة. الجرس: الصوت والنغمة. الأكناف: النواحي، جمع كنف.

(٢٧) فاض: كثر. معينه: مادته، وأصل المعين الماء الجاري. ثجت: تدفقت. عبَّت حوافله: غزرت معانيه، الحوافل: جمع حافل الكثير المتجمع من كل شيء.

(٢٨) الأجواء: جمع جو. الهادل: المغرد من الحمام.

(٢٩) البرد الموشى: الثوب المنقوش بألوان شتى.

(٣٠) نسج السحائب: ما ينبته ماؤها. ترف: تهتز. فواصل الشعر: جمله.

(٣١) فك رموز السحر: عرف أسراره. بابل: مدينة بالعراق عرفت بالسحر قديمًا، كما ورد في القرآن.

(٣٢) سدة الفاروق: بابه. تشدو بلابله: يريد إنشاد الشعراء المدائح. الرشيد: أعظم الخلفاء جاهًا، وأبعدهم صيتًا، وأكثرهم للعلماء والشعراء تقريبًا، وهو نفسه كان شاعرًا راوية.

(٣٣) الأملاك: الملوك، جمع ملك. تفاعيل القصيدة: الأجزاء التي توزن بها، جمع تفعيلة، وهي تختلف باختلاف بحور الشعر، فهي مثلًا في بحر الطويل الذي منه هذه القصيدة، فعولن مفاعلين مكررين أربع مرات.

(٣٤) يهب: ينهض. طريح الشعر: عليله وضعيفه. النهى: العقول، جمع نهية، ويريد بدولة النهى دولة العلم والثقافة. مقاوله: قائلوه، جمع مقول، ويسمى اللسان أيضًا مقولًا.

(٣٥) نضير: حسن. الحواشي: الأطراف، جمع حاشية. خاضله: نديه ورطبه.

(٣٦) الحشد: الجمع. الخضم: البحر، أو الجمع الكثير. السبائل: الطرق، جمع سبيلة.

(٣٧) أديم الأرض: وجهها. عز اختراقه: شق السير فيه، والجملة حال من المفعول. مداخله: منافذه وطرقه جمع مدخل.

(٣٨) معصمي: يدي، وأصل المعصم موضع السوار من الساعد.

(٣٩) الحفيل: الكثير.

(٤٠) رمسيس: يريد رمسيس الثاني، أحد ملوك الفراعنة. القنابل: طوائف الناس أو الخيل جمع قنبل أو قنبلة.

(٤١) هفت: دانت.

(٤٢) عالوا: رفعوا أصواتهم. الند: المثل والنظير كالنديد. يساجل: يباري وينافس.

(٤٣) الغمائم: جمع غمامة. أرقت: أسهرت. الرواعد: جمع راعد وهو السحاب ذو الرعد. الزواجل: جمع زاجل من الزجل وهو الصوت، ويقال: سحاب زجل أي ذو رعد.

(٤٤) الجاذل: الفرحان.

(٤٥) خوافق: متحركات. يغازلها: يلاعبها. الصبا: ريح طيبة تهب من الشمال الشرقي.

(٤٦) آهله: ساكنه.

(٤٧) يزايل: يفارق.

(٤٨) العصمة: الوقاية. الغر: المعروفة المشهورة، جمع أغر، وأصله الحيوان في جبهته بقعة بيضاء تسمى الغرة، يشتهر بها. المعاقل: الحصون، جمع معقل.

(٤٩) المشرفي: السيف نسبة إلى مشارف الشام لصنعه بها. أبناء الغمود: السيوف. الصياقل: جمع صيقل، وهو من يجلو السيوف ويشحذها.

(٥٠) الحسان: جمع حسن أو حسناء. الأصائل: جمع أصيل، الوقت من بعد العصر إلى المغرب وهو خير أوقات النهار لينًا وأكثرها جمالًا.

(٥١) عز: عظم. ويريد بالموصول الفاروق، وبالواصل الله سبحانه وتعالى.

(٥٢) وادي الكنانة: وادي النيل، وأصل الكنانة جعبة السهام. زهرة: يريد الملكة فريدة. تتيه: تدل. الظلائل: جمع ظليلة، وهي الروضة الكثيرة الحرجات، والحرجات: جمع حرج وهو المكان الضيق الكثير الشجر.

(٥٣) العقائل: كرائم النساء المخدرات، جمع عقيلة.

(٥٤) الدرة: اللؤلؤة العظيمة. الخدر: كل ما واراك وسترك من بيت ونحوه. لم تلق: لم توخ. السدائل: الستور، جمع سديل.

(٥٥) ضافي الشباب: سابغه وتامه. الحوالي: النساء عليهن الحلي جمع حال أو حالية. العواطل: من لا حلي عليهن، جمع عاطل.

(٥٦) الرفاء: الالتئام والاتفاق. من رفا الثوب: أصلحه، ورفيت صديقي قلت له: «بالرفاء والبنين». الماحل والممحل: المجدب الخالي من النبات.

جُرْحٌ لَمْ يَندَمِل

أنشدت هذه القصيدة في حفلة تأبين المغفور له الشيخ عبد الوهاب النجار في دار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة عام ١٩٤٢م.

أقاموا بعضَ يومٍ فاستقلُّوا ... فطار القلبُ يخفِقُ حيثُ حلُّوا[١]
مضت بهمُ النجائبُ مُصْعِداتٍ ... تَمَلُّ بها الطريقُ ولا تَمَلُّ[٢]
زواملُ لم يُعوِّقُهُنّ ليلٌ ... ولم يُثْقِلْ كواهلَهُنَ حِمْل[٣]
رآهَا آدمٌ، وَعَدَتْ بنُوحٍ ... وولَّى بعدَها نَسْلٌ ونسل[٤]
يسايرهُنَّ أنَّى سِرْنَ بَيْنٌ ... ويتبعهُنّ حيثُ ذهبنَ ثُكّل[٥]
هَوَتْ أمُّ الَّركائب؟ كيف سارت؟ ... وهل تدري الركائبُ من تُقِلّ؟[٦]
أسائلها — وقد شطّتْ — وقوفًا ... وأيْنَ من الوقوفِ المُشْمَعِلُّ؟[٧]
طفِقْتُ أمدُّ نحوَ الركبِ طَرْفي ... فَغَصَّ الطرفَ كُثْبانٌ ورمل[٨]
وقمتُ أُطِلُّ من شَرَفٍ عليهم ... فخانتني الدمُوُع فما أُطلّ[٩]
وناديتُ الحبيبَ فعاد صوتي ... وفي نَبَراتِه هَلَعٌ وخَبْلُ[١٠]
أصاخ له من الصحْراء نَجْدٌ ... فردّده من الصحراء سهل[١١]
إذا بدت الغزالةُ ثم غارت ... علِمنا أن هذا العيشَ ظِلّ![١٢]

* * *

هي الدنيا، فليس لها ذِمامٌ ... وليس لها على الأيام خِلّ[١٣]
إذا أعطت فقد أعطت قليلًا ... ولا يبقَى القليلُ ولا الأقل!

تدورُ: فبيْنَ شيخٍ أسكتته مَنيَّتهُ، وطفلٍ يَسْتهلُّ
لها نَهَلٌ من الأممِ المواضي ومما تَنْسُلُ الأيامُ عَلّ[١٤]
نعودُ إلى الترابِ كما بدأنا فكُلُّ حياتِنا نَقْضٌ وغَزْل![١٥]
رأيتُ لكلِّ مشكلةٍ حُلولًا ومشكلةُ المنيَّةِ لا تُحلُّ!
إذا كان الفَناءُ إلى بقاءٍ فأنجَعُ ما يُصِحُّك ما يُعِلّ![١٦]

* * *

بنفسي في الثرى غُصنًا رطيبًا يرِفُّ من الشبابِ ويَخضَئل![١٧]
تُضاحكُه لدى الإصباحِ شمسٌ ويلثِمه لدى الإمساء طَلّ[١٨]
كأنّ حَفيفَه نَضْرًا وريقًا بسمعي حَلْيُ غانيةٍ يصِلُّ[١٩]
يميلُ به النسيمُ كأنّ أُمًّا يميلُ بصدرِها الخفَّاقِ طفلُ
إذا اشتبهت غُصُونُ الروضِ شكْلًا فليس لقدِّه في الحسنِ شكلُ[٢٠]
ضَننْتُ به وجُدتُ له بنفسي وإنّ الحبَّ تبذيرٌ وبُخل
وكنتُ أشمُّ ريحَ الخُلْدِ منه وأهنأ في ذَراه وأستظِلّ[٢١]
وقلتُ: لَعلّه يبقَى ورائي بدَوْحَتِه، فما نفعت «لَعلّ»
فَسَلْ عنه العواصفَ: أيُّ نَوْءٍ أطاح به؟ وأيُّ ثَرَى يحُلّ؟[٢٢]
نأَى عنّي وخلّف لي فؤادًا يذوبُ أسًى عليه ويضمحلُّ[٢٣]
يُبلُّ على التداوي كلُّ جُرْحٍ وجُرْحُ القلبِ دامٍ لا يُبِلّ![٢٤]

* * *

أشرتم بالرثاء فهجتموني وتعذيبُ الذبيحةِ لا يحِلُّ
فضلَّ الشعرُ في وادي الثُكالَى وكان إذا تحفَّز لا يضِلّ[٢٥]
خذوا مني الرثاءَ دموعَ عينٍ تَكِلُّ المعُصْراتُ ولا تكِلّ[٢٦]
وآلامَ الجريح، أطلّ نَبْلٌ يزاحم جانبيْه وغار نَبل[٢٧]
وشعرًا يُلهبُ الأشجانَ جَزْلًا كما أذكَى لهيبَ النارِ جَزْل[٢٨]
فليس له مع الأنّاتِ خَبْنٌ وليس به مع الزفَرات خَبْلُ[٢٩]
له نَغَمٌ يعِزُّ عليه مِثْلٌ على ماضٍ يَعِزُّ عليه مثلُ
لعل به لمن فُجعوا عزاءً فإنّ جميعَنا في الحزنِ أهل

فقد يشفي بكاءٌ من بكاءٍ كما يشفى أليمَ الْجُرْحِ نَصْلُ[٣٠]
بكى خيرُ البريةِ خيرَ طفلٍ ودمعُ العينِ في الأحداثِ نُبل[٣١]

* * *

مضى «النجارُ» والعلياء حِصْنٌ عليه بعده بابٌ وقُفْل
به جمع الحجا للعلمِ شَمْلًا فبُدِّد بعده للعلم شمل[٣٢]
له حججٌ يُسمِّيها كلامًا وما هي غيرُ أسيافٍ تُسَلّ
إذا فاضت ينابعُه خطيبًا علمتَ بأن ماءَ البحرِ ضَحْل
يذِلُّ له شَموسُ القوْلِ طوْعًا ويستخذِي له المعنى المُدِلّ[٣٣]
بيانٌ مشرقُ اللمحاتِ زاهٍ وقولٌ صادقُ النّبرَاتِ فَصْل[٣٤]
وآياتٌ ترى فيها «ابنَ بحرٍ» يصولُ كما يشاءُ ويستدلُّ[٣٥]
يُفُلُّ شَبا الخصومة كيف كانت برأيٍ كالمهنّدِ لا يُفَلّ[٣٦]
فذاك الفضلُ، جلّ اللهُ ربّي! فليس يُحَدُّ للرحمنِ فضل
رأيتكَ والردَى يدنو رويْدًا إليكَ كما دنا للفتك صِلُّ[٣٧]
فوجهُك ذابلٌ، والصمتُ هَمْسٌ ومشيُك واهنُ الْخُطَواتِ دَأْل[٣٨]
تجرُّ وراءكَ السبعين عامًا وللسبعينَ أَرْزاءٌ وثِقْل[٣٩]
مشيتَ كأَنّ رِجْلًا في بساطي تسيرُ بها، وفوق القبرِ رِجْل
أتيتَ تزورني فهُرِعْتُ أسعَى إليكَ، ودمعُ عيني يستَهل[٤٠]
وكان عِناقُنا لمّا افترقنا وَثَاقًا للمودّةِ لا يُحَلُّ
ذممتَ لِيَ المشيبَ وفيه حَزْمٌ وأطريتَ الشبابَ وفيه جهل
وأين الْحَزْمُ ويْحَكَ يا ابنَ أُمِّي إذا ما خانني جسمٌ وعقل؟
أتذكرُ إذ تَمَازَحْنَا لتنسَى وقد أدركتَ أنَّ المزحَ خَتْل؟[٤١]
إذا أَمَلَ الفتَى فالهزلُ جِدّ وإن يئِسَ الفتَى فالْجِدُّ هزل
فديتك! هل إلى الأخرَى بَريدٌ؟ وهل لتزاورِ الأرواحِ سُبْل؟[٤٢]
وهل يبقَى الفَتَى بعد المنايا له بالأهلِ والإخوانِ شُغْل؟
وهل تصِلُ الدُّموعُ إلى حبيبٍ ويعلَمُ حُرْقَةَ الأشجانِ نَجْل؟[٤٣]
وهل لي بينَ من أهوَى مكانٌ إذا قوَّضْتُ رحلي أو مَحَلُّ؟[٤٤]
وهل في ساحةِ الجنّاتِ نهرٌ يزول بمائهِ حِقْدٌ وغِلّ؟[٤٥]

وهل إن ساءل الأحياءُ قبرًا ... يُجابُ لصيحةِ الأحياء سُؤْل؟
لقد جلّ المصابُ، وجلّ صبري ... عليكَ، وأنت من صبري أَجَلّ!
فقم واخطب بحفلِك، كم تَغَنَّى ... وهام بصوتِكَ الرنّانِ حَفْلُ!
وذكَرْنا اليقينَ فكم عقولٍ ... تكادُ عليك من شَجَنٍ تَزِلّ
وقل: إنّ الفناءَ إلى خلودٍ ... وإنَّ زخارفَ الأيامِ بُطْل[٤٦]
وإنّ الموتَ إطلاقٌ لروحٍ ... معذَّبةٍ، وإنَّ العيشَ غُلّ[٤٧]
شبابُ المسلمين بكلِّ أرضٍ ... عليكَ ثناؤهم فرضٌ ونَفْلُ[٤٨]
أخذتَ عليهمُ للحقِّ عهدًا ... فوَفَّوْا بالعهودِ وما أخلّوا
شبابٌ إن دعا القرآنُ شُمْسٌ ... وإن تستصرِخ النّجدَاتُ بُسْل[٤٩]
بنو العرب الذين عَلَوْا وسادوا ... سما فرعٌ لهم واعتزَّ أصل[٥٠]
فنم ملءَ الجفونِ «أبا صلاحٍ» ... ففي الجناتِ للأبرارِ نُزْل[٥١]
يطوفُ بقبرِك الزاكي سلامٌ ... وينضَحُه من الرَّحَماتِ وَبْل[٥٢]
وهاك رثاء محزونٍ مُقِلٍّ ... وما أوْفَى إذَا بذلَ المُقِلّ![٥٣]

هوامش

(١) أقاموا: نزلوا وحلو. استقلوا: مضوا وارتحلوا. حلوا: حيث نزلوا.
(٢) النجائب: الإبل السريعة والمقصود بها مواكب الموتى.
(٣) زوامل: الإبل الحاملة للطعام والمتاع. كواهلهن: عواتقهن وهو ما بين الكتفين. حمل: ثقل.
(٤) عدت: جاوزت.
(٥) بين: فراق. ثكل: فقدان.
(٦) هوت: سقطت. أم الركائب: التي تتقدم الركب. تقل: تحمل.
(٧) شطت: جاوزت الحد. المشمعل: النشيط، المسرع.
(٨) طفقت: جعلت. أمد: أنظر. طرفي: عيني. غص: امتلأ.
(٩) شرف: علو، مكان عال. أطل: أنظر.
(١٠) خبل: فساد.
(١١) أصاخ: استمع. نجد: ما ارتفع من الأرض. سهل: الأرض المنبسطة.

(١٢) الغزالة: الشمس. غارت: ولت وغربت. ظل: المقصود غير حقيقي.

(١٣) زمام: عهد، حرمة. خل: صديق.

(١٤) نهل: مورد. عل: توقع. وأصله لعل.

(١٥) غزل: غزل الخيط هو إبرامه. ونقض: ضد الغزل.

(١٦) أنجع: أصح. يصحك: يشفيك. ما يعل: ما يصيبك بالعلة.

(١٧) يرف: يرفرف. يخضئل: تكثر أغضانه وأوراقه. وفي هذا البيت وما بعده يصور الشاعر ذكريات له أليمة بعد وفاة نجله البكر في أول مراحل الشباب (عام ١٩٣٥).

(١٨) يلثمه: يقبله. طل: ندي.

(١٩) حفيفه: صوته. نضرًا: حسنًا يافعًا مخضرًّا. وريقًا: كثير الأوراق الخضراء الحسنة. حلي: ما تتحلى به المرأة. يصل: يصدر صوتًا عندما يحتك ببعضه.

(٢٠) قده: قوامه.

(٢١) ذراه: كنفه.

(٢٢) نوء: ريح شديدة. أطاح: قذف به بعيدًا.

(٢٣) نأى: بعد. يضمحل: يذهب ويضعف ويندثر.

(٢٤) يبل: يبرأ. دامٍ: ينزف دمًا.

(٢٥) الثكالى: الحزانى على فقدهن أبنائهن. تحفز: تهيأ.

(٢٦) تكل: تتعب. المعصرات: السحائب تعتصر بالمطر.

(٢٧) غار: اختفى ودخل. نبل: سهل.

(٢٨) جزلًا: رصينًا. أذكى: أشعل. جزل: الحطب اليابس.

(٢٩) خبن: سقوط أحد الأحرف، حذف الثاني الساكن في الشعر. خبل: حذف السين والفاء من مستفعلن في البسيط والرجز من بحور الشعر.

(٣٠) نصل: حد السيف أو السكين والمقصود مشرط الجراح.

(٣١) خير طفل: يريد به «إبراهيم» بن سيدنا محمد ﷺ لما توفي قال: «إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون.»

(٣٢) الحجا: العقل. شمل: ما اجتمع من أمره.

(٣٣) يذل: يخضع. شموس القول: الألفاظ الفصيحة المنيرة كالشمس. طوعًا: منقادة له. المدل: الذي يدل على المعنى.

(٣٤) فصل: قاطع.
(٣٥) ابن بحر: الجاحظ الكاتب العربي الشهير.
(٣٦) يفل: يكسر. شبا: حد الشيء. المهند: السيف. لا يفل: لا يكسر.
(٣٧) الردى: الموت. يدنو: يقترب. رويدًا: تمهلًا.
(٣٨) واهن الخطوات: ضعيف المشي. دأل: مشي الضعيف من مرض أو كبر.
(٣٩) أرزاء: مصائب. ثقل: ضد الخفَّة.
(٤٠) هرعت: أسرعت. يستهل: يبدأ في الهطول.
(٤١) ختل: خداع.
(٤٢) سبل: طرق.
(٤٣) الأشجان: الأحزان.
(٤٤) قوضت: كسرت وهدمت.
(٤٥) غل: غش وحقد.
(٤٦) بطل: كذب وباطل.
(٤٧) غُلّ: ضيق، مقيد.
(٤٨) فرض: فريضة واجبة. نفْلُ: تطوع.
(٤٩) تستصرخ: تستغيث. بسل: شجعان.
(٥٠) سما: علا وارتفع. أصل: حسب ونسب.
(٥١) نزل: مكان للإقامة الدائمة.
(٥٢) الزاكي: ذو الرائحة الطيبة. ينضحه: يرشه. وبل: مطر شديد.
(٥٣) مقل: يعد شعره قليلًا بالنسبة لما يستحق.

تحِيَّة دَار الإذاعة

احتفلت دار الإذاعة في شهر أبريل سنة ١٩٣٧م بانتهاء العام الثالث من إنشائها، ودعت لذلك نخبةً من رجال العلم والأدب في مصر؛ ليذيع كل منهم كلمة في هذا الصدد، فاختصها الشاعر بهذه القصيدة وأذاعها في هذه المناسبة.

ساري الْهَواءِ مَلَكْتَ أيَّ جَناحِ! وحَلَلْتَ أيَّ مَشارِفٍ وَبِطاحِ![١]
وبِأَيِّ ناحِيَةٍ أَقَمْتَ؟ فإِنَّني أَلْقاكَ بَيْنَ تَوَثُّبٍ وجِماحِ
في كُلِّ مَغْدًى مِنْ ذُيُولِكَ مَسحَبٌ وخُطاكَ ماثِلَةٌ بِكُلِّ مَراحِ[٢]
تَجْرِي فَتَنْتَظِمُ الْمَدَائِنَ والْقُرَى وتَفُوتُهُنَّ إِلى مَدًى فَيَّاحِ[٣]
لا الْبَرْقُ يَسْرِي حَيْث سِرْتَ ولا رَمَى نَسْرٌ إِلى ما رُمْتَهُ بِجَناحِ[٤]
يَكْبُو الظَّلِيمُ، وأَيْنَ مِنْكَ عِداؤُهُ؟ ويَكِلُّ جُهْدُ الأَجْرَدِ السَّبّاحِ[٥]
تَمْضِي فلا تَقِف الْعَوَائِقُ حائِلًا وتَمُرُّ بَيْنَ الصَّلْدِ والصُّفّاحِ[٦]
دانٍ وما عَلِقتْ بِشَخْصِكَ أَعْيُنٌ يَوْمًا، ولا مُسَّتْ يَداكَ بِراحِ[٧]
تَتَمايَلُ الأَشْباحُ إِنْ تَخْطِرْ بِها ومِنَ السُّرورِ تَمايُلُ الأَشْباحِ[٨]
وتَهُزُّ أَدْواحَ الرياضِ فَتَنْثَنِي شَوْقًا إِلَيْكَ بَواسِقُ الأَدْواحِ
لَوْلاكَ ما صَبَّ الغَمامُ عيونَهُ تَسْقِي البِطاحَ بِوابِلٍ سَحّاحِ[٩]
لَوْلاكَ ما زَهَتِ الرُّبا بِمُرَقَّشٍ مِنْ نَسْجِ مَنْثُورٍ وَوَشْيِ أَقاحِي[١٠]
قَدَحُ الْحَيَاةِ. وَأَنْتَ أَغْلَى مَشْرَبًا مِنْ صَفْوَةِ الْمَاذِيِّ فِي الأَقْدَاحِ[١١]

* * *

سِرْ يا هَواءُ فَأَنْتَ أَوْطَأُ مَرْكَبٍ ... وَاهْتِفْ بَصَوْتِ الطَّائِرِ الصَدَّاحِ[١٢]
واحْرِصْ عَلَى سِحْرِ الْبَيَانِ وَوَحْيِهِ ... وَارْفُقْ بآيٍ في الْقَرِيض فِصاحِ
جَمَعَتْ منَ الزَّهْرِ النَديِّ قَوافِيًا ... تَسْبِي النُّهَى بِعَبِيرِها الْفَوّاحِ
دُرَرٌ صِحاحٌ لَوْ تُقاسُ بِشِبْهِهَا ... لَبَدَتْ دَرارِي اللَّيْل غَيْرَ صِحاحِ[١٣]
ما السَّيْفُ فِي كَفِّ الْمُفَزَّعِ قَلْبُهُ ... كالسَّيْفِ فِي كَفِّ الفَتَى الْجَحْجاحِ[١٤]
الشعْرُ مِنْ سِرِّ السَماءِ فَهمْسُهُ ... وَحْيُ النُّفُوسِ وَراحَةُ الأَرْوَاحِ
كَمُلَتْ صِفَاتُ الراحِ فِي نَشَوَاتِهِ ... وَنَجا فَلَمْ يُوصَمْ بإِثْمِ الراحِ[١٥]

* * *

سِرْ يا قَرِيضُ إِلَى الْعُرُوبَةِ مُسْرِعًا ... وَانْزِلْ بآفاقٍ بِها ونَواحِي
وَامْزُجْ بِمِسْكِيِّ الأَثِيرِ تَحِيَّةً ... لِعَشَائِرٍ شُمِّ الأُنُوفِ سِماخِ[١٦]
شحُّوا بِأَنْ تَلِدَ الْمَكارِمُ غَيْرَهُمْ ... وَهُمُ عَلَى النَّجَداتِ غَيْرُ شِحاحِ
جَعَلُوا مِنَ الْفُصْحَى وَمِنْ آياتِها ... نَسَبًا مُضِيئًا كالنهارِ الضاحِي
الضَّادُ تَجْمَعُهُمْ وَتَرْأَبُ صَدْعَهُمْ ... سِيَّانِ في الأَفْراحِ وَالأَتْراحِ[١٧]
دارَ الإِذاعَةِ، لا تَمَلِّي إِنَّنِي ... أَطْلَقْتُ لِلأَمَلِ الْبَعِيدِ سَراحِي[١٨]
حُبُّ الْعُروبَةِ قَدْ جَرَى بِمفَاصِلِي ... بالرَّغْمِ مِنْ هَذِرِ الْحَدِيثِ مُلاَحِي[١٩]

* * *

دارَ الإِذاعَةِ، أَنْتِ بِنْتُ ثَلاثَةٍ ... مَرَّتْ كَوَمْضِ الْبَارِقِ اللَّمَّاحِ
كَمْ فِيكِ لِلْقُرْآنِ رَنَّةُ قارِئٍ ... تَحْلُو لَدَى الإِمْسَاءِ والإِصْبَاحِ
كَشَفَتْ عَنِ النفْسِ الْمَلُولِ حِجابَها ... فَتَوَجَّهَتْ لِلْخَالِقِ الْفَتَّاحِ
الدِينُ سَلْوَى النفْسِ في آلامِها ... وطَبِيبُها مِنْ أَدْمُعٍ وَجِراحِ
أَوْدَعْتُه حُزْنِي فَلَمْ تَعْبَثْ بِهِ ... شَكْوَى ولا صَدَع الدجَى بِنُواحِ[٢٠]
دارَ الإِذاعَةِ، كَمْ نَشَرْتِ ثَقافَةً ... جَلَّتْ مَآثِرُها عَنِ الإِفْصَاحِ!
كمْ جازَ صَوْتُك مِنْ بِحارٍ سُجِّرَتْ ... وَفَدافِدٍ شُعْثِ الْفِجاجِ فِساحِ![٢١]
أَصْبَحْتِ أُسْتاذَ الشُّعُوبِ وَكافَحَتْ ... نَجْواكِ جَيْشَ الْجَهْلِ أَيَّ كِفاحِ[٢٢]
وَمَلأْتِ بِالْعِلْمِ الْبِلادَ فَنُورُهُ ... فِي كُلِّ مُنْعَطَفٍ وَبُهْرَةِ ساحِ[٢٣]
تَتَلَقَّفُ الدنْيَا حديثَكِ مِثْلَمَا ... يَتَلَقَّفُ الأَبْرَارُ وَحْيَ الْوَاحِي

* * *

دَارَ الإذاعـةِ، أَنْـتِ أَمْـرَحُ أَيْـكَـةٍ ... صَـدَحَتْ فـكـانَـتْ أَيْـكَـةَ الأَفْـراحِ
صاحَتْ بَلابِلُكِ الْحِسانُ فَأَخْمَلَتْ ... فِي الْجَوِّ صَوْتَ الْبُلْبُلِ الصَيَّاحِ
مِنْ كُلِّ شادِيَةٍ كَأَنَّ حَنِينَـها ... هَمْسُ الْمُنَى لِلْيَائِسِ الْكَدَّاحِ
اللَّيْلُ إِنْ نادَتْهُ ماسَ بِعِطْفِهِ ... فَتَرَاهُ بَيْنَ الْمُنْتَشِي والصَاحِي
كَمْ فِيك مِنْ لَهْوٍ بِهِ رِيُّ النُّهَى ... وفُكاهَةٍ مَحبُوبَةٍ ومُزاحِ![٢٤]
النفْسُ تَسْأَمُ إِنْ تَطاوَلَ جِدُّها ... فَاكْشِفْ سَآمَةَ جِدِّها بِمُباحِ

* * *

زُمَرَ الشَبابِ، وَلِي مُلامَةُ ناصِحٍ ... لَوْ تَسْمَعُونَ نَصِيحَةَ النُصَّاحِ!
بِالْعِلْمِ «مَرْكُونِي» تَسَلَّقَ لِلْعُلاَ ... وَبِعَزْمَةِ الْوَثّابَةِ الطمّاحِ![٢٥]
رَجُلٌ عِصامِيُّ الأَرُومَةِ لَمْ يَنَلْ ... مَجدًا «بِآمُونٍ» ولا «بِفتاحِ»[٢٦]
تَتَطَلعُ الدنْيا إِلَيْهِ وتَمْتَطِي ... ذِكْرَى مَآثِرِهِ مُتُونَ رِياحِ
إِنَّ التفَاخُرَ بِالْقَدِيمِ تَعِلَّةٌ ... وَالْجَهْلُ لِلْمَجْدِ الْمُؤَثَّلِ ماحِي[٢٧]
والْعِلْمُ مِصْباحُ الْحَياةِ فَنَقِّبُوا ... مِنْ قَبْلِ أَنْ تَثِبُوا عَنِ الْمِصْباحِ
بَلِيَ السِلاحُ مَعَ الْقَدِيمِ وَعَهْدِهِ ... والآنَ صارَ الْعِلْمُ خَيْرَ سِلاحِ[٢٨]
الْيَوْمَ فِكْرَةُ عالِمٍ في مَصْنَعٍ ... تُغْنِي عَنِ الأَسْيافِ وَالأَرْماحِ
وَتَصُدُّ كُلَّ كَتِيبَةٍ مَوَّارَةٍ ... خَضْرَاءَ تَفْذِفُ بِالْكُماةِ رَدَاحِ[٢٩]
أَمْضُوا الْجُهُودَ وأَخْلِصُوا لِبلادِكُمْ ... فِي الْجَهْدِ وَالإِخْلاصِ كلُّ نَجاح
لاَ يُرْتَجَى مِنْ أُمَّةٍ مَفْتُونَةٍ ... بِاللَّهْوِ والتسْوِيفِ أَيُّ فَلاحِ
خُوضُوا الصعابَ ولا تَمَلُّوا إِنَّما ... نَيْلُ الْمُنَى بالصبْرِ وَالإِلْحَاحِ
قَدْ يُنْجِدُ اللُّجُّ الْغَرِيقَ بِقَذْفِهِ ... حَيًّا فَيَلْقَى الْمَوْتَ فِي الضَّحْضَاحِ[٣٠]
الْعَهْدُ مِثْلُكُمُ جَدِيدٌ مُشْرِقٌ ... فَهَلُمَّ لِلإِنْتَاجِ وَالإِصْلاحِ
وَمَلِيكُكُمْ مَثَلُ الشبابِ مُجمَّلٌ ... بِخلائِقٍ غُرِّ الْوُجُوهِ صِباحِ[٣١]
يَتَفاءَلُ النيلُ الْوَفِيُّ بِعَهْدِهِ ... وَبِيُمْنِ طَلْعَةِ وَجْهِهِ الْوَضّاحِ
سارَتْ مَحَامِدُهُ وسارَتْ خَلْفَها ... تَشْدُو بِسابِغِ فَضْلِهِ أَمْداحِي

هوامش

(١) الساري: السائر في الليل، ولما كان الهواء من الأجسام اللطيفة حسن وصفه بالسري، والمراد أن لطفه يخفيه كما يخفي الليل السائر فيه. المشارف: أعالي الأرض، واحدها مشرف. البطاح: جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

(٢) المغدى: اسم مكان من الغد وهو السير في أول النهار. المسحب: مصدر ميمي من سحبه كمنعه، جره على وجه الأرض. المراح: اسم مكان من الرواح وهو السير في العشي. الرواح: الذهاب والرجوع.

(٣) المدى: الغاية. فياح: عظيم الاتساع.

(٤) يسري: يسير ليلًا. رمته: طلبته.

(٥) يكبو: ينكب على وجهه. الظليم: الذكر من النعام يُضرب بسرعة عدوه المثل. العداء: العدو والجري. يكل: يُعيي ويعجز. الأجرد: الفرس السباق. السباح: الفرس السريع كأنما يسبح بيديه.

(٦) العوائق: الموانع. الحائل: الحاجز. الصلد: الصلب الأملس من الحجارة. الصفاح: كرمان. ما كان منها عريضًا رقيقًا.

(٧) دان: قريب. علقت: نشبت واستمسكت. الراح: جمع راحة وهي بطن الكف.

(٨) الأشباح: جمع شبح وهو الشخص.

(٩) في هذا البيت إشارة إلى معنى الآية الكريمة: ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾.

(١٠) المرقش: المزخرف المزوق. الأقاحي: جمع أقحوان وهو البابونج من نبات الربيع له نور حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر.

(١١) صفوة الشيء: خالصه. الماذي: العسل الأبيض.

(١٢) مركب وطيء: لين سهل ذلول. الصداح: الذي يرفع صوته بالغناء، ويريد بالشاعر بالطائر الصداح نفسه.

(١٣) الدرر: جمع درة وهي اللؤلؤة العظيمة. درارى الليل: كواكبه المضيئة وأحدهما دُري.

(١٤) المفزع: اسم مفعول من فزعته ففزع أي: خاف. الجحجاح: السيد الماجد الشريف الشجاع.

(١٥) الراح: الخمر. النشوات: جمع نشوة وهي السكر. يوصم: يعاب. الإثم: الذنب.

(١٦) المسكي: نسبة إلى المسك وهو أفضل أنواع الطيب عند العرب. الأثير: مادة لطيفة جدًّا منتشرة في أنحاء الفضاء تنقل النور والحرارة الكهربية والصوت. العشائر: جمع عشيرة وهي القبيلة. شم الأنوف: جمع أشم الأنف، صفة من الشمم وهو ارتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها، وذلك كناية عن الأنفة والترفع عن الدنايا، على أن الشمم من صفات العرب الخلقية. سماح: جمع سمح وهو الجواد المعطاء.

(١٧) يريد بالضاد لغةَ العرب. ترأب: تصلح وتجبر. الصدع: الشق. الأتراح: جمع ترح وهو ضد الفرح.

(١٨) السراح: الحرية.

(١٩) هذر كلامه: من باب فرح أي كثر في الخطأ والباطل. الملاحي: المنازع.

(٢٠) صدع: شق. الدجى: جمع دجية وهي الظلمة.

(٢١) جاز المكان: سلكه وسار فيه. سجرت: فجرت وامتلأت. الفدافد: جمع فدفد وهو الفلاة. شعث: جمع أشعث من الشعث وهو الانتشار والتفرق. الفجاج: جمع فج وهو الطريق الواسع الواضح بين الجبلين. الفساح: جمع فسيح أي: متسع.

(٢٢) كافحت: واجهت وحاربت. النجوى: السر.

(٢٣) منعطف الوادي: حيث ينعطف أي: ينثني ويميل. البهرة: ما اتسع من الأرض. الساح: جمع ساحة وهي الناحية وفضاء بين دور الحي.

(٢٤) روى من الماء روى وريا أي: ارتوى. النهى: جمع نهية وهي العقل.

(٢٥) المركيز «ماركوني» عالم إيطالي اخترع بعبقريته أجهزة الإذاعة اللاسلكية، وطوق العالم كله بمأثرة خالدة ومنة من أجل المنن. توفي في يوليو سنة ١٩٣٧م، ودفن حيث ولد في «بولونيا» من بلاد إيطاليا في شمالها الشرقي.

(٢٦) العصامي: الشريف النفس المعتمد على همته في كسب المجد وبلوغ الأمل. الأرومة: الأصل. المجد: العز والشرف. و«أمون» و«فتاح» إلهان من آلهة قدماء المصريين.

(٢٧) التعلة: ما يتعلل به. المؤثل: الأصيل العظيم.

(٢٨) بلي الثوب: خلق وتمزق. العهد: الزمان.

(٢٩) موَّارة: سريعة مضطربة لكثرة عددها. خضراء: عظيمة كثيرة السلاح. الكماة: جمع كمي وهو الشجاع المدجج أي: شاكي السلاح. الرداح: الكتيبة الثقيلة الجرارة.

(٣٠) ينجد: يعين. اللج: معظم الماء. الضحضاح: الماء اليسير القليل.

(٣١) الخلائق: جمع خليقة وهي الطبيعة والخلق. غر: جمع أغر وهو الأبيض. صباح: جمع صبيح وهو الجميل.

نقيب

نظم الشاعر هذه الأبيات بمناسبة انتخاب الدكتور علي إبراهيم نقيبًا للأطباء عام ١٩٤٣م.

قالوا: «علِيٌّ» غدا نَقيبًا قلتُ: مَتَى لم يكنْ نقيبًا؟!
المسكُ مسْكٌ، فإن تُبالغْ في وَصْفهِ لم تَزِدْه طِيبا
لو اشتكَى الدهْر من سَقامٍ لم يتَّخِذْ غيرَه طَبيبا

وفاء صديق

بعث الشاعر بهذه القصيدة إلى صديقه الدكتور علي توفيق شوشة وكيل وزارة الصحة اعترافًا بفضله في استئصال الأوبئة بمصر سنة ١٩٤٧م.

نَظَمْتُ لآلىءَ الفِردوْسِ عِقدا ... ومن ذهب الأصيلِ وشيْتُ بُرْدا[١]
وسار مع النسيم نسيمُ شعري ... فكان أرقَّ أذيالًا وأندَى[٢]
غلائلُه ترِفُّ بكلِّ أرضٍ ... فتنشرُ حوله مسكًا ونَدَّا[٣]
تلقَّاه الخمائلُ ضاحكاتٍ ... تهزّ معاطفًا وتمُدّ خَدَّا[٤]
ويرقُمُ في الغديرِ سطورَ وَحْيٍ ... وعاها الطيرُ حين شدا فأشْدى[٥]
وكم همست بِمسمعه غصونٌ ... فردَّد همسَها وَلَهًا ووجدا[٦]
إذا ما الشعرُ كان شعاعَ نورٍ ... أعار الشمسَ إشراقًا وخُلْدا
يشيبُ فيستردَّ صِباهُ غضًّا ... وما أحلى الشبابَ المستَردَّا[٧]
طوَى الدنيا فليس الوعرُ وعرًا ... لوثبته، وليس النجدُ نجدا[٨]
إذا كفُّ الزمانِ رمت رماها ... وإن جدّت به الأحداثُ جدَّا[٩]
وإن بسمت له الدنيا سمِعنا ... نشيدًا يملأ الأطيارَ حِقدا
تمنَّتْ أنْ يَكونَ لها صداهُ ... فصعرَ خدَّه ونأَى وصدَّا[١٠]
وأين لمثلها وترٌ مُرِنٌّ ... من الإلهامِ إحكامًا وشَدَّا؟[١١]
يغرِّدُ للخلودِ بكل أُفْقٍ ... وما عرفت له الآفاقُ حدَّا
لمستُ جَناحَه رفقًا فوافَى ... وأغريتُ الوِدادَ به فودّا[١٢]
له حبُّ القلوبِ فليس يطوَى ... وماءُ المقلتين فليس يصدى[١٣]

أداعبُه فيصدَحُ عبقريًّا ... فتمتدّ الرقابُ إليه مدَّا
ضننتُ به فلم يهتِف بعمرٍو ... ولم تستهوِه بَسَماتُ سُعدَى[١٤]
وصُنتُ لهاتَه عن كل لغوٍ ... له خدّ الفتى العربيّ يندَى[١٥]
تلثّم بالإباءِ فعاش حرًّا ... ولو عرف الرياءَ لمات عبدًا
يهزّ حميَّةَ الفتيان نصلًا ... ويحشُدُ رابضَ العزمات جُندا
ويُشعِلُ في القلوبِ وميضَ نارٍ ... كنيرانِ «الكليمِ» هُدًى ورشدا[١٦]
ويشدو بالمروءة إن تراءت ... وبالصنع الجميل إذا تبدّى
تلفَّت حوله فرأى (عليًّا) ... ولم يبصر له في الطبِّ نِدَّا
حوى هِمَمَ الرجال فكان جَمْعا ... وأفرد بالنبوغ فكان فَرْدا
عزيمته ترد الغِمدَ سيفا ... وحكمتهُ تردُّ السيفَ غمدا
يُحَبُّ دَماثةً ويُهاب خوفًا ... كغَمْرِ السيلِ خيف وطاب وِرْدا[١٧]
وفاءٌ لو تَقَسَّم في الليالي ... لما نقضت لراجيهِن عهدا
وعلمٌ يملأ الآفاقَ نورًا ... وذِكْرٌ يملأ الأيامَ حمدا
وصولةُ حازمٍ ما حاد يوْمًا ... عن القصد السويِّ ولا استبدا
وفكرٌ يلمَحُ الأقدارَ حتى ... يكادَ يردُّها للغيْبِ رَدَّا
ووجهٌ مشرقُ القَسمَاتِ سَمْحٌ ... يَفيضُ بشاشةً ويلوحُ سعدا
رآه الصبحُ منه فزاد حُسنًا ... وغار البدرُ منه فزاد سُهدا
دنا كالشمس حين دنت شعاعًا ... وحلّق مثلَها في الأفق بُعدا
فلم نعرف له في الفضلِ قبْلًا ... ولم نعرف له في النُّبْل بَعْدا
فتى مصرٍ وهل تلقى بمصرٍ ... فتًى أمضى وأورى منه زَنْدا؟[١٨]
تدارك مصرَ (والميكروبُ) يطغَى ... وينفثُ سُمَّه ويؤُدُّ أدَّا[١٩]
طوىَ آجالَ أهليها هَباءً ... وبدَّد نسلَها فتكًا ووأدًا[٢٠]
فشدّ عليه مقدامًا جريئًا ... كما هيّجتَ يوم الرَّوْع أسدا
تحدّاه وصال ولو سواه ... أراد لما استطاع ولا تحدّى
فطهّر أرضها وحمى حِماها ... وصان شبابَها وهدى وأهدَى
تطيرُ بها البعوضةُ وهي تدري ... بأنّ وراءَها للموْتِ حَشْدا
ويمشي القَمْل (والدي دي) رَصيدٌ ... يُصوِّبُ خلفه السهمَ الأسدَّا[٢١]

وما طَنُّ الذبابِ سوى نُواحٍ ... وقد حصدته أيدي العلم حصدا
إذا الحشراتُ في مصرٍ تصدّت ... مُناجِزةً، فأنت لها تصدَّى
أننسى (الجامبيا) والموتُ فيها ... يزمجرُ، والقلوبُ تذوب كَمْدا؟[٢٢]
وكاد اليأسُ يُوهِنُ كلَّ عزمٍ ... ومصرُ تصارعُ الخصمَ الألدَّا[٢٣]
فخضتَ غِمَارها صَمدًا هممًا ... ورُعت بها جيوش الموت جَلْدا[٢٤]
وأنْقَذتَ الكِنانة مِنْ فناءٍ ... وكنتَ لقومك الركنَ الأشدَّا
نُحيِّي المرء إن نجَّى حياةً ... فكيف إذا نجا الوطنُ المفدَّى؟
فعش للطبِّ والفُصحى إمامًا ... وكن لكليهما عَضُدًا وزَندا[٢٥]
مدحتُك كي أُشيدَ بمجد مصرٍ ... وأرسُمَ للشبابِ النهجَ قَصْدا[٢٦]
وليس ينالُ شَأْوَك وصفُ شعريْ ... ولو أفنيتُ عمر الشعر كدَّا[٢٧]
ومن أحصَى مآثرك الغوالي ... فقد أحصى نجومَ الليل عدَّا

هوامش

(١) لآلئ الفردوس: درر من الجنة. ذهب الأصيل: المقصود لون الذهب في حمرته مثل لون الشمس في السماء فيما بين العصر والمغرب. وشيت: نسجت. بردًا: كساء تلبسه العرب.

(٢) أرق أذيالًا: أحسن أطرافًا. أندى: أسخى.

(٣) غلائله: الأثواب الشفافة. ترف: تتحرك. ندًّا: الطيب.

(٤) معاطفًا: جوانبًا.

(٥) يرقم: يكتب. وعاها: حفظها. أشدى: أجاد الشدو.

(٦) ولهًا: شدة الوجد. وجدا: الحب والهيام.

(٧) غضّا: طريًّا.

(٨) الوعر: جبل ويقال للشيء الصعب. النجد: ما ارتفع من الأرض.

(٩) جدت به الأحداث: عظمت به الأمور. جدا: عظم واجتهد.

(١٠) صعر خده: اسكتبر واستعظم. نأى: بعد. صدا: أعرض.

(١١) وتر: هو وتر العود. مرن: له صوت رنان.

(١٢) وافى: أعطى. ودا: أحب.

(١٣) حب القلوب: سويداؤه وثمرته. يطوي: يجوع. المقلتين: العينين؛ لأن المقلة هي شحمة العين التي تجمع البياض والسواد. يصدى: يعطش.

(١٤) عمرو وسعدى: أسماء عربية. يقصد أنه ضن بشعره أن ينزلق إلى قصص الغرام وحديث الغزل.

(١٥) لهاته: اللهاة هي الزائدة اللحمية في سقف الحلق والمقصود حديثه وقوله وشعره. يندى: يبتل. المقصود من العرق خجلًا.

(١٦) الكليم: سيدنا موسى — عليه السلام — لأنه هو الرسول الذي تكلم الله معه.

(١٧) كغمر السيل: كماء السيل الكثير. خيف: خيف منه. وردًا: منهلًا للماء.

(١٨) أورى: يقال: أورى زنده أي: زاد وقوي. زندا: طرف الذراع حتى الكف.

(١٩) يؤد: يقطع ويميت.

(٢٠) طوى آجال: قضى على أعمار الناس. وأدا: دفن الحي.

(٢١) الدي دي: هي مادة الـ (د. د. ت) التي تقتل الحشرات برشها في الأماكن الموبوءة.

(٢٢) الجامبيا: يقصد بعوض الجامبيا وقد اجتاحت جنوب مصر حينئذٍ في وباء شديد إذ تنقل مرض الملاريا الخبيثة، كمدًا: حزنًا مكتومًا.

(٢٣) الألدا: شديد الخصومة.

(٢٤) صمدا: سيدًا همامًا صامدًا. رعت: أخفت. جلدًا: صلبًا قويًّا.

(٢٥) عضدًا: الساعد. زندا: هو موصل طرف الذراع من الكتف والمقصود عونًا قويًّا للطب وللغة العربية.

(٢٦) النهج: الطريق.

(٢٧) شأوك: مكانتك. كدًّا: تعبًا.

رَشيدُ تحيّي الفَارُوق

نظم الشاعر هذه القصيدة في شهر نوفمبر سنة ١٩٣٦م يحيي فيها الملك فاروق حينما زار مدينة رشيد بلد الشاعر بالمرور عليها بسفينته.

أَغْدِقْ عَلَيْهَا سَحَابا وَامْلَأْ مَدَاهَا شَبَابَا
وَافْتَحْ عَلَى النَّاسِ فِيهَا لِلْخَيْرِ بَابًا فَبَابا
جُزْتَ الطَرِيقَ فَصَارَتْ تِبْرًا وَكَانَتْ تُرَابا
الْيُمْنُ يَحْدو ذَهَابًا وَالسَّعْدُ يَشْدُو إيَابا
وَالنَّخلُ ماسَتْ وَمَالَتْ تَشَوُّقًا وَاْجِتذَابَا
قَدْ هَزَّهَا الشَّوْقُ حَتَّى كادَت تُجَارِي الركابَا

* * *

وَالزَهْرُ يَنْضَحُ عِطْرًا بَيْنَ الربَا وَمَلابَا[1]
لَهُ ابْتِسَامُ حَبِيبٍ أَنْسَى الْمُحِبَّ الْعِتابا
يَرْنُو فَيُرْخِي حَيَاءً مِنَ الْكمام نِقَابا
رَأَى شَبَابًا وَضِيئًا عَمَّ الْقُرَى وَالرحَابا
رَأَى خَلَائِقَ زُهْرًا كَالْمِسك طَابَتْ وَطَابا[2]

* * *

تَطَامَنَتْ هَضَبَاتٌ ماذَا أَصَابَ الْهِضَابَا؟[3]
كَانَتْ تُسَامِي الثرَيَّا وَالْيَوْمَ تَحْنِي الرقابَا[4]

رَأَتْ جَـلَالًا مَـهِـيـبًـا فَـمَـا وَنَتْ أَنْ تَـهَـابَـا
وَهَـالَـهَـا مِـنْـك عـزْمٌ لَوْ لَامَسَ الصخْرَ ذَابَا

* * *

وَالْبَحْرُ يدْنُو وَيَعْلُو تَـطَـلُّـعًـا وَارْتِـقـابًـا
لَـمَّـا تَـلَـقَّـاك قُـلْـنَـا: لَاقَى الْعُبَابُ الْعُبَابَا
«فَارُوقُ» أَعْظَمُ نَفْسًا مِنْهُ وَأَسْخَى جَنابَا[٥]
يزْجِي السحابَ ثِقَالًا وَأَنْتَ تُزْجِي الرغَابَا[٦]

* * *

وَالنيلُ يَنْسَابُ تِيهًا بَيْنَ الْمُرُوجِ انْسِيَابَا
كالْخوْدِ ضَمَّتْ ثِيَابًا عُجْبًا وَأَرْخَتْ ثِيَابَا[٧]
صَـفَـا لُـجـيْـنًـا نَـقِـيًّـا وَمَـاجَ تِـبْـرًا مُـذَابَـا[٨]
أَلْقَى الدَّرَاهِمَ بُشْرَى بِكُمْ فَكانت حَبابَا[٩]
تـوثَّـبَ الْـمَـوْجُ فِـيـهِ لِـنَـظْـرَةٍ ثُـمَّ ثَـابـا[١٠]
جَـرَى ذَلُـولًا بِـمَـلْـكٍ مـاضٍ أَذَلَّ الـصـعَـابـا
إِذَا رَأَى كَـانَ حَـقًّـا أَوْ قَـالَ كَـانَ صَـوَابًـا

* * *

وَالناسُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ تَهْوِي إِلَيْكَ انصِبَابا
جَاءُوا شُعُوبًا شُعُوبًا حَتَّى أَسَالُوا الشعَابا[١١]
يَـرْجُـونَ مِـنْـكَ دُنُـوًّا فَيَرْجِعُونَ اهْتِيَابا[١٢]
وَالشمْسُ أَعْلَى مَكَانًا مِـنْ أَنْ تُـنَـالَ اقْـتِـرابـا
لـهُـمْ دُعـاءٌ أَمَـاطَـتْ لَهُ السمَاءُ الحِجَابَا[١٣]
إِنْ تَلْقَهُمْ تَلْقَ مَوْجًا إِنْ قَارَبَ الشَطَّ آبَا[١٤]
تلْقَى عَجِيجًا وَشَوْقًا وَزَفْرَةً وَاصْطِخابا[١٥]
قُـلُـوبُـهُـمْ فـي يَـدَيْـهِـمْ تُهْدَى إِلَيْكَ احْتِسَابا[١٦]
وَحُـبُّـهُـمْ فِـي وُجُـوهٍ فَـاقْـرَأْهُ فِـيـهَـا كِـتَـابـا

لَاحَ السَّفِينُ فَهَامَتْ «رَشِيدُ» تَعْدُو وِثابا
وَأَقْبَلَتْ وَهْيَ تَرْنُو مَآذِنًا وَقِبَابَا
تَوَدُّ خَوْضًا إلَيْهِ لَوِ اسْتَطَاعَتْ ذَهَابا
وَالشَّوْقُ إنْ غَالَ نَفْسًا لا تَسْتَطِيعُ غِلَابا[١٧]
أَعْلَامُها خافِقاتٌ كَمَا هَزَزْتَ الْقِضابا[١٨]
قَدْ زَارَهَا مِنْكَ غَيْثٌ فَانْهَلَّ فِيها انْسِكابا
وَلُحْتَ فِيهَا فَصَارَتْ خِصْبًا وَكانَتْ يَبَابا[١٩]
اللهُ أَكْبَرُ عادَتْ بَعْدَ الْمَشِيبِ كَعَابا![٢٠]
إنْ سُوئِلَتْ عَنْ سِنيهَا قَالَتْ: نَسِيتُ الْحِسَابَا
فِيهَا نُهَى ثاقِبَاتٌ كَمَا أَضَأْتَ الثقابا
كَالتبْرِ غَطَّاهُ تُرْبٌ وَالدرُّ فِي الْبَحْرِ غَابا
كَمْ عَامِرَاتِ عُقُولٍ تَأْوِي الدِيَارُ الْخرابا!
صَحِبْتُ فِيهَا شبابي فَما ذَمَمْتَ الصحَابا
سَقْيًا لِمَلْعَبِ أنْس شَابَ الزَّمان وَشابا!
إنْ يَجْرِ فِي الْوَهْمِ يَوْمًا جَرَتْ دُمُوعِي اكْتِئَابا
مَنْ غاض مَاءُ صِباهُ رَأَى الْحَيَاةَ سَرَابا
أَبُوكَ راشَ جَناحِي حَتَّى لَمَسْتُ السحابا[٢١]
وَكانَ يُصْغِي لِشِعْرِي وَكانَ شِعْرِي عُجَابا

* * *

«رَشِيدُ» لَاقَتْ رَشِيدًا شَهْمًا مُجِيبًا مُجابا
سَوَّاهُ مَوْلاهُ نُورًا صِرْفًا، وَمَجْدًا لُبابا
نَالَتْ بِيُمْنِ سَناهُ مِصرُ الْمُنَى وَالطِّلَابا

هوامش

(١) الربا: جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض. الملاب: نوع من الطيب، أو هو الزعفران.

(٢) الخلائق: جمع خليقة وهي الطبيعة والخلق. زهر: جمع زهراء أي: صافية خالصة غراء. المسك: أفضل أنواع الطيب عند العرب. طاب: جمل وحسن.

(٣) تطامنت: انخفضت.

(٤) تسامى: تفاخر وتبارى في السمو. الثريا: اسم لنجوم كثيرة متقاربة يضرب المثل بها في الرفعة والعلو.

(٥) الجناب: الناحية.

(٦) يزجي: يسوق سوقًا رقيقًا. ثقال: جمع ثقيلة. الرغاب: جمع رغبة.

(٧) الخود: المرأة الحسنة الخلق الشابة الناعمة. العجب: الكبر والفخر.

(٨) اللجين: الفضة. ماج: اضطربت أمواجه. التبر: ما كان من الذهب غير مضروب ولا مصوغ.

(٩) الحباب: فقاقيع الماء التي تطفو كأنها الدراهم.

(١٠) ثاب: رجع.

(١١) الشعوب: جمع شعب وهو القبيلة العظيمة. الشعاب: جمع شعب بكسر الشين وهو الطريق.

(١٢) الدنو: القرب. الاهتياب، مصدر اهتابه بمعنى هابه أي: أجله وعظمه.

(١٣) أماطت: كشفت.

(١٤) الشط: جانب النهر. آب: رجع.

(١٥) العجيج: رفع الصوت مصدر عج يعج من باب ضرب. الزفرة: التنفس الطويل الممدود، الاصطخاب: الجلبة والأصوات المختلطة، والعجيج والزفرة والاصطخاب كلها من مظاهر الزحام.

(١٦) الاحتساب: مصدر احتسب الأجر على الله أي: ادخره عنده لا يرجو ثواب الدنيا.

(١٧) غاله: أخذه من حيث لم يدر والمراد استولى وسيطر. الغلاب: المغالبة مصدر غالبه.

(١٨) الأعلام: جمع علم وهو الراية. خافقات: مهتزة. القضاب: السيف القطاع.

(١٩) اليباب: الخراب.
(٢٠) الكعاب: الجارية نهد ثدياها.
(٢١) راشه: جعل فيه الريش.

إلى رُوح داوُد بركات

جزع الشاعر أشد الجزع لموت صديقه الأستاذ داود بركات، رئيس تحرير جريدة الأهرام، فرثاه بهذه القصيدة سنة ١٩٣٣م:

ظَنَنْتَ الدمْعَ يُسْعِدُ بالْعَزَاءِ ... فَهَلْ أَجْدَى بُكَاؤُكَ أَوْ بُكَائِي؟
وَقُلْتَ: بِأَنَّةِ الْمَحْزُونِ أُشْفَى ... فَأَحْوَجَكَ الشِّفاءُ إِلَى شِفَاءِ
وَمَنْ يَغْسِلْ بِأَدْمُعِهِ جَوَاهُ ... أَرَادَ الْبُرْءَ مِنْ دَاء بَدَاءِ[١]
بِنَفْسي الراحِلِينَ مَضَوْا سِرَاعًا ... لِوِرْدِ الْمَوْتِ كَالْهِيمِ الظمَاءِ[٢]
تَوَلَّى عَهْدُهُمْ وَبَقِيتُ وَحْدِي ... أُقَلِّبُ طَرْفَ عَيْنِي فِي السَّماء
رَثَيْتُهُمُ فَأَدْمَى الْحُزْنُ قَلْبِي ... فَهَلْ نَدْبٌ يَخِفُّ إِلَى رِثائِي؟[٣]
وَكَمْ حيٍّ يَعَيشُ بنَفْسِ مَيْتٍ ... طَوَتْ آمالَهَا طَيَّ الرِدَاءِ
مضَتْ بِهِمُ النَّجَائِبُ مُصْعِدَاتٍ ... وَلِلْبَاكِين رَنَّاتُ الْحُداءِ[٤]
تَجلَّوْا فِي النِّجَادِ ضُحَى صَبَاحٍ ... وَغَابُوا فِي الوِهَادِ دُجَى مَساءِ[٥]
وَقَفْتُ أُزَوِّدُ النَّظَرَاتِ مِنْهُمْ ... وَأُصْغِي لِلنَوادِبِ مِنْ وَرَائِي
فَلَمْ أَرَ إِذْ نَظَرْتُ سِوَى جَلالٍ ... يَهُولُ وَمَا لَمَسْتُ سِوَى هَبَاءِ
وَنَادَيْتُ الصحَابَ فَبُحَّ صَوْتِي ... وَعَادَ إِلَيَّ مَكْدُودًا نِدَائِي
تُفَرِّقُنَا الْحَياةُ فَإِنْ أَرَدْنَا ... لِقَاءً لَمْ نَجِدْ غَيْرَ الْفَنَاءِ
طَرِيقٌ عُبِّدَتْ مِنْ قَبْلِ نُوحٍ ... ولم تُلْقَ التمائِمُ عَنْ ذُكَاءِ[٦]
بِهَا الأَضْدَادُ تُجْمَعُ فِي صَعِيدٍ ... وَفِيهَا يَلْتَقِي دَانٍ بِنَاءِ[٧]
إِذَا لَبِسَ الرَبِيعَ شَبَابُ قَوْمٍ ... فَأَسْرَعُ مَا يُفَاجَأُ بِالشتَاءِ

وَكُلُّ نَضِيرَةٍ فَإِلَى ذُبُولٍ وَكُلُّ مُضِيئَةٍ فَإِلى انْطِفَاءِ
وَهَلْ تَهْوِي ثِمَارُ الرَوْضِ إلَّا إِذَا أَدْرَكْنَ غَايَاتِ النمَاءِ

* * *

أَيَا «دَاوُدُ» وَالذكْرَى بَقَاءٌ ظَفِرْتَ بِكُلِّ أَسْبَابِ الْبَقَاءِ
نَعَاكَ لِيَ النُّعَاةُ فَقُلْتُ: مَيْنٌ وَكَمْ يَأْسٍ تَشَبَّثَ بالرجَاءِ
نُمَارِي كُلَّمَا فَدَحَتْ خُطُوبٌ فَتَرْتَاحُ النفُوسُ إِلَى الْمِرَاءِ[٨]
مَلَكْتَ يَرَاعَةً وَمَلَكْتَ قَلْبًا فَكَانَا سُلَّمَيْنِ إِلَى الْعَلاءِ[٩]
شَبَاةٌ شَقَّها الْبَارِي فَشَقَّتْ طَرِيقًا لِلْمَجادَةِ والسراءِ[١٠]
إِذَا ما أُشرِعَتْ فِي الْخَطِّ مالَتْ رِماحَ الْخَطِّ مِيلَةَ الازْدِهاءِ[١١]
وَإِنْ هِيَ جُرِّدَتْ لِمضَاءِ عَزْمٍ تَوَارَى السَّيْفُ مِنَ هَوْلِ الْمَضَاءِ
وَإِنْ هِيَ لامَسَتْ يَدَهُ أَضَاءَتْ فَهَلْ أَبْصَرْتَ فِعْلَ الْكَهْرَباءِ
كَأَنَّ لُعَابَهَا قِطْعُ اللَّيالِي تَنَفَّسُ عن تَبَاشِيرِ الضيَاءِ[١٢]
كَأَنَّ النِّقْسَ فَوْقَ الطرْسَ غَيْثٌ أَعَارَ الأَرْضَ ثَوْبًا مِنْ رُوَاءِ[١٣]
بَيَانُكَ وَاضِحُ الْقَسَمَاتِ صَافٍ يَكادُ يُشِعُّ مِنْ فَرْطِ الصفَاءِ
يَكادُ يَسِيلُ فِي الْقِرْطَاسِ لُطْفًا فَتَحْبِسُهُ عَلامةُ الانْتِهاءِ[١٤]
بَيَانٌ لَوْ صَدَعْتَ بِهِ اللَّيَالِي رَأَيْتَ الصبْحَ مِنْهَا فِي الْعِشَاءِ[١٥]
لَهُ نُورٌ يَكادُ يَسِيرُ فِيهِ «رَهِينُ المَحْبِسَيْنِ» بِلاَ عَنَاءِ[١٦]
لَهُ النَّبَراتُ نَدْعُوهَا غِنَاءً فَتَأْبَى أَنْ تُعَدَّ مِنَ الْغِنَاءِ
سُلافٌ تَنْهَلُ الأَرْوَاحُ مِنْهُ وَتَحْمِلُهُ السُّقَاةُ بِلاَ إِنَاءِ[١٧]
وَرَوْضَاتٌ حَلَتْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَأَغْرَتْ بِالأَزَاهِرِ كُلَّ رَائِي
طَلَبْنَ إِلَى الْغَمامِ كِسَاءَ حُسْنٍ فَكَلَّفَ قَطْرَهُ وَشْيَ الْكِسَاءِ
تُرِيكَ عَجَائِبَ الألْوَانِ شَتَّى كَمَا عَكَسَتْ أَشِعَّتَهَا الْمَرَائِي[١٨]
أَوِ الْعَذْرَاءَ حِينَ رَأَتْ غَرِيبًا فَلَثَّمَتِ الْمَلاَحَةِ بِالْحَيَاءِ

* * *

بَنِي لُبْنَانَ خَطْبُكُمْ جَلِيلٌ دَعُونا نَقْتَسِمْهُ عَلَى السَواءِ
مَضَى شَيْخُ الصحَافَةِ أَرْيَحِيًّا مُبِيد الْوَفْرِ جَمَّاعَ الثنَاءِ[١٩]

خـلَالٌ كُـلُّـهَـا أَنْـفَـاسُ رَوْضٍ ... وَنَـفْـسٌ كُـلُّـهـا قَـطَـرَاتُ مَـاءِ
نُـعَـزِّي فِـيـهِ لُـبْـنَـانًـا وَنَـبْـكِـي ... فـمَـنْ أَوْلَـى وَأَجْـدَرُ بِـالْـعَـزَاءِ؟
مُصَابُكُمُ — وَقَدْ أَدْمَى — مُصَابِي ... وَرُزْءُ الْـعَـبْـقَـرِيَّـةِ وَالـذكـاءِ
لَـهُ اهْـتَـزَّتْ بَـوَاسِـقُ نَـخْـلِ مِـصْـرٍ ... وَهَـالَ الأَرْزَ إِرْجَـافُ الْـفَـضَـاءِ[٢٠]
بَنِي الْقُطْرِ الشَّقِيقِ لَنَا صِلاَتٌ ... كَـرِيـمَـاتٌ عُـقِـدْنَ عَـلَـى الْـوَفَـاءِ
بَـنُـو أَعْـمَـامِـنَـا أَنْـتُـمْ وَفِـيـكُـمْ ... حِـفَـاظٌ لِـلْـمَـوَدَّةِ وَالإِخَـاءِ
وَفِي الْفُصْحَى لَنَا نَسَبٌ كَرِيمٌ ... كَقُرْصِ الشمْسِ شَمَّاخُ السنَاءِ[٢١]
أَعَـدْنـاهَـا نِـزَارِيـةً عَـرُوبًـا ... لَـهـا حُـسْـنُ الْـتِـفـاتٍ وانْـثِـنـاءِ[٢٢]
إِذَا خَطَرتَ بِنَادِي الْقَوْمِ حَلُّوا ... مِـنَ الإِكْـبَـارِ مَـعْـقُـودَ الْـحُـبـاءِ[٢٣]
تَـجَـاوَزْنَـا بِـهَـا أَطْـلالَ سُـعْـدَى ... وَبـدَّلْـنَـا الْـمَـقَـاصِـرَ بِـالْـخِـبَـاءِ[٢٤]
وَجِـئْـنَا بِـالْـعُـجَـابِ يُـخَـالُ سِـحْـرًا ... وَكُـلُّ الـسـحْـرِ مِـنْ أَلِـفٍ وَبـاءِ
وَكـانَـتْ قَـبْـلَ نَـهْـضَـتِـنَـا نُـحَـاسًـا ... وَكُـنَّـا سَـادَةً فِـي الْـكِـيـمِـيَـاءِ[٢٥]
قَـضَـى دَاوُدُ فَـالأَقْـلاَمُ حـسْـرَى ... نَـوَاكِـسُ خَـاشِـعَـاتٌ لِـلْـقَـضَـاءِ
هِـيَ الأَيَّـامُ تَـهْـدِمُ مـا بَـنَـتْـهُ ... فَـمـاذَا يَـبْـتَـغِـيـنَ مِـنَ الْـبِـنَـاءِ؟
حَـيَـاةُ الْـمَـرْءِ فِـي الـدنْـيَـا هَـبَـاءٌ ... وَآمَـالُ الْـمُـؤَمِّـلِ مِـنْ هَـوَاءِ
وَمَـا لِـلْـجَـازِعِـينَ سِـوَى اصْـطِـبَـارٍ ... وَمَـا لِـلسَّـاخِـطِـينَ سِـوى الرضَـاءِ

هوامش

(١) الجوى: الحزن.

(٢) المراد بالورد هنا المورد وهو مأتى الماء وموضع وروده، الهيم: الإبل العطاش، الظماء: العطاش أو الشديدة العطش.

(٣) الندب: الخفيف في الحاجة.

(٤) النجائب: عتاق الإبل وكرامها التي يسابق عليها، ومفردها نجيب أو نجيبة. مصعدات: ماضيات من أصعد في الأرض بمعنى مضى، وفي الوادي بمعنى انحدر. الرنات: جمع رنة وهي الصوت. الحداء: سوق الإبل والغناء لها.

(٥) تجلوا: تكشفوا وظهروا. النجاد: جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض. الضحى: حين تشرق الشمس ويمتد النهار. الوهاد: جمع وهدة وهي الأرض المنخفضة. الدجى: جمع دجية وهي الظلمة.

(٦) عبدت: ذللت ومهدت. التمائم: جمع تميمة وهي عوذة أو خرزة تعلق على المولود، ذكاء: الشمس.

(٧) الأضداد: المختلفون. الصعيد: وجه الأرض، الداني: القريب. النائي: البعيد.

(٨) ماراه يماريه مراء: جادله وطعن في قوله تزييفًا للقول. فدحت: بهظت وثقلت واشتدت.

(٩) اليراعة: القصبة، والمراد بها القلم وهذا كناية عن أنه كاتب أديب بارع.

(١٠) الشباة: حد كل شيء والمراد بها هنا طرف القلم وسنه أي: موضع البري منه، وسن القلم مشقوقة عادة. والبارئ، الخالق — عز وجل — اسم فاعل من براه الله من باب عدا أو من برأه من باب قطع، وقد تكون من البريء مصدر برى القلم من باب رمى، ففي هذه الكلمة تورية. المجادة: الشرف والكرم مصدر مجد ككرم. السراء: المروءة والشرف.

(١١) أشرعت: أميلت للكتابة من أشرعت الرماح أي سددت عند إرادة الطعن. والخط الأولى معناها الكتابة. والخط الثانية مرفأ للسفن بالبحرين على خليج فارس شرقي جزيرة العرب تنسب إليه الرماح؛ لأنها تباع فيه. الازدهاء: التيه والفخر.

(١٢) كنى بلعاب الشباة أو البراعة عن المداد وهو الحبر الذي يكتب به. القطع: ظلمة آخر الليل. وتنفس أصلها تتنفس أي: تتبلج وتشرق، تباشير الصباح: أوائله.

(١٣) النقس: المداد الذي يكتب به. الطرس: الصحيفة. الغيث: المطر. أعار: أعطى على سبيل العارية وهي الثوب ونحوه يستعيره الإنسان من غيره على أن يرده. الرواء: حسن المنظر.

(١٤) القرطاس مثلثة القاف: ورق الكتابة.

(١٥) صدعه كمنعه: شقه.

(١٦) رهين المحبس: هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري التنوخي الشاعر الفيلسوف الزاهد، كف بصره وهو في الثالثة من عمره فقضى أكثر حياته مقيمًا في منزله، وسمى نفسه رهين المحبسين: محبس العمى ومحبس المنزل.

(١٧) السلاف: الخمر.

(١٨) المرائي: جمع مرأة.

(١٩) أريحي: واسع الخلق يرتاح للندى. مبيد: مهلك مضيع. الوفر: المال الكثير.

(٢٠) بواسق: جمع باسقة أي: طويلة مرتفعة. هال: أخاف وأفزع. والأرض شجر الصنوبر الذي يمتاز لبنان به كما تمتاز مصر بكثرة نخيلها. والأرجاف مصدر أرجفت الأرض أي: زلزلت.

(٢١) شماخ: عظيم الارتفاع وهي صيغة مبالغة من شمخ الجبل ونحوه أي: علا وارتفع. السناء: الرفعة.

(٢٢) نزارية: بتخفيف ياء النسب لضرورة الشعر نسبة إلى نزار بن معد بن عدنان جد العرب المستعربة وجد القبائل العدنانية وفيها كان الشعر والفصاحة. العروب: المرأة الضحاكة المتحببة إلى زوجها.

(٢٣) حل معقود الحباء: كناية عن القيام.

(٢٤) سعدى: علم على بعض النساء اللائي تغزل بهن بعض شعراء الجاهلية ووقفوا بآثارهن وبكوا أطلالهن. المقاصر: جمع مقصورة وهي الدار الواسعة المحصنة، الخباء: بيت صغير يكون من وبر أو صوف ويرفع على عمودين أو ثلاثة.

(٢٥) يقول: إن اللغة العربية كانت قبل نهضتنا الحاضرة في قيمة النحاس لكثرة ما اعتورها من عوامل الضعف والتأخر، وكنا نحن سادة فائقين في علم الكيمياء فجعلنا منها معدنًا غاليًا ثمينًا. يشير بذلك إلى ما كان يعتقده المتقدمون من إمكانهم تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب بالكيمياء.

لبنان الثائر

نظم الشاعر في القصيدة عندما ثار لبنان ثورته الوطنية في أواخر عام ١٩٤٣. ففاز بانتخاب نوابه. وكان الشاعر ينوي زيارة بيروت في ذلك الحين:

هَاجَ شَوْقَ الوالِهِ المُضطرِبِ ... حُلُمٌ شَقَّ ظَلامَ الحُجُبِ[١]
جرّدَ الليلُ عليه غَيْهبًا ... فتخطَّى عقَباتِ الغَيْهبِ[٢]
زارني والليلُ في غفْوتِه ... يَتَمطّى عن دِثارِ السُّحُب[٣]
طائفٌ إنْ رُمتَه لم تلْقَه ... وهو من جفنِكَ بين الهُدُبِ![٤]
بارعُ الريشةِ حتّى لَتَرَى ... غائبَ الشخصِ كأنْ لم يَغِبْ[٥]
بسمَاتُ الروضِ من ألوانِه ... وسَنا الكأسِ ودُرُّ الحَبَبْ[٦]
في يديه مِجْهَرٌ من عَجَبٍ ... تُفْتَحُ العينُ به عن عَجبِ[٧]
قلتُ: هذِي جنَّةٌ؟ أم ما أرَى؟ ... أم تهاويلُ خَيالٍ كَذِبِ؟
أم أنا غيْري؟ وإلَّا مَنْ أنا؟ ... أم هو السحْرُ غدا يلعَبُ بي؟
ما الذي يبدو لعيني سامِقًا ... يتحدّى سَبَحاتِ الكوكبِ؟[٨]
أرضُه مِسْكٌ، وفي تُرْبتِه ... ينبُتُ الفَنُّ مكانَ العُشُبِ[٩]
وإذا شادٍ يُغنِّي مَرِحٌ ... لُؤلؤيُّ الصوتِ، حُلْوُ المذهبِ[١٠]
صاح: ذا لُبْنانُ فانزِلْ سَفْحَه ... قلت: ما لي غيرَه من أَرَبْ[١١]
هو عِرِّيسٌ لآسادِ الْحِمَى ... وكِناسٌ لِظِباءِ الربْرَبْ[١٢]
قد تمنّاه الهَوى من بُعدٍ ... كيف لو أبصَرَه عن كَثَبِ؟!
الأزاهيرُ به من قُبَلٍ ... والينابيعُ رَحيقُ العِنَبْ

وقدودُ الهيفِ في رَوْضاتِه ... قُضُبٌ تمْرَحُ بين القُضُب[١٣]
جُمِعتْ لَيْلاتُه من دَعَجٍ ... وسَنا إصباحِه من لَبَب[١٤]
وَسجايا أهلِه أنْسامُه ... كم نَعمْنا بِشذاها الطيِّبِ!
كتَبَ المجدُ لهم تاريخَهم ... في جبينِ الدهرِ لا في الكُتب
كلُّ شهمٍ أرْيَحِيّ أغْلَبٍ ... من كريمٍ أريحِيّ أغْلَب
بين عَدنانَ وغَسّانَ لهم ... نسَبٌ يرفَعُ شأوَ النسب[١٥]
نصبوا في كلِّ أرضٍ رايَهم ... ما دَروْا في المجد معنى النصَبِ[١٦]
وأذلُّوا الصعبَ في رِحْلاتِهم ... أيُّ صعبٍ عندهم لم يُرْكَب؟
وطَووْا شرقًا بشرقٍ، وجرَى ... سيلُهم يزحَمُ شطَّ المغْرِب[١٧]
ينزَحُ النازحُ ما في رَحْلِه ... غيرُ إقدامٍ وعزْمٍ ذَرِبِ[١٨]
ورَجاءٍ برجاءٍ يلْتقي ... وكِفاحٍ للقاءِ النُّوَب[١٩]
رأسُ مالِ المرءِ ما في رأسِه ... من ذكاءٍ، لا حُطامُ النَّشب[٢٠]
ملكوا الدنيا فلما جَمَحتْ ... ملكوها برفيعِ الأدب[٢١]
ليس للسيفِ على حدَّته ... صَوْلةُ الشعْر. ووَخْزُ الخُطَب[٢٢]
هذّبوا الفُصْحَى ولمُّوا شَمْلَها ... بعد أن كانت صَدًى في سَبْسَبِ[٢٣]
جمّعوها حُلْوَةَ الجَرْس كما ... تجمَعُ النحلةُ حُلوَ الضَّرَب[٢٤]
أنتَ يا لُبْنانُ عَزْمٌ ونُهًى ... لستَ من صخرٍ ولا من حَصَب![٢٥]
كلما أطلعتَ ليلًا شَفَقًا ... مُوِّهتْ صفحتُه بالذهب[٢٦]
ظنّتِ الغيدُ وما أجرأَها! ... أنّه من خدِّها المختضِب[٢٧]
سِحْرُ شِعْرٍ ومَجالي فِتنةٍ ... وعيونٌ أُغْرِمتْ باللعب
وابتسامٌ فيه أشراكُ الهَوى ... وحديثٌ فيه عُذْرُ المذنب[٢٨]
أين قلبي؟ غصبوه، فاسألوا ... «جارةَ الوادي» عن المغتصب[٢٩]
واشفعوا لي، واحذروا غضْبتَها ... آهِ من صَوْلة هذا الغضبِ!
ثم قولوا: مُسْتَهامٌ وَصِبٌ ... وَيْلَتَا للمستهامِ الوَصِب[٣٠]
طائرٌ غرّدَ في دَوْحَتكم ... علّم الأطيارَ معنى الطرب
طار من مصرَ يُحيِّي أمّةً ... تَوّجَتْ بالمجدِ هامَ الْحِقَب[٣١]
قاهريٌّ أخجلتْ ألحانُه ... رنَّة العُودِ، وشَدْوَ القَصَب[٣٢]

خُلِقَتْ أوتارُه قُدْسِيّةً ... من حَنانِ الحبِّ، لا من عَصب[٣٣]
فارحمي مُغتربًا ليس اسمُه ... في رُبا لُبنانَ بالمغترب[٣٤]
جاء يبغِي الْحُبَّ لا الْحَبَّ فهل ... جاوز المسكينُ حدَّ الطلب؟[٣٥]
فنصبتِ الفخَّ خدّاعَ المُنَى ... خَشِنَ الكفِّ، حديدَ المِخْلبِ[٣٦]
وأتَى هَيْمانَ يشدو واثبًا ... ليته في يومه لم يثب!
فارْتَمى بين جَناحٍ هائضٍ ... وَجناحٍ خافقٍ مضطرب[٣٧]
واجِبَ القلبِ، ولولا نظرةٌ ... عرضتْ لاهيةً لم يَجِب[٣٨]
أطلقيه وابعثي آمالَه ... وثوابَ اللّهِ فيه احتسبي[٣٩]
هل على الهاتفِ بالحسن إذا ... ما شدا من حَرجٍ أو عَتَب؟
قد براه السُّقْمُ إلَّا فَضْلَةً ... من فؤادٍ حائرٍ ملتهب[٤٠]

* * *

كم هفا القلبُ للبُنان وكم ... عاقه صَرْفُ الزمانِ القُلّب!
أصبح الحكمُ به في نُخْبةٍ ... من بنيه الكرماءِ النُّجُبِ[٤١]
كلُّهم حرّ أبيٌّ ينتمي ... في ذُرا المجدِ إلى حرٍّ أبي[٤٢]
وهبوا الروحَ للُبنان فِدًى ... وضَنينٌ كلُّ مَنْ لم يَهَب[٤٣]
خُلُقٌ مثلُ أزاهيرِ الرُّبا ... ضحِكت للعارضِ المنسكب[٤٤]
وسياساتٌ ورأيٌ ساطعٌ ... يضَعُ الحقَّ مكانَ الرِّيَبِ[٤٥]
قادهم خيرُ رئيسٍ للعُلا ... شمريٍّ العزم عالي الحَسَب
عاشَ لُبنان وعاشتْ رايةٌ ... للكرامِ العُربِ فوقَ الشُّهُبِ

هوامش

(١) هاج: أثار. الحجب: الأستار.
(٢) غيهبًا: ظلمة.
(٣) غفوته: نومه. يتمطى: يتثاءب. دثار: غطاء.
(٤) طائف: ما يجول بالخاطر أثناء النوم. رمته: أردته. الهدب: رموش العين.
(٥) بارع الريشة: ماهر في الرسم والتصوير.

(٦) سنا الكأس: ضوء الكأس. در الحبب: ما يطفو فوق الماء من فقاقيع تشبه الدر.

(٧) مجهر: منظار مكبر.

(٨) سبحات الكوكب: حيث تسبح الكواكب.

(٩) مسك: طيب.

(١٠) حلو المذهب: جميل اللحن والطريقة.

(١١) أرب: مقصد.

(١٢) عريس: غيل الأسد. كناس: بيت الظبي. ظباء الربرب: ظبي القطيع.

(١٣) قضب: أغصان.

(١٤) دعج: سواد العين وسعتها. سنا إصباحه: نور صباحه وإشراقه. لبب: خالص الشيء.

(١٥) عدنان وغسان: أصل قبائل العرب. شأو: السبق والغاية.

(١٦) النصب: التعب.

(١٧) شط المغرب: دول العرب (المهجر) التي هاجروا إليها.

(١٨) رحله: متاعه. ذرب: حاد ماض.

(١٩) النوب: الشدائد والكوارث.

(٢٠) النشب: المال والعقار.

(٢١) جمحت: شردت وبعدت كالحصان الجامح.

(٢٢) حدته: مضاءه. وخز: طعن.

(٢٣) سبسب: الفلاة، الصحراء.

(٢٤) الضرب: العسل.

(٢٥) حصب: الحصو الصغير.

(٢٦) شفقًا: حمرة الشمس في أول الليل. موهت: طليت. صفحته: جوانبه.

(٢٧) المختضب: الملون بلون الخضاب.

(٢٨) أشراك: مصايد.

(٢٩) جارة الوادي: هو وادي البقاع بلبنان ولشوقي قصيدة رائعة يناجي فيها حارة هذا الوادي.

(٣٠) مستهام: هائم. وصب: دائم.

(٣١) هام: قمة. الحقب: السنون.
(٣٢) قاهري: نسبة إلى القاهرة والشاعر يقصد نفسه. القصب: المقصود المزمار.
(٣٣) قدسية: طاهرة. عصب: الأعصاب بالجسم.
(٣٤) ربا: أعالي.
(٣٥) لا الحب: الحبوب.
(٣٦) المخلب: الظفر.
(٣٧) هائض: مكسور.
(٣٨) واجب القلب: خافق القلب.
(٣٩) احتسبي: اكتفي.
(٤٠) براه: أضناه. السقم: المرض. فضلة: بقية. فؤاد: قلب.
(٤١) نخبة: جماعة منتخبة. النجب: نجباء أشراف.
(٤٢) أبيّ: لا يقبل الضيم. ذرا: علا.
(٤٣) ضنين: بخيل.
(٤٤) العارض المنسكب: السحاب الممطر.
(٤٥) الريب: الشك.

ذِكرى الغَرْب

بعض ذكريات الشاعر بعد عودته من أوروبا سنة ١٩١٢م.

يا دارَ فاتِنَتِي حُيِّيتِ مِنْ دَارِ! سَيَّرْتُ فيكِ وفِي منْ فِيكِ أَشْعَاري
رَحلتُ عَنْها وللأشجَانِ ما تَركَتْ في العَيْنِ والقلبِ من ماءٍ ومِنْ نار
كانتْ مَجَالَ صَباباتٍ لَهَوْتُ بها ومُسْتَراضَ لِبَاناتٍ وأَوْطارِ[١]
أسائِلُ الطَّيْرَ عَنها لو تُنَبِّئني أو تنْقُلُ الطَّيرُ عنها بَعْضَ أخْبار!
يَنْسَى بهَا كلُّ نائي الدَارِ مَوْطِنَه وما تَجشَّمَ مِنْ بَيْنٍ وأَسْفَار[٢]
يَلْقى بها أينما ألقى عَصَاه بِها أهلًا بأَهْلٍ، وأَصْهارًا بأصْهار
وفِتْيةً كرِماحِ الخطِّ إنْ خَطَرُوا فَدَيْتَ بالنَّفسِ منهم كلَّ خَطَّار[٣]
بِيضَ الوُجُوهِ مَساميحَ الأكُفِّ مَنا جِيدَ الصَّريخِ سَرَاةُ غَيرَ أَغْرار[٤]
لا يَنزِل الضَّيفُ صُبْحًا عُقْرَ دَارِهِمُ إلَّا ويُمْسِي عِشاءً صاحِبَ الدار
قد آمنُوا بإلَهِ الحُبِّ وارْتَقَبُوا آياتِهِ بَيْنَ إجْلالٍ وإكْبار[٥]
وصوَّرُوهُ فَتًى أعْمَى إذا رَشَقَتْ يَدَاهُ بالنَّبْل أصْمَى كُلَّ جَبَّار[٦]
عُرْيانَ إنْ مَسَّهُ بَرْدُ الشتاءِ فما له سِوَى زَفَراتِ الوَجْدِ مِنْ نَار
يَغْشَى الفَتاةَ وَلَمْ تَرْقُبْ زِيَارَتَهُ وخِدْرُها بَيْنَ أغْلاقٍ وأَسْتار
فَطَرْفُها خاشِعٌ من بَعْدِ زَوْرَتِهِ وقَلْبُها نَهْبُ أَوْهَامٍ وأَفْكَارِ[٧]
تَشْكُو إلَى أُمِّها ضَيْفًا ألمَّ بِها والأُمُّ إنْ تَسْتَطِعْ باحَتْ بأَسْرارِ
ويصْرَعُ الفارِسَ المِغْوارَ إن لَعِبَتْ كَفَّاهُ بالسَّيْفِ أَرْدَى كلَّ مِغْوَار
فلا تراهُ سِوَى شاكٍ لسَاجِعَةٍ أو نادِبٍ إثرَ أَطْلالٍ وآثار[٨]

ويَطْرُقُ الشَّيْخَ في المِحْرَابِ قَدْ فَنَيِتْ عِـظَـامُـهُ، وَبَـرَتْـهُ خَـشْـيَـةُ الـبَـاري
فـلـم تَـكُـنْ لَـمْـحَـةً إلّا لـيَـفْـتِـلَـهُ مـن الـصَّـلاةِ ومـن تَـرْتِـيلِ أذْكـار[٩]

* * *

يبرُزْنَ في اللَّيْل مِثْلَ الشُّهبِ ساطِعةً ما بَيْنَ سيَّارَةٍ تَجْرِي لِسَيَّار[١٠]
مِنْ كُلِّ خَمْصَانَةِ الكَشْحَيْنِ ناصِعَةٍ كـأَنَّـهـا دُرَّةٌ فـي جَـوْفِ زخّـار[١١]
تَسْعَى إلى أغْيَدٍ ما طَرَّ شَارِبُهُ كـأنَّـمـا صَـفْـحَـتـاهُ وجْـهُ دِيـنـارِ[١٢]

* * *

أرضٌ كَـأَنَّ إِلَـهَ الأَرْضِ أَوْدَعَـهـا بَدَائِعَ الْحُسْنِ مِنْ عُونٍ وأَبْكار[١٣]
ألقَوْا خُدُودَ العَذَارى في حَدَائِقِها ولَـقَّـبُـوهـا بِـأَثْـمَـارٍ وأَزْهـار
وجـرَّدُوا كُـلَّ حُـسْـنٍ مـن قَـلائِـده فَصِرْنَ حَصْباءَ في سَلْسَالها الجَاري[١٤]
لَوْ كانَ في عُنْصُرِي صَلْصالُ طِيبَتِهَا ما راعَنِي الدَّهْرُ في يومٍ بأَكْدَار[١٥]
أوْ كُنْتُ أَظْفَرُ في الأُخْرَى بِجَنَّتِها غَـسَـلْـتُ بـالـدمْـعِ آثـامـي وأَوْزاري

هوامش

(١) المستراض: المكان الفسيح الطيب. اللبانة: الحاجة مع علو الهمة. الوطر: المطلب والمأرب.

(٢) البين: البعد والفرقة.

(٣) رماح الخط نسبة إلى مرفأ السفن بالبحرين؛ لأنه مبيعها لا منبتها، وشبههم بالرماح في فرعهم واعتدال أجسامهم ولدونتها.

(٤) مناجيد الصريخ: أي يسرعون إلى المستغيث بالنجدة والإغاثة. السراة: السادة الأشراف. الأغرار: من لا تجربة لهم بالأمور. الواحد غر (بالكسر).

(٥) تخيل قدماء اليونان آلهة كثيرة منها إله للحب سموه «كيوبد» وصوروه طفلًا أعمى عريان في يديه قوس ونبال يرمي بها عن غير قصد، وهذا مصداق لقول العرب: الحب يرمي ويصم.

(٦) رشقه بالنبل: رماه به. أصماه: رماه فقتله مكانه. الجبار: العاتي.

(٧) الطرف: البصر. خاشع: متكسر مطرق.

(٨) الساجعة: المغردة من الطير.

(٩) يفتله: يصرفه. ترتيل الأذكار: إجادة تلاوتها.

(١٠) الشهب: الكواكب. الساطعة: اللامعة المتألقة. السيارة والسيار: من أوصاف الكواكب وهي التي تجري في مداراتها. ولما جعلهم شهبًا جعل مسيرهم ليلًا كجري النجوم في أفلاكها.

(١١) خمصانة الكشحين: أي ضامرة الخصر دقيقته. الكشح: هو ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفية. الزخار: البحر إذا طما وامتلأ.

(١٢) الأغيد: الغلام مالت عنقه ولانت أعطافه. وما طر شاربه، أي: ما ظهر. ويريد بصفحتيه: خديه.

(١٣) العون: جمع عوان. وهي من النساء: النصف، لا بكر ولا مسنة. الأبكار: جمع بكر. وهي العذراء.

(١٤) القلائد: الحلي تجعل في العنق، الواحدة: قلادة. سلسالها الجاري: مياه أنهارها المنسابة.

(١٥) راعه: أفزعه ونغص عليه.

شروق كوكب

ألقيت هذه القصيدة في الاحتفال بميلاد الملك فاروق آخر ملوك مصر في سنة ١٩٣٤م، حينما كان وليًّا للعهد.

لله يومٌ جَرَى باليُمْن طائرُه ... ورُدَّدت في فم الدّنْيا بَشَائرُه[١]
يومٌ تحلَّى بِحُسْن الْوَعْدِ أوَّلَه ... كما تَلَأْلَأَ بالإنْجازِ آخِرُه[٢]
ترقَّبَتْ مصرُ فيه الصُّبْحَ مبتسمًا ... يلُوحُ بالْخير والإسعادِ سَافرُه[٣]
يومٌ أعادَ إلى الأيَّام نَضْرَتها ... كما أعادَ جَمالَ الرَّوْض ماطرُه
يوم تجلَّى به الفاروقُ مُؤْتَلِقًا ... كالبَدْر يجتذب الأبصارَ باهرُه
بدَا فكبَّرَتِ الدّنيا لِمَوْلِدِه ... واستبشَر الدِّينُ واهتزَّتْ مَنَابرُه
سُلَالةُ الشَّرَفِ العالِي وصفْوتُه ... ونُخْبَةُ الْجَوْهَر الصَّافِي ونَادِرُه
زينُ الشَّبابِ لهُم من هَدْيه قَبَسٌ ... ما ضلَّ فيه طريقَ المَجْد عابِرُه[٤]
أقامَ في كلِّ قلبٍ فَهْوَ حَبَّتُهُ ... وحَلَّ في كُلِّ طَرْفٍ فَهْوَ نَاظرُه[٥]
رقَّتْ شمَائلُهُ، عزَّتْ أوَائلُه ... لاحَتْ مَخَايِلُه، طَابَتْ عَنَاصرُه[٦]
فَارُوقُ يا ابْنَ الأُلَى شادُوا بِهِمَّتهم ... مُلْكًا عَلَى الدّهْر لا تَبْلَى مَفَاخِرُه[٧]
آثارُهم تبهَرُ الأيَّامَ جِدَّتُها ... والنيلُ يَشْهَدُ ماضِيه وحاضِرُه
راضوا الجَمُوحَ فأعطاهُمْ مَقَادتَه ... وذلَّلوا الصَّعْبَ حتى لَانَ نافرُه[٨]
يا ابْن الْمَلِيكِ الَّذِي عَمَّتْ فَوَاضِلُه ... وكللَتْ هَامَةَ الدُّنيا مآثرُه[٩]
أحْيا لَنَا المجْدَ حتَّى عَادَ دَارِسُه ... وأشْرَقَتْ في رُبا الوَادِي أزاهرُه[١٠]
جَرَت على أَلْسُن الأيَّام مِدْحَتُه ... حتى توهَّمْتُ أنّ الدَّهْرَ شاعِرُه

المُلْكُ في ظلِّه طَابتْ مَشارِعُه ... والدِّينُ في عَهْدِه قَامَتْ شَعَائِرُه![١١]
فانظر تجدْ أملًا في كلِّ ناحيةٍ ... العزمُ يمليه والْحُسنَى تُؤازرُه[١٢]
فاروقُ، أنت لآمال الشباب حمًى ... وباعثُ المثل الأعلى وناشرُه
لما دُعيتَ أميرًا للصعيد زهت ... به القبائلُ، وازدانت حواضرُه[١٣]
وعاده مجدُه الخالي يشافِهُه ... وجاء تاريخُه الماضي يُسامرُه[١٤]
لا زلت قرَّةَ عين الملك تحرسُه ... عينُ المهيمنِ، والدنيا تُظاهرُه![١٥]
ودام ملكُ فؤادٍ في علًا وسنًا ... وعاش للنيل مولاه وناصرُه![١٦]

هوامش

(١) اليمن: البركة والخير. طائره: فأله. بشائره: خيره وبركته.
(٢) تلألأ: أنار وزهى. الإنجاز: قضاء الحاجة.
(٣) سافره: بدون حجاب.
(٤) قبس: استفادة والقبس نار أو علم.
(٥) حبته: سويداؤه وقيل: ثمرته.
(٦) شمائله: صفاته الحسنة. أوائله: المقصود آباؤه. مخايله: عظمته.
(٧) الألى: الملوك الأوائل.
(٨) راضوا: روضوا واستأنسوا. الجموح: الشارد. مقادته: قيادته. لان: رق. نافره: بعيده.
(٩) هامة: أعلى الشيء.
(١٠) دارسه: الذي يبحث عنه فيهتدي إليه.
(١١) مشارعه: أموره.
(١٢) تؤازره: تسانده.
(١٣) أميرًا للصعيد: لقب لقب به الملك فاروق عندما كان وليًّا للعهد.
(١٤) يشافهه: المشافهة هي المخاطبة. يسامره: يحادثه ليلًا.
(١٥) المهيمن: الله، سبحانه وتعالى.
(١٦) سنا: ضوء والمقصود هنا الشرف والرفعة.

مصر تعزي العراق

أنشد الشاعر هذه القصيدة مندوبًا عن مصر في حفل تأبين الملك غازي ملك العراق، وكان الحفل يجمع قادة العرب وشعراء البلاد العربية سنة ١٩٣٩م.

بكَيْنا النُّضارَ الْحُرّ والحسَبَ العِدَّا ... بكَيْنا، فما أغنَى البكاءُ ولا أجدَى[١]
بكيْنَا لعلَّ الدمعَ يُطفئ حُرْقةً ... من الشوقِ، فازدادت بِتَذْرافِه وقْدا[٢]
حُشاشةُ نفسٍ صُوِّرتْ في مدامعٍ ... وجَذْوةُ نارٍ في الْحَشا سُمِّيتْ وجدا[٣]
ولوعةُ مكلوم الفؤادِ وسادُه ... يحنُّ له قُربًا. فيوُسِعُه صدّا[٤]
يُقلِّبُ طَرْفًا في الظلامِ من الأسى ... ويُرسلُ في الآفاق أنفاسَه صهْدا[٥]
بكَيْنا وما تبكي الرجالُ، وإنما ... يعودُ الفتى للطبعِ إن لم يجد بُدّا[٦]
هو القَدَرُ الماضي إذا انساب سهمُه ... فلن يستطيعَ العالَمون له ردّا
هو الدهرُ، ما بضَّتْ بخيرٍ يمينُه ... يُجمِّعنا سهوًا، وينثُرنا عمدا[٧]
يُجرِّدُ سيفًا في الظلامِ من الردَى ... ويخبطُ لا يُبقي مليكًا ولا عبدا!

* * *

مصابٌ أصاب الهاشميةَ سهمُه ... وهدَّ من العلياء أركانَها هدَّا[٨]
وغال شبابَ المُلكِ في عُنْفُوانِه ... وأطفأ نُور الشمسِ واخترم المجدا[٩]
وطار بأحلامٍ، وفرَّق أنفسًا ... شَعاعًا، تَرى نُورَ السبِيل وما تُهْدَى[١٠]
حُشُودٌ على الآلامِ والحزن تلتقي ... يقاسمُ حَشْدٌ في رَزيئتِهِ حشدا[١١]
ففي كلِّ قلبٍ مأتَمٌ ومَناحةٌ ... وفي كلِّ دارٍ أنَّةٌ تصدَعُ الصلْدا[١٢]

وفي كلِّ أرض للعرُوبةِ صيحةٌ إذا ردَّدتها أبكتِ الترك والهندا

* * *

فقدناه ريَّانَ الشبابِ تضوَّعت شمائلُه مِسكًا وآثارُه نَدّا[١٣]
فقدناه والأحْداثُ تَغْشَى غُيُومُها وتنتظمُ الآفاق عابسةً رُبْدا[١٤]
فقدناه والآمالُ تومي بإصْبَعٍ إليه، وتمتدُّ العُيونُ له مَدّا[١٥]
فقدناه أزهَى ما نكونُ بمثلِه وأعلَى به كعبًا وأقوى به زَنْدا[١٦]
فقدناه سيفًا هاشميًّا. إذا سطت سيوفُ الليالي كان أرهفَها حدّا
حُسامٌ بكفِّ اللهِ كان صِيالُه فأصبحتِ الأرضُ الطهورُ له غِمدا[١٧]
ورُوحٌ سَرَى السارون في نورِ هَدْيه فلم يُخْطِئوا للمجدِ نَهْجًا ولا قصدا[١٨]
أطلَّ عليهم من بعيدٍ فشمَّروا إلى قِمَّةِ الدنيا غَطارِفةً جُردا[١٩]
إذا بعُدت آمالُهم فتردَّدوا دعاهم إلى الإقدامِ، فاستقربوا البعدا
يقودُهمُ «الغازي» إلى خير غايةٍ فأكْرِمْ به مَلكًا وأكْرِمْ بهم جُندا
نسورٌ إذا طاروا ليومِ كريهةٍ وإن بطشوا يوم الوغى بطشوا أُسْدا
سَلِ السيفَ عنهم كيف صال بِكفِّهم شُيوخًا لهم قلبُ الجلامِيد أو مُرْدا[٢٠]
كأَنَّ غبارَ النصر في لَهَواتِهم سُلافٌ من الفِرْدوسِ مازجتِ الشّهدا[٢١]
أولئك أبناءُ الفُتوح التي زها بها الدين، واجتاح الممالكَ وامتدّا
لهم في سِجلِّ المجد أوَّلُ صفحةٍ كفاتحةِ القرآنِ قد مُلِئت حمدا[٢٢]
ومَن كتب النصرَ المبينَ بسيفِه على جَبْهةِ الدنيا، فقد كتب الْخُلْدا

* * *

حمامةَ وادي الرافدَيْنِ ترفَّقي بعثتِ الجوىَ. ماكان منه وما جَدّا[٢٣]
حنانَكِ، إنّ الصبرَ من زينةِ الفتى إذا غاص في ظلمائِه الأمرُ واشتدّا
طرحنا رداءَ اليأسِ عنَّا بَوَاسلًا وإنْ هزّنا يومُ العِراقِ وَإِنْ أدّا[٢٤]
حمامةَ وادي الرافدينِ ابعثي الهَوى حنينًا. فما أحلى الحنينَ وَما أشْدَى
ففي النيل أرواحٌ ترِفُّ خوافقٌ تقاسمُكِ التاريخَ والدينَ والوُدّا[٢٥]
ظِماءٌ إلى ماء بدِجْلةَ سَلْسَلٍ تودُّ بنور العين لو رأتِ الوِردا[٢٦]
إذا مسّتِ البأساءُ أذْيالَ دِجلةٍ قرأتَ الأسَى في صفحةِ النيل وَالكَمْدا[٢٧]

وإن طُرِفتْ عينٌ ببغدادَ من قذًى رأيتَ بمصرٍ أعينًا مُلئِتْ سُهدا[٢٨]
إخاءٌ على الفصحَى توثَّق عَقْدُه وشُدَّت على الإيمانِ أطرافُه شدّا
لنا في صميمِ المجد خيرُ أبوّةٍ زُهينا بها أصلًا. وتاهت بنا وُلْدَا[٢٩]

* * *

مضَى الهاشميُّ السَّمْحُ زَيْنُ شبابهِ وأعرقُهم خالًا وَأكرمُهم جدَّا
أطلّت شُموسُ الدينِ من حُجُراتِهم على الكون، لا وهْدًا تركن وَلا نجدا[٣٠]
خططنا له لحدًا فضاق بنفسِهِ وَإنّ له في كل جانحةٍ لحدا[٣١]
فتى تنبُتُ الآمالُ من غيثِ كفِّه فلله ما أوْلَى وَللّه ما أسْدَى[٣٢]

* * *

أتينا إلى بغدادَ والقلبُ واجفٌ يهُزُّ جَناحًا لا يقَرُّ ولا يَهْدَا
تُطوِّحنا الصحراءُ ليس بعيدُها بدانٍ وَلم نعرِف لآخرِها حدّا[٣٣]
كأنّ الرمالَ الْجاثماتِ بأرضِها جِمالٌ أناختْ لا تُساقُ ولا تُحدَى[٣٤]
عددنا بها الساعاتِ حتى تركننا وقد سئِمتْ منها أصابعُنا عَدّا
أتينا نؤَدِّي للعرُوبةِ حقَّها يسابقُ وَفْدٌ في تلهُّفِه وَفدا
يُحمِّلنا النيلُ الوفيُّ تحيةً وَيُهدي من الآمالِ أكرمَ ما يُهدى
عزاءً، مضى «الغازي» كريمًا لربِّه فما أعظمَ الْجُلَّى، وَما أفدحَ الفقدا[٣٥]
عزاءً، ففينا فيصلٌ شِبْلُ فيصلٍ نرَى في ثنايا وَجهِه الأسدَ الورْدا[٣٦]
له في اسمه أوفَى اتصالٍ بجدِّه فيا حسنَه فأْلًا، ويا صدقَه وعدا[٣٧]
بدا نجمُه في الشرقِ يُمْنًا ورحمةً وأشرق في الأيامِ طالعُه سعدا
عهِدتم إلى «عبد الإله» وإنه لأكرمُ من يرعَى القرابةَ والعهدا[٣٨]
إذا رنتِ الآمالُ كان ثِمالَها وإنْ حارتِ الآراءُ كان لها رُشْدا[٣٩]
سلامٌ على الغازي سلامٌ على الندى إذا مابكَى من بعدهِ التِّرْبَ والندَّا[٤٠]

هوامش

(١) النضار الحر: الذهب الخالص. العدا: القديم.

(٢) وقدا: اشتعالا.

(٣) حشاشة: بقية الروح. جذوة: شعلة. الحشا: البطن. وجدا: شوقا.

(٤) لوعة: حرقة. مكتوم الفؤاد: مجروح القلب.

(٥) صهدا: بها حرارة النار.

(٦) الطبع: السجية التي جبل عليها.

(٧) ما بضت: ما أتت. ينثرنا: يفرقنا.

(٨) الهاشمية: الأسرة الهاشمية الذي ينتمي إليها الملك غازي.

(٩) غال: اغتال وأمات. اخترم: استأصل.

(١٠) شعاعًا: متفرقًا كشعاع الضوء. نور السبيل: نور الطريق. وما تهدى: وما ترشد.

(١١) رزيئته: مصيبته.

(١٢) مناحة: حزن وبكاء. أنة: أنين. تصدع: تشق. الصلدا: الصخر القوي.

(١٣) ريان الشباب: الريان ضد العطشان والمقصود هنا الشباب الكامل. تضوعت: انتشرت. ندًّا: طيبًا.

(١٤) تغشى: تغطي. غيومها: سحبها المظلمة. ربدا: مغبرة.

(١٥) تومي: تشير إلى.

(١٦) أزهى: مفتخرين به. أعلى به كعبًا: أعلى به شرفًا ومجدا. زندًا: قوةً وبطشًا.

(١٧) صياله: تحركه ووثوبه. غمدًا: غمد السيف جرابه والمقصود مقر.

(١٨) نهجًا: طريقًا. قصدا: مقصدا.

(١٩) شمروا: استعدوا. غطارفة: جمع غطريف وهو السيد الكريم. والجرد: الخفاف السراع في الأمور.

(٢٠) الجلاميد: الصخر الأصم. مردا: صغار السن لم ينبت الشعر بعد في وجوههم.

(٢١) سلاف: الخمر. الشهدا: العسل.

(٢٢) فاتحة القرآن: فاتحة الكتاب سورة الفاتحة.

(٢٣) الرافدين هما نهرا دجلة والفرات والمقصود العراق. الجوى: الحرقة وشدة الوجد.

(٢٤) طرحنا: تركنا بعيدًا، رمينا. بواسلًا: شجعان. يوم العراق: يوم وفاة ملك العراق. أدا: أده الأمر، دهاه وعظم عليه.

(٢٥) النيل: كناية عن مصر.

(٢٦) سلسل: عذب. الوردا: المنبع.

(٢٧) أذيال: أطراف. الكمدا: الحزن المكتوم.

(٢٨) قذى: مرض بالعين. سهدا: سهرا.

(٢٩) تاهت بنا: افتخرت بنا.

(٣٠) وهدًا: المكان المنخفض. نجدا: ما ارتفع من الأرض.

(٣١) لحدًا: قبرًا. جانحة: الأضلاع.

(٣٢) ما أولى: ما أنعم. ما أسدى: ما أعطى.

(٣٣) تطوحنا: تبعدنا. بدان: قريب.

(٣٤) أناخت: بركت. لا تحدى: لا يغنى لها لتساق أي: لا تسير.

(٣٥) الجلَّى: الخطب والأمر الشديد.

(٣٦) فيصل: الملك فيصل ابن الملك غازي. الوردا: الجريء الشجاع.

(٣٧) بحده: الأمير فيصل الكبير أبو الملك غازي. فألًا: بشرى بالخير.

(٣٨) عبد الإله: الوصي على العرش وولي العهد وهو ابن عم فيصل الصغير ملك العراق.

(٣٩) ثمالها: غياثها وملجؤها.

(٤٠) الترب: الصديق ومن ولد معه. والندا: المثل والنظير.

صدى أنات حائرة

بعث الشاعر بهذه القصيدة إلى الأستاذ عزيز أباظة عام ١٩٤٤م، حينما كان مديرًا للبحيرة عندما أهدى إليه «أنات حائرة»، وهي طائفة من الشعر الحزين في رثاء زوجه:

رَحْمَتَا للجريحِ من أنَّاتِهْ ... ولسَمْعِ الوسادِ من آهاتِهْ!
غَرَبَتْ شمسُه فقام يناجي ... ساهداتِ النجومِ في لَيْلاته[١]
إنَّها بينهُنَّ تسمَعُ نجْوَا ... هُ، وتبكي لِبثِّه وشَكاته[٢]
أرسَلتْ من شعاعِها ذِكْرَياتٍ ... هاجتِ الكامنات من ذِكْرَياته
ولها في سمائِها خَفَقاتٌ ... أسرعتْ في فؤادِه خَفَقاته
سَبَحَتْ في عوالم النورِ «زَيْنٌ» ... أين منها الغريقُ في ظُلُمَاته؟[٣]
كم يمُدُّ اليديْنِ أَسْوانَ مُضْنًى ... فَيفِرُّ الشُّعاعُ من قَبَضاتِهْ![٤]
ويسوقُ الأشعارَ في نَبَراتٍ ... ظَنَّها ابنُ الهَديلِ من نَبراته[٥]
سَمِع الدَّوْحُ نوحَها عبْقَريًّا ... فتمنَّى لو نُحْنَ في عَذَباته[٦]
مُشْجِياتٌ يَودُّ كلُّ ابنِ غصن ... أنَّ أنغامَها جرتْ من لهاته[٧]
قلتَ شعرًا فلم يكنْ غيرَ بحرٍ ... من دُموعٍ طفا بتفْعيلاتِه
وبعثتَ الشُّجونَ في كل صدرٍ ... وأثرتَ المَكْبُوتَ من زَفَراته
فاقتسمنا لوعاتِ قلبِكَ فانظرْ ... هل أفاق المسكينُ من لوْعاته؟[٨]
إنّ مَاءَ الدموعِ أطفأُ للوَجـ ... ـد، وأشفَى للصَّبِّ في خَلَواته[٩]
فاسكُبِ الدمعَ وابعثِ الشعرَ وامْلَأْ ... أُذُنَ الخافقَيْنِ من آيَاتِهْ[١٠]
كنتَ قَيْسًا بكَى على قبرِ لَيْلَا ... هُ، ورَوَّى الضريحَ من عَبراته[١١]

بيَ جُرْحٌ مضى عليه زمانٌ حرْتُ في أمرِه وأمرِ أُساته[١٢]
كلَّما صاحَ نادبٌ هاج شَكْوا هُ، ومَسَّ الأليمَ من نَدَباته[١٣]
أنا أبكي لكلِّ باكٍ ونفسي حَسَراتٌ تذوبُ في حَسرَاته
بائعَ الصبرِ، إن يكن عُشْرُ مثْقَا لٍ بِأَغْلَى ما في الحياةِ فَهَاته!
كلنا مَسَّه من الدهر ظُفْرٌ آهِ من ظُفْرِه ومن فَتَكاته!
وَأَدَتْنا بناتُه برَزَايا هَا، ومَنْ ذا يسطيع وَأْدَ بَنَاته؟[١٤]
فكرِهنَا حتى النعيمَ لأنَّا قد رأينا اجتماعَه لشتَاتِهْ[١٥]
لذَّةُ المرْء من جنى أَلم المَرْ ء وتَأتِي الآلامُ من لَذَّاته![١٦]
ما حَيَاةُ المُحبِّ بعدَ حبيبٍ قَبَسَ النورُ والهوَى من حياته؟[١٧]
حَسْبُه أنه إذا رَامَ قُرْبًا لم يجدْ للوصولِ غيرَ مَمَاته[١٨]
عِشْ أبا واثِقٍ لوَاثِقِ البا كي، وللثَّاكِلَاتِ من أخَوَاته[١٩]

هوامش

(١) ساهدات النجوم: النجوم الساهرة.
(٢) بثه: حزنه.
(٣) زين: اسم الفقيد حرم الشاعر عزيز أباظة.
(٤) أسوان: حزين. الشعاع: ضوء الشمس.
(٥) ابن الهديل: الحمام الصغير المغني بصوت حسن.
(٦) نحن: بكين بصوت حزين. عذباته: ما تتفوه به النائحات.
(٧) مشجيات: مغنيات بصوت رخيم جميل. ابن غصن: نسبة إلى الطير. لهاته: اللهاة هي زائدة لحمية في مؤخر سقف الحلق.
(٨) لوعات: حرقة.
(٩) للصب: للمحب المشتاق. خلواته: انفراده.
(١٠) الخافقين: الليل والنهار. آياته: المقصود شعره.
(١١) قيسًا: المراد قيس بن الملوح صاحب ليلى العامرية.
(١٢) بي جرح: يشير إلى مصيبته بفقد ابنه البكر. أساته: أطبائه.
(١٣) نادب: باك يندب الموتى. هاج: أثار. ندباته: آثار الجروح جمع ندبة.

(١٤) وأدتنا: دفنتنا أحياء. بنات الدهر: مصائبه. برزاياها: بمصائبها.
(١٥) لشتاته: لتفرقة.
(١٦) جنى: حصاد.
(١٧) قبس: شعلة.
(١٨) رام: أراد.
(١٩) واثق: هو محمد واثق أباظة نجل الشاعر عزيز أباظة. الثاكلات: اللائي فقدن أمهن.

غزل شاعرين

قام الشاعر في هذه القصيدة بتشطير قصيدة للشاعر إسماعيل صبري في عام ١٩٠١م.

(يا لواء الحسنِ أحزابُ الهوى) أجّجوا في الحبِّ نيرانَ الجفَاء[١]
مذ رأوْا طَرفَكِ يبدو ناعسًا (أيقظوا الفتنةَ في ظلِّ اللواء)[٢]
(فرَّقت أهواءهم ثاراتُهم) كلُّ حُبٍّ بين أشواك عِداء
جمعوا بغضاءهم فافترقوا (فاجمعي الأمرَ وصوني الأبرياء)
(إن هذا الحسنَ كالماء الذي) راق حتى كاد يخفيه الصفاء
والرضابُ الْحلوُ لو جدتِ به (فيه للأنفس رِيٌّ وشفاء)[٣]
(لا تذودي بعضنا عن وِردِه) كلُّنا يشكو الجوى والبُرَحاءُ[٤]
فانظري، ليس الصدَى في بعضنا (دون بعضٍ واعدلي بين الظماء)[٥]
(وتجلَّي واجعلي قومَ الهوى) للهوى فيك وللحسن فِداء[٦]
هم فداءٌ لك، لا، بل كلُّ مَن (تحت عرش الشمس في الحكم سواء)
(أقبل نستقبل الدنيا وما) يملأ الأعين حسنًا ورُوَاء[٧]
أنت كالجنَّة ضُمِّنت الذي (ضُمِّنته من معدَّاتِ الهناء)
(واسفِري تلك حُلًى ما خُلقت) لسوى لثمٍ وضَمّ واجتلاء[٨]
ما رأينا آيةَ اللهِ أنت (لتُوارَى بلثامٍ وخباء)[٩]
(واخطِري بينَ الدامي يحلفوا) أنك الغصن ازدهارًا واستواءْ[١٠]
أخبرتهم نفحةٌ منكِ سَرَتْ (أن روضًا راح في النادي وجاء)
(وانطقِي ينثرْ إذَا حدّثتِنا) لفظُك العذبُ عن القلبِ العنَاء

إنه الدرُّ، فهل يمنحنا (ناثرُ الدرِّ علينا ما نشاء؟)
(وابسمِي من كان هذا ثغره) فتن الزهرَ أريجًا وبهاء[11]
فدعيه ينشر الطِّيبَ كما (يملأُ الدنيا ابتسامًا وازدهاءْ)
(لا تخافي شططًا من أنفس) داولت بين خضوعٍ وإباء[12]
إنْ أجابت دعوة الحبِّ مشت (تعثُرُ الصبوةَ فيها بالحياء)[13]
(راضت النخوةُ من أخلاقنا) فخضعنا وجمحنا كرمَاءْ[14]
وسمت فوق الهوى أحسابُنا (وارتضَى آدابنا صدقُ الوَلاء)
(فلو امتدت أمانينا إلى) أسدٍ ما لاث كفًّا بدماء[15]
أو سرت أنفاسُنا في جانبيْ (مَلَكٍ ما كدّرت ذاك الصفاء)
(أنت يَمُّ الحسن فيه ازدحمتْ) زُمَرُ العشَّاقِ كُلٌّ بسِقاء[16]
أنقدتهم بعد يأسٍ مُغرِقٍ (سفُن الآمال يُزجيها الرجَاءْ)[17]
(يقذف الشوق بها في مائجٍ) ما له من ساحلٍ إلَّا اللّقَاء[18]
فهي تجري والجوى يبعثُها (بين لَجَّيْنِ عناء وشقاء)[19]
(شدةٌ تمضي وتأتي شدَّة) واعتداءٌ للهوى بعد اعتدَاءْ
لو علت للنجم نفسي لأتتْ (تقتفيها شدّةٌ، هل من رَخاء؟)[20]
(ساعفي آمالُ أنضاء الهوى) يقتل الداء إذا عزَّ الدواء[21]
واكشفي حُجْبَ النوى ينتعشوا (بقبولٍ من سجاياك رُخاء)
(أنتِ رُوحانيَّةٌ لا تدّعي) غيرَها، فالأمرُ كالصبح جلاء[22]
فاسألي المِرآةَ هل يومًا رأت (أنَّ هذا الشكل من طينٍ وماء؟)
(وانزعي عن جسمِك الثوب يَبِن) رُبَّ حقٍّ ضاع في ثوب رياء[23]
وارفعي شَعْرَك عنه ينجلي (للملا تكوينُ سكانِ السَّماء)
(وأَرِي الدنيا جَنَاحَيْ مَلَكٍ) منهما تستمنح النورَ ذُكَاءْ[24]
نُشِرا في مُجتَلَى ضوء الضحا (خلفَ تمثالٍ مصوغٍ من ضِياء)[25]

هوامش

(١) لواء: علم. أحزاب: أصحاب. أججوا: زادوا إشعالًا.
(٢) طرفك: جفنك.
(٣) الرضاب: الريق. ري: ارتواء.
(٤) ورده: منهله. البرحاء: الحمى.
(٥) الصدى: العطش.
(٦) تجلَّي: اظهري وانكشفي.
(٧) رواء: المنظر الجميل.
(٨) اسفري: اكشفي عن حسنك. حلًى: زينة وجمال.
(٩) لتواري: لتخفي. لثام: نقاب. خباء: ساتر.
(١٠) اخطري: امشي متبخترة. الندامى: الشاربين. استواء: اعتدال.
(١١) أريجًا: رائحة الطيب الفواحة.
(١٢) شططا: خروجًا عن المألوف. داولت: دارت وتداولت مرة ومرة.
(١٣) تعثر: تسقط وتزل. الصبوة: رقة الشوق.
(١٤) راضت: طوعت. النخوة: الكبر والعظمة. جمحنا: شردنا.
(١٥) ما لاث: ما لطخ وكدر.
(١٦) يم: ماء. زمر: جماعات. بسقاء: ما يسقى به.
(١٧) يزجيها: يدفعها ويسيرها.
(١٨) مائج: مضطرب الموج.
(١٩) لجين: موجتين عاتيتين.
(٢٠) تقتفيها: تتبعها.
(٢١) ساعفي: ساعدي. أنضاء: رقة.
(٢٢) روحانية: كالملائكة.
(٢٣) واترعي: اخلعي أو خففي. رياء: ادعاء كذب وممالئ.
(٢٤) ذكاء: الشمس.
(٢٥) مجتلى: ظهور. مصوغ: مصنوع.

صبحٌ باسم

نشرت هذه القصيدة بمناسبة احتفال مصر بعيد جلوس الملك فاروق آخر ملوك مصر سنة ١٩٤٥ ميلادية.

بَسَمَتْ تتيهُ مُدلّةً بصباحها ... زَهراءُ يَعْبثُ عِقدُها بِوِشاحِهَا
نَهَبتْ من المسك الفتيقِ سَوادَه ... فأغار موتورًا على أنفاحِها[١]
وتزينت بحلَى الكواكبِ مثلمَا ... تَتَزَينُ الحسناءُ في أفراحها
أرخى غدائرَها الحياءُ كأنها ... عَذراءُ تخلِطُ لينها بجِماحها
هي ليلةٌ مزجَ السرورُ صباحَها ... بمسائِها ومساءها بصباحها
نور الملائكِ من سَنِيِّ ضيائِها ... وشذى جنانِ الخُلدِ من أرواحِها[٢]
نَشَرتْ جَناحَ السلم يخفِقُ بالمُنى ... فارتاحت الدنيا لخفْقِ جَناحها
ومضى بها شَبَحُ الخُطوب مُفزَّعًا ... ولكَمْ لِقينا الويلَ من أشباحها!
فُتِنَتْ بصفحتها القلوبُ فهلَ رأتْ ... في لونِ صفحتها عيونَ مِلاحها؟[٣]
لو أنَّها عادتْ فكانتْ رَوْضَةً ... لتَغَنَّتِ الدنيا على أدْواحها
هي ليلةُ الفاروقِ تتلو مجدَهُ ... والدهرُ والأيامُ من ألواحها[٤]
قد أسفرتْ عن صُبْحِ يومٍ باسمٍ ... برّاق سافرةِ المُنَى لمّاحها[٥]
يومٌ على مصرٍ أغَرُّ مُحجَّلٌ ... لمستْ به الأملَ البعيدَ براحِهَا[٦]
مدّت له الأيامُ فَضْلَ عِنانِها ... من بعد طول نِفارها وشياحها[٧]
وسما بها الفاروقُ نحو مطامحٍ ... جاز الشبابُ بها مدى أطماحها[٨]
غُصنٌ من المجدِ النضيرِ بدوحةٍ ... كم أصْغتِ الدنيا إلى أصْداحها[٩]

إن أشكلت دُهْمُ الأمورِ وأغلقتْ أبوابَها، فسلوه عن مِفتاحها[١٠]
تُبْنَى الممالكُ، والبطولَةُ أُسّها وعزائمُ الأحرار من صُفَّاحها[١١]
والمجدُ أنْ تَرِدَ الصعابَ بهمةٍ شُمُّ الرواسي عِندَها كبِطاحها[١٢]
تُلقى على الأحْداثِ من بَسَماتِها ما يُذهِلُ الأحداثَ عن إلحاحها
وَلرُبَّ نفسٍ ضَمَّها صدرُ الفتَى ويضيقُ صدرُ الأرضِ عن فيَّاحها[١٣]
شَرَتِ المكارمَ حُلوةً بجهادها مُرًّا، فكان الحمدُ من أرباحها
والناس أشباهٌ ولكنَّ العُلاَ عَرَفَتْ فتى العزماتِ من مزَّاحها[١٤]

* * *

فاروقُ أنت فتى العُروبةِ وابنُها وبشيرُ وحْدتِها وزَندُ كِفاحها
جَمَّعتَ فُرقتها فأضحتْ أمّةً أقوى وأصْلَبَ من حديد رماحها
بَسمَتْ لها الدنيا وأشرقَ وجهُها من بعدِ ما عَبَستْ لطولِ نُواحها
وشفى الزمانُ جِراحَها، ولطالما ضاق الزمانُ وطِبّهُ بجراحها
وتوحّدت راياتُها في رايةٍ تُزْهَى الرياحُ بعُجبها ومِراحِهَا
أممٌ لها خُلْقُ السماحِ سَجيَّةٌ ودماؤها في الحرب رَمزُ سَماحَهَا[١٥]
في جَبهة التاريخ منها أسْطُرٌ كَتَبَ الإباءُ حروفَها بسلاحِها
آياتُ مجدٍ مُشرِقاتٌ فاسألوا عَمْروًا وسيفَ اللّه عن أوْضاحها[١٦]
نهضتْ بفاروقٍ فكانت آيةً للبَعثِ بعد شَتاتها وطراحها[١٧]
ورأتْ بشائرَ يُمنِها في طَلْعَةٍ تُغْنى بها البسَماتُ عن إفصاحها[١٨]
وجهٌ كأنّ البدرَ ألقى فوقَه لألاءَهُ والشمسَ نورَ لِياحها[١٩]
ومضاءُ نهَّاض العشيرة باسلٍ حمَّال أَلويَة العُلا كَدّاحها[٢٠]
هبت به مصر إلى قصباتها ريحًا تُسابق عاصفاتِ رياحها[٢١]
رَسَمَ النجاح لها فسارتْ حُرَّةً مِنْ بَعْدِ مَا التبستْ طريقَ نجاحِهَا
والناسُ من هِممِ الملوكِ، وثوبُهم من وحْيها، وصلاحُهم بصلاحها
وإذا السفينةُ لم تُبالِ زَعازعًا فاسأل كبيرَ الشطِّ عن ملاَّحَها

* * *

عيدَ الجلوسِ وفي جَبينك آيةٌ للسلْم تُنجي الأرضَ من أتْراحهَا

حَرْبٌ طَوى الحلفاءُ فيها صَيْحةً ... للظلم أزعجتِ الورى بنُباحهَا[٢٢]
والحربُ تبدأ كالحَصاة بزاخرٍ ... لم يُدْرَ إنْ قُذفَتْ مدَى مُنداحها[٢٣]
كم هزَّت الدنيا صواعقُ نارها ... وأصاب وجهَ الأرضِ من لَوّاحها[٢٤]
نفسي فداءُ البُسلِ في حَوْماتها ... وفدَى الشبابِ يسيلُ فوقَ صِفاحهَا[٢٥]
تَشري شُعوبُ الحقِّ فيها مبدأً ... بالنقْدِ من دمِها ومن أرواحهَا[٢٦]
النصرُ قد خَفَقَتْ لهم أعلامُه ... والحربُ قد صاح البشيرُ بساحهَا
وغَدَتْ على الظمآن للدّم غُصّةً ... وجَهنمًا أخْرَى على سَفّاحهَا[٢٧]

* * *

عيدَ الجلوسِ وللقوافي رَنّةٌ ... ألْهَتْ غصونَ الدوْح عن صَدّاحهَا
أرسلتُها ملءَ الأثير كأنما ... وحْيُ السماء اختار غُرَّ فصاحهَا[٢٨]
ونَثرتُها دُررًا فودّتْ أنجمٌ ... لو عَدّهُنَّ الحسنُ بين صِحاحهَا[٢٩]
عيدَ الجلوسِ وفيكَ ضاحكةُ المُنى ... دَبَّ السرورُ بروحها وبراحهَا[٣٠]
ثِملَتْ وأغصانُ الربيع تمايلتْ ... فكأنهنّ شرِبْنَ من أقداحهَا
فاروقُ ذكْرُكَ في الورَى متجدِّدٌ ... كالشمس بين غُدوِّها ورَواحهَا[٣١]
أجْهدتَ ساريةَ الخيال فأجْبلَتْ ... ماذا تقولُ اليومَ في أمداحهَا؟[٣٢]

هوامش

(١) نهبت: أخذت ما شاءت. الفتيق: المستخرج بشيء تدخله عليه. أنفاحها: رائحتها الفواحة الطيبة.

(٢) سنى: نور. شذى: رائحتها الذكية. أرواحها: رائحتها الذكية.

(٣) ملاحها: جمالها وحسبها.

(٤) ألواحها: صحفها.

(٥) أسفرت: كشفت. براق: متلألئ. سافرة المنى: ظهور الأماني. لماحها: مبصرها.

(٦) أغر: منير. محجل: بيض قوائمه. براحها: بكفها.

(٧) فضل عنانها: ما زاد وطال من عنانها والعنان لجام الفرس. نفارها: تجافيها وبعدها. شياحها: إعراضها، حذرها.

(٨) سما: ارتفع وعلا. مطامح: المآرب السامية. جاز: سار وتعدى.

(٩) النضير: الحسن الرونق. أصغت: استمعت. أصداحها: غنائها الحسن.

(١٠) أشكلت: التبست. دهم الأمور: الأمور المبهمة الداهمة.

(١١) أسها: أساسها. صفاحها: الصفاح. حجارة عراض رقاق.

(١٢) ترد: تخوض. شم الرواسي: عالية الجبال. بطاحها: مسيل واسع فيه حصى.

(١٣) فياحها: رائحتها الطيبة الذكية.

(١٤) العزمات: الارادة القوية. مزاحها: أهل اللهو واللعب.

(١٥) السماح: الجود والكرم. سجية: طبيعة.

(١٦) عمرو: عمرو بن العاص. سيف الله: خالد بن الوليد. من أشهر قواد العرب في الإسلام. أوضاحها: جمع وضح وهو العزة والتحجيل في قوائم الفرس والمراد أعمال المجد الواضحة المشهورة.

(١٧) شتاتها: تفرقها. طراحها: اتكالها.

(١٨) يمنها: بركتها.

(١٩) لياحها: اللياح، الصبح.

(٢٠) نهاض العشيرة: منجد الناس وقت الشدة. حمال ألوية العلا: حامل أعلام العلا. كداحها: المجد في طلبها.

(٢١) قصباتها: المقصود مجالات التسابق.

(٢٢) حرب: المقصود الحرب العالمية الثانية بين الحلفاء إنجلترا وفرنسا وأمريكا ضد دولتي المحور وهما ألمانيا وإيطاليا.

(٢٣) مناداحها: اتساعها. والبيت اقتباس من المثل القائل، ومعظم النار من مستصغر الشرر.

(٢٤) لواحها: لسعتها ونارها.

(٢٥) البسل: الشجعان. حوماتها: ميادين القتال. صفاحها: جمع صفح وهو من السيف عرضه والمقصود أرضها.

(٢٦) تشري: تشتري.

(٢٧) الظمآن للدم: المتعطش لإراقة الدماء والمقصود «هتلر» قائد ألمانيا وهو الذي أشعل هذه الحرب. غصة: ما اعترض في الحلق فأشرقه.

(٢٨) غر: أحسن. فصاحها: بليغها.

(٢٩) صحاحها: السليمة الجيدة.
(٣٠) براحها: مستراحها أو كفلها والمراد البدن وقيل: الأرض المستوية.
(٣١) الورى: الخلق.
(٣٢) سارية الخيال: الساري هو السائر ليلًا والمقصود هو طائف الشعر لدى الشاعر. أجبلت: أجبل الشاعر، امتنع عليه القول.

يَومٌ عَبُوس

نظم الشاعر هذه الأبيات في يوم اشتد فيه البرد بإنجلترا عام ١٩٠٩م، وقد كان موفدًا إليها في بعثة تعليمية.

وَيْلَاهُ من يَوْمِ الخميـ ـسِ فإنَّه يومٌ عَبُوسْ
فيه تحارَبَتِ الريا حُ فلا تقُلْ: حَرْبَ الْبَسُوس[١]
خَافَتْ غَوائِلَهُ الغَزَا لَةُ، فالغمامُ لها تُرُوس[٢]
يومٌ أحَطْنَا بالَّلظَى فيهِ، ونكَّسْنا الرءُوس[٣]
فكأنَّنَا قُمْنَا نُؤَيـ ـدُ فيه مُعْتَقَدَ المَجُوس[٤]

هوامش

(١) البسوس: اسم امرأة من العرب قامت بسببها الحرب بين قبيلتي بكر وتغلب ابني وائل من قبائل ربيعة وظلت أربعين سنة.

(٢) غوائله: دواهيه. العزالة: الشمس. الغمام: السحاب المظلم. تروس: جمع ترس وهو المجن الذي يتستر به المحارب ويتوقى به ضربات عدوه.

(٣) اللظى: النار الملتهبة. نكسنا: جعلنا الرءوس إلى أسفل.

(٤) معتقد المجوس: لأنهم يقدسون النار ويعبدونها وينحنون لها في صلاتهم.

ضَيْفٌ كريم

نشرت هذه القصيدة في يونيو عام ١٩٤٧م، حينما تخلص الأمير محمد عبد الكريم الخطابي من الأسر، ونزل ضيفًا على مصر وملكها السابق فاروق.

حَلّقَ النسْرُ كما شاء وَصاحْ ورمَى بالقيدِ في وجهِ الريَاحْ
وجلا عن ريشِه العارَ كمَا تنجلى الأصداءُ عن بيضِ الصفاح[١]
وأطاحَ القفصَ المشئوم، لا تعرفُ الجنُّ متى أو أيْنَ طَاح[٢]
كم قضى الليل به مستيئسًا جَزِعًا، بين أنينٍ ونُواح
ولكم حنّ إلى أوطانِه قَلِقَ الأضلاعِ، خَفَّاقَ الْجَنَاح[٣]
يُرسِلُ العينَ فلا يلقَى سوى لُججٍ خُضْرٍ دميماتٍ شِحاح[٤]
يشتكي لليل في وحشتِه فإذا غاب تشكَّى للصبَاح
ذهب الماضي مَجيدًا حافِلًا رحمةُ اللهِ عليه! أين رَاح؟

* * *

أإسارُ الحرِّ حقٌّ سائغٌ وإباءُ الحرِّ شيءٌ لا يُبَاح؟![٥]
وإذا مُدَّتْ لإحسانٍ يَدٌ هزّت الفِتنَةُ أطرافَ الرمَاحْ؟![٦]
وإذا جفّتْ لَهاةٌ ظمأً ضنّتِ الأنفسُ بالماءِ القَرَاح؟!
وإذا مال أخٌ نحو أخ ملأ الأفواهَ شَغْبٌ وصِيَاح؟!
وإذا أنّ جَريحٌ دَنِفٌ لطبِيبٍ، قيل: لا تشكُ الْجِرَاح؟![٧]
هل على المفجوعِ في أوطانِه حَرَجٌ إنْ ردّد الشكوَى وبَاح؟![٨]

أو على من رام أن يحيا كما يتمنَّى الحرُّ ذنبٌ أو جُناحْ؟![٩]
أو على المعاني ملامٌ إنْ رنَا بعدَ عشرينَ، لإطلاقِ السَّراح؟![١٠]

* * *

ثم قالوا: لم يصُنْ ميثاقَهُ ونبا عن خُلُقِ الْعُرْبِ السمَاح[١١]
أيُّ عهدٍ يرتضيه باسلٌ عربيُّ النبْعِ، ريفيُّ الْجِماح؟![١٢]
أيُّ عهدٍ هو أن أُذْبحَ من غيرِ سكِّينٍ، ولا أشكو الذباح؟!
هو عهدُ الذئبِ يُمليه على شاتِهِ المِخلَبُ والنابُ الوَقَاح![١٣]
وهو القوّةُ، ما أجرأَها! إنْ مشَتْ يومًا إلى الحقِّ الصرَاح
كم سلاحٍ صالَ من غيرِ يدٍ ويدٍ تدفَعُ من غيرِ سِلَاح!
قصد الفاروقَ يبغِي موئِلًا في رِحابٍ لِبَني العُرْبِ فِسَاحْ[١٤]
همّةٌ جاءت تناجي همَّةً ويدٌ مُدَّتْ إلى أكرمِ رَاحْ
مَلِكٌ يرنو لعُلْيَا مَلِكٍ وطِماحٌ يتسامى لِطمَاح[١٥]
فثوى في خيرِ غمدٍ آمنًا صَارِمٌ أرهفَه طولُ الكِفَاح[١٦]
لم يجدْ غيرَ بشاشاتِ المُنَى وارتياحٍ للندَى أيُّ ارتيَاح![١٧]

هوامش

(١) جلا: كشف. الأصداء: الصدى الذي يصيب الحديد. بيض الصفاح: السيوف.
(٢) أطاح: رمى بعيدًا عنه. القفص المشئوم: المقصود الأسر.
(٣) خفاق: مضطرب متحرك. الجناح: للطائر كاليد للإنسان.
(٤) لجج: البحر المرتفع الأمواج. دميمات: قبيحات. شحاح: بخلاء.
(٥) أإسار: الهمزة للاستفهام والاسار بمعنى القيد والأسر. سائغ: جائز.
(٦) الفتنة: الدسيسة والوقيعة. يشير إلى منع الحاكم الفرنسي بتونس الطوافة المصرية «فوزية» من الوصول إلى ميناء تونس، وكانت تحمل غذاء ومعونة لمنكوبي المجاعة هناك ومنع رجال الحكم الفرنسي بتونس وصول الماء العذب إلى الطوافة.
(٧) دنف: مريض ثقل عليه المرض.
(٨) المفجوع: المتألم المتوجع الذي فقد شيئًا عزيزًا.

(٩) رام: رغب وود. جناح: إثم.

(١٠) عشرين: عشرون عامًا في الأسر.

(١١) ميثاقه: عهده. نبا: تباعد عن. إشارة إلى قول الفرنسيين إن الأمير عاهدهم على ألا يفر.

(١٢) النبع: الأصل. ريفي: نسبة إلى ريف تونس. الجماح: الطباع.

(١٣) شاته: من الغنم. المخلب: الظفر. الناب: السن. الوقاح: الصلب.

(١٤) موئلًا: كنفًا وملاذًا.

(١٥) طماح: علو وارتفاع.

(١٦) ثوى: أقام. صارم: سيف. أرهفه: رققه، جعله حادًّا قاطعًا.

(١٧) بشاشات: طلاقة الوجه والفرحة. الندى: الكرم.

نصل الموت

يرثي الشاعر صديقه الدكتور علي إبراهيم باشا بهذه الأبيات سنة ١٩٤٧م.

إن جرَّد الموتُ نصلًا ما صَمدت له ... فطالما ردَّ نصلٌ منك أرواحًا[١]
قد كنت تهزِمُه في كل مُعْتَرَكٍ ... يزاحم الشمس أسيافًا وأرماحا
وكان جَرْحُك يأسو كلَّ ما جرحَتْ ... يدُ الزمان، ويحيي كلَّ ما اجتاحا[٢]
اليومَ يَثْأَرُ، والأيامُ عُدّتُه ... لا الطبُّ يُجدي، ولا الجرَّاح جراحا
لو حزتَ كلَّ حياةٍ ضُنت مُهجتَها ... خَلَدت كالشمسِ إشراقًا وإصباحا
ما أقصر العمر في الدنيا لنابغةٍ ... إذا تطلَّعت الدنيا له راحا!
سبعون؟! أولها لهوٌ، وآخرُها ... لو يعرِفُ المرءُ لاقى الموتَ مرتاحا
لقد شربنا بكأس الراح أوَّلها ... حلوًا، فماذا أصاب الكأسَ والراحا؟[٣]
ليت الشباب الذي أقداحُه عَجَبٌ ... أبقَى لفوتِ الصبا والشيبِ أقداحا!
قد كنتَ تُصغي لشعري إن صدحتُ به ... فاليومَ تسمع إن أصغيْت أنواحا
أقَضَّ موتُك من مصرٍ مضاجعَها ... وأسكت الخطبَ أطيارًا وأدواحا

هوامش

(١) نصلًا: حد السيف.
(٢) يأسو: يداوي ويعالج. اجتاحا: أخذ كل ما في طريقه.
(٣) الراح: الخمر.

أفراح مصر

أنشدت هذه القصيدة بدار الأوبرا في حشد اجتمع للاحتفال بزواج الأميرة السابقة فوزية من شاه إيران السابق في سنة ١٩٣٩م.

خَلُّوا السجُوفَ تُذِعْ مَجْلَى مُحَيّاها وتَنْشُرُ المسكَ من أنفاسِ رَيّاها[١]
عقيلةٌ في جلال المُلْكِ ناعمةٌ النبلُ يحرُسُها واللَّه يَرْعاها[٢]
ودُرَّةٌ لم تَرَ الأصدافُ مُشْبهَها بينَ الكُنوز الغَوالي من خباياها
وزهرةٌ ما رأى النيل الوفي لها بين الأزاهر في واديه أشباها
ترنو إليها نجومُ الأفْقِ مُعْجَبَةً تَوَدُّ لو قَبَسَتْ من نورِ مرْآها[٣]
كأنَّما قَطَراتُ المزْنِ صافيةً فوقَ الخمائِل طُهْرٌ في سجاياها[٤]

* * *

أميرةَ النيلِ، والأيامُ مُسْعِدة بلغتِ من ذرْوةِ العلياءِ أقصاهَا[٥]
إنْ يسطَعِ الصبح قلنا: الصبح أشبهَها أو يسطع المسكُ قُلنا: المسكُ حاكاها[٦]
مجدٌ تمنَّتْ سماءُ الأفْقِ لو ظَفِرتْ بلمحةٍ من ثُرَيَّاه ثُريَّاهَا[٧]
ونفسُ طاهرةِ الجدَّينِ يَسَّرَها ربُّ البَريَّةِ للحُسنَى وزَكَّاها[٨]
اليُسْرُ يختالُ تيهًا حَوْلَ يُسْراها واليُمْنُ يجري يمينًا حَوْلَ يُمناها
نَمَتْ بظلِّ فؤادٍ خيرِ مَنْ وَجَدَتْ بظِلِّه زُمرُ الآمالِ مَثْواها[٩]
أحيتْ له مصرُ ذِكْرًا خُطَّ من ذَهَبٍ على جَبينِ الليالي حينَ أَحْياها[١٠]
وكان عنْوانَها الغالي الذي اتجَهَتْ إليه باسطةَ الأيدي فأعلاها

* * *

أميرةَ النيلِ، غَنَّى الشعْرُ من طَرَبٍ ... في ليلةٍ غَنَّتِ الدنيا بِبُشْراها
طافَت كُئوسُ التهانِي وهي مُتْرَعَةٌ ... من المُنَى فانتشينا من حُمَيَّاها[11]
تجمّعَ الأنسُ حتى لم يَدَعْ أملًا ... للنفسِ تَبْعَثُ شوقًا خَلْفَه: واها[12]
في ليلةٍ من سوادِ العينِ قد خُلِقَتْ ... جَلَّ الذي من سوادِ العينِ جَلَّاها![13]
يخالها الفجر فجرًا حين يَطْرُقُها ... فيختفي من حَياءٍ في ثناياها[14]
كأنّها بَسَماتُ الغِيدِ قد ملأَتْ ... بالحبِّ والبِشْرِ أحداقًا وأفواها[15]
كانت يدًا من أيادي الدهر أرسلها ... بيضاءَ مُشْرِقةَ النُّعْمَى وأسْداها[16]
هنا زِفافٌ، وفي الأفْلاكِ هاتفةٌ ... من الملائِك تدعو ربَّها الله[17]
لها أناشيدُ في الأسماعِ ساحرةٌ ... لو كنَّ من لُغَةِ الدنيا رَوَيْناهَا[18]
لكنها نفَحاتُ اللهِ خَصَّ بها ... من البريَّة أنْقاها وأصْفاها
«فوزيةٌ» دُرّةُ التاجِ التي لمعتْ ... فوقَ الجبينِ فحيَّتْه وحيّاها
شعُوب مصْرَ تُفدِّيها ولو نطقت ... للنيلِ ألسنةٌ فُصْحٌ لفدّاها

* * *

أميرةَ النيلِ، غَنّى الشعرُ من طَرَبٍ ... لولا قِرانُك ما غَنّى ولا فاها[19]
إنّي وألحانَ شعري صُنْعُ بيتِكُمُ ... فكم من الفضلِ أولاني وأولاها!
لولا مدائحُكم ما كان لي قَلَمٌ ... يومًا على الأيْكِ وابن الأيك تيَّاها[20]
تَألّقي بَسْمةً زَهْراءَ مُشْرِقَةً ... بأرضِ إيرانَ، أنتِ اليومَ دُنياها
كوني بها قُرّةً للعينِ غاليةً ... فأنتِ أكرمُ من لاقتْه عَيناها
ومثِّلي مصرَ والشَأوَ الذي بلغَتْ ... فأنتِ أصْدَقُ بُرهانٍ لدعَوْاها[21]

* * *

لقد قطفنا لكِ الأزهارَ باسمةً ... وفي عقودٍ من الفصْحَى نظمناها
وقد جمعنا من الألحانِ أُغْنِيةً ... لو يفهمُ الطيرُ معناها لغَنَّاها
ولم نَدعْ من رموزِ السحْرِ سانحةً ... طافت بمعنى العُلا إلاّ لمحناها[22]
قد ذكّرَتْنا لياليكِ التي سَطَعَتْ ... أفراحَ «قَطْرِ النَّدَى» والعزَّ والجاها[23]

عُرْسُ الأمانِّي أحيا كلَّ ذي أملٍ ... وطافَ بالغُلَّةِ الظَمْأَى فروَّاهَا[٢٤]
وليلةٌ ظَفِرَ الشَّعْبُ الوَفيُّ بها ... وكم على الدهرِ مَشْغُوفًا تمنَّاها
في كلِّ بيتٍ أغاريدٌ مُرَدَّدَةٌ ... سَرَتْ فجاوز نجْمُ الليل مَسْراها[٢٥]
وكلُّ روضٍ يُرْجِّي لو سعتْ قَدَمٌ ... به ليُهْدِي من الأزهارِ أزْكَاها[٢٦]
وكم تمنّى الربيعُ النَّضْرُ لو سَعِدَتْ ... بحلَّةِ العُرْسِ كَفّاهُ فَوَشّاها[٢٧]
البِشْرُ يضحكُ. والدنيا مُصَفِّقةٌ ... يهتَزُّ من نَشْوة الأفراحِ عِطْفاها[٢٨]

* * *

يا ابن الأماجِد من إيرانَ نلتَ يَدًا ... أصفى من الكوكب الدُرِّيِّ أمْواها[٢٩]
بَنَيتمُ الملكَ فوقَ الشمسِ من هِمَمٍ ... شمّاءَ مَنْ خَلَقَ الأطوادَ أرْساها[٣٠]
لم يَتَّخِذْ من مَنارٍ يستضيءُ به ... لدَى الشدائدِ إلَّا العَزْمَ والشاها[٣١]
جلالةٌ كم تَغَنّى البُحتُريُّ بها ... وكم تَرَنَّمَ مِهْيارٌ بِذكْراها![٣٢]
ودولةٌ للعُلا والسبقِ حاضِرُها ... وللخلودِ وللإبداعِ أولاها
لنا صِلاتٌ قديماتٌ مُحَبَّبةٌ ... لخدمَة الدينِ والفُصْحَى عقدناها
ثقافةُ الفُرْسِ قد كانت ثقافَتَنا ... في كلِّ ناحيةٍ عنهم أخذناها
تألّقَتْ في بني العباسِ آونةً ... ما كانَ في أعْصُرِ التاريخِ أزْهاها[٣٣]

* * *

فاروقُ كم لكَ عندَ النيلِ من مِنَنٍ ... كصفحةِ الشمسِ بيضٍ ليس ينسَاها[٣٤]
وصلْتَ مِصْرَ بإيرانٍ كما اتصلتْ ... فرائدُ العِقْد أغلاها بأغلاها[٣٥]
مصرُ المَجيدةُ تُزْهَى في حِمَى ملكٍ ... لولاه لم تُشْرِق الدنيا ولولاها[٣٦]
سعَى إلى المجد نهّاضًا فأنهضها ... للّهِ والحقِّ مَسْعاه ومسعاها!
في كلِّ نفسٍ له ذِكْرَى مُخّلدةٌ ... وصورةٌ من جلالٍ في حناياها[٣٧]
شمائلُ السلَفِ الأطهارِ شِيمتُهُ ... لمّا تجلَّت بفاروقٍ عَرفناها[٣٨]
سَجيَّةٌ من فؤادٍ فيه قد رَسَخَتْ ... إذا دعتْ للعُلا والمجد لبّاها[٣٩]
في ساحةِ الجيش حَيَّتْه فوارسُه ... وفي المساجِد حَيَّاه مُصلَّاها[٤٠]
له أيادٍ على الأيامِ سابغةٌ ... في كلِّ جيدٍ من الأيام نُعْماها[٤١]

* * *

يا أُسْرَةَ المُلْكِ صاغَ الشعْرُ تهنئةً ... من حبَّةِ القلب معناها ومبناها
أهدَى الوفاءَ جميلًا حِين أرسلها ... وأرسل الوُدّ مَحْضًا حين أهداها
لا زال مُلْكُكُمُ جَمًّا بشائرُه ... ونال من بَسَماتِ الدّهرِ أسْناها![٤٢]
وعاش للنيلِ ربُّ النيلِ سَيِّدُه ... وللرعيَّةِ والآمالِ مولاها

هوامش

(١) خلوا: دعوا. السجوف: جمع سجف وهو الشيء بينه وبين ستر آخر فرجة. تذع: تنشر. مجلى: حسن. محياها: وجهها وطلعتها. رياها: ما ترتوي به.

(٢) عقيلة: كريمة الملك.

(٣) قبست: أخذت. مرآها: رؤيتها.

(٤) قطرات المزن: السحاب الأبيض والمقصود المطر. سجاياها: خلقها وطبيعتها الطيبة.

(٥) ذروة: أعلا الشيء. أقصاها: أبعدها.

(٦) المسك: الطيب.

(٧) لمحة: نظرة عاجلة. ثرياه: النجم والمقصود هنا من نورها.

(٨) يسرها: وفقها. زكاها: مدحها.

(٩) فؤاد: والدها الملك فؤاد. زمر: جماعة. مثواها: مكانها.

(١٠) جبين: الجبهة.

(١١) مترعة: مملوءة. حمياها: أولها.

(١٢) واها: للتعجب بمعنى ما أطيبه.

(١٣) جلاها: أظهرها.

(١٤) يطرقها: يأتيها.

(١٥) أحداقًا: سواد العين. أفواهًا: الفم.

(١٦) مشرقة النعمى: مضيئة النعم ظاهرة. أسداها: أنعم بها.

(١٧) الأفلاك: مدار النجوم.

(١٨) رويناها: حكيناها.

(١٩) ولا فاها: ولا تفوه بها.

(٢٠) الأيك: الحديقة ذات الشجر الكثيف. الملتف الأغصان. ابن الأيك: الطائر المغرد. تياهًا: مفتخرًا مزهوًّا.

(٢١) الشأو: السبق والغاية. لدعواها: لما تدعيه.

(٢٢) سانحة: عارضة.

(٢٣) قطر الندى: الأميرة قطر الندى بنت خمارويه حاكم مصر تزوجت الخليفة العباسي، ويضرب المثل بفرحها في عظمته وبذخه.

(٢٤) الغلة: حرارة العطش. رواها: أسكن ظمأها بالماء.

(٢٥) مسراها: سيرها ليلًا.

(٢٦) يرجى: يأمل.

(٢٧) وشاها: لونها.

(٢٨) عطفاها: جانباها.

(٢٩) الكوكب الدري: النجم الثاقب المضيء.

(٣٠) شماء: عالية. الأطواد: الجبال العالية. أرساها: ثبتها.

(٣١) الشاها: لقب ملوك الفرس.

(٣٢) البحتري: الشاعر العباسي الشهير وقد مدحهم بقصائد خلدتهم مثل قصيدته السينية المشهورة. ترنم: تغنى. مهيار: مهيار الديلمي الشاعر الفارسي الذي كثيرًا ما أشاد بمدينة الفرس.

(٣٣) آونة: حينًا من الزمن.

(٣٤) منن: عطايا وهبات.

(٣٥) فرائد العقد: الدرر الكبار لا مثيل لها التي نظمت في العقد.

(٣٦) حمى: كنف.

(٣٧) حناياها: عطفها.

(٣٨) السلف: المتقدمون السابقون. شيمته: صفاته الطيبة.

(٣٩) سجية: خلق وطبع. لباها: أجابها.

(٤٠) مصلاها: المصلُّون.

(٤١) سابغة: كاملة وافية.

(٤٢) أسناها: أرفعها وأشرفها.

الحَربُ

حينما شبت نار الحرب العالمية الأولى، وشاعت الأخبار بوصف ويلاتها وأرزائها، واقترب الألمان من باريس في أول الأمر ثارت شاعرية الشاعر، واشتدت آلامه لما يصيب الإنسانية في سبيل أطماعها، فأنشأ هذه القصيدة في سنة ١٩١٤م.

مَنْ سَلَبَ الأَعْيُنَ أَنْ تَهْجَعَا؟ وبَزَّ ذَاتَ الطَّوْقِ أَنْ تَسْجَعَا؟[١]
ومَنْ رَمَى بالشوْكِ في مَضْجَعِي فَبِتُّ مَكْلُومَ الْحَشَا مُوجَعَا؟[٢]
رَوَّعَنِي واللَّيْلُ في زِيِّهِ مِنْ مُرْجِفاتِ الْخَطْبِ ما رَوَّعَا![٣]
طاحَتْ بِأَهْلِ الْغَرْبِ نارُ الْوَغَى وهَبَّت الريحُ بِهِمْ زَعْزَعَا[٤]
طافَ عَلَيْهِمْ بالردَى طائِفٌ فَاخْتَرَمَ الأَنْفُسَ لَمَّا سَعَى[٥]
وصاحَ فيهِمْ لِلتَّوَى صائِحٌ فَصَمَّتِ الأَسْماعُ مُذْ أَسْمَعَا[٦]
في الْبَرِّ، في الْبَحْر، ومِنْ فَوْقِهِمْ لم يَتْرُكِ الْمَوْتُ لَهُمْ مَوْضِعا
يَجْمَعُهُمْ جَبَّارُهُمْ عَنْوَةً وإِنَّما لِلْمَوْتِ مَنْ جَمَّعا![٧]
يَحْسُو دَمَ القَتْلَى، فَأَظْمِئ بِهِ ويَنْهَشُ اللَّحْمَ، فما أَجْشَعَا![٨]
لم يَكْفِهِ رُمْحٌ ولا مُرْهَفٌ فاتَّخَذَ المنطادَ والْمِدْفَعا
وَخَبَّ فِيها راكِبًا رَأْسَهُ لِلشرِّ ما خَبَّ وما أَوْضَعا[٩]
قَدْ غَصَّتِ الأَرْضُ بِأَشْلائِهِمْ وأَصْبَحَ الْبَحْرُ بِهَا مُتْرَعَا[١٠]
وآن لِلْعِقْبَانِ أَنْ تَكْتَفي وآنَ لِلْحِيتَان أَنْ تَشْبَعَا[١١]
صَوَاعِقُ الْمُنْطَادِ لا تُتَّقَى وصَوْلَةُ الْأَلْغامِ لَنْ تُدْفَعَا
أُطْلِقَ عَزْرائِيلُ مِنْ قِدِّهِ يَرْتَعُ أَنّى شاء أَنْ يَرْتَعَا[١٢]

تُطْرِبُهُ الْحَرْبُ بِأَزْجَالِهَا ... وَيَسْتَبِيه السَّيْفُ إِنْ قَعْقَعَا[١٣]
كَأَنَّمَا فِي صَدْرِهِمْ غُلَّةٌ ... أَبَتْ بِغَيْرِ الْمَوْتِ أَنْ تُنْقَعَا[١٤]
كَأَنَّهُمْ سِرْبُ قَطًا عُطَّشٍ ... صَادَفْنَ مِنْ وِرْدِ الرَّدَى مَشْرَعَا[١٥]
كَأَنَّهُمْ وَالنَّارُ مِنْ حَوْلِهِمْ ... جِنٌّ تَأَلَّوْا أَنْ يَبِيدُوا مَعَا[١٦]
صَارُوا مِنَ الْعِثْيَرِ فِي ظُلْمَةٍ ... لا تُبْصِرُ الْعَيْنُ بِهَا الإِصْبَعَا[١٧]

* * *

كَمْ فَارِسٍ يَمْرَحُ فِي سَرْجِهِ ... يَهْتَزُّ كَالْغُصْنِ وَقَدْ أَيْنَعَا
كَأَنَّهُ الصَّمْصَامُ إِذْ يُنْتَضَى ... وَعَامِلُ الرُّمْحِ إِذَا أُشْرِعَا[١٨]
مَا ضَنَّ بِالرِّفْدِ عَلَى وَافِدٍ ... وَلا لَوَى حَقًّا وَلا ضَيَّعَا[١٩]
تَمْشِي بَنَاتُ الْحَيِّ فِي إِثْرِهِ ... يَرْشُقْنَهُ بِالزَّهْرِ إِذْ وُدِّعَا[٢٠]
مِنْ كُلِّ بَيْضَاءِ الطُّلَى طَفْلَةٍ ... أَسْطَعَ مِنْ بَدْرِ الدجَى مَطْلَعَا[٢١]
تَكُفُّ غَرْبَ الدَّمْعِ أَنْ يُرْتَأَى ... وَتَحْبِسُ الزفْرَاتِ أَنْ تُسْمَعَا[٢٢]
لَجَّ بِهِ الْمَوْتُ فَأَوْدَى بِهِ ... وَحَزَّ مِنْهُ اللِيتَ وَالأَخْدَعَا[٢٣]
مَاتَ فَلا قَبْرٌ لَهُ مَاثِلٌ ... وَلا بَكَى الْبَاكِي وَلا شَيَّعَا

* * *

سَلْ «لِيجَ» مَا حَلَّ بِأَرْجَائِهَا ... فَقَدْ غَدَتْ أَرجَاؤُهَا بَلْقَعَا[٢٤]
وَاسْأَلْ «نَمُورًا» مَا دَهَى أَهْلَهَا ... فَقَدْ نَعَاهَا البَرْقُ فِيمَا نَعَى[٢٥]
وَسَائِلِ الرَوْضَ ذَوَى نَبْتُهُ ... وَسَائِلِ الأَطْلالَ وَالأَرْبُعَا[٢٦]

* * *

بَارِيسُ! وَالْعُسرَى إِلَى يَسْرَةٍ ... وَغَايَةُ الْعَارِضِ أَنْ يُقْشِعَا[٢٧]
أَعَزَّكِ الْخَطْبُ بِأَوْجَالِهِ؟ ... وَكُنْتِ عُشَّ النسْرِ أَوْ أَمْنَعَا[٢٨]
كُنْتِ لِطُلاَّبِ الْهُدَى مَعْهَدًا ... وَكُنْتِ رَوْضًا لِلْهَوَى مُمْرِعَا[٢٩]
مَا أَحْسَنَ السِّينَ وَجِيرَانَه ... وَأَحْسَنَ الْمُصْطَافَ وَالْمَرْبَعَا[٣٠]
أَرِيعَتِ الْحَسْنَاءُ فِي خِدْرِهَا؟ ... نَعَمْ، دَعَاهَا الذعْرُ أَنْ تَهْلَعَا!
عَهْدِي بِهَا كَانَتْ نَؤُومَ الضُّحَى ... مَلُولَةً نَاعِمَةً رَعْرَعَا[٣١]

ما خَطْبُها والنارُ مِنْ حَوْلِها والْمَوْتُ لم يَتْرُكْ لها مَفْزَعا؟[٣٢]

* * *

ضَرَاغِمَ الْماءِ ثِبُوا وَثْبَةً آنَ لِهَذَا الْغِيلِ أَنْ يُمْنَعا![٣٣]
دَعَاكُمُ الْجَارُ فَكُنْتُمْ إِلَى دُعائِهِ مِنْ صَوْتِهِ أَسْرَعا[٣٤]
وَسِرْتُمُ لِلْمَوتِ في جَحْفَلٍ ما ضَمَّ رِعْدِيدًا وَلاَ إِمَّعا[٣٥]
مِنْ كلِّ شَعْشَاعٍ خَفِيفِ الْخُطَا ذِي مِرَّةٍ مُنْجَرِدٍ أَرْوَعا[٣٦]
لَوْ مَادَتِ الأَجْبالُ مِنْ تَحْتِهِ أَوْ خَرَّتِ الأفْلاَكُ ما زُعْزِعا[٣٧]
سَلُوا بِحَارَ الأَرْضِ عَنْ مَجْدِكُمْ إِنَّ بِهَا سِرًّا لَكُمْ مُودَعا
كَانَتْ وَلاَ زَالَتْ لَكُمْ سَاحَةً تَبْنُونَ فِيها الشرَف الأَفْرَعا[٣٨]
تَهْوَى طُيُورُ الْماءِ أَعلاَمَكُمْ فَتَقْتَفِيهَا حُوَّمًا وُقَّعا[٣٩]
قَدْ طافَ «نِلْسُنْ» حَوْلَ أُسْطُولكُمْ مُسْتَصرِخًا غَضْبَانَ مُسْتَفْزِعا[٤٠]
يُغْضِبُهُ يا خَيْرَ أَشْبالِهِ أَنْ يَبْلُغَ القِرْنُ بِكُمْ مَطْمَعا[٤١]

* * *

يَا خَالِقَ النَّاسِ طَغَى شَرُّهُمْ فَاهْدِ الْحَيَارَى واكشِفِ الْمَهْيَعا![٤٢]
لم يُشْبِهُوا الإِنسانَ في خَلَّةٍ وأَشْبَهُوا الْحَيَّاتِ والأَسْبُعا[٤٣]
قَدْ رُفِعَ الإِحْسانُ مِنْ بَينِهِمْ وأوشَكَ الإِيمانُ أَنْ يُرْفَعا
لَوْلاَ سَنَا هَدْيِكَ في بَعْضِهِمْ لَدُكَّتِ الأَرْضُ بِهِمْ أَجْمَعا

هوامش

(١) الهجوع: النوم ليلًا. البز: النزع وأخذ الشيء بجفاء وقهر. ذات الطوق: الحمامة المطوقة أي: التي في عنقها من الريش ما يشبه الطوق، سجع الحمام: صوته وغناؤه.

(٢) المضجع: وضع الضجوع وهو النوم على الجنب. مكلوم: مجروح. الحشا: ما اشتمل عليه الجوف.

(٣) روعني: أفزعني. الزي: الهيئة. الخطب: النازلة والمصيبة. مرجفاته: شدائده.

(٤) طاح يطوح ويطيح: هلك أو أشرف على الهلاك. الوغى: الحرب. ريح زعزع: شديدة تزعزع الأشياء.

(٥) طاف: دار. الردى: الهلاك. اخترم: أهلك. وفي هذا البيت إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (١٩: سورة القلم).

(٦) صاح: صرخ وصوت. التوى: الهلاك والموت. صمت الأسماع: بطلت.

(٧) الجبار: العاتي المستكبر، والمراد القائد. عنوة: قهرًا.

(٨) يخسو: يشرب شيئًا فشيئًا.

(٩) خب: أسرع، والحسب ضرب من العدو. ركب رأسه: مضى على وجهه بغير رؤية لا يطيع مرشدًا. الإيضاع: الإسراع في السير.

(١٠) غصت: امتلأت. الأشلاء: جمع شلو وهو العضو، وأشلاء الإنسان أعضاؤه بعد البلى والتفرق. مترع: مملوء.

(١١) آن: حان. العقبان: جمع عقاب وهي من جوارح الطير.

(١٢) عزرائيل: ملك الموت. القد: سير من جلد غير مدبوغ قد يقيد به الأسير. يرتع: يقبض أرواح الناس بكثرة. ورتع في الأصل معناها أكل وشرب ما شاء في خصب وسعة، أو أكل وشرب بشره.

(١٣) الطرب: خفة تصيب من يشتد به السرور. الأزجال: جمع زجل وهو الجلبة والتطريب ورفع الصوت. يستبيه: يأسره ويستميله. القعقعة: حكاية صوت السلاح.

(١٤) الغلة: حرارة العطش. أبت: امتنعت. تنقع: تسكن. من نقع الماء العطش من باب قطع وخضع أي: سكنه.

(١٥) السرب: القطيع والجماعة. القطا: ضرب من الحمام، الواحدة قطاة. عطش: جمع عاطش اسم فاعل من عطش. صادفن: وجدن. الورد: الإشراف على الماء وغيره. الردى: الهلاك. المشرع: مورد الشاربة أي: الموضع الذي يستقون منه كالمشرعة.

(١٦) تألوا: حلفوا. يبيد: يهلك.

(١٧) العثير: الغبار.

(١٨) الصمصام: السيف لا ينثني. ينتضي: يسل أي يجرد من غمده. عامل الرمح: صدره. أشرع: أميل أو رفع عند القتال.

(١٩) ضن: بخل. الرفد: العطاء والصلة. وافد: آت ووارد. لوى الحق: جحده.

(٢٠) الحي: القبيلة أو البطن من بطون العرب، ويراد به هنا قوم الفارس وعشيرته. يرشقنه: يرمينه. ودع: شيع عند سفره.

(٢١) الطلى: الأعناق أو أصولها. طفلة: رخصة ناعمة. أسطع: أعلى وأرفع، والمراد أبهى وأجمل. الدجى: جمع دجية وهي الظلمة. المطلع: الطلوع.

(٢٢) تكف: تمنع. غرب الدمع: مسيله أو انهلاله من العين. يرتأى: يرى. الزفرات: جمع زفرة وهي إخراج النفس طويلًا ممدودًا.

(٢٣) لج به الموت: لازمه. أودى به: أهلكه. حز: قطع. الليت: صفحة العنق. الأخدع: شعبة من عرق الوريد.

(٢٤) «ليج» إحدى المدن البلجيكية التي استولى عليها الألمان بعد تخريبها بمدافعهم. الأرجاء: جمع رجا وهو الناحية. غدت: صارت. البلقع: الأرض القفر الخالية من أسباب العمران والحياة.

(٢٥) «نامور» مدينة بلجيكية استولى عليها الألمان عقب استيلائهم على «ليج» في أوائل الحرب العظمى سنة ١٩١٤م.

(٢٦) الأربع: جمع ربع وهو محلة القوم ومنزلهم.

(٢٧) باريس: كبرى المدن الفرنسية ومقر الحكومة، وقد كادت تسقط في أيدي الألمان في أوائل الحرب العظمى سنة ١٩١٤م. العسرى: الضيق والشدة والصعوبة. اليسرة: اسم مرة من يسر الأمر من بابي قرب وتعب أي: سهل واتسع. العارض: السحاب يعترض في الأفق ويراد به هنا الغمة والضيقة. يقشع: ينكشف.

(٢٨) عزك: غلبك. والهمزة للاستفهام. ويراد بالاستفهام هنا التعجب. الخطب: النازلة الشديدة. الأوجال: جمع وجل وهو الخوف.

(٢٩) أمرع الوادي: أخصب وكثر كلؤه.

(٣٠) السين: نهر مشهور بفرنسا يمر بمدينة باريس. المربع: منزل القوم في الربيع.

(٣١) نؤوم الضحى: كناية عن الترف والرفاهية ولين العيش. ملولة: من الملل وهو السآمة والضجر. ناعمة: متنعمة. الرعرع: اليافعة الحسنة الاعتدال مع حسن شباب.

(٣٢) الخطب: الشأن والأمر. المفزع: الملجأ.

(٣٣) الضراغم: جمع ضرغام وهو الأسد. الوثوب: الطفر والقفز. آن: حان. العيل: الأجمة أي: الشجر الكثير الملتف. والغيل مسكن الأسد عادة. يمنع: يحمي، يريد بضراغم الماء رجال الأسطول الإنجليزي وجنود البحر.

(٣٤) يريد بالجار مملكة «بلجيكا» من ممالك أوروبا الشمالية، وهي إلى الجنوب الشرقي من الجزائر البريطانية.

(٣٥) الجحفل: الجيش الكثير. الرعديد: الجبان. الإمع والإمعة: الرجل يتابع كل أحد على رأيه لا يثبت على شيء.

(٣٦) الشعشاع: الطويل المسرع. الخطا: جمع خطوة. المرة: القوة وشدة العقل. المنجرد: النشيط ذو الهمة. الأروع: من يعجبك بشجاعته.

(٣٧) مادت: زلزلت وتحركت، الأجبال: جمع جبل. خرت: سقطت. الأفلاك: مدارات النجوم، والمراد النجوم نفسها. زعزع: اضطرب وتحرك.

(٣٨) الساحة: الناحية وفضاء بين دور الحي. الأفرع: الأعلى.

(٣٩) حوم: دائرات حولها. وقع: حاطات نازلات بها.

(٤٠) «نلسن»: من أبطال الإنجليز وقائد أسطولهم إبان الحرب الفرنسية.

(٤١) القرن: كفؤك في الشجاعة.

(٤٢) المهيع: الطريق البين.

(٤٣) الخلة: الخصلة. الأسبع: جمع سبع وهو المفترس من الحيوان.

يا أبَا الأمَّة

تهنئة سعد زغلول باشا من خطر العدوان عليه، وقد ألقيت هذه القصيدة في حفل حاشد في ٢١ من يوليو سنة ١٩٢٤م.

يَـا أَبَـا الأُمَّـةِ يـا مَـنْ ذِكْـرُهُ ... مَـلأَ الـدُّنْـيَـا حَـدِيـثًـا عَـطِـرَا
هَـزَّ مِـصْـرًا نَـبَـأٌ فـاضَـتْ لَـهُ ... عَـبَـراتُ الْـقَـوْمِ تَـجْـرِي مَـطَـرَا
هُـرِعُـوا نَـحْـوَكَ كَـالْـبَـحْـرِ إِذَا ... سُـجِّـرَتْ أَمْـواجُـهُ أَوْ زَخَـرَا[1]
بَـيْـنَ شَـكٍّ وَيَـقِـيـنٍ قـاتِـلٍ ... يَـنْـشُـرُ الْـخَـوْفَ وَيَـطْـوِي الْـحَـذَرَا[2]
بِـــوُجُـــوهٍ مَـــرَّةً آمِـــلَـــةٍ ... وَهْـيَ حـينًـا بـاسِـراتٌ كَـدِرَا[3]
تَـرتَـجِـي الـرَّحْـمَـنَ فِـي مِـحْـنَـتِـهَـا ... ثُـمَّ تَـخْـشَـى فـي الْـمُـصـابِ الْـقَـدَرَا
كُـلُّـهُـمْ يَـسْـأَلُ عَـنْ سَـعْـدٍ وَمَـنْ ... عَـيْـنِـهِ مـاءُ الـشُّـئُـونِ انْـهَـمَـرَا[4]
إِن سَـعْـدًا غَـرَسَ الـنـبْـتَ وَقَـدْ ... شـاءَ رَبِّـي أَنْ يَـذُوقَ الـثـمـرَا
كُـلـمـا رامُـوا بِـسْـعـدٍ ضَـرَرًا ... صَـانَـهُ الـلّـهُ وَكَـفَّ الـضَّـرَرَا
إِنَّ سيْفًا في يَمِينِ اللّهِ قَدْ ... هَـزَّهُ بـارِئُـهُ لَـنْ يُـكْـسَـرَا[5]
عِـشْ لِـمِـصْـرٍ وَزَرًا يَـكـلَـؤُهَـا ... لَـمْ نَـجِـدْ غَـيْـرَكَ فِـيـهـا وَزَرَا[6]
أَنْـتَ مِـصْـرٌ، عِـشْ لِـمِـصْـرٍ إِنَّـهـا ... بِـكَ تَـحْـيَـا وَتَـنَـالُ الْـوَطَـرَا[7]
بَـطَـلٌ أَيْـقَـظَ مِـصْـرًا بَـعْـدَمَـا ... كـادَ يُـرْدِي أَهْـلَـهـا طُـولُ الْـكَـرَى[8]
بَـعَـثَ الـلّـهُ بِـهِ فَـانْـبَـعَـثَـتْ ... رُسُـلُ الآمـالِ تَـتْـرَى زُمَـرَا[9]
وَطَـوَى الـلّـهُ بِـهِ عَـهْـدًا مَـضَـى ... تَـهْـلَـعُ الـنـفْـسُ لَـهُ إِنْ ذُكِـرَا
قـادَ جَـيْـشًـا مِـنْ قُـلُـوبٍ حَـوْلَـهُ ... خـاضـعـاتٍ إِنْ نَـهَـى أَوْ أَمَـرَا

تَرْكبُ الصعْبَ إِلَى مَرْضاتِهِ وَتُلاقِي في هَوَاهُ الْخَطَرَا[١٠]
شَلَّ زَنْدٌ قَدْ رَمَى زَنْدَ الْعُلَا وحَمَى اللهُ الرئيسَ الأكْبَرَا
مَـحَـقَ الـلـهُ أَبَـا لُـؤْلُـؤَةٍ وَوَقَى مصرًا فأبقى عُمَرَا[١١]
إن مـن يـحْـرُسُـه بـارِئُـهُ لا يُبالي بالرَّدى إنْ خَطَرَا[١٢]
فـهَـنـاءً بِـنَـجـاةٍ كَـشَـفَـتْ غُمَّةَ القُطْرِ وَطابَتْ أثَرَا[١٣]
عاشَ سَعْدٌ والْمَليكُ الْمُرْتَجَى مَوْئِلُ الأُمَّةِ في أسْمَى الذرَا[١٤]

هوامش

(١) هرعوا: أعجلوا وحملهم النبأ العظيم الهائل على الإسراع. تسجير الماء: تفجيره. زخر: ظما وارتفع وامتلأ.

(٢) الطي: ضد النشر. الحذر: الاحتراز والتوقي.

(٣) باسرات: جمع باسرة أي: عابسة. الكدر: ضد الصفو.

(٤) الشئون: مجاري الدموع إلى العين واحدها شأن. انهمر: انصب وسال.

(٥) بارئه: خالقه.

(٦) الوزر: المعقل والملجأ والمعتصم. يكلؤها: يحفظها.

(٧) الوطر: البغية والحاجة.

(٨) البطل: الشجاع. يُردي: يهلك. الكرى: النعاس.

(٩) تترى: متواترة متتابعة. الزمر: الجماعات. واحدتها: زمرة.

(١٠) المرضاة: الرضا. الهوى: الحب. الخطر: الإشراف على الهلاك وخوف التلف والمراد الهلاك والتلف.

(١١) محق: محا وأهلك. وأبو لؤلؤة فيروز المجوسي عبد المغيرة بن شعبة، وكان قد قتل غدرًا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — طعنه بخنجر وهو قائم يصلي سنة ٢٣هـ. شبه الشاعر سعدًا بعمر بن الخطاب والمعتدي عليه بأبي لؤلؤة.

(١٢) البارئ: الخالق وهو الله جلَّ وعلا.

(١٣) الغمة: الكربة والعي الشديد.

(١٤) موئل: ملجأ. أسمى: اسم تفضيل من السمو وهو الارتفاع والعلو. الذرا: جمع ذروة وهي من كل شيء أعلاه.

ميلَادُ الأميرَة فِريال

أنشدت بدار الأوبرا في الحفلة التي أقامتها دار الإذاعة المصرية ابتهاجًا بمولد الأميرة فريال، أولى بنات الملك السابق فاروق في أول أيام عيد الفطر سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٧م.

بَيْنَ صَحْوِ المُنَى وحُلْمِ الخَيالِ ... سَبَح الشعرُ في سماء الجمالِ
ومضَى سانحًا يهزُّ جَنَاحَيـ ... ـهِ عَلَى شاطئ السِنِينَ الخوالي[١]
لمح الدهرَ وهو يحبو من المَهـ ... ـدِ، عليه غَدائرٌ من ليالي[٢]
وأزاح التاريخُ عن عَيْنِهِ الحُجـ ... ـبَ، فَمَرَّتْ تخُوض في الأجيال
ورأى الشمسَ طِفْلة تُرْسِلُ الأضـ ... ـواءَ فوقَ الكُهوفِ والأدْغال
صَفَحاتٌ من الزمانِ توالَى ... وهو يتلو سُطورَها بالتوالي
وتصاويرُ للحوادثِ تبدو ... في شَتيتِ الألوانِ والأشكال[٣]
وإذا رَنَّةٌ، كما تضحَك الآ ... مالُ، بعد النوى وطولِ المِطالِ[٤]
وقف الشعرُ شاخصًا حين مَسَّتـ ... ـهُ بسحر من الفُنونِ حَلال[٥]
نَغَماتٌ لم يعهَدِ الروضُ مِثْلًا ... لِصَدَاها بين الربا والظلال
ولُحونٌ لها مِثالٌ عجيبٌ ... أو إذا شِئْتَ قُلْ بغيرِ مِثالِ[٦]
بَيْنَ عُودٍ كم هزَّ أعطافَ رَمْسِيـ ... ـسَ، وحَيَّا مَواكِبَ الْأَقْيالِ[٧]
ودُفوفٍ عَزَفْنَ لابْنَةِ فِرْعَوْ ... نَ، فماسَتْ بينَ الهوَى والدلالِ
ومَزاميرَ أُطْلِقَتْ من فَمِ السحـ ... ـرِ، فمادَتْ لها رَواسِي الجِبالِ[٨]
وَرَنَتْ كُلُّ سَرْحَةٍ تَسْرِقُ السمـ ... ـعَ، وتَعْطُو بغُصْنِها الميَّالِ[٩]
وأهازيجَ رَدَّدَتْها الأزاهيـ ... ـرُ، وغَنَّى بها نسيمُ الشَّمال[١٠]

ذُهِلَ الشعْرُ، فاستفاق، فألفَى ... موكِبًا حُفَّ بالسنا والجلال[١١]
ساطعاتُ الشمُوس فيه مَشَاعِيـ ... ـلُ، وأَضْوَاؤهُ بناتُ الهِلال[١٢]
زَحَمَ الأرضَ بالجِيادِ، وغَشَّى ... صَفْحَةَ الجَوِّ بالظُّبا والعَوالي[١٣]
وهَفَتْ رايةٌ على قِمَّةِ النجْمِ، ... وَرَفَّتْ فوقَ السحابِ الثقال[١٤]
مَوْكِبٌ يجمعُ الشعوبَ، وتمشي ... تحت أعلامِهِ العُصورُ الأوالي[١٥]
سار فيه المُلوكُ من كُلِّ جِيلٍ ... في احتفاءٍ ضافي السنا واحتفالِ
ذاك مِينا، وذاك عَمْرٌو فَتَى العُرْ ... بِ، وهذا المُعِزُّ جَمُّ النوال[١٦]
وَبَدا بينَهُمْ محمدٌ الأَكْبَر، ... مُحْيِي البلادِ مُنْشِي الرجال[١٧]
صادعُ الجهل، هادمُ الظلمِ في مِصـ ... ـرَ، مُبيدَ القُيودِ والأغلال[١٨]
خَلْفَهُ زِينةَ الخلائفِ إسْما ... عيلُ، ذُخْرُ المُنَى أبو الأشبال[١٩]
وفؤادٌ مُجدِّدُ الجِيلِ والآ ... مالِ، سِرُّ العلا والاستقلال[٢٠]
سأل الشعْرُ أينَ يقصِدُ هذا الرّ ... رَكْبُ، بعد الطوافِ والتجْوال؟
فأجابَتْ مِنْ فوقِهِ هاتفاتٌ ... تملأُ الجوَّ، واضِحَاتُ المَقال
أَسْرِعُوا نحوَ عابدينَ مَقامِ الـ ... ـمُلْكِ والنُّبْلِ والنجارِ العالي[٢١]
وَقَفَ الرَّكْبُ عِنْد سُدَّةِ فارو ... قٍ، فكانَتْ نهايةَ الترْحالِ[٢٢]
ورأى الشعْرُ مَحْفِلًا لمُلوكِ الدّ ... دَهْرِ ما مَرَّ مِثْلُهُ بِخْيال
جلسوا جاذِلِينَ، بَيْنَ ابتهاجٍ ... ضاحكٍ كالمُنى وبَيْنَ ابتهال[٢٣]
ثمَّ نادَى ذو أَمْرِهِمْ: «نحن في يو ... مٍ سعيدِ الغُدُوِّ والآصال»[٢٤]
«يَوْمُ يُمْنٍ لِمصْرَ، ليس له مِثـ ... ـلٌ، ولا جَالَ للدهُورِ ببال»
«وُلِدَ المجدُ، فيه والشرَفُ السا ... مي، ونُور الحِجا ونُبْلُ الخِلالِ»[٢٥]
«نَجَلَ السيِّدُ المُمَلَّكُ فيهِ ... فَهَناءً بأكْرم الأنجال»[٢٦]
«قد سَعَيْنا لِسُوحِهِ فقضَيْنا ... حاجةً في نفوسِنا للمعَالي»[٢٧]
بُهِرَ الشعْرُ فانْثَنَى يَلثِمُ الأرْ ... ضَ، ويَدْعُو بالعِزِّ والإقبال
وشدا مِثْلَما شَدَتْ بِنْتُ أيْكٍ ... بَيْنَ ظِلٍّ وكَوْثرٍ سَلْسالِ[٢٨]
نَعِمَتْ بالأليفِ، لا هو ناءٍ ... إن دَعَتْهُ يومًا، ولا هُوَ سَالِي[٢٩]
لم ترَ النسْرَ في مَخَالِبِهِ الزرْ ... قِ، ولا رُوِّضَتْ بصَيْدِ حِبال[٣٠]
تحتَها الزهْرُ فاتِنُ اللونِ رَفَّا ... فُ جَميمُ الندى دَمِيثُ الرمال[٣١]

صَدَحَتْ للدُّجَى، وللَّيْل حُسْنٌ ... حينَ يَطْوِي الْوجودَ في سِرْبال[٣٢]
صَدَحَتْ للصباح يلمَعُ في الشرْ ... قِ، طَهُورًا كَبَسْمَةِ الأطفالِ
إنَّ للطبْعِ والبَديهَةِ سِحْرًا ... فوقَ طَوْقِ الجُهُودِ والإيغال[٣٣]

* * *

غَرِّدِي كيفَ شِئْتِ يا سَرْحَةَ الوا ... دِي، وهُزّي فضْلَ الغُصونِ الطوال[٣٤]
واجْمَعِي اليَوم كلَّ ذاتِ جَناحٍ ... إنَّ يومَ الفاروق في الدهرِ غالي
أرسِلِي البُلْبُلَ الفَريدَ يُنَادِي ... تَسْتَجِبْهُ الطُّيورُ في أرْسال[٣٥]
إنَّ يومَ المِيلادِ يَوْمٌ على الدهـ ... ـرِ قليلُ الأندادِ والأمْثال[٣٦]
صَفَّقَ النيلُ فيه زَهْوًا وعُجْبًا ... وجرَى في تَخطُّرٍ واختيال[٣٧]
ساحبًا ذَيْلَه يَمُرُّ على الزهـ ... ـرِ، فَتَمْضِي الزهورُ في الأذيال[٣٨]
لا يُبالِي، فقد تَمَلَّكَهُ الـ ... ـحُبُّ، وأوحَى إليهِ ألَّا يُبالي
وهو لولا عُذوبةُ الْحُبِّ ما فا ... ضَ بعَذْبٍ من النَّمِيرِ زُلال[٣٩]
أنتَ مَوْلاهُ، أنت عَلَّمْتَهُ البَذْ ... لَ، وبَذْلُ العبيدِ فَضْلُ الموالي
غَمَرَتْنا نُعْماك في كلِّ حالٍ ... فحمدْنا نُعْمَاكَ في كلِّ حالٍ[٤٠]
أيُّها الراكبونَ في طَلَبِ الْغَيـ ... ـثِ سِراعًا والغيثُ مِلْءُ الرِحالِ!
لا تَرِيموا، مكانكُمْ، لا تريموا ... ساحةُ المُلْكِ مَوْرِدُ السُؤَال[٤١]

* * *

يا لها فَرْقَدًا أطلَّ عَلَى الدُّنـ ... ـيا، فأمستْ نجومُها كالذُّبالِ[٤٢]
سطعتْ بالسُّعودِ، تستقبلُ الكَوْ ... نَ فتحظَى بأشرفِ استقبال
اسْتَهلَّتْ بالسِّلْمِ واليُمْن والعِيـ ... ـدِ، فكانتْ بَرَاعَةَ استهلال[٤٣]
أُغْمِدَ السيْفُ بعد طُولِ جِدالٍ ... وجدالُ السُّيوفِ شَرُّ جِدال
أنا في السِّلْمِ عَبْقَرِيُّ القَوافِي ... ليس لي في الظُّبَا ولا في النِّصال
أنا شعري كالطَّيْرِ يُفْزِعُهُ الفَخُّ ... ويرتاعُ من حَفيف النِّبال
لا تعيشُ الفُنونُ بينَ كِفاحٍ ... راكبٍ رأسَهُ، وبَيْنَ نِضال
خِفْتُ إنْ أُشْعِلَتْ لَظَى الحَرْبِ أنْ ... نشِدَ بَيْتًا جرَى معَ الأمثال[٤٤]
«لم أكُنْ مِنْ جُناتها (عَلِمَ اللَهُ) ... وإنِّي بِحَرِّها اليومَ صالي»[٤٥]

فمَتى تَهْدَأُ القُلُوبُ إلى الْحُبِّ، وتُهْدَى النفوسُ بعد ضَلال؟

* * *

أَشْرِقي عَابِدينُ، فالمُلْكُ زاهٍ صاعِدُ الْجَدِّ، والزمانُ مُوالي[٤٦]
أنتِ أطلعتِ في سمائِكِ بَدْرًا عَلَّمَ ابنَ السماء معنَى الكمال
دَوْحَةُ المجْدِ أَنْتِ، كَمْ من أصولٍ راسياتٍ، ومن فُروعٍ هِدال[٤٧]
دَوْحَةٌ أَرضُهَا من الطِّيبِ والمِسـ ـكِ، وأثمارُها سُمُوط اللآلي[٤٨]
كم أظلَّتْ مِصْرًا وحاطَتْ بَنِيها من هَجيرِ الْخُطُوبِ والأهوال
أنتِ يا عابدينُ خَيْرُ بناءٍ مَدَّ أَفْياءَهُ على خَيْرِ آل[٤٩]
صَفَّقَتْ مِصْرُ حينما جَاءتِ البُشـ ـرَى، فأهلًا بمولِدِ الآمال
كم بسطنا الأكُفَّ نَضْرَعُ لِلرَّحـ ـمنِ، والليلُ مُسْبِلُ الأسْدال[٥٠]
وسبَقْنا دَقَّ البشائِر شَوْقًا وبعثْنا السُّؤالَ إثْرَ السُّؤال
ووَدِدْنا لو استقرَّ التَّمَنِّي واستراح الرَّجاءُ بعدَ كَلال[٥١]
وإذا أَنْعُمُ الإلَهِ تَوَالَى بعميمِ الإحسانِ والإفضال[٥٢]
وإذا الفجرُ صادقٌ يَمْلأُ الشَّرْ قَ، فَيَمْحُو غياهِبَ الأوْجالِ[٥٣]
وإذا المَهْدُ فيه دُرَّةُ مَجْدٍ لِكَرِيمِ الْجُدودِ والأخوال[٥٤]
وإذا مِصْرُ أعْيُنًا وقُلوبًا تَقْبِسُ النورَ من سَنا «فِرْيال»[٥٥]
فهنَاءً مَليكةَ النِّيل، كم حقـ ـقْتِ للنيلِ من أمانٍ غَوالِي
وهَناءً مَليكَ مِصْرَ المُفَدَّى نِلْتَ — فَاشْكُر الله — خَيْرَ مَنال
عِشْ، وعاشَتْ أَمِيرَةُ المُلْكِ واسْلَمْ للمعالي وصالِح الأعمال

هوامش

(١) السانح من الطير: ما ولاك ميامنة والعرب تتفاءل به. السنين الخوالي: الأعوام الماضية.

(٢) الغدائر: جمع غديرة. وهي الضفيرة.

(٣) شتيت الأشكال والألوان: أي مفرقها ومختلفها.

(٤) النوى: البعد. المطال: التسويف.

(٥) شخص بصره: رفعه.
(٦) اللحون: جمع لحن.
(٧) الأقيال: جمع قيل وهو دون الملك الأعلى.
(٨) مادت: اهتزت وحركت.
(٩) السرحة: الشجرة العظيمة، العطو: رفع الرأس.
(١٠) الأهازيج: جمع أهزوجة وهي الأغنية.
(١١) السنا: الضوء.
(١٢) بنات الهلال: النجوم.
(١٣) العوالي: جمع عالية وهي أعلى القناة. الظبا: جمع ظبة وهي حد السيف.
(١٤) هفت الراية: تحركت والراي جمع راية.
(١٥) الأوالي: الأوائل.
(١٦) يقول: كان مينا رسول الفراعنة في هذا الجمع الحاشد وكان مبعوث العرب عمرًا، وكان رسول الفاطميين الجواد الكريم المعز لدين الله.
(١٧) يقول: وظهر بين هؤلاء الملوك الصيد محمد علي رأس الأسرة العلوية.
(١٨) الصدع: الشق. الأغلال: جمع غل وهو القيد.
(١٩) الخلائف: جمع خليفة وهو السلطان الأعظم.
(٢٠) وسار في هذا الجمع أيضًا فؤاد والد فاروق.
(٢١) النجار: الأصل.
(٢٢) السدة: باب الدار أو فناؤها، ويريد بسدة فاروق قصر عابدين.
(٢٣) جاذلين: فرحين. ابتهال: إخلاص في الدعاء.
(٢٤) الغدو: جمع غدوة وهي أول النهار. الآصال: جمع أصيل وهو ما بعد العصر.
(٢٥) الحجا: العقل.
(٢٦) نجل: أنجب.
(٢٧) السوح: جمع ساحة وهي الفضاء بين دور الحي.
(٢٨) شدا: غنى وترنم. الأيك: الشجر الملتف. السلسال: الماء العذب.
(٢٩) السالي: المتخلص من لواعج الحب.
(٣٠) المخالب الزرق: الأظفار الحادة الجارحة. روعت: أخيفت.
(٣١) جميم الندى: كثيره. دميث الرمال: سهلها لينها. رفاف: متحرك.

(٣٢) الدجى: شدة الظلمة. سربال: قميص، رداء.
(٣٣) الإيغال: المبالغة والمغالاة.
(٣٤) سرحة: الشجر العظيم. فضل: بقية الشيء.
(٣٥) الأرسال: جمع رسل وهو الجماعة من كل شيء.
(٣٦) الأنداد: جمع ند وهو المثل كالنديد.
(٣٧) التخطر: التبختر. الاختيال: الزهو والعجب.
(٣٨) الذيل من الثوب: ما جر على الأرض.
(٣٩) ماء زلال: عذب بارد صاف.
(٤٠) غمره الماء: غطاه.
(٤١) لا تريموا: الزموا أماكنكم.
(٤٢) الذبال: جمع ذبالة وهي الفتيل. الفرقد: نجم يهتدى به.
(٤٣) يشير إلى أن مولد الأميرة كان في وقت استبشر الناس فيه بزوال نذر الحرب (التي كان يندلع لهيبها في سبتمبر سنة ١٩٣٨م؛ بسبب أزمة السوديت التي قامت بين ألمانيا وتشكوسلوفاكيا وانتهت باتفاق ميونيخ)، واستقبلوا فيه ليلة القدر وعيد الفطر فكان مولدها بشير خير وفاتحة عهد سعيد.
(٤٤) لظى الحرب: لهبها.
(٤٥) يخاف الشاعر إن دارت رحى الحرب واستعرت نيران القتال أن يصطلي بنارها ويجني مر ثمرها وهو لم يقدح زنادها ولم يضرم شررها ولم يكن من دعاتها ومثيريها، فيتمثل ببيت الحارث بن عباد (لم أكن من جناتها)، وقد أنشده في حرب البسوس لما أكره على خوض غمارها.
(٤٦) الموالي: المصافي.
(٤٧) الهدال: ما تهدل وتثنى من الأغصان. الدوحة: الشجرة العظيمة.
(٤٨) السموط: جمع سمط وهو الخيط ينظم فيه.
(٤٩) الأفياء: الظلال.
(٥٠) الأسدال: جمع سدل وهو الستر.
(٥١) الكلال: الإعياء والتعب.
(٥٢) توالي: تتابع.
(٥٣) غياهب: الظلمات. الأوجال: الخوف.

(٥٤) المهد: الموضع يهيأ ويعد للصبي.
(٥٥) تقبس النور: تأخذه وتستمده.

ضنَّ الشعر بالمديح (عام ١٩٤٥م)

قد قرأنا الحياةَ سَطْرًا فسطرًا ... وشهِدْنا صروفَها ألوانَا[١]

ورأينا المِقْدامَ يسمو إلى العزْ ... زِ ولا يرتضي النجومَ مكانا[٢]

ولمحنا بجانبيه أُناسًا ... قَتِلوا ذِلَّةً وماتوا هوانا

إنَّما المَنْصِبُ الكريمُ بمن فيـ ... ـه، وليس القَنَاةُ إلَّا سِنانا[٣]

قد حَبسْنا المديحَ عن كلِّ مُسْتا ... مٍ، وأَجْدِرْ بشعرنا أنْ يُصانا[٤]

لا تزينُ العقودُ جيدًا إذا لم ... يَكُ، بالحسن قبلَها مُزدانا

رُبَّ دُرٍّ لاقَى من الصدرِ دُرًّا ... وجُمانٍ في النَّحْرِ لاقى جُمَانَا![٥]

لو مدحنا من لا يَحِقُّ له المد ... حُ لوَى الشعرُ رأسه فهجانا

الرسولُ الكريمُ أنطق حَسّا ... نًا، ولولاه لم يكُن حَسّانا[٦]

وابنُ حَمْدانَ لقَّنَ المتنبِّي ... غُرَرَ المدحِ في بني حَمْدانا[٧]

يصدُق الشعرُ حينما يصدُق النا ... سُ فيشدو بمدحِهم نَشْوانا[٨]

وإذا عزّتِ المكارمُ ولّى ... مُطرِقَ الرأسِ واجمًا خَزْيانا

ومضَى يشتكي الزمانَ ويبكي ... دارساتِ الطُّلولِ والأُظعانا[٩]

فإذا شئتَ أن أكونَ زُهَيْرًا ... فأَعِنِّي وهاتِ لي ابنَ سِنانا[١٠]

هوامش

(١) صروفها: أحداثها.

(٢) يسمو: يعلو ويرتفع.

(٣) القناة: الرماح. سنانا: سنان الرمح.

(٤) حبسنا المديح: منعنا الثناء. مستام: الذليل المهان.

(٥) در: لؤلوي ثمين. جمان: حبة من الفضة.

(٦) حسان: حسان بن ثابت شاعر الرسول، عليه الصلاة والسلام.

(٧) ابن حمدان: سيف الدولة الحمداني. المتنبي: أبو الطيب أحمد المتنبي الشاعر العربي العظيم. غرر: جمع غرة، أوائل.

(٨) نشوانًا: فرحًا.

(٩) دراسات الطلول: بقايا الأطلال. الأظعانا: المسافرات.

(١٠) زهيرًا: هو زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي العظيم مدح هرم بن سنان لكرمه وفضله ومروءته.

نشيد التاج

أنشدته فرقة معهد الموسيقى العربية بقصر عابدين بمناسبة تولية الملك فاروق آخر ملوك مصر سلطته الدستورية سنة ١٩٣٧م.

بَـسَـمَـتْ لِـمـقْـدمـكَ الأمـانـي وشَـدَتْ لـطَـلْـعَـتِـكَ الأغَـانِـي
ونَـزَلْـتَ أَحْـنَـاءَ الـقُـلُـو بِ، فـكـنْـتَ فـي أَوْفَـى مَـكَـانِ[١]
كَـمْ نِـعْـمَـةٍ أَسْـدَيْـتَـهـا مـا لِـلـزَّمَـان بـهـا يَـدَان![٢]
الـيـومَ تـلْـبَـسُ تَـاجَ مِـصـ ـرَ مُـمَـلَّـكًـا مِـلْءَ الـزَّمـان
تـاج أَضـاءَ كـأَنَّـهُ مِـنْ صُـنْـعِ أَيْـدِيـكَ الْـحِـسـان
مَـجْـدٌ أنـاف عَـلَـى الـسَّـمـا ءِ فَـمَـنْ يُـقـاربُ أَوْ يُـدانـي؟[٣]

فـارُوق يـا نَـجْـمَ الـهُـدَى دُمْ لِلْعُلا
أَدْرَكْتَ غـايـاتِ الـمُـنَـى مُـتَـمَـهِّـلًا
الـشَّـعْـبُ يـلْـمَـحُ نُـورَكُـمْ مُـتَـفـائِـلًا
مجد أثيلُ، دَهْرُ مُنِيلْ، مَلِكٌ نَبِيلْ
زَيْـنُ الْـحِـمَـى سَـبْـطُ الـبَـنـانِ[٤]

لـلـهِ تَـاجُـكَ إنَّـمـا لَـمَـحَـاتُـهُ بِـشْـرُ الأمـانـي!
قَـدْ صِـيـغَ مِـنْ حَـبِّ الـقُـلُـو ب، فَـجَـلَّ عَـنْ حَـبِّ الْـجُـمـانِ[٥]
بَـهَـر الـعُـيُـونَ الـخَـاشِـعـا تِ جَـلَالَـةً وعُـلُـوَّ شـانِ
وَزَهَـا وَعَـزَّ بِـجَـبْـهَـةٍ هِـيَ أَوَّلٌ والـبَـدْرُ ثَـانـي
شَـذَرَاتُـهُ صَـفْـوُ الـولا ءِ، وَدُرُّهُ صِـدْقُ الـتَّـهـانـي[٦]

كَـمْ رَحْـمَـةٍ ضَـمَّـتْ لأ لِـئُـهُ لِـمِـصْـرَ وَكَـمْ حَـنـانِ!
الـيـوم عِـيـدٌ بَـاسِـمٌ عِـيـدُ الأَمَـلْ
تُزْهَى بِهِ مِصْرٌ عَلَى كُلِّ الدُّولْ
مَنْ كَالْمليكِ بِنُبْلِهِ ضُرِبَ الْمَثَلْ؟
نَـفَـحَـاتُـهُ، وَصِـفـاتُـهُ، وَهِـبـاتُـهُ
قـد أَعْـجَـزَتْ وَحْـيَ الْـبَـيـانِ
حَـصَّـنْـتُـهُ بِـفَـواتِـحِ الـــ ـــقُـرْآنِ والـسَّـبْـعِ الـمَـثـانـي[٧]
نَـالَـتْ بِـه مِـصْـرُ الـمُـنَـى وتَـفَـيَّـأَتْ ظِـلَّ الأمـانِ
مَـلِـكٌ مَـشَـى الـدَّهْـرُ الْـجـمـو حُ إِلَـيْـهِ مَـرْخِـيَّ الـعِـنـان
أَعْـلَـى أَبُـوكَ بِـنـاءَ مِـصـ ـرَ وَكـانَ جـدُّكَ خَـيْـرَ بـانـي
الـخَـيْـرُ أَسْـبِـقُ لِـلْـبـقَـا ءِ مِـنَ الـسَّـوابِـقِ فِـي الـرِّهـانِ
والـبـرُّ فـي آنٍ يُـفـا دُ، وَذِكْـرُهُ فِـي كُـلِّ آنِ
فـاهْـنَـأْ بِمُـلْـكِكَ إِنَّـهُ بِكَ يَـحْـتَـمـي
واسْـعَـدْ فَـكُـلُّ مَـجـادَةٍ لكَ تَـنْـتَـمـي
واسْلَمْ لِمِصْرَ عِمادَها في المُعْظِم
عاشَ الملكْ، عاشَ المَلِكْ، عاشَ المَلِكْ
بـالـقَـلْـبِ يُـحْـمَـدُ والـلِّـسـانِ

هوامش

(١) أحناء: داخل. أوفى: أشمل، أأمن.
(٢) أسديتها: أديتها.
(٣) أناف: ارتفع علا حتى قرب من السماء.
(٤) سبط البنان: حسن الهيئة سخي كريم.
(٥) حب القلب: سويداؤه. الجمان: حبة من الفضة كالدرة.
(٦) شذراته: صغار اللؤلؤ.
(٧) فواتح القرآن: هي بسم الله الرحمن الرحيم. السبع المثاني: فاتحة الكتاب وهي الحمد لله رب العالمين إلى آخر السورة.

تقريظ

بعث الشاعر بهذه القصيدة لأحد أصدقائه الأدباء بمناسبة كتابته لقصة مصرية عام ١٩٠٥م.

كفَاكَ، حَسْبُكَ هذا، أَغْمِدِ القَلَما ... أصبحتَ في الكتابين المُفردَ العَلَمَا[١]
ملأتَ للشرْبِ كاساتٍ مُشَعْشَعَةً ... ماذا عليكَ إذا سَمّيتها كَلِما؟[٢]
أهديتها من عصير الفكرِ صافيةً ... فما أَثِمْتَ، ولا شرَابُها أَثِما[٣]
تفُلُّ من موطِن الأسرارِ سَوْرته ... وتوقظُ الدينَ والآدابَ والكَرما[٤]
نراك فينا غلامًا في غضارتِه ... وفِي كتابك شيخًا ينثُرُ الْحِكما[٥]
بدا الخيالُ به في زِي ذي شَبَحٍ ... فكاد يلمِسُهُ قُرَّاؤه وهَما[٦]
مالت له أُذُني من بعد جَفْوتِها ... وكم حديثٍ تمنَّتْ عنده الصَّمَما!
أبدعتَ فيه، فآلى كلُّ ذي قلمٍ ... من المجِيدينَ أَلَّا يحمِلَ القَلما[٧]
وسُقتَ فيه حكيمَ الرأيِ منتَحَلًا ... وصُغْتَ فيه كَريمَ اللَّفظِ ملتئمًا[٨]
ورُعْتَ كلَّ فتاة في قِلادتِها ... بِدُرٍّ لفظِكَ منثُورًا ومُنتظِما[٩]
كأنَّما لفظُه ألحانُ ساجعةٍ ... بدائعُ الكونِ فيها صُوِّرتْ نَغَما[١٠]
أو روضُ حَزْنٍ أعار المِسْكَ نفحتَه ... إذا بكَى الغيثُ في أنحائِه ابتسما[١١]
أقسمتُ أنَّك في الكُتَّاب سيّدهُم ... لا يرهَبُ الحِنْثَ من لمْ يُخْطِئ القسمَا![١٢]

هوامش

(١) حسبك: يكفيك. اغمد: أدخل.
(٢) للشرب: لجماعة الشاربين. مشعشعة: ممزوجة.
(٣) أثمت: أذنبت. شرابها: شاربيها والمقصود القراء.
(٤) تفل: تقطع. موطن الأسرار: كناية عن القلب. سورته: حدته.
(٥) غضارته: الغضارة، النعمة والسعة والنضرة.
(٦) زي: لباس. ذي شبح: شخص. وهما: غلطا.
(٧) آلى: أقسم.
(٨) منتخلًا: مختارًا.
(٩) رعت: أخفت. قلادتها: حليها. در: لؤلؤ. لفظك: كلماتك. منثوره: نثرًا. منتظمًا: منظومًا شعرًا.
(١٠) ساجعة: الحمامة المرددة صوتها كالغناء.
(١١) روض حزن: الحزن ما غلظ من الأرض ورياض أبهى الرياض وأجملها.
(١٢) الحنث: الحلف في القسم.

تحِيةُ الشِّعر للأميرَة

أرادت مدرسة الأميرة فوزية الثانوية للبنات سنة ١٩٣٣م أن تتوج أول جزء من أجزاء مجلتها، فصدرته بهذه القصيدة.

حَيِّ الخِلال الطاهِراتِ واصدَح بخيرِ الآنساتِ
حَيِّ الأَميرة في جلا لِ الملكِ، باهرةَ الصفات
(فوزيةً) بنتَ المُلو كِ الصِّيدِ والغُرِّ السَّراة[١]
الواهبين لمصرَ فيما أجزلوا نورَ الحياة[٢]
والناشرين لواءَها يَخْتالُ بينَ الخافِقات[٣]
والنازعين تراثَها من بين أطْواء الرُّفات[٤]
قامتْ بهم مصرٌ تَتِيـ ـهُ على البلادِ الأخْرَيات
في حاضرٍ كالروضِ زا هٍ بالقُطوفِ الدانياتِ[٥]
وجَلائلٍ قد زَيَّنتْ جِيدَ العُصورِ الخَاليات[٦]
يا دُرَّةَ التَّاجِ الرفيـ ـعِ وقِبْلةَ المُتعلِّماتِ
هذِي مجلَّتُنا إليكِ، وكلُّ فَضْلٍ منكِ آت
جُهْدُ الفتاةِ، فشجِّعِي بِقَبُولِها جُهْدَ الفتاة
(فاروقُ) زينُ الناشئِيـ ـنَ وأنتِ زَيْنُ الناشئات[٧]
والشمْسُ إحدَى النيِّرا تِ وأنتِ أسمَى النيِّرات[٨]
الله جَمَّعَ فيكِ شَمْلَ النـ ـنُبْلِ من بَعْدِ الشَّتات
خُلُقٌ كما خَطَرَ النَّسيمُ فَهزَّ أعطافَ النَّبات[٩]

أنْـقَـى مـن الـدُّرِّ الـفَـر ... يدِ يزَينُ صدرَ الحاليات
وشـمـائـلٌ عَـلَـويـةٌ ... أصْفَى من المَاء الفُراتِ[١٠]
الـطـالـبـاتُ — كـمـا تَـرَ ... يْنَ — وأنتِ ذُخْرُ الطالبات
يَـبْـعَـثْـنَ آيـاتِ الـولا ... ء إلى الأميرةِ مُخْلِصات[١١]
ويطُفْنَ بالبيت الكر ... يـمِ مُـكـبِّـراتٍ داعـيـات
بـيـتٌ بـنـاهُ مَـحـمَّـدٌ ... فوقَ النجومِ السابحاتِ[١٢]
لَـبِـنَـاتُـهُ الـمـجـدُ الـعـر ... يقُ وصخْرُه خُلُقُ الثَّبات[١٣]
فـيـه فـؤادٌ بـاعـثُ الـ ... آمالِ فـيـاضُ الـصِّـلات[١٤]
الـدهـرُ يَـرْوِي فـضـلَـه ... والـدهـرُ راويـةُ الـرُّواة
والـمـلـكُ مُـؤْتـلـقُ الـسَّـنَـا ... فـيـه الـعـشـيَّـةُ كـالـغَـداةِ[١٥]
عـاش الـمـلـيـكُ وعِـشْـتُـمُ ... رَمْـزَ الـعُـلَا والـمَـكْـرُمَـاتِ

هوامش

(١) الصيد: جمع أصيد. وهو المزهو في عز وعظمة. الغر: السادة الشرفاء. الواحد: أغر. السراة: الأجواد الكرماء، الواحد: سرى. وسراة، من الجموع النادرة.

(٢) أجزلوا: أوسعوا في العطاء وأكثروا.

(٣) اللواء: العلم. ويريد بنشر لواء مصر: تمكين سلطانها وإعزاز شأنها. يختال: يعجب. الخافقات: الأعلام، يريد أعلام الدول الأخرى، أو الخافقات الرياح الأربع.

(٤) النازعون: المستخلصون. التراث: ما خلفه الأوائل. الأطواء: الثنايا. الرفات: ما تحطم وبلي.

(٥) القطوف: ما يقطف من الثمار. الواحد: قطف (بالكسر). دانية: قريبة.

(٦) جلائل: أي أعمال عظيمة. الجيد: العنق. الخاليات: الماضية.

(٧) فاروق: ولي العهد إذ ذاك.

(٨) النيرات: الكواكب المضيئة.

(٩) خطر: مر. الأعطاف: الجوانب، الواحد عطف.

(١٠) الشمائل: الطباع. الواحدة شمال (بالكسر). الفرات: المفرط في العذوبة.

(١١) آيات الولاء: مظاهر الإخلاص ودلائل الوفاء.

(١٢) النجوم السابحات: التي تدور في أفلاكها. محمد: أي محمد علي باشا رأس الأسرة العلوية.

(١٣) اللبنات: ما يضرب من الطين للبناء. الواحدة: لبنة.

(١٤) فياض الصلات: كثير العطاء واسع الجود.

(١٥) مؤتلق: متألق متلألئ. السنا: الضوء.

إلى جريدة

عام ١٩٠٦م

محوتِ الليلَ ناصعةَ الْجَبينِ ... فكنتِ بشائِرَ الصبحِ المبينِ[١]
وأرسلتِ الصحائفُ منك نورًا ... ففرّ الشكُّ من وَضَحِ اليقين
وكان الحقُّ مذءومًا سجينًا ... فحطَّمتِ القيودَ عن السجين[٢]
وكنتِ صحيفةَ الأبرارِ حقًّا ... تلقَّتكِ الكنانةُ باليمين[٣]
سوادُ مِدادك اللمَّاحِ سِحرٌ ... تمنَّت مثْلَه سودُ العيون[٤]
أثيري التربَ عن حقٍّ مُضاعٍ ... فقد طال المُقامُ على الدفين!
ومُدِّي الصوتَ صخّابًا جريئًا ... فمعنى الموتِ من معنى السكُون![٥]
وذودي عن حمَى الوطن المفدَّى ... وردِّي حرمة الحقِّ المصون
وصولي صولةَ الرئبالِ يعدو ... على من حام من حوْل العرين[٦]
فنحن الآنَ نحيا في زمانٍ ... تنكَّر للضعيفِ المستكين!

هوامش

(١) محوت: أزلت. ناصعة: بيضاء. بشائر: أوائل. المبين: الواضح.
(٢) مذءومًا: معيبًا.
(٣) الأبرار: المطيعون. الكنانة: مصر.

(٤) مدادك: حبرك الذي يكتب به.
(٥) صخابًا: كثير الضوضاء.
(٦) الرئبال: الأسد. العرين: بيت الأسد.

نشيد المعلمين

نشأ الجارم معلمًا وأستاذًا، فلا أقل وهو الشاعر المبدع أن يشيد — من خلال شعره ومن موقع الوفاء — بهذه المهنة الشريفة وبأربابها الشرفاء من معلمي مصر. فكان هذا النشيد «نشيد المعلمين» عام ١٩٣٨م.

ملكتْ مصرُ زِمامَ العالمين — بالعلومْ — في حديثٍ للمعالي وقديمْ[١]
ذكرُها حلَّقَ بين الأولين — للنجوم — ووعاهُ الدهرُ والدهرُ فطيمْ[٢]
كوكَبٌ في الظلماتِ — روضةٌ وسطَ فلاةِ — رمزُ عزمٍ وحياةِ[٣]
مصرُ أنتِ — مُذْ نشأتِ — صفحة المجدِ سجلُّ الخالدينْ

* * *

نحن حرَّاس على الكنزِ المصونْ —العقُول — كَنْزُ مصر ومُنى المستقبلِ
نحنُ للأخلاق في مصرَ حصُونْ — لا تزُولْ — عِزَّةُ الشعبِ بعزّ المعْقِل[٤]
كم غَرَسْنا من نبات — عبقريٍّ النفحاتِ — مُورقُ دانِي الجناة[٥]
كم جهِدْنا — كم سهِدْنا — نهدمُ الجهلَ ونبني الناشئين

* * *

تلك في الأرضِ حياة الأنبياء —والهُداةْ — شَرَفٌ أعظِمْ به من شَرَفِ
نحنُ للأرواحِ إن عزَّ الدَّوَاءُ — الأساة — كم وقينا مهجةً من تلفِ[٦]
وَألَنَّا مِنْ قَناة — في اعتزامٍ وأناةِ — بالخلال الطيِّباتِ[٧]
كَمْ بلغْنا — ما أَرَدْنَا — من صلاح النفسِ في رفقٍ ولينْ

* * *

نرقبُ الله ونرجُوه الثوابْ — في العَمَلْ — وعُلا مصر المنالُ الأوحدُ
ما لنا إلا نُهوض بالشبابْ — مِنْ أَمَلْ — قُوَّةُ الأوطانِ عقل ويد
حسبنا من حسناتٍ — أننا في النَهَضَاتِ — أهلُ جدٍّ وثباتِ
الكفاحْ — والفَلاحْ — شيمةُ الحُرِّ ودأبُ العاملينْ[٨]

* * *

كم صنَعْنا مِنْ عقُولٍ ورجَالْ — للوَطنْ — عُرِفُوا بالنبلِ فيمن عُرِفَا
ليس فيهم من دعَا الحقُّ فَمالْ — أَوْ وَهَنْ — هو مصريّ صميمٌ وكفَى[٩]
هُوَ من نسلِ الكُماةِ — الأماجيدِ السُّراةِ — من أتوْا بالمعْجزاتِ[١٠]
من يُباهِي؟ — من يُضاهِي؟ — ما لمصرٍ في مدَى المجدِ قرينْ[١١]

* * *

منشئُ الأجيالِ أستاذُ الشعوبْ — والأُمَمْ — قَلَّما يبلغ في الدنْيا مُنَاهْ
شعلةٌ تعلو وتخْبو وتذُوبْ — في الضرَمْ — لتقودَ النشئ في ليلِ الحياةْ[١٢]
يا لهَا من صفحاتْ — طاهراتٍ ناصعاتْ — مُلئت بالصالحاتْ
كلُّ خَطْبٍ — كُلُّ صَعْبٍ — هَيّنٍ إنْ صَحَّ عَزْمُ الصابرينْ

* * *

عاشَ فاروقٌ أمانًا وَرَجاءْ — عَاشَ عَاشْ — رافعُ العَلَم ومُحيي الأملِ
بلغتْ مصرُ به أوْجَ السَماء — عَاشَ عَاشْ — وغَدَتْ سَيدة في الدُّوَلِ
عاشَ ربُّ المكرماتُ — والأيادي السابغاتْ — يُفتدى بالمهجاتْ
المليك — المليك — حُبُّه ملء قلوب المخلصينْ

هوامش

(١) زمام: قيادة.
(٢) فطيم: في مرحلة الفطام أي صغير.
(٣) فلاة: مفازة، صحراء.
(٤) المعقل: الأصل أو الملجأ. أو الشرف والسيادة.
(٥) الجناة: الحصاد والجنى.
(٦) الأساة: الأطباء. تلف: إفساد.
(٧) قناة: رمح. أناة: تمهل وصبر.
(٨) دأب: استمرار العمل دون تعب أو كلل وملل.
(٩) وهن: ضعف.
(١٠) الكماة: رماة القوس والمقصود المحاربون الشجعان. الأماجيد: السادة الأشراف.
(١١) قرين: شبيه.
(١٢) تخبو: تسكن وتهدأ. الضرم: الحطب الذي يسرع اشتعال النار فيه.

الإسكندريَّة

أنشد الشاعر هذه القصيدة في حفل افتتاح المؤتمر الطبي العربي الذي عقد بحديقة النزهة بالإسكندرية عام ١٩٤٣م أثناء الحرب العالمية الثانية.

بَدَتْ أعلامُها فهفا وهامَا ... سلامًا دُرَّةَ الوادي سلامَا[١]
بعثْنَا بالتحيّةِ خَفْق قلبٍ ... يطيرُ إليكِ شوْقًا واضطراما[٢]
تحياتٌ إذا رفَّتْ أثارتْ ... أريجَ المسكِ أو ريحَ الْخُزامى[٣]
نظمْنَا لؤلؤَ الفِرْدَوسِ فيها ... وسمّيناه تضليلًا كلاما

* * *

عروسَ الشرقِ دونكِ كُلُّ مَهْرٍ ... وأين لمثِل مهرِك أنْ يُساما؟[٤]
فجوهرُ ثغرِكِ الفتّانِ فَرْدٌ ... تأَبَّى أَنْ يَرى فيه انقساما[٥]
بَهرْتِ بني الزمانِ حُلًى وحُسنًا ... ودلَّهتِ الأواخرَ والقدَامَى[٦]
«فمكسُكِ» مُشْرِقُ البسماتِ ضاحٍ ... «ورملُكِ» جنّةٌ طابت مُقامَا[٧]
ترامَى الموْجُ فوق ثَراه صَبًّا ... وكم صَبٍّ تمنى لو تَرامى![٨]
«ونزهتك» البديعةُ ما أحيلى ... وما أبهَى اتِّساقًا وانسجاما[٩]
إذا انتثرتْ أزاهرُها نِثارًا ... جمعن الحسنَ فانتظَم انتظاما[١٠]

* * *

جرى التاريخُ بين يَدَيْكِ طفلًا ... وشمس الأفقِ لم تَعْدُ الفِطاما[١١]
وصال البحرُ حولكِ منذُ «مينا» ... عظيمًا يدفَعُ الكُرَبَ العِظاما[١٢]

يحوطُ حماكِ أبيضَ أَحْوَذيًّا كما جرّدتِ من غمدٍ حُساما[١٣]
فكم غازٍ به أمسى رميمًا وكم فُلْكٍ به أمست حُطَامَا[١٤]
يمدُّ يَدَيه نحوكِ في حنانٍ ويغمرُكِ اعتناقًا واستلاما[١٥]
ويشدو في مسامعكِ الأغاني بلحنٍ علَّم السجعَ الحَماما[١٦]
بعثتِ النورَ من زمنٍ تولَّى وكنتِ لنهضةِ العِلْمِ الدِّعاما
وفي فجرِ الزمانِ طلعتِ فجرًا على الدنيا، فأيقظتِ النِّياما

* * *

دهتك نوازلٌ لو زُرْنَ «رَضْوَى» لما أبقَيْنَ «رَضْوَى» أو «شمامَا»[١٧]
فكم بعثوا عَلَى ظَمأ غَمامًا لئيمَ البرقِ قد حَجب الغماما![١٨]
أبابيلًا نشأنَ مُلَغَّناتٍ تسوقُ أمامها الموتَ الزُؤاما[١٩]
وأسراب الجحيمِ مُحلِّقاتِ إذا ما حوّمتْ قذفتْ ضِرَامَا[٢٠]
فلا أمًّا تركن ولا رضيعًا ولا شيخًا رحِمْن ولا غلاما
وخلفَكِ رابضًا جيشٌ لُهامٌ يصولُ مُناجزًا جيشًا لُهَاما[٢١]
إلى «العلمين» أبدَى ناجذَيْه وزمجَرَ غاضبًا وسطا وحاما[٢٢]
وهوَّل ما يهوِّلُ واستطارت بُروقٌ تنشُرُ النبأَ الجُسَاما[٢٣]
فما أطلقتِ صيحةَ مُستجيرٍ ولا شرّدْتِ عن عينٍ مناما[٢٤]
تحدّيتِ الخطوبَ تزيدُ هَوْلًا فتزدادين صبرًا واعتِزاما[٢٥]
إذا عصفتْ بجوِّكِ عابساتٍ ملأتِ الجوَّ هُزْءًا وابتساما[٢٦]
«عمودُكِ» في سمائِكِ مُشْمخِرٌّ عليه السحْبُ ترتطمُ ارتطَامَا[٢٧]
«وحصنُكِ» لا يلينُ له حديدُ ولو شُهُبُ الدُّجَى كانت سهاما[٢٨]
وصخرُكِ لا يزال اليومَ صخرًا يفُلُّ عزائمًا ويشقُّ هَاما[٢٩]
أتَوْكِ مُناجزين أسودَ غابٍ وشالوا بعد نكبتهم نَعاما[٣٠]
ومن يكن الإلهُ له نصيرًا فحاشا أن يُضَيّعَ أو يُضاما![٣١]

* * *

أحقًّا أنّ ليلكِ صار ليلًا وَمغْنَى اللهوِ قد أمسى ظلاما؟[٣٢]
وأنّ حِدَادَ ليلِكِ طرّزتْه دُموعٌ للثواكِل واليتامى؟[٣٣]

وأنّ ملاعبًا ضحِكَتْ زمانًا غدت بيد البِلَى طَلَلًا رُكَاما؟[٣٤]
وأنّ الغيدَ فيكِ وكنّ زَهْرًا تخيّرْنَ الْخُدور لها كِمَامًا؟[٣٥]
وأنّ البحرَ لم ينعَمْ بوجهٍ صَباحيٍّ، ولم يهصِرْ قَواما؟[٣٦]
ولم تَمشِ السواحرُ فيه صُبْحًا ولم تملأ شواطئه غراما؟[٣٧]
حَنانًا إنها شِيَمُ الليّالي إذا كشفْن عن غَدْرٍ لِثاما[٣٨]
ولولا صَوْلةُ الأحداثِ فينا لما عرَف الورَى حمدًا وذاما[٣٩]
وقد يُخفي الهلالَ محاقُ ليْلٍ ليظهرَ بعده بدرًا تمامَا[٤٠]

* * *

أبنتَ البحرِ، والذكرى شُجونٌ إذا لمستْ فؤادًا مُستهامَا[٤١]
ذكرتُ صِبايَ فيكِ، وأين منّي صبايَ؟ إلامَ أنشُدُه إلاما؟
فعذرًا إن وصلتُكِ بعد هجرٍ وما هَجَر الذي حفِظ الذِّمَامَا[٤٢]
فهل تَدْرِي النوى أنّا التقيْنا كما ضمّ الهوى قُبلًا تُؤَاما؟[٤٣]
وأنّا بين عَتْبٍ واشتياقٍ نناغي الحبّ رشْفًا والتزاما؟[٤٤]

* * *

سعَى لكِ من حُماةِ الطبِّ حَشْدٌ فكنتِ كريمةً لاقتْ كِراما[٤٥]
إذا اختلفوا لوجهِ الحقِّ يومًا مشَوْا للحقِ فالتأموا التئاما
ملائكةٌ إذا لَمَسوا عليلًا أزاحوا الداءَ واستلُّوا السقَاما[٤٦]
وجندٌ في شجاعتِهم حياةٌ إذا جلَب الجنودُ بها الحِماما[٤٧]
فكم أودَى بهم داءٌ عُقامٌ إذا ما حاربوا داءً عُقاما![٤٨]
أمَامًا يا رجالَ الطبِّ سيروا فإنّ لكلِّ مَرْحَلةٍ أمامَا
أقمتم مِهْرجانَ الطبِّ يُحْيي مَعالمَ دَرْسِه عامًا فعاما
وطفتم حوْلَ شيخٍ عبقريٍّ فألقيتم بكفَّيْهِ الزِّماما[٤٩]
دعوناه أبا حسنٍ «عليًّا» فقلتم: نحن ندعوه الإماما[٥٠]

* * *

وفودَ العُربِ غنّاكم قريضي وحنّ إلى معاهدكم وهاما

رمَى الشرقُ الغمامةَ بعد لأيٍ وألقى تحت رجْلَيْه الخِطاما[٥١]
عقدنا للعروبة فيه عهدًا فلا وهنًا نخاف ولا انفصاما[٥٢]
تَلُمُّ شتاتنا أنَّى نزلنا حِجازًا أو عِراقًا أو شآما[٥٣]
ونمشي إن دعت صَفًّا فصفًّا نصافح تحتَ رايتِها الوِئاما[٥٤]

هوامش

(١) هفا: اشتاق وحن.

(٢) اضطراما: التهابا.

(٣) رفت: تحركت. أريج المسك: رائحة المسك النفاذة الذكية. الخزامى: نبت زهره أطيب الأزهار ويستعمل كدواء.

(٤) يساما: سام المشترى الشيء قدر له ثمنًا.

(٥) تأبى: تمنع.

(٦) حُلى: زينة وجمالًا. دلهت: جعلتهم يتدلهون في حبك.

(٧) مكسك: حي المكس الشهير بالإسكندرية. ضاح: واضح. رملك: حي الرمل بالإسكندرية. طابت: حسنت.

(٨) صبًّا: مغرمًا.

(٩) نزهتك: حي النزهة بالإسكندرية.

(١٠) نثارًا: تفريقًا وانتشارًا وهو تأكيد.

(١١) تعد: تتعدى. الفطام: مرحلة الفطام أي: في الصغر.

(١٢) مينا: أول ملك من ملوك مصر الفرعونية من الأسرة الأولى وموحد الوجهين (البحري والقبلي).

(١٣) حماك: كنفك. أبيض: لونه أبيض واسمه الأبيض. أحوذيًّا: النشيط السريع فيما يعمل. جردت: أخرجت.

(١٤) غاز: عدو أتى غازيًا. رميمًا: باليًا. فلك: سفينة.

(١٥) اعتناقًا: ضمًّا. استلامًا: تقبيلًا.

(١٦) السجع: الكلام المسجوع، هديل الحمام.

(١٧) دهتك: أصابتك ودهمتك. نوازل: كوارث. رضوى: جبل رضوى الشهير بالمدينة. شماما: جبل. يذكر الشاعر غزو الألمان لمصر من الصحراء الغربية أثناء الحرب العالمية الثانية وما أصاب الإسكندرية من غاراتهم.

(١٨) غماما: سحابا. لئيم البرق: ذو برق خبيث وكريه. والمقصود الطائرات التي كان يرسلها الألمان لضرب الإسكندرية بالقنابل في أعداد كبيرة غطت على السحاب في سمائها.

(١٩) أبابيلا: فرقًا متجمعة متتابعة وفيها إشارة إلى الطير الأبابيل التي ترمي بحجارة من سجيل كما جاء ذكر ذلك في سورة الفيل. الزؤاما: المختوم.

(٢٠) أسراب: جماعات. حومت: دارت حول الشيء. ضراما: نارًا مشتعلة.

(٢١) رابضًا: معسكرًا منتظرًا. لهام: عظيم كثير العدد. مناجزًا: محاربًا.

(٢٢) العلمين: موقعة شهيرة وحاسمة في الحرب العالمية الثانية، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى البلد التي وقعت فيها حيث انتصر الحلفاء على الألمان، وكان الجيش المصري يحارب مع الحلفاء. أبدى ناجذيه: كشَّر عن أنيابه. زمجر: صاح غاضبًا. سطا: بطش وقهر. حاما: دار وحارب في ميدان القتال.

(٢٣) هول: أفزع. استطارت: انتشرت. الجساما: العظيم.

(٢٤) مستجير: مستغيث. شردت: بعدت.

(٢٥) اعتزامًا: قوة وصرامة ونفاذ أمر.

(٢٦) هزءًا: سخرية.

(٢٧) عمودك: عمود السواري وهو أحد معالم الإسكندرية. مشمخر: مرتفع شاهق.

(٢٨) حصنك: المقصود قلعة «قايتباي» الشهيرة على البحر. شهب الدجى: نار تسقط من السماء فتضيء في ظلمة الليل.

(٢٩) يفل: يكسر. هاما: رأس الشيء وأعلاه.

(٣٠) مناجزين: محاربين. وشالوا: هزموا وقهروا وانقلبوا عائدين وهم كالنعام أي: جبناء.

(٣١) يضاما: يظلم.

(٣٢) مغنى اللهو: مكان اللهو والغناء.

(٣٣) حداد: ثياب المأتم السود. طرزته: شغلته وصنعته.

(٣٤) غدت: أصبحت. البلى: القدم. طللا: بقايا البناء. ركاما: تراكمت أحجاره بعضها على بعض.

(٣٥) الخدور: جمع خدر وهو مكان الإقامة. كماما: ورق الزهرة الذي يحيط بالثمرة.

(٣٦) صباحي: جميل. يهصر: يضم بقوة.

(٣٧) السواحر: الماشيات في الوقت قبيل الصبح.

(٣٨) شيم: عادات، صفات. لثاما: نقابا. وهو الستر الذي يخفي الوجه.

(٣٩) صولة: جولة. الورى: الخلق. ذاما: عيبًا وذمًّا.

(٤٠) محاق: ثلاث ليال من آخر الشهر العربي والمراد الظلام.

(٤١) مستهام: هائم محب.

(٤٢) حفظ الذماما: رعى حرمتك، ثبت على عهدك.

(٤٣) النوى: البعد وكثرة الأسفار. تؤاما: جمع توأم وهو المولود مع غيره.

(٤٤) عتب: عتاب. التزامًا: عناقًا.

(٤٥) حماة الطب: المدافعون عنه وهم الأطباء الذين نزلوا بالإسكندرية وشاركوا في المؤتمر.

(٤٦) استلوا: نزعوا، استخرجوا. السقاما: الأمراض.

(٤٧) الحماما: الموت.

(٤٨) أودى: أهلك. داء عقام: داء عضال.

(٤٩) شيخ عبقري: المقصود الدكتور علي إبراهيم باشا رئيس المؤتمر. الزماما: القيادة.

(٥٠) أبا حسن عليًّا: لقب الإمام علي — كرم الله وجهه — وللدكتور علي إبراهيم باشا نجل هو الأستاذ الدكتور حسن علي إبراهيم الجراح المشهور.

(٥١) الغمامة: ما يوضع على عيني الدابة كي لا ترى. لأي: تعب ومشقة، جهد. الخطاما: حبل يوضع في فم البعير ليقاد به.

(٥٢) وهنا: ضعفًا. انفصاما: تفرق.

(٥٣) شتاتنا: تفرقنا. شآما: بلاد الشام.

(٥٤) رايتها: علمها. الوئام: الوفاق.

الجزء الثاني

تقديم

بقلم علي الجارم

هذا هو الجزء الثاني من شعري، أضعه بين يدي كل أديب، وأنشر صفحاته أمام كل شاعر، وأرسل صيحاته في سماء مصر وأرجاء العروبة.

شعر كانت أوزانه من نبضات قلبي، وبحوره من قطرات دمعي، هتفت به فكان صدًى لروحي وخفقة لنفسي، ثم أهديته إلى مصر وأبناء مصر، وأشدت فيه بالشرق وأبناء الشرق، وشدوت بالبطولة والأبطال، وحفزت به شباب العرب إلى الاعتزاز بقومهم والتغني بالشرف التالد والمجد القديم.

شعر نصر الفصحى فنصرته، وصان لها ديباجتها فصانته، وخط للناشئين مثالًا فيه نبل القديم وجدة الحديث. وأبان أن العربية تستطيع أن تقول في كل شيء دون أن يمسَّها من آفات العجمة شيء.

والشعر لا يقاس بالكثرة، ولا يوزن بالقنطار، وإنما هو فن من أدق الفنون حسًّا، وأبعدها عن طالبيه منالًا. فليس كل ما صحت تفاعيله شعرًا، وليس كل ما حواه إطار فنًّا.

إنما الشعر على كثرته ... لا ترى فيه سوى إحدى اثنتين

نفحةٌ قدسيةٌ أو هذرٌ ... ليس في الشعر كلام بين بين!

محمد رسول الله

ألقى الشاعر هذه القصيدة احتفاءً بالمولد النبوي الشريف سنة ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م.

تحِيَّةُ ناءٍ من شَذَى المسكِ أطيبُ ... ومن قَطَراتِ المزْنِ أصفَى وأعذبُ[١]
وتبريحُ أشواقٍ إذا ما تَنَفَّسَتْ ... يكادُ لها فحمُ الدجَى يتلهَّبُ[٢]
وقلبٌ يضيقُ الصدرُ عن نَبَضَاتِه ... فيخفِقُ غيظًا بالجَناحِ ويَضْرِبُ
تلفَّتَ في الأضلاعِ حَيْرانَ يائسًا ... وأنَّ كما أنَّ السجينُ المُعذَّبُ
تعاوِدُه الذِّكْرَى فَتنْكَأُ جُرحَه ... ويا ربَّ جُرْحٍ حارَ فيه المُطبِّبُ![٣]
ويخدَعُه طَيْفُ الخيالِ إذا سرَى ... فيبعَثُ آمالَ الشجيِّ ويذهَبُ
ومن أبصر الأيام خلف قناعِهَا ... رأى الدَّهر يلهو، والأمانيَّ تكذبُ
عجائبُ أحداثٍ تليها عجائبٌ ... وصَبْرِي على تلك العجائب أَعْجَب
ولولا حياةُ الوَهْمِ أودَى بأهله ... زمانٌ بأشواكِ الحقائِق مُخْصِب[٤]
تَبَسَّمَ إذا ما الدَّهرُ قطّبَ وجهه ... وصَفِّقْ له في دورِه حينَ يلْعَب[٥]
يموتُ الفتَى من قَبْلِ أنْ يعرِفَ الفَتى ... من الأمرِ ما يأتي وما يتجنَّب
وسِيَّان ما يدريه والشَّعْرُ فاحم ... أثيثٌ، وما يَدْريه والشَّعْرُ أشْيَبُ[٦]
وقالوا: حياةُ المرء درسٌ فقهقهتْ ... صُروفُ الليالي والقَضاءُ المُغيّب[٧]
إذا ما جهِلتَ النفسَ وهي قريبةٌ ... فأيُّ المعاني بعد نفسِكَ أقْرَب

* * *

حنَانًا لقلبي كيف طاحتْ به المُنَى ... وعَزَّ على الأيامِ ما يتَطلَّبُ؟[٨]

يغازِلُه في مطرَحِ النسْرِ مأرَبُ ... ويختِلُه في مسبَحِ الحوت مأرَبُ[٩]
يكادُ إذا مرَّ الجِجازُ بذكْرِه ... وجِيرتُهُ من صدرِه يتوثّبُ
بلادٌ بها الرحمنُ ألقى ضياءه ... على لابَتَيها والعوالِمُ غَيهَبُ[١٠]
تكادُ إذا مرَّتْ بها الشمسُ غُدْوةً ... حياءً بأهدابِ السحابِ تنقَّبُ[١١]
يجلِّلُها قُدْسٌ من اللهِ سابغٌ ... وينفَحُهَا نَشْرٌ من الْخُلد طيِّبُ[١٢]
إذا نَسَبَ الناسُ البلادَ رأيتَها ... إلى جَنَّة الفردوس تُعْزَى وتُنْسَبُ[١٣]
وإن نَضَبَتْ أنهارُها فَبحَسْبِهَا ... من الدِّين نهر للهُدَى ليس ينضُبُ[١٤]
إذا ما جرَى في الأرض فالجدب مُخْصبٌ ... وإنْ هو جافَى الأرضَ فالخِصْبُ مجدبُ
يفيضُ على الأقطارِ يُمنًا ورحمةً ... ويزأرُ في أُذْنِ العُتَاةِ ويصْخَب
تفجَّرَ من نَبْعِ النُّبُوَّة ماؤُه ... له الحقُّ وِرْدٌ والسماحةُ مَشْرب
ووحَّد بين الناس، لا البُعد مُبْعدٌ ... عن الساحةِ الكبرى، ولا القُرْب مُقْربُ
فليس لدَى الإسلامِ شرقٌ ومَشْرقٌ ... وليس لدى الإسلامِ غَرْبٌ ومَغْربُ
همُ الناس إخوانٌ سواء على الهدى ... بطيءُ المساعي والشريفُ المهيَّب[١٥]
فما حَطّ من قَدْرِ الفَزَاريّ فاقَةٌ ... ولا زاد في قدْرِ ابن أيهم مَنْصِب[١٦]
يجمِّعُهُم قلبٌ على الحقِّ واحدُ ... وإن فُرِّقَتْ أوطانُهم وتَشَعَّبُوا[١٧]
إذا صاح في «جَيْحُونَ» يومًا مُؤَذِّنٌ ... أجاب على «التاميز» داعٍ مُثَوَّبُ[١٨]
وإن ذَرَفَتْ من جَفْنِ دِجْلَةَ دمْعَةٌ ... رأيتَ دموعَ النيلِ حَيْرَى تَصَبَّبُ[١٩]
وإن مسَّ جُرْحٌ من فِلَسْطين إصْبعًا ... شكا حاجِرٌ منه وأنَّ المحَصَّبُ[٢٠]

* * *

بنفسي وليدًا في أباطح مكةٍ ... تتيه به الدنيا ويشرُفُ يَعْرُبُ[٢١]
أطلَّ عليها مثلما تبسِمُ المنَى ... ويسطَعُ في الليل الخُدَاريِّ كوكَب[٢٢]
وكان لها رمزَ الحياة فأشرقتْ ... كما هز أفنان الخمائل صَيِّبُ[٢٣]
وكم مدَّتِ الأعناقَ ترقُبُ لمحةً ... فطال عليها صبرُها والترقُّبُ
توالت بها الأيامُ، تذهَب أحْقُبٌ ... وتأتي على اليأس المبرح أَحْقُبُ[٢٤]
إلى أنْ بدا نورُ الإله فأقلبتْ ... عوالمها تشدو بطه وتَطْرَبُ
وليدٌ له عُلْيَا معدّ ذُؤابةٌ ... جلالةُ أنسابٍ، ومجدٌ مؤَشَّب[٢٥]
حوته كما اعتاد الأعاريبُ جَفْنَةٌ ... وقد ضاق عن آماله القيح سَبْسَب[٢٦]

يحيِّيه من طيَف الملائك مَوْكِبٌ ... ويرعاه من طَيْفِ النبيينَ مَوْكب
فهل علم الرومانُ أنَّ مهادَه ... قِرابٌ به ماضي الغرارِ مُشَطّب[٢٧]
وأنّ به نفسًا يُحطّمُ دونها ... منيعُ الصياصي، والحديد المذرَّب؟[٢٨]
وأن به من صَوْلةِ الله جَحْفَلًا ... يَثُلُّ عرُوشَ القاسطينَ ويَسْلُب؟[٢٩]
له الكونُ مَيْدانٌ إذا سلَّ سيفَه ... وقال لِفُرْسانِ الملائِكةِ: اركبُوا[٣٠]
يطيرُ عِداهُ منه ذُعْرًا وخَشْيةً ... وإنْ مَلَأُوا الأرضَ الفضاء وأجْلبُوا
ومَنْ لم يُؤَدِّبْهُ البيانُ وهَدْيُه ... فإنَّ الحسامَ العَضْبَ نِعمَ المُؤدِّبُ[٣١]
فقد أنزلَ اللهُ الحديدَ وبأسَه ... لمن سَدّ أُذنَيْهِ الهوى والتعصّبُ
وفي صَدْعَةِ الإيوانِ إنذارُ أمةٍ ... بأنَّ من الأشياء ما ليس يُشْعَبُ[٣٢]

* * *

محمد أنقذتَ الخلائقَ بعدما ... تنكَّبَتِ الدّنيا بهم وتنكَّبوا
وأطلقْتَ عقْلًا كان بالأمس مُصْفَدًا ... فدان له سرُّ الوجودِ المحجَّبُ[٣٣]
وأرسلتها من صَيْحةٍ نبويَّةٍ ... يَمُور لها قَلْبُ الحيالِ ويُرْعَبُ[٣٤]
إذا كان صوتُ اللهِ في صيحةِ الفَتى ... فأيُّ عبادِ اللهِ يَخشَى وَيرهَبُ؟
وبلَّغْتَ آياتٍ، روائعُ لفظِها ... من الصبحِ أهدَى أو من النجم أثْقَبُ[٣٥]
كأنّ، وما تُغْنِي كأنّ؟ فَخلِّها ... فإنّ من التشبيه ما يتصعَّبُ
وماذا يقولُ الشِّعْرُ في آيِ رحمةٍ ... لها الله يُمْلِي والملائِكُ تكْتُبُ؟
خطبتَ لنا يومَ الوَداعِ مُشَرِّعًا ... وهل لكَ نِدٌّ في الورى حين تَخْطب؟
فكشَّفْتَ أسرارَ السياسةِ مُوجِزًا ... وجئتَ بما يَعْيَا به اليومَ مُسهبُ[٣٦]
وأمليتَ دُسْتُورًا شَقِينا بتَرْكِه ... فَثُرنا على الأيامِ نشكو ونعتبُ

* * *

إليكَ رسولَ اللهِ طار بنا الهوَى ... وحُلوُ الأماني والرجاءُ المحبَّبُ
أفِضْها علينا نَفحةً هاشميةً ... تَلُمُّ شتَاتَ المسلمينَ وترأبُ[٣٧]
وترجعُ فيهم مثلَ سعدٍ وخالدٍ ... وترفَعُ من راياتهم حين تُنصَبُ[٣٨]
سنصحو فقد ملَّ الطريحُ وِسَادَه ... وفي نُورِك القدسيِّ نسعى وندأبُ[٣٩]
عليكَ سلامُ اللهِ ما حَنَّ واجدٌ ... وفاخرتِ الدّنيا بقبركَ يَثْرِبُ[٤٠]

هوامش

(١) ناء: بعيد. شذى المسك: رائحة المسك الذكية الفواحة. المزن: السحاب الممتلئ بالماء.

(٢) تبريح أشواق: توهج أشواق. فحم الدجى: المقصود سواد ظلمة الليل. يتلهب: يتقد ويشتعل.

(٣) تنكأ جرحه: تهيج وتثير جرحه قبل أن يبرأ. المطبب: الطبيب المداوي.

(٤) مخصب: كثير الخير.

(٥) قطب وجهه: عبس وتجهَّم.

(٦) أثيت: قوي النمو كثير.

(٧) المغيب: ما غاب عنك وهو المستقبل.

(٨) حنانًا: رحمة. طاحت: ذهبت. عز: قل وندر.

(٩) يغازله: يلاطفه. مطرح النسر: أعالي الجبال. يختله: يخدعه. مسبح الحوت: البحار الكبيرة. الذكر: التذكر.

(١٠) لابتيها: اللابة الأرض ذات الحجارة السود وبالمدينة المنورة لابتان تكتنفها. غيهب: في علم الغيب.

(١١) أهداب السحاب: أطراف السحاب. تنقب: تهرب.

(١٢) نشر: رائحة طيبة.

(١٣) تعزى: تنتمي وتنتسب.

(١٤) ينضب: يجف.

(١٥) بطيء المساعي: الرجل ذو الطموح المحدود. المهيب: الذي يهابه الناس.

(١٦) الفزاري: أعرابي من بني فزارة داس على فضل إزار جبلة بن الأيهم، وهو من عظماء الروم وكان قد دخل في الإسلام فلطم ابن الأبهم الفزاري فشكاه إلى سيدنا عمر بن الخطاب، فحكم له بأن يقتص من جبلة.

(١٧) تشعبوا: تفرقوا.

(١٨) جيحون: نهر جيحان ببلاد التركستان في الشرق. التاميز: نهر بإنجلترا في الغرب. داع: يدعو الناس. مثوب: والتثويب يكون في أذان الفجر خاصة، وهو قول المؤذن: «الصلاة خير من النوم» والمقصود الاستجابة للصلاة في جميع أنحاء العالم.

(١٩) دجلة: نهر دجلة في العراق. تصبب: تنسكب.

(٢٠) حاجر: نزل للحاج بالبادية. المحصب: موضع رمي الحجارة بمنى.

(٢١) بنفسي: أفديه بروحي. وليدا: سيدنا محمد ﷺ. أباطح: مسيل واسع فيه حصى. يعرب: أبو العرب.

(٢٢) الخداريّ: المظلم.

(٢٣) صيب: السحاب ذو الصوت أي: الممتلئ بالماء.

(٢٤) أحقب: سنون.

(٢٥) عليا: الرفعة. معد: قبيلة عربية ذات سيادة. ذؤابة: ذؤابة الشيء أعلاه. المؤشب: الشجر المتلاصق والمراد بالمجد المؤشب يجمع من كثير من أعمال الفضل والنبل.

(٢٦) الأعاريب: سكان البادية. جفنة: وعاء أو قصعة يوضع بها الطفل الرضيع. سبسب: المفازة أو الأرض المستوية البعيدة الواسعة.

(٢٧) قراب: جراب السيف. الغرار: حد السيف. المشطب: السيف في حده خطوط مجوفة.

(٢٨) الصياصي: جمع صيصية: الحصن. الحديد المذرب: الحديد الحاد.

(٢٩) صولة: قوة. يثل: يذهب ملكه أو عزه. القاسطين: الظالمين. يسلب: يختلس.

(٣٠) سل: أخرجه من غمده.

(٣١) الحسام العضب: السيف الطاعن.

(٣٢) صدعة الإيوان: شق إيوان كسرى وهدمه وكسره. يشعب: يصلح.

(٣٣) مصفدًا: مقيدًا. دان: خضع. المحجب: المستور في علم الغيب.

(٣٤) يمور: يتحرك ويذهب.

(٣٥) أثقب: مضيء.

(٣٦) مسهب: كثير الكلام.

(٣٧) شتات: تفرق. ترأب: تصلح.

(٣٨) سعد وخالد: هما بطلا الإسلام سعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد.

(٣٩) ندأب: نجد ونتعب.

(٤٠) واجد: حبيب. يثرب: المدينة المنورة.

فلسطين

نظم الشاعر هذه القصيدة عندما توالت انتصارات الجيش المصري في فلسطين عام ١٩٤٨م، إلى أن وصل إلى مشارف «تل أبيب»، فتدخلت أمريكا وفرضت الهدنة على الجانبين من أجل صالح إسرائيل؛ لتجنبها عار هزيمة محققة:

تَـأَلَّـقَ الـنَـصْـرُ فـاهـتـزَّتْ عَـوَالـيـنـا ... واستَقْبَلتْ مَوْكِبَ البُشْرَى قَوَافينَا[١]

غَنَّى لَنَا السَّيْفُ في الأعناقِ أغْنيةً ... عَزَّتْ على الأيكِ إيقاعًا وتلْحِينَا[٢]

هَـزَّتْـهُ كَـفٌّ مـن الـفُـولاذِ قَـبْـضَـتُـهَـا ... فـي الـهَـوْلِ مـا عَـرَفَـتْ رِفْـقًـا ولا لِـيـنَـا

من صَخْرِ «خُوفُو» لها دُونَ الْوَرى عَضَلٌ ... جـرى بـه دمُ عَـدْنَـانٍ شَـرايـيـنـا[٣]

نفسي فِدَى الفارِس المصرِيّ إن خَطَرتْ ... بـه الـمـواكِـبُ أو خَـاضَ الـمـيـادِيـنَـا

تـلـقَـاهُ فـي الـسِّـلْـمِ مـاءً رفَّ سـلـسَـلُـهُ ... وفـي الـحُـروبِ إذا مـا ثَـارَ أَتـونَـا[٤]

يـرى الـدِّمـاءَ عـقـيـقًـا سَـالَ جَـامِـدُهُ ... ويـحسَـبُ الـنقْـع فـيـهـا مِسْكَ دارِينا[٥]

ما بَيْنِ «عمرو» و«مينا» زَانَهُ نَسَبٌ ... فـمـن كـآبـاتِـهِ عُـرْبًـا فَـراعِـيـنَـا[٦]

سَلْ مِصْرَ عنهم سَلِ التاريخَ إنَّ بِه ... سِرًّا من المجدِ لا يَنْفَكُّ مكْنُونَا[٧]

سُـيُـوفُـهـم كُـنَّ لـلـطـغـيَـانِ مـاحِـقَـةً ... وعـدْلُـهُـمْ كـانَ لـلـدنـيـا مَـوازِيـنَـا[٨]

وجـيْـشُـهُـمْ هـزَّتِ الـدُّنـيـا كـتـائِـبُـهُ ... وحـكـمـهُـمْ مَـلأَ الآفـاقَ تـمـدِيـنَـا

إنَّا بَـنـي الأُسْـدِ أمـضَـى مِـخْـلـبًـا ويـدًا ... لَدَى الصِّرَاع وأحْمَى الناسِ عِرْنينَا[٩]

إذا دَعَـا الـحـقُّ لـبَّـتْـهُ جـحـافِـلُـنـا ... وإن سَـطَـا الـجَـوْرُ ردَّتْـهُ مـوَاضِـيـنـا

عِـشْـنَـا أعِـزَّاءَ مِـلءَ الأرضِ مـا لـمسَـتْ ... جِـبَـاهُـنَـا تُـرْبَـهَـا إلَّا مُـصـلِّـيـنَـا

لا يـنْـزِلُ الـنـصـرُ إلَّا فـوْقَ رايـتـنـا ... ولا تـمـسُّ الـظُّـبَـا إلَّا نَـواصِـيـنَـا[١٠]

* * *

أليْسَ من أُحْجِياتِ الدَّهْرِ قُبَّرةٌ ... رَعْنَاءُ تَزْحَمُ في الوَكْرِ الشَواهينَا[11]
وتائِهٌ ما لَهُ دارٌ ولا وطنٌ ... يسْطُو على دارِنا قَسْرًا ويُقْصينَا[12]
فيا جبالُ اقذِفي الأحجارَ من حُمَمٍ ... ويا سَمَاءُ أمْطِري مُهْلًا وغِسْلينَا[13]
ويا كواكبُ آنَ الرَّجْمُ فانطلقي ... ما أنتِ، إنْ أنتِ لم تَرْمِ الشياطينا؟[14]
ويا بحارُ اجْعَلي الماء الأجَاجَ دَمًا ... إذا عَلَت رَايةٌ يَوْمًا لصهيونَا[15]
العَهْدُ عِنْدُهُم خَلْفٌ ومجحَدَةٌ ... فما رأيناهُمُ إلَّا مُرَائينَا[16]
ما ذَلِكَ السمُّ في الآبارِ؟ ويلَكُمُ! ... وَمَنْ نُحَارِبُ؟ جُنْدًا أم ثَعابينَا[17]
مَرْحَى بدولتِهِمْ! ماتت لمولدِها ... فكانَ ميلادُها حُزْنًا وتأبينَا
جاءوا مُهَنِّينَ أرْسالًا على عَجلٍ ... فحينمَا نطَقُوا كانُوا مُعزِّينا
وآضَ تصفِيقُهُمْ نَوْحًا ومندَبةً ... وأصبحَ البِشْرُ تقطِيبًا وتَغْصِينَا[18]
رِوايةً ما أقامُوا سَبْكَ حَبْكَتِها ... ولا أجَادُوا لهَا لَفْظًا وتلقِينَا[19]
قد حيَّرتْنَا، أمأساةٌ؟ أمهزلَةٌ؟ ... فالسُّخْفُ يُضْحِكُنا والجهلُ يُبكينَا
أهْلًا بها دَوْلةً ضاقَ الفضاءُ بها ... فَتْحًا وغَزْوًا وإعْزازًا وتَمكينَا
لها قوانينُ من عَدْلٍ ومَرْحَمَةٍ ... قد نَفَّذُوا بعْضَها في «دَيْرِ ياسينَا»[20]
أسْطُولُها يملأُ البحر المحيطَ دَمًا ... وجيشُهَا يملأُ الآطَامَ تَحصينَا[21]

* * *

نفسي فِدَاءُ فلسطينٍ وما لَقِيتْ ... وهل يناجي الهوى إلَّا فِلسْطينا؟
نفسي فِدَاءٌ لأُولَى القبلتين غدتْ ... نَهْبًا يُزاحِمُ فيه الذئْبُ تِنِّينَا[22]
قلبُ العروبَةِ إن تَطعنْهُ زعنفَةٌ ... كُنَّا لها ولأشقاهَا طوَاعينَا[23]
وقلعَةُ الشرقِ إن مُسَّتْ جوانِبُها ... خُضْنَا لها جُثَثَ القتلَى مَجَانينَا
وأسْطُرٌ من تواريخٍ مُخَلَّدةٍ ... كانت لمجدِ بَني الفُصْحَى عَناوينَا
فقبِّلُوا تُرْبَ «حطِّينٍ» فإنَّ بهِ ... دَمَ البُطُولةِ مِنْ أيام «حطينَا»[24]
أرْضٌ بذَلْنَا بَها الأرواحَ غاليةً ... داعين للهِ فيها أو مُلَبِّينَا
ومسجِدٌ نزلَ المختارُ ساحتَهُ ... نمُوتُ فيه ونحْيَا مُسْتميتينَا[25]
أنرتَضِي أنْ نَرى مِيراثَنا بَدَدًا ... ونكتفي بدموعٍ في مآقِينَا؟!

ما قيمةُ النَّفسِ إن هانَتْ لطائفةٍ ... اللـه صَوَّرَ فيها الذُّلَّ والهُونَا؟[٢٦]
وما نقولُ لأبطالٍ لنا سَلَفوا ... إذا تهدَّم ما كانُوا يَشيدونَا؟
وما نقولُ لعمرو حينَ يسألُنا ... إن لم نُجِبْ قبلَهُ بالسيفِ غازِينَا؟[٢٧]
أتلكَ أندلُسٌ أُخْرى؟ فقد نبشَتْ ... من حقدِ ساداتِهمْ ما كان مدفُونَا[٢٨]
سُحْقًا لسكِّينِ «فرديناند» كم ذبَحتْ ... واليومَ تشحَذُ أمريكا السكاكينا!![٢٩]
قد شرَّدُوا العُرْبَ واستاقُوا حرائِرَهُمْ ... فأينَ فِتيانُنا؟ أيْنَ المحامُونا؟[٣٠]
من كُلِّ عَادٍ له في الشرِّ فلسفةٌ ... أسرارُهَا عند مُوشَى وابن غُرْيونا[٣١]
لا يَعْرِفُ الرُّزْءَ في أهلٍ ولا ولدٍ ... ولا يرى غيرَ جمعِ المالِ قانونَا[٣٢]
الألفُ تصبحُ في كفَّيهِ بين رِبًا ... وبينَ ما لستُ أدريهِ ملايينَا
إن كان يحميهُم المالُ الذي جمعُوا ... فإنَّ خالقَ هذا المال يَحمينَا
قالوا: أسُودٌ. فقُلنا: في الجحورِ نَعَمْ ... فإن خرجتُمْ يَعُدْ كُوهينُ كُوهينَا

* * *

بني العُرُوبةِ هذا اليومُ يومُكُمُ ... سيرُوا إلى الموتِ إنّ الموتَ يُحيينَا
وخلِّفُوا للعُلا والمجدِ خالدةً ... تبقى حديثَ اللَّيالي في ذَرَارينا[٣٣]
لقد صَدِئْنا ودُون الغِمدِ منفسَحٌ ... فجرِّدُوا حَدَّ مَاضينا لآتينَا
وقَرِّبُوهُمْ قرابينًا مُحَوَّرةً ... للسيفِ إن يَرْضَ هاتيكَ القرابينَا[٣٤]
ماذا إذا مَا فَقدنا إرْثَ أُمَّتِنَا ... وما الذي بعدَهُ يبقى بأيْدِينَا
ذُودُوا كما يدفَعُ الضِّرغَامُ في غضبٍ ... عن العرِين أبَاةً شَمَّرِيِّينَا[٣٥]
لا ترهَبُوا القومَ في مالٍ وفي عددٍ ... إن الفقاقيعَ تطْفُو ثم يَمْضينَا

* * *

إن لم تَصُونوا فَلِسْطِينًا وجبهتها ... ضاعت عُرُوبتُنا وانفضَّ نَادينَا
فإنَّ للشرقِ أعْدَاءً ذوِي إحَنٍ ... اللهُ يكفيهِ نجواهُمْ ويكفينَا![٣٦]
لهُمْ سِهامٌ خفياتٌ مسمَمةٌ ... من السياسة تَرْميهِ وتَرْمينَا
كم نمقوا صُوَرًا شتَّى وكَمْ خلَقُوا ... للغدْرِ والفتكِ أشكالًا أفَانينَا

* * *

يا جَيْشَ مِصْرَ ولا آلوكَ تهنئةً ... حقَّقْتَ ظَنَّ الليالي والمُنَى فينَا[37]
وصَلْتَ آخِرَ عُلْيانا بأوَّلِهَا ... فما أواخِرُنَا إلَّا أوالينَا
أعَدْتَها وثبةً بدريَّةً صرعَتْ ... دُهَاةَ جيشٍ يهوذا والدَّهاقِينَا[38]
شجاعةٌ مزَّقتْ أحلامَ ساستِهمْ ... وعلَّمتْ مُترفِيهم كيفَ يصْحُونَا
تسيرُ من ظَفَرٍ حُلْوٍ إلى ظفرٍ ... مُبَارَك الفتحِ والرَّاياتِ ميمُونَا
فيكَ الملائِكُ أجْنَادٌ مُسَوَّمَةٌ ... أعْلامُها تتهادَى حَوْلَ جِبْرينَا[39]
وفيكَ من مُهجَاتِ النيلِ ناشِئةٌ ... فيها مَطامِحُنا، فيها أَمَانينَا
يمشون للموتِ في شوقٍ وفي جَذَلٍ؛ ... لأنَّهُمْ في ظِلال اللهِ يمشُونَا
إن شَكَّ في عَزمةِ المصريّ مُخْتَبَلٌ ... فبيْن فِتْيانِنا يلْقى البرَاهينَا
لا يستطيعُ خَيَالٌ وصْفَ جُرْأتِهمْ ... ويعجزُ الشعرُ تصويرًا وتَلْوينًا
هُمْ رياحينُ مصرٍ نَضْرَةً وشذًا ... لا أنْبَلَ اللهُ هاتيكَ الرياحينَا
صانَ الإلَهُ لجيشِ الشرقِ عِزَّتَهُ ... وصَانَ أبطالَهُ الغُرَّ الميامينا[40]

هوامش

(١) تألق: ازدهر. عوالينا: أعالينا.

(٢) الأيك: الشجر الملتف والمقصود الحدائق.

(٣) «خوفو» ملك من ملوك مصر القديمة وباني الهرم الأكبر. لها دون الورى: انفردت عن الخلق. عدنان: جد العرب.

(٤) سلسله: عذوبته وصفاؤه. أتون: الأخدود من النار.

(٥) عقيقًا: نوع من الأحجار الكريمة حمراء اللون. النقع: الغبار. مسك دارينا: طِيب من منطقة البحرين ينسب إليها المسك.

(٦) عمرو: هو عمرو بن العاص داهية العرب وفاتح مصر في عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما. مينا: ملك من ملوك مصر الفرعونية، وهو أول من وحد الوجهين البحري والقبلي لمصر.

(٧) لا ينفك: لا يُحل ولا يتفكك. مكنونا: مخزونا.

(٨) ماحقة: قضت عليها.

(٩) عرنينا: أنفًا وكبرياء.

(١٠) الظبا: الظباء. نواصينا: جهاتنا وأرضنا.

(١١) قبرة: نوع من الطيور صغير. رعناء: حمقاء. الوكر: العش. الشواهينا: نوع من الطيور الجارحة وهي الصقور المدربة على الصيد.

(١٢) تائه: ضال وليس له وطن إشارة إلى اليهودي التائه.

(١٣) حمم: نار ملتهبة. مهلًا: نحاسًا مذابًا. غسلينا: ما اغتسل من لحوم أهل النار ودمائهم.

(١٤) الرجم: القتل وأصله الرمي بالحجارة.

(١٥) الأجاج: المالح. صهيون: أتباع صهيون من اليهود الذين أقاموا إسرائيل.

(١٦) خلف: كذب. مجحدة: نكران. مراثينا: منافقين.

(١٧) كان اليهود يضعون السم في آبار العرب في أوائل حربهم في الأربعينيات.

(١٨) آض: رعج وأصبح.

(١٩) سبك حبكتها: إعدادها.

(٢٠) دير ياسين: قرية في فلسطين قام اليهود بذبح نسائها وشيوخها وأطفالها عندما احتلوها في حربهم الأولى ضد العرب.

(٢١) الآطام: البيوت المغلقة.

(٢٢) أولى القبلتين: بيت المقدس وبها المسجد الأقصى.

(٢٣) زعنفة: جماعة ليس أصلهم واحد. لأشقاها: الشديد العسر. طواعينا: محاربين ومصيبين لهم.

(٢٤) حطين: اسم بلد في الشام اشتهرت بالمعركة التي انتصر فيها القائد صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين.

(٢٥) مسجد: المسجد الأقصى. المختار: سيدنا محمد، عليه الصلاة والسلام.

(٢٦) الهونا: الهوان.

(٢٧) عمرو: عمرو بن العاص القائد العربي الشهير.

(٢٨) يشير إلى مأساة انهيار حكم العرب في الأندلس.

(٢٩) فرديناند: قائد من قواد الفرنجة استطاع بالخديعة والدهاء أن يطرد العرب من الأندلس خاصة بعد ضعفهم وانقسامهم.

(٣٠) استاقوا: أسروا واستعبدوا. حرائرهم: نساؤهم الأحرار.

(٣١) عاد: متجن ظالم. موشى وابن غريونا: هو موسى شرتوك وبن غريون من أوائل وزراء دولة إسرائيل.

(٣٢) الرزء: المصيبة.

(٣٣) ذرارينا: ذريتنا أي: أبناؤنا.

(٣٤) قربوهم: قدموهم. قرابينا: ما يتقرب به إلى الرفعة والمجد. محورة: ملونة بلون الدم.

(٣٥) الضرغام: الأسد. شمرييننا: مختالينا.

(٣٦) إحن: حقد.

(٣٧) آلوك: أرسل إليك رسالة.

(٣٨) بدرية: نسبة إلى غزوة بدر التي انتصر فيها المسلمون على الكفار. جيش يهوذا: جيش اليهود الصهاينة. الدهاقينا: الزعماء في الدين.

(٣٩) جبرينا: سيدنا جبريل.

(٤٠) الميامينا: المباركين.

رثَاءُ شوقي

احتفلت الحكومة المصرية بتأبين المرحوم أحمد شوقي بك، فاجتمع لذلك بدار الأوبرا حفل حاشد في سنة ١٩٣٢م، حضره شعراء بعض الدول العربية، وقد ألقيت هذه القصيدة في هذا الحفل.

هَلْ نَعَيْتُم لِلْبُحْتُرِيِّ بَيَانَهْ! أَوْ بَكَيْتُم لِمَعْبَدٍ أَلْحَانَهْ![١]
أَوْ رَأَيتُم رَوْض الْقَريضِ هَشِيمًا بعْدَمَا قَصَّف الرَّدَى ريحانَه!
فُزِّعَتْ طَيْرُه، فَحَوَّمْنَ يَبْكِيـ ـنَ ذُبُولَ الْخَمِيلَةِ الْفَيْنَانَهَ
كُنَّ فِي ظِلِّهَا يُغَنِّينَ لِلشَّرْ ـقِ وَيْنهضْنَ لِلْعُلَا شُبَّانَه
كُنَّ فِي ظِلِّها يُحَيِّينَ مَجْدًا صَاعِدًا، ضَلَّتِ النُّجُومُ مَكَانَه
كُنَّ فِي ظِلِّها يُنَاغِينَ آما لًا ويَبْعَثْنَ هِمَّةً وَهْنَانَهْ
أَيُّهَا الطَّيْرُ ضَنَّ مَاءُ الْقَوافِي فَبذَلْنَا دُمُوعَنَا الهَتَّانَهْ[٢]
مَاتَ يَا طَيْر صَادِح تَسْجُدُ الطَّيـ ـرُ إذّا رَجَّعَ الصَّدَى تَحْنَانَهْ
نَبَرَاتٌ تَخَالُهَا صَوْتَ دَاوُ دَ بِلَفْظٍ تَخَالُهُ تِبْيَانَهْ[٣]
عَلَّمَتْ الابْتِسَامَ زنْبَقَةَ الْوَا دِي وَأَوْحَتْ لِغُصْنِهِ مَيَلَانَهْ[٤]
مَاتَ شَوْقِي، وَكانَ أَنفَذَ سَهْمٍ صَائِبِ الرَّمْيِ مِنْ سِهَامِ الكِنَانَهْ[٥]
ابْكِ لِلشَّمْسِ في السَّمَاءِ أَخَاهَا وَابْكِ لِلدَّهْرِ قَلْبَهُ وَلِسَانَهْ
وَابْكِهِ لِلنُّجُومِ، كَم سَامَرَتْهُ مَالِئَاتٍ بِوَحْيِهَا آذَانَهْ[٦]
وَابْكِ لِلرَّوْضِ وَاصِفًا يَخْجَلُ الرَّوْ ضُ إذَا هَزَّ بالْيَرَاعِ بَنَانَهْ[٧]
وَابْكِهِ لِلْخَيالِ صَفْوًا نَقِيًّا إنَّهُ كَانَ في الْوَرَى تُرْجُمَانَه

* * *

مَلَأَ الشَّرْقَ مَوْتُ مَنْ مَلَأَ الشَّرْ ... ـقَ حَـيَـاةً وقُـوَّةً وَزَكَـانَـهْ[٨]
كَمْ يَتِيمٍ مِنَ الْمَعَانِي غَرِيبٍ ... مَسَحَتْ كَفُّهُ عَلَيْهِ فَصَانَه[٩]
وَشَمُوسٍ رَنَا إلَيْهِ، فَأَلْقَى ... رَأْسَهُ خَاضِعًا وأَعْطَى عِنَانَهْ[١٠]
ونَفُورٍ أَزْرَى بِصَيَّادِهِ الطَّبـ ... ـبِ وأَعْيَا قِسِيِّهُ وَسِنَانَهْ[١١]
نَظْرَةٌ تَلْتَقِي بِهِ يَنْهَبُ الْوَا ... دِي، وأُخْرَى تَرَاهُ يَطْوِي رِعَانَهْ[١٢]
تَسْبِقُ السَّهْمَ عَيْنُهُ، فَتَرَاهُ ... يَتَلَوَّى تَلَوِّيَ الخَيْزُرَانَه[١٣]
ثمَّ يَخْفَى، فَلَا تَرَاهُ عُيُونٌ ... ثُمَّ يَبْدُو، فَلا تَشُكَّ عِيَانَه
أَجْهَدَ الْفَارِسَ الْمُلِحَّ، وَأَفْنَى ... نَبْلَهُ حَوْلَهُ، وَأَضْنَى حِصَانَه
وَهُوَ يَعْدُو: لَا الرَّأْسُ مَالَ مِنَ الأَيـ ... ـنِ، وَلا قَلْبُهُ شَكَا خَفَقَانَهْ[١٤]
مَدَّ شَوْقِي إِلَيْهِ نَظْرَةَ سِحْرٍ ... عَوَّقَتْ دُونَ شَوْطِهِ جَرَيَانَهْ
فَأَتَى مِشْيَةَ الْمُقَيَّدِ يَسْعَى ... بَيْنَ هَوْلٍ وَذِلَّةٍ وَاسْتِكَانَه[١٥]

* * *

غَزَلٌ كالشَّبَابِ يَنْضَحُ آما ... لًا وَيَهْتَزُّ فِي حلًى فَتَّانَهْ
تَسْمعُ الْحُبَّ في نَواحِيهِ هَمْسًا ... يَتَنَاجَى، ويَشْتَكِي أَشْجَانَه
وتُحِسُّ الْهَوَى يِرِفُّ حنانًا ... شَرَكُ الحُبِّ أَنْ تُحِسَّ حَنَانَه![١٦]
وَإِذَا جَالَ وَاصِفًا رَاعَك الْحُسـ ... ـنُ، وَأَكْبَرْتَ فنَّهُ، وافْتِنَانَه
صُوَرٌ زَيْتُها بِيَانٌ سَرِيٌّ ... مَزَجَ اللهُ وَحْدَهُ أَلْوَانَه[١٧]
لَوْ (رُفَائِيلُ) راءها، غَالَهُ الْبَهـ ... ـرُ، وَأَلْقَى أَلْوَاحَهُ وَدِهَانَه[١٨]
عَالِمٌ بالنُّفُوسِ ما غَاصَ مِيلٌ ... في خَفَايَا النُّفُوسِ حتَّى أَبَانَه
أَوْدَعَ الدَّهْرُ مِسْمَعَيْهِ عَنِ الكَوْ ... نِ حَدِيثًا فَلَمْ يُطِقْ كِتْمَانَهْ[١٩]
ذَاكَ سِرُّ الإِلَه يَخْتَصُّ مَنْ شَا ... ءَ بآثَارِ فَضْلِهِ سُبْحَانَه!
وَرِثَاءٌ لَوْ كَان يَسْمَعُهُ المَيـ ... ـتُ لَأَحْيَا بِسِحْرِهِ جُثْمَانَه
عَرَفَ المَوْتَ والْحَيَاةَ جَمِيعًا ... ورَأى بَعْدَ حَيْرَةٍ بُرْهَانَه
وَالرِّوَايَاتُ، أَدْهَشَتْ كلَّ لُبٍّ ... ثُمَّ أَرْبَتْ، فَأَدْهَشَتْ شَيْطَانَه[٢٠]
يُغْمِضُ الْعَيْنَ في اضْطِرَابٍ إِذَا حسـ ... ـسَ طُروقَ الْإِلْهَام أَوْ غِشْيَانَه[٢١]

ثُـمَّ يُـمْـلـي كَـأَنـهُ مِـنْ كِـتـابٍ قَـارِئٌ فِـي سُـهـولَـةٍ ومَـرَانَـهْ[٢٢]
جَوْهَرِيّ وَدَّ الكواعِبُ لَوْ يَشْرِيـ ـنَ يـومًـا بِـحُـسْـنِـهـنَّ جُـمَـانَـه[٢٣]
زَانَ مِصْرًا بلؤلؤٍ يَبْهَرُ الْعَيـ ـنَ، وَأَوْلَى تَارِيخَهَا عِقْبَانَهْ[٢٤]

* * *

كَانَ صَبًّا بِمِصْرَ كَمْ هَامَ شَوْقًا بِـرُبَـاهَـا وَبَـثَّـهَـا أَحْـزَانَـهْ
دَفَنَ اللَّهْوَ وَالصَّبا فِي ثَرَاهَا وَطَوَى مِنْ شَبابِه عُنْفُوَانَه
هِيَ بُسْتَانُهُ، فَغَرَّدَ فِيهِ وحَبَا كُلَّ قَلْبِهِ بُسْتانَه
يحْرُسُ الْفَنَّ في ظِلَالِ نَوَاحِيهِ وَيَرْمِي عَنْ دَوْحِهِ غِرْبَانَه
يَعْشَقُ النِّيلَ، والخَمَائِلُ تَهـ ـتَزُّ بِشَطَّيْه خُضْرَةً وَلَدَانَهْ[٢٥]
يَعْشَقُ النِّيلَ، وَالْجزِيرَةُ تُغْرِيـ ـهِ، وَقَدْ لَفَّ حَوْلَهَا أَرْدَانَهْ[٢٦]
يَعْشَقُ الْجِسْرَ، وَالسَّفَائِنُ تهَفْوُ حَوْلَهُ كَالْحَمائِم الظَّمْآنَهْ[٢٧]
وَيُحِبُّ السَّوَادَ مِنْ عَيْنِ شَمْسٍ مَالِئًا مِنْ رُوَائِهِ أَجْفَانَه[٢٨]
كُلُّ شَيءٍ بِمِصْرَ يَبْهَرُ عَيْنَيـ ـهِ جَمَالًا، وَيَسْتَثِيرُ جَنَانَه[٢٩]
كُلَّمَا هَزَّهُ إِلَى الشِّعْرِ شَوْقٌ جَذَبَ الْحُبُّ نَحْوَهَا وِجْدَانَه
فَشَدَا بِاسْمِهَا كَمَا تَصْدحُ الطَّيـ ـرُ، وَقَدْ شَمَّرَ الدُّجَى طَيْلَسَانَهْ[٣٠]
وَجَلَا مَجْدَهَا الْقَدِيمَ جَدِيدًا بَعْدَمَا هَدَّمَ الْبِلَى أَرْكَانَهْ[٣١]
فِي خُشُوعٍ يُشِيدُ باسْم (فُؤَادٍ) مِثْلَمَا رَدَّدَ المُصَلِّي أَذَانَهْ[٣٢]
مَلِكٌ مَدَّ لِلْفُنُونِ يَمِينًا عَلَّمَتْ كُلَّ مُحْسِنٍ إِحْسَانَهْ
نَظْرَةٌ مِنْهُ زَادَتْ الشِّعْرَ زَهْوًا وَأَعَادَتْ لِعَهْدِهِ رَيْعَانَه[٣٣]
نَحْنُ فِي ظِلِّ تَاجِهِ فِي زَمَانٍ وَدَّ (هَارُونُ) أَنْ يَكُونَ زَمَانَه[٣٤]

* * *

أَوَّلُ السَّابِقِينَ شَوْقِي، إِذَا جَا لَ ذَوُو السَّبْقِ يَبْتَغُونَ رِهَانَهْ
شِعْرهُ حِكْمَةٌ، وَصِدْقُ خَيَالٍ وَجَمَالٌ، وَرَوْعَةٌ، وَرَصَانَه
وَمَعَانٍ شَوْقِيَّةٌ، فِي سِيَاقٍ بُحْتُرِيٍّ، وَرِقَّةٌ فِي مَتَانَهْ
يَا مُجِيرَ الْفُصْحَى وَقَدْ عَقَّهَا الدَّهْرُ وَأَغْرَى بِقَوْمِها حِدْثَانَه![٣٥]
نَزَلَتْ فِي ذرَاكَ رَوْضًا مَرِيعًا هَدَلَ النُّوْرُ والْجَنَى أَغْصَانَه[٣٦]

واستَعَادَتْ حُسْن الشَّبَابِ وَكَانَتْ ... رَمَقًا بَيْنَ كَبْرَةٍ وَزَمَانَهْ[٣٧]
وَحَمَتْهَا يَدَاكَ مِنْ شَرِّ بَاغٍ ... فِي زَمَانٍ طَغَتْ عَلَيْهِ الرَّطَانَه[٣٨]
ذَكَّرَتْهَا رَنَّاتُ صَوْتِكَ قَوْمًا ... سَلَفُوا مِنْ هَوَازِنٍ وَكِنَانَهْ[٣٩]

* * *

رَفَعَتْ مِصْرُ رَايَةَ الشِّعْرِ فِي الشَّرْ ... ـقِ، وَأَوْلَتْ أَمِيْرَهُ صَوْلَجَانَهْ[٤٠]
وَمَشَى الدَّهْرُ في الْوُفُودِ إِلَى الـ ... ـبَيْعَةِ يَحْتَثُّ نَحْوَهُ رُكْبَانَه[٤١]
وَرَأَيْنَا مَجْدًا يُشَادُ لِمِصْرٍ ... يَعْجِزُ الْوَهْمُ أَنْ يَنَالَ قِنِانَهْ[٤٢]
وَسَمِعْنَا بِكُلِّ أُفْقٍ رَنِينًا ... رَدَّدَتْهُ الْقَصَائِدُ الرَّنَّانَه
هَكَذَا كُلُّ مَنْ يُرِيدُ خُلُودًا ... يَجْعَلُ الْكَوْنَ كلَّهُ مَيْدَانَهْ
هَكَذَا فَلْيَسِرْ إِلَى الْمَجْدِ مَنْ شَا ... ءَ، وَيَرْفَعُ بِذِكْرِهِ أَوْطَانَه

* * *

خُلُقٌ كَالنَّدَى وَقَدْ نَقَّطَ الزَّهـ ... ـرَ، فحَلَّى وَشْي الرِّياضِ وَزَانَه[٤٣]
وَصِبًا، يَمْلَأُ الزَّمَانَ ابْتِسَامًا ... وَحِجًا، يَمْلَأ الزَّمَانَ رَزَانَه[٤٤]
وسَمَاحٌ يَلْقَى الصَّرِيخَ بِوَجْهٍ ... تَحْسُدُ الشَّمْسُ في الضُّحَا لَمَعَانَه[٤٥]
شَمَمٌ في تَوَاضُعٍ، وَحَيَاءٌ ... فِي وَقَارٍ، وفِطْنَةٌ فِي لَقَانَه[٤٦]
وَحِديث حُلْوٌ، لَهُ رَوْعَةُ الشِّعْرِ، ... فَلَوْ كَانَ ذا قَوَافٍ لَكَانَهْ
ويَقينٌ بالله، ما مَسَّهُ الضَّعْفُ، ... وَلَا طَائِفٌ مِنَ الشَّكِّ شَانَه
هُوَ فِي الشَّمْسِ والكَوَاكِب نُورٌ ... وَهُوَ فِي الأَرْض وَالْجِبَالِ رَكَانَه[٤٧]
مَلَكَ الدِّينُ قَلْبَهُ وَهَوَاهُ ... وَجَلَا الشِّعْرُ ساطِعًا إيمَانَه
يَمْدَحُ الْمُصْطَفَى، فَتَلْمَحُ حُبًّا ... عَاصِفًا آخِذًا عَلَيْهِ كِيَانَه[٤٨]
وَتَرَاهُ يَذُودُ عَنْ آلِهِ الْغُرِّ، ... وَفَاءً لِحُبِّهِمْ وَصِيانَهْ
حَسْبُهُ أَنْ يَجِيءَ فِي مَوْقِفِ الـ ... ـحَشْر فَيَلْقَاهُ مَالِئًا مِيزَانه[٤٩]

* * *

طَوَّفَتْ حَوْلَهُ الْمَلَائِكَةُ الطُّهـ ... ـرُ، وَمَسَّتْ بِطِيبِها أَكْفَانَهْ
إِنَّ مَعْنَى الْحَيَاةِ فِيهِ مِنَ الْمَوْ ... تِ مَعَانٍ، لَوْ يَفْهَمُ الْمَرْءُ شانهْ

يُهْدَمُ الْمَرْءُ كُلَّ يومٍ وَيُبْنَى ثم يَهْوِي فَلا تَرَى بُنْيَانَه
نَحْنُ حَبٌّ فِي قَبْضَةِ الدَّهْرِ يُلـ ـقيهِ، وَيَجْنِيه مُدْرِكًا إِبَّانَه
نَحْنُ في دَوْحَةِ الْأَمَانِي زَهْرٌ يَهْصِرُ الْمَوتُ لِلْبلَى أَفْنَانَه
إن هَذِي الْحَيَاةَ بَحْرٌ، وَكُلٌّ بالِغٌ بَعْدَ سَبْحِهِ شُطْآنَه
قَدْ قَضَى اللهُ أَنْ نَكُونَ فَكُنَّا وَقَضَينَا، وَمَا قَضَيْنَا لُبَانَه[٥٠]

* * *

أَيُّهَا الرَّاحِلُ الْكَرِيمُ لَقَدْ كُنـ ـتَ سَوَادَ الْعُيُونِ أَوْ إِنْسَانَه[٥١]
نَمْ قَرِيرًا فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ، وَانْعَمْ بِرِضَا اللهِ، وَاغْتَنِمْ غُفْرَانَهْ[٥٢]
وَالْتَمِسْ نَفْحَةَ الرَّسُولِ، وَطَارِحْ فِي أَفَانِينِ مَدْحِهِ حَسَّانَه[٥٣]
كَيْفَ يُوفي الشِّعْرُ الَّذِي مَلَكَ الشِّعـ ـرَ، وأَلْقَى لِغَيْرِهِ أَوْزَانَه؟
وَرِثَاءُ الْبَيَانِ جُهْدُ مُقِلٍّ لِلَّذِي خَلَّدَ الزَّمَانُ بَيَانَه

هوامش

(١) نعيتم: النعي الإخبار بالموت. البحتري: شاعر عباسي اشتهر بالرقة والانسجام وجمال تصوير المعاني. ونقاء الأسلوب. بكيتم لمعبد إلخ: أخبرتم معبدًا بموت ألحانه. ومعبد: مغن مشهور بجمال الصوت وحسن التوقيع، عاش في أوائل الدولة الأموية.

(٢) ضن: بخل. القوافي: جمع قافية، والمراد الشعر، ويراد بماء القوافي جمالها ونضرتها. والهتانة: الهاطلة.

(٣) داود: من رسل الله — عليهم السلام — اشتهر بجمال صوته وحسن توقيع مزاميره.

(٤) الزنبق: الياسمين. والوادي: هو وادي النيل.

(٥) أنفذ: أمضى. والكنانة: جعبة السهام. وهي أيضًا مصر، وفي الأثر: مصر كنانة الله في أرضه.

(٦) سامرته: حادثته ليلًا.

(٧) اليراع هنا القلم. والبنان: أطراف الأصابع.

(٨) الزكانة: الفهم والفطنة.

(٩) اليتيم: الصغير الذي مات أبوه. ويتيم المعاني فريدها الذي لا يصل إليه الفكر النفاذ، والمسح على رأس اليتيم كناية عن الرفق والرحمة.

(١٠) الشموس: الفرس الجامح، ويراد بها المعنى المستعصي على القائل. رنا: أدام النظر، العنان: سير اللجام.

(١١) أزرى: احتقر، الطب: الخبير الحاذق، أعيا: أعجز. القسي: جمع قوس وهي آلة للحرب والصيد. والسنان: جمع سن: وهي طرف السهم.

(١٢) الرعان: جمع رعن وهو الجبل.

(١٣) العيان: المشاهدة.

(١٤) الأين: التعب.

(١٥) فأتى مشية المقيد: أتى يمشي كمشي المقيد، وهي مشية فيها تعثر وبطء.

(١٦) يرف: رف الطائر حرك جناحيه، وقد يرف الطائر على فرخه رف حنان ورحمة.

(١٧) سري: شريف.

(١٨) رفائيل: مصور إيطالي قديم بعيد الشهرة. راءها: رآها. غاله: اغتاله على غرة، البهر: العجب.

(١٩) المسمع: آلة السمع وهي الأذن.

(٢٠) يشير إلى ما ابتدعه شوقي من روايات شعرية تمثيلية.

(٢١) طروق الإلهام: نزوله، والمراد ورود المعنى الشعري إلى نفسه.

(٢٢) المرانة: اللين.

(٢٣) كان جوهريًّا، جواهره: المعاني الغالية، الكواعب: الفتيات الحسان، جمانه: اللآلئ.

(٢٤) العقبان: الذهب.

(٢٥) الخمائل: الأشجار الملتفة. واللدانة: اللين.

(٢٦) الجزيرة التي يكونها النيل أمام القاهرة حينما يتفرع فرعين، وهي كثيرة الحدائق رائعة المناظر، وتعد من أحسن متنزهات القاهرة. والردن: الكم والمراد هنا الذراع.

(٢٧) الجسر: المراد به جسر قصر النيل. تهفو: هفا الطائر حرك جناحيه.

(٢٨) السواد: سواد البلدة قراها التي حولها. وعين شمس: ضاحية من ضواحي القاهرة كان يسكن بها شوقي قبل أن ينتقل إلى الجيزة.

(٢٩) يستثير جنانه: يثير عواطفه.

(٣٠) شدا: غنى. والطيلسان: ثوب فضفاض أسود من لباس العجم.

(٣١) جلا: أظهر.

(٣٢) فؤاد: هو فؤاد الأول ملك مصر وقت شوقي.

(٣٣) الريعان: القوة.

(٣٤) هارون: هو هارون الرشيد، وقد كان عصره أزهى عصور الدولة في العلم والشعر والأدب.

(٣٥) الفصحى: اللغة العربية. عقها الدهر: ظلمها ولم ينصفها. الحدثان: النوب والمصائب.

(٣٦) الذرا: الكنف والجانب. مريعًا: مخصبًا ناضرًا. هدل: هدله أرخاه إلى أسفل. النور: الزهر. الجنى: ما يجنى ويجمع من ثمر أو نحوه.

(٣٧) الرمق: بقية الحياة قبل الموت. الكبرة: الشيخوخة والهرم. الزمانة: العاهة، وفعله زمن (كفرح).

(٣٨) الرطانة: التكلم بالأعجمية.

(٣٩) هوازن: قبيلة من قيس. كنانة: قبيلة من مضر.

(٤٠) الصولجان: عصا تجعل شعارًا للملك.

(٤١) يشير إلى حدث اجتماع شعراء الأقطار العربية في سنة ١٩٢٧م لمبايعة شوقي على إمارة الشعر.

(٤٢) القنان: جمع قنة بالضم وهي القمة.

(٤٣) الوشي: نقش الثوب.

(٤٤) الحجا: العقل. الرزانة: الوقار.

(٤٥) السماح: الكرم. الصريخ: المستغيث والملتجئ.

(٤٦) اللقانة: سرعة الفهم.

(٤٧) الركانة: الثبات والرسوخ.

(٤٨) المصطفى: نبينا، عليه الصلاة والسلام. تلمح: تنظر. عاصفًا: شديد الهبوب. كيانه: وجوده.

(٤٩) حسبه: كافيه.

(٥٠) قضى: حكم. وقضينا: متنا. وما قضينا: ما أدركنا. لبانة: غرضًا ومقصدًا.

(٥١) سواد العيون: الدائرة التي يحيط بها بياض العين. إنسانه: أي إنسان السواد. وهو الحدقة التي بها الإبصار.

(٥٢) قريرًا: مطمئنًّا.

(٥٣) نفحة الرسول: عطاء الرسول ﷺ وكرمه. أفانين: أنواع. حسانه: حسان بن ثابت.

إسماعيل العظيم

نشرت هذه القصيدة عندما احتفلت مصر في عام ١٩٤٥م بمرور خمسين سنة على وفاة الخديو إسماعيل.

حُسامٌ له مجدُ الخُلُودِ قِرابُ ... يحوِّم شعري حوله فيهابُ
وطَودٌ من العِزِّ الأشمِّ عَنَتْ له ... وُجوهٌ، ودانتْ بالوَلاءِ رِقاب[١]
وسرٌّ سماويٌّ ثَوى في ضريحه ... له من جَنَاحَيْ جَبْرَئيلَ قِباب[٢]
وقبرٌ كمحرابِ الصلاةِ مُطهَّرٌ ... عليه نعيمٌ وارفٌ وثواب
وكَنْزٌ به من جَنَّةِ الْخُلْدِ دُرَّةٌ ... تردُّ ثمينَ الدُّرِّ وهي سِخاب[٣]
وزَهْرٌ من الآمالِ رفَّ بروضةٍ ... بها الأرضُ مسكٌ، والنسيمُ مَلاب[٤]
إذا جاوزَتْهَا للرَّبابِ غمامةٌ ... سقاها من الحبِّ النَّدِيِّ رَبابُ[٥]
قلوبُ بني مصرٍ خوافقُ حولَها ... لها كلَّ حينٍ جَيْئةٌ وذَهاب
إذا غاب شخصُ العَبْقريِّ برَمْسِه ... فليس لفضلِ العبقريِّ غياب![٦]
وإن حَجَبتْ بِيض الأيادي مَنِيَّةٌ ... فليس على آثارهنّ حِجابُ![٧]
وكم من فتًى جاز الحياةَ وذكرُه ... له كلَّ يومٍ زَوْرَةٌ وإياب[٨]
وما مات مَنْ رَدَّ الحياةَ لأمَّةٍ ... وأحيا بها الآمالَ وهي يَباب[٩]
إذا المرءُ لم يُخْلِدْه فضلُ جهادِه ... «فكلُّ الذي فوق التُّرابِ تُراب»
وهل مثل إسماعيلَ في الناسِ عاهلٌ ... له فوق أحْداثِ الزمانِ وِثاب؟[١٠]
طموحٌ له في ذِرْوَةِ الدهرِ مأرَبٌ ... وفوق مَناطِ الفَرقَدَيْنِ طِلابُ[١١]
إذا صحَّ عزمُ المرء فالبحرُ ضَحْضَحٌ ... وإنْ خار فالنُّضْحُ اليسيرُ عُباب

وليست شِباكُ العزِّ إلَّا عزيمةً ... وما المجدُ إلا صولةٌ وغِلاب!
تَمُدُّ الليالي للجريءِ زمامَها ... وتعنو له الأيامَ وهي صِعاب[١٢]
وما كلُّ مَنْ أرخَى العِنانينِ فارسٌ ... ولا كلُّ داعٍ للنهوضِ مُجاب![١٣]
إذا ما عَددْنا مأثُراتِ يمينه ... على مصرَ لم ينفدْ لهنّ حساب[١٤]
دعاها فسارتْ خلفَهُ تُسْرعُ الْخطَا ... وهِمَّتُها للمُعْضِلات رِكاب
فما الشوكُ في أقدامِها حين صممتْ ... بشوكٍ، ولا صُمُّ الهضاب هِضاب[١٥]
إذا وَهَنَتْ أذكى لَظَى رَغَباتِها ... همامٌ له عند النجومِ رِغابُ[١٦]
وإن أظلمت طُرقُ المعالي أنارها ... من الرأيِ منه والذكاء شِهاب[١٧]
رأتْ مصر فيه عاهلًا عزَّ نِدُّه ... ومن أيْن للبدرِ المنيرِ صحابُ؟
حباها أبو الأشبال جُرْأَةَ ضَيْغَمٍ ... له ظُفرٌ يفرِي الخطوبَ وناب[١٨]
وأزْلفها ملءَ النواظِرِ جَنَّةً ... تميد بها الأغصانُ وهي رِطاب[١٩]
وألبسها من نهضةِ الغربِ حُلَّةً ... وكم زانتِ الغيد الملاحَ ثياب!
ففي كل حَيٍّ للعلوم منابرٌ ... وفي كلِّ ركنٍ للفنونِ رِحاب!
وأين رميتَ الطَّرْفَ تلقَى معالِمًا ... سوامقُها فوقَ السحابِ سحاب[٢٠]
عجائبُ صُنْعٍ يصغُرُ الدهرُ دونَها ... وكلُّ فعالِ الخالدين عُجابُ![٢١]
وجُهْدٌ من الفولاذِ ما كَلَّ زَنْدُه ... وصادقُ عزمٍ ليس فيه كِذاب[٢٢]
وللجُهدِ في الدنيا نصابٌ وطاقةٌ ... وليس لجُهدِ العبقريِّ نِصاب![٢٣]

* * *

أبا مصرَ، هل تُصغي وللشعرِ دَمعَةٌ ... بها الحبُّ صَفْوٌ، والوفاءُ مُذاب؟
أتذكُرُ يومًا بالقناةِ وقد سعتْ ... شُعوبٌ، وسالتْ بالملوكِ شِعاب؟[٢٤]
وأنت تؤُمُّ الْحشْد جذلانَ هانئًا ... ونجمُك لم يحجبْ سَناه ضباب[٢٥]
ومصر بمحييها تتيهُ وتنثني ... كما لعبتْ بالعاشقين كَعَاب[٢٦]
موائدُ لو مرَّتْ بأوهامِ حاتمٍ ... رأى أنّ مدحَ المادحين سِبَاب[٢٧]
وموْكِبُ عِزٍّ ما رأى النيلُ مثلَه ... ولا خَطَّه في السابقين كِتابُ
تمنَّت نجومُ الأفْق رَوْعَةَ زَهوِه ... وسال لشمسٍ أبصرتْهُ لُعَاب[٢٨]

* * *

تفيأتَ ظلَّ الله خمسين حجةً ... وجنَّاتُه للعاملين مَثاب[٢٩]
وأدرك مصرًا من بنيك صَوارمٌ ... مواضٍ إذا اشتد الزمانُ صِلَاب[٣٠]
كرامٌ إذا نُودُوا أجابوا، وإن هُمُ ... رَموْا جبهةَ الرأي البعيدِ أصابوا
وهل كفؤادٍ في البريَّةِ مالكٌ؟ ... وهل كلُبَابِ المجد فيه لُبَاب؟[٣١]
لهُ عزمةٌ وثَّابةٌ عَلَويَّةٌ ... تردُّ صُرُوفَ الدهرِ وهي حرَاب[٣٢]
إذا ما امترى في المعجزاتِ مكابرٌ ... فسيرتُه للممترين جواب[٣٣]
ومَن مثلُ فاروقٍ وللعرشِ عزَّةٌ ... وللمُلْكِ والمَجدِ الأثيلِ مَهَابُ؟[٣٤]
مضاءٌ وإقدامُ وجودٌ وصولَةٌ ... وآمالُ حُرٍّ طامحٍ وشباب[٣٥]
سعَى لرسولِ الله يحدوه شوقُه ... وللشوقِ والحبِّ الصميمِ جِذاب[٣٦]
يناجيه فَيَّاض المدامِع خاشعًا ... صَموتًا، وصَمْتُ الخاشعين خطاب
رأى فيه رَضْوَى مثلَه في ثباتِه ... وحيَّاه من رَحب البقيعِ جَنَاب[٣٧]
حصيفٌ له في موقف الحقِّ صَوْلَةٌ ... ورأيٌ إذا غُمَّ الصوابُ صوابُ[٣٨]
يجمِّع شملَ العُرْبِ في ظلِّ وَحدَةٍ ... كما جَمَع الأُسْدَ الضراغمَ غاب[٣٩]
إذا ابتسموا فالباتراتُ بواسمٌ ... وإن غضبوا فالباتراتُ غِضاب[٤٠]
وفي كلِّ يومٍ مِنَّةٌ بعد مِنَّةٍ ... إذا ما انقضى بابٌ تفتَّح بابُ[٤١]
وكلٌّ أيادي غيرِه حُلْمُ حالمٍ ... وكل نوالٍ من سواه سَراب[٤٢]
عتبنا على الدنيا فمذ أشرقتْ به ... تقضَّى خِصامٌ بيننا وعِتاب[٤٣]
وصُغنا له من كل ما تُبدعُ النُّهَى ... روائعَ، لم يُبذَلْ لهنَّ نِقَاب[٤٤]
فلا زال موفورَ الجلالِ مُسدَّدًا ... يُجيبُ إذا تدعو العُلا وَيُجاب![٤٥]

هوامش

(١) طود: جبل.

(٢) ثوى: أقام. قباب: أبنية ذات قباب.

(٣) سخاب: عقد من خرز صنع من الطين.

(٤) رف: برق وتلألأ. مسك: رائحته ذكية. ملاب: عطر أو نبات الزعفران.

(٥) جاوزتها: تركتها. للرباب: السحاب الأبيض والأسود. غمامة: سحابة. النديّ: المبلل. رباب: السحاب الممتلئ بالماء.

(٦) رمسه: قبره.
(٧) بيض الأيادي: العطايا والمنن والإحسان.
(٨) جاز الحياة: ترك ومات. زورة: زيارة. إياب: عودة.
(٩) يباب: قفر، خراب.
(١٠) عاهل: ملك. وثاب: ثبات في المكان.
(١١) ذروة: أعالي الشيء. مأرب: غاية. مناط: مجمع الشيء. الفرقدين: نجمان قريبان من القطب. طلاب: أعطاه ما طلبه.
(١٢) زمامها: قيادتها. تعنو له: تخضع له.
(١٣) أرخى العنانين: أرسل مقود الفرس.
(١٤) مأثرات: مآثره.
(١٥) صم: الصخرة الصماء الصلبة. هضاب: المرتفع من الأرض.
(١٦) وهنت: ضعفت. أزكى: أوقد. لظى: النار. رغاب: أمر مرغوب.
(١٧) شهاب: شعلة من نار ساطعة.
(١٨) ضيغم: أسد. ظفر: مخلب. يفري: يقطع.
(١٩) أزلفها: قدمها وأظهرها. تميد: تتحرك. رطاب: طرية خضراء.
(٢٠) سوامقها: معالمها العالية المرتفعة.
(٢١) فعال: الفعل الحسن.
(٢٢) كل: تعب. زنده: موصل طرف الذراع إلى الكف.
(٢٣) نصاب: قدر محدود.
(٢٤) سالت: تدفقت. شعاب: طرق.
(٢٥) تؤم: تقود. جذلان: فرحًا.
(٢٦) كعاب: الفتاة التي برز نهداها في أول شبابها.
(٢٧) حاتم: حاتم الطائي ويضرب به المثل في الكرم. سباب: شتيمة.
(٢٨) لعاب: لعاب الشمس: خيوط شعاعية تنحدر من السماء وقت الظهيرة.
(٢٩) مثاب: موضع.
(٣٠) صوارم: السيوف القواطع. مواضٍ: حادة. صلاب: صلبة قوية.
(٣١) لباب: خالص.
(٣٢) علوية: نسبة إلى محمد علي باشا رأس الأسرة العلوية. صروف الدهر: أحداثه.

(٣٣) امترى: شك فيه.
(٣٤) الأثيل: العظيم. مهاب: جلال ومخافة.
(٣٥) صولة: وثوب وشجاعة. طامح: مرتفع نظره إلى العلا.
(٣٦) يحدوه: يدفعه. جذاب: انجذاب.
(٣٧) رضوى: جبل رضوى الشهير بالحجاز. رحب: متسع. البقيع: مكان في مكة المكرمة يدفن فيه المسلمون منذ أوائل الإسلام. جناب: فناء.
(٣٨) حصيف: ذو رأي سديد. صولة: جولة. غم: التبس وخفي.
(٣٩) الضراغم: العظام. غاب: الأجمة كثيرة الأشجار.
(٤٠) الباترات: القاطعات.
(٤١) منة: إحسان. انقضى: انتهى، أغلق.
(٤٢) سراب: ما يرى كأنه ماء.
(٤٣) تقضى: انتهى.
(٤٤) النهى: العقول.
(٤٥) مسددًا: سديد الخطى.

الحُب

نظمت هذه القصيدة في صيف سنة ١٩١٦م.

عَـاجَ الْـخَـيـالُ فـلـم يَـبُـلْ أُوَامَـا ومَضَى وَخَلَّفَ فِي الضلُوعِ ضِرامَا[١]
ما لـي ولِلْكَحْلاء! هِجْتُ عُيُونَها فَـمَـلَأْنَ قَـلْـبِـي أَنْـصُـلًا وسِـهـامـا[٢]
يا قَلْبُ وَيْحَك! ما سَمِعْتَ لناصِحٍ لَـمَّـا ارْتَـمـيْـتَ، ولا اتَّـقـيْـتَ مَـلامـا[٣]
لَعِبَتْ بِكَ الْحَسْنَاءُ، تَدْنُو ساعةً فَـتُـثِـيـرُ مـا بِكَ، ثُـمَّ تَـهْـجُـرُ عَـامـا
وَالْـحُـبُّ مـا لَـمْ تَـكْـتَـنِـفْـهُ شَـمَـائِـلٌ غُـرٌّ يَـعُـودُ مَـعَـرَّةً وَأَثـامـا![٤]
والْـحُـبُّ أَحْـلَامُ الـشَّـبَـابِ هَـنِـيـئَـةً مَـا أَطْـيَـبَ الأيـامَ والأَحْـلَامـا!
والْـحُـبُّ نـازِعَـةُ الْـكَـرِيـمِ تَـهُـزُّهُ فَـيَـصُـولُ سَـيْـفًـا أَو يَـسِـيلُ غَـمـامـا![٥]
والْـحُـبُّ مَـلْـهَـاةُ الْـحَـيـاةِ وَطِـبُّـهَـا وَلَـقَـدْ تـكُـونُ بِـهِ الْـحَـيـاةُ سَـقـامًـا![٦]
والْـحُـبُّ نِـيـرَانُ الْـمَـجُـوسِ، لَـهِـيـبُـهَـا يُـحْـيِـي النفُوسَ، ويَـقْـتُـلُ الأَجْـسـامـا![٧]
والْـحُـبُّ شِـعْـرُ النَّـفْـس إِنْ هَـتَـفَـتْ بِـهِ سَـكَـتَ الْـوُجُـودُ وأَطْـرَقَ استعْظَامـا!
وَالْـحُـبُّ مِـنْ سِـرِّ الـسَّـمـاء فـسـمِّـهِ وَحْـيًـا إِذَا مـا شِـئـتَ أو إِلْـهَـامَـا
لَـوْلَاهُ مـا أَضْـحَـى ولِـيـدُ زَبِـيـبَـةٍ يَـوْمَ الـتَّـفَـاخُـرِ سـيِّـدًا مِـقْـدامـا[٨]
وَلَمَا رَمَى في الْجَحْفَلَيْنِ بِصَدْرِهِ لَا يَـتَّـقِـي رُمْـحًـا ولا صَـمْـصَـامـا
الْـحُـبُّ أَلْـبَـسَـهُ الْـمُـرُوَءَة يـافِـعًـا وَأَعَـدَّهُ لِـلْـمَـكْـرُمـاتِ غُـلامـا

* * *

يَا شَدَّ ما فَعَلَ الْغَرَامُ بِمُهْجَةٍ ذَابَتْ أَسًى وَصَبَابَةً وَهُيَامـا!

كَانَتْ صَؤُولًا لا تُنِيلُ خِطَامَها فَغدتْ أَذَلَّ السَّائِمَاتِ خِطَاما![٩]
سَكنَتْ إِلَى حُلْو الْغَرَام وَمُرِّهِ ورَعَتْ عُهُودًا لِلْهَوَى وذِمَاما[١٠]
وَطَوَتْ أَحَادِيثَ الْجَوَى فَطَوَتْ بِها دَاءً يَدُكُّ الرَاسِيَاتِ عُقَامَا[١١]
نَالَ الضَّنَى مِنْها الَّذِي قَدْ نَالَهُ فَعَلامَ رَوَّعَها الصُّدُودُ عَلاما؟[١٢]

* * *

يا زَهْرَةً نَمَّ النسيمُ بِعَرْفِهَا وَجَرَى بها ماءُ النَّعِيمِ جِمَاما[١٣]
يا جنَّةً لَوْ كانَ يَنْفَعُ عِنْدَهَا نُسْكٌ لَبِتْنَا سُجَّدًا وقِيَاما
يا طَلْعَةَ الروْضِ النضِيرِ تَحِيَّةً! ومُجَاجَةَ الْمِسْكِ الذكِيِّ سَلَاما![١٤]

هوامش

(١) عاج عوجًا ومعاجًا: أقام أو وقف. البلل: الندى، بله: نداه. الأوام: حر العطش، والمراد حرارة الشوق. الضرام: اشتعال النار.

(٢) الكحلاء: المرأة يعلو جفون عينيها سواد الكحل من غير اكتحال، هجت: أثرت ونبهت. الأنصل: جمع نصل وهو حديدة الرمح والسهم والسيف ونحوها.

(٣) ويح: كلمة رحمة.

(٤) تكتنفه: تحيط به. شمائل: جمع شمال وهي الطبع والخلق. غر: جمع غراء وهي الشريفة البيضاء. المعرة: الإثم والذنب. الأثام: جزاء الإثم.

(٥) النازعة: الميل.

(٦) الملهاة: اللهو. والطب: علاج الجسم والنفس. السقام: المرض.

(٧) المجوس: أمة من الناس يعبد أكثرهم النار، ويلقون بأنفسهم فيها معتقدين أنها إذا أحرقت الأجسام فإنها تطهر النفوس وتحييها.

(٨) الوليد: المولود والصبي والعبد، والمراد به هما عنترة بن شداد العبسي، أحد فرسان العرب وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة، وزبيبة أمه، وكانت أمة حبشية سوداء، سبابها أبوه في إحدى غزواته فأولدها عنترة، وكان من عادات العرب ألا تلحق ابن الأمة بنسبها بل تجعله في عداد العبيد؛ لذلك كان عنترة عند أبيه منبوذًا بين عبدانه، وما زال كذلك حتى أغار بعض العرب على عبس واستاقوا إبلهم، ولحقتهم بنو عبس

وفيهم عنترة، فقاتل قتالًا شديدًا حتى هزم القوم واستنقذ الإبل. فحرره أبوه واعترف ببنوته. ومن ذلك الوقت ظهر اسم عنترة بين فرسان العرب وساداتها. وقد عشق عنترة في شبابه بنت عمه «عبلة» وكان ذلك قبل أن يحرره أبوه ويدعيه، فأبى عمه أن يزوجه ابنته وهو عبد. فحفزه ذلك للمعالي يتطلبها والمجد ينشده. وهاج ذلك من شاعريته فاجتمع له الشعر السلس القوي، والشجاعة النادرة، والهمة العالية من حسب ونسب وشجاعة ومروءة وغير ذلك.

(٩) الصؤول: الوثاب النافر من الإبل، شبه نفسه بالجمل الشرود. الخطام: الزمام أي المقود.

(١٠) سكنت: اطمأنت واستأنست. رعت: حفظت وصانت. الذمام: الحق والحرمة.

(١١) طوت: كتمت وأخفت. الجوى: هوى باطن، والحزن والحرقة وشدة الوجد. يدك: يهدم. الراسيات: الجبال. داء عقام: لا يبرأ منه.

(١٢) الضنى: المرض المخامر كلما ظن برؤه نكس.

(١٣) نم: أفشى وأظهر. العرف: الريح الطيبة. الجمام: جمع جميم وهو الكثير من كل شيء.

(١٤) الطلعة: الوجه. والمجاجة في الأصل الريق، ويراد به هنا الفتات أو الخلاصة. المسك: طيب معروف، وهو عند العرب أفضل الطيب. مسك ذكي وذاك: ساطع ريحه.

مصيف رشيد

أنشد الشاعر هذه القصيدة في احتفال كبير أقيم ببلد الشاعر «رشيد» بمناسبة افتتاح مصيفها سنة ١٩٣٩م.

أرشـيـدُ لا جُـرْحٌ ولا إيـلامُ — عـاد الـزمـانُ وصـحّـتِ الأحـلامُ![١]
وتـمـثَّـلـتْ فـيـكِ الـحـيـاةُ فـتِـيّـةً — مـن بـعـدِ مـا عـبـثـتْ بـكِ الأيـام[٢]
يـا زيـنـةً بـيْـنَ الـثـغـورِ وفـتـنـةً — سـحـرَ الـمـمـالـكَ ثـغـرُكِ الـبـسّـام[٣]
يـا وردةً بـيـن الـرمـالِ نـضـيـرةً — تُـزْهَـى بـهـا الأغـصـانُ والأكـمـام[٤]
يـا درَّةَ الـبـحـرِ الـتـي بـومـيـضـهـا — ضَـحِـكَ الـصـبـاحُ، وأشـرق الإظـلام[٥]
يـا دَوْحـةً نَـبـت الـقـريـضُ بـأرضِـهـا — فـأصـولُـهـا وفـروعُـهـا إلـهـام[٦]
يـا روضـة فـتـن الـعـيـونَ جـمـالُـهـا — وتـحـدّثـت بـأريـجـهـا الأنـسـامُ[٧]
يـا هـمـسـةَ الأمـلِ الـوسـيـمِ رُواؤه — لـو كـان لـلأمـلِ الـوسـيـم كـلام![٨]
يـا صـحـوةَ الـمـجـدِ الـقـديـمِ تـحـدَّثـي — طـال الـزمـانُ بـنـا ونـحـن نـيـام!
يـا طـلـعـةً لـلـحـسـن شـاع ضـيـاؤهـا — وانـجـاب عـنـهـا الـبـحـرُ وهـو لِـثـامُ[٩]

* * *

أرشـيـدُ يـا بـلـدي ويـا ملـهَـى الـصـبـا — بـيـنـي وبـيـن مَـدى الـصـبـا أعـوام![١٠]
أيـام لـي فـي كـلِّ سَـرْحٍ نَـغْـمَـةٌ — وبـكـلِّ ركـنٍ وقـفـةٌ ولِـمـام[١١]
أيـام لا أمـسِـي يـجُـرُّ وراءه — أسـفًـا، ولا يـومـي عـلـيّ جَـهـام[١٢]
ألـهـو كـمـا تـلـهـو الـطـيـورُ، حـديـثـهـا — شـدْوٌ، وَرَفُّ جَـنـاحِـهـا أنـغـام[١٣]

متنقِّلاتٍ بين أزهارِ الرُّبا ... الجوُّ مَتْنٌ، والنسيمُ زِمامُ[١٤]
ومطالبي لم تَعْدُ مدَّةَ ساعدي ... بُعْدًا، فما استعصى عليّ مرام
لهوُ الطفولة خيرَ أيامِ الفتَى ... إنْ الحياةَ وَكدحَها أوهام!

* * *

أرشيدُ، فيكِ لبانتي وصَبابتي ... والصِّهْرُ والأخوالُ والأعمام[١٥]
لمستْ حُنوَّ الحبِّ فيكِ تَمائِمي ... ورأيتُ فيكِ الدهرَ وهو غلام[١٦]
ونشأتُ في ظلِّ النخيل يَهُزُّني ... شوقٌ إلى أفيائِها وغرام[١٧]
أرختْ شعورًا للنسيمِ كأنما ... أظلالُها تحت الغَمامِ غمام[١٨]
تهفو ويمنعها الحياءُ فتنثني ... كالغيدِ رَوَّعَ سِرْبَها اللُّوام[١٩]
إنا كبِرْنا يا نخيلُ وحبُّنا ... بين الجوانحِ شُعْلةٌ وضِرامُ[٢٠]
كم طوَّقَتْ منكِ القُدود سواعدي ... ولكم شفاني من جَنَاكِ طعام[٢١]
ولكم هززتِ فتاك حين حملتِه ... كالأمِّ تُلْهي الطفلَ حين ينام
إن يُقْصِني عنكِ الزمانُ وأهْلهُ ... فالْحُبُّ عهدٌ بيننا ونِمام[٢٢]
مِيسي كأيامِ الطفولةِ وارْفُلي ... فالجوُّ صَفْوٌ، والنعيمُ جِمام[٢٣]
غنَّى لك القلمُ الذي أرهفتِه ... أرأيتِ كيف تغرِّدُ الأقلام؟
هذا وليدُك جاء يُنشد شِعرَه ... ما كلُّ ما تحوي الخيوطُ نِظام[٢٤]
أصغى له الوادي، وغنّتْ باسمه ... بغدادُ، واهتزَّت إليهِ الشام[٢٥]
إن قال مال له الوجودُ برأسِه ... ورنَت له الأسماعُ والأفهامُ[٢٦]
ملك العَصِيّ من القريضِ بسحره ... طَوْعًا، فما استعصى عليه خِطام[٢٧]

* * *

أرشيدُ، هل في أن يبوحَ أخو الهوى ... حَرَجٌ، وهل في أن يَحِنَّ ملام؟[٢٨]
يا مَرْتَع الآرامِ رَنَّحها الصِّبا ... كيف المراتعُ فيكِ والآرام؟[٢٩]
من كلِّ لفَّاء المعاطِف طَفْلةٍ ... جِيدٌ كما يهوَى الهوَى وقَوام[٣٠]
سترت ملاحتَها المُلاءةُ مثلما ... ستر الغمامُ البدرَ وهو تمامُ[٣١]
يدنو الجمالُ بها فيحجبها التُّقَى ... «كَظباءِ مكةَ صيدُهنّ حَرام»
فإذا نظرتَ فخُذْ لنفسِك حِذْرها ... إنّ العيونَ — كما علمتَ — سهام

* * *

أرشيدُ، مجدُكِ في القديمِ صحيفةٌ بيضاءُ، لا لَبسٌ ولا إبهَامُ[٣٢]
ملأتْ مآذِنكِ السماءُ شوامخًا بين السحابِ كأنَّها أعلام
كم شاهدتْ قومًا زهتْ أيامُهم حينًا، وجاءت بعدَهم أقوام
سبحانَ من لا مجدَ إلّا مجدُه نَفْنَى وَيبقَى الواحدُ العلَّام[٣٣]
خذْ من زمانِكَ ما استطعْت فما لما أخذتْ يداكَ من الزمان دوام[٣٤]
وارضَ الحياةَ نعيمَها أو بؤسَها نُعْمى الحياةِ وبؤسُها أقسام[٣٥]

* * *

أرشيدَ، لم نسمعْ لصدرك أَنَّةً للنَّازلاتِ الدُّهْمِ وهي جِسام[٣٦]
أجملتِ صبرًا للحوادثِ فانثنت إنّ الكرامَ على الخطوبِ كِرام[٣٧]
اليومَ جدَّدْتِ الشبابَ فأَقْدِمي معنى الشبابِ العزمُ والإقدامُ
سعت الوفود إلى مصيفِك سُبَّقًا يتلو الزحامَ إلى سناه زحام[٣٨]
النيلُ والبحرُ الْخِضَمُّ يحوطُه والباسقاتُ على الطريق قيام[٣٩]
والتوتُ والصَّفْصافُ يهتفُ طيرُه فتردِّدُ الكُثْبانُ والآكامُ[٤٠]
والزهرُ في جِيدِ الرياضِ قلائدٌ والنهرُ في خَصْرِ الرياضِ حِزام[٤١]
والموجُ كالخيلِ الجوامحِ أُطْلِقت وانحلّ عنها مِقْوَدٌ ولجام[٤٢]
تجري السفائنُ فوقَه وكأنّها والريحُ تدفع بالشراعِ، حمام[٤٣]
ومناظرٌ يَعْيا القريضُ بوصفِها ويضِلُّ في ألوانها الرّسام[٤٤]
والناسُ بين ممازحٍ ومداعبٍ والأنسُ حتمٌ والسرورُ لِزَامُ
من شاء في ظلِّ السعادةِ ضَجْعَةً فهنا تُشَادُ صُرُوحُها وتُقام[٤٥]
أو رام نِسْيَانَ الهموم فها هنا تُنْسَى الهمومُ، وتذهَبُ الآلام[٤٦]

هوامش

(١) إيلام: ألم. صحت: تحققت.
(٢) تمثلت: تشبهت. فتية: شابة. عبثت: لعبت.
(٣) الثغور: المواني على البحر.
(٤) تزهى: تفتخر.
(٥) درة: جوهرة ثمينة. وميضها: نورها ولمعانها.
(٦) دوحة: الحديقة ذات الشجر العظيم. القريض: الشعر. إلهام: وحي من الله.
(٧) أريجها: رائحتها الطيبة. الأنسام: الهواء الطيب.
(٨) الوسيم: الجميل. رواؤه: بهاؤه.
(٩) انجلب: انكشف. لثام: ستر ونقاب.
(١٠) مدى: غاية.
(١١) سرح: فناء الدار. نغمة: لحن وكلام منغم. لمام: اجتماع.
(١٢) جهام: السحاب لا مطر فيه والمراد باليوم الجهام: اليوم لا خير فيه ولا سرور.
(١٣) رف جناحها: تحريك جناحها يشبه الألحان الجميلة.
(١٤) متن: مطية. زمام: مقود.
(١٥) لبانتي: حاجتي. صبابتي: رقة شوقي وحرارته.
(١٦) تمائمي: تعاويذي.
(١٧) أفياؤها: ظلها.
(١٨) شعورًا: يقصد سعفها الذي يشبه الشعر مسدل من رأس النخلة. أظلالها: ظلها. الغمام: سحاب.
(١٩) روع: أخاف. سربها: جماعتها. اللوام: اللائمون.
(٢٠) الجوانح: الأضلاع. ضرام: نار.
(٢١) طوقت: أحاطت. جناك: حصادك.
(٢٢) يقصني: يبعدني. ذمام: حرمة، توثيق.
(٢٣) ميسي: تبختري. ارفلي: انعمي. جمام: كثير.
(٢٤) نظام: نظم الشعر.
(٢٥) الوادي: وادي النيل أي: مصر والسودان.

(٢٦) رنت: نظرت.

(٢٧) العصي: الشارد من الألفاظ. القريض: الشعر. خطام: زمام.

(٢٨) أخو الهوى: المحب لك يقصد نفسه.

(٢٩) مرتع: موضع اللهو واللعب. الآرام: الظباء. رنحها: ميلها.

(٣٠) لفَّاء: لابسة. المعاطف: جمع معطف وهو ما يلبس فوق الملابس. طفلة: رخصة ناعمة.

(٣١) سترت: أخفت.

(٣٢) لبس: شك. إبهام: غموض.

(٣٣) العلام: كثير العلم منذ الأزل وعلم الله — سبحانه وتعالى — صفة أزلية.

(٣٤) دوام: بقاء.

(٣٥) ارض: اقنع. أقسام: حظوظ مقدرة.

(٣٦) أنة: أنين وألم. النازلات: الكوارث. الدهم: السود المظلمة. جسام: كبيرة وشديدة.

(٣٧) أجملت: أحسنت، تصبرت. انثنت: ذهبت وطويت.

(٣٨) سناه: نوره.

(٣٩) الخضم: ذو الأمواج المرتفعة الكبيرة. الباسقات: العاليات يقصد النخل العالي.

(٤٠) التوت والصفصاف: أنواع من الشجر الكبير العالي. الآكام: التلال المرتفعة.

(٤١) خصر: الوسط.

(٤٢) الجوامح: الشاردة. مقود: الذي تقاد به الدبة. لجام: ما يوضع في فم الفرس لقيادته.

(٤٣) السفائن: السفن.

(٤٤) يعيا: يعجز. يضل: يتوه.

(٤٥) تشاد: تبنى. صروحها: مبانيها العالية.

(٤٦) رام: ابتغى وأراد.

زيَارة ملك

زار السلطان «حسين كامل» دار العلوم في أول ولايته سنة ١٩١٥م، فألقيت أمامه هذه الأبيات:

يـا مـالِـكًـا مَـلَـكَ الْـقُـلُـو ... ـبَ وَلَـمَّ أَشْـتَـاتَ الرعِيَّـهْ[١]
لَكَ في الْعُلا كَعْبٌ وَكَفـ ... ـفٌ في الْمَكَارِمِ حاتِمِيَّهْ[٢]
لَكَ سِيرَةٌ كَصَحِيفَةِ الأ ... بْـرارِ طَـاهِـرَةٌ نَـقِـيَّـهْ[٣]
لَكَ فِكْرَةٌ يَجْرِي الْهُدَى ... فِيهَا وَتَكْلؤُهَا الرويَّهْ[٤]
كـالـسـهْـمِ لا تَـنْـبُـو إذَا ... نَظَرَتْ ولا تُخْطِي الرَمِيَّهْ[٥]
الْـعِـلْـمُ طَـابَ ثُـواؤُهُ ... فِي ظِلِّ تِلْكَ الْأَرْيَحيَّهْ[٦]
أَعْـلَـى أَبُـوك بِـنـاءَهُ ... وَعلـيْكَ إتْـمامَ الْـبَقِـيَّـهْ[٧]
«دَارُ الْـعُـلـوُمِ» تَـشَـرَّفَـتْ ... بِشُرُوقِ طَلْعَتِكَ السنيَّهْ[٨]
فَـلَـوْ أَنَّـهَـا نَـطَـقَـتْ لَـكَـا ... نَتْ تَمْلَأُ الدنْيَا تَحِيَّهْ
فَـاهْـنَـأَ بـمـا أَوْلَـى الْإِلَـهُ ... وَعِشْ تَعِشْ كُلُّ الْبَرِيَّهْ[٩]

هوامش

(١) لم أشتات الرعية: أصلحها وجمع ما تفرق من أمورها.

(٢) المكارم: جمع مكرمة وهي اسم من الكرم. وحاتمية: نسبة إلى حاتم الطائي أشهر أجواد العرب.

(٣) الأبرار: جمع بر. وهو الخير الكثير.

(٤) تكلؤها: تحفظها. والروية: التدبر والتفكر في الأمر.
(٥) تنبو: تتباعد والرمية: فعلية بمعنى مفعولة وهي ما يرمى من الحيوان وغيره.
(٦) ثواؤه: إقامته.
(٧) أبوك: هو الخديو إسماعيل.
(٨) الطلعة: الوجه. والسنية: ذات السناء وهو الرفعة والشرف.
(٩) أولاه الأمر: ولاه إياه. والبرية: الخلق.

الشَّريدُ

نشرت في صيف سنة ١٩٣٨م.

أَطَـلَّـتِ الآلامُ مـن جُـحْـرِهِ ... وَلُـفَّـتِ الأَسْـقـامُ فـي طِـمْـرِهِ[١]
بُـرْدَتُـهُ الـلـيـلُ، عـلـى بَـرْدِه ... وكِـنُّـهُ الْـقَـيْـظُ، عـلـى حَـرِّه[٢]
مُـشَـرَّدٌ يَـأْوِي إلـى هَـمِّـهِ ... إذا أَوَى الـطـيـرُ إلـى وَكْـرِه![٣]
مـا ذاق حُـلْـوَ الـلـثْـم فـي خَـدِّهِ ... ولا حـنـانَ الـمَـسِّ فـي شَـعْـرِهِ
وَلَا حَـوَتْـه الأُمُّ فـي صَـدْرِهَـا ... ولا أَبٌ نـاغـاهُ فـي حِـجْـرِه
قد صَبَرَ النفْسَ على ما بها ... وانتظَر الموعودَ من صَبْرِه

* * *

البَطْنُ مهضومٌ، طواه الطَّوَى ... ونـامَ أهـلُ الأرضِ عـن نَـشْـرِهِ[٤]
والـوجـهُ لـلـيـأْسِ بـه نَـظْـرَةٌ ... يَـقـذِفُـهـا الـحِـقْـدُ عـلـى دَهْـرِه
جَـرَّحـه الـدهـرُ، فـمِـنْ نَـابِـه ... تـلـك الأخـاديـدُ، ومـن ظُـفْـره[٥]
قـد كـتـب الـلـهُ عـلـى خَـدِّه ... خَـطًّا يَـبِـينُ الـبُـؤْسَ في سَـطْـرِهِ
وغار ضـوءُ الـحِـسِّ من عَـيْـنِهِ ... وفـرَّ لَـمْـحُ الأُنـسِ مـن ثَـغْـرِه
والبِشرُ، أين البِشْرُ؟ وَيْحي له! ... يـا رحـمـةَ الـلـه عـلـى بِـشْـرِهِ
يـجـرُّ رِجْـلَـيْـه بَـطـيء الْـخُـطَـا ... كـالْـجُـعَـلِ الـمـكْـدُودِ من جَـرِّه[٦]
إن نـام أَبْـصـرتَ بـه كُـتْـلَـةً ... تـجـمـعُ سـاقَـيْـهِ إلـى نَـحْـرِه[٧]
احـتَـبَـسَـتْ «أوَّاهُ» فـي قَـلْـبِـهِ ... واختنقت «ويْلاهُ» في صَدْرِه[٨]

وجفَّ ماءُ العَيْنِ في مُوقِها ... ماذا أفَاد العينَ من هَمْرِه؟[٩]
سالتْ به نَهرًا على لُقْمةٍ ... فعادَ كالسائل في نَهْره!
لا يَجِدُ المأوَى، ولو رَامَهُ ... أحالَهُ الدهرَ على قَبْره
هناك يَثْوِي هادئًا آمنًا ... من شَظَفِ العَيْشِ ومن وَعْره[١٠]
فكم بصدرِ القَبْرِ من ضَجْعةٍ ... أحنى من الدهرِ ومن نُكْرِهِ![١١]

* * *

مَتْعَبَةُ الإنسانِ في حِسِّهِ ... وشِقْوةُ الإنسان من فِكْرِه
كيف يُرجَّى الصفْوُ من كَائنٍ ... الْحمَأُ المسنونُ في ذَرِّه؟[١٢]
لم يَسْمُ للأملاك في أوْجِهَا ... ولا هَوَى للوَحْشِ في قَفْرِه[١٣]
رام اللبابَ المَحْضَ من سَعْيِهِ ... فلم يَنَلْ منه سِوَى قِشْرِه[١٤]
يسعَى، وما يَدْرِي إلى نفعِهِ ... سَعَى حَثِيثًا، أم إلى ضَرِّهِ[١٥]
آمَنت باللهِ! فكم عالِمٍ ... أعجزه المحجوبُ من سِرِّه

* * *

الله في طِفْلٍ عزاهُ الضَّنَى ... بأدْهَمِ الخَطْبِ ومُغْبَرِّه[١٦]
في ظُلُماتٍ، مَوْجُها زاخرٌ ... كأنَّهُ ذو النُّونِ في بَحْرِهِ[١٧]
وَالناسُ بالشاطئ، من غافلٍ ... أو ساخرٍ، أمْعَنَ في سُخْره
والمَوْجُ كالذُّؤْبان حَوْلَ الفتى ... يسدُّ أُذْنَ الأفْقِ منْ زَأْرِه[١٨]
نادَى، وما نَادَى سوَى مَرَّةٍ ... حتّى طواهُ اليمُّ في غَمْرِه
تظنُّه طِفْلًا، فإن حقَّقَتْ ... عيناكَ، لم تَعْثُرْ على عُشْرِهِ
كأنَّه الشَّكُّ إذا ما مَشَى ... أو ما يَرَى النائمُ في ذُعْرِه
طَغَى به الجوعَ، ففي دَمْعِهِ ... ما فعلَ الجوعُ، وفي نَبْرِه

* * *

واهًا لكفٍّ لَصِقَتْ بالثرَى ... وائْتَدَمَتْ بالبُؤْسِ من عَفْرِه[١٩]
ماذا على الإحسانِ لو ردَّها ... نَديةَ الأطْرافِ من بِرِّهِ؟[٢٠]
ماذا على الإحسان لو ردَّها ... رَطيبةَ الألْسُنِ من شُكره؟[٢١]

كم بَسْمَةٍ أرسلَها مُحْسنٌ أزْهَى من الرَّوضِ ومن زَهْرِه!
ولُقْمةٍ سدَّتْ فمًا جائعًا رجَّحَتِ المِيزانَ في حَشْرِه!
ومِنَّةٍ كانت جَنَاحًا له طارَ بهِ الذائعُ من ذِكْرِهِ
ودَمْعةٍ يُذْرِفها مُشْفِقًا أصْفَى من المدخُورِ من دُرِّه[٢٢]
لا تُزْهِرُ الجنةُ إلّا بما يَسْفَحُه الباكي على وزْره
لو عَرَفَ الإنسانُ ما أجرُه ما ضَنَّ بالنفْسِ على أَجْرِه
يبقَى قليلُ المال مِنْ بَعْدِهِ ويَذْهَبُ المال على كُثْرِهِ
بيضُ أيادِي المرء في قَومِهِ أغْلَى من البِيض ومن صُفْرِه[٢٣]
والحُرُّ، لا يَنْعَمُ في وَفْرِه حتى يَنالَ الناسُ من وَفْرِه[٢٤]
والمرءُ، لا يُعْرف مِقْدارُه أو تُنْبِئُ الأحْدَاثُ عن قَدْرِه
والناسُ كالماء، فمن ضَحْضَحٍ ومن عَميقٍ، حِرْتُ في سَبْرِه[٢٥]
ليس الذي يُنْفِقُ من يُسْرِه مِثْلَ الذي يُنْفقُ من عُسْره
كم دِرْهَمٍ أُلْقي في سِجْنِهِ ولم يَنَلْ عَفْوًا مَدَى عُمْرِه![٢٦]
لم يَرَ حُسْنَ الصُّبحِ في شَمْسِه ولا جَمَالَ الليلِ في بَدْرِه
يَطْمَعُ وَخْزُ الجوع في وَصْلِهِ ويُرْسِلُ الزَّفْرات من هَجْرِهِ[٢٧]
والمالُ كالْخَمْرِ، إذَا ما طَغى ضاقت فِجَاجُ الأرضِ عن شَرِّه[٢٨]
متى يَهُبُّ العقلَ من نَوْمِه؟ أو يستفيقُ المالَ من سُكْرِه؟
متى أَرَى النفسَ، وقد أُطْلِقَتْ من رِبْقَةِ المال ومن أسْرِه؟[٢٩]
متى أرَى الْحُبَّ كضَوْءِ الضُّحَى كُلُّ امْرِئٍ يَسْبَحُ في طُهْرِه؟
متى أَرَى الناسَ، وقد نُزِّهُوا عن شَرِّهِ الذئْب وعن غَدْرِه؟
أُخُوَّةُ الغُصْنِ إلى صِنْوِهِ وَبَسْمَةُ الزهْرِ إلى قَطْرِهِ[٣٠]
ورَحْمَةٌ، رَفَّافَةٌ لم تَدَعْ قلْبًا يُوارِي النارَ في صَخْرِهِ[٣١]
لا يُحْسَدُ الجَاهُ على مالِه أو يُنْهَرُ الْبُؤْسُ على فَقْرِهِ

* * *

كم شارِدٍ في مصْرَ، يا كُثْرَه من عَدَدٍ، يَسْخَرُ مِنْ حَصْرِه!
ذَخِيرةُ الأمة أبناؤها ماذا أفادَ النيلُ من ذُخْرِه؟
ماذا أفادَ النيلُ من ساعدٍ أسْرَعَ مِنْ ضِغْثٍ إلى كَسْرِه؟[٣٢]

وأَرْجـلٍ أوْهَـنَ مـن هَـمْـسـةٍ ... ومن نسيم الصبح في مَرِّه؟
ومـن فـتـاةٍ، فَـجْـرُهـا لَـيْـلُـهـا ... ومـن غُـلامٍ، ضَـلَّ فـي فَـجْـرِه؟
أَلْـقَـتْـهُ مِـصْـرٌ هـمَـلًا ضـائـعًـا ... فصال يَبْغِي الثارَ من مِصْرِه[٣٣]
غـاصَ مـن الآثـامِ فـي آسِـنٍ ... يَـكـرَعُ مِـلْءَ الـفَـمِ مـن مُـرِّه[٣٤]
أسرَى من الليل، وأمْضَى يَدًا ... من عَبَثِ الليل، ومن مَكْرِه[٣٥]
كم ضاق من شِقْوَتِه عَصْرُهُ ... وضاق بالسُّخْطِ على عَصْرِه![٣٦]
شَجًا بِحَلْقِ الوَطَنِ الْمُفْتَدَى ... وشَوْكَةٌ كالنَّصْلِ في ظَهْرِه[٣٧]
مدْرَسَةُ النشْل وَسَلِّ المُدَى ... أَسَّسَها الشيْطَانُ في جُحرِه
إذا هَوَى الْخُلق، وضاع الحِجَا ... فكلُّ شَيْءٍ ضاع في إثْرِه![٣٨]
من يُصْلِح الأُسْرةَ يصْلِحْ بها ... ما دَمَّرَ الإفسادُ في قُطْرِهِ

* * *

جـنـايـةُ الـوالـدِ نَـبْـذُ ابـنـهِ ... في عُسْرِه، إنْ كان، أو يُسْرِه
لا تَـتْـرُكُ الـذِئْـبَـةُ أجْـراءَهـا ... ولا يغيبُ الكلبُ عن وَجْرِه![٣٩]
البَيْتُ صَحْراءُ إذا لم تَجِدْ ... طفُولةً تَمرَحُ في كِسْرِه[٤٠]
فـعـاقـبـوا الآبـاءَ إن قـصَّـروا ... لا بُدَّ لـلـسـادِرِ مـن زَجْـرِه[٤١]
وأنـقـذوا الـطـفْـلَ، فـمـا ذَنْـبُـه ... إنْ جَمَحَ الوالدُ في خُسْرِه؟[٤٢]
رَبُّـوهُ، يَـنْـمـو ثَـمَـرًا طـيِّـبًـا ... لا يـيـأسُ الـزارعُ مـن بَـذْرِهِ
وعـلِّـمـوهُ عَـمـلًا صـالـحًـا ... يَشُدُّ — إن كافَحَ — من أَزْرِه[٤٣]
رَبُّوه في الريفِ، لعلَّ القرَى ... تُصْلِحُ ما أعْضَلَ من أَمْرِه
النـفْـسُ مِـرْآةٌ، وَغُـصْـنُ الـنُّـقَـا ... يَطيبُ أو يَـخْـبُـثُ من جِذْرِه
لعلَّ هَمْسَ الغُصنِ في أُذْنِه ... يُـنْـسِـيـهِ مـا أضْـمَـرَ من ثَـأْرِه!
لـعـلّ أنـفـاسَ نـسـيـم الـرُّبـا ... في صَدْرِه، تُبْرِدُ من جَمْرِه!
النيلُ يستنجِدُ مُسْتَنْصِرًا ... فأَسْرعوا الْخَطْوَ إلى نَصْرِه
لا يذهبُ المعروفُ في لُجَّةٍ ... ولا يَكُفُّ الْمِسْكُ عن نَشْرِه[٤٤]

هوامش

(١) أطلت: أشرفت. الطمر: الثوب البالي.

(٢) البردة: كساء صغير مربع. الكن: السترة.

(٣) مشرد: مطرود منفر. أوى: أقام وسكن.

(٤) مهضوم: ضامر. الطوى: الجوع. نشره: إحيائه.

(٥) الأخاديد جمع أخدود: وهو الحفرة في الأرض، والمراد بها الغضون والتجاعيد التي يطبعها البؤس على وجهه.

(٦) الجعل: دويبة معروفة. المكدود: المتعب.

(٧) النحر: أعلى الصدر.

(٨) أواه: يقصد بها الشكوى. ويلاه: يقصد بها الألم.

(٩) الموق: جانب العين مما يلي الأنف. همر الدمع: انصبابه.

(١٠) يثوي: يقيم. وعره: صعبه.

(١١) أحنى: أعطف. النكر: القبح والشناعة.

(١٢) الحمأ: الطين الأسود. المسنون: المتغير المنتن. ذره: الذر أصغر النمل، ويراد به أصل الإنسان وجرثومته.

(١٣) الأوج: ضد الهبوط. هوى: سقط.

(١٤) اللباب: قلب الشيء. المحض: الخالص.

(١٥) حثيثًا: مسرعًا.

(١٦) أدهم: أسود. أدهم الخطب: أشد المصائب وأفدحها.

(١٧) موج زاخر: ممتد مرتفع. ذو النون: سيدنا يونس وقد ابتلعه الحوت في البحر، فنجاه الله من الغم وأخرجه.

(١٨) الذؤبان: جمع ذئب. الزأر: صوت الأسد، ويقصد به هدير الأمواج.

(١٩) واهًا: اسم لعل للتعجب، ويراد به هنا التفجع. الثرى: التراب الندي. ائتدم: أساغ الخبز بالإدام. العفر: التراب.

(٢٠) ندية الأطراف: غضة بضة بالإحسان.

(٢١) رطيبة الألسن: تلهج بالثناء.

(٢٢) المذخور: المدخر المعد لوقت الحاجة.

(٢٣) بيض الأيادي: النعم المشهورة. البيض: الدراهم. الصفر: الدنانير.

(٢٤) وفره «في الشطر الأول»: المال الكثير. وفره «في الشطر الثاني»: ما زاد عن حاجته.

(٢٥) الضحضح: الماء القليل. السبر: الاختبار.

(٢٦) السجن هنا المكان الذي يدخر فيه البخيل ماله.

(٢٧) الوخز: الطعن بالرمح ونحوه.

(٢٨) فجاج الأرض: طرقاتها الواسعة.

(٢٩) الربقة: العروة في الربق وهو الحبل يشد به.

(٣٠) الصنو: الواحدة من النخلتين في أصل واحد.

(٣١) رفافة: هفافة شاملة، ويقال: رف الطائر بسط جناحيه.

(٣٢) الضغث: الحشيش الرطب واليابس.

(٣٣) هملا: متروكًا سدى غير راع.

(٣٤) آسن: ماء آجن فاسد. يكرع: يشرب الماء بفيه من موضعه من غير أن يتناوله بكفيه أو بإناء.

(٣٥) أسرى من الليل: أمضى. والسرى: السير بالليل.

(٣٦) شقوته: شقاؤه.

(٣٧) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه. النصل: حديدة السهم والرمح والسيف.

(٣٨) هوى: سقط. الحجا: العقل. إثره: بعده.

(٣٩) الأجراء: جمع جرو، وهو صغير كل شيء، وولد الكلب والأسد والذئبة. الوجر: الكهف في الجبل وجحر الضبع.

(٤٠) كسره: جانبه.

(٤١) السادر: الذي لا يبالي ما يصنع. الزجر: المنع.

(٤٢) جمح: ركب هواه.

(٤٣) الأزر: القوة.

(٤٤) نشره: رائحته الطيبة.

قبر حفني

ألقى الشاعر هذه القصيدة بدار الإذاعة في رثاء العالم الأديب الشاعر حفني ناصف عام ١٩٣٨م.

يا قبرَ حفني أجبْني ماذا صنعتَ بحفني؟
ماذا صنعتَ بعلْمٍ؟ وما صنعتَ بفَنّ؟
وما صنعت بفكرٍ ماضي الشّباةِ ونِهْن؟[١]
طويتَ خيرَ مَثابٍ للطائفين ورُكْن![٢]

* * *

في كلِّ يومٍ رِثاءٌ لصاحبٍ أو لخِدْن[٣]
حتَّى لقد كاد شعري يبكي لضعفي ووهْني[٤]
فإنّما أنا منه وإنّما هو مني
الوزنُ من نَبْضِ قلبي والبحرُ من ماء جَفني[٥]
رحا المنايا رُويدًا خلطت طِحْنًا بِطِحن![٦]
وإنَّما الناس ظَعْنٌ يسيرُ في إثْرِ ظعْنِ[٧]
فما حديدٌ بباقٍ ولا جِذارٌ بِمُغْني[٨]
وكلُّ عقلٍ مُضِيءٍ إلى خُمودٍ وأَفْن[٩]
يكادُ إن مال غصنٌ يشكو الزمانَ لغصن
تعسًا له، كم نُعزِّي حينًا، وحينًا نُهَنِّي![١٠]

من اجتماعٍ لعُرْسٍ إلى اجتماعٍ لدفن
والمرءُ يُحيي الأماني والدهرُ يُبْلي ويُفني
فكم تمنّيتُ لكن ماذا أفاد التمنِّي؟
دعني أقلِّبُ طَرْفي في ظُلْمَةِ الليلِ دعني[١١]
حيرانَ أضرِبُ كفي أسًى وأقرَعُ سِنِّي[١٢]
قد خانني الدهرُ يومًا يا ليته لم يَخُنِّي![١٣]
أكلَّما مرَّ نَعْشٌ أو طاف نَعْيٌ بأُذْني
طار الفؤادُ، فلولا بقيةٌ، ندَّ عني[١٤]
لولا التُّقى لم أجدْه بجانِبي أو يجدْنِي[١٥]

* * *

قالوا: أجدتَ المراثي فقلتُ: إنَّ، وإنِّي[١٦]
دُموعُ عيني قَريضي وزَفْرةُ الوجدِ لحني[١٧]
عَلِّي أداوِي حَزينًا فالحزنُ يُمْحَى بحزن
أو يشتفي ببكاءٍ مَن شأنُه مثلُ شأني[١٨]

* * *

أين النُّبوغُ توارَى؟ يا قبرَ حفني أجبني
أكلَّما لاح بدرٌ رمته ريح بدَجْن؟[١٩]
وخلّف الأرضَ حَيْرى سهلٌ يموج بحَزْن[٢٠]
وربّ زهرٍ شَذاه يُزْري بأرواحِ عَدْنِ[٢١]
كأنّما منحتْه ألوانَها ذاتُ حُسْنَ[٢٢]
جمالُه الغضُّ أغرَى أغصانَه بالتَّثني[٢٣]
غَذَّتْه أَطْبَاءُ طَلٍّ حينًا، وأثْداءُ مُزْن[٢٤]
تسري به الريحُ رفقًا في خشيةٍ وتأنّي[٢٥]
كأنَّها فَمُ أُمٍّ يَمُرُّ في وجنةِ ابْن[٢٦]
النحلُ ترشُفُ منه رحيقه وتُغَنِّي
تجني ولم تدرِ يوْمًا أنّ الردَى سوف يجني[٢٧]

طغت عليه سَمومٌ حرَّى كأنفاسِ جِنِّ[٢٨]
فغادرتْهُ رُكامًا أجفَّ من عودِ تِبن[٢٩]
والدهر أحرَى رفيقٍ بأن يخونَ ويُخني[٣٠]

* * *

يا قبرَ حفني أجبني وارحم بقيَّة سنِّي
قد راعني منك صَمْتٌ بحقِّه لا تَرُعْني[٣١]
ففيكَ أمضَى جَنانًا من كلِّ فُصْحٍ ولُسْن[٣٢]
وفيكَ شِعْرٌ نقيٌّ من كلِّ وقْصٍ وخَبن[٣٣]
كأنَّه بَسَماتٌ للوصلِ بعد التجنِّي[٣٤]
أو نفحةٌ من «جميلٍ» طافتْ بأحلام «بُثْنِ»[٣٥]
أو رَغْوةٌ من سُلافٍ تفيضُ من رأس دَنٍّ[٣٦]
كم نكتَة فيه كادت تخفَى على كُلِّ ظن!
مصريةٍ جالَ فيها ذوقُ الأديبِ المفنِّ[٣٧]

* * *

لو كنتَ تعرفُ حفني لقلتَ: زدني وزدني!
نحوٌ يصُكُّ الكِسائي ويزدري بابن جِنِّي[٣٨]
وإنْ أُثيرَ جِدالٌ رأيتَه خيرَ قِرْن[٣٩]
العلمُ أمضَى سلاحٍ له وأوْقَى مِجَنّ[٤٠]
قد كان ضخمًا جَسيمًا يبدو كشامخِ حِصْنِ
اللحمُ رخوٌ بدينٌ له نُعومةُ قُطن[٤١]
والصدرُ رَحْبٌ فسيحٌ ما جاش يومًا بضغْن[٤٢]
في وجهه الجهم حُسنٌ من روحِهِ المستكنّ[٤٣]

* * *

قد زارني ذاتَ يومٍ في وقتِ قَيْظٍ وكِنّ[٤٤]
فكان أَنْسًا تدانتْ به المُنَى بعد ضَنّ[٤٥]

فـاض الـحـديـثُ زُلالًا عذْبًا وما قال قَطْني
فُـكـاهـةٌ مـن لَـدُنْـه ونـكـتـةٌ مـن لـدُنّـي[٤٦]
فـي الأُذن قـهْـوة كَـرْمٍ والـكـف قـهـوةُ بُـنٍّ[٤٧]
أروِي ويَرْوِي القـوافـي كـالـدرِّ وزنًـا بـوزن
يـا مـجـلـسًـا عـاد وجْـدًا يُذْكي الفؤادَ ويُضْني[٤٨]
ضـاع الـصـبـا ورجَـعْـنـا مـنـه بـصَـفْـقـةِ غَـبْـن[٤٩]
حـفـنـي، سـلَامٌ ونـورٌ لـقـلـبـكَ الـمـطـمـئـن
فـارقـتَ أهـلًا وسَـكْـنًـا لـخـيـرِ أهْـلٍ وسَـكـن
تَـثْـنِـي إلـيـكَ الـقـوافـي أعـنـاقَـهـا حـيـن تُـثـنـي[٥٠]

هوامش

(١) ماضي: نافذ، حد. الشباة: ما حد طرفه.
(٢) مثاب: موضع.
(٣) خدن: صديق.
(٤) وهني: ضعفي.
(٥) الوزن: وزن الشعر. البحر: أبحر الشعر ستة عشر بحرًا.
(٦) رحا المنايا: رحا الموت. رويدًا: مهلًا. طحنًا: طحين.
(٧) ظعن: سائرون، مسافرون.
(٨) حذار: تحذير وتخويف. مغني: منجي.
(٩) خمود: سكون. أفن: ضعف في الرأي والعقل.
(١٠) تعسًا له: هلاكًا.
(١١) طرفي: عيني.
(١٢) أقرع: أضرب. سني: أسناني.
(١٣) يشير الشاعر إلى وفاة نجله البكر في سن الشباب في نوفمبر عام ١٩٣٥م.
(١٤) الفؤاد: القلب. ند: بعد.
(١٥) التقى: الصلاح.
(١٦) إن: نعم. وإني: أي وإني أجيدها.

(١٧) قريضي: شعري. زفرة الوجد: نفس الشوق والوله.

(١٨) يشتفي: يشفى ويبرأ.

(١٩) لاح: ظهر وبدا. دجن: الغيم المطبق المظلم.

(٢٠) خلف: يترك. يموج: يضطرب. حزن: بأس أو ما غلظ من الأرض.

(٢١) شذاه: رائحته النفاذة. يزري: يحتقر. أرواح عدن: الأنفاس في جنات عدن.

(٢٢) ذات حسن: صاحبة رونق وبهاء وجمال.

(٢٣) الغض: الطري. التثني: التمايل.

(٢٤) أطبَاء: طبقات. طل: المطر الضعيف. أثداء: جمع ثدي. مزن: السحاب به مطر كثير.

(٢٥) تسري: تسير ليلًا.

(٢٦) وجنة: جبهة.

(٢٧) تجني: تقطف، تحصد. الردى: الموت.

(٢٨) سموم: ريح ساخنة. حرى: ساخنة.

(٢٩) ركامًا: متراكمًا بعضه فوق بعض.

(٣٠) أحرى: أجدر. يخني: يهلك.

(٣١) لا ترعني: لا تخيفني.

(٣٢) أمضى جنانًا: أنفذ قلب. فصح: بليغ. لسن: فصيح اللسان واللغة.

(٣٣) وقص: في نظم الشعر حذف الحرف الثاني المتحرك. خبن: إسقاط الحرف الثاني الساكن في العروض.

(٣٤) التجني: الادعاء كذبًا.

(٣٥) جميل: هو جميل بن معمر تدله بحب بثينة، ولذلك سمي جميل بثينة. بثن: بثينة صاحبة جميل.

(٣٦) رغوة: فوران. سلاف: خمر. دن: وعاء لشرب الخمر.

(٣٧) المفن: ذو فنون.

(٣٨) نحو: علم النحو وهو إعراب الكلام العربي. يصك: يضرب. الكسائي: عالم عربي من علماء النحو واللغة الأفذاذ. يزدري: يستهين. ابن جني: عالم عربي آخر من علماء النحو واللغة.

(٣٩) القرن: كفؤك في الشجاعة والرأي.

(٤٠) أوقى: حفظ. مجن: درع.

(٤١) رخو: طري.

(٤٢) ما جاش: ما حمل وفكر. ضغن: حقد وكراهية.

(٤٣) الجهم: المتجهم. المستكن: المستكين.

(٤٤) قيظ: شديد الحرارة. كن: استكانة.

(٤٥) تدانت: قربت: ضن: شح.

(٤٦) لدنه: عنده.

(٤٧) قهوة كرم: خمرة عنب. والقهوة سميت كذلك؛ لأنها تقهي أي: تذهب بشهوة الطعام.

(٤٨) وجدًا: شوقًا. يذكي: يشعل. يضني: يثقل ويمرض.

(٤٩) غبن: ظلم.

(٥٠) تثني: تحنى، تنقاد.

قبلة

الصغيرة الحسناء (١٩١٢م)

رأيتُها في سِربها كالبدرِ بين أنْجُمِ[١]
جاءت فقبَّلتْ يدي بثغرها الْمنَظَّم[٢]
فليتَ كفِّي خدُّها وليتَ ثَغْرَها فمي!

هوامش

(١) سربها: جماعتها.
(٢) المنظم: المنسق الجميل.

اللغة العربية

أنشدها الشاعر في افتتاح دور الانعقاد الثالث لمجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٤م.

مَاذَا طَحَا بِكَ يا صَنَّاجَةَ الأَدَبِ ... هَلَّا شَدَوْتَ بِأَمْدَاحِ ابْنَةِ العَرَبِ؟[١]
أَطَارَ نَوْمَكَ أَحْدَاثٌ وَجَمْتَ لَهَا ... فَبِتَّ تَنْفُخُ بَيْنَ الهَمِّ والْوَصَبِ[٢]
وَالْيَعْرُبِيَّةُ أَنْدَى مَا بَعَثْتَ بِهِ ... شَجْوًا مِنَ الْحُزْنِ أَوْ شَدْوًا منَ الطَّرَبِ[٣]
رُوحٌ مِنَ اللهِ أَحْيَتْ كُلَّ نَازِعَةٍ ... مِنَ البَيَانِ وَآتَتْ كُلَّ مُطَّلَبِ[٤]
أَزْهَى مِنَ الأَمَلِ البَسَّامِ مَوْقِعُهَا ... وَجَرْسُ أَلْفَاظِهَا أحْلى مِنَ الضَّرَبِ[٥]

* * *

وَسْنَى بِأَخْبِيَةِ الصَّحْرَاء يُوقِظهَا ... وَحْيٌ مِنَ الشَّمْسِ أَوْ همْسٌ مِنَ الشهبِ[٦]
تُحْدَى بِهَا اليَعْمَلَاتَ الكُومُ إنْ لَغِبَتْ ... فَلَا تُحِسُّ بِإِنْضَاءٍ وَلَا لَغَبِ[٧]
تَهْتَزُّ فَوْقَ بِحَارِ الآلِ رَاقِصَةً ... وَالنَّصْبُ لِلنيبِ يجْلُو كُرْبَةَ النَّصَبِ[٨]
لَمْ تَعْرِف السَّوْط إلَّا صَوْتَ مُرْتَجِز ... كَأَنَّ فِي فِيهِ مزْمارًا مِنَ القَصَبِ[٩]
تُصْغِي إلَى صَوْتِه الأَطْيارُ صَامِتَةً ... إذَا تَرَدَّدَ بَيْن القُورِ وَالهِضَبِ[١٠]
كَأَنَّهُ وَظَلَام اللَّيْل يَكْنُفُهُ ... غُثَاءَةٌ قُذِفَتْ فِي مَائِجٍ لَجِبِ[١١]
قَدْ خَالَطَ الوَحْش حَتَّى مَا يُرَوّعُهَا ... إذَا تَعَرَّضَ لَمْ تَنْفِرْ وَلَمْ تَثِبِ[١٢]
يَرْنُو بِعَيْنٍ عَلَى الظَّلْمَاء صَادِقَةٍ ... كَأَعْيُنِ النَّسْرِ أنَّى صُوِّبَتْ تُصِبِ
هُوَ الْحَيَاةُ بِقَفْر لا حَياةَ بِهِ ... كالمَاء في الصّخْر أَوْ كالمَاء في الْحَطَبِ
يَبِيتُ مِنْ نَفْسِهِ في مَنْزِلٍ خَضِلٍ ... وَمِنْ شَبَا بِيْضِهِ في مَعْقَلٍ أَشِبِ[١٣]

يَـهْـتَـزُّ لـلـجُـودِ والـمَـشْـتَـاةُ بـاَخِـلَـةٌ وَالـقُـرُّ يَـعْـقِـدُ رَأْسَ الْـكَـلْـبِ بـالـذَّنَـبِ[١٤]

* * *

تـهْـفُـو إِلَـيْـهِ بَـنـاتُ الْـحَـيّ مُـعْـجَـبَـةً وَالْـحبُّ يَـنْـبُـتُ بَـيْـنَ الـعُـجْـبِ وَالْـعَـجَـبِ[١٥]
إِذَا تَـنَـقَّـبْـنَ إِذْ يَـلْـقَـيْـنَـهُ خَـفَـرًا فَـشَـوْقُـهُـنَّ إِلَـيْـهِ غَـيْـرُ مُـنْـتَـقِـبِ[١٦]
تَـرَاهُ كُـلُّ فَـتَـاةٍ حِـيـنَ تَـفْـقِـدُهُ فِي الْبَدْرِ وَالسَّيْفِ وَالضِّرْغَامِ وَالسُّحُبِ[١٧]
زَيْـنُ الـفِـنـاءِ إِذَا مَـا حَـلَّ حَـبْـوَتَـهُ لِـلْـقَـوْلِ لَـبَّـاهُ مِـنْـهُ كُـلُّ مُـنْـتَـخَـبِ[١٨]
أَوْ هَـزَّ شَـيْـطَـانُـهُ أوتـارَ مَـنْـطِـقِـهِ فَـاخْـشَ الأَتِـيَّ وَحَـاذِرْ صَـوْلَـةَ الـعُـبُـبِ[١٩]
مَـا مَـسَّ بِـالْـكَـفِّ أَوْرَاقًـا وَلَا قَـلَـمًـا وَرَأْيُـهُ زِيـنَـةُ الأَوْرَاقِ وَالـكُـتُـبِ
يَـطِـيـرُ لِـلـحَـرْبِ خِـفًّـا غَـيْـرَ مُـدرِعٍ فِي شِدَّةِ الْبَأْسِ مَا يُغْنِي عَنِ الْيَلَبِ[٢٠]
إِذَا دَعَـاهُ صَـرِيـخٌ كَـانَ دَعْـوَتَـهُ وَإِنْ دَعَتْهُ دَوَاعِي الذُّعْرِ لَمْ يُجِبِ[٢١]
لَا تَـرْهَـبُ الْـجَـارَةُ الْـحَـسْـنَـاءُ نَـظْـرَتَـهُ كَـأَنَّ أَجْـفَـانَـهُ شُـدَّتْ إِلَـى طَـنُـبِ[٢٢]

* * *

جَـزِيـرَةٌ أَجْـدَبَـتْ فِـي كُـلِّ نَـاحِـيَـةٍ وَأَخْـصَـبَـتْ فِـي نَـوَاحِـي الْـخُـلُـقِ والأَدَبِ
جَـدْبٌ بِـهِ تَـنْـبُـتُ الأَحْـلَامُ زَاكِـيَـةً إِنَّ الـحِـجَـارَةَ قَـدْ تَـنْـشَـقُّ عَـنْ ذَهَـبِ[٢٣]
تَـوَدُّ كُـلُّ رِيَـاضِ الأَرْضِ لَـوْ مُـنِـحَـتْ أَزْهَـارُهَـا قُـبْـلَـةٌ مِـن خَـدِّهَـا الـتَّـرِبِ[٢٤]
وَتَـرْتَـجِـي الـغِـيـدُ لَـوْ كَـانَـتْ لَآلِـئُـهَـا نظمًا مِنَ الشِّعْرِ أَوْ نَثْرًا مِنَ الْخُطَبِ[٢٥]

* * *

يَـا جِـيـرَةَ الْـحَـرَمِ الـمـزْهُـوِّ سَـاكِـنُـهُ سَـقَـى الـعُـهُـودَ الْـخَـوَالِـي كُـلُّ مُـنْـسَـكِـبِ[٢٦]
لِـي بَـيْـنَـكُـمْ صِـلَـةٌ عَـزَّتْ أَوَاصِـرُهَـا؛ لِأَنَّـهَـا صِـلَـةُ الـقُـرْآنِ وَالـنَّـسَـبِ[٢٧]
أَرى بِـعَـيْـنِ خَـيَـالِـي جَـاهِـلِـيَّـتَـكُـمْ وَلِـلـتَّـخَـيُّـلِ عَـيْـنُ الـقَـائِـفِ الـدَّرِبِ[٢٨]
وَأَشْـهَـدُ الْـحَـشْـدَ لِـلـشُّـورَى قَـدِ اجْـتَـمَـعُـوا وَلَـسْـتُ أَسْـمَـعُ مِـنْ لَـغْـوٍ وَلَا صَـخَـبِ
مِـنْ كُـلِّ مُـكْـتَـهِـلٍ بِـالـبُـرْدِ مُـشْـتَـمِـلٍ لِـلـقَـوْلِ مُـرْتَـجِـلٍ لِـلـهُـجْـرِ مُـجْـتَـنِـبِ[٢٩]
وَأَلْـمَـحُ الـنَّـارَ فِـي الـظَّـلْـمَـاء قَـدْ نُـصِـبَـتْ لِـطَـارِقِ الـلَّـيْـلِ وَالْـحَـيْـرَانِ وَالـسَّـغِـبِ[٣٠]
نَـارٌ ولَـكِـنَّـهَـا قَـدْ صُـوِّرَتْ أَمَـلًا بَـرْدًا إِذَا خَـابَـتِ الآمَـالُ لَـمْ يَـخِـبِ
رَمْـزُ الْـحَـيَـاةِ وَرَمْـزُ الْـجُـودِ مَـا فَـتِـئَـتْ فَـوْقَ الـثَّـنِـيَّـاتِ تَـرْمِـي الـجَـوَّ بِـاللَّـهَـبِ[٣١]

يَـشُـبُّـهَـا أرْيـحـي كُـلَّـمَـا هَـدَأَتْ ... أَلْقَى عَلَى جَمْرِهَا جَزْلًا مِنَ الحَطَبِ[٣٢]
وَأُبْصِرُ القَوْمَ يَوْمَ الرَّوْعِ قَدْ حُشِدُوا ... لِلْمَوتِ يَجْتَاحُ، أَوْ لِلنَّصْرِ وَالغَلَبِ[٣٣]
يَرْمُونَ بالشَّرِّ شَرًّا حِينَ يَفْجَؤُهُمْ ... ورَايُـهُـم فَـوْقَـهُـمْ خَـفَّـاقَـةُ الـعَـذَبِ[٣٤]
وَأَحْضُرُ الشَّعَرَاء اللُّسْنَ قدْ وَقَفُوا ... وَلِـلْـبَـيـانِ فِـعَـالُ الـصَّـارِمِ الـذَّرِبِ[٣٥]
أَبُـو بَـصـيـرٍ لَـهُ نَـبْـرٌ لَـوْ اتُّـخِـذَتْ ... مِـنْـهُ الـسِّـهَـامُ لَـكَـانَتْ أَسْـهُـمَ الـنُّـوَبِ[٣٦]
إِذَا رَمَـاهَـا كَـمَـا يَـخْـتَـارُ قَـافِـيَـةً ... دَارتْ مَـعَ الـفَـلَـكِ الـدَّوَّارِ فِـي قُـطْـبِ[٣٧]

* * *

وَأُغْمِضُ الْعَيْنَ حِينًا ثُمَّ أَفْتَحُهَا ... عَلَى جَلَالٍ بِنُورِ الْحَقِّ مُؤْتَشِبِ[٣٨]
نُورٌ مِنَ اللهِ هَالَ القَوْمَ سَاطِعُهُ ... وَلَيْسَ يُحْجَبُ نُورُ اللهِ بِالْحُجُبِ[٣٩]
تَـكَـلَّـمَـتْ سُـوَرُ الـقُـرْآنِ مُـفْـصِـحَـةً ... فَـأَسْـكَـتَتْ صَـخْـبَ الأَرْمَاحِ وَالْقُضُبِ[٤٠]
وَقَـامَ خَـيْـرُ قُـرَيْـشٍ وَابْـنُ سَـادَتِـهَـا ... يَدْعُو إِلَى اللهِ فِي عَزْمٍ وفي دَأَبِ[٤١]
بِمَنْطِقٍ هَاشِمِيٍّ الوَشْيِ لَوْ نُسِجَتْ ... مِنْهُ الأَصَائِلُ لَمْ تَنْصُلْ وَلَمْ تغِبِ[٤٢]
طَابَتْ بِهِ أَنْفُسُ الأَيَّامِ وَابْتَهَجَتْ ... وَمَـرَّ دَهْـرٌ وَدَهْـرٌ وَهـي لَـمْ تَـطِـبِ
وَهُزَّتِ الرَّاسِيَاتُ الشُّمُّ، وَارْتَعَدَتْ ... لِهَوْلِهِ البَاتِرَاتُ البيضُ فِي القُرُبِ[٤٣]
وَأَصْبَحَتْ بِنْتُ عَدْنَانٍ بِنَفْحَتِهِ ... تِيهًا تُجَرِّرُ مِنَ أَذْيَالِهَا القُشُبِ[٤٤]
فَازَتْ بُركْنٍ شَدِيدٍ غَيْرِ مُنْصَدِعٍ ... مِنَ البَيَانِ وَحَبْلٍ غَيْرِ مُضْطَرِبِ[٤٥]

* * *

وَلَمْ تَزَلْ مِنْ حِمى الإِسْلَامِ فِي كَنَفٍ ... سَهْلٍ وَمِنْ عِزِّهِ فِي مَنْزِلٍ خَصِبِ[٤٦]
حَتَّى رَمَتْهَا اللَّيالي فِي فَرَائِدِهَا ... وَخَرَّ سُلْطَانُهَا يَنْهَارُ مِنْ صَبَبِ[٤٧]
وَعَاثَت الْعُجْمَةُ الْحَمْقَاءُ ثَائِرَةً ... عَلَى ابْنَةِ البِيدِ فِي جَيْشٍ مِنَ الرَّهَبِ[٤٨]
يَـقُـودُهُ كُـلُّ وَلَّاغٍ أَخِـي إِحَـنٍ ... مُضَمَّخٍ بِدِمَاء الـعُـرْبِ مُـخْـتَـضِـبِ[٤٩]
لَمْ يُبْقِ فِيهَا بِنَاءً غَيْرَ مُنْتَقِضٍ ... مِنَ الفَصِيحِ وَشَمْلًا غَيْرَ مُنْقَضِبِ[٥٠]
كَـأَنَّ عَـدْنَـانَ لَـمْ تَـمْـلَأْ بَـدَائِـعُـهُ ... مَـسَـامِـعَ الـكَـوْنِ مِـنْ نَـاءٍ وَمُـقْـتَـرِبِ
مَضَتْ بِخَيْرِ كُنُوزِ الأَرْضِ جَائِحَةٌ ... وَغَابَتَ اللُّغَةُ الفُصْحَى مَعَ الغَيَبِ[٥١]
لَوْلَا (فُؤَادٌ) أَبُو الفارُوقِ مَا وَجَدَتْ ... إِلَى الْحَيَاةِ ابنَةُ الأَعْرَابِ مِنْ سَبَبِ[٥٢]
أَعَـزُّ مِـنْـهَـا حِـمًـى رِيـعَـتْ كَـرَائِـمُـهُ ... وَكَـانَ مَـمْـنُـوعُـهُ نَـهْـبًـا لِـمُـنْـتَـهِـبِ[٥٣]

وَرَدَّ بِالمَجْمَعِ المَعْمُورِ غُرْبَتَهَا وَحَاطَهَا بِكَرِيمِ العَطْفِ وَالْحَدَبِ[٥٤]

* * *

يَا عُصْبَةَ الْخَيْرِ لِلْفُصْحَى وَشِيعَتِهَا حَيَّاكِ صَوْبُ الْحَيا يَا خِيرَةَ العُصَبِ![٥٥]
هَلُمَّ فَالْوَقْتُ أَنْفَاسٌ لَهَا أَمَدٌ وَلَا أَقُولُ بِأَنَّ الوقْتَ مِنْ ذَهَبِ[٥٦]
فَإِنَّمَا المَرْءُ فِي الدُّنْيَا إِقَامَتُهُ إِقَامَةُ الطَّيْفِ والأَزْهَارِ وَالْحَبَبِ[٥٧]
الدَّهْرُ يُسرعُ وَالأَيَّامُ مُعْجِلَةٌ وَنَحْنُ لَمْ نَدْرِ غَيْرَ الوَخْدِ والْخَبَبِ[٥٨]
وَالمُحْدَثَاتُ تَسُدُّ الشَّمْسَ كَثْرَتُهَا وَلَمْ تَفُزْ بِخَيَالِ اسْمٍ وَلَا لَقَبِ
وَالتُّرْجَمَاتُ تَشُنُّ الْحَرْبَ لاقِحَةً عَلَى الفَصِيحِ فَيا لِلْوَيْلِ وَالْحَرْبِ[٥٩]
نَطيرُ لِلَّفْظِ نَسْتَجْدِيهِ مِنْ بَلَدٍ نَاءٍ وَأَمْثَالُهُ مِنَّا عَلَى كَثَبِ
كَمُهْرِقِ الْمَاء فِي الصَّحراء حِينَ بَدَا لِعَيْنِهِ بَارِقٌ مِنْ عَارِضٍ كَذِبِ[٦٠]
أَزْرَى بِبِنْتِ قُرَيْشٍ ثُمَّ حَارَبَهَا مَنْ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ النَّبْعِ وَالغَرَبِ[٦١]
وَرَاحَ فِي حَمْلَةٍ رَعْنَاءَ طَائِشَةٍ يَصُولُ بِالْخَائِبَيْنِ: الْجَهْلِ وَالشَّغبِ[٦٢]
أَنُتْرُكُ العَرَبِيَّ السَمْحَ مَنْطِقُهُ إِلَى دخِيلٍ مِنَ الأَلْفَاظِ مُغْتَرِبِ؟؟[٦٣]
وَفِي المَعَاجِمِ كَنْزٌ لا نَفَادَ لَهُ لِمَنْ يُمَيِّزُ بَيْن الدُّرِّ وَالسُّخُبِ[٦٤]
كَمْ لَفْظَةٍ جُهِدَتْ مِمَّا نُكَرِّرُهَا حَتَّى لَقَدْ لَهَثَتْ مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ[٦٥]
وَلَفْظَةٍ سُجِنَتْ فِي جَوْفِ مُظْلِمَةٍ لَمْ تَنْظُرِ الشَّمْسُ مِنْهَا عَيْنَ مُرْتَقِبِ[٦٦]
كَأَنَّمَا قَدْ تَوَلَّى القَارِظَانِ بِهَا فَلَمْ يَؤُوبَا إِلَى الدُّنْيَا وَلَمْ تَؤُبِ[٦٧]
يَا شِيخَةَ الضَّادِ وَالذِّكْرَى مُخَلَّدَةٌ هُنَا يُؤَسَّسُ مَا تَبْنُونَ لِلْعَقِبِ[٦٨]
هُنَا تَخُطُّونَ مَجْدًا مَا جَرَى قَلَمٌ بِمِثْلِهِ في مَدَى الأدْهَارِ وَالْحِقَبِ[٦٩]

* * *

لَبَّيْكَ يَا مَلِكَ الوَادِي وَمُنْشِئَهُ يَا حَارِسَ الدِّين وَالآدَابِ وَالْحَسَبِ[٧٠]
هَذَا غِرَاسُكَ قَدْ مَاسَتْ بَوَاسِقُهُ تُدَاعِبُ الرِّيحَ فِي زَهْوٍ وَفِي لَعِبِ[٧١]
الْمُلْك فِي بَيْتِكمْ كَسْبًا وَمَوْهِبَةً يُزْهَى عَلَى كلِّ مَوْهُوبٍ وَمُكْتَسَبِ[٧٢]
سَفِينَةٌ أَنْتَ مُجْرِيهَا وَكَالِئُهَا مِنَ الزَّعَازِعِ لَا تَخْشَى أَذَى العَطَبِ[٧٣]
وَأُمَّةٌ أَنْتَ مُجْرِيهَا وَحَافِزُهَا فِي حَلَبَةِ السَّبْقِ لا تُبْقِي عَلَى القَصَبِ[٧٤]
وَدِيعَةُ اللهِ صِينَتْ فِي يَدَيْ مَلِكٍ لِلهِ مُرْتَقِبٍ لِلهِ مُحْتَسِبِ

بَصِيرَةٌ كَضِيَاءِ الصُّبْحِ لَوْ لَطَمَتْ ... غَيَاهِبَ اللَّيْلِ لَمْ يَظْلِمْ وَلَمْ يُهَبِ[٧٥]
وَعَزْمَةٌ كَحَدِيدِ النَّصْلِ لَوْ طَلَبَتْ ... زُهْرَ الكَواكِبِ نَالَتْ غَايَةَ الطَّلَبِ[٧٦]
قَدْ صَمَّمَتْ فَمَضَتْ عَجْلَى لِمَقْصِدِهَا ... تَحْثُو التُّرَابَ بِوَجْهِ الشَّكِّ وَالرِّيَبِ[٧٧]
فَانْظُرْ تَرَى مِصْرَ هَلْ تَلْقَى لَهَا مَثَلًا ... فِي صَوْلَةِ المُلْكِ أَوْ فِي قُوَّةِ الأُهَبِ؟[٧٨]
فَثَرْوَةٌ مِنْ سَرِيِّ العِلْمِ وَاسِعَةٌ ... وَثَرْوَةٌ مِنْ سَرِيِّ الْجَاهِ وَالنَّشَبِ[٧٩]
بَنَى (فُؤَادٌ) بِنَاء الْخَالِدِينَ كَمَا ... بَنَى الغَطَارِيفُ مِنْ آبَائِه النُّجُبِ[٨٠]
إِذَا الغَمَائِمُ جَافَتْ مِصْرَ وَاحْتَجَبَتْ ... فَإِنَّ بِرَّ يَدَيْهِ غَيْرُ مُحْتَجِبِ[٨١]
مَنْ مُبْلِغُ العُرْبِ أَنَّ الضَّادَ قَدْ بَلَغَتْ ... بِقُرْبِ صَاحِبِ مِصْرٍ أَرْفَعَ الرُّتَبِ؟
أَعَادَ مَجْدًا لَهَا مَالَتْ دَعَائِمُهُ ... فَيَا لَهَا قُرْبَةً مِنْ أَعْظَمِ القُرَبِ[٨٢]
وحَفَّهَا بِسِيَاجٍ مِنْ عِنَايَتِهِ ... كَمَا تُحَفُّ جُفُونُ الْعَيْنِ بالهُدُبِ
إِنْ عَقَّهَا أَهْلُ وَادِيهَا وَجِيرَتُهَا ... فَأَنْتَ أَحْنَى عَلَيْهَا مِنْ أَخٍ وَأَبِ
رَأَتْ بِرَبْعِكَ عِزَّ الْمُلْكِ فَانْصَرَفَتْ ... عَنْ ذِكْرِ لُبْنَى وَذِكْرَى رَبْعِهَا الْخَرِبِ[٨٣]
لَاذَتْ بِأَكْبَرِ مِعْوَانٍ لِذِي أَمَلٍ ... نَاءٍ وَأَشْرَفِ عُنْوَانٍ لِمُنْتَسِبِ
عِشْ لِلْكِنَانَةِ تَبْلُغْ أَوْجَ عِزَّتِهَا ... وَلِلعُلَا وَالنَّدَى وَالعِلْمِ وَالأَدَبِ[٨٤]
وَعَاشَ (فارُوق) نَجْمًا فِي تَأَلُّقِهِ ... سَعْدُ السُّعُودِ وَفِيهِ مُنْتَهَى الأَرَبِ

هوامش

(١) طحا بك: صرفك، وذهب بك في كل مذهب. الصناجة: اللاعب بالصنج وهو آلة تتخذ من الصفر. وكان أعشى قيس يلقب بصناجة العرب لحسن رنين شعره. ابنة العرب: اللغة العربية.

(٢) وجمت: سكت حزنًا. تنفخ: ترسل نفسًا طويلًا. الهم: الحزن. الوصب: المرض.

(٣) اليعربية: اللغة العربية نسبة إلى يعرب بن قحطان الذي ينتسب إليه عرب اليمن، وهم العرب العاربة. أندى: أبعد صوتًا. الشجو: الحزن.

(٤) نازعة من البيان: من قولهم: عنده نزعة إلى كذا أي: ميل إليه والمراد عاطفة بيانية. آتت: أعطت. مطلب: مطلوب، وأصله متطلب: أدغمت التاء في الطاء.

(٥) جرس: صوت. الضرب: العسل.

(٦) وسنى: نائمة، من السنة وهي النوم. أخبية. خيام: جمع خباء. الشهب: النجوم. جمع شهاب.

(٧) تحدَى: الحداء هو ضرب من الغناء يكون وراء الإبل. اليعملات: النياق السريعة. الكوم: جمع كوماء، وهي العظيمة السنام. لغبت: تعبت وأعياها السير. إنضاء: هزال.

(٨) الآل: السراب. النصب: ضرب من الحداء. النيب: جمع ناب وهي الناقة المسنة. يجلو: يكشف.

(٩) السوط: ما يضرب به من الجلد. مرتجز: مغن بالأراجيز. والرجز من أوزان الشعر يوافق وقع سير الإبل.

(١٠) القور: جمع قارة وهو الجبل الصغير.

(١١) يكنفه: يحيط به. الغثاءة: الزبد والوسخ ونحوهما مما يجيء فوق السيل. مائج: بحر مضطرب الموج. لجب: لأمواجه جلبة وضوضاء.

(١٢) يروعها: يخيفها. تنفر: تفر مستوحشة. تثب: تند فرقًا ورعبًا.

(١٣) خضل: ند. شبا: جمع شباة وهي حد السيف. والبيض: السيوف. معقل: حصن. أشب: ملتف الشجر كثيره، أي حصين.

(١٤) يهتز: ينشط. المشتاة: زمن الشتاء أو مكانه حيث يقل الخير. القر: البرد. يعقد: يشد.

(١٥) تهفو: تميل. العجْب: الصلف والزهو. العجب: بالتحريك الدهشة والاستغراب.

(١٦) تنقبن: احتجبن. خفرا: حياء.

(١٧) الضرغام: الأسد.

(١٨) الحبوة: أن يجمع الجالس بين ظهره وساقيه بعمامة أو حبل أو نحوهما، وكان ذلك ضروريًّا للعربي لانعدام ما يسند إليه ظهره. لباه: أطاعه.

(١٩) هز: حرك. الأتي: السيل. العبب: المياه المتدفقة، وهي مفرد.

(٢٠) خفا: خفيفًا غير مثقل. مدرع: لابس الدرع. البأس: الشدة والقوة. البلب: الدروع.

(٢١) صريخ: ملهوف مستغيث. الذعر: الخوف.

(٢٢) الطنب: الحبل(المعنى) أنه عفيف النظر.

(٢٣) الأحلام: العقول، جمع حلم. زاكية: نامية متزايدة.

(٢٤) الترب: الكثير التراب.

(٢٥) الغيد: الحسان جمع غادة.

(٢٦) المزهو: المتكبر المفتخر. العهود الخوالي: العصور الماضية.

(٢٧) عزت: قويت. أواصرها: روابطها.

(٢٨) القائف: من يعرف الآثار. الدرب: المتدرب.

(٢٩) المكتهل: من علاه الشيب. مشتمل: ملتحف بالكساء حتى لا تظهر يده. مرتجل: متكلم على البديهة من غير تهيئة للكلام. الهجر: فاحش القول وذميمه.

(٣٠) الطارق: من يأتي ليلًا، السغب: الجائع.

(٣١) رمز: عنوان ودليل. الثنيات: طرق الجبل.

(٣٢) يشبها: يوقدها. أريحي: كريم. جزلًا: حطبًا يابسًا غليظًا.

(٣٣) الروع: الفزع، وهو يوم الحرب. يجتاح: يهلك.

(٣٤) يفجؤهم: يباغتهم. رايهم: أعلامهم. العذب: الأطراف: جمع عذبة.

(٣٥) اللسن: الفصحاء، مفرده لسن. الصارم: السيف. الذرب: الحاد.

(٣٦) أبو بصير: هو الأعشى القيسي صاحب المحلق. النوب: المصائب، جمع نائبة.

(٣٧) القافية: آخر كلمة في البيت، والمراد هنا القصيدة. قطب: مدار.

(٣٨) مؤتشب: ملتف.

(٣٩) هال: أدهش.

(٤٠) صخب: جلبة. القضب: السيوف الدقيقة.

(٤١) خير قريش: كناية عن النبي ﷺ. دأب: جد.

(٤٢) الوشي: النقش. الأصائل: جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب. تنصل: يتغير لونها.

(٤٣) الراسيات: الجبال. الشم: المرتفعات. الباترات: القاطعات. القرب: الأغماد جمع قراب.

(٤٤) بنت عدنان: كناية عن موصوف هو اللغة العربية. تيهًا: زهوًا وكبرًا. القشب: الجديدة، جمع قشيب.

(٤٥) منصدع: منشق.

(٤٦) كنف: جانب. الخصب: الخصيب.

(٤٧) خر: سقط. صبب: منحدر.

(٤٨) عاثت: أفسدت. ابنة البيد: اللغة العربية. الرهب: الخوف.

(٤٩) ولاغ: شارب شرب الكلب. إحن: أحقاد جمع إحنة. مضمخ: ملطخ.

(٥٠) منتقض: متهدم. منقضب: منقطع.

(٥١) جائحة: مصيبة مبيدة. الغيب: ما غاب، جمع غائب.

(٥٢) ابنة الأعراب: اللغة العربية.

(٥٣) حمى: ما يجب أن يحمى. ريعت: أفزعت.

(٥٤) المجمع: مجمع اللغة العربية الذي أنشئ في عصره، وكان الشاعر من أعضائه. الحدب: العطف.

(٥٥) عصبة: جاعة بين العشرة والأربعين. صوب الحيا: نزول المطر.

(٥٦) هلم: تعالوا: اسم فعل أمر. أمد: نهاية.

(٥٧) الطيف: الخيال الطائف في المنام. الحبب: فقاقيع الماء والخمر.

(٥٨) الوخد: سعة الخطو. الخبب: السرعة.

(٥٩) تشن: تثير. لاقحة: شديدة. الويل: العذاب. الحرب: الهلاك.

(٦٠) كمهرق: كمن يصب الماء. عارض: سحاب معترض في الأفق.

(٦١) أزرى: أهان وعاب. النبع: شجر صلب ينبت على رءوس الجبال. الغرب: نبات رخو ينمو على الأنهار.

(٦٢) رعناء: حمقاء. طائشة: مخطئة. يصول: يحارب. الشغب: التهويش.

(٦٣) السمح: السهل. مغترب: غريب.

(٦٤) المعاجم: كتب اللغة. السخب: جمع سخاب وهو العقد من الودع ونحوه.

(٦٥) لهث: أخرج لسانه تعبًا.

(٦٦) مظلمة: حفرة عميقة مظلمة.

(٦٧) القارظان: رجلان من بني عنترة خرجا في طلب القرظ فلم يرجعا. يثوب: يعود.

(٦٨) الضاد: اللغة العربية. عقب: من يأتون بعدكم.

(٦٩) الحقب: العصور.

(٧٠) لبيك: إطاعة لك وإجابة. الحسب: مفاخر الآباء.

(٧١) ماست: تمايلت زهوًا. بواسقه: طواله.

(٧٢) كسبا: إصابة واجتهادًا. موهبة: منحة من الله.

(٧٣) كالئها: حافظها. الزعازع: العواصف. العطب: الهلاك.

(٧٤) حافزها: دافعها. حلبة السبق: جماعة الخيل في ميدان السباق. القصب: ما يركز عليه الغاية في السباق. والمراد الفوز.

(٧٥) بصيرة: فطنة. غياهب: ظلمات. يهب: يخاف منه.
(٧٦) كحديد النصل: كالسيف الحاد المشحوذ.
(٧٧) صممت: أصرت. تحثو: تثير.
(٧٨) الأهب: جمع أهبة وهي عدة الحرب.
(٧٩) النشب: المال.
(٨٠) الغطاريف، جمع غطريف: السيد الشريف. النجب: الكريم.
(٨١) جفت: بعدت.
(٨٢) دعائمه: عمده جمع دعامة. قربة: بر يتقرب به إلى الله تعالى.
(٨٣) ربعك: دارك. لبنى: من فتيات الجاهلية.
(٨٤) الكنانة: مصر. أوج: علو.

حَنِينُ طائِر

نظمت هذه القصيدة في سنة ١٩١٥م.

طَـائِـرٌ يَـشْـدُو عَـلَـى فَـنَـنٍ جَـدَّدَ الـذِّكْـرَى لـذِي شَـجَـنِ
قـامَ والأكْـوانُ صـامِـتَـةٌ وَنَـسـيمُ الـصُّـبْـحِ فـي وَهَـنِ
هاجَ في نَفْسِي وقد هَدَأَتْ لَـوْعَـةٌ لَـوْلاهُ لـم تـكُـنِ
هَـزَّهُ شَـوْقٌ إلـى سَـكَـنٍ فَـبَـكَـى لـلأَهْـل والـسَّـكَـنِ
وَيْـكَ لا تَـجْـزَعْ لِـنَـازِلَـةٍ ما لِطَيْرِ الْجَوِّ مِنْ وَطَنِ[١]
قد يَراكَ الصُّبْحُ في حَلَبٍ ويَـراكَ الـلَّـيْـلَ فـي عَـدَنِ[٢]
أَنْت في خَضْراءَ ضَاحِكَةٍ مِنْ بُكَاء العارِضِ الْهَتِنِ[٣]
أَنْـتَ فـي شَـجْـرَاء وَارِفَـةٍ تَـارِكٌ غُـصُـنًـا إلـى غُـصُـنِ[٤]
عَـابِـثٌ بـالـزَّهْـرِ مُـغْـتَـبِـطٌ نَـاعِـمٌ فـي الْـحلِّ والظَّـعَـنِ[٥]
فـي ظِـلَالٍ حَـوْلَـهـا نَـهَـرٌ غَـيْـرُ مَـسْـنُـونٍ ولا أُسِـنِ[٦]
فـي يَـدَيْـكَ الـرِّيـحُ تُـرْسِـلُـهـا كَـيْـفَـمـا تـهْـوَى بـلا رَسَـنِ[٧]

* * *

يَـا سُـلَـيْـمَـانَ الـزَّمـانِ أَفِـقْ لَـيْـسَ لِـلـذَّاتِ مِـنْ ثَـمَـنِ[٨]
وابْـعَـثِ الْأَلْـحَـانَ مُـطْـرِبَـةً يـا حَـيـاةَ الْـعَـيْـنِ والْأُذُنِ
غَـنِّ بـالـدُّنْـيَـا وزِيـنَـتِـهـا ونِـظَـامِ الْـكَـوْنِ والـسُّـنَـنِ[٩]
وبِـقِـيـعَـانٍ هـبَـطْـتَ بِـهـا وبـمـا شَـاهَـدْتَ مِـنْ مُـدُنِ[١٠]

وبـأَزْهَـار الـصَّـبـاحِ وقَـدْ نَهَضَتْ مِنْ غَفْوَةِ الوَسَنِ[١١]
وبِـقَـلْـبٍ شَـفَّـهُ وَلَـهٌ حافِظٍ لِلْعَهْدِ لم يَخُنِ[١٢]
كُلُّ شَيءٍ في الدُّنَا حَسَنٌ أيُّ شَيءٍ لَيْس بالْحَسَنِ[١٣]
خـالِـقُ الأكْـوَان كـالـئُـهـا وَاسِعُ الْإِحْسَانِ والْمِنَنِ[١٤]

* * *

كـانَ لِـي إِلْـفٌ فَـأَبْـعَـدَهُ قَـدَرٌ عَـنِّـي وأبْـعَـدَنِـي[١٥]
أنـا مَـدَّ الـدَّهْـرِ أَذْكُـرُهُ وَهْوَ مَدَّ الدَّهْر يَذْكُرُني[١٦]
قَد بَنَيْنا الْعُشَّ مِنْ مُهَجٍ غُسِلَتْ مِنْ حَوْبَةِ الدَّرَنِ[١٧]
مِـنْ لَـدُنْـهُ الْـوُدُّ أَخْـلَـصُـهُ والْوَفا والطُّهْرَ مِنْ لَدُنِي
كـانَتِ الأطْـيَـارُ تَـحْـسُـدُهُ جَنَّةَ الْمَأْوَى وتـحْـسُـدُنـي
وَظَـنَـنَّـا أنْ نَـعـيـشَ بِـهِ عِيشَةَ المستَعْصِمِ الأمِن
فَـرَمَـتْ كَـفُّ الـزَّمَـانِ بِـهِ فَـكَـأَنَّ الْـعُـشَّ لَـم يَـكُـن
طارَ مِنْ حَوْلي وَخَلَّفَنِي لِلْجَوَى والبَثِّ والْحَزَنِ[١٨]
وَنَـأَى عَـنِّـي ومـا بَـرِحَـتْ نازِعاتُ الشَّوْقِ تَطْرُقُنِي[١٩]
وَمَضَى والْوَجْدُ يَسْبِقُهُ وَدمُوعُ الْعَيْنِ تَسْبقُني[٢٠]

* * *

إنْ تَـزُرْ يـا طَـيْـرُ دَوْحَـتَـهُ بَيْنَ زَهْرٍ نَاضِرٍ وجَنِي[٢١]
وَشَهِدْتَ «التِّمْسَ» مُضْطَرِبًا واثِـبًـا كـالـصـافِـنِ الْأَرِن[٢٢]
عَـبِـثَـتْ ريـحُ الـشَّـمـالِ بِـه فَطَغَى غَيْظًا على السفُنِ
فَـانْـشُـدِ الأَطْـيَـارَ وَاحِـدَهـا فِي الْحُلَى والْحُسْنِ والْجَدَنِ[٢٣]
وَتَـرَيَّـثْ فـي الْـمَـقَـالِ لَـهُ قد يَكُونُ الْمَوْتُ في اللَّسَنِ![٢٤]
صِفْ لَهُ يَا طَيْرُ مَا لَقِيَتْ مُهْجَتِي في الْحُبِّ مِنْ غَبَنِ[٢٥]
صِـفْ لَـهُ رُوحًـا مُـعَـذَّبَـةً ضـاقَ عـن آلامِـهـا بَـدَنِـي
صِفْ لَـهُ عَـيْـنًـا مُـقَـرَّحَـةً لأبِـيِّ الـدَّمـعِ لَـمْ تَـصُـن

* * *

يـا خَـلِـيـلِـي وَالْـهَـوَى إِحَـنٌ لا رَمـاكَ الـلـهُ بـالْإِحَـن[٢٦]
إِنْ رَأَيـتَ الْـعَـيْـنَ نـاعِـسَـةً فَـتَـرَقَّـبْ يَـقْـظَـةَ الْـفِـتَـنِ[٢٧]
أَوْ رَأَيـتَ الْـقَـدّ فـي هَـيَـفٍ فاتَّـخِـذْ ما شِـئْـتَ مِـنْ جُـنَـن[٢٨]
قـد نَـعِـمْـنـا بـالْـهَـوَى زَمَـنًـا وشَـقِـيـنـا آخِـرَ الـزَّمَـنِ!

هوامش

(١) ويك: عجبًا لك. والجزع: نقيض الصبر. والنازلة: الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس.

(٢) حلب: بلدة سورية بالقرب من حدودها الشمالية. وعدن: بلد على ساحل الخليج المسمى باسمها جنوبي جزيرة العرب.

(٣) العارض: السحاب المعترض في الأفق. والهتن: المنصب الهطل.

(٤) أرض شجراء: كثيرة الشجر.

(٥) الحل: مصدر حل المكان وحل به أي نزل به. والظعن بسكون العين وفتحها مصدر ظعن أي: سار وارتحل.

(٦) مسنون: منتن. والأسن من الماء: الآجن وهو المتغير الطعم واللون.

(٧) تهوَى: تحب. الرسن: الحبل تربط به الدابة.

(٨) سيدنا سليمان بن سيدنا داود — عليهما السلام — والمعنى أن الله قد سخر لك الريح كما سخرها من قبل لسليمان.

(٩) السنن: جمع سنة وهي الطبيعة.

(١٠) القيعان: جمع قاع وهو المستوي من الأرض.

(١١) الغفوة: النومة الخفيفة. الوَسَن: النعاس.

(١٢) شفة الهم: هزله. الوله: الهم والحزن والحيرة.

(١٣) الدنا: جمع دنيا.

(١٤) كالؤها: حافظها. المنن: جمع منَّة وهي النعمة.

(١٥) الإلف: الأليف والحبيب. القدر: ما يقدره الله — عز وجل — ويقضي به.

(١٦) مد الدهر: مداه وطوله.

(١٧) المهج: جمع مهجة وهي النفس والروح. الحوبة: الإثم والذنب. الدرن: الوسخ.

(١٨) الجوى: الحرقة وشدة الوجد. البث: أشد الحزن.

(١٩) نأى: بعد. النازعات: جمع نازعة وهي ميل النفس الشديد. تطرقني: تجيئني. والطروق في الأصل المجيء ليلًا.

(٢٠) الوجد: الحزن والحب.

(٢١) الجني: ما يجنى من الشجر ما دام غضًّا.

(٢٢) التمس: نهر مشهور في إنجلترا. الصافن: من الخيل ما قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة. الأرن: النشيط مصلت الأذنين.

(٢٣) الحلى: جمع حلية وهي الصفة، والحلية أيضًا الحي وهو ما تتزين به المرأة من المصوغات والجواهر ونحوها. الجدن: حسن الصوت.

(٢٤) تريث: اتئد وتمهل. المقال: القول. اللسن: الفصاحة.

(٢٥) المهجة: النفس. الغبن: مصدر غبنه في البيع ونحوه يغبنه أي: خدعه.

(٢٦) الخليل: الصاحب. والهوى: الحب. الإحن: جمع إحنة وهي الحقد والغضب.

(٢٧) عين ناعسة: فاترة، والفتور من صفات الحسن في عيون النساء.

(٢٨) القد: اعتدال القامة وحسن التقطيع. الهيف: ضمور البطن ورقة الخاصرة. والجنن: جمع جنة وهي السترة وكل ما وقى.

عِيدُ جُلُوس الملِك فؤاد

في سنة ١٩٣٤م

العَيْشُ مُخْضَلُّ الْجَوانِبِ أَخْضَرُ ... واليومُ من نَسْجِ السَّحائبِ أنْضَرُ[١]
والرَّوضُ يَصْدَحُ بالبَشائِرِ أيْكُهُ ... فالعُودُ عُودٌ والأزاهِرُ مِزْهَرُ[٢]
يَجْرِي النَّسِيمُ به فَيَجْتازُ الرُّبا ... صُعُدًا، وَتَجْذِبهُ الغُصونُ فَينْفِر
كم زَهْرةٍ عَلِقَتْ بِفَضْلِ رِدَائه ... فالوردُ مِلء ردائِه والعَبْهر[٣]
إن ضجَّ من آبٍ وحَرٍّ وَثاقِهِ ... فاليومَ يَدْرُجُ ما يشاءُ ويَخْطِر[٤]
يَطْفُو على وَجْه الْجَدَاوِلِ طائرًا ... غَرِدًا يُصِفِّقُ بالْجَنَاحِ ويَطْفِرُ[٥]
في كفِّهِ البُشْرَى، وفي هَمَساتِهِ ... نُعْمَى الحياةِ وعزُّ مِصْرَ الأَوْفر[٦]
والشمسُ ضاحكةٌ، كأنّ شُعاعَها ... أملُ الوُجوه المُشْرقُ المُسْتَبْشِر
تَخْتالُ في يومٍ تَرَقَّبتِ العُلا ... مِيلادَه، ورَنتْ إليه الأَعْصُرُ[٧]
نَهَضت به آمالُ مِصْرَ وأقْسمتْ ... مِنْ بعد هذا اليومِ لا تَتَعثَّر
فَلكَم تَمنَّى الدينَ طالِعَ صُبْحِه ... واهْتزَّ من شَوْقٍ إليه الْمِنْبَرُ[٨]
تَمْشِي المُنَى فيه تجُرُّ خِمَارَها ... خَفَرًا، ويَزْهُوها الْجَمالُ فَتسْفِر[٩]
فازتْ به مِصْرٌ بخَيْرِ مُتَوَّجٍ ... يَنْهَى كما يرضى الإلهُ ويأمر
يومٌ إذا زُهِيَ الزمانُ بِمثْلِه ... فبِمِثْلِه يُزْهَى الزمانُ وَيفْخر[١٠]
السَّعْدُ في ساعاتِهِ مُسْتَوطنٌ ... والعِزُّ في جَنَبَاتِه مُتَبخْتِرُ[١١]
هو في فَمِ الدُّنْيا حَدِيثٌ خالِدٌ ... يَحْلُو على الأَيَّام حين يُكَرَّر

هو طَلْعةُ الرَّوْض النَّضِيرِ وَظِلُّه ونَمِيرُه ونسيمه المُتَعطِّر[١٢]
أملُ البلادِ تمسّكَتْ بحباله في الحادثاتِ وعيدُ مصرَ الأكبر

* * *

عيدٌ بأَنْوار الْجَلالِ مُتَوَّجٌ وبمُنّة النَّصرِ العَزيزِ مُؤَزَّر[١٣]
هو صُورةٌ للبِشْرِ أُحْكِم رَسْمُها لو أنَّ أَيَّامَ السُّرورِ تُصَوَّر
لانَتْ به الدُّنيا وأَخْصب عَيْشُها وبيُمْنِهِ اخْضرَّ الزمانُ الْمقْفِر[١٤]
وشَدَتْ لِمَطْلعِه القُلوبُ كأنَّها طَيْرٌ تُغَرِّد للرِّياضِ وتصْفِر[١٥]
هو في كِتَابِ الدَّهْر سَطْرُ مَجَادَةٍ خَشَعَتْ لِهَيْبَةِ ما حَواه الأسْطُرُ[١٦]
وثبَتْ به مِصْرٌ وقد طال الكَرَى وَمَضَتْ إلى قَصَب الفَخارِ تُغَبِّرُ[١٧]
وَعَلَتْ بفَضْل مَلِيك مِصرَ مَكَانةً لم تَقْتَعِدْها في السَّماء الأَنْسُر[١٨]
تُتقطّعُ الآمالُ دون بُلوغها وتَودّ رُؤْيَتَها العُيونُ فَتحْسُر[١٩]
ترْنُو لها الْجَوْزَاءُ نَظْرةَ حَاسِدٍ وبِذكْرِها تَلْهو النُّجومُ وتَسْمُر[٢٠]
وإذا سَما المِلكُ الهُمامُ لغايةٍ فالصَّعبُ هَيْنٌ والعَسيرُ مُيَسَّر[٢١]

* * *

عيدَ الجلوسِ وأنت عِزةُ أمةٍ تَعْلو بمَوْلاها العَظِيم وتَكْبُرُ
غنَّاكَ شِعْري فاستَمعْ لِغنَائِه إنَّ البَلابلَ في الْخَميلةِ نُدَّر
ما كلُّ من عَرَك المَزَاهِرَ مَعْبَدٌ يَوْمًا ولا كلُّ المَواضِع عَبْقَر[٢٢]
إن الرماحَ حدائدٌ مَنْبُوذَةٌ حتى يُثقّف جانِبيْها سَمْهَرُ[٢٣]
حيَّتْ طلائِعَك القَوافِي هُتّفًا وشَدَتْ لمَقْدَمِك الكريمِ الأشطُر[٢٤]
والشعرُ مرآةُ النُّفوسِ وصُورةٌ مَحْسوسةٌ ممَّا تُكِنُّ وتشعُر[٢٥]
يا عِيدُ كَمْ بك من جَمالٍ زاهرٍ يَبْهَى بإِشْراقِ المَليك وَيَبْهَر![٢٦]
كم مِنْ مَواكبَ وارداتٍ تَرْتَجِي شَرَفَ المُثُولِ ومنْ مَواكِبَ تَصْدُر[٢٧]
والشعبُ يَزْحَمُ بالمناكِبِ طامِعًا في نَظْرةٍ تُحْيِي القلوبَ وتَجْبُر[٢٨]
ضاقتْ به السَّاحَاتُ حتى أصبحتْ كالبَحْرِ يَقْذِفُ بالعُبَاب وَيزْخَر[٢٩]
حتى إذا ظَهر المَلِيكُ كأنَّه بَدْرٌ به انجابَ الظَّلامُ الأكْدر[٣٠]
في بُرْدِهِ أملُ الكنانةِ باسِمٌ وبِوَجْهه نورُ الْجَلَالَةِ مُسْفِر[٣١]

شَخصتْ له الآمالُ تُسرِع خَطْوَها ... ودنَا لرُؤيته العدِيدُ الأكْثرُ[٣٢]
ترْنُو العُيونُ فَتَجْتَلي من نوره ... فَيْضًا ويَغْلِبُها السَّنا فَتَحيَّر[٣٣]
والناسُ بين مُسَبِّحٍ ومُكَبِّرٍ ... لَبَّى نِدَاه مَسبِّحٌ ومُكَبِّر[٣٤]
والبِشْرُ قد ملأ الوُجوهَ نَضارةً ... فتكادُ من فَرْطِ النَّضارةِ تَقْطُر
والقُطرُ يهتفُ أن يعيشَ فؤادُهُ ... والشَّعْبُ يجهَرُ بالدعاء وَيَجأَر[٣٥]
في مَوْكِبٍ لم يَلْقَ (كِسْرَى) مثلَه ... في السَّابقين ولم يَنَلْه قَيْصَر[٣٦]
قَدَرُوا مآثرَك النَّبيلةَ قَدْرَها ... وكذاك مَحْمودُ المآثرِ يُقْدَر
أحْسنتَ للشَّعب الكَرِيمِ رِعَايةً ... فَشَدا بنعمتِكَ التي لا تُكْفَر
اللهُ قد خَلَقَ المكارمَ والنَّدَى ... شَجَرًا يُظَلِّلُ في الهَجِير ويُثْمِر[٣٧]
إنَّ الذي ملك القُلوبَ بعَطْفه ... أَوْلَى بِتَمْجِيدِ القُلوبِ وأجدَر

* * *

شِعْري استبقْ في الحاشِدين مُبادِرًا ... لا يُدركُ الآمالَ مَنْ يتأَخَّرُ
وانزِلْ (برَأْس التِّين) واخْشَعْ مُطْرِقًا ... ممّا تُحِسُّ من الْجَلال وتُبْصِرُ[٣٨]
فهنالك المَجْدُ المُؤَثَّلُ سامِقًا ... والملْك حولَك واسعٌ مُسْتَبْحِر[٣٩]
هذا (ابنُ إسماعيل) فانثُر حولَهُ ... دُرَرًا تدُومُ على الزَّمانِ وتُذْخَر[٤٠]
ساسَ البلادَ بحكْمةٍ عَلَوِيَّة ... بسَدادِها تعتزُّ مِصْرُ وتُنْصَر[٤١]
عَزْمٌ كما صَال الْحُسام وهِمَّةٌ ... أسْمَى من النَّجم البَعيدِ وأَبْهر
ومَضاءُ رَأْيٍ لو رَمى حَلَكَ الدُّجى ... لَمضى الدُّجَى مُتَعثِّرًا يَتَقَهْقَر
بلغتْ به مِصْرُ مَنَازِلَها العُلَا ... يُومِي إليها طرْفُه فَتُشَمِّر[٤٢]
تَمْضِي، كما يَمْضِي الشِّهابُ، مُجِدَّةً ... لا يبلغُ الشأو البعيدَ مُقَصِّر[٤٣]
مَلأ البِلاد عوارفًا ومَعارفًا ... تُزْجَى إلى أَقْصى البلاد وتنْشَر[٤٤]
وأعَاد مجدَ الخالِدين بنَهْضةٍ ... تَحْتَاج شُمَّ الرَّاسياتِ وتُقْهَر[٤٥]
فتلفَّتَ التاريخُ مشْدوهَ النُّهَى ... وتَطلَّعتْ من حُجْبِهنّ الأدْهُر[٤٦]
لا تدْهَشِ الدُّنيا، فصَوْلَةُ عَزْمِهِ ... أقْوى على كَبْح الصِّعابِ وأقدَرُ[٤٧]
الخالدون على الزمان جدودُهُ ... والسابقون قبيلُه والمعشَر[٤٨]
النهضةُ الكبرَى إليهم تنتمِي ... وجلائلُ الآثار عنهم تُذْكر
درجوا وأمّا مجدُهم فمُخلَّدٌ ... باقٍ، وأما ذِكْرهم فمُعَمَّر[٤٩]

* * *

أفؤاد عش للنيلِ ذُخرًا إنما ... بِنَدَاكما تحيا البلادُ وتنضُر[٥٠]
قد فاض في طول البلاد وعرضها ... لكنَّه في جنبِ فَيْضِك يَصْغُر
يتبرَّكُ الوادي بَلثمُ بنانِهِ ... فيعودُ وهو المعْشِب المُخْضَوضِرُ[٥١]
الْخِصْبُ والإغداقُ فيضُ يمينه ... والمسكُ كُدْرَةُ مائِهِ والعنبر[٥٢]
تِبْرٌ إذا غَمَر البلادَ رأيتَها ... والدرُّ مِلءُ نُحورِها والْجَوْهَر
والأرض وَشْيٌ طُرِّزَتْ أفوافُه ... والزهرُ منه مُدَرْهَمٌ ومُدَنَّر[٥٣]
أنَّى جرَى هَمس الخمائلُ باسمه ... وتبسَّم النِّسرينَ والنِّيلُوفَر[٥٤]
وسرت بمَقدِمِه البشائرُ حُوَّمًا ... السُّحْبُ تُنْبِئُ والنسائمُ تُخبر
إن أصبحتْ مصرُ الخصيبةُ جنَّةً ... في عهدك العُمَريِّ فهو الكَوْثَرُ[٥٥]
عِشْ في حِمَى الرَّحمنِ جلّ جلالُه ... ترعاك عينَ لا تنامُ وتخفُرُ[٥٦]
واهنأ بعيدك إنه فألُ المُنَى ... فَبيُمْنه تعلو البلادُ وتظْفَر
لا زلتَ ترفُلُ في مطارفِ صحّةٍ ... هي كل ما يرجو الزمان ويُؤْثِر[٥٧]
واسلَمْ لمصرَ فأنتَ أنتَ فؤادُها ... وحياتُها ولُبابُها المتخَيَّر[٥٨]

* * *

فاروقُ زَيْنُ الناشئين المرتجَى ... كَرُمت أوائِلُهُ وطَاب العُنصُر[٥٩]
مجدُ الشبابِ مَنَاطُ آمالِ العُلا ... وسَنَا الحياةِ ونَجْمُ مصرَ النيِّر[٦٠]
أَنبتَّه خيرَ النباتِ يَزِينُه ... خُلُقٌ كأمواهِ السحابِ مُطَهَّرُ
الفضلُ يلمَعُ في وضيء جبينه ... زهوًا كما ابتسم الربيع المُبْكِر
إنَّ الصعيدَ لَمُزْدَهٍ بأميرِهِ ... جَذْلانُ يصدحُ بالثناء ويجهر[٦١]
لو تَسْتطيعُ الباسقاتُ بأرضه ... سَعْيًا لجاءت نحو بابِكَ تشكُر[٦٢]
عاش المليكُ وعاش فاروقُ الْحِمَى ... يزهو بطلعته الوجودُ ويُزْهِر[٦٣]

هوامش

(١) المخضل: الندِيّ الوصب. نسج السحائب: النبات والأزهار.

(٢) العود: «الأول» الغصن من أغصان الشجر والعود «الثاني» تلك الآلة المعهودة. الأزاهر: جمع أزهار، وأزهار: جمع زهر، وهو نور كل نبات. والمزهر (بالكسر): الدف يضرب عليه.

(٣) فضل الرداء: زيادته وما ينسحب على الأرض منه. العبهر: الياسمين.

(٤) آب: شهر من شهور السنة الشمسية، وهو يقابل شهر أغسطس. حيث يشتد الحر. الوثاق: ما يشد به من قيد أو حبل أو غيره. يدرج: يسير. يخطر: أي يختال ويتبختر.

(٥) يطفر: يثب مرتفعًا.

(٦) الأوفر: الكامل.

(٧) ترقبت: انتظرت. ورنا إليه يرنو: أدام النظر. الأعصر: الدهور.

(٨) طالع صبحه: أي ظهور صبحه.

(٩) الخمار: هو ما تغطي به المرأة رأسها. الخفر: شدة الحياء. ويزهوها: يستخفها. تسفر: تكشف قناعها فتبين.

(١٠) زهى به: تاه وتكبر.

(١١) مستوطن: أي ملازم لا يبرح. الجنبات: النواحي.

(١٢) النضير: الحسن الزاهي. النمير: الماء الناجع في الري.

(١٣) المنة (بالضم): القوة. ومؤزر: أي إن النصر له عدة ومنعة.

(١٤) اليمن: البركة. المقفر: المجدب المحل.

(١٥) شدت: غنت. صفر الطائر: غرد.

(١٦) المجادة: الرفعة والشرف.

(١٧) الكرى: النوم والنعاس. قصب الفخار: أمده وغايته. وذلك أنهم كانوا ينصبون في حلبة السباق قصبة. فمن سبق واقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق الذي أدرك الغاية. تغبر: أي تسبق، وذلك لأن المُجِدّ المسرع يثير الغبار خلفه.

(١٨) يقال: اقتعده: إذا اتخذه مقعدًا. وخص النسور؛ لأنها تختار الأماكن المرتفعة أوكارًا لها.

(١٩) حسرت العين تحسر: كلت لطول مدى وغاية.

(٢٠) رنا له يرنو: أدام النظر إليه. الجوزاء: برج في السماء يضرب به المثل في العلو والارتفاع.

(٢١) الهين (بالتخفيف): الهين (بالتشديد).

(٢٢) المزاهر: جمع مزهر وهو العود. عركها: لوى مفاتيحها. معبد: مغن معروف، وكان إمام أهل المدينة في الغناء. عاش في أوائل دولة بني أمية، ومات بدمشق في أيام الوليد بن يزيد. عبقر: أي موضع يملك عليك إعجابك بحسه وجماله. العبقر (في الأصل): مكان كانت العرب تزعم أنه كثير الجن. ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته أو قوته.

(٢٣) تثقيف الرمح: تقويمه وتسويته. سمهر: رجل اشتهر هو وزوجته ردينة بتثقيف الرماحه فنسبت إليهما.

(٢٤) يريد (بالطلائع): كواكب الفرسان التي تتقدم ركب الملك. هتفًا: هاتفة. الأشطر: جمع شطر، وهو نصف البيت من الشعر، يريد القصائد.

(٢٥) تكن: تخفى وتستر.

(٢٦) يبهى: يحسن ويظرف. يبهر: يشرق ويضيء.

(٢٧) تصدر: ترجع.

(٢٨) يزحم بالمناكب: يدفع بعضه بعضًا بمناكبه. تجبر: تصلح.

(٢٩) عباب البحر: معظمه وموجه. زخر: طما وارتفع.

(٣٠) انجاب الظلام: انكشف وانقشع. الأخدر: الساتر الواري.

(٣١) مسفر: مضيء مشرق.

(٣٢) شخصت: اتجهت.

(٣٣) ترنو: تديم النظر. تجتلي: تستبين وتكشف. السنا: النور. فتحير: أي فتتحير.

(٣٤) لبى: أجاب وردد. الندى (بالمد وقصر للشعر): الدعاء.

(٣٥) يجأر: يرفع صوته بالدعاء.

(٣٦) كسرى: لقب لملك الفرس. قيصر: لقب لملك الروم.

(٣٧) الندى: الجود. الهجير: الهاجرة حيث يشتد الحر.

(٣٨) يريد «برأس التين»: سراي رأس التين بالإسكندرية. وهي مقر الملك في هذا البلد.

(٣٩) المؤثل: الذي له أصل قديم. السامق: العالي المرتفع. مستبحر: متسع ممتد.

(٤٠) يريد بابن إسماعيل: الممدوح أحمد فؤاد الأول. تذخر: تجمع وتدخر.

(٤١) علوية: نسبة إلى رأس الأسرة محمد علي. السداد: الرشاد والإصابة في الأمور.

(٤٢) يومي: يشير. الطرف: العين. تشمر: تجد وتسرع.

(٤٣) الشأو: الغاية والمدى.

(٤٤) تزجى: تبعث وتحمل.

(٤٥) تجتاج: تستأصل وتدك. وشيم الراسيات: الجبال المرتفعة الثابتة الراسخة.

(٤٦) مشدوه النهى: أي حائر العقل مذهولًا. الأدهر: جمع دهر.

(٤٧) الصولة: السطوة والمضاء. كبح الجماح: تذليلها والتغلب عليها.

(٤٨) قبيله والمعشر: أقاربه وأهله.

(٤٩) درجوا: مضوا وذهبوا.

(٥٠) الذخر: ما يدخر للحاجة. الندى: الجود. تنضر: تصير ذات نضرة أي: حسن وبهاء ونعمة.

(٥١) المخضوضر: المخضر.

(٥٢) الإغداق: كثرة الخير والنعمة. الفيض: الإعطاء. ويريد بكدرة مائه: الغرين الذي يجلبه النيل معه فيفيد مصر خصبًا. وشبهه بالمسك والعنبر في لونهما ونفاستهما.

(٥٣) الوشي: الثوب المنقوش. الأفواف: نوع من البرود اليمنية مخطط، الواحد، فوف. مدرهم ومدنر: أي كالدراهم والدنانير في استدارتها وألوانها.

(٥٤) النسرين: ورد أبيض عطري قوي الرائحة. النيلوفر: ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة له أصل كالجزر وساق أملس.

(٥٥) العمري: نسبة إلى سيدنا عمر بن الخطاب. الكوثر: نهر في الجنة.

(٥٦) ترعاك وتخفرك: تحفظ وتحرسك.

(٥٧) ترفل: تجر الذيل. والمطارف: جمع مطرف وهو رداء من خز مربع ذو أعلام. يؤثر: يختار ويفضل.

(٥٨) الفؤاد: القلب أو العقل. وفي هذا اللفظ تورية ظاهرة. اللباب: المختار الخالص من كل شيء.

(٥٩) فاروق: ولي العهد إذ ذاك. العنصر: الأصل.

(٦٠) مناط الآمال: موضع الرجاء ومحط المنى. المناط (في الأصل): اسم موضع التعليق. السنا: الضوء. النير: المنير.

(٦١) الصعيد: الوجه القبلي من مصر.

(٦٢) الباسقات: الأشجار العالية المرتفعة.

(٦٣) الحمى: ما تجب عليك حمايته ومنعه. ويريد به هنا مصر. يزهر: يشرق ويضيء.

الجامعة العربية

أنشدت هذه القصيدة في حفل حاشد أقيم بالقاهرة تكريمًا لزعماء الأقطار العربية سنة ١٩٤٤م، بمناسبة إنشاء جامعة الدول العربية بالقاهرة.

سَنا الشرقِ، من أيِّ الفراديس تَنْبعُ؟ ... ومـن أيِّ آفـاقِ الـنُّـبـوَّةِ تـلـمَـعُ؟[١]
وفـي أيِّ أطـواء الـقُـرونِ تـنـقَّـلـتْ ... بمصباحِكَ الدنيا يشُبُّ ويسطَعُ[٢]
طـلـعـتَ عـلـى الأهـرام والـكـونُ هـامـدٌ ... وأشـرقـتَ بـالإلـهـام والـنـاسُ هُـجَّـع[٣]
طـلـعـتَ شُـعـاعًـا عـبـقـريًّـا كـأنَّـمـا ... من الحقِّ أو نورِ البصائرِ تطلُع[٤]
وجـمَّـعـتَ أسـرارَ الـعـقـولِ فـهـل دَرَتْ ... مـخـابـئُ فِـرعـونٍ بـمـا كـنـتَ تـجـمَـع؟[٥]
وجـمَّـلـتَ أفْـقَ الـشـرقِ والأرضُ كـلُّـهـا ... سُـهـوبٌ تـضـلُّ الـعـينُ فـيـهـنَّ بَـلْـقَـع[٦]
أذاك ابـتـسـامُ الـغِـيـد مـا أشـرقـتْ بـه ... ثـنـايـاكَ، أم زَهْـرُ: الـرُّبـا الـمـتـضـوِّعُ؟[٧]
رأيتَ ابنَ عِمْرَانٍ على الطُّورِ شاخصًا ... يُـهـيـبُ بـه الـوحـيُ الـكـريـمُ فـيـسـمَـع[٨]
وأبصرتَ عيسَى ينشُرُ الرفْقَ والرضا ... ويـسـتَـلُّ أحـقـادَ الـقـلـوبِ ويـنـزعُ[٩]
وشـاهـدتَ وَسْـطَ الـجَـحـفَـلَـيْـنِ مُـحـمـدًا ... وبين هُدى الإيمان والشركِ مَصْرَع[١٠]
إذا صـال فـالـدنـيـا مَـجَـرُّ رِمـاحِـه ... وإنْ قـال فـالأيـامُ عَـيْـنٌ ومـسْـمَـع[١١]
ألـم تَـرَهُ فـي بُـرْدَةِ الـلـيـلِ سـاجـدًا ... ومنه دُروعُ الروم حَيْرَى تَفْزَّع؟![١٢]

* * *

سنا الشرق، أشرق وابعث النور ساطعًا ... يـشُـقُّ ديـاجـيـر الـظـلام ويـصـدَع[١٣]
أعد شمسَك الأولى إلى الأفْقِ مثلما ... أعاد ضياءَ الشمسِ للأفْقِ يُوشَع[١٤]

نزَفنا دموعَ المقلتين تفجُّعًا ... فهل مرةً أجدى علينا التفجُّع؟
وعشنا بآمَالٍ كأطيافِ نائم ... يُروِّعها من دهرِنا ما يُروِّع[١٥]
شعاعُك تاريخٌ، ونورُك حِكمةٌ ... ولمحُك آمَالٌ، ونهجك مَهْيَع[١٦]
إذا ضيَّع التاريخَ أبناءُ أمّةٍ ... فأنفُسَهُم في شِرْعَةِ الحقِّ ضيَّعوا![١٧]
أبَى الدَّهرُ أنْ ينقادَ إلَّا لَعْزمةٍ ... يخِرُّ لها الدهرُ العَتِيُّ ويخنَع[١٨]
وسرُّ العلا نفسٌ كما شاءتِ العلا ... طموحٌ، ورأيٌ من شَبا السيفِ أقْطع[١٩]
وَمنْ يتجنَّبْ في الحياة زحامَها ... فليس له في ساحةِ المجدِ مَشْرَعُ![٢٠]

* * *

خُذي مصر أسبابَ السماء لموطنٍ ... من العزِّ لا يسمو إليه التطلع[٢١]
سحرتِ عيونَ الخافقيْنَ كأنَّما ... بأرضِك سحرٌ للفراعين مُودَع[٢٢]
قَبابٌ تروم السُّحْبَ إدراكَ شأوِها ... ومن دونه أعناقُهنّ تَقَطَّع![٢٣]
وآثارُ عِرفانٍ تُضيءُ كأنَّما ... تناثر حول النيل عِقْدٌ مُرَصَّع
دعُونا نباهي بالحياةِ فطالما ... طوَى أمَم الشرقِ الحياءُ المُقَنَّع![٢٤]
خلعنا رِداءً رَثَّ من طُولِ لُبْسِه ... وكُلُّ رداءٍ رثّ باللّبْس يُخْلَع[٢٥]
صحا الشرقُ وانجاب الكَرَى عن عيونه ... وليس لمن رام الكواكبَ مَضْجَع![٢٦]
إذا كان في أحلام ماضيه رائعًا ... فنهضتُه الكُبْرى أجلُّ وأروع!
توحّد حتى صار قلبًا تحوطه ... قلوبٌ من العُرْبِ الكرام وأضلُع
وأرسلها في الخافقيْنِ وثيقةً ... لها الحبُّ يُمْلي والوفاءُ يوقِّعُ
لقد كان حُلْمًا أن نرى الشرقَ وَحْدةً ... ولكن من الأحلامِ ما يُتَوقَّع
إذا عُدِّدتْ راياتُه فهي رايةٌ ... وإنْ كثُرتْ أوطانُه فهي موضع
فليست حدودُ الأرض تفصِلُ بيننا ... لنا الشرقُ حدٌّ، والعُروبةُ مَوْقِع
تذوبُ حُشاشاتُ العواصمِ حسرةً ... إذا دَمِيَتْ من كفِّ بغداد إصْبع![٢٧]
ولو صُدِعَتْ في سَفح لُبنانَ صخرةٌ ... لدكَّ ذُرا الأهرام هذا التصدُّعُ![٢٨]
ولو بَرَدَى أنَّتْ لخطبٍ مياهُه ... لسالتْ بوادي النيلِ للنيل أدمُع![٢٩]
ولو مَسَّ رَضْوَى عاصف الريح مَرَّةً ... لباتت له أكبادُنا تتقطَّع![٣٠]
أولئك أبناءُ العُروبة ما لهم ... عن الفضلِ منأى، أو عن المجد منْزَع[٣١]
هُمُ في ظِلالِ الحقِّ جمعٌ موحدٌ ... وعند التقاء الرأي فردٌ مُجمَّع

وقد يُدرِكُ الغاياتِ رأيٌ مُدرَّع ... إذا ناءَ بالأمر الكَمِيُّ المدرَّع[٣٢]
لهم أملٌ لا ينتهي عند مطلبٍ ... لقد ذَلَّ من يُعطَى القليلَ فيقنَع
غُبارُ رحَى الهيجاء في لَهَواتِهم ... من الشهْدِ أحْلَى، أو من المسكِ أضْوَع[٣٣]
إذا لم يكن حِلْم الحليمِ بنافعٍ ... فإنّ صِدامَ الجهلِ بالجهلِ أنفع!
سلوا عنهُمُ عَمْرًا وسَعْدًا وخالدًا ... ومُلْكًا له يرنو الزمانُ فيخشَع[٣٤]
تحدَّثتِ الدنيا بهم في شبابِها ... وجاءت إلى أبنائِهم تتطلَّع

* * *

فيا زعماءَ الشرق، والشرقُ أمَّةٌ ... على الدهرِ لا تفنَى ولا تتضعَضَعُ
نزلتم كأطيافِ الربيعِ بشاشةً ... يُضاحِككُم من روض النيلِ مُمرّع[٣٥]
وخلَفتُمُ أهلًا كرامًا وأرْبُعًا ... فحيّاكم أهلٌ كرامٌ وأرْبُع[٣٦]
هنا عَلَمُ الشرقِ الذي في يمينكم ... ستعنو له الأيامُ والدهرُ أجْمَع!
فسيروا بحمدِ الله للحقِّ عُصْبةً ... وإنْ أسرعتْ دُهْمُ الليالي فأسرعوا[٣٧]
ففي همَّةِ الفاروقِ أفياءُ عِزَّةٍ ... وركنٌ على اللأْواء لا يتزعزع[٣٨]
دعانا إلى الجُلّى فأكْرِمْ بمنْ دعا ... إلى الوَحْدَةِ الوُثْقى وأعْزِز بمَنْ دُعوا![٣٩]
مليكٌ له عزمٌ هو السيفُ ماضيًا ... ورأيٌ إذا ما أظلم الشكُّ ألْمَع[٤٠]
أعاد إلى الشرقِ الشبابَ وقد مضَى ... وأَيأسُ ما يُرجَى الشبابُ المودَّعُ[٤١]
فلا زال دَوْحًا للعروبة وارفًا ... يُغَنِّي بِذكْراه الزمانُ ويسجَع[٤٢]

هوامش

(١) سنا: ضوء. الفراديس: جمع فردوس، الجنة. آفاق النبوة: نواحي النبوة وفي البيت إشارة إلى أن الشرق مهبط الرسالات السماوية.

(٢) أطواء القرون: مرور السنين. يشب: يوقد. يسطع: يلمع ويضيء.

(٣) هامد: ساكن. الإلهام: الوحي. هجع: نائمون ليلًا.

(٤) شعاعًا: من الضوء. عبقريًّا: عجيبًا وهو نسبة إلى أرض الجن وتسمى عبقر كما يقال.

(٥) فرعون: اسم حكام مصر القديمة.

(٦) سهوب: جمع سهب (بالفتح) وهو الفلاة. بلقع: الأرض القفر التي لا شيء بها.

(٧) المتضوع: المنتشر الرائحة.

(٨) ابن عمران: سيدنا موسى عليه السلام. الطور: جبل الطور المشهور بسيناء. شاخصًا: فاتحًا عينيه.

(٩) يستل: يخرج.

(١٠) الجحفلين: يقصد المجموعتين. الشرك: الإشراك بالله. مصرع: مقتل.

(١١) صال: وثب وهاجم. مجر: مسار.

(١٢) بردة: كساء أسود تلبسه العرب. تفزع: خائفة.

(١٣) دياجير: شدة الظلام. يصدع: يفرق ويشتت.

(١٤) يوشع: هو سيدنا يوشع فتى سيدنا موسى — عليهما السلام — وجاءته النبوة بعد موسى ووعده الله بالانتصار على القوم الجبارين قبل غروب الشمس وقاربت الشمس على الغروب ولم يحدث، فدعا ربه فأخر الله غروب الشمس وأنزل الملائكة تحارب معه حتى انتصر عليهم.

(١٥) أطياف: الخيال في النوم. يروعها: يخيفها.

(١٦) نهجك: طريقك. مهيع: طريق واسع بين.

(١٧) شرعة الحق: شريعة الحق.

(١٨) ينقاد: يتبع. عزمة: عزيمة وإرادة. يخر: يسقط ويقع ويستسلم. العتي: القاسي المعتدي. يخنع: يخضع.

(١٩) شبا: حد طرفه.

(٢٠) مشرع: مورد الماء.

(٢١) أسباب السماء: نواحي وطرق السماء. المتطلع: الناظر إلى الأمام، الطموح.

(٢٢) الخافقين: أفقا المشرق والمغرب؛ لأن الليل والنهار يخفقان فيهما. الفراعين: لقب ملوك مصر القدماء. مودع: محفوظ.

(٢٣) تروم: تريد. شأوها: غايتها وأمدها.

(٢٤) المقنع: واضعًا قناع يقصد الحياء الزائف.

(٢٥) رث: بالي.

(٢٦) الكرى: النوم. رام: أراد. مضجع: موضع النوم.

(٢٧) حشاشات: موضع القلب من الجسم. دميت: أصيبت بالجراح.

(٢٨) صدعت: تشققت. دك: كسر وهدم. ذرا: قمم، أعالي.

(٢٩) بردى: نهر بسوريا.

(٣٠) رضوى: جبل رضوى الشهير بالحجاز.

(٣١) منأى: مكان بعيد. منزع: مقتلع الشيء من مكانه.

(٣٢) مدرع: محمي، مستعد. ناء: كل وتعب. الكمي: الشجاع المحارب. المدرع: لابس درع الحرب.

(٣٣) رحى: حومة. الهيجاء: الحرب. لهواتهم: جمع لهاة وهي الزائدة اللحمية في مؤخر سقف الحلق يقصد في حلوقهم. أضوع: منتشر الرائحة.

(٣٤) عمرًا: عمرو بن العاص. سعد: سعد بن أبي وقاص. خالد: خالد بن الوليد والثلاثة من أشهر قواد العرب في الحروب في فجر الإسلام. يرنو: ينظر. يخشع: يخضع.

(٣٥) أطياف الربيع: أحلام الربيع. بشاشة: بشرًا وسرورًا. ممرع: كثير المرعى أي: به خضرة.

(٣٦) أربعًا: جمع ربع وهو الحي — المكان — محل.

(٣٧) عصبة: جماعة. دهم: ظلمة.

(٣٨) الفاروق: فاروق ملك مصر حينئذ. أفياء: ظل. اللأواء: الشدة.

(٣٩) الجلَّى: عظيم الأمور. أعزز: أكرم.

(٤٠) ماضيًا: حادًّا.

(٤١) المودع: الذاهب.

(٤٢) دوحًا: شجرة عظيمة. وارفًا: مظلًّا. يسجع: يتكلم كلامًا مقفى وسجع الحمام: صوت الحمام.

خلود

نظم الشاعر هذه القصيدة في ذكرى الشاعرين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم عام ١٩٤٧م.

ضلَّ شعري وندّ عني بياني ... ما على الشاعرين لو أرشداني؟[١]
ضاع في ظُلمةِ المشيبِ أنينًا ... وبكى في الصبا بياضَ الأماني
مِزْهَرٌ أنَّ في قِفارِ فلاةٍ ... وابنُ غُصنٍ شدا بلا أغصان![٢]
بين قومٍ ما رنَّ في سمعِهم أحـ ... ـلَى نشيدًا من أصفرٍ رنَّان[٣]
صَدَفَتْهم عن خالدِ الفنِّ أضغا ... ثٌ وزَهْوٌ من كاذبِ العيش فاني[٤]
هاتِ سمعًا أُسْمِعْكَ رائعَ أنغا ... مي، وإلَّا فاذهبْ ودعني وشاني
أنا في أمةٍ بها جدولُ الضر ... بِ طغَى سيلُه على الأذهَانِ
إن رأَوْا صفحةً بها بيتُ شعرٍ ... تركوه يبكي على كلِّ باني
صِحْتُ فيهم فعاد صوتي مع الريـ ... ـحِ، وعادت حزينةً ألحاني
في كسادِ القريضِ أخفيتُ دُرِّي ... وخَزنتُ الغريبَ من مَرْجاني[٥]
وتمنَّيتُ كلَّ شيءٍ على الله ... سوى أن أعيشَ من أوزاني[٦]
كلُّ شِبْرٍ بِمصر خصْبٌ على الهرَّا ... جِ، جدبُ الثرى على الفنَّان![٧]

* * *

سَكَتَ العندليبُ في وحشةِ الدَّوْ ... حِ، وغنَّتْ نواعقُ الغِرْبان[٨]
فسمعنا من النشوز أفانيـ ... ـنَ يُروِّغْنَ صادحَ الأفنان[٩]
أسْمَعونا برغمنا فصبرنا ... ثم ثُرْنا غَيْظًا على الآذَانِ

جلبوا للقريض ثوبًا من الغَر ... بِ، ولم يجلِبوا سوى الأكفان!
ثم قالوا: مُجدِّدون فأهلًا ... بصناديدِ أخرياتِ الزمان![١٠]
لا تثوروا على تُراثِ امرئ القيـ ... ـسِ، وصونوا ديباجةَ الذُّبياني[١١]
واتركوا هذه المعاولَ باللهِ، ... فإني أخشى على البنيان[١٢]
واحفظوا اللفظَ والأساليبَ والذو ... قَ، وهاتوا ما شئتُمُ من معاني
ما لسانُ القريضِ من عربيٍ ... كلسانِ القريض من طُمْطُماني![١٣]
إنَّما الشعْر قطعةٌ منكَ ليستْ ... من دماء اللاتين واليونان[١٤]
كلُّ فنٍّ له مكانٌ وأهلٌ ... إن غَدا العلمُ ما له من مَكانِ
إن رَأيتم أُخُوَّةَ العودِ للجَزْ ... بَنْدِ، فابكوا سُلالَة العيدان[١٥]
لا يهُزُّ النخيلَ إلَّا حَنانُ النـ ... ـنَايِ، في صمتِ ليلةٍ من حنان!
وِجْهَةُ الشرقِ غيرُها وجهةُ الغر ... بِ، فأَنَّى وَكيف يلتقيان!

* * *

أين عهدُ الشباب واللَّهوِ يا شعـ ... ـرُ؟ وأين الهوَى؟ وأين المغاني؟
ذبُل الوردُ وانقضى مَوْسِمُ الريـ ... ـحانِ، وا حسرتا على الريحان!
وانطوى مجلسُ الصحابِ بمن فيـ ... ـه وما فيه من أمانٍ لِدان[١٦]
كان أشهى للنفسِ من حَسْوَة الكأ ... سِ، وأحلَى من صادحاتِ الأغاني[١٧]
لم تدُرْ كأسُه على واغلٍ فَدْ ... مٍ، ولا واكلٍ عن المجدِ وانٍ[١٨]
يُنْثَرُ الشعرُ فيه كالزهرِ ريّا ... نَ، بلحنٍ من الصبا ريّانِ[١٩]
كان فيه «شوقي» وكان «أبو الحفـ ... ـظِ» و«حفني» وجملةُ الإخوان[٢٠]
و«إمامُ العبْدِ» الذي كان رمزًا ... لتآخي المصريِّ والسوداني[٢١]
كان شوقي يُصْغِي وما كان يُصْغِي ... هو في عَالمٍ من الفنِّ ثاني!
كلَّما مدّ رأسَه يرقُبُ الوحـ ... ـيَ، رأيتَ العينينِ تختلجان
ثم يُغْضي مُهمهِمًا مثلما جرّ ... بتَ بالْجَسِّ شاديات المثاني[٢٢]
ينظِمُ الشعرَ وهو يلقي الأحادي ... ـثَ، فيأتي بآبداتِ البيان[٢٣]
رُوحُه في السماء، وهو على الأر ... ضِ، كِلا العَالمَيْنِ مختلفانِ
هو شوقي جِسمًا يُرَى ويُناجى ... وهو في الشعرِ طائِفٌ نوراني
شركسيّ أعيا على العُرْبِ مَأْتا ... هُ، فَحسَّان ليس بالْحسّان[٢٤]

ولـه فـي المـديـح مـا لـم يُـدانيـ ... ـه ابنُ عَبْدَانَ في بني حَمْدان[٢٥]
حـكـمـةٌ مَـشْـرِقـيَّـةٌ، فـي خـيـالٍ ... فـارسـيّ، فـي مـنـطـقٍ عـدنـانـي
يـنـثُـرُ الـدرَّ عـبـقـريًّـا عـجـيـبًـا ... ليس من «مَسْقَطٍ» ولا من «عُمان»[٢٦]
أنـا بـالـدرِّ أخـبـرُ الـنـاسِ لـكـن ... ذلـك الـنـوعُ نـدّ عـن إمـكـانـي![٢٧]
فـاسـألا كـلَّ جـوهـرِيّ فـإن قـا ... ل لـديـهِ مِـثْـل لـه فـاسـألانـي[٢٨]
يـا خـلـيـلـيَّ لا تَـهـيـجـا لـي الـذكـ ... ـرَى، فـقـد نـالـنـي الـذي قـد كـفَـانـي
نـاولانـي بـالـلـه ديـوانَ شـوقـي ... لأراه كـعـهـده ويـرانـي
ثـم سـيـرا عـلـى الأصـابـع فـي صـمـ ... ـتٍ، وفـي حـضـرةِ «الأميرِ» دعـانـي[٢٩]
مَـرَّةً ألـتـقـي بـه أمـلـدَ الـعـو ... دِ نـضـيـرَ الـصِّـبـا طـلـيـق الـعِـنـان[٣٠]
بـيـن راحٍ وروضـةٍ وغـديـرٍ ... وحِـسـانٍ، مـضَـى زمـانُ الْـحِـسـان![٣١]
ووجـوهُ الآمـالِ أزهـى مـن الـزهـ ... ـرِ، وغُـصـنُ الـشـبـابِ فـي رَيْـعـان
غـزَلٌ أذهـل الـغـوانـي عـن الـحـسـ ... ـنِ، ومـن أيـن مـثـلُـه لـلـغـوانـي؟
حـين يـشـدو يُـصـغـي لـه الـطـيـرُ حـيـرا ... نَ مَـغـيـظًـا مُـسـائـلًا مَـن حـكـانـي؟
ذَاكَ صـوتٌ بـه خُـصِـصْـتُ مـن الـلـه ... فـمـن أيـن جـاء لـلإنـسـانِ؟
يـصِـفُ الـجـسْـرَ والـجـزيـرةُ تـهـتـ ... ـزُّ حَـوالـيْـهِ هـزَّةَ الـنـشـوان[٣٢]
فـي ثـيـابٍ مـن الـطـبـيـعـة وشَّـا ... هـا كـمـا شـاء مُـبـدِعُ الألـوان[٣٣]
ويَـرى حُـبَّـه لـدولـةِ عـثـمـا ... نَ شِـعـارًا لـصـادقِ الإيـمـان[٣٤]
ذاكَ شـعـرُ الـشـبـابِ والـدارُ دارٌ ... وأيـادي «الـعـبـاسِ» بـيـضٌ دوانـي[٣٥]

* * *

ثـم ألـقـاهُ وهـو فـي الأسـرِ يـشـكـو ... فُـيُـثـيـر الـكـمـيـنَ مـن أشـجـانـي
ويُـنـاجِـي شِـعـرُه «نـائـحَ الـطَـلَـ ... ـحِ» فـيُـبـكـيـه مِـثـلَـمـا أبـكـانـي[٣٦]
زُحِـمـتْ مـصـرُ بـالـبُـغـاثِ مـن الـطـيـ ... ـرِ، وعِـيـقَ الـشـادي عـن الـطـيـران![٣٧]
أسـروه لـيـحـبـسـوا صـوتـه الـعـا ... لـي، فـنـادَى بـصـوتِـه الـخـافِـقَـانِ[٣٨]
احـبـسـوا الـسـيـلَ إن قَـدَرْتُـم وسُـدُّوا ... إن أردتـم مـنـافـذَ الـبُـركـان
ودعـوا الـشـعـرَ فـهـو طـيـرٌ مـن الـفِـرْ ... دوسِ يـأبَـى مَـسـيـسَـه بـالـبـنـان
ثـم طـار الـهَـزَارُ لـلـعُـش غِـرِّيـ ... ـدًا وعـاد الـغـريـبُ لـلأوطـان![٣٩]
عـاد «زِريـابُ» بـعـد أن زاد أوتـا ... رًا لأوتـارِ عـوده الـمِـرْنـان[٤٠]

فتغنَّى بمصرَ في موْكِبِ الشر ... قِ، وعزَّ التاجيْنِ والصوْلجان
وشدا بالشُّموسِ من عبدِ شمسٍ ... والغطاريفِ من بني مَرْوان[41]
ألهب العزم في بني مصرَ نارًا ... أيُّ خيرٍ في هذه النيران!
ودعا بالشبابِ فابتدروا السبـ ... ـقَ، وآمَالُ مصرَ في الشبَّانِ[42]
والروايـاتُ أعجزتْ كلَّ شيطا ... نٍ، وأعيت في وصفِها شيطاني[43]
حكمةُ الشَّيْبِ في مِراس التجاربـ ... ـبِ، وفكرٌ أمضى شَبًا من سِنان[44]
جَنتِ السِّنُّ ما جنت غير عقلٍ ... زاد بالسِّنّ صَوْلةً ولسان[45]
كلما هدَّتِ الليالي قُواه ... بلغ الشعرُ قِمَّةَ العُنفوان
شعرُ شوقي وديعةُ الزمنِ البا ... قي، وشوقي وديعةُ الرحمن!

* * *

قد شُغِلْنا عن حافظٍ بأمير الشعـ ... ـر، ويلي! لو كان يدري لحاني[46]
كان يجري على أعنّة شوقي ... ويُعاني من ركْضه ما يُعاني[47]
لا الجوادانِ في النجار سواءٌ ... حين تبلوهما ولا الفارسَانِ[48]
يُلْهبُ الشعرَ حافظٌ أرعنَ السو ... طِ، وشوقي في آخرِ الميدان!
ليت شعرَ القريضِ أيُّ سِباقٍ ... بين شِعريْهما؟ وأيُّ رِهان؟!
حافظٌ زيَّن القريضَ بفنٍّ ... بُحْتُرِيّ عذبٍ رشيق المباني[49]
لفظُه في يديه يختار منه ... صَحْفة الدرِّ في يَدَيْ دِهْقان[50]
ولكم قد أعاد بيتًا مرارًا ... باحثًا عن فريدةٍ من جُمان[51]
يتقَرَّى في الشعر مَيل الجماهيـ ... ـرِ، ليحظَى بصيحةِ استحسان[52]
جال في حَوْمةِ السياسة وثَّا ... بًا، فأذكَى حماسةَ الفِتيان[53]
ورمَى الاحتلالَ حُرًّا جريئًا ... وتحدَّى «العميدَ» ثَبْتَ الْجَنانِ[54]
في زمانٍ قد ذَلَّ كلُّ إباءٍ ... فيه، وانقاد كلُّ صعبِ الْحِران[55]
وظَّفوه فأسكتوه فألقَى ... شِعْرَهُ في مَهامِهِ النِّسيان[56]
ويحَ هذا الكِرْوانِ! هل راقه الحبـ ... ـسُ وأغراه عسجدُ القضبان؟[57]
هَشَّموا نابَيّ «ابن بُرْدٍ» وحالوا ... بين كاس الطلا وبين ابنِ هاني![58]
كان شوقي وحافظٌ إن دجَى الخطـ ... ـبُ، شعاعيْنِ في الدُّجَى يلمعان[59]
«فهما في أواخرِ الليلِ فجرا ... نِ، وفي أُولَياتِه شَفَقان»[60]

* * *

أيـهـا الـشـاعـرانِ قـد صَـوَّحَ الـدوْ ... حُ، وولّـت بـشـاشـةُ الـبُـسـتـان![٦١]
وخـلـا الـربْـعُ لا قـراعُ كـئـوسٍ ... ضـاحـكـاتٍ، ولا رنـيـن قِـيَـان![٦٢]
وتـولَّـى الـقُـطّـانُ لـم يـبـق إلَّا ... حـسـراتٌ لـفُـرقـةِ الـقُـطَّـان![٦٣]
ومـضَـى الـرَّكْـب بـالـرفـاقِ وخـلَّا ... نِـي وحـيـدًا أبـكـي عـلـى خـلّانـي
أيـهـا الـشـاعـران فـي جَـنَّـةِ الـخُـلـ ... ـدِ، هَـنَـاءً بـالْـخُـلْـدِ والـرِّضـوان
مَـهِّـدا لـي إلـى جِـواركـمـا مَـثـ ... ـوًى، إذا آن لـلـرحـيـلِ أوانـي[٦٤]

هوامش

(١) ضل: تاه وضاع.

(٢) مزهر: العود الذي يضرب به. أنَّ: أخرج صوتًا هو أنين الحزن. قفار: أرض لا نبات فيها. فلاة: صحراء. ابن غصن: المقصود الطير المغرد. شدا: غنى.

(٣) أصفر رنان: الذهب ورنينه والمقصود النقود عامة.

(٤) صدفتهم: ألهتهم — أبعدتهم — أمالتهم. أضغاث: أحلام. زهو: تكبر. فاني: زائل.

(٥) كساد: بوار. القريض: الشعر. دري: نسبة الدر أي الجواهر. خزنت: حفظت في الخزائن. مرجاني: حجر كريم نادر وثمين.

(٦) أوزاني: نسبة إلى أوزان الشعر.

(٧) الهراج: المهرج. جدب الثرى: أرض قحط لا نبات فيها ولا ثمر.

(٨) العندليب: طائر مغرد والشاعر يقصد نفسه. وحشة: الخلوة المخيفة. نواعق: صوت الغراب. الغربان: جمع غراب وهو الطائر المعروف.

(٩) النشوز: الخروج عن المألوف. يروعن: يخفن. صادح الأفنان: المغني بين الأغصان والمقصود الطيور ذات الصوت الجميل.

(١٠) صناديد: السادة الشجعان الشرفاء والمقصود هنا التهكم.

(١١) تراث: ما ورثناه من مجد سالف. امرؤ القيس: شاعر جاهلي كبير أحد أصحاب المعلقات السبع. ديباجة: مقدمة والمقصود الشعر. الذبياني: هو النابغة الذبياني الشاعر الجاهلي العظيم، وهو أيضًا أحد أصحاب المعلقات.

(١٢) المعاول: جمع معول وهو الذي يستعمل في الهدم.

(١٣) لسان القريض: قول الشعر. طمطماني: صاحب الكلام غير المفهوم.

(١٤) اللاتين واليونان: يقصد كل ما هو غير عربي.

(١٥) العود: هو آلة موسيقية من آلات الموسيقى الشرقية. الجازبند: آلة موسيقية غربية. سلالة: نسل.

(١٦) لدان: قريبة.

(١٧) حسوة: امتلاء الكأس بالشراب. صادحات: المغنيات بصوت مرتفع.

(١٨) واغل: مسرف في الشراب. فدم: عيي وغبي. واكل: معتمد على الغير. واني: مقصر.

(١٩) ريان: مرتوي.

(٢٠) شوقي: أحمد شوقي الشاعر الكبير. أبو الحفظ: كناية عن الشاعر حافظ إبراهيم. حفني: هو الشاعر الأديب حفني ناصف.

(٢١) إمام العبد: أحد ظرفاء مصر وأدبائها وشعرائها وكان معاصرًا للشاعر.

(٢٢) المثاني: العظام.

(٢٣) آبدات: العويص، البعيد.

(٢٤) شركسي: إشارة إلى أصله من بلاد الشركس. مأتاه: ما أتى به من البيان العربي الأصيل. حسان: هو حسان بن ثابت شاعر الرسول، عليه الصلاة والسلام.

(٢٥) ابن عبدان: شاعر مدح بني حمدان.

(٢٦) مسقط وعمان: إشارة إلى شهرة البلدين في صيد اللؤلؤ.

(٢٧) ند: شرد.

(٢٨) جوهري: تاجر الجواهر والأحجار الكريمة.

(٢٩) الأمير: إشارة إلى لقب الشاعر أحمد شوقي «أمير الشعراء».

(٣٠) أملد: ناعم. العود: القد. طليق العنان: غير مقيد.

(٣١) راح: الخمر.

(٣٢) الجسر: المقصود جسر قصر النيل. الجزيرة: حي الجزيرة عنده.

(٣٣) وشاها: لونها ونقشها.

(٣٤) دولة عثمان: الدولة العثمانية؛ لأنها دولة إسلامية.

(٣٥) العباس: خديوي مصر وقت شوقي. دواني: قريبة العطاء.

(٣٦) نائح الطلح: باكي أرض الوطن. إشارة إلى قصيدة شوقي: «يا نائح الطلح أشباه عوادينا نأسى لواديك أم تأسى لوادينا» كتبها في المنفى معارضًا للشاعر ابن زيدون القائل: «أضحى التنائي بديلًا عن تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا».

(٣٧) زحمت: ازدحمت. البغاث: الضعيف المتهافت. عيق: منع وحبس.

(٣٨) الخافقان: أفقا المشرق والمغرب؛ لأن الليل والنهار يخفقان فيهما.

(٣٩) الهزار: طائر من الطيور المغردة.

(٤٠) زرياب: مغَنٍّ عظيم في العصر العباسي. المرنان: الرنان.

(٤١) الشموس: الملوك. عبد شمس: قدماء المصريين. الغطاريف: السادة النجباء. بني مروان: ملوك الدولة الأموية في الأندلس.

(٤٢) ابتدروا: بادروا. السبق: السباق والتطلع نحو المجد.

(٤٣) الروايات: إشارة إلى روايات شوقي الشعرية. شيطان: المقصود شيطان الشعر. أعيت: أتعبت.

(٤٤) مراس: الممارسة والمعالجة. التجاريب: حنكة الأمور وتجربتها. أمضى: أحد. شبا: كل شيء حد طرفه. سنان: سنان الرمح.

(٤٥) جنت: حصلت، حصدت. السن: العمر والسنون. صولة: وثبة.

(٤٦) لحاني: لامني.

(٤٧) أعنة: يد اللجام للفرس. ركضه: جريه.

(٤٨) النجار: الأصل. تبلوهما: تختبرهما.

(٤٩) بحتري: نسبة إلى البحتري الشاعر العباسي العظيم.

(٥٠) صحفة الدر: وعاء الدر. دهقان: تاجر الجواهر.

(٥١) جمان: حبات تصنع من الفضة كالدرر.

(٥٢) يتقرى: يختار، يسعى.

(٥٣) جال: طاف: حومة السياسة: معظم الميدان.

(٥٤) الاحتلال: الاستعمار الإنجليزي لمصر. العميد: المعتمد البريطاني الذي كان يعتبر الحاكم الفعلي لمصر حينئذ. ثبت الجنان: ثابت القلب.

(٥٥) إباء: عزة وأنفة. انقاد: تبع. صعب الحران: لا ينقاد بسهولة.

(٥٦) مهامه: المفازات البعيدة.

(٥٧) عسجد: الذهب.

(٥٨) نابي: أسنان. ابن برد: الشاعر العباسي بشار بن برد ويقصد بالشاعر حافظ إبراهيم. كأس الطلا: كأس الخمر. ابن هاني: الشاعر الأندلسي الكبير وكان مشهورًا بوصف الخمر.

(٥٩) دجى: أظلم. الدجى: الظلمة.

(٦٠) شفقان: مثنى شفق وهو ضوء الشمس وحمرتها قبل الغروب.

(٦١) صوح: جف، يبس. الدوح: الشجر العظيم. ولت: ذهبت.

(٦٢) الربع: الحي، المكان. قراع: صوت كئوس الشراب عندما تتخبط. قيان: الإماء المغنيات.

(٦٣) القطان: المقيمون بالمكان.

(٦٤) مثوى: مكان ينام فيه.

الشباب

نشرت هذه القصيدة بمجلة الهلال في سنة ١٩٤٧م.

أهبْتُ بالشعر أن يعودا ... إلى الصبا ناعمًا رغيدَا[١]
يذكرُ ما مرّ من عهودٍ ... لله ما أنضرَ العهودا!
في كل يومٍ أرى فَنَاءً ... وهو يرى حوله خلودا
طار حثيثًا بكل أفقٍ ... لمّا مشت خُطْوتي وئيدا
وصَوَّحتْ دوحتي ومالت ... ولم يزل صادحًا غريدا[٢]
يأخذُ ما أبقت الليالي ... ويبتغي فوقه مزيدا
تجاربِي الباكياتُ عادت ... تجري بأوتاره نشيدا
في حكمةِ الشيبِ لي عَزاءٌ ... وكم وعيدٍ حَوى وعودا![٣]
كادت أياديه وهي بيضٌ ... تُنسى حُلِيَّ الشبابِ سودا[٤]

* * *

علوتُ طودَ الزمان حتَّى ... رأيتُ من فوقه الوجودا[٥]
وبان ما لم يَبِنْ لغيري ... وكان عن عينِه بعيدا
كان شبابي رفيقَ عمري ... فعشتُ من بعده وحيدا
غاب فلمّا مضى وولَّى ... جعلتُ شعري له بريدا
أبعثُ بالشوق كلَّ يومٍ ... ويبعثُ الهجر والصدودا[٦]
وكم محوت السطورَ لَثْمًا ... أحْسَبُها للصبا خدودَا

يُصوِّر الحبَّ في إطارٍ فأبصِرُ الغِيدَ فيه غيدا
ويرسُمُ الماضيَ المولِّي كعهده باسمًا سعيدا
ألمحُ شخصي به كأنِّي ألمحُ شخصًا به جديدا
أين ورودي وأين كأسي؟ ماذا دَهى الكأس والورودا؟
لم يَبقَ مِنِّي سِوى لسانٍ يُجيد ما يشاء أن يجيدا
وفكرةٍ صُوِّرت نُضارًا وحكمةٍ نُظِّمت عقودا[٧]

* * *

فيا شبابَ البلاد صونوا شَرْخ الصبا قبل أن يَبيدا[٨]
يعود في الكون كلُّ شيءٍ وذاهبُ العمر لن يعودَا
إن اشتكى النيلُ مسَّ ضيمٍ فحرِّموا حوله الورودا[٩]
تجارةُ الرِّق قد تولَّت فما لنا نلمَحُ القيودا؟[١٠]
قد ذهب العمرُ في جِدالٍ كُنَّا لنيرانه وقودا
لا يدركُ السؤْل غير عزمٍ مثابرٍ يقرَع الحديدا
فأيقظوا مصرَ من جديدٍ فإنها ملَّتِ الرقودا
لا ترسُموا للطموح حدًّا فالمجدُ لا يعرف الحدودا
العلمُ أمضَى من المواضي فجرِّدوا نحوه الجهودا
مصرُ تريدُ السماء وثبًا وأولُ النُّجْحِ أن تريدا

هوامش

(١) أهبت: دعوت.
(٢) صوحت: جفت. دوحتي: الدوحة الشجرة الكبيرة. مالت: انثنت.
(٣) وعيد: تهديد. حوى: اشتمل. وعودا: بالخير.
(٤) حلي: زينة.
(٥) طود: الجبل العظيم.
(٦) الصدود: الإعراض.
(٧) نضارا: الذهب وقيل: هو الخالص من كل شيء. نظمت عقودا: انتظمت في هيئة عقد وهو الذي تتحلى به النساء.

(٨) شرخ الصبا: أول الشباب. يبيدا: يذهب ويندثر ويباد.
(٩) ضيم: ظلم. الورودا: إتيان الماء من منهله.
(١٠) الرق: العبودية.

في الزيارة الملكية

أنشدت أمام الملك فؤاد بمدينة أسيوط في ٢١ من ديسمبر سنة ١٩٣٠م، حينما زار المدينة لزيارة معاهدها العلمية.

طَلَعْتَ فأَبْصَارُ الرَّعِيَّةِ خُشَّعُ ... وأَشْرَقتَ مِثْل النَّجْمِ فِي الأُفْقِ يَلْمَعُ[١]
وأَقْبَلتَ تَبْنِي الْمَجْدَ في كلِّ مَوْضِعٍ ... فَلم يَخْلُ من آثارِ مَجْدِكَ مَوْضِع
خَوالِدُ آثارٍ تَمَنَّى مِثالَهَا ... عَلَى الدَّهْرِ رَمْسيسُ العظيمُ وخَفْرَع[٢]
بَنَوْهَا لِمَا بَعْدَ الْحَيَاةِ وأَبْدَعُوا ... وإنك تبْنِي للحَيَاةِ وتُبْدِع
مَعاهِدُ عِلْمٍ تَنْشُرُ النُّورَ والهُدَى ... وتَطْوِي ظَلَامَ الْجَهْل مِنْ حَيْثُ تَسْطَع[٣]
وَآثَارُ فَضْلٍ في البِلَادِ رَفَعْتَها ... كما كَانَ (إسْمَاعيلُ) للْبَيْت يَرْفَع[٤]
إذا تُمِّمَتْ من فَيْضِ جَدْواك نِعْمَةٌ ... فأَنْتَ بِأُخْرَى سَاهِرُ الطَّرْفِ مُولَع[٥]
جَرَيْتَ عَلَى آثارِ آبائِكَ الأُلَى ... مَضَوْا ثُمَّ أَبْقَوْا ذِكْرَهَم يَتَضَوَّع[٦]
هُمُ غَرَسُوا دَوْحَ الحضَارةِ وارفًا ... تُظَلِّلُنا مِنْه غُصُونٌ وأَفْرُع
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ نَدَاكَ صَنِيعةٌ ... تُعِيدُ إِلَى مِصْرَ الشَّبَابَ وتَرْجع؟
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ للمَلِيك عَزِيمةٌ ... تَخِرّ لَهَا شُمُّ الجِبَالِ وتَخْشَع؟[٧]
مَلَكْتَ زِمَامَ النِّيلِ يا شِبْهَ فَيْضِهِ ... فَلَمْ يَبْقَ في مِصْرٍ بيُمْنِك بَلْقَع[٨]
وعَلَّمَتَه مِنْ جُودِ كَفَّيْكَ خَلَّةً ... فما سَالَ إلَّا وَهْوَ بالتِّبْرِ مُتْرَع[٩]
عَلَوْتَ مَطَاهُ وَهْوَ للأَرْض مَشْرَعٌ ... وأَنْتَ لآمالِ الرَّعِيَّةِ مَشْرَع[١٠]
فسَالَ يَجُرُّ الذَّيْلَ تِيهًا بمالكٍ ... لَهُ المَجْدُ تَاجٌ بالْجَلالِ مُرَصَّع
وأَشْرقَ إقْلِيمُ الصَّعِيدِ بِطَلْعةٍ ... تخِرُّ لهَا الْأَعْنَاقُ طَوْعًا وتَخْضَع

بَدَتْ مِثْلَ مِصْبَاحِ السَّماء تَعَاوَنَتْ ... عَلَى تِمِّهِ في الأُفْقِ عَشْرٌ وأَرْبَع[11]
لدَى مَوْكِبٍ ما سَارَ فيه ابنُ مُنْذِرٍ ... ولا نَالَه في سالِفِ الدَّهْر تُبَّع[12]
يُحِيطُ بِه نُورُ الإلهِ ونَصْرُهُ ... وَتَحْرُسُه عَيْنُ الإلهِ وتَمْنَع[13]
سَمِعْتُ بِه حتى إذا ما رأَيْتُهُ ... (رأَيْتُ بِعَيني فَوْقَ ما كُنْتُ أَسْمَع)[14]
وللشَّعْبِ قَلْبٌ حَوْلَ رَكْبِكَ خَافِقٌ ... وَرَأْيٌ عَلَى الإِخْلَاصِ والود مُجْمِع[15]
يزَاحِمُ كَيْ يَحْظى بنَظْرةِ عاجلٍ ... فَيَبْهَرُهُ من نُورِ شَمْسِك مَطْلَع
هُتَافٌ مِنَ الْحُبِّ الصَّمِيمِ انْبِعاثُهُ ... تُرَدِّدُهُ أَصْدَاؤُهُ وتُرَجِّعُ
مَلَكْتَهُمْ مُلْكَ الْكَرِيمِ فَأَخْلَصُوا ... وقُدْتَهُم نَحْوَ المَعَالِي فأَسْرَعُوا
فَخارًا (سُيُوطٌ) فِيكِ خَيْرُ مُمَلَّكٍ ... تَحُجُّ لَهُ آمالُ مِصر وتُهْرَع[16]
بَدَا مِثْلَ ما يَبْدُو الرَّبيعُ بَشَاشَةً ... ووَافَى كَمَا وَافَى الرَّجاءُ المُمَنَّع
فماؤُكِ سَلْسَالٌ، وطَيْرُك صادِحٌ ... وغُصْنُك ريّانٌ، ووَادِيكِ مُمْرِع[17]
(فُؤاد) ابْقَ لِلْقُطْرِ الْخصِيب تَحُوطُهُ ... وتَدْفَعُهُ نَحْوَ الْحَيَاةِ فَيُدْفَع
وعاشَ بِك (الفَارُوقَ) في ظِلِّ نِعْمةٍ ... يَلُمّ شَتَاتَ المَكْرُمَات ويَجْمَع[18]

هوامش

(١) خشع: مطرقة هيبة وخشية.

(٢) رمسيس وخفرع: من فراعنة مصر الأقدمين.

(٣) تطوي الظلام: تذهب به وتزيحه.

(٤) رفعتها: أعليت بنيانها. إسماعيل: هو نبي الله إسماعيل بن إبراهيم، عليهما السلام. البيت: الكعبة.

(٥) فيض جدواك: عميم كرمك وواسع جودك. ساهر الطرف: لا يغمض لك جفن حتى تنجزها.

(٦) يتضوع: تنتشر رائحته الطيبة.

(٧) تخر وتخشع: تقع وتنهد. وشم الجبال: ما علا منها وارتفع.

(٨) الزمام: ما تقاد به الدابة. ملك زمام النيل: القدرة على توجيهه وتصريفه. فيض النيل: ما يفيض به على البلاد من حياة وخصب. البلقع: الأرض الجرداء لا نبات فيها.

(٩) الحالة: الخصلة والشيمة. مترع: مملوء فياض.

(١٠) مطاه: متنه وظهره. مشرع: مورد.

(١١) مصباح السماء: القمر. يريد البدر في تمامه وذلك في الليلة الرابعة عشرة من الشهر.

(١٢) ابن منذر: هو النعمان بن المنذر، من المناذرة ملوك الشام، وكان ذا حول وطول، وهو الذي شاع ذكره في شعر النابغة. تبع: التبابعة ملوك اليمن، وكان لهم فيها السلطان الواسع.

(١٣) تمنع: تدفع.

(١٤) الشطر الثاني من شعر ابن هاني في مدح جوهر الصقلي.

(١٥) خافق: يهتز بحبك.

(١٦) تحج: تقصد. تهرع: تسرع.

(١٧) سلسال: صاف خالص مما يشوبه. ريان: ناضر. ممرع: مخصب.

(١٨) فاروق، كان ولي العهد إذ ذاك. شتات المكرمات: ما تفرق منها.

المجمعُ اللُّغَوِيّ

ألقيت في الاحتفال بالدورة الثانية لمجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٤م.

ذِكْرَياتٌ رَدَّدَ الدّهْرُ صداها ... وعُهُودٌ يَحْسُدُ المِسْكُ شَذَاهَا
وَصَلَ العُرْبُ الغطارِيفُ إلَى ... غايةٍ، لا تَبْلغُ الطَّيْرُ ذُرَاها[١]
وَجرَوْا صَوْبَ العُلَا في طَلَقٍ ... زَاحَمَ الأنْجُمَ واجْتَازَ مَدَاها
تَقِفُ الأوْهَامُ حَسْرَى دُونَه ... لاهثاتٍ قَصَّرَ الأيْنُ خُطَاها[٢]
مَرَّ بالشَّمْسِ فَلَم تشْعُر بِهِ ... إذْ جَرَى إلّا ظنُونًا واشْتِباها
أُمَّةُ الصُّحْرَاء أَقْوَى جَلَدًا ... مِنْ مَهَارِيها وأَهْدَى مِن قَطَاها[٣]
صَخْرُها أَوْحَى إليها عَزْمَةً ... مِنْ بَنَي رَضْوَى وثَهْلَان بَنَاهَا[٤]
وسُكُونُ البِيدِ في رَهْبَتِها ... جَرَّدَ الرُّوحَ وبالنُّورِ كَسَاها[٥]
رُبَّ صَدْرٍ نَافَسَ الْحِلْمُ به ... كُلَّ صَحْرَاءَ بَعيدٍ منْتهاها
وخِلَالٍ أَنْبَتَ الْجَدْبُ بِهَا ... عِزَّةَ اليَأْسِ فما لانَتْ قَناها[٦]
أبَتِ الضَّيْمَ فمَا مَدَّتْ يَدًا ... لذَوِي النُّعْمَى وَلمْ تَعْفِر جِبَاها[٧]
تحفَظُ العِرضَ مَصُونًا ناصِعًا ... وإلى الطُّرَّاق مَبْذولٌ قِراها[٨]
أمَمٌ إنْ يَهْلِك المَالُ، فإن ... لُمِستْ أعْراضُها حَلَّت حُبَاها[٩]
رَدَّدَتْ أَشْعَارَها شَمْسُ الضُّحَا ... وسِرَاجُ اللَّيْلِ لَمَّا أَنْ تَلَاها[١٠]
آيَةٌ مِنْ نَفْحَةِ الِله، فَلَوْ ... كانَ للنِّسْيَانِ كفٌّ ما مَحَاها
رَوْضَةٌ قد لَقَّبُوها كَلِمًا ... تُخْجِلُ الْحُسْنَ إذا الْحُسْنُ رَآها
كَمْ حَكِيمٍ أوتِيَ الْحُكْم فَتًى ... وفَتَاةٍ مَلأَ التِّبْيَانُ فَاها[١١]

تُرْسِلُ الأَمْثَالَ تَسْرِي شُرَّدًا ... لا تُبَالِي أَيْنَمَا كَانَ سُرَاهَا
قِفْ عَلَى الأَطْلَالِ وانْكُرْ أُمَّةً ... خَلَّدَ الأَطْلَالَ مأْثُورُ بُكَاهَا[١٢]
بَعَثَ اللهُ بِهَا نُورَ الْهُدَى ... من قُرَيْشٍ فاصْطَفَاه واصْطَفَاها[١٣]
أَشْرَقَ الصُّبْحُ عَلَى الدُّنْيَا به ... بَعْد أن طَالَ عَلَى الدُّنْيَا دُجَاها
وَجَرَى في الأَرْض يَنْبُوع هُدًى ... بعد أنْ حَرَّقها حَرُّ صَدَاها[١٤]
قَلَّد الفُصْحَى حُلَى قُدْسِيَّةً ... فَزَهَاها من حلَاها ما زَهَاها[١٥]
وبَيانًا هاشِميًّا لو رَمَى ... قُلَلَ الأجيَال لانْهَدَّت قُوَاها[١٦]
أَسْهُمٌ مِنْ كَلِمٍ مَسْنونةٌ ... جاهَدَتْ في اللهِ واللهُ بَرَاها[١٧]
كُلَّمَا صَاحَ بها في طَيْبةٍ ... مُسْتَثِيرًا رَدَّدتها لَابَتَاها[١٨]
يَزْعُمُ الشِّعْرُ سفاهًا أَنَّه ... لو عَفَتْ عَنهُ القَوافِي لَحكَاها[١٩]
نَزَل القُرْآنُ بالضَّادِ فَلَوْ ... لَمْ يَكُنْ فِيهَا سِوَاهُ لكَفَاها[٢٠]
حَسْبُها أَنْ صَوَّرَتْ من آيِهِ ... مُعْجزاتٍ عَظُمَت أنْ تَتَنَاهى[٢١]
وَبنُو مَرْوَانَ للهِ هُمُ ... عُدَّةُ الفُصْحَى وحُرَّاسُ حِماها[٢٢]
رُبَّ مَأْثُورٍ لَهُمْ ودَّ لَهُ ... صَدَفُ اللُّؤْلُؤِ لَوْ كَانَ شِفَاها[٢٣]
خُطَبٌ هَزَّ لها مِنْبَرهم ... يَقْذِف الهَوْلَ دِرَاكًا مَنْ رَماها[٢٤]
وقَوافٍ سَلْ أبا حَزْرَتِها ... وسَلِ الأَخْطَلَ كَيْفَ ابتَدعَاها[٢٥]
طُفْ ببغداد وسَلْ آثَارَها ... أيُّ سِرٍّ كَتَمَتْهُ شَفَتاها![٢٦]
كُلُّ رَسْمٍ قد وعَى نَادِرَةً ... لو جَرَى النُّطْقُ عليه لحَكَاها[٢٧]
مَشَت الدنْيا إليْها تَتَّقِي ... سُخْطَ بغدادَ وتَسْتَجْدِي رِضاها
وأبو المأمون في مَمْلكةٍ ... يتحدَّى المُزْنَ أنْ تَعْدو قُراها[٢٨]
بَلَغَتْ بنتُ قُرَيْشٍ ذِرْوَةً ... بِبَني العَبَّاسِ صَعْبًا مُرْتَقَاها[٢٩]
بَيْنَ شِعْرٍ كأزاهيرِ الرُّبا ... عَكَفَ الغَيْثُ عليها فَسَقَاها
هُوَ دَلٌّ رَدَّدَتْهُ قَيْنَةٌ ... وَهْوَ وَجْدٌ فاضَ مِنْ نَفْسٍ فَتاها[٣٠]
وعُلُومٍ تُرْجِمَتْ واسْتُنْبِطَتْ ... وَفُصُولٍ بَهَرَ الدُّنْيا حِجاها[٣١]
آبداتُ القولِ ولَّتْ بَعْدَهُم ... طَيَّبَ اللهُ ثَراهُمْ وثَراها![٣٢]
يا بَنِي العَبَّاسِ في مَصْرَعِكُمْ ... عِظَةُ الكَوْنِ وَعاها مَنْ وَعاها
أُطْفِئَ النُّورُ ودالتْ دَوْلَةٌ ... وَطَوَى الدهْرُ المُنَى حِينَ طَواها

شَدَّ هُولاكُو عَلَى أَرْبَاضِهَا ... شَدَّةَ الذُّؤْبَانِ أبْصَرْنَ شِياها[٣٣]
وجَرَى مِنْ حَوْلِهِ عِقْبانُهُ ... كُلَّما أَطْعَمَها هاج ضَراها[٣٤]
لَهْفَ نَفْسِي بِنْتَ عَدْنانَ هَوَتْ ... وأسُودُ الغِيلِ قَدْ دِيسَ شَراها![٣٥]
سائِلوا دِجْلَةَ عَمَّا رَاعَها ... أَوْ دَعُوها فَكَفاها ما دَهاها[٣٦]
قَذَفَ الكُتْبَ بِهَا طَاغِيَةٌ ... هَلْ دَرَى ما كَنَزَتْهُ دفَّتاها؟
فَتَأَمَّلْ إذْ جَرَى آذِيُّها ... أَتَرَى فيهِ عُقُولًا أَمْ مِياها؟[٣٧]
ذَهَبَ العَسْفُ بآثارِ النُّهَى ... كَيْفَ تَحْيَا أُمَّةٌ ضاعَتْ نُهاها؟[٣٨]
طَارَتِ الفُصْحَى لِمِصْرٍ تَبْتَغِي ... نَاعِمَ العَيْشِ خَصِيبًا في ذَراها[٣٩]
بَقِيَتْ فِيها تُلاقِي شَظَفًا ... في أحَايِينَ، وفي حِينٍ رَفاها[٤٠]
ثُمَّ هَبَّتْ حَوْلَها عاصِفَةٌ ... خَلَطَ الذُّعْرُ ضُحاها بِمَساها
وإذَا نَجْمٌ بَدا مُؤْتَلِقٌ ... شَخصَتْ نحو سَنَاهُ مُقْلتَاها[٤١]
وإذا مُنْقِذُ مِصْرٍ ماثِلٌ ... وإذا مِصْرٌ وقد شُدَّتْ عُراها[٤٢]
وإذا العِلْمُ يُدَوِّي صَوْتُهُ ... وإذا الضَّادُ أضاءتْ صَفْحَتاها[٤٣]
ظَفِرَتْ بالعَبْقَرِي المُرْتجَى ... فاسْتَجَابَتْ للعُلا لمَّا دَعاها
دَوْلَةُ العِلْمِ بِهِ رُدَّتْ إلى ... عَرْشِ مِصْرٍ بَعْدَ أَنْ طَال نَواها[٤٤]
مَنْ كَإِسْماعِيلَ في آلائِهِ ... يَنْفَدُ القوْلُ ولا يَفْنَى جَداها؟[٤٥]
زُهِيَتْ مِصْرُ جمَالًا وَسَنًا ... بِأبِي الأشْبالِ، واهْتَزَّتْ رُباها[٤٦]
تخجَلُ السُّحْبُ إذا ما وازَنَتْ ... مَرَّةً بَيْن نَداهُ وَنَداها[٤٧]
غَرَسَ العِلْمَ بِمِصْرٍ دَوْحَةً ... كُلَّمَا أَخْضَلَها طَابَ جَنَاها[٤٨]
سَمَتِ الآدابُ والدُّنْيا بِهِ ... وَبَدَتْ تَخْطِرُ في أَزْهَى حُلاها[٤٩]
يا ابْنَ إسْمَاعِيلَ يَا ذُخْرَ النُّهَى ... جَدَّدَتْ مِصْرُ بِكَمْ عَهْدَ صِباها[٥٠]
كُلُّ أَشْتَاتِ النَّدى إنْ فُرِّقَتْ ... فَإلَى بابِ فُؤاد مُلْتَقَاها[٥١]
هِمَّةٌ شَادَتْ بِمِصْرٍ دَوْلَةً ... صانَها الإنْصَافُ والعِلْمُ وَقاها
مَسَحَتْ مِصْرُ بِهِ عَيْنَ الكَرَى ... بَعْدَ أَنْ طالَ عَلَى مِصْرٍ كَراها[٥٢]
وَثَبَتْ وَثْبَتَها دَائِبَةً ... كلَّما أَجْهَدَها السَّعْيُ زَجاها[٥٣]
أَيْنَما أَبْصَرْتَ تَلْقَى نَهْضَةً ... تَمْلَأُ العيْنَ، وإقْبَالًا وَجَاها
وَقُصُورًا لامِعاتٍ كالضُّحَا ... رَدَّدَ العِرْفَانَ فِي مِصْرَ صَداها

يَا نَصِيرَ العِلْمِ في مَمْلَكَةٍ ... بَلَغَتْ بِالْعِلْمِ غاياتِ مُناها[٥٤]
كُلُّ يَوْمٍ لَكَ حَفْلٌ لِلْعُلا ... وَأَيادٍ تَبْهَرُ الدُّنْيا لُهاها[٥٥]
وَجَدَتْ بِنْتُ قُرَيْشٍ مَوْئِلًا ... فِي ذَرَا المُلْكِ وحِصْنًا مِنْ عِداها[٥٦]
لُغَةُ القُرْءَانِ تُزْهَى شَرَفًا ... أَنَّ حامي الدِّينِ والْمُلْكِ حَماها
حِكْمَةُ المَأْمُونِ عَادَتْ دارُها ... بِابْنِ إِسْمَاعيلَ مِنْ بَعْدِ بِلَاها[٥٧]
مَجْمَعُ الفُصْحَى تَجَلَّى مُشْرِقًا ... فِي سَماءِ الْمَجْدِ مُجْتَازًا سُهاها[٥٨]
هُو فِي مِصْرَ مَنارٌ كُلَّما ... أَرْسَلَ الأضواءِ فِي مِصْرَ هَداها
رَأَتِ البَصْرَةُ فِيهِ حَفْلَها ... وَرَأَتْ بَغْدَادُ فِيه مُنْتَدَاهَا[٥٩]
مَنْ رَسُولِي لِأعارِيبِ اللِّوَى؟ ... أَيْنَ أَعْرَابُ اللِّوَى أَيْنَ لِوَاها؟[٦٠]
أَنَّ مِصْرًا بَعَثَتْ آدابَها ... وأبا الفاروق قَدْ أَحْيا لُغاها
وَبَنَى اليومَ عُكاظًا ثَانيًا ... تَاهَ إِعْجَابًا بِهِ الدَّهْرُ وبَاهَى[٦١]
هَلْ حَبا الآدابَ تاجٌ مِثْلَما ... صَاحِبُ التَّاج بِمِصْر قَدْ حَباها؟[٦٢]
أَنْهَضَ التَّأْلِيفَ مِنْ كَبْوتِهِ ... فَسَقَى الأَحْلَامَ رُشْدًا وَغَذاها[٦٣]
كَمْ كِتَابٍ دَوَّنَتْ أَخْبارُهُ ... مِنَنًا، كان فؤادٌ مُبْتَداها[٦٤]
رَحَلَ الأَعْلَامُ فِي الغَرْبِ إِلَى ... سُدَّةٍ يَسْطَعُ بِالْعِلْمِ سَنَاها[٦٥]
فَرَأَوْا مَمْلَكَةً وَثَّابَةً ... ومَلِيكًا بِهُدَى اللهِ رَعاها
دُمْ فُؤَادَ الْقُطْرِ، تَحْيا أُمَّةٌ ... لَمْ يَكُنْ إِلَّاكَ يَوْمًا مُرْتَجاها[٦٦]
وَسَمَا الفَارُوقُ نَجْمًا ساطِعًا ... لِبَنِي مِصْرَ وَعُنْوانَ عُلاها

هوامش

(١) الغطاريف: السادة الشرفاء، الواحد: غطريف. الذرا: جمع ذروة، وهي من كل شيء أعلاه.

(٢) الأوهام: خطرات القلوب. حسرى: كليلة منقطعة من طول المدى. الأين: الإعياء.

(٣) يريد بأمة الصحراء: العرب بنزولهم البوادي والصحاري. الجلد: الأيد والقوة. المهارى: الإبل المهرية، نسبة إلى مهرة بن حيدان، حي من العرب امتازت إبله عما سواها، ويضرب بالإبل المثل في الجلد وقوة الاحتمال. القطا: ضرب من الطير عرف بقوة اهتدائه إلى مكانه.

(٤) يريد بصخرها: آكامها وجبالها. رضوى وثهلان: جبلان ببلاد العرب.

(٥) البيد: جمع بيداء، وهي الصحراء، الرهبة: الخشية والسكون، جرد: خلصها مما يشغلها وجعلها صافية، وبالنور كساها: أي جعلها من الحق على صلة ومن الهداية والتوفيق على بينة.

(٦) القناة: الرمح. لينها: كناية عن الضعف والاستكانة.

(٧) الضيم: الذل والصغار. ذوو النعمى: ذوو اليسار. وعفر الجباه: كناية عن الضعة والمهانة.

(٨) الطراق: الطارقون الذين ينزلون طلبًا للضيافة. القرى: ما يقدم للضيف.

(٩) الأمم: الهين السهل. حل الحبا: كناية عن التحول للحرب والغارة والاحتباء (في الأصل) أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه برباط، فإذا تهيأ للقيام أزاله.

(١٠) سراج الليل: القمر.

(١١) التبيان: البيان والإفصاح.

(١٢) الأطلال: جمع طلل، وهو ما بقي من آثار الديار. والمأثور: ما يحفظ ويؤثر من كل مليح.

(١٣) يريد «بنور الهدى»: رسول الله ﷺ. قريش: قبيلته. اصطفاه: اختاره من بين خلقه وخصه برسالته.

(١٤) حرقها: أجف أوراقها وأيبس عودها. حر الصدى: حرقة العطش.

(١٥) يريد بالفصحى: اللغة العربية. قدسية: ربانية مقدسة. فزهاها: ملأها عجبًا وزهوًا.

(١٦) هاشميًّا: نسبة إلى بني هاشم، آل رسول الله ﷺ. وقلل الأجيال: قممها، الواحدة: قلة.

(١٧) براها: هيأها للمرمى.

(١٨) طيبة: مدينة الرسول ﷺ. مستثيرًا: مثيرًا وموقظًا. لابتاها: حرتاها. الحرة: الأرض ذات حجارة سود. وبالمدينة لابتان. ورددتها لابتاها: أي كررت صوتها ليسمعه العالم.

(١٩) سفاها: ضلالًا وغرورًا. عفت عنه القوافي: سامحته في التقييد بها. حكاها: ماثلها.

(٢٠) بالضاد: أي باللغة العربية. وسميت بلغة الضاد، لخلو اللغات الأخرى عنها.

(٢١) آية: آيات القرآن. وعظمت أن تتناهى: أي جلت عن أن تنتهي إلى غاية من الإعجاز والقوة.

(٢٢) بنو مروان: ملوك الدولة الأموية. والحمى: ما يجب عليك حياطته والذود عنه.

(٢٣) تود الأصداف لو قامت له مقام الشفاه.

(٢٤) دراكًا: متتابعًا، يدرك بعضه بعضًا.

(٢٥) أبو حزرتها: جرير. وهو والأخطل شاعران أمويان معروفان. وابتدعاها: خلقاها.

(٢٦) بغداد: عاصمة العراق، وقديمًا كانت مقر الدولة العباسية فشهدت عهدًا من أزهى العهود.

(٢٧) الرسم: ما بقي من آثار الدار. نادرة: قصة طريفة مفردة.

(٢٨) أبو المأمون، هو الرشيد. المزن: السحاب، يشير إلى قول الرشيد حين رأى سحابة عارضة فقال: أمطري حيث شئت أن تمطري، فلن تمطري إلا حيث سلطاني وملكي.

(٢٩) بنت قريش: هي اللغة العربية. الذروة من كل شيء: أعلاه. مرتقاها: الرقي إليها.

(٣٠) الدل: التمنع مع رغبة، القينة: الجارية أو المغنية. والوجد: الشوق.

(٣١) الحجا: العقل، ويريد أثره.

(٣٢) آبدات القول: نوادره وبدائعه.

(٣٣) هولاكو: هو الزعيم التتري الذي ثل عرش الدولة العباسية. الأرباض: جمع ربض وهو ما حول المدينة، الشياه: جمع شاه.

(٣٤) العقبان: جمع عقاب، وهو من الطيور الجارحة المعروفة بنهمها. ضراها: ما فيها من ولع ونهم بالعدوان والشراسة.

(٣٥) بنت عدنان: اللغة العربية. عدنان: جد من أجداد العرب. هوت: سقطت. الغيل: الشجر الملتف وإليه تأوي الأسود. الشرى: جبل بتهامة وطريق في سلمى، وكلاهما معروف بكثرة أسده وشراستها.

(٣٦) دجلة: نهر معروف، وهو والفرات يرويان العراق. راعها: أفزعها. دهاها: أصابها.

(٣٧) الآذي: الموج. ويريد بالعقول: نتاجها الذي حوته الكتب.

(٣٨) العسف: الظلم. النهى: العقول، ويريد آثارها.

(٣٩) طارت: خفت. ذراها: نواحيها.

(٤٠) الشظف: سوء العيش وخشونته. رفاها: رفاهية ونعيمًا.

(٤١) مؤتلق: منير متلألئ. سناه: ضوءه. المقلتان: العينان.

(٤٢) يريد بمنقذ مصر: محمد علي باشا. ماثل: حاضر. العرا: جمع عروة، وهي أخت الزر. وشد العرا كناية عن القوة.

(٤٣) يدوي صوته: يرتفع عاليًا. وصفحتاها: وجهها، وللوجه صفحتان.

(٤٤) نواها: بعدها.

(٤٥) الآلاء: النعم. الجدى: العطية والمنحة.

(٤٦) زهيت: تاهت ودلت. السنا: الإشراق والتلألؤ. أبو الأشبال: إسماعيل.

(٤٧) نداه: كرمه وجداه. نداها: مطرها.

(٤٨) أخضلها: أرواها. الجنى: ما تجنيه من الثمر، ويريد ثمار العلم.

(٤٩) سمت: نهضت. تخطر: تختال مزهوة مدلة.

(٥٠) ابن إسماعيل: هو الملك أحمد فؤاد. النهى: العقول. ذخرها: أنفس ما عندها.

(٥١) الندى: الكرم. وأشتاته: ألوانه وأنواعه.

(٥٢) الكرى: النعاس. ومسح عين الكرى: كناية عن النهوض والانتعاش.

(٥٣) دائبة: غير منقطعة السعي. أجهدها: أضناها وأتعبها. زجاها: ساقها ودفعها.

(٥٤) غايات مناها: منتهى ما تصبو إليه.

(٥٥) لهاها: عطاياها ومنحها.

(٥٦) بنت قريش: اللغة العربية. الموئل: الحصن والملجأ. وفي ذرا الملك: في كنفه.

(٥٧) البلى: الفناء. يشير إلى دار الحكمة التي كانت قائمة أيام المأمون شبه بها المجمع.

(٥٨) تجلى: ظهر وبدا. السهى: نجم يضرب به المثل في العلو.

(٥٩) البصرة وبغداد: مدينتان لهما تاريخهما الزاهر بالحضارة العربية. المنتدى: مجتمع القوم للسمر والتشاور.

(٦٠) يريد «بأعاريب اللوى» العرب في باديتهم. اللوى: منعطف الوادي.

(٦١) عكاظ: سوق للعرب معروفة، كانوا يتناشدون فيها الأشعار ويخطبون.

(٦٢) حبا: أعطى ومنح. تاج، أي: صاحب تاج، ويريد: ملكًا.

(٦٣) الكبوة: العثرة والسقطة. الأحلام: العقول. الرشد: الهدى والصلاح. غذاها: أمدها بما ينميها وينشئها.

(٦٤) المنن: العطايا. مبتداها: أصلها.

(٦٥) للسدة: بيت الملك. السنا: الضوء.

(٦٦) مرتجاها: أملها ورجاؤها.

مصرُ الوالِهَة

في رثاء الملك فؤاد المتوفى في الثامن والعشرين من أبريل سنة ١٩٣٦م.

جَـلَـلٌ، هَـزَّ كـلُّ رُكْـنٍ وهَـدَّا ... ومصابٌ، رَمَى القُلوبَ فأَرْدَى[١]
كـلُّ صَـدْرٍ بـه أنـيـنٌ وَوَجْـدٌ ... مُـرْسِـلٌ خَـلْـفَـه أنِـيـنًـا ووَجْـدا
عَبَراتٌ، من ساكبٍ ليس تَرْقَا ... ووَجيبٌ، مِنْ خَافِقٍ لَيْس يَهْدَا[٢]
ونشيجٌ، أقضَّ من مَضْجَعِ اللَّيـ ... ـلِ، وماجتْ له الكواكِبُ سُهْدا[٣]

* * *

فزِعَتْ مصرُ فزْعةً طَارَ فيها ... كلُّ عـقْـلٍ عـن الـرَّشَـادِ، ونَـدَّا[٤]
هَرَعَتْ ساعة الوَداعِ تُفِيضُ الدَّمـ ... ـعَ بَحْرًا، وتُرْسِلُ الشَّوقَ وقْدَا[٥]
أمّـةٌ هـالَـهـا الـمُـصَـابُ فـهـامَـتْ ... تستَحِثُّ الْخُطَا، شُيوخًا ومُرْدا[٦]
خَـرَجَـتْ مِـن خِـبـائِـهـا كُـلُّ خَـوْدٍ ... لم تُقْنِّع رأسًا، ولم تُخْفِ خَدّا[٧]
أعْـجَـلَـتْـهـا مُـصيبَةُ الوَطنِ المَفـ ... ـجُوعِ أنْ تَخْتَبِي، وأنْ تَتَردَّى[٨]
زُمَرٌ تَلْتَقِي على الْحُزْنِ والْيَأْ ... سِ، وحَشْدٌ بَاكٍ يُزَاحِمُ حَشْدا
وبِـحَـارٌ مـن الأنَـاسِـيِّ مـاجَـتْ ... مُـزْبِـداتٍ، يَـجِـشْـنَ جَـزْرًا ومَـدَّا[٩]
وجِبَالٌ تَسِيرُ في يَوْم حَشْرٍ ... كلُّ فِـنْـدٍ تَـراهُ يَـتْـبَـعُ فِـنْـدا[١٠]
فوْق سَطْحِ البُيوتِ كالنَّحْلِ فانْظُرْ ... ثُـمَّ إيَّـاكَ أنْ تُـحَـاوِلَ عَـدَّا
كُلُّ بَيْتٍ قَدْ عَافَ أحْجارَهُ الصمْ ... مَ، وأضْحَى دَمًا ولَحْمًا وجِلْدا[١١]
والـمَـيَـادِيـنُ كُـلُّـهـا أُمَـمٌ تُـزْ ... جَى، كما تُكْدَسُ السّحائبُ رُبْدَا[١٢]

فإذا شئتَ أن تَرَى الأرضَ أرْضًا ... كنْتَ ممن يُحاولُ الأمْرَ إذًا[١٣]
نَفَسٌ واحدٌ جميعًا، وقلبٌ ... (لفؤاد) يَئِزُّ شَوْقًا وصَهْدَا[١٤]
ودُعاءٌ يَمُرُّ بالصَّدْرِ بَرْقًا ... فإذا انْسَابَ منه أصْبَحَ رَعْدا
وخُشوعٌ من الْجَلالِ تراءَى ... وجَلالٌ من الخشوعِ تَبَدَّى
حَمَلوه، وإنما حَمَلُوا آ ... مَالَ شَعْبٍ، بِزَهْرِهَا الغَضِّ تَنْدَى
حَمَلوا حامِيَ الحَقِيقةِ والدِّيـ ... ـنِ، كما تَحْمِلُ المَلائكُ عَهْدا
حَمَلوا كَوْكَبًا أشعَّ على مِصـ ... ـرَ سَنًا مُبْصِرًا وهَدْيًا وسَعْدًا[١٥]

* * *

مَا عَلَى الدَّهْرِ مَرَّةً لَوْ تَوَانَى؟ ... أو عَلَى الدَّهْرِ ساعة لو تَهَدَّا؟[١٦]
لَفَحَتْ ريحُهُ أزاهيرَ آما ... لِ، ملأْنَ الوُجودَ مِسْكًا ونَدَّا[١٧]
وَعَدَتْ كَفُّه عَلَى دَوْحةٍ كا ... نتْ تَمُدُّ الظِّلالَ في مِصْرَ مَدّا
وَجَدَتْ مِصْرُ في ذُراها سَلامًا ... وطَوتْ في ظِلَالِها العَيْشَ رَغْدا[١٨]
قدْ نَعَيْنا فَردًا به كان عَصْرًا ... وفَقَدْنا عَصْرًا به كان فَرْدا
دَوْلةٌ فاقت الكواكِبَ نُورًا ... وأنَافَتْ عَلَى الكواكبِ بُعْدًا[١٩]
علَّمَتْ كلَّ مَالِك كيف تُرْعَى ... أُممٌ حاطَها المُلوكُ وتُهْدَى

* * *

رفع الشَّرقُ رأسَه (بِفُؤَادٍ) ... وَنَضَا عَنْه يأسَهُ فاسْتَجَدَّا[٢٠]
ومَضَى يَسْبِقُ الْخَوَاطِرَ وَثْبًا ... وجَرَى يُجْهِدُ الأمَانِيَّ وَخْدا[٢١]
وَأتتْ كلُّ أُمّة ترتجي (مِصـ ... ـرَ) وِدَادًا، وتَنْهَلُ العلم وِرْدا[٢٢]
كَعْبةٌ حَجَّت الوُفُودُ إليها ... تَسْتَحِثُّ الرِّكَابَ وَفْدًا فَوَفْدا[٢٣]
حَفَزَتْها لعَرْشِ (مِصْرَ) أمانٍ ... بِنَشِيدِ الوَلَاء والْحُبِّ تُحْدَي[٢٤]
فَرَأتْ حَزْمَ جاهِدٍ لَنْ يُبَارَى ... ورأتْ جُهْدَ حازمٍ لن يُحَدَّا
أبْصَرُوا المُلْكَ في جَلالةِ مَعْنا ... هُ، يُبَاهي السَّمَاءَ عِزًّا ومَجْدا
أَبْصَرُوا دَوْلةً ومُلْكًا كَبِيرًا ... ومِرَاسًا يُعْيي الزَّمانَ وجُهْدا
هِمّةٌ تَفْرَعُ النُّجومَ، وعَزْمٌ ... سلَبَ السَّيْفَ حدَّه والفِرنْدَا[٢٥]
ومَضَاءٌ في الحادِثاتِ برأْيٍ ... فَضَح الصُّبْحَ نُورُه وتَحدَّى

يَستمدُّ الإلهامَ من عالِمِ الغَيـ ـبِ، وأجْدِرْ بمثله أنْ يُمَدّا

* * *

دَفَعَ الشعْبَ للسبيل فكانت من سَنا هَدْيه أمانًا ورُشْدا[٢٦]
مُلْهِبًا عَزْمَه إذا اجتازَ غَوْرًا مُستَحِثًّا إذا تسلَّقَ نَجْدا[٢٧]
كُلَّما خَارَ أجزأتْ بسمةٌ مِنـ ـه، فَمدَّ الخُطَا حَثِيثًا وجَدّا[٢٨]
ومَضَى كالقَضَاءِ يَهْوِي لِمَرْمَا هُ، جَريئًا مُجَمَّعَ القَلْبِ جَلْدَا[٢٩]
يَبْهَرُ الصَّخرَ أنْ يَرَى منه صَلْدًا آدميَّ الرُّواء، يَقْرَعُ صَلْدا[٣٠]
لا يُبالِي إذا سَعَى للمعَالي خَبَط الشوْكَ، أم تَوطَّأَ وَرْدَا؟[٣١]
و(فُؤَادٌ) أمامَه خَيْرُ هادٍ قادَ لِلْغَايةِ البَعيدَةِ جُنْدا
كانَ لِلْمُقْدِمين رُوحًا وقَلْبًا ولِرَكْب السَّارِيَن كَفًّا وزَنْدا[٣٢]
لو دَعَاهُم إلى النُّجوم لَسَارُوا خَلْفَه يُزْمِعُون للنَّجْمِ قَصْدا
وإذا اليأسُ مَسَّهُم كان عَطْفًا وسَلامًا عَلَى القُلُوبِ وبَرْدا[٣٣]
نَظْرةٌ مِنْه تَبْعثُ الأمَلَ الوَا ني، وتُحْيِي منه الذي كان أَوْدَى[٣٤]

* * *

كان رِدْءًا لِمصْرَ إنْ جَارَ دَهْرٌ وصِمَامًا لأمْنِها إنْ تَعَدَّى[٣٥]
ساسَ بالحِكْمةِ البلَادَ، فكانَتْ من عَوادِي الزَّمان دِرْعًا وسَدّا
فَهْو إنْ شَاءَ صيَّر الغِمْدَ سَيْفًا وإذا شاء صَيَّر السَّيْفَ غِمْدَا
قد أعدَّتْه رَحْمةُ اللهِ لِلْحُكـ ـمِ، كَرِيمًا مُبَارَكًا، فاسْتَعَدّا
ورَعَى اللهَ في الرّعِيّةِ والملـ ـكِ، فوفَّى حقَّ الإلهِ وأدَّى
أينَما سِرْت مَشْرِقًا تَلْقَ شُكْرًا أو توجَّهْتَ مَغْرِبًا تَلْقَ حَمْدا
وإذا اللهُ رَامَ إصْلاحَ شَعْبٍ سَلَكَ القَائدُ الطَّريقَ الأسدَّا
إنَّمَا النَّاسُ بالملوكِ، وأَغْلَى الـ ـمُلْكِ شَأْوًا ما كانَ حُبًّا وَوُدّا[٣٦]

* * *

رَد بالْحَزْم كلَّ خَطْبٍ سِوَى المَوْ ت، ولِلْمَوْتِ صَوْلَةٌ لَنْ تُرَدَّا[٣٧]
والفَتَى في الْحَياةِ رهْنُ عَوَادٍ لا يَرَى دُونَ مُلْتَقَاهُن بُدّا[٣٨]

حَكَمَ الموتُ في الأنامِ فَسَوَّى ... لم يَدَعْ سَيِّدًا، ولم يُبْقِ عَبْدا
بَيْنَما يَسْحَقُ المَالَ تَراهُ ... باسِطًا كفَّه لِيَقْنِصَ أُسْدا

* * *

يا مَلِيكي، والْحُزْنُ يَطْحَنُ نَفْسِي! ... كلَّما قُلْتُ: خَفَّ. قال: سَأَبْدا
أَيْنَ عزُّ المُلْكِ الَّذِي كانَ للآ ... مالِ في سَوْحِه مَرَاح ومَغْدَى؟[٣٩]
أين تلكَ الهِبَاتُ للعِلْمِ تُزْجَى ... كلُّ رِفْدٍ فِيها يُزَاحِمُ رِفْدا؟[٤٠]
أينَ أينَ القُصّادُ في ساحةِ القَصـ ... ـرِ؟ وأين الصِّلاتُ تُعْطَى وتُسْدَى؟
أين ذَاكَ الْجَبِينُ يَنْضَحُ نُورًا؟ ... أين ذاكَ الحديثُ يَقْطُر شَهْدا؟
قد فَقَدْناهُ والمُصَابُ جَلِيلٌ ... وجَمِيلُ العَزَاء بالْحُرِّ أَجْدَى
نحنُ لله راجِعُون، وكلٌّ ... بالغٌ في مَجَالةِ العُمْرِ حَدَّا[٤١]
غَير أنَّ الفَتَى يُغالِبُهُ الدَّمـ ... ـعُ، فلا يستطيعُ للدَّمْعِ صَدَّا
كلُّ مَهْدٍ يَصِيرُ مِنْ بَعْد حينٍ ... قَصُرَ العُمْرُ أو تَطَاولَ لَحْدَا

* * *

قَدْ مَلَأْتُ الوُجودَ شَدْوًا بِمَدْحِيكَ، ... وهَل غيْرُ مِزهَرِي بكَ أَشْدَى؟[٤٢]
خَالداتٌ مِنَ الجلَائلِ أَوْلَتْ ... شِعْرِيَ المُزْدَهِي بوصْفِك خُلْدا[٤٣]
كَتبَ اللهُ أنْ يَعُودَ رَثَاءً ... وبُكَاءً يُدْمِي العيونَ وكَمْدا
قد نظَمْتَ العُلَا قَلادَةَ دُرٍّ ... فَنظمْتُ الدُّموعَ أرْثيكَ عِقْدا[٤٤]

* * *

أَمَلَ الشَّعْبِ في خَلِيفَتِك الْفَا ... رُوقِ أحْيَا آمَالَه وأجَدَّا[٤٥]
قرأ الشَّعْبُ في مَلَامِحِه الغُر ... رِ سُطورَ المُنَى وأبْصَر جَدّا[٤٦]
ورأَى فيه نُبْعةَ الْمجدِ والنُّبـ ... ـلِ: أبًا مُفْردَ الجلالِ وجَدَّا[٤٧]
لم يجدْ للعُلَا سواه مَثِيلًا ... ولبَدْرِ السماء إلَّاهُ نِدَّا
رحمةُ اللهِ للمليكِ المُسَجَّى! ... ورَعَتْ عينُه المليكَ المُفَدَّى[٤٨]

هوامش

(١) جلل: خطب عظيم. كل ركن: كل ناحية. أردى: أفنى وأهلك.

(٢) ترقا: تجف وتنقطع. الخافق: القلب.

(٣) النشيج: البكاء يغص به الباكي في حلقه من غير انتحاب. ماجت الكواكب: اضطرب سيرها واختلف.

(٤) ند: نفر وذهب.

(٥) وقدًا: أي حارًّا بنار الحزن.

(٦) المرد: جمع أمرد. وهو الشاب لم يطر شاربه ولم تنبت لحيته.

(٧) من خبائها: أي من خدرها. الخباء (في الأصل): ما يعمل من وبر أو صوف أو شعر، ويكون على عمودين أو ثلاثة ويريد هنا مكمنها وبيتها. الخود: المرأة الشابة.

(٨) تتردى: تضع عليها رداءها.

(٩) ماجت: اضطربت. مزبدات: قاذفات بالزبد، وذلك لا يكون إلا في ثورة البحر وهيجانه. يجشن: يهجن ويضطربن. مد البحر وجزره: ارتفاعه واستطالته إلى ناحية مرة، ثم رجوعه عنها مرة أخرى.

(١٠) الفند: الجبل العظيم. وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾.

(١١) عاف: مل وكره.

(١٢) تزجى: تساق وتدفع. تكدس، أي: يركب بعضها بعضًا. الربدة: الغبرة.

(١٣) الإد: الأمر العظيم.

(١٤) النفس: الزفرة ينفثها المحزون. أزيز القدر: صوتها عند غليانها.

(١٥) أشع: نشر ضوءه. سنا مبصرًا: أي نورًا يهتدي الناس به ويبصرون.

(١٦) توانى: لم يبادر ولم يتعجل. وتهدا: أي تمهل وأبطأ.

(١٧) لفح الرياح: حرها. الأزاهير: الأزهار. الند: العنبر، وقيل: هو عود يتبخر به.

(١٨) الذرا (بالفتح) الكنف والجانب.

(١٩) أنافت: زادت.

(٢٠) نضا عنه يأسه: رمى به وطرحه. فاستجدا: أي فعاد جديدًا بما صار إليه.

(٢١) الخواطر: ما يخطر بالقلب ويهجس في النفس. الوخد: ضرب من المشي فيه إسراع وإهراع.

(٢٢) تنهل: تشرب. الورد: مورد الشاربة.

(٢٣) الكعبة: البيت الحرام بمكة.

(٢٤) حفزتها: أعجلتها وأسرعت بها. تحدي: من الحداء، وهو أن تغني للإبل تدفع بذلك عنها ملال السير.

(٢٥) تفرع: تعلو. فرند السيف: وشبه وجوهره.

(٢٦) السبيل: الطريق. سنا هديه: أي نور هدايته.

(٢٧) ملهبًا: مثيرًا مهيجًا. الغور: ما انخفض من الأرض. مستحثًّا: حاضًّا.

(٢٨) خار: ضعف وفتر. أجزأت: نابت وأغنت.

(٢٩) الجلد: القوي الشديد.

(٣٠) يبهره، أي: يفوقه بقوته فيدهشه. الصلد: الصلب. وآدمي الرواء: أي في صورة الآدميين. يقرع: يضرب.

(٣١) خبط الشوك: وطئه وداسه. ومثله في ذلك، توطأ.

(٣٢) المقدمون: الجادون. الزند: موصل طرف الذراع في الكف. الزند أيضًا: العود الأعلى الذي تقتدح به النار.

(٣٣) بردًا: راحة وطمأنينة.

(٣٤) الواني: الفاتر الواهي. أودى: أي فني وذهب.

(٣٥) الردء: العون والناصر. حار: بغى.

(٣٦) الشأو: الغاية والمدى.

(٣٧) الخطب: المكروه. الصولة: السطوة والقهر.

(٣٨) العوادي: جمع عادية. وهي ما يلم بالإنسان من مكروه.

(٣٩) السوح: جمع ساحة. وهي النايحة. ومراح ومغدى: أي رواح وغدو.

(٤٠) الرفد: الصلة والعطاء.

(٤١) المجالة: الساحة والميدان يجال فيهما ويطاف. شبه بها فسحة العمر وحياة الإنسان.

(٤٢) شدوًا: ترنمًا. المزهر: العود يضرب به. أشدى: أي أحسن شدوًا وتطريبًا.

(٤٣) أولت: أعطت ووهبت.

(٤٤) القلادة: ما يجعل في العنق من الحليّ. نظمها: تأليف حباتها وجمعها.

(٤٥) وأجدا: أي صيره جديدًا.

(٤٦) الملامح: ما بدا من محاسن الوجه. الغر: الجميلة الحسنة. سطور المنى: ما ينطق بتحقيق الرجاء. الجد (بالفتح): الحظ والسعد.

(٤٧) النبعة (في الأصل): واحدة النبع، وهو شجر تتخذ منه القسي ومن أغصانه السهام.

(٤٨) المسجَّى: الميت قد مد عليه غطاء. المفدى: الذي يفدى بكل عزيز.

إلى الأستَاذِ الإمام

قيلت هذه القصيدة والشاعر طالب بالأزهر سنة ١٩٠١م، وكان يتلقى دروس البلاغة والتفسير على الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده. فمدحه بهذه القصيدة ونحا فيها منحى الشعراء المتقدمين في الوصف والأسلوب. وندّ عن الذاكرة عدد غير قليل من أبياتها.

الْمَجْدُ فَوْقَ مَتُونِ الضُّمَّرِ الْقُودِ ... تَطْوِي الْفَلَا بَيْنَ إِيجَافٍ وتَوْخِيدِ[١]

إِذَا رَمَتْ عُرْضَ صَيْهُودٍ مناسِمُها ... رَمَتْ إِلَيْهَا اللَّيَالي كُلَّ مَقْصُودِ[٢]

أَوْ مَزَّقَتْ طَيْلَسَانَ اللَّيْلِ مِنْ خَبَبٍ ... كَسَتْ خَيَالَ الْأَمَانِي ثَوْبَ مَوْجُودِ[٣]

تُدْنَى مِنَ الْمَجْدِ إِنْ شَطَّ الْمَزَارُ بِهَا ... فَحَبَّذَا هُوَ تَقْرِيبٌ بِتَبْعِيدِ![٤]

الْمَجْدُ بالسيْفِ إِنْ عَزَّتْ وَسَائِلُهُ ... لَا يُغْمِدُ الْحَقَّ سَيْفٌ غَيْرُ مَغْمُودِ

فَكَمْ شَقَقْتَ فُؤَادَ الْبِيدِ مُنْصَلِتًا ... مَنْ يَطْلُبِ المَجْدَ لَا يَبْخَلْ بِمَجْهُودِ

تَرْمِي التنُوفَةُ بي أُخْرَى بِجانِبِهَا ... وَأَقْطَعُ الْبِيدَ بَعْدَ الْجَهْدِ لِلْبِيدِ![٥]

كَأَنَّنِي الْكَأْسُ بَيْنَ الشرْبِ مُتْرَعَةً ... يُدِيرُهَا الْقَوْمُ مِنْ بِنْتِ الْعَنَاقِيدِ[٦]

فِي كُلِّ بهْمَاءَ لَمْ يَعْبُرْ مَنَاكِبَها ... طَيْفٌ مِنَ الجِنِّ إِلَّا خَافَ أَنْ يُودِي[٧]

لا يُرْسِلُ الطرْفَ فِي ميْدانِها قَدَمًا ... إِلَّا بِزَجْرٍ وَإِيعَادٍ وتَهْدِيدِ[٨]

إذا بَدَا الْفَجْرُ ظَنَّتْهُ ضَرَاغِمُهَا ... سَيْفًا فكَرَّتْ إِلَيْه كَرَّ صِنْدِيدِ

وَأَقْبَلَتْ لِغديرِ الْمَاءِ وَاثِبَةً ... تَظُنُّهُ لَأْمَةً مِنْ نَسْجِ دَاوُدِ[٩]

فَكنْت بَيْنَ مَرُوعِ الْقَلْبِ مُرْتَجِفٍ ... كَأَنَّني صَارِمٌ فِي كَفِّ رِعْدِيدِ[١٠]

أَطْوِي الدُّجَى فَإِذَا مَا اليَأْسُ أَدْرَكَني ... وَفَلَّ عَزْمِي بِسَيْفٍ مِنْهُ محدُودِ[١١]

ذَكَرْتُ عَزْمًا مِنَ الْأُسْتَاذِ فَاتَّجَهَتْ ... عَزيمتِي بَيْنَ إِقْدَامٍ وَتسْدِيدِ[١٢]

وَسِرْتُ مِثْلَ قَضَاء الله لَيْسَ لَهُ نَقْضٌ وَلا سَهْمُهُ يَوْمًا بِمَرْدُودِ
مَوْلَايَ عَلَّمْتَنِي كَيْفَ الثَّبَاتُ إِذَا لَمْ يَتْرُكِ الرُّعْبُ قَلْبًا غَيْرَ مَزْءُودِ[١٣]
عَلَوْتَ فَازْدَدْتَ بَيْنَ النَّاسِ مَعْرِفَةً وَالنَّجْمُ يَعْلو فَيَبْدُو شِبْهَ مَفْقُودِ!
وَأَصْبح الدينُ تَيَّاهًا بِنَاصِرِهِ وَالضادُ تزْهَى بِتَجْمِيلٍ وَتَجْدِيدِ
دَعِ الْحَسُودَ، أَمَا يَكْفيكَ أَنَّ لَهُ نَفْسًا تفوُرُ، وَحَظًّا غَيْرَ مَجْدُودِ؟[١٤]

* * *

يَا فارِسَ الشعْرِ لا تَجْزَعْ لِنَازِلةٍ إِذَا دَعَوْتَ إِلَيْهَا فَارِسَ الْجُودِ[١٥]
فَنَظْرَةٌ مِنْهُ لَوْ مَسَّتْ ظَلامَ دُجًى ما زُمِّلَ اللَّيْلُ في أَثْوابِه السُّودِ[١٦]

هوامش

(١) المجد: العز والشرف. المتون: جمع متن وهو الظهر. الضمر: جمع ضامر وهو الناقة أو الجمل الذي أصابه الضمور والهزال من كثرة الأسفار. القود: جمع أقود وهو البعير الشديد العنق. الفلا: جمع فلاة وهي القفز، أو المفازة لا ماء فيها. وطي الفلوات اجتيازها وقطعها بالسير فيها. الإيجاف: ضرب من سير الإبل والخيل. التوخيد: ضرب آخر من سير الإبل، وهو الإسراع أو سعة الخطوة، أو أن يرمي البعير بقوائمه كمشي النعام.

(٢) عرض الشيء: ناحيته وجانبه. الصيهود: الفلاة لا ينال ماؤها، المناسم: جمع منسم وهو خف البعير.

(٣) الطيلسان: من لباس العجم كساء مدور كان يلبسه الخواص من العلماء. الخبب: ضرب من العدو، أو كالرمل، أو أن ينقل الفرس أيامنه جميعًا وأياسره جميعًا. أو أن يراوح بين يديه، أو هو السرعة.

(٤) تدنى: تقرب. شط: بعد. المزار: الزيارة.

(٥) التنوفة: المفازة. أو الأرض الواسعة البعيدة الأطراف، أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس.

(٦) الشرب: جمع شارب. مترعة: مملؤة. بنت العناقيد: كناية عن الخمر.

(٧) البهماء: الفلاة لا يهتدى فيها. المناكب هنا: الأنحاء. يودي: مضارع أودى أي: هلك.

(٨) الطرف: الفرس الكريم. الإيعاد: الوعيد لا يكون إلا في الشر.

(٩) اللأمة: الدرع وقد اشتهر نبي الله داود — عليه السلام — بصنع الدروع.

(١٠) الروع: الفزع، مروع القلب: خائف فزع. مرتجف: مضطرب. الصارم: السيف القاطع.

(١١) الدجى: جمع دجية وهي الظلمة. فله: ثلمه وكسره. محدود: مسنون قاطع.

(١٢) التسديد: التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل.

(١٣) المزءود: المذعور الخائف.

(١٤) فارت القدر: جاشت وغلت. غير مجدود: غير سعيد.

(١٥) يريد بفارس الشعر نفسه. جزع: ضد الصبر. النازلة: الكارثة والشديدة من شدائد الدهر. الجود: السخاء.

(١٦) زمله في ثوبه: لفه.

رَثاءُ الزَّهَاوِي

أقامت الحكومة العراقية حفلًا جامعًا لتأبين شاعرها الكبير «جميل صدقي الزهاوي»، دعت إليه شعراء الأقطار العربية ومن بينهم الشاعر. وقد ألقيت هذه القصيدة ببغداد في ١٢ من فبراير سنة ١٩٣٧م.

جَفَا الرَّوْضَ مُغْبَرَّ الأسارِيرِ مَاطِرُهْ! وَغَادَرَه قَفْرَ الخمائِلِ طَائِرُهْ![1]
ذَوَى نَبْتُه بَعْد الْبَشَاشةِ وارْتَمَتْ مُصَوِّحةً أَثْمارُه وأَزَاهِرُه[2]
تلَفَّتُّ: أَيْنَ الرَّوْضُ، أينَ مَكَانُه وأَيْنَ مَجاليه، وأَيْن بَوَاكِره؟[3]
وأيْنَ الّذي لَمْ يَطْرُق الأُذْنَ مِثْلُه إذا صَدَحَتْ فَوق الغُصُون مَزاهِرُهْ؟[4]
حَمَائِمُ أَلْهاها النَّعِيمُ عَنِ البُكَا وأَذْهَلَها عن عابِس العَيْشِ نَاضِرُه
إذا أَرْسَلَتْ أَلْحانَها في خَمِيلةٍ تَوثَّبَ زَهْرُ الرَّوْضِ واهْتَزَّ عاطِرُه[5]
لها صَوْتُ دَاودٍ وحُسْنُ رَنِينه إذا ما عَلَتْ مَتْنَ النَّسِيمِ مَزَامِرُهْ[6]
إذَا بَدَأَتْ أَشْجَاكَ أَوَّلُ صَوْتِها وإنْ سَكَتَتْ أَعْيَا بَيَانَك آخِرُه
وإنْ هَتَفَتْ في الدَّوْحِ مَالَ كَأَنَّما يُسَايِرُها في لَحْنِها وتُسَايِرُه[7]
تَحَدَّتْ فُنُونَ المَوْصِلِيِّ وَطَوَّحَتْ بأَنْفَسِ ما ضُمَّتْ عَلَيْه بنَاصِرُهْ[8]
أُولَئِك أَوْتَارُ الإلَهِ وصُنْعُهُ إذا عَزَفَتْ فَلْيُسْكِتِ الْعُودَ وَاتِرُه[9]
أَلَمَّتْ بأَسْرَار النُّفُوس فَتَرْجَمتْ كَمَا فَسَّرَ الْحُلْمَ المحَجَّب عَابِرُه
يُصِيخُ إلَيْها أَسْوَدُ اللَّيْلِ باسِمًا فَتفْتَرُّ عَنْ زُهْرِ النُّجُومِ مَشَافِره[10]
يَوَدُّ لَوْ أنّ الغِيدَ ضَمَّتْ شُعورَها إلى شَعْرِهِ الدَّاجِي فطَالتْ غَدَائِرُه
وَيَرْجُو لَوْ أنّ الفَجْر عُوِّقَ خَطْوُه وطَاشَ به نَائِي الطَّرِيقِ وجَائِرُهْ[11]

وزَلَّتْ بشُطْآنِ المَجَرَّةِ رِجْلُهُ ... فَطَوَّحَه في غَمْرَةِ اليَمِّ زَاخِرُه[١٢]
سَل الرَّوْضَ إن أَصْغَتْ إليْكَ رَسُومُه ... مَتَى رُوِّعَتْ أَطْلَاؤُه وجَآذِرُه؟[١٣]
وأيْن الغَدِيرُ العَذْبُ طَابَ وُرُودُه ... لِذِي الغُلَّةِ الصَّادِي وطَابتْ مَصَادِرُه؟[١٤]
إذا فَاضَ بَيْنَ الزَّهْر تَحْسَبُ أَنَّه ... يَمَانيُّ بُرْدٍ أَذْهَلَ التَّجْرَ ناشِرُه[١٥]
تَأَزَّر مِنْ أثْوابِه الرَّوْضُ واكْتسَى ... فَرقَّت حَواشِيه، وطَالت مَآزِرُه[١٦]
تَدُورُ به جَمَّ البَلابِل مُطْرِقًا ... ولَمْ تَدْرِ أَنَّ الدَّهْرَ دَارَتْ دَوَائِرُهْ![١٧]
وتُصْغي، فلا يَجْتازُ سَمْعَكَ نَغْمَةٌ ... سِوَى أَنَّةٍ يُلْهي بها الْحُزْنَ قاهِرُه
وتَدْعُو، فلا تلْقَى مُجِيبًا سِوى النَّوَى ... تُطَارِح مَطْوِيَّ الأسَى وتُحَاوِرُه[١٨]
وَقَفْتُ به، والقَلْبُ يَحْبِسُ وَجْدَه ... فيَطْغَى، ودَمْعُ العَيْنِ يَنْهَلُّ بَادِرُه[١٩]
وما وَقْفَتي بَيْن الرِّيَاضِ وقَدْ عَفَتْ ... سِوَى حَاجَةٍ يَقْضِي بها الْحَقَّ نافِرُه[٢٠]
أرَى! ما أَرَى إلَّا غُبارًا أَثَارَه ... خَمِيسُ اللَّيالي حِينما ثَارَ ثَائِرُه[٢١]
مَضَى الطَّائِرُ الصَدَّاحُ فالْأُفْقُ مُوحِشٌ ... حَزِينُ النَّواحِي، عابسُ الوَجْه باسِرُهْ[٢٢]
وَأَوْدَى (الزَّهَاوِي) فانْتَهى مَلْعَبُ النُّهَى ... وأُطْفِئَتِ الأَنْوَارُ، وانْفَضَّ سَامِرُهْ[٢٣]
أقامَ عَلَى رَغْمِ النُّبُوغِ بحُفْرةٍ ... وسارَتْ عَلَى رغْمِ المَنُونِ سَوائِرُه[٢٤]
وغَادَر عَرْشَ اللَّوْذَعِيّةِ رَبُّه ... وخَلَّى نَدِيَّ العَبْقَرِيّةِ شَاعِرُه[٢٥]
دَعُوا ذِكْرَ إعجَازِ البَيَان وسِرِّهِ ... فَقَدْ غَابَ عَنْهُ طِيلَةَ الدَّهْرِ ساحِرُه
له خاطِرٌ لَوْ سَابق البَرْقَ في الدُّجَى ... لَجَلَّى عَلَى بَرْق السَّمواتِ خَاطِرُه![٢٦]
تملَّكَ حُرَّ الشّعرِ سِنٌّ يَرَاعِهِ ... فَيَا عَجَبًا أَنْ حَرَّرَ الشِّعْرَ آسِرُهْ[٢٧]
تَمنَّى العَذَارَى لو تَقَلَّدْنَ دُرَّهُ ... ورَفَّتْ عَلَى أَجْيَادِهِنَّ جَواهِرُه
ويُزْهِي الْعُيونَ الدُّعْجَ أن سَوادَها ... شَبِيهٌ بما ضُمَّت عليه مَحابِرُهْ[٢٨]
وما جاشَت الصَّهْباءُ إلَّا لأنَّها ... وقَدْ صَفَّقُوا مَشْمُولهَا، لا تُنَاظِرُه[٢٩]
تَمُرُّ به مَرًّا فَيَسْبِيكَ بَعْضُهُ ... وتَقْرَؤُه أُخْرَى، فَيَسْبِيكَ سَائِره[٣٠]
تَرَى فيه هذا الكوْن صُورَةَ حاذِقٍ ... أَحَاطَتْ بأَسْرَارِ الحَياةِ بَصَائِرهْ
وتلْمحُ فيه الرَّأْيَ في بُعْدِ غَوْرِه ... كما غَاصَ تَحْتَ المَاء للدُّرِّ ذَاخِره[٣١]
وتَلْقَى به الآذِيَّ في ثَوَرَانِه ... إذا عَقْلُهُ الْجَبَّارُ مارَتْ مَوائِرُه[٣٢]
له قَلَمٌ لَو لامَس الطِّرْسَ مَرَّةً ... تَدَانَى له صَعْبُ القَرِيض ونَافِرُه[٣٣]
لَقَدْ كانَ مِنْظَارَ النُّفُوسِ فَلَمْ يَجُل ... بنِفَس هَوى إلّا وطَرْفُكَ ناظِرُهْ[٣٤]

يلُوحُ بَعِيدُ الرَّأْيِ خَلْفَ زُجاجِه ... وحاضِرُ تاريخ الْحَيَاةِ وغَابِرُه[٣٥]
بَرَاه إلَهُ الْخَلْقِ عَزْمًا وَجُرْأَةً ... تَهابُ الرَّواسي حَدَّه وتحَاذِره[٣٦]
وصَوَّرَه غَضْبًا تفِرُّ لِهَوْلِهِ ... ذِئَابُ الدَّنَايا شُرَّدًا وَهْو شَاهِرهْ[٣٧]
كأنَّ عَصَا مُوسَى أُعِيدَتْ بكَفِّه ... يُصَاوِلُ مَنْ يَرْمي بها ويُغَاوِره[٣٨]
يَقُولُ جَرِيئًا مَا يُرِيد، ورُبَّما ... يَقُول الفَتَى ما لم تُرِدْه سَرَائِرُه[٣٩]
وكَمْ مِنْ فَتًى يَقْضِي بِنَفْسَيْن عَيْشَهُ ... مَظَاهِرُه نَفْسٌ، ونَفْسٌ مخابِرُه[٤٠]
تَراهُ مع النُّسَّاك في خَلَواتِهم ... وفي الْحَان قد نَمَّتْ عَلَيْه سَتَائِرُه[٤١]
لِسَانٌ كما طَالَ الْجَرِيرُ مُسَبِّحٌ ... رِيَاءً، ومِنْ خَلْف اللِّسَانِ جَرَائِره[٤٢]
إذا لَم يَكُن في الْحَرْب قَلْبك بَاتِرًا ... فماذَا يُفِيدُ المَرْءَ في الْحَرْبِ باتِرُهْ؟
حَنَانًا له! كَيْفَ استقَرَّتْ به النَّوَى؟ ... وكَيْفَ ثَوَى بَعْدَ التَّلَهُّفَ حائِرُه؟[٤٣]
وهَلْ بَعْدَ لَيْلٍ في الْحَيَاة مُؤَرِّقٍ ... كَثيرِ التَّظَنِّي أَبْصر الصُّبْحَ ساهِرُه؟[٤٤]

* * *

شَقَقْتُ إلَيكَ الطرُق والقَلْبُ خافِقٌ ... تُراوِحُهُ آلامُه وتُباكِرُه[٤٥]
تذَكَّر أُلَّافًا ألمُّوا فَودَّعُوا ... كطَيْفِ خَيالٍ أَرَّق الصَّبَّ زَائِرُه
ونَحْنُ حَياةٌ، والْحياةُ إلى مَدًى ... ولَوْلَا المُنَى لَمْ يَبْذُرِ الْحَبَّ بَاذِرُهْ[٤٦]
وإنَّ المهُودَ الزَّهْرَ — لَوْ عَلِم الفَتَى ... وفَكَّرَ في غَاياتِهنْ — مَقَابِرُهْ[٤٧]
سَمَوْتُ إلى بَغْداد والشَّوْقُ نَحْوَها ... يُسَاوِرُني حِينًا وحِينًا أُسَاوِره[٤٨]
كِلَانَا نَأَى عن أَهْلِهِ وعَشِيرِهِ ... لِيَلْقَاه فيها أَهلُه وعَشَائِره
حَبِيب إلى نَفْسِي العِراقُ وأَهْلُه ... وسالِفُه الزَّاهي المَجِيدُ وحَاضِرُه[٤٩]
ديارٌ بها الإسْلام أرْسَل ضَوْءَه ... فَسار مَسِير الشَّمْس في الأُفْق سَائِره
ومَدَّتْ بها الآدَابُ ظِلًّا على الوَرَى ... تَسَاوَتْ به آصالُهُ وهَواجِرُه[٥٠]
تَجَلَّى بها عَهْدُ الرَّشِيد وعِزُّهُ ... وزَاهِرُ مُلْكِ الفاتحينَ وبَاهِرُهْ[٥١]
إذا شِئْتَ مَجْدَ العُرْب في عُنْفَوانِهِ ... فَهذِي مَغَانيهِ، وهَذِي مَنائِرُهْ![٥٢]
أَطَلَّتْ عَلَى الدُّنْيَا فأَبْصَرَتِ الْهُدَى ... كما لَمَعتْ في جُنْحِ لَيْلٍ زَوَاهِرُه[٥٣]
تفاخِرُ بالغَازِي الَّذِي سَارَ ذِكْرُه ... ودَوَّتْ بآفاق البلَاد مَفَاخِرُه[٥٤]
هُو الملكُ أَمْضَى من شَبَا السَّيْفِ عَزْمُهُ ... وأَغْزَرُ من مَاءِ السَّحائِبِ هَامِرُه[٥٥]
نَماه بنُاةُ المَجْدِ من آلِ هاشمٍ ... فجلَّتْ مَرَامِيهِ، وطابَتْ عنَاصِرُه[٥٦]

أعَـاد إلـى عَـهْـدِ الـبَـيَـان شَـبَـابَـه فـهَـبَّ فَـتِـيًّا يَـنْـفُـضَ الـتُّـرْبَ دَاثِـرُه[٥٧]
يُـرِيكَ بِـهِ الـمَـنْـصُـورَ مَـأْثُـورَ حَـزْمِـه وتُـذْكِـرك الـمَـهْـدِيَّ فِـيـه مـآثِـرُهْ[٥٨]
ذَكَّرْنَا اسْمَه طُولَ الطَّرِيق فَذُلِّلتْ مَصَاعِبُ مَتْنَيْه وضَاءَتْ دَيَاجِرُهْ[٥٩]

* * *

جَمِيلٌ، نِدَاءٌ مِنْ أَخٍ يَقْدُرُ النُّهَى وإنْ لَمْ يُمَتَّع باجْتِلَائِك نَاظِرُه
عَرَفْتُكَ في آثَارِك الغُرِّ مِثْلَما تُنْبِّئ عَنْ وَجْه الصَّبَاحِ بَشَائِره[٦٠]
عَرَفْتُ (جَمِيلًا) في جَمِيلِ بَيَانِه يُشَاطِرُنِي وجْدَانَه وأُشَاطِره
تُجاوِرُني في دَوْحة النِّيلِ رُوحُه ورُوحي بِدَوْحِ الرافِدَيْن تُجَاوره[٦١]
إذا اجتَمع القَلْبانِ فالْكَوْنُ كُلُّهُ مَكانٌ، وإنْ شَقَّتْ وطالَتْ مَعَابِره[٦٢]
لنا نَسَبٌ في المَجْد يَجْمَع بَيْنَنا تَعَالَتْ أَوَاسِيه، وَشُدَّتْ أَوَاصِرُهْ[٦٣]
ألسْنَا حُمَاةَ القَوْلِ في كُلِّ مَحْفِلٍ تَتِيهُ بِنَا في كُلِّ أَرْضٍ مَنَابِرُهْ؟

* * *

صَبَبْتُ عَلَيْكَ الدَّمْع سَحًّا، ومَدْمَعي غَزِيرٌ، وَلَكِنْ أَجْوَدُ الدُّرِّ نَادِرُه[٦٤]
وأَرْسَلْت فِيك الشِّعْرَ لَوْعَةَ مُوجَعٍ تَئِنُّ قَوَافِيه، وتبْكِي صَدَائِره[٦٥]
عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ نُورًا ورَحْمةً وغَادَتْك من سَيْبِ الإله مَوَاطِره[٦٦]

هوامش

(١) الأسارير: الخطوط في الوجه. اغبرار الأسارير: كناية عن العبوس والتجهم. ويريد بالطائر: الفقيد.

(٢) ذوى: ذبل. ويريد بالبشاشة: اخضرار النبت وتفتح أزهاره. مصوحة: يابسة ذابلة. الأزاهر: الأزهار.

(٣) مجاليه: ما تجتليه وتستمتع به من محاسن الروض. البواكر: أول ما يدرك من الثمر والزهر.

(٤) المزاهر: هو العود يضرب به.

(٥) الخميلة: الشجر الكثير الملتف. عاطر الزهر: الرائحة العطرة منه.

(٦) داود: هو نبي الله داود — عليه السلام — وقد وهب الله له صوتًا عذبًا رخيمًا. المتن: الظهر. مزامره: ما كان يترنم به من الأدعية والأناشيد.

(٧) الدوح: العظيم من الشجر. الواحدة، دوحة.

(٨) يريد بالموصلي إبراهيم أو ابنه إسحاق، وكلاهما له في الغناء والضرب شهرة واسعة. طوحت: نبذت وطرحت. البناصر: جمع بنصر، وهي الأصبع التي بين الوسطى والخنصر.

(٩) واتر العود: الذي يشد أوتاره ليضرب عليها.

(١٠) يصيخ: يلقي إليها بسمعه هادئًا ساكنًا. وتفتر: تنفرج. زهر النجوم: الوضاءة المتلألئة. المشافر: الشفاة وهي في الأصل للبعير، ثم استعملت للإنسان.

(١١) جائره: غير السوى.

(١٢) الشطآن: جمع شاطئ. المجرة: نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر، وإنما ينتشر ضوؤها فيرى كأنه بياض مختلط، والعرب تشبهها بالنهر. زاخره: مياهه الطامية.

(١٣) رسومه: ما بقي من آثاره. والأطلاء: أولاد الظباء. الواحد. طلا (بالتحريك). الجاذر: أولاد البقر الوحشي. الواحد: جؤذر.

(١٤) الورود والمصادر: إتيان الماء والرجوع عنه.

(١٥) البرد اليماني: نوع من الثياب مخطط موشى. التجر: التجار. الواحد تاجر.

(١٦) تأزر: لبس الإزار، وهو الثوب. الحواشي: جوانب الثوب، ويكنى برقة الحواشي عن الحسن والجمال، كما يكنى بطول المئزر عن التيه والدلال.

(١٧) البلابل: الوساوس والهم الشديد.

(١٨) النوى: الفرقة والشتات. المطارحة: المحاورة. مطوي الأسى: الحزن الكمين.

(١٩) الوجد: شدة الحزن. ينهل: ينصب في شدة. بادر الدمع: ما يسبق منه.

(٢٠) عفت: درست وانمحت. وناذر الحق: من أوجب على نفسه قضاءه والوفاء به.

(٢١) الخميس: الجيش. خميس الليالي: شدائدها وهمومها التي تكر بها وتعدو. ثار ثائره: هاج هائجه.

(٢٢) عابس الوجه باسره: أي إن صفحته قد حالت من إيناع وازدهار إلى ذبول وجفاف.

(٢٣) أودى: مات. النهى: العقول، الواحدة: نهية. ملعب النهى: حيث تتبارى العقول في الإتيان بكل عجيب. السامر: الجماعة من الناس يسمرون ليلًا.

(٢٤) سوائره: أي ما سار وذاع مما يؤثر له ويحفظ.

(٢٥) اللوذعية: الفصاحة والبيان. ربه: أي صاحب العرش. الندى: مجتمع القوم. العبقرية: النبوغ وبلوغ الغاية. ويريد بندى العبقرية: مجتمع رجالها اللسن.

(٢٦) الدجى: الظلام. جلى عليه: سبقه.

(٢٧) اليراع: جمع يراعة، وهي القلم. تحرير الشعر: تخليصه من شوائبه وعيوبه.

(٢٨) يزهي العيون: يجعلها مزهوة فخورة. الدعج: السود.

(٢٩) جاشت: اضطربت. ويريد فورة الخمر في الكأس. الصهباء: الخمر. التصفيق: تحويل الشراب من إناء إلى إناء ليصفو. المشمولة: الخمر، أو الباردة منها؛ لأنها تشمل الناس بريحها، أو لأن لها عصفة كعصفة ريح الشمال.

(٣٠) يسبيك: يأسرك بسحره وجماله. السائر: البقية.

(٣١) الغور: العمق. الذاخر: الذي يجمع الدر ويحفظه.

(٣٢) الأذي: الموج. ومارت موائره: ثار ثائره وهاج هائجه.

(٣٣) الطرس: الصحيفة يكتب فيها. نافره: ما استعصى على الذهن وند عن الخاطر.

(٣٤) المنظار: آلة مكبرة. لم يجل: لم يخطر ولم يمر.

(٣٥) يلوح: يظهر. بعيد الرأي: خفيه غير البين منه. الغابر: الماضي.

(٣٦) براه: سواه. وبري القلم معروف. الرواسي: الجبال الثابتة شموخًا وعظمة. حده: سنه.

(٣٧) العضب: القاطع من السيوف. ذئاب الدنايا: أي الدنايا التي هي كالذئاب عدوانًا على الفضيلة وافتراسًا للخصال الحميدة. شردًا: متفرقة مشتتة. وشاهره: رافعة للقتال.

(٣٨) موسى: هو نبي الله موسى بن عمران — عليه السلام — ومعجزته في عصاه مشهورة. يصاول: من الصول، وهو الاستطالة والغلبة. يغاوره: من الإغارة.

(٣٩) السرائر: جمع سريرة، وهي ما يبطنه المرء.

(٤٠) يقضي عيشه: يصرف حياته.

(٤١) النساك: جمع ناسك، وهو العابد الزاهد في متاع الحياة. الحان: حيث تباع الخمر. الواحدة حانة. نمت: أذاعت وفضحت.

(٤٢) الجرير: حبل يجعل للبعير، ويريد الحبل عامة. الجرائر: الشرور والآثام، الواحدة جريرة.

(٤٣) النوى: البعد والفرقة. ثوى: هدأ واستقر، ويريد بحائره: فكره، ووصفه بالحيرة؛ لأنه كان صاحب رأي وفلسفة كثير الشك في حقائق الكون.

(٤٤) مؤرق: يأرق فيه الإنسان. التظني: الظن والشك. ويريد بالصبح: نور الحق. ساهره: أي الذي يسهر الليل ولا ينام فيه أرقًا.

(٤٥) خافق: مضطرب حزنًا ووجدًا. تراوحه وتباكره: أي تعاوده صباحًا ومساءً.

(٤٦) المدى: الغاية.

(٤٧) المهود: جمع مهد، الزهر: ذوات البهجة والحسن.

(٤٨) سموت إلى بغداد: أي قصدت إليها، وفي تعبيره عن القصد بالسمو دليل على رفعتها وشرف مكانتها.

(٤٩) سالفه: ماضيه. الزاهي: الحسن اللامع بمجده وحضارته.

(٥٠) الآصال: جمع أصيل، وهو الوقت قبل الغروب. الهواجر: حيث يشتد الحر عندما ينتصف النهار.

(٥١) تجلَّى: ظهر وأشرق. الرشيد: هو الخليفة العباسي هارون الرشيد.

(٥٢) عنفوانه: مقتبل عهده وأول عزه وبهجته. والمغاني: جمع مغنى، وهو المنزل غني به أهله. منائره: جمع منارة.

(٥٣) جنح الليل (بالكسر والضم): الطائفة منه. زواهره: كواكبه المضيئة.

(٥٤) الغازي: هو ملك العراق في ذلك الوقت. دوت مفاخره: أي علت أصوات الناس بذكرها، فسمع لهم كالدوي لكثرتهم.

(٥٥) شبا السيف: حده. الهامر: الهاطل المنصب.

(٥٦) نماه، أي: ارتفع بالانتساب إليهم. آل هاشم: نسبة إلى جدهم هاشم بن عبد مناف، أحد أجداد الرسول ﷺ. جلت: عظمت. مراميه: غاياته. العناصر: الأصول.

(٥٧) فتيًّا: قويًّا. الداثر: الدارس البالي.

(٥٨) المنصور والمهدي: من خلفاء الدولة العباسية، وقد تبوأت الدولة في عهد الأول مكانًا عاليًا، وعرف ثانيهما بالجود والعطاء. مأثور حزمه: حزمه الذي يُؤثر عنه ويخلد. مآثره: أعماله الباقية على الزمن.

(٥٩) متنا الطريق: ناحيتاه، وهما اللذان يكون السير فيهما. دياجره: ظلماته، الواحدة ديجور.

(٦٠) الغر: الناصعة البيضاء. البشائر: جمع بشارة، وهي الإخبار بخبر محبوب ترغب فيه.

(٦١) دوحة النيل: رياض مصر، الدوحة (في الأصل): الشجرة العظيمة المتسعة الظل. الرافدان: دجلة والفرات.

(٦٢) شقت: صعبت وامتنعت على السالك. المعابر: الطريق يعبر فيها.

(٦٣) الأواسي: الدعائم. الواحدة: آسية. الأواصر: جمع آصرة، وهي القرابة والصلة.

(٦٤) سحا: مدرارًا.

(٦٥) يريد بالقوافي والصدائر: أواخر الأبيات وأوائلها.

(٦٦) غاداه: باكره. السيب: العطاء. المواطر: السحب الماطرة. والعرب إذا دعت لميت بالرحمة سألت الله أن يمطر قبره.

افتتاحُ الإذاعة

ألقيت بدار الإذاعة يوم الاحتفال بافتتاحها في ٣١ من مايو سنة ١٩٣٤م.

يا ساريَ الشِّعْرِ يَطْوِي الْجَوَّ في آنِ ... وَيَمْلَأُ الأُفْقَ تَغْريدًا بألْحاني
يَخْتالُ في بُرْدَةِ الفُصْحَى وتُسْعِدُهُ ... بَدَائِعُ الْحُسْنِ من آياتِ عَدْنان[١]
سِرْ أيُّها الشِّعرُ واركبْ كلَّ ناجِيَةٍ ... من الرِّياحِ فقد أَلْقَتْ بأرْسَان[٢]
سِرْ بالرِّياضِ وخُذْ مِنْها نَضارَتها ... ونَاغ ما شِئْتَ مِنْ وَرْدٍ وريْحَان
الكَوْنُ أُذْنٌ لِمَا تُلْقِيه وَاعِيةٌ ... فَامْلَأ مَدَاهُ بصَوْتٍ مِنْكَ رَنَّان
وَبَلِّغِ الأرْضَ أنَّا في حِمَى مَلِكٍ ... صَوْبُ الْحَيَا ونَدى كَفَّيْهِ سيَّان[٣]
وَإِنْ تَزُرْ كَعْبَةَ الآمالِ مُشْرِقَةً ... مِنْ (عابِدينَ) فطُفْ مِنها بأَرْكان[٤]
وقفْ وأَطْرِقْ خُشُوعًا أنتَ في قُدُسٍ ... ضافِي المَهَابةِ عالي الشَّأْوِ وَالشَّانِ[٥]
قَصْرٌ بنَاهُ بُناةُ المَجْدِ مِن هِمَمٍ ... فَلَمْ يُطَاوِلْ عُلاهُ أَيُّ بُنْيان
فأَيْنَ كِسْرَى وَمَا أَعْلَى مَشَارِفَهُ ... في بُهْرَة المُلْكِ مِنْ صَرْحٍ وإيوان[٦]
أساسُهُ عَزَمات جَلَّ خالِقُهَا ... لا ما يَرَى الناسُ من صَخْرٍ وصَوَّان
يُطِلّ مِنْهُ عَلَى آمالنا مَلِكٌ ... يُزْهَى به الشعْبَ في سِرّ وإعْلان
في وَجْهِهِ قَسَمَات قَدْ دَلَلْنَ عَلَى ... ما ضَمَّهُ القَلْبُ مِنْ نُبْلٍ وإيمان[٧]

* * *

يا ابْنَ الأُلَى بَعَثُوا مِصْرًا لِنَهْضتِها ... وَأَيْقَظوا من بنيها كُلَّ وَسْنان[٨]
وأَرْسَلُوها إلَى العَلْياء فانْطَلَقَتْ ... تَعْدُو إلى الْمَجْدِ في جِدٍّ وإمْعانِ[٩]

كأنَّها تَبْتغي في الشَّمْسِ حاجَتَها ... أو أنَّـها أودِعَـتْ سِـرًّا لـكَـيْـوَان[١٠]
آثارُهُمْ فـي ضِـفـافِ الـنِّـيلِ مـاثِـلـةٌ ... أبْقَى عَلى الدَّهْر مِنْ رَضْوَى وثَهلان[١١]
كأنَّها وهْيَ في الوَادِي قد انْتَثَرَتْ ... عِـقْـدٌ تَـنَـاثَـرَ عَـنْ دُرٍّ وَعِـقْـيـان[١٢]
جاءُوا بما عَزَّ في الآذانِ مَسْمَعُهُ ... عَنِ المُلوكِ ولم تُبْصِرْهُ عَينان
في باحَةِ السِّلْمِ كانُوا رَحْمةً وهدًى ... وفي الكَريهةِ كانوا أُسْدَ خَفّان[١٣]
قد حاوَلُوا الصَّعْبَ حَتَّى ذَلَّ شَامِسُهُ ... وَمالَ بالرَّأْسِ عَنْ يُسْرٍ وَإمْكانِ[١٤]

* * *

غَفْرًا (فُؤَادُ) أَبا (الفارُوقِ) إن عَجَزَتْ ... عَـنْ عَـدّ آلائِـك الـغـرَّاء أوْزانـي[١٥]
حاوَلْتُ تَصْوِيرَها جهْدِي فما اتَّسَعَتْ ... لِـبَـعْـضِ ذلـكَ ألْـواحـي وألْـوانِـي
والبحرُ تُبْصِرُ جُزْءًا حَوْلَ ساحِلِهِ ... ولَـيْـسَ فـي دَرْكِـهِ طَـوْقٌ لإنـسـان
في كُلِّ يَوْمٍ لكُمْ فِي مِصْر عارِفَةٌ ... في طَيِّها مِنْ نَدَاكُمْ أَلْفُ بُرْهان[١٦]
نَشَرْتَ فيـها رُبُوعَ الـعِلْـمِ زَاهِـرةً ... جَلَالَةُ المُلْكِ في عِلْمٍ وعِرْفان[١٧]
غَـرَسْـتَـهُ دَوْحَـةً غَـنَّـاءَ وَارِفَـةً ... قَـريـبَـةَ الـمُـتَـمَـنَّـى ذَاتَ أَفْـنـان
وسـاسَـنـا مـنـكَ رأْيٌ زانَـهُ خُـلُـقٌ ... قد صاغَهُ اللهُ من رِفْقٍ وإحْسان
الدِّين زاهٍ وَوَجْـهُ الْـمُـلْـكِ مُـؤْتَـلِـقٌ ... كالرَّوْضِ جادَ ثَراهُ صَوْبٌ هَتَّانٍ[١٨]
رَدَدتَ لِلُّغَةِ الفُصْحَى بَشَاشَتَها ... مِن بَعْدِ أَنْ هَجَرتها مُنْذُ أَزْمان
قد ذَكَّرَتْها أيادِيكَ التي عَظُمَتْ ... مَنازِلَ العِزِّ في دَاراتِ قَحْطان[١٩]
أَوْلَيْتَها (مَجْمَعًا) طَابَتْ مَشارِعُهُ ... وَبَلَّ مِنـهُ صَداهُ كُلُّ صَدْيان[٢٠]
أعادَ في مِصْرَ عَهْدًا للرَّشِيدِ مضَى ... أيامَ أشْرَقَتِ الدُّنْيا (بِبَغْدان)[٢١]
سَعَتْ لِساحَتِكَ الدُّنْيا ويَمَّمَها ... جَهابِذُ القَوْمِ مِنْ قَاصٍ ومِنْ داني[٢٢]

* * *

هَذِي الإذاعةُ يا مولايَ قد نَطَقَتْ ... بـمـا بَـذَلْـتَ بـإفْـصـاحٍ وتِـبْـيـان
مِنْ قَبْلِها سارَ سَيْر الشمسِ ذكْرُكمُ ... يَطْوِي الْجِواءَ بأَقْطارٍ وبُلْدان[٢٣]
أنـشَـأْتـهـا جَـنـةً غَـنَّـتْ بَـلَابِـلُـهـا ... وغَـرَّدَتْ بـيـن أوراقٍ وأَغْـصـان
فـيـهـا الـثَّـقـافـاتُ ألـوانٌ مُـنَـوَّعَـة ... تُزْجَى إلى الشَّعبِ من آنٍ إلى آن[٢٤]
قد أَصْبَحَتْ مَنْهلًا يَسْعَى لِطالِبِهِ ... فاعجبْ إلى مَنْهلٍ يَسْعَى لِظَمْآن[٢٥]

عِشْ لِلْبلادِ (أبا الفارُوق) نُورَ هُدًى وأَعْـلِ رايَـتَـهـا فـي كُـلِّ مَـيْـدان
وعـاشَ فـاروقُ لـلـدنْـيـا يُـجَـمِّـلُـهـا وَيَـزْدَهِـي بُـمـحَـيَّـاُه الْـجـديـدان[٢٦]
لـمـا دَعـوْهُ أَمِـيـرًا لـلـصـعِـيـد سَـمَـا بِـهِ الـصَّـعِـيـد وأَضْـحـى جِـدَّ جَـذْلان
لا زالَ زِيـنَـةَ عَـهْـدٍ طـابَ مَـوْرِدُهُ مُـجَـمَّـلٍ بِـجَـلَالِ الْـمُـلْـكِ مُـزْدَان

هوامش

(١) البردة: الثوب. الفصحى: اللغة العربية، عدنان: من أجداد العرب الذين تنتهي إليهم العربية ويعرفون بالفصاحة.

(٢) الناجية: الناقة السريعة تنجو بمن ركبها. شبه بها الرياح في حملها الأخبار حافظة لها أمينة عليها. الأرسان: جمع رسن (بالتحريك) وهو الزمام. وإلقاء الرياح بالأرسان كناية عن لينها وسهولة قيادها.

(٣) الحيا: المطر. صوبه: انصبابه ونزوله. ندى كفيه: عطاؤهما وبذلهما.

(٤) الكعبة: البيت الحرام بمكة وإليه يتجه المسلمون حجًّا وصلاة. عابدين: قصر الملك في القاهرة.

(٥) الشأو: الغاية والمدى. الشان (بالتسهيل): الشأن (بالهمزة).

(٦) كسرى (بكسر الكاف وفتحها): لقب لملك الفرس. ويريد بمشارفه: ما بني من قصور عالية. البهرة من كل شيء: وسطه. الصرح: القصر وكل بناء عال. الإيوان: الصفة العظيمة، وكانت تتخذ لجلوس الملك (الصفة: بناء ذو ثلاثة حوائط).

(٧) القسمات: جمع قسمة (بكسر السين وفتحها) وهي ما تنطق به أسارير الوجه وملامحه من حسن وجمال.

(٨) الوسنان: النائم الغافل.

(٩) الإمعان في السير: الإسراع.

(١٠) كيوان: اسم زحل (بالفارسية).

(١١) ضفاف النيل: شواطئه ويريد مصر. رضوى وثهلان: جبلان بالحجاز.

(١٢) العقيان: الذهب الخالص.

(١٣) الباحة: الساحة. الكريهة: الحرب وشدتها. خفان (كحسان): مأسدة قرب الكوفة يضرب المثل بآسادها في البطش والقوة.

(١٤) الشامس: الفرس الجموح. مال بالرأس: أي خضع.

(١٥) الآلاء: النعم. الغراء: الحسنة المشهورة. أوزاني: أي قصائدي.

(١٦) العارفة: العطية والمعروف. الندى: الكرم.

(١٧) ربوع العلم: دوره.

(١٨) الهتان: المطر فوق الهطل. صوبه: انصبابه.

(١٩) الدارات جمع دارة. وهي المحل يجمع البناء والعرصة. وتطلق أيضًا على القبيلة وكلاهما مراد هنا. قحطان: هو ابن عابر، وهو جد عرب اليمن. وفيهم كان للعربية مجدها الأول.

(٢٠) يريد بالمجمع: مجمع اللغة العربية الذي أنشأه الملك فؤاد الأول سنة ١٩٣٣م. المشارع: موارد الشاربة. الواحد: مشرع ومشرعة (بفتح الراء). وبل صداه: أروى ظمأه وشفى غلته. الصديان: العطشان.

(٢١) الرشيد: هو هارون الرشيد الخليفة العباسي الذي بلغت بغداد في عهده غايتها في الحضارة والعلوم. بغدان: اسم لبغداد.

(٢٢) يمم: قصد. جهابذ لقوم: نقادهم العارفون بتمييز الجد من الرديء.

(٢٣) الجواء: جمع جو.

(٢٤) تزجي: تساق وتخمل.

(٢٥) المنهل: المورد ينهل منه الظامئون.

(٢٦) المحيا: الوجه. الجديدان: الليل والنهار. ولا يفردان فلا يقال للواحد منهما جديد.

ميلَادُ الفَارُوق

تهنئة الملك فاروق الأول بعيد مولده، وقد قيلت هذه القصيدة في الحادي عشر من فبراير سنة ١٩٣٧م.

بَهَر الوُجُودَ بلؤلؤيٍّ ضِيَائِهِ نَجْمٌ تألَّق في بَدِيع سَمائِه
لَبِسَ المَسَاءُ به غِلَالَةَ مُسْفِرٍ حَتَّى كأَنَ الصُّبْحَ مِنْ أَسْمائه[١]
وتَطَامَنَتْ زُهْرُ الكَواكِبِ هَيْبةً لِلْمُشْرِقِ الوَضَّاحِ في عَلْيائه[٢]
هَيْهَاتَ! أَيْنَ ضِياؤُها مِنْ ضَوْئِه وسَنَاؤُها مِنْ بَعْدِ أوْجِ سَنَائه؟[٣]
عَجَبًا! يَزِيد ظُهورهُ بِعُلُوِّهِ والنَّجْمُ يُعْرَفُ إنْ عَلَا بخَفَائه
ما جَالَ في الآفَاقِ أَصْدقُ جَوْهرًا مِنْه وأَصْفَى مِنْ نَقيّ صَفائِه[٤]
يَلْقَاكَ نُورُ الْحَقِّ في لَمَحَاتِه ويَفِيضُ مَاءُ البِشْرِ مِنْ لَأْلَائِه[٥]
أيْنَ النُّجُومُ جَلَالُها ورُوَاؤُهَا مِنْ عَبْقَرِيٍّ جَلالِه ورُوَائه؟[٦]

* * *

نَجْمٌ أَطَلَّ عَلَى الْوُجُودِ فكَبَّرَتْ زُمَرُ الوُجُودِ وهَلَّلَتْ لِلِقَائه[٧]
وَرَنَتْ لَه الآمَالُ ظَمْأَى حُوَّمًا مَعْقُودةً أَبْصارُها برَجَائه[٨]
والنِّيلُ سَارَ يَجُرّ مِنْ أَذْيالِهِ تِيهًا ويَمَرَحُ في مَدَى خُيَلَائه
يَخْتَالُ ما بَيْن الرِّياضِ وكُلُّها مِنْ نَسْجِ كَفَّيْه ومِنْ إيحَائه
ويُفَتَّحُ الأَزْهارَ في أكْمامِها ويُنَبِّه القُمْرِيَّ مِنْ إغْفَائه[٩]
يُصْغِي إلَيْه يَهُزُّ أَعْطَافَ الدُّجَى ويُجَدِّدُ الآمَالَ سِحْرُ غِنَائِه[١٠]

(إسْحَاقُ) لم يُوهَبْ عُذوبةَ صَوْتِه ... و(عِنانُ) لم تُمَنْح جَمَالَ أَدَائه[١١]
أيْن الصِّنَاعَةُ والفُنُونُ وما حَوَتْ ... في جَنْب صُنْع اللهِ في أَحْيَائه؟
النِّيلُ بالفَارُوقِ أَعْذَبُ مَوْرِدًا ... ماءُ الْحَياةِ ثُمَالَةٌ مِنْ مَائه[١٢]
علَّمتَه صِدْقَ الوَفَاء فأَصْبَحتْ ... تَتَحدَّث الدُّنْيا بصِدْق وَفَائه[١٣]
ومَنَحْتَه خُلُقَ الْعَطَاء فَغَرَّدتْ ... صَدَّاحَةُ الوَادِي بفَضْلِ عَطَائه
لمَّا عَلَوتَ مَطَاهُ صَفَّقَ مَوجه ... بِشْرًا وأَسْكَتَ وجْدَه برُغَائه[١٤]
يَبْدو السَّفينُ به كما تَبْدو المُنَى ... لليَائِس الْحَيرَان في ظَلْمائِه
أو كَالْحَيَاة تَدِبُّ في جِسْمِ امْرِئٍ ... أَفْنتْ شِكَايتُه فُنونَ إسَائه[١٥]
أَوْ كَالصَّبَاح لِمُدْلِج خَبَطَ الدُّجَى ... فَطَوَاهُ وادِي التِّيه في أَحْشَائه[١٦]
أوْ كَالغَمَام رأَتْه أزْهَارُ الرُّبَا ... مِنْ بَعْدِما احْتَرقَتْ لطُولِ جَفَائه[١٧]
أوْ كابْتِسَامِ السَّعْدِ بَعْدَ قُطُوبِه ... أَوْ كانْقِيَادِ الدَّهْرِ بَعْدَ إبَائه[١٨]
يَجْرِي السَّفِينُ وفَوْقَه المَلِكُ الَّذِي ... صَفِرتْ يدُ الأَيَّامِ مِنْ نُظَرائه[١٩]
الدِّين والأخلَاقُ مِلءُ جَنَانِه ... وجَلالَةُ الأَمْلَاك مِلءُ رِدَائه[٢٠]
يَهْتَزُّ في بُرْدِ الشَّبَابِ كَأَنَّه ... سَيْفٌ يُدِلّ بِمائِه وَمَضَائِه[٢١]
وَالنِّيلُ يَجْتَازُ المُروجَ مُبشِّرًا ... فُتردِدُ الأَطْيَارُ مِنْ أصْدائه
وخَمَائِلُ الوَادِي تَمُدُّ غُصُونَها ... وتَوَدُّ لَوْ فَازَتْ بلَمْحِ ضِيَائه
قَالُوا لَهَا: جَاءَ الْغَمَامُ فأَقْبَلَتْ ... تَسْتَقْبِل الآمالَ في أَنْدَائه[٢٢]
والزَّهْرُ يَخْتَرِقُ الكِمَامَ لنَظْرةٍ ... فَيرُدُّه للكِمْ فَرْطُ حَيَائه[٢٣]
قَدْ كَانَ يُزْهَى في الرِّيَاضِ بِحُسْنِه ... فَرأَى بَهاءً فَوْقَ حُسْن بَهَائه
ورَأَى نُضَارًا مِنْ شَبَاب يَنْحَني ... أَزْهَى الغُصُون نَضَارةً بإزَائه
سَعِدَ (الصَّعِيدُ) وأَهْلُه بزِيَارَةٍ ... بَلَّتْ غَلِيلَ الشَّوْقِ في أرْجَائِه
سَالَتْ إلَيْكَ به المَدَائنُ والقُرَى ... والبَدْرُ يُغْرِي العَيْنَ باسْتِجْلَائِهِ[٢٤]
سَدُّوا الشِّعَابَ وأَقْبَلَتْ أَرْسَالُهم ... كالزَّاخِرِ الهَدَّار في ضَوْضَائه[٢٥]
ما بَيْنَ حامِل قَلْبِه بيَمِينِه ... ومُثَوِّبٍ هَزَّ الرُّبَا بدُعَائه[٢٦]
فانظُر إلى الوَادي الفَسِيح فَهَلْ تَرَى ... إلَّا قُلوبًا في فَسِيح فَضَائه؟
كُلٌّ دَعَاهُ الشَّوْق فانْتَهَبَ الْخُطَا ... في نَظْرَةٍ تَشْفِيه مِنْ بُرْحَائه[٢٧]
وَطَلَعْتَ كالْأَمَلِ الوَسِيمِ يَحُفُّه ... نُورُ المَهابةِ في جَلالِ جَلائه

كالبَدْرِ في إشْرَاقِه، والرَّوْضِ في إزْهـارِه، والـغَـيْـثِ فـي إسْـدَائـه
في مَوْكِبٍ بـهَرَ الزَّمَانَ فـحَـيَّرتْ عَـيْـنَـاهُ بـيـنَ جَـمَـالِـهِ وَسَـرَائـه[٢٨]
عَـجَـزَ الـمُـؤَرِّخُ أَنْ يَـرَى أَشْـبَـاهَـه فـيـمَـا طَـوَاه الـدَّهْـرُ مِـنْ أَنْـبـائِـهِ
ما نالَه (المَنْصُورُ) في (بَغْدَادِه) يَـوْمًـا ولَا الأَمْـلَاكُ مِـنْ خُـلَـفَـائـه[٢٩]
و(النِّيلُ) لـم يَـشْـهَـدْ جَـلَالَةَ حَـفْـلِـه فـي عَـهْـدِ (خَـفْـرَعِـهِ) ولا (مِـينَائه)[٣٠]

* * *

أَرَأَيْت آثـارَ الـمـلُـوكِ ومـا بَـنَـوْا مِـمَّـا يَـضِـيـقُ الْـجِـنُّ عَـنْ إنْـشَـائه؟
وُلِـدُوا وشَـمْـسُ الأُفْـقِ فـي رَيَـعَـانِـهـا والـدَّهْـرُ يَـرْفُـل فـي ثِـيَـابِ صِـبَـائه
دَرَسُـوا كِـتَـابَ الـكَـوْنِ أَوَّلِ طَـبْـعَـةٍ وَوَعَـوْه مِـنْ أَلـفِ الـوُجُـودِ لِـيَـائه
وأَتَـوْا مِـنَ الإعْـجـازِ مـا تَـرَكَ الـنُّـهَـى حَـيْـرَى فَـلَـمْ تَـمْـلِـكْ سِـوَى إطْـرَائه
ذَهَـبُـوا ولَـمْ تَـذْهَـبْ صَـحَـائِـفُ مَـجْـدِهِـمْ وطَـوَاهُـمُ الـمِـقْـدَارُ فـي أَطْـوَائِـهِ[٣١]
الـمَـجْـدُ فـي الـدُّنْـيَـا سِـجِـلٌّ خَـالِـدٌ تَـتَـعـاقَـبُ الْأَجْـيـالُ مِـنْ قُـرَّائـه

* * *

(فارُوقُ) أَنْت مَناطُ آمَالِ الْحِمَى وَسُـلَـالَـةُ الأَمْـجَـادِ مِـنْ نُـصـرَائـه[٣٢]
أَعْلَى أَبُوك بَنَاءَ (مِصْر) فَزَاحَمتْ زُهْـرَ الـكَـواكِـبِ رَاسِـيـاتُ بِـنَـائه[٣٣]
وَأَرَى (فُؤَادًا) فـيكَ فـي قَـسَـمَـاتِـه ومَـضَـائِـه وذَكَـائِـه وسَـخَـائِـه[٣٤]
تَبْدُو أَيَادِي الغَيْث في زَهْرِ الرُّبَا وَيَـعِـيـشُ سِـرُّ الـمرْءِ فـي أَبْـنَـائه
أَشْـرِقْ عَـلَـى الْـوَادِي فَـأَنْـتَ حَـيَـاتُـه وعِـمَـادُ نَـهْـضَـتِـه ومَـجْـدُ لِـوَائه[٣٥]
أَحْـيَـيْـتَ دِيـنَ الـلـه فـي مـحـرَابـه شُـكْـرًا عَـلَـى مـا تَـمَّ مِـنْ نَـعْـمائه[٣٦]
وَوَقَـفْـتَ بَـيْـنَ يَـدَيْـه وقْـفَـةَ خـاشـعٍ يَـرْجُـو مَـثُـوبَـتَـه وحُـسْـنَ جَـزَائِـهِ
الـدِّيـنُ طِـبُّ الـنَّـفْـسِ مـن آلَامِـهـا وهِـدَايَـةُ الْـحَـيْـرَانِ فـي بَـيْـدَائـه
ما أَجْمَلَ التَّوْفيقَ في شَرْخِ الصبَا والعُمْرُ فَيَّاضُ السنَى بفَتَائه![٣٧]

* * *

لـلـه مَـوْلِـدُكَ الـسَّـعِـيـدُ ويَـوْمُـه وتَـسَـابُـقُ الآمَـال فـي أَجْـوَائـه
يَـوْمٌ بـه بَـسَـطَ الـسُّـرُورُ شُـعَـاعَـه وأَعَـار ثَـوْبَ صَـبـاحِـه لِـمَـسَـائـه

يَـوْمٌ أَغَـرُّ كَـأنَّ صـفْـوَ سَـمَـائِـه صَـفْـوُ الـنَّـعِـيـمِ بِـظِـلِّـه ورَخَـائـه
يَوْمٌ سَرَتْ فيه البَشَائِر حُوَّمًا تُفْضِي إلى الدُّنْيَا بِسِرِّ عَلَائه

* * *

مَوْلَايَ عَـهْـدُكَ فـي الـبِـلاد مُـؤَزَّرٌ بـاليُـمْـنِ فَـاهْـنـأْ فـي مَـدِيـدِ هَـنَـائـه
قطفتْ به (مِصْرُ) جَنَى اسْتِقْلَالِهَا وأظَـلَّـهـا الـمُـمْـتَـدُّ مِـنْ أفـيـائِـهِ[٣٨]
وأطَاحَت القَيْدَ العَنيفَ وطَالَما عـاذَتْ بِـرَبِّ الـنَّـاس مِـنْ إيـذَائـه[٣٩]
والشُّكْرُ في السَرَّاء يَعْظُمُ كُلَّما ذَكَرَ الفَتَى ما مَرَّ مِنْ ضَرَّائه[٤٠]
مَولَايَ، عِشْ للمُلْكِ نَجْمَ سُعُودِه وارْفَعْ لِواءَ الْمَجْدِ في أَنْحَائه[٤١]
أنْتَ الذي تَحْيا المُنَى بحيَاتِه وتسُودُ (مِصْرُ) وتَعْتَلِي ببَقَائه

هوامش

(١) الغلالة (بالكسر): شعار يلبس تحت الثوب. المسفر: المضيء المشرق.
(٢) تطامنت: ذلت وخضعت. زهر الكواكب: الكواكب المشرقة الوضاءة.
(٣) هيهات: اسم فعل ماض بمعنى بعد. السناء (بالمد): الرفعة. الأوج: العلو.
(٤) جوهر الشيء: مبناه ومتكونه.
(٥) اللمحات: جمع لمحة. وهي (هنا) بمعنى الضوء والنور. اللألاء: النور.
(٦) الرواء: حسن المنظر.
(٧) الزمر: جمع زمرة. وهي الفوج والجماعة.
(٨) رنت: أدامت النظر إليه. حومًا: عطاشًا.
(٩) الأكمام: جمع كم (بالكسر)، وهو وعاء الطلع وغطاء النور. القمري: ضرب من الحمام.
(١٠) الأعطاف: جمع عطف، وهو الجانب والناحية. الدجى: الظلام.
(١١) إسحاق: هو ابن إبراهيم الموصلي، وهو مغن عباسي معروف بجودة الغناء والضرب. عنان: جارية للناطفي مولدة من مولدات اليمامة، وبها نشأت وتأدبت، وكانت جميلة مليحة الأدب والشعر، سريعة البديهة، وكانت مغنية مشهورة بحسن أدائها. ماتت بخراسان في عهد الرشيد. الأداء: التوقيع.

(١٢) ثمالة من مائه: أي فضلة منه.

(١٣) الوفاء: إنجاز الوعد. وفاء النيل: زيادة مائه.

(١٤) المطا: المتن والظهر. رغاؤه: صوت أمواجه يشبهها برغاء البعير. يشير إلى رحلة (الفاروق) إلى الوجه القبلي سنة ١٩٣٧م في النيل، وهي السنة التي قال فيها الشاعر هذه القصيدة.

(١٥) الإساء: جمع آس. وهو الطبيب.

(١٦) المدلج: الذي يسير في أول الليل. وقد يستعمل لمن يسير في آخره. خبط الدجى: أي سار في ظلام الليل على غير هدى. التيه: ما يتيه فيه الإنسان ويضل.

(١٧) الربا: جمع ربوة، وهو المرتفع من الأرض.

(١٨) القطوب: العبوس والتجهم. إباؤه: امتناعه وشموسه.

(١٩) صفرت: خلت.

(٢٠) الجنان: القلب. الأملاك: الملوك، الواحد. ملك.

(٢١) برد الشباب: إهابه. والبرد (في الأصل): الثوب. يدل: من الدلال. وهو التيه والعجب. ماء السيف: بريقه ولمعانه. مضاؤه: حدته وسرعة قطعه.

(٢٢) الأنداء: جمع ندى. وهو المطر.

(٢٣) الكمام: جمع كم (بالكسر) وهو وعاء الطلع وغطاء النور.

(٢٤) يريد «بسيلان المدى والقرى»: كثرة من وفدوا وحضروا إلى لقائه منها. استجلاؤه: أي النظر إليه.

(٢٥) الشعاب: أي الطرق والمنافذ. الأرسال: الجماعات، الواحد: رسل (بالتحريك). الزاخر الهدار: البحر عالى الأمواج.

(٢٦) المثوب: الهاتف الداعي.

(٢٧) انتهب الخطا: أسرع عدوًا. البرحاء: ما يعانيه المشوق من شدة الشوق والوجد.

(٢٨) السراء: الشرف والرفعة.

(٢٩) المنصور: هو أعظم خلفاء العباسية والمؤسس الحقيقي لها، وفي عصره صارت بغداد أزهى مدن الدنيا، وانتشرت بها الحضارة وارتقت العلوم. وولد المنصور سنة ٩٥هـ، وولي الخلافة سنة ١٣٦هـ، وتوفي بمكة سنة ١٥٨هـ.

(٣٠) خفرع: هو أحد فراعنة مصر ومشيد هرم الجيزة الثاني. ويريد «بمينائه»: مينا، أول الجالسين على عرش مصر بعد توحيد كلمتها وضم مصر السفلى إلى العليا.

(٣١) المقدار: القدر (بالتحريك). أطواؤه: ثناياه.
(٣٢) مناط الآمال: حيث تتجه وتجتمع.
(٣٣) الراسيات: الثابتة المكينة.
(٣٤) القسمات: جمع قسمة وهي الحسن. المضاء: حدة العزم، والنفاذ في الأمور.
(٣٥) اللواء: العلم.
(٣٦) المحراب: مقام الإمام في المسجد.
(٣٧) شرخ الصبا: أوله وريعانه. الفتاء: الشباب.
(٣٨) جنى استقلالها: أي ثمرته. الأفياء: الظلال، الواحد: فيء.
(٣٩) أطاحت القيد: حطمته وألقت به. عاذت: استعاذت وامتنعت.
(٤٠) السراء: نعيم العيش. الضراء: ضده.
(٤١) نجم سعوده: أي طالع يمنه وسعادته. وللعرب نجوم سعد يتفاءل بها ويتيمن. وسعود النجوم عندهم عشرة، منها: سعد السعود. ويقال فيه: إذا طلع سعد السعود نضر العود.

الشَّيخُ الغَزِل

عام ١٩٢٤م

لنا شيْخٌ تولَّى أطْيَباه يهيمُ بحُبِّ ربَّاتِ القدودِ[١]
يغازِلُ إذْ يغازلُ من قيامٍ وإن صلَّى يُصلِّي من قُعودِ![٢]

هوامش

(١) تولى: ذهب. أطيباه: الشباب وسعة العيش.
(٢) قعود: جلوس.

رثاء محمود فهمي النقراشي باشا

رئيس من رؤساء وزراء مصر السابقين عُرف بنزاهته ووطنيته، كان زميلًا للشاعر في بعثة إلى إنجلترا عام ١٩٠٨م إلى أن استشهد في ديسمبر من عام ١٩٤٨م، فحزن الشاعر عليه حزنًا كبيرًا ورثاه بهذه القصيدة التي أنشدها نجله الأستاذ الشاعر بدر الدين علي الجارم في احتفال كبير أقيم بمناسبة ذكرى الأربعين بقاعة الجمعية الجغرافية مساء ٨ فبراير سنة ١٩٤٩م، ولكن المنية عاجلت شاعرنا الكبير وهو يستمع إلى شعره ينشد في هذا الحفل الكبير.

ماءُ العيونِ على الشهيدِ ذَارفِ ... لو أنّ فيضًا من مَعينك كافِي[١]
إنْ لم يَفِ الدمعُ الهتونُ بسيبهِ ... فلمن يَفي بعدَ الخليل الوافي؟[٢]
شيئان مَا عِيبَ البكاءُ عليهما ... فقدُ الشباب، وفُرقَةُ الأُلّافِ[٣]
أغْرَقْتُ همي بالدموعِ فخانني ... وطفَا، فويلي من غريقٍ طَافِي!
وإذا بكَى القلبُ الحزين فما له ... راقٍ ولا لبكائِه من شافِي[٤]
والدمعُ تهمي في الشدائِدِ سُحبُه ... ومن الدموع مُماطلٌ وموافِي[٥]
حَارتْ به كفي تُحاولُ مَسحهُ ... فكأنَّها تُغْريه بالإيكاف[٦]
وأجلُّ ما يَلقى الشريفُ ثوابَه ... إنْ غَسَّلَتْه مَدامعُ الأشرافِ[٧]

* * *

طيرُ المنيةِ صِحْتَ أشأمَ صيحةٍ ... وهززتَ شرَّ قوادِمٍ وخوافِي[٨]
وَعَلَقت بالأملِ العزيز مُحصّنًا ... بظوامِئ الأرماحِ والأسيافِ[٩]

والجندُ والأعوانُ ترعى موكِبًا ... ما حازه سابُورُ ذو الأكتَافِ[١٠]
يَفْدونَ بالمهجاتِ مهجَةَ قَائدٍ ... في كلِّ منعرجٍ وكلِّ مطَافِ[١١]
رانَ الذهولُ، فكلُّ عقلٍ حائر ... وجرى القضاءُ، فكل طرفٍ غافِي[١٢]
والموتُ أعمى في يديه سهامُه ... يرمي البريةَ من وراء سِجَافِ[١٣]
والموتُ قد يُخفي حمَاهُ بنسمةٍ ... هفّافةٍ، أو في رحيقِ سُلافِ[١٤]
يغشَى الفتى ولو اطمأنّ لموئِلٍ ... في الجو أو في غمرةِ الرجّافِ[١٥]
ويحَ الكنانةِ بعد نزعِ شَغافِها ... أتعيشُ فِي الدنيا بِغير شَغَافِ[١٦]

* * *

قد عاشَ يحمل رُوحَه في كفِّهِ ... ما قَالَ في هول النضال كفافِ[١٧]
يلقَى الكوارثَ باسمًا متألقًا ... والدهرُ يعصِفُ والخطوبُ سَوافي[١٨]
والموت يكشرُ عن نُيوبِ مَشانقٍ ... غُبرِ الوُجوهِ دميمةِ الأطرافِ[١٩]
بينَ الرياحِ الهُوجِ يزأر مثلَها ... ويثورُ في غَضبٍ وفي إعْنافِ[٢٠]
يَرنو إلى استقلال مصر كما رنَتْ ... عين المحبِّ لطارقِ الأطياف[٢١]
ما ارتاعَ مِن حبسٍ ولا أسرٍ ولا ... زَجْرٍ، ولا قتلٍ، ولا إرجَافِ[٢٢]
وإذا دهتهُ الحادثاتُ بفادحٍ ... لم تلق إلَّا هِزَّةَ استخفافِ
هابتْهُ أسبابُ المنيّةِ جَهرَةً ... فَرمتهُ خائنةً بِموت زُؤافِ[٢٣]
مَوتُ الكرامِ البيضِ فوقَ جيادِهم ... لا فَوقَ نُمرقَةٍ وتحتَ طِرافِ[٢٤]
فلكم تمنَّى «ابنُ الوليد» مَنيةً ... بين الصواهِل والقَنا الرعَّافِ[٢٥]

* * *

ذهبَ الجريءُ النَدبُ ذُخرُ بلاده ... غَوْثُ الصريخِ ونُجعةُ المُعتافِ[٢٦]
خُلقٌ كأمواهِ السحابِ مُطَهَّرٌ ... وسَريرةٌ كالآلِئ الأصدافِ
وتبسمٌ للمعضِلاتِ كأَنَّه ... إشراقُ وجهِ الروضةِ المئنافِ[٢٧]
ونقَاءُ سُكَّان السماء بعزَّةٍ ... رَبُّ السماء بعزَّةٍ وعَفافِ
ونزاهةٌ سِيقَتْ لها الدنيا فما ... ظفِرتْ بغير تنكُّرٍ وعِيافِ[٢٨]
عُمَرٌ حوى الدنيا ولم يملِك سِوَى ... شاءٍ كأعوادِ القِسيِّ عِجَافِ[٢٩]
والمرءُ إن يَخْشَ الدنيَّةَ في الغِنَى ... يَقنَعْ بِعيشٍ في الحياة كَفافِ[٣٠]

قد كانَ في غير التحرُّج مَنفذٌ ... سَـــهـــلٌ إلـــى الآلافِ والآلافِ
مَهما يَقُلْ من خالَفوه فإنّه ... في نُبلِهِ فردٌ بِغير خِلافِ

* * *

وعَزيمةٌ لا الصعبُ في قاموسِها ... صَعبٌ، ولا خافِي الطريقِ بخافِي
فإذا أرادَ فكل شيءٍ آلةٌ ... وإذَا رمَى فالويلُ للأهدافِ
يزدادُ في ظُلَمِ النوازلِ بِشْرهُ ... كمْ كُدرةٍ تحتَ النميرِ الصافي![٣١]
يُخْشى ويُرهبُ كالمنيَّةِ مُرهفًا ... عَدْلٌ لدَى الإرهابِ والإرهافِ[٣٢]
فإذا طلبتَ الحقَّ منه وجدتَهُ ... سهلَ الرحابِ مُوَطَّأَ الأكنافِ[٣٣]
ذِكرى كحاليةِ الرياضِ شميمُها ... راحُ النفوسِ وراحةُ المُستافِ[٣٤]
إنَّ الفَتى ما فِيه من أخلاقِهِ ... فإذا ذَهَبْنَ فكُلّ شيء «ما في»
ما زانَه الشرفُ المنيفُ بِغيرها ... ولو انتَمى لسراةِ عبدِ منافِ[٣٥]
عِشنا على الأسلافِ طولَ حياتِنا ... حتى سئمنا عِشرةَ الأسلافِ[٣٦]
العبقريُّ حياتُه من صُنعِه ... لا صنعَ أسماءٍ ولا أوْصَافِ
يَكفيهِ مِنْ شَرفِ المجادة أنه ... دَرْسُ العصورِ وقُدوةُ الأخلافِ[٣٧]

* * *

عابوا السكوتَ عليهِ وهو فضيلةٌ ... لغَطُ الحديثِ مَطيّةُ الإسفافِ[٣٨]
صَمْتُ الهمام النجدِ أو إطراقُه ... خُطَبٌ مُجَلْجِلَةٌ بِغير هُتافِ[٣٩]
قولُ الفَتَى من قلبِه أو عقلِه ... فإذا سَمَحْت فلا تَبعْ بِجُزافِ[٤٠]
حَسبُ الذي ألقَى اللجامَ لِسانُه ... ما جاءَ مِن زَجْرٍ بسورةِ «قافِ»[٤١]
خاضَ السياسةَ ملءُ جُعبتِه هَوى ... مصرٍ ومَحوُ الظلمِ والإجحافِ[٤٢]
ما كانَ في الجُلَّى بحابِسِ سَرجِه ... عَن هَوْلِها يوْمًا ولا وَقَّافِ[٤٣]
يَمضي ويتبعُه الشبابُ كما جرتْ ... جُرْدُ المذاكي في غُبَار خَصافِ[٤٤]
نادَى مُلِحًّا بالجلاء مناجزًا ... ماذا وراءَ الوعدِ والإخلافِ؟[٤٥]
ودعَا بوادي النيلِ غيرَ مقَسَّمٍ ... سُودان مصرَ كشاطئِ المُصطافِ[٤٦]
يا يومَ أمريكا وكم بكَ موقفٌ ... أعيا النُّهَى وبراعةَ الوصّافِ[٤٧]
هِيَ صيحةٌ لم يَرْمِها مِنْ قَبلِهِ ... بطلٌ بوجه السادةِ الأحلافِ[٤٨]

صَوتٌ إذا هزّ الأثيرَ جهيرُه ... فلَكم بمصرٍ هز مِن أعطَافِ[٤٩]
فِي كُلِّ أذنٍ مِنهُ شَنْفٌ زانَها ... ما أجملَ الآذانَ بالأشنافِ[٥٠]
أصغى له جمع الدهاةِ وأطرقوا ... شَتَّان بين السمع والإنصافِ![٥١]
سَمِعوا بيانًا عبقريًّا ما بِه ... فِي الحقِّ مِن شططٍ ولا إسرافِ[٥٢]
وجدالَ وثَّابِ البديهةِ ثابتٍ ... في يوم ملحمةٍ ويومِ ثِقافِ[٥٣]
وصراحةٌ بهرت عيونَ رجالِهم ... لمّا بدتْ نُورًا بِلا أسدافِ[٥٤]

* * *

قالوا: الرثاء، فقلتُ: دَمعُ محاجِري ... بِحرٌ، وأنّات الحزين قوافِي[٥٥]
شِعرٌ مِنَ الذهب النُّضار حُروفه ... ولكم بسوقِ الشعر من زَيّافِ
«محمودُ»، قد لقي المجاهدُ ربَّهُ ... في جنَّةِ النفحاتِ والألطافِ[٥٦]
نَمْ هَادِئًا إنَّ الغِراسَ وريفةٌ ... تُزهَى بأكرم تُربةٍ وقِطافِ[٥٧]
وانزِلْ إلى مَثوى الصديق تَجد بِهِ ... ما شِئتَ مِنْ حُبٍّ ومن إشرافِ[٥٨]
قَبرُ الشهيد سماحةٌ فيَّاحةٌ ... وَمديدُ ظِلٍّ حدائقٍ ألفافِ[٥٩]
ما مَات مَن كتبَ الخلودُ رثاءَه ... ووشَى له حُللَ الثناءِ الضَّافي[٦٠]
حُيِّيتَ مِن مُزنِ العيُون بوابلٍ ... ومِنَ الحنانِ بناعمٍ رَفَّافِ[٦١]

هوامش

(١) ماء العيون: الدموع. ذراف: تذرف بشدة. فيضًا: كثيرًا. معينك: مما تملكه.
(٢) يف: يوفي. الهتون: المصبوب. بسيبه: بعطائه.
(٣) الأُلّاف: الأحباب.
(٤) راق: مُسكِّن لبكائه.
(٥) سحبه: سحابه والمقصود شدة البكاء وكثرة دموع العين. مماطل: مسوف.
(٦) الإيكاف: الهطول، الزيادة.
(٧) ثوابه: جزاءه. غسلته: صببت عليه الماء عند اغتساله. مدامع: دموع.
(٨) طير المنية: الموت. قوادم: المقاديم ريش الطير الأول وهي عشر في كل جناح. خوافي: ما دون الريشات المذكورة في الطير.
(٩) علقت: تشبثت. بظوامئ: بعطاشى.

(١٠) سابور ذو الأكتاف: أحد ملوك الهند.
(١١) المهجات: الأرواح. منعرج: منعطف. مطاف: مكان.
(١٢) ران: غلب. طرف: عين. غافي: نائم.
(١٣) البرية: الخلق. سجاف: ساتر.
(١٤) حماه: سم العقرب. رحيق سلاف: صفوة الخمر.
(١٥) يغشى: يداهم. موئل: مكان يحتمى به. الرجاف: البحر المضطرب الأمواج.
(١٦) الكنانة: مصر. شغافها: غشاء القلب.
(١٧) كفاف: بمعنى كفى والمعنى أنه لم يظهر كللًا ولا مللًا.
(١٨) سوافي: مهلكة.
(١٩) يكشر: يكشف ويظهر. نيوب: الأسنان الأمامية. غبر الوجوه: سود الوجوه.
(٢٠) الهوج: السريعة الحقماء. يزأر: يرفع صوته كصوت الأسد. إعناف: شدة.
(٢١) يرنو: ينظر، يتطلع. طارق الأطياف: ما يتخيله من الخيال والأحلام أثناء النوم.
(٢٢) ما ارتاع: ما خاف. إرجاف: اضطراب.
(٢٣) جهرة: علنًا. زؤاف: عاجل.
(٢٤) نمرقة: وسادة. طراف: أردية. أو غطاء من حرير.
(٢٥) ابن الوليد: خالد بن الوليد البطل الإسلامي المشهور. الصواهل: الخيل. القنا: الحراب. الرعاف: الدم السائل والمقصود الحراب الملطخة بالدماء.
(٢٦) الندب: قاضي الحاجات. ذخر: ما يدخر لوقت الحاجة. غوث الصريخ: معيذ المحتاج. نجعة المعتاف: طلاب الكلأ.
(٢٧) المئناف: الطيب الرائحة.
(٢٨) عياف: كراهية.
(٢٩) شاء: من الغنم. أعواد القسي: شجر صلب تصنع منه الرماح. عجاف: هزال.
(٣٠) الدنية: النقيصة. كفاف: بسيطه، ما أغنى عن الناس.
(٣١) النوازل: الملمات. كدرة: عدم الصفاء. النمير: عين الماء العذبة.
(٣٢) مرهفًا: حادًّا، رقيقًا.
(٣٣) سهل الرحاب: يتسامح في سعة. موطأ الأكناف: موفق الجوانب.
(٣٤) حالية الرياض: الرياض الجميلة المزهرة. شميمها: رائحتها الطيبة. المستاف: المسرور.

(٣٥) المنيف: الزائد. عبد مناف: قبيلة قديمة يضرب بها المثل في الثراء.
(٣٦) الأسلاف: الآباء المتقدمون. سئمنا: مللنا.
(٣٧) المجادة: المجد والشرف. الأخلاف: من يأتون بعده.
(٣٨) مطية: مركب.
(٣٩) النجد: المعين وقت الشدة. مجلجلة: مرفوعة الصوت ومسموعة.
(٤٠) بجزاف: بحدس وتخمين.
(٤١) قاف: سورة من سور القرآن الكريم فيها زجر كثير.
(٤٢) جعبته: صدره. هوى: حب. الإجحاف: الظلم.
(٤٣) الجلَّى: الحلبة قبل الحرب. حابس سرجه: مانع فرسه، كناية عن الإسراع. هولها: شدتها. ولا وقاف: ولا مقلع عنه.
(٤٤) جرد: الذين يجدون في الشيء. المذاكي: حدة القلب. خصاف: نعل.
(٤٥) بالجلاء: بخروج الإنجليز من مصر وكانوا يحتلونها. مناجزًا: مقاتلًا.
(٤٦) شاطئ المصطاف: البلاد الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط شمال مصر.
(٤٧) يوم أمريكا: يشير إلى سفر الفقيد ممثلًا لمصر إلى هيئة الأمم المتحدة من أجل جلاء الإنجليز وقال قولته المشهورة: أيها القراصنة، اخرجوا من بلادنا. النهى: العقل.
(٤٨) السادة الأحلاف: دول الحلفاء وهي إنجلترا وفرنسا وأمريكا، وكان ذلك لقبهم في أثناء الحرب العالمية الثانية ضد دولتي المحور وهما ألمانيا وإيطاليا.
(٤٩) جهيره: إعلانه. أعطاف: جوانب.
(٥٠) شنف: ما علق في أعلى الأذن.
(٥١) جمع الدهاة: جماعة العقلاء ذوو الآراء الحصيفة والمقصود ممثلو الدول في اجتماع هيئة الأمم المتحدة.
(٥٢) شطط: خروج.
(٥٣) ملحمة: الوقفة العظيمة. ثقاف: تسوية الرماح. والمقصود يوم لقاء المحاربين.
(٥٤) أسداف: ظلمة.
(٥٥) محاجري: عيني.
(٥٦) النفحات: الرائحة الذكية. الألطاف: التوفيق من الله والعصمة.
(٥٧) الغراس: ما غرست من الشجر والمقصود ما أديت من أعمال عظيمة. وريفة: مظلة لأن فروعها وورقها وثمرها كثير. تزهى: تفخر. قطاف: ما يجمع من الثمار.

وعندما وصل نجل الشاعر عندما كان يلقي القصيدة إلى هذا البيت مالت رأس الشاعر على صدره — وقد كان جالسًا في أحد الصفوف الأمامية، وفارق الحياة إلى جوار ربه سبحانه وتعالى — ثم نقلوه إلى خارج القاعة ومنها تم نقله إلى منزله.

(٥٨) مثوى: مكان. الصديق: يقصد أحمد ماهر باشا صديقه ورئيس وزراء مصر قبله، ودفن معه في نفس المدفن بشارع رمسيس بالقاهرة.

(٥٩) فياحة: تفوح منه رائحة المسك. ألفاف: أشجار يلتف بعضها ببعض.

(٦٠) الضافي: السابغ.

(٦١) مزن العيون: دمع العيون. وابل: مندفع شديد منهمر. ناعم رفاف: ثياب خضر حريرية ملساء. وقد يكون المقصود العلم المصري، وقد كان حينئذ أخضر اللون يتوسطه هلال وثلاث نجوم بيضاء اللون.

الزِّفَافُ الملَكِي

بمناسبة زفاف الملك فاروق ملك مصر حينئذ في يناير سنة ١٩٣٨م.

انـظِـمِ الـدُرَّ تَـوْءَمًـا وَفَـرِيـدًا ... وَامْـلَأِ الْأَرْضَ والـسَّـمـاءَ نَـشِـيـدَا[١]
وَإِذَا مَـرَّ بِـالـنّـجُـومِ خَـيَـالٌ ... فَـتَـخَـيَّـرْ مِـنَ الـنُّـجُـومِ عُـقُـودَا[٢]
آنَ يـا شِـعْـرُ أَنْ تُـغَـنِّـيَ فَـأَرْسِـلْ ... مِـنْ قَـوافِـيـكَ مـا يَـهُـزُّ الْـوُجُـودَا
أَسْكِتِ الصَّادِحاتِ يَهتِفْنَ في الدَّو ... حِ وَكُـنْ فـي عِـشـاشِـهَـا تَـغْـرِيـدَا
حَـفِـظَـتْ رنَّـةَ وَقَـدْ رَدَّدَتْـهَـا ... فَـابْـعَـثِ اللَّـحْـنَ «جَـارِمِـيًّـا» جَـدِيـدَا
وَاصْـعَـدِ الْـجَـوَّ لـلـسَّـمَـوَاتِ وَانْـقُـلْ ... لُـغَـةَ الْـخُـلْـدِ إِنْ مَـلَـكْـتَ صُـعُـودا
نَـغَـمَـاتٌ مِـنَ الْـمَـلائِـكِ تـسْـرِي ... فِـي الْـفَـرَادِيـسِ مَـا عَـرَفْـنَ حُـدُودا
صَـفَّـقَ الْـكَـوْثَـرُ الـطـهُـورُ لِـمَـسْـرَا ... هَـا وَجَـرَّ الـذُّيُـول يَـمْـشِـي وَئِـيـدا[٣]
وَسَـعَـتْ صَـوْبَ هَـمْـسِـهَـا كلُّ حَـوْرَا ... ء تُـدَانِـي رَأْسًـا وَتَـعْـطِـفُ جِـيـدَا[٤]
وَالـتَـهـالِـيـلُ تَـمْـلَأُ الْـمَـلَأَ الأَعْـ ... ـلَـى وَتَـعْـنُـو لِـقُـدْسِـهِ تَـمْـجِـيـدَا[٥]
فَـرَحٌ فِـي الـسمَـاء والأَرْضِ بِـالْـفَـ ... ـرُوقِ فَـازَتْ بِـهِ الْـبَـشَـائِـرُ عِـيـدَا
غَـنِّ يَـا شِـعْـرُ بـالأَمَـانِـي حِـسَـانًـا ... ضَـاحِـكَـاتٍ وبـالـزَّمَـانِ وَدِيـدَا[٦]
أَجِـدِ الْـقَـوْلَ مَـا اسْـتَـطَـعْـتَ وَإِلَّا ... فَـمَـتَـى يَـا تُـرَى تـكُـونُ مُـجِـيـدَا
عَـجَـزَ الـنـايُ فـابْـتَـكِـرْ مِـنْ قَـوَا ... فِـيـكَ وَرَنَّـاتِـهِـنَّ نَـايًـا وَعُـودَا
وَتَـخَـيَّـرْ مِـنَ الْـخَـمـائِـلِ أَنْـدَا ... هَـا وَرَدِّدْ خِـلالَـهـا تَـرْدِيـدا[٧]
هـاتِـهَـا مَـوْصِـلِـيَّـةَ تَـمْـلِـكُ الـسمـ ... ـعَ وَطَـرِّبْ بِـهَـا وَغَـنِّ «الـرشِـيـدا»[٨]
وَابْـعَـثِ الـرَّوْضَ مِـنْ كَـرَاهُ وَقَـبِّـلْ ... وَجَـنَـاتٍ مِـنْ زَهْـرِهِ وَخُـدُودا[٩]

وَتَـرَنَّـمْ تُـجِـبْ صَـدَاكَ الْـقَـمـارِي ... وَتَـمِـلْ نَـحْـوَكَ الْـغُـصُـونُ قُـدُودا[١٠]
أَرْسِـلِ الـصـوْتَ رَنَّـةً تَـمْـلَأُ الـدنـ ... ـيَا وَتَبْقَى عَلَى الزمَانِ خُلُودا
لا تُـبـالِ الْـقُـيـوُد مِـنْ فَـاعِـلَاتُـنْ ... أَنْـتَ أَحْـرَى بِـأَنْ تُـذِلَّ الْـقُـيُـودَا[١١]
سِـرْ خـفِـيـفًـا مـعَ الـنَـسَـائِـمِ وَابْـعَـثْ ... نَـفَـسًـا يَـمْـلَأُ الْـفَـضَـاء مَـدِيـدا[١٢]
يُـنْـصِـتُ اللَّـيْـلُ حِـينَ تُـنْـشِـدُ يا شِـعـ ... ـرُ وَتَـنْـفِـي عَـنْ مُـقْـلَـتَـيْـهِ الرُّقُودا
ضُـمَّـهُ بَـيْـنَ سَـاعِـدَيْـكَ وَغَـرِّدْ ... مِـثْـلَـمَـا هَـزَّتِ الْـفَـتَـاةُ الْـوَلِـيـدا
لا تَـدَعْ فِـي لَـهَـاةِ فَـنِّـكَ صَـوْتًـا ... إِنْ رَنَـا مُـصْـغِـيًـا يُـرِيـدُ الْـمَـزِيـدا
قَـدْ نَـقَـدْنَـا لَـكَ الْـقَـوافِـي صِـحَـاحًـا ... مِـثْـلَـمَـا يَـنْـقُـدُ الـشَّـحِـيحُ الـنُّـقُـودَا[١٣]
وَجَـمَـعْـنَـا حُـرَّ الْـكَـلَامِ الّـذِي عَـزّ ... زَ فَـأَضْـحَـتْ لَـهُ الْـمَـعَـانِـي عَـبِـيدا[١٤]
وَحَـشَـدْنَـا الْأَلْـفَـاظ أَنْـقَـى مِـنَ الْـمـا ... ءِ وَأَشْـهَـى مَـسَـاغَـةً وَوُرُودا
وَبَـعَـثْـنَـا الْـخَـيَـالَ سِـحْـرًا مِـنَ السحـ ... ـرِ وَنَـهْـجًـا مِـنَ الْـبَـيَـانِ سَـدِيدا[١٥]
طـارَ فِـي الْـجَـوِّ مَـا يَـمَـلُّ زَفِـيـفًـا ... وَطَـوَى الأرضَ مَـا يَـمَـلُّ وَخِـيـدا[١٦]
رِقَّـةٌ لَـوْ جَـرَتْ بِـسَـمْـعِ الْـغَـوَانـي ... أَوَّلَ الـدهْـرِ مَـا عَـرَفْـنَ الـصـدُودَا
قَـدْ رَآهُ مُـثَـقَّـفُ الْـحِـسِّ وَحْـيًـا ... وَرَآهُ مَـنْ لَا يُـحِـسُّ قَـصِـيـدَا[١٧]
سَـارَ يَـحْـثُـو الـتُّـرَابَ فِـي وَجْـهِ بَـشَّـا ... رٍ وَيَـطْـوِي ابْـنَ هَـانِـئٍ وَالْـوَلِـيـدا[١٨]
كـلَّـمَـا قَـامَ مُـنْـشِـدُ الْـقَـوْمِ يَـتْـلُـو ... هُ تَـمَـنَّـى مُـتـابِـعٌ أَنْ يُـعِـيـدا
إِنَّ يَـوْمَ الْـفَـارُوق يَـوْمٌ عَـلَـى الدهـ ... ـرِ فَـرِيـدٌ، فَـهـاتِ قَـوْلًا فَـرِيـدا
وَتَـخَـيَّـرْ مِـنْ سِـحْـرِ «مَـنْـفِـيسَ» سِـرًّا ... كَـتَـمَـتْـهُ الْـكُـهَّـانُ عَـهْـدًا عَـهِـيـدَا[١٩]
وَصُـغِ الـشَّـمْـسَ فِـي الْأَصَـائِـلِ تَـاجًـا ... وَانْـسُـجِ الـرَّوْضَ فِـي الـرَّبِـيـعِ بُـرُودَا
إِنَّ «فَـارُوقَ» فـي الْـمُـلُـوكِ وَحِـيـدٌ ... فَـلْـتَـكُـنْ أَنْـتَ فِـي الْـبَـيَـانِ وَحِـيـدا

* * *

بَـحَـثَ الْـمَـجْـدُ فِـي الْـعُـصُـورِ فَـلَـمْ ... يَـلْـقَ لَـهُ بَـيْـنَ دَفَّـتَـيْـهَـا نَـدِيـدَا
مَـلِـكٌ فَـضْـلُـهُ تَـرَاهُ قَـرِيـبًـا ... وَمَـدَى رَأْيِـهِ تَـرَاهُ بَـعِـيـدَا
خَـدَمَـتْـهُ الْأَقْـدَارُ حَـتَّـى تَـمَـنَّـتْ ... لَـوْ مَـشَـتْ حَـوْلَ سُـدَّتَـيْـهِ جُـنُـودَا[٢٠]
وَتَـمَـنَّـى اخْـضِـرَارُ كُـلِّ نَـبَـاتٍ ... لَـوْ غَـدَا فِـي سَـمَـاء مِـصْـرَ بُـنُـودا[٢١]
هِـمَّـةٌ تَـمْـتَـطِـي الـسـمـاءَ وَعَـزْمٌ ... يَـرْهَـبُ الـدهْـرُ سَـيْـفَـهُ مَـغْـمُـودا
وَثَـبَـاتٌ يُـدْمِـي جَـبِـيـنَ الـلَّـيَـالـي ... وَيَـفُـتُّ الـصـخـرَ الْأَصَـمَّ الصَّـلُـودا[٢٢]

مَـكْـرُمَـاتٌ سَـارَتْ بِـكُـلِّ مَـسـارِ مَـثَـلًا يَـسْـبِـقُ الـرِّيـاحَ شَـرُودا

* * *

يَـا لِـوَاء الْـبـلادِ أيُّ لِـوَاءِ لا يُـفَـدِّي لِـوَاءَكَ الْـمَـعْـقُـودَا؟[٢٣]
صَـانَـهُ اللـهُ فِـي يَـدَيْـكَ فَـخُـذْهُ وَتَـقَـدَّمْ بِـهِ قَـويًّـا جَـلِـيـدا[٢٤]
وَجَـدَ الـنَّـصْـرُ فِـي ذُرَاهُ مَـقِـيـلًا فَـأَبَـى أَنْ يَـرِيـمَ أَوْ أَنْ يَـحِـيـدا[٢٥]
وَرَأَتْ مِـصْـرُ فِـيـه عِـزًّا مَـنِـيـعًـا ومَـثَـابًـا رَحْـبًـا ورُكْـنًـا شَـدِيـدا[٢٦]
أَنْتَ مِنْ مَعْشَرٍ بَنَوا فارعَ الْمَجـ ـدِ فَأَمْسَى بِمِصْرَ صَرْحًا مَشِيدا[٢٧]
عَرَفَ السَّيْفُ أَنَّهُمْ جُنْدُهُ الْبُسـ ـلُ إِذَا صَافَحَ الْحَدِيدُ الْحَدِيدا
أَسْعَدُوا شَعْبَهُمْ فَكَانُوا سَحَابًا وَحَمَوْا عَرْشَهُمْ فَكَانُوا أُسُودا[٢٨]
وَمَضَوْا لِلْعُلَا سِرَاعًا وَخَلَّوْا أَنْجُمَ اللَّيْلِ جَاثِماتٍ هُجُودا[٢٩]
مَلَكُوا مِقْوَدَ اللَّيالِي صِعَابًا وَلَوَوْا هَامَةَ الزَّمَانِ عَنِيدا[٣٠]

* * *

يَوْمَ «فارُوق» دُمْ عَلَى صَفْحَةِ الدّ دَهْرِ حَفِيلًا بِالْبُشْرَيَاتِ مَجِيدا[٣١]
لَبِسَتْ فِيكَ مِصْرُ أَزْهَى حُلَاهَا وَرَأَتْ فِيكَ يَوْمَهَا الْمَشْهُودا
عَبْدُهَا الدَّهْرُ واللَّيَالِي إِمَاءٌ وَالْأَمَانِي تُرِيدَهَا أَنْ تُرِيدا[٣٢]
فِي ظِلالِ الْمَلِيكِ عَزَّتْ وَطَالَتْ واسْتَعَادَتْ فِرْدَوْسَهَا الْمَفْقُودا
وَغَدتْ حَلْقَةً مِنْ الْمَجْدِ حَتَّى قَدْ ظَنَنَّا الطَّرِيفَ مِنْهُ تَلِيدَا[٣٣]
أَقْبَلَتْ نَحْوَ سُدَّةِ الْمَلِكِ الْعَا لِي وُفُودًا تَتْلُو إِلَيْهِ وفُودا[٣٤]
مَلَئُوا سَاحَةَ الْإِمَامَةِ حَتَّى خَافَتِ الْأَرْض مِنْهُمُ أَنْ تَمِيدا[٣٥]
وَاسْتَحَثُّوا الْخُطَا فَكَانُوا بروقًا وعَلَا صَوْتُهمْ فَكَانوا رُعُودا[٣٦]
وَالسُّرُورُ السرورُ يلْعَبُ بالشَّعـ ـبِ كَمَا هَزَّتِ النَّسِائِمُ عُودا
ضَحِكَاتٌ تَهْفُو إلى ضَحِكَاتٍ وَوعُودٌ بالصفْوِ تَلْقَى وُعُودَا[٣٧]
كُلُّهُمْ يَجْأَرُونَ بالْعِزِّ لِلْفَا رُوقِ وَالعَيْشِ نَاضِرًا وَرَغِيدا[٣٨]
كَبَّرُوا حِينَمَا رَأَوْكَ مُطِلًّا وَأَبَحُّوا أصْواتَهُمْ تَحْمِيدا
أَبْصَرُوا طَلْعَةً إِذَا مَا تَبَدَّتْ خرَّتِ الشمْسَ والنُّجُومُ سُجُودا
وَرَأَوْا سَيِّدًا يُضِيءُ شَبابًا باسِمًا كَالْمُنَى، وَيَهْتَزُّ جُودا

قَدْ غَرَسْتَ الْوَلاءَ في كُلِّ قَلْبٍ فَتَفَيَّأْ فِي ظِلِّهِ مَمْدُودَا[٣٩]

* * *

إنَّ عَرْشًا أَسَاسهُ مُهَجُ الشَّعـ ـبِ خَلِيقٌ بِأنْ يَكُونَ وَطِيدا[٤٠]
فانْظُرِ الشعْبَ لَا تَرَى غَيْرَ قَلْبٍ نَابِضٍ يَحْفَظُ الْوَلَاءَ الْأَكِيدا
ما رَأَتْ مِصْرُ مُنْذُ أَيَّامِ عَمْرٍو مِثْلَ أَيَّامِكَ الْحِسَانِ عُهُودا[٤١]
قَدْ نَثَرْنَا لَكَ الْوُرُودَ قُلُوبًا وَنَثَرْنَا لَكَ الْقُلُوبَ وُرُودا
وَحَفِظْنَا لَكَ الْوِدَادَ نَضِيرًا وَأَذَعْنَا لَكَ الثَّنَاءَ نَضِيدا[٤٢]

* * *

مَوْكِبٌ يَبْهَرُ الشُّمُوسَ وَمَجْدٌ حَمْلَقَ الدهْرُ مُذْ رَآهُ سُمُودا[٤٣]
لَمْ يُشاهِدْ سِوَاهُ بَعْدَ ابْنِ دَا وُدَ سَنًا مُشْرِقًا وَمُلْكًا عَتيدا[٤٤]
وَمَلِيكًا يَرْعَى الْإِلَهَ وَيَخْشَا هُ وَيُعْلِي الإِيْمانَ والتَّوْحِيدا
أَكْمَلَ الدينَ بالزَّواجِ فَأَسْدَى مَثَلًا — لَوْ دَرَى الشَّبابُ — رَشِيدا[٤٥]
فَرَحٌ شَامِلٌ بِهِ بَلَغَتْ مِصـ ـرُ مُنَاهَا وَحظَّها الْمَنْشُودَا
كلُّ بَيْتٍ بِهِ غِنَاءٌ وَشَدْوٌ عَلَّمَ الطَّيْرَ — إنْ شَدتْ — أَنْ تُجيدا
تَتَمَنَّى الأَغْصَانُ لَوْ رَقَصَتْ فِيـ ـهِ مَكَانَ الْحِسَانِ هِيفًا وَغِيدا[٤٦]
وَتَوَدُّ النُّجُومُ لَوْ كُنَّ فِيه بَدَلًا مِنْ سَنَا الشمُوعِ وَقُودا

* * *

يَا لَيَالي الْفَارُوقِ كُونِي لِمَوْلَا كِ رِفاءً وَلِلْبِلادِ سُعُودا[٤٧]
لَمَعَتْ فِي عُلاك دُرَّةُ خِدْرٍ كَرُمَتْ نَشْأَةً وَطَابَتْ جُدُودَا[٤٨]
بَلَغَتْ قِمَّةَ الْجَلَالِ فَأَمْسَى كُلُّ مَجْدٍ لمجْدِهَا مَرْدُودا
مِنْ مِهَادِ النُّبْلِ السَّنِيِّ أَضَاءتْ فَعَلَتْ كَوْكبًا وعَزَّتْ مُهُودا[٤٩]
وَزَهَتْ في مَقَاصِرِ الْمُلْكِ زَهْرَا ءَ فَزَانَتْ مَقَامَهُ الْمَحْمُودا[٥٠]

* * *

يَا مَلِيكَ الْبِلَادِ فَاهْنَأْ بِمَا نِلـ ـتَ سَعِيدًا جَمَّ الثَّنَاء حَمِيدا
قَدْ أَشَدْنَا بِفَضْلِكَ الْوَافِرِ الْجَمْ مِ إذَا اسْطَاعَ شَاعِرٌ أَنْ يُشِيدَا

أَجْهَدَ الشعْرَ أَنْ يَرَى عَزَماتٍ ... يَعْجِزُ الْوَصْفُ دُونَها وَجُهُودا
وَمَعَانِيكَ لَا تُحَدُّ فَمَاذَا ... يَعْمَلُ الشعْرُ قاصِرًا مَحْدُودًا؟
وَإِذَا مَا الْبَيَانَ عَقَّ لَبِيدًا ... فِي الْمَقَامِ الْمَهِيبِ فَاعْذِرْ لَبِيدا[٥١]
عِشْ وَحِيدَ الْجَلالِ وَالْمَجْدِ وَاسْعَدْ ... أَمَلُ الْمَجْدِ أَنْ تَعِيشَ سَعِيدا
وَابْقَ لِلدِّينِ مَوْئِلًا وَعِمَادًا ... وَابْقَ لِلشَّرْق سَيِّدًا وَعَمِيدا[٥٢]

هوامش

(١) الدر: اللآلئ العظيمة، الواحدة درة. التوءم: اسم لولد يكون معه آخر في بطن واحد، ويقال: توءم للذكر وتوءم للأنثى والجمع توائم، وهما توأمان وتوءم. وتوائم اللآلئ: ما تشابك منها. وفريدًا: واحدًا فردًا، والفريد أيضًا: الدر الذي يفصل بين الذهب في القلادة المفصلة، فالدر فيها فريد.

(٢) العقود: جمع عقد وهو القلادة.

(٣) الكوثر: نهر في الجنة.

(٤) صوب: جهة. الهمس: الصوت الخفي. حوراء: صفة من الحور وهو شدة بياض العين في شدة سوادها، تداني: تقرب. تعطف: تميل وتنثني. الجيد: العنق.

(٥) التهاليل: جمع تهليل مصدر هلل أي قال: لا إله إلا الله. أو هو جمع تهليلة اسم مرة منه. والملأ في الأصل: الجماعة، والمراد بالملأ الأعلى هنا أهل السموات. تعنو: تخضع. القدس: الطهر. التمجيد: الإعظام والإجلال والثناء.

(٦) الأماني بالياء المشدة وقد خففت هنا لضرورة وزن الشعر: جمع أمنية وهي ما يحبه الإنسان ويتمناه. وديدًا: محبًّا.

(٧) الخمائل: جمع خميلة وهي الشجر الكثيف. أندى: اسم تفضيل من ندي بمعنى ابتل. والمراد أنضرها وأجملها.

(٨) موصلية: نسبة إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي مغني الرشيد والمضروب به المثل في تجويد الغناء وتنويعه والتفنن فيه وهو فارسي الأصل، وقد أخذ الغناء عن أبيه وأمه إذ كانا مغنيين مشهورين. الرشيدا: هارون الرشيد خامس خلفاء بني العباس ومن أعظمهم شهرة وأبعدهم صيتًا. تولى الخلافة من سنة ١٧٠هـ إلى سنة ١٩٣هـ.

(٩) الكرى: النعاس. الوجنات: جمع وجنة وهي من الإنسان ما ارتفع من لحم خده.

(١٠) القماري: جمع قمري أو قمرية لنوع من الحمام كأنه منسوب إلى القمرة وهي لون إلى الخضرة أو بياض فيه كدرة، وقد خففت ياء القماري هنا لضرورة وزن الشعر. القدود: جمع قد. وهو قامة الإنسان وحسن اعتداله.

(١١) فاعلاتن: من أجزاء الشعر وتفاعيله التي يوزن بها وتتألف منها بحوره. أحرى: أجدر وأحق.

(١٢) خفيفًا: صفة من الخفة. والخفيف أيضًا أحد بحور الشعر. وأجزاؤه فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مرتين، والقصيدة من هذا البحر، ففي هذه الكلمة تورية لطيفة. مديدًا: صفة لنفسًا بمعنى ممدود منبسط طويل. والمديد أيضًا ثاني بحور الشعر، وأجزاؤه فاعلاتن أربع مرات وهو مجزوء وجوبًا، وفي مديد تورية أيضًا.

(١٣) نقد الدراهم من باب نصر: أخرج منها الزيف أو نظرها ليعرف جيدها وزيفها.

(١٤) يريد بحر الكلام: جيده.

(١٥) النهج: الطريق الواضح. البيان: الفصاحة واللسن. سديد: الصواب والقصد والاستقامة.

(١٦) الزفيف: مصدر زف الطائر يزف بكسر الزاي زفًّا وزفيفًا إذا بسط جناحه وأسرع في طيرانه. وطي الأرض: كناية عن السير فيها. الوخيد: نوع من سير الإبل وهو الإسراع أو أن يرمي البعير بقوائمه كمشي النعام أو سعة الخطو.

(١٧) الوحي: الإلهام. القصيد: جمع قصيدة، أو القصيدة من الشعر ما تم شطر أبياته، وليس إلا ثلاثة أبيات فصاعدًا أو ستة عشر فصاعدًا.

(١٨) يحثو التراب: يقبضه بيده ثم يرميه، وهذا كناية عن الازدراء والتحقير. وبشار بن برد: من الشعراء المخضرمين في الدولتين الأموية والعباسية. كان نابغة زمانه في الفصاحة والشعر، وهو أول من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين ومهد طريق الاختراع والبديع للمتفننين وقد مات مقتولًا سنة ١٦٧هـ بعد أن نيف على التسعين. وابن هانئ: هو أبو نواس الشاعر المبدع وقد أجاد في كل فنون الشعر، وبرع في المجون والغزل ووصف الخمر ومجالسها، مات سنة ١٩٦هـ والوليد: هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي البحتري من أشهر شعراء الدولة العباسية، وأحد الذين سارت بذكرهم الركبان وخلد شعرهم الزمان. ولد سنة ٢٠٦هـ بناحية «منبج» بين حلب ونهر الفرات، ولازم وهو فتى أبا تمام الشاعر المشهور وعليه تخرج واقتبس طريقته في البديع

من غير إفراط. ثم اتصل بالخليفة العباسي جعفر المتوكل على الله ووزيره الفتح بن خاقان ومدحهما وأقام في خدمتهما إلى أن قُتلا، فرجع إلى «منبج» وبقي يختلف أحيانًا إلى رؤساء بغداد وسر من رأى حتى مات سنة ٢٨٤هـ.

(١٩) «منفيس»: مدينة قديمة أنشأها الملك «مينا» أول الفراعنة الذين جلسوا على عرش مصر قبل ميلاد المسيح بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة، وكانت حاضرة البلاد المصرية في ذلك العهد ومقر الملك وموطن السحر والعظمة والبهاء والجلال، وموقعها الآن البدرشين وميت رهينة وعلى مقربة منها أهرام سقارة ودهشور وفي شمالها الغربي أهرام الجيزة المشهورة. وبقيت منف رفيعة القدر عالية الشأن بعيدة الصيت إلى أن انقرضت الدولة المصرية القديمة بانقراض الاسرة الثامنة حوالي ٢١٦٠ق.م.

(٢٠) السدة: باب الدار، أو فناء البيت.

(٢١) البنود: جمع بند وهو العلم الكبير، وفيه إشارة إلى اللون الأخضر لعلم مصر حينئذ.

(٢٢) الأصم: الصلب المصمت. الصلود: الصلب الأملس.

(٢٣) اللواء: العلم.

(٢٤) جليدًا: قويًّا شديدًا صبورًا.

(٢٥) الذرا: الكنف والستر. المقيل: اسم مكان من قال من باب باع أي نام في الظهيرة، والمراد بالمقيل هنا المستقر والمكان الذي يجد فيه الإنسان راحته وطمأنينته. يريم: يبرح. يحيد: يميل ويعدل وينصرف.

(٢٦) منيعًا: قويًّا عزيزًا مكينًا. المثاب: مجتمع الناس بعد تفرقهم، أو هو المرجع. الركن: الجانب الأقوى، وما يقوى به من ملك وجند وغيره.

(٢٧) الفارع: الرفيع العالي. الصرح: القصر وكل بناء عال. مشيدًا: مطليًا بالشيد وهو ما طلي به حائط من جص ونحوه.

(٢٨) حماه: دفع عنه ومنعه وصانه.

(٢٩) خلوا: تركوا. جاثمات: جمع جاثمة اسم فاعل من جثم الطائر ونحوه إذا تلبد بالأرض. هجودًا: نائمات.

(٣٠) المقود: الحبل تقاد به الدابة. صعابًا: جمع صعبة، وهي حال من الليالي. لوى رأسه: أماله. الهامة: الرأس. عنيدًا: حال من الزمان وهي صفة من العناد بمعنى الخلاف والعصيان.

(٣١) حفيلًا: ممتلئًا.
(٣٢) الإماء: جمع أمة. الأماني: جمع أمنية وهي ما يتمناه الإنسان ويريده.
(٣٣) الطريف: الجديد المستحدث. التليد: القديم.
(٣٤) السدة: باب الدار أو فناؤها.
(٣٥) الساحة: الفضاء المتسع أمام الدار. تميد: تتحرك وتهتز.
(٣٦) استحثوا الخطا: أسرعوا.
(٣٧) تهفو: تذهب وتسرع.
(٣٨) يجأرون: يرفعون أصواتهم بالدعاء ويتضرعون.
(٣٩) الولاء: الحب. تفيأ بالشجرة: استظل بها.
(٤٠) المهج: جمع مهجة وهي دم القلب أو النفس والروح. وطيد: ثابت مستقر مكين.

(٤١) عمرو بن العاص: أحد دهاة العرب وساستهم وقوادهم الذين سارت بذكرهم الركبان، وخلد مجدهم الزمان، وقد فتح مصر بإذن من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م، ثم كان واليًا عليها من قبله فأقام فيها ميزان العدل ونشر في ربوعها الأمن والطمأنينة والرخاء.

(٤٢) نضيدًا: كثيرًا منظومًا يتبع بعضه بعضًا. وأصلها من نضد متاعه إذا وضع بعضه على بعض.

(٤٣) سمودًا: حيرة وولهًا.

(٤٤) ابن داود: هو سيدنا سليمان — عليه السلام — وقد أشاد القرآن بجلال ملكه وعظمته في سورة ص وغيرها ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٥–٣٩ سورة «ص»). السنا: الضوء. العتيد: العظيم.

(٤٥) أسدى إليه معروفًا: اتخذه عنده. رشيد: صفة من الرشاد وهو الهدى والصواب.

(٤٦) هيف: جمع هيفاء وهي المرأة الضامرة البطن والخاصرة. غيد: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة المتثنية لينًا.

(٤٧) مولاك: صاحبك وسيدك. الرفاء: الوفاق والالتئام وجمع الشمل.

(٤٨) الدرة: اللؤلؤة العظيمة شبه بها الشاعر الملكة «فريدة». الخدر: الستر، ويطلق الخدر على البيت.

(٤٩) المهود: جمع مهد.

(٥٠) المقاصر: جمع مقصورة وهي الحجرة. زهراء: حسناء بيضاء نضيرة.

(٥١) البيان: الفصاحة واللسن والبلاغة. عق: عصى. لبيد: هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري كان في الجاهلية سيدًا شاعرًا مجيدًا، وفارسًا حكيمًا شريفًا. وهو من بني عامر بن صعصعة إحدى بطون هوزان من مضر، وأمه عبسية، وهو من أصحاب المعلقات، وقد عمر حتى ظهر الإسلام فأسلم وتنسك وحفظ القرآن كله وهجر الشعر.

(٥٢) موئلًا: ملجأ. العماد: الأبنية الرفيعة واحدتها عمادة. العميد: السيد والرئيس.

تمثَال سَعد

احتفلت الحكومة المصرية برفع الستار عن تمثال سعد زغلول باشا بالقاهرة والإسكندرية في صيف سنة ١٩٣٨م.

امْـلَإِ الأُفْـقَ مِـنْ سَـنًـا وَسَـنَـاءِ ... وَتَـرَفَّـقْ بِـهَـامَـةِ الْـجَـوْزَاء[١]
وَاسْمُ نَحْوَ السَّمَاء كَالْمَثَل الأَعْـ ... ـلَى تَجَلَّى مُحَلِّقًا فِي السماء[٢]
تـجْـتَـلِـيكَ الـنُّـفُـوسُ طَـالِـعَ سَـعْـدٍ ... وَتَـرَاكَ الْـعُـيُـونُ لَـمْـحَ رَجَـاء[٣]
رَافِـعٌ رَأْسَـهُ يَـشُـقُّ بِـهِ الـسُّـحْـ ... ـبَ فَـتَـمْـضِـي فِـي رَهْـبَـةٍ وَحَـيَـاء
شَـمَـمٌ عَـافَ أَنْ يَـعِـيشَ عَـلَـى الْأَرْ ... ضِ فَـفَـازَتْ بِـهِ طِـبَـاقُ الْـجِـواء[٤]
مِنْ سِوَى ذِي الْمَضَاء وَالْهِمَّةِ الشـ ... ـشَمَّاء أَوْلَى بِالْقِمَّةِ الشمَّاء؟[٥]
نَـاظِـرٌ يَـعبُـرُ الْـوُجـودَ بِـلَـحْـظَـيـ ... ـهِ فَـيَـجْـتَـازُ مُـسْـتَـسِـرَّ الْـخـفَـاءِ[٦]
تَـتَـجَـلـى لـهُ الـحـيـاةُ سُـطُـورًا ... مِنْ ضِيَاءٍ لَا مِنْ حُرُوفِ الْهِجَاء
وَيَـرَى مِـنْ وَرَائِـهَـا كُـلَّ سِـرٍّ ... جَـلَّ مَـكْـنُـونُـهُ عَـنِ الإِفْـشَـاء[٧]
وَاقِفٌ كَالْخَطِيبِ فَانْتَبَهَ الشَّرْ ... ُق وَمَـدَّ الأَعْـنَـاقَ لِـلْإِصْـغَـاء
رُبَّ صَمْتٍ مِن الْبَيَانِ رَهِيبٍ ... حُـرِمَـتْـهُ مَـقَـاوِلُ الْـبُـلَـغـاء
وإِذَا جَـلَّـتِ الْـمَـعَـانِـي تَـسَـامَـتْ ... عَـنْ قُـيُـودِ الأَفْـعَـالِ وَالأَسْـمَـاء[٨]
يَتَأَبَّى السَّيْلُ الَّذِي يَصْدَعُ الْأَجْـ ... ـبَالَ أَنْ يَـحْـتَـوِيـهِ جَـوْفُ إِنَـاء[٩]
وَإِذَا لَـمْ تَـعِ الْـمَـعَـانِـي فَـنَـقِّـبْ ... تَجِدِ الْغَيْبَ كُلَّهُ فِي الْوِعاء[١٠]
بَـيْـنَ مَـعْـنًـى قَـزْمٍ يَـجُـرُّ رِدَاءَيْـهِ ... وَمَـعْـنًـى ضَـخْـمٍ قَـصِـيرِ الـرِّدَاء
رُبَّ فِكْرٍ فِي النَّفْسِ وَهْوَ مُضِيءٌ ... أَخْـمَـدَتْـهُ فَـهَـاهَـةُ الْـفَـأْفَـاء[١١]

* * *

كَانَ فِي مَوْتِهِ مِنَ الْخُلْدِ مَعْنًى ... فَوْقَ مَعْنَى الْحَيَاةِ وَالْأَحْيَاءِ
عِشْتَ حُرًّا، فَكَانَ خَيْرَ قَرِينٍ ... لَكَ بَعْدَ الْحَيَاةِ طَلْقُ الْهَوَاءِ[١٢]
تَزْدَهِي الطَّيْرُ بالزَّعِيمِ وَتَهْفُو ... بِجَنَاحَيْنِ مِنْ هَوًى وَوَفَاءِ
كُلَّمَا غَنَّت الْبِلَادُ بِسَعْدٍ ... رَدَّدَتْ في السمَاء لَحْنَ الْغِنَاء
وَهْوَ عَالٍ كَذِكْرِهِ، مَلَأَ الأَرْ ... ضَ، وَأَلْوَى بعاصِفَاتِ الْفَنَاء[١٣]
إنَّ مَنْ لَمْ يُبَالِ بِالمَوْتِ حَيًّا ... فَازَ مِنْ بَعْد مَوْتِهِ بِالْبَقَاء

* * *

فِي صَفَاءٍ مِنَ الطَّبِيعَةِ كَالْحَقْ ... قِ، إِذَا لَمْ يَشِنْهُ ثَوْبُ الرِّيَاء[١٤]
تَقْبِسُ الشَّمْسُ نُورَهَا مِنْهُ فِي الصُّبـ ... ـحِ، وَزُهْرُ النُّجُومِ عِنْدَ الْمَسَاء[١٥]
فِي حَفِيفٍ مِنَ النَّسِيمِ رَفِيقٍ ... وَجَمِيمٍ عَذْبٍ مِنَ الْأَنْدَاء[١٦]
لَا يُبَالِي الأَنْوَاء مِنْ بَعْدِما عَا ... شَ حَيَاةً كَثِيرةَ الأَنْوَاء
تَحْتَهُ النِّيلُ فِي الْخَمَائِلُ يَمْشِي ... خَافِضًا طَرْفَهُ عَلَى اسْتِحْيَاء
سَارَ يُزْهَى بِشَاطِئَيْهِ طَلِيقًا ... نَحْنُ أَدْرَى بِنَعْمَةِ الطُّلَقَاء
يَزْأَرُ الْمَوْجُ فِيهِ غَضْبانَ أَنْ ضَا ... قَ بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنْ إِطْرَاءِ
هُوَ مَجْرًى مِنَ الْبَشَائِرِ وَالآ ... مَالِ مُثِّلْنَ في غَرِينٍ وَمَاءِ[١٧]
هُوَ حِينًا حَوْلَ الرُّبَا مِنْ نُضَارٍ ... وَهْوَ حِينًا مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءِ
قَبَّلَتْهُ الأَزْهَارُ وَهْوَ أَبُوهَا ... كَمْ حَنَانٍ فِي قُبْلَةِ الْأَبْنَاء!

* * *

قِفْ كَما شِئْتَ وَقْفَةَ اللَّيْثِ يَا سَعـ ... ـدُ، قَلِيلَ الْأَنْدَادِ وَالنُّظَرَاء
مِصْرُ غِيلُ الشَّرْقِ الَّذِي عَلَّمَ الْأُسـ ... ـدَ صِيَانَ الْحِمَى، وَفَتْكَ الضِّرَاء[١٨]
نَابُهَا الْحُجَّةُ الضَّرُوسُ، وَأَظْفَا ... رُ يَدَيْهَا عَزِيمَةٌ الْبُسَلَاء[١٩]
زَأَرَتْ مِصْرُ فَاسْتَطَارَ لَهَا الشَّرْ ... قُ، وَلَبَّى مُثَوِّبًا لِلنِّدَاء[٢٠]
وَأَمَاطَ الْحِجَابَ عَنْ نَاظِرَيْهِ ... وَمَضَى يَسْتَخِفُّ بِالْأَرْزَاءِ[٢١]
قِفْ مُشِيرًا إلى الْفَضَاء، فَذِكْرَا ... كَ مَدَى الدَّهْرِ مِلْءُ هَذَا الْفَضَاء

حَفِظَتْهَا الْأَبْنَاءُ أُنْشُودَةَ الْمَهـ ـدِ، وَكَانَتْ عَقِيدَةَ الآبَاءِ

* * *

قِفْ وَشَاهِدْ مِصْرَ الطَّلِيقَةَ تَجْرِي شَوْطَهَا، فِي تَوَثُّبٍ وَمَضَاءِ
نَحْنُ أَحْرَى بالرَّسْم مِنْ أَلْفِ مَثَّا لٍ، وأَدْرَى بِشِيمَةِ النُّبَغَاء
ذَهَبَ الْقَيْدُ فِي الرِّيَاحِ وَوَلَّى وَبَدَا وَجْهُهَا وَضِيءَ الرُّوَاء[٢٢]
لَيْسَ يَدْرِي حَلَاوَةَ النُّجْحِ إِلَّا كَادِحٌ ذَاقَ فِيهِ مُرَّ الْعَنَاءِ
وَنَعِيمُ السَّرَّاءِ يَجْهَلُ مَعْنَا هُ فَتًى لَمْ يَمَسّ بِالضَّرَّاء
مَرْحَبًا بِالشَّدَائِدِ الدُّهْمِ، يَتْلُو هَا صَبَاحٌ مِنْ نِعْمَةٍ وَرَخَاء
عَلَّمَتْنَا أَلَّا نَبِيتَ عَلَى ضَيـ ـمٍ، وَأَلَّا نَبْكِي بُكَاءَ الإِمَاء[٢٣]
وَأَرَتْنَا أَنَّ النِّهَايَةَ لِلصَّبـ ـرِ إِذَا حَاطَهُ كَرِيمُ الإِبَاء
كِبْرِيَاءُ الشُّعُوبِ سِرُّ عُلَاهَا لَمْ تَسُدْ أُمَّةٌ بِلَا كِبْرِيَاء

* * *

إِنَّ تِمْثَالَكَ الَّذِي هُوَ رَمْزٌ لِلْأَمَانِي، وَالْهِمَّةِ الْقَعْسَاء[٢٤]
بَارِزٌ فِي الضَّمِير مِنْ كُلِّ نَفْسٍ بَاعِثٌ نُورَهُ إِلَى كُلِّ رَائِي
قَدْ أَجَادَ الْمَثَّالُ ما تَصْنَعُ الْكَفـ ـفُ، وَمَا يَسْتَطِيعُ وَحْيُ الذَّكاء
غَيْرَ أَنَّ النَّفْسَ الْكَبِيرَةَ خَلْقٌ فَوْقَ طَوْقِ التَّصْوِيرِ وَالإِيحَاء[٢٥]
مَنْ تُرَى يَسْتَطِيعُ تَصْوِيرَ فِكْرٍ لَكَ أَمْضَى مِنْ رَجْعَةِ الْأَصْدَاء؟
مَنْ تُرَى يَسْتَطِيعُ تَصْوِيرَ رَأْيٍ أَلْمَعِيٍّ كَالْكَوْكَبِ الْوَضَّاء؟[٢٦]
أَيْنَ مَنْ يَرْسِمُ الشَّهَامَةَ وَالْحَقّ قَ وَضِيءَ السَّنا بعيدَ السَّناء؟[٢٧]
أَيْنَ مَنْ يَرْسُمُ الْإِبَاءَ عَزِيزًا وَجَلالَ الْهُدَى وَنُبْلَ السَّرَاء؟[٢٨]
صَوِّرُوا شَخْصَهُ وَخَلُّوا الْمَعَانِي وَدَعُوهَا لِرِيشَةِ الشُّعَرَاء
يَصْعَدُ الشعْرُ حَيْثُ لَا تَصِلُ الشَّمـ ـسُ، وَيَبْقَى عَلَى مَدَى الآنَاء
هُوَ خَطُّ الْجَمَالِ فِي صَفْحَةِ الْكَوْ نِ، فَهَلْ لِلْجَمَالِ مِنْ قُرَّاء؟

* * *

شَرَفًا سَعْدُ، قَدْ لَقِيتَ مِنَ الْفَا رُوقِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنْ حَفَاء

مَلِكٌ يَقْدُرُ الرِّجَالَ، وَتَعْلُو ... فِي حِمَاهُ مَرَاتِبُ الْعُظَمَاء
كُلَّمَا أَثْنتِ الْمَعَالِي عَلَيْهِ ... كَانَ فَوْقَ الْعُلَا وَفَوْقَ الثَّنَاء
حُبُّهُ جَمَّعَ الْقُلُوبَ كَمَا تَجـ ... ـمَعُ بَلُّورَةٌ شَتِيتَ الضِّيَاء
حِكْمَةٌ زَانَهَا الشَّبَابُ فَأَضحَتْ ... قَبَسًا لِلْهُدَاةِ وَالْحُكَمَاء[29]
وَجَلَالٌ لِمِثْلِهِ يَخْشَعُ الطَّرْ ... فُ، وَتَعْنُو الْقُلُوبُ بِالْإِيمَاء[30]
قَدْ فَدَيْنَا لِوَاءَهُ فِي يَدَيْهِ ... وَفَدَيْنَاهُ حَامِلًا لِلِّوَاء[31]
هَتَفَ الْمَجْدُ بِاسْمِهِ وَاسْتَضَاءَتْ ... بِسَنَاهُ زَعَامَةُ الزُّعَمَاء
قَدْ مَلَأْتُ الْوُجُودَ شِعْرًا بِمَدْحِيـ ... ـهِ، وَمَا زِلْتُ بَيْنَ بَاءٍ وَتَاءِ
يَنْتَهِي جُهْدُ كُلِّ مَدْحٍ وَوَصْفٍ ... وَمَدَى فَضْلِهِ بِغَيْرِ انتِهَاء

هوامش

(١) سنا: ضوء. سناء: رفعة وشرف. هامة: رأس كل شيء وجمعه الهام. الجوزاء: برج في السماء.

(٢) اسْمُ: اعْلُ.

(٣) تجتليك: تستبينك وتراك.

(٤) الشمم: الأنفة والإباء. عاف: كره ومل. طباق: طبقات. الجواء: جمع جو.

(٥) المضاء: النفاذ والإرادة القوية. الشماء: العالية.

(٦) يعبر: يجتاز. اللحظ: مؤخر العين. مستسر: مستتر.

(٧) جل: عظم واستعصى. مكنونه: مستوره.

(٨) جلت: عظمت. تسامت: تعالت وعظمت.

(٩) يصدع: يشق.

(١٠) لم تع: لم تستبن. نقب: ابحث.

(١١) أخمدته: أخفته. فهاهة: عي. الفأفأء: مردد الفاء في كلامه من العي.

(١٢) قرين: مثيل ونظير.

(١٣) ألوى بعاصفات الفناء: ذهب بها وسحقها.

(١٤) لم يشنه: لم يعبه. الرياء: إظهار خلاف الباطن.

(١٥) تقبس: تستمد وتأخذ. زهر النجوم: الكواكب المشرقة.

(١٦) الأنداء: جمع ندى.
(١٧) مثلن: صورن. الغرين: ما يحمله ماء النيل من الطين.
(١٨) الغيل: الشجر الكثير الملتف وهو موضع الآساد. صيان: حفظ. الحمى: ما يحمى ويحافظ عليه كالوطن. الضراء: جمع ضرو كذئب وهو الحيوان الضاري.
(١٩) الضروس: الطاحنة.
(٢٠) استطار: أسرع. مثوبًا: مقبلًا أو مردًا الإجابة.
(٢١) أماط: نحى وأبعد. الأرزاء: جمع رزء وهو المصيبة.
(٢٢) الرواء: حسن المنظر.
(٢٣) ضيم: ذل وظلم. الإماء: جمع أمة وهي الجارية.
(٢٤) القعساء: العالية.
(٢٥) طوق: قدرة. الإيحاء: الإلهام.
(٢٦) الرأي الألمعي: الرأي السديد الواضح.
(٢٧) وضيء السنا: ظاهر الوضوح. بعيد السناء: عظيم العلو.
(٢٨) نبل السراء: عظمة الشرف.
(٢٩) قَبَسًا: شعلة من النار.
(٣٠) تعنو: تخضع. الإيماء: الإشارة.
(٣١) اللواء: العلم.

الدكتور علي إبراهيم باشا

أنشدت هذه القصيدة في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة في حفل تكريم الجراح علي إبراهيم باشا بمناسبة بلوغه سن الستين عام ١٩٤١م، وكان وزيرًا للصحة حينئذ.

ذُؤابةُ مجدٍ ما أجلَّ وما أسْمَى ... وَوَثْبَةُ شَأْوٍ كاد يستبقُ النجمَا[١]
وماذا يقولُ الشعرُ والوهْمُ جُهْدُه ... وقَدْرُ «عَليٍّ» يَبهرُ الشعْرَ والوَهْما؟
وأنَّى يمدُّ ابنُ القوافي جَنَاحَهُ ... إلى رقمةٍ شمَّاء أعجزتِ العُصْما؟[٢]
يضيقُ البيانُ العبقريُّ مَهابةً ... إذا لمح الآثارَ والحسَبَ الضخْما
يَهُمُّ فيعروه القُصورُ فينثني ... وقد كان يقتادُ النجومَ إذا هَمَّا[٣]
وَمَنْ رامَ تصويرَ الملائِكِ جَاهدًا ... فكيف له أنْ يُحكِمَ النقشَ والرسْما؟[٤]
رُوَيْدَك قلْ يا شعرُ ما تستطيعُهُ ... وغَرِّدْ بما لا تستطيعُ له كَتْمًا
إذا اليَمُّ أعيا أن تُلِمَّ بِحَدِّهِ ... فيكفيك عند الشَّطِّ أن تصفَ اليَمَّا[٥]
ويكفيك أنْ تدعو أبا الطبِّ باسمِهِ ... فإنَّ العُلا صارتْ له لَقَبًا واسما[٦]
فقلْ وانثُرِ الأزهارَ فوق مناقبٍ ... تماثلُها حُسنًا، وتشبهُها شَمّا[٧]
وخُذْ من فَم الدنيا الثناءَ فطالما ... أشادتْ به نثرًا، وغنَّتْ به نظما
وحدِّث به الآفاقَ إنْ شئتَ، إنَّها ... وقد عَرَفَتْهُ، لن تزيدَ به عِلْمًا

* * *

دعوني أوفِّي بالقريضِ ديُونَه ... فقد عاد غُرْمًا ما توهمتُه غُنْما
سَمَوْتُ إليه، والظلامُ يلُفُّني ... فيملؤُني رُعْبًا، وأمْلؤُه هَمَّا[٨]

أسيرُ وفي قلبي من الحزنِ لوعةٌ ... تكادُ تُذيبُ الصُّمَّ لو مسَّتِ الصُّمَّا[٩]
تـركـتُ بـيـتـي جُـثَّـةً آدمـيَّـةً ... كأنَّ هلالَ الشكِّ كان لها جسمًا[١٠]
شكتْ سُقْمَها حتى بكاها وِسادُها ... وكاد عليها يشتكي السُّهْدَ والسُّقْما
يمزِّقها الموتُ العنيفُ صِراعُهُ ... بأظفاره حُمْرًا، وأنيابِه سُحما[١١]
ففي البطن قَرْحٌ لا يكُفُّ لهيبُه ... وفي الرأس نارٌ لا تبوخُ من الْحُمَّى[١٢]
إذا قلبَتْها العائداتُ حَسِبْنها ... خَيالًا، فلا عَظْمًا يَرَيْنَ ولا لحما[١٣]
وقد وقف الطبُّ الحديثُ حِيالَها ... عَيِيًّا، يكادُ العجزُ يقتُله غمّا[١٤]
وغادرها جَمْعُ الأساةِ كأنهم ... طيورٌ رمَى الرامي بدَوْحَتِها سَهْما[١٥]
فلم يبقَ إلَّا اليأسُ، واليأسُ قاتلٌ ... وأقتلُ منه نِيَّةٌ لم تجِدْ عَزْمَا
فقلتُ: «عليٌّ» ليس للأمرِ غيرَه ... إذا ما أدار الدهرَ صفحتَه جَهمَا[١٦]
أبو الحسنِ الْجَرَّاحُ فخرُ بلادِهِ ... وأكرمُ مَنْ يُرْجَى، وأشرفُ من يُسْمَى
فَزُرْ دارَه يلقاكَ قبل ندائه ... فَثَمَّ الذي ترجوه من أملٍ ثَمَّا[١٧]
فما سرتُ نحو البابِ حتى رأيتُه ... تقدَّمَ بسَّامَ الأساريرِ مُهتمَّا
وقد فهمَتني عينُه وفهمْتُه ... وكان بحمدِ اللهِ أسرَعَنا فهما
وجاء وجِبْريلُ الأمينُ أمامَهُ ... يَمُدُّ جَناحًا من حَنانٍ ومن رُحْمَى
وجسَّ مكانَ الداء أوَّلَ نَظرةٍ ... كأنَّ له عِلْمًا بموضِعه قِدْما[١٨]
فما هو إلَّا مِبْضَعٌ في يمينِه ... أطاح بناب الموتِ، واستأصل السّمَّا[١٩]
وردّ إلى أهلي حياةً عزيزةً ... وبدَّلهم من بُؤسِ أيامِهم نُعْمى
متى ذكروه في خُشوعٍ تذكَّروا ... مآثِرَهُ الْجُلَّى، ونائلَه الْجَمَّا[٢٠]
إذا ما امرؤ أهدَى الحياةَ لميِّتٍ ... فذلك قد أهدى الوجودَ وما ضَمَّا

* * *

له مِبْضَعٌ تجري الحياةُ بحدِّه ... يُصيب حُشاشاتِ المنونِ إذا أدْمى[٢١]
أحَنُّ على المجروحِ من أُمٍّ واحدٍ ... وأرفقُ من طِفلٍ إذا داعب الأمَّا
تعلَّمَ منه البرقُ سُرعَةَ خَطْفِهِ ... إذا ما جَرى يستأصلُ اللحمَ والعظما
تكادُ وقد شاهدتَ وَمْضَ مَضَائِهِ ... تظنُّ الذي شهدتَ من عَجَبٍ حُلْما[٢٢]
كأنَّ به نورًا من اللهِ ساطِعًا ... يُضيءُ له نَهْجَ الطَّريقِ إذا أَمَّا[٢٣]
أصابعُ أَجْدَى خِبْرَةً من أشعَّةٍ ... وأصدقُ إنْ مَرتْ على جَسدٍ حُكْما

فكَم من حياة في أنامِلها التي تكادُ شفاهُ الطِبِّ تلثِمُها لَثْما[٢٤]
وكم من يَدٍ أسْدَتْ، إذا شئتَ وصفَها ضلِلْتَ بها كيْفًا، وأخطأتها كَمّا[٢٥]
زها الشرقُ إعجابًا به وبمثلِه وقد عاش دهرًا قبله يشتكي العُقْما[٢٦]
إذا قَسَم اللهُ الكريمُ لأمَّةٍ بنابغةٍ فَرْدٍ، فقد أجزل القَسْما[٢٧]

* * *

هنيئًا لك العمرُ السعيدُ فإنَّه عُصارةُ دهرٍ ضمَّتِ العزمَ والحزما
بلغتَ به عُلْيا السنينَ وكلُّها مَدارجُ مجدٍ تفرعُ القِمَمَ الشُّما[٢٨]
كأنَّك منه فوقَ ذِرْوةِ شامخٍ تَرى من أمورِ الدهرِ أبعدَها مَرْمَى[٢٩]
زمانٌ مضَى في الْجدِّ ما مَسَّ شُبْهةً ولا وَصَلَتْ كَفُّ الزمانِ به ذَمّا[٣٠]
بَنَيْتَ به عِزًا لمصرَ فأينما تلفَّتَّ تلقَى صَرْحَهُ سامقًا فَخْما[٣١]
بذلتَ لها من صِحّةٍ ورَفاهةٍ فأولتك حُبًّا ما أبرَّ وما أسْمَى[٣٢]
وألهمَتها معنى الثناء ولفظهُ كريمًا، فخُذْه اليومَ من فَمِها نَغْما
إذا كان للرحمنِ في الناسِ آيةٌ فإنَّك بينَ الناسِ آيتُهُ العُظْمى[٣٣]
تلألؤُ رأْيٍ يسلُبُ الشمسَ ضوءَها وكاملُ خُلْقٍ علَّم القمرَ التَّمّا[٣٤]
فإن كرَّمتْكَ اليومَ مصرُ فإنَّما تُكَرِّمُ من أبنائِها رجلًا شَهْما
فقل للذي يبغي لَحَاقَك جاهدًا: رُوَيْدَكَ حتَّى يدخلَ الْجمَل السَّما[٣٥]
إذا ما رأى الناسُ المكارمَ حِلْيةً فأنت تراها في العُلا واجبًا حَتْما
فَعِشْ واملأ الدنيا حياةً وذُكْرَةً فمثْلُك يُعلي ذِكْره العُرْبُ والعُجْما[٣٦]

هوامش

(١) ذؤابة كل شيء: أعلاه. شأو: الغاية والأمد.

(٢) ابن القوافي: الشاعر. شماء: عالية مرتفعة. العصما: جمع أعصم وهو الظبي في ذراعيه أو إحداهما بياض، وهو أقدر الحيوان على تسلق الجبال.

(٣) يعروه: يصيبه. يقتاد: يقود.

(٤) يحكم: يتقن. النقش: الزخرفة.

(٥) اليم: البحر. تلم: تحيط.

(٦) أبا الطب: الدكتور علي إبراهيم باشا.
(٧) شما: شم الطيب، تنفس رائحته بهدوء.
(٨) يقص الشاعر هنا ما أصاب إحدى قريباته من مرض عضال، وما كان من عناية الممدوح بها حتى شفيت.
(٩) الصم: الحجارة الصلبة الملساء.
(١٠) هلال الشك: هو يوم استطلاع هلال أول الشهر العربي حيث يكون الهلال دقيقًا ويكاد لا يرى.
(١١) صراعه: قتله. سحما: سودا.
(١٢) قرح: ألم الجراح. لا تبوخ: لا تطفأ ولا تسكن.
(١٣) العائدات: زائراتها اللائي يعطفن عليها.
(١٤) عييًّا: عاجزًا.
(١٥) الأساة: الأطباء.
(١٦) أدار الدهر صفحته: قلب وجهه. جهمًا: كالح الوجه عابسًا.
(١٧) فثم: فهناك.
(١٨) قدما: قديمًا.
(١٩) مبضع: مشرط.
(٢٠) الجُلَّى: الظاهرة الواضحة. نائله: عطاياه. الجما: الكثيرة.
(٢١) بحده: بنصله. حشاشات: ما بداخلها. أدمى: أنزل الدم.
(٢٢) ومض: لمعان. مضائه: سرعته وهمته.
(٢٣) نهج: الطريق أبانه وأوضحه. أمَّا: قصد.
(٢٤) أناملها: أطراف الأصابع. تلثمها: تقبلها.
(٢٥) ضللت: لم تهتد إليه. كمًّا: عددًا.
(٢٦) زها: افتخر. العقما: عدم الإنجاب.
(٢٧) أجزل: أكثر له العطاء.
(٢٨) تفرع: تزيد ارتفاعًا. الشما: العالية.
(٢٩) ذروة: قمة الشيء وأعلاه. شامخ: شاهق.
(٣٠) وصلت: اتصلت. ذمَّا: ضد المدح.
(٣١) صرحه: البناء العالي الشامخ. سامقًا: عاليًا.

(٣٢) رفاهة: سعة من العيش. أولتك: أعطيتك.

(٣٣) آية: علامة.

(٣٤) تلألؤ: إضاءة. يسلب: يسرق. التما: الكمال.

(٣٥) رويدك: مهلًا. الجمل: هو الحيوان المعروف أو الحبل الغليظ. السما: الثقب وهنا اقتباس من الآية الكريمة: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾.

(٣٦) ذكره: ذكرى.

ليلة وليلى

١٩١٧م

وَلَـيْـلَـةٍ حَـالِـكَـةِ الْـجِـلْـبـابِ أَغْطَشَ مِـنْ خَـافِـيَـةِ الْـغُـرَابِ[١]
كَـأَنَّـهَـا صَـحِـيـفَـةُ الْـمُـغْـتَـابِ أَوْ حَـظُّ مَـحْـدُودٍ مِـنَ الْـكُـتَّـابِ[٢]
أَوْ غَـمَـراتُ الـزاخِـرِ الْـخِـضَـمِّ[٣]
وَقَـفْـتُ فِـيـهـا وِقْـفَـةَ الْـمُـلْـتَـاحِ أُسَـائِـلُ الـنـجْـمَ عَـنِ الـصـبـاحِ[٤]
فَـقَـالَ: سَـلْ عَـنْـهُ عَـتِـيـقَ الـرَّاحِ أَوْ وَجَـنَـاتِ الْـخُـرَّدِ الْـمِـلَاحِ[٥]
فَـلَـيْـسَ لِـي بِـشَـأْنِـهِ مِـنْ عِـلْـم
إِنِّـي رَأَيْـتُ الْـعُـرْبَ الْـحِـسَـانَـا يَـصْـبَـغْـنَ مِـنْـهُ الْـخَـدَّ وَالْـبَـنَـانَـا[٦]
وَرَاهِـبًـا، أَظُـنُّـهُ فُـلَـانَـا أَحْـضَـرَ بِـالأَمْـسِ هُـنَـا دِنَـانَـا[٧]
وَرَاحَ وَهْـيَ مُـفْـعَـمَـاتٌ تَـهْـمِـي[٨]
يَا سَارِقَاتِ الصبْحِ طَالَ لَيْلِي! فَـدَيْـتُـكُـنَّ بَـعْـضَ هَـذَا الـدَّلِّ!
هلْ جازَ في دِينِ الغَرامِ ذُلِّي؟ مَنْ لِي بِأَنْ أَلْقَى الصَّبَاحَ مَنْ لِي؟
باللَّمْحِ أَوْ باللَّمْسِ أَوْ بِاللَّثْمِ
فِـيـكُـنَّ ذاتُ حَـسَـبٍ ودِيـنِ مُـشْـرِقَـةُ الـطَّـلْـعَـةِ وَالْـجَـبِـيـنِ
كَـأَنَّـهـا إِحْـدَى الـظِّـبـاءِ الْـعِـيـنِ مَنْ عاذِرِي فِيهَا، وَمَنْ مُعِينِي؟[٩]
عِيلَ بِهَا صَبْرِي وَطَاشَ حِلْمِي[١٠]
عَـلِـقْـتُـهَـا صـامِـتَـةَ الْـحَـجْـلَـيْـنِ أَنْـصَـعَ مِـنْ سـبـيـكَـةِ الـلُّـجَـيْـنِ[١١]

حَوْرَاءَ مِلءَ الْقَلْبِ، مِلءَ الْعَيْنِ كَأَنَّها اللِّقاءُ بَعْدَ الْبَيْنِ[١٢]
أَوْ عَوْدَةُ الشفاء بَعْدَ السُّقْمِ
حَدِيثُهَا سُلَافةُ النَّدِيمِ وَخُلْقُهَا تَواضُعُ الْيَتِيمِ[١٣]
فَدَيْتُهَا مِنْ مَلَكٍ كَرِيمِ! تَعْرِفُ فِيهَا نَضْرَةَ النَّعِيم
أَنْقَى وَأَصْفَى مِنْ نِطافِ الغَيْمِ[١٤]
أَبْرَزْنَها يَوْمًا فَقُلْتَ: وَاهَا! قُتِلْتُ إِنْ شَبَّبْتُ في سِواهَا!
كَأَنَّهَا، والْحُسْنُ قَدْ جَلَّاهَا لُؤْلُؤَة، تَبْهَرُ مَنْ رَآهَا[١٥]
أَلْقَى بِها الْغَوَّاصُ قُرْبَ الْيَمِّ
لَيْلَايَ يا مضيئةَ اللَّيْلَاتِ! يا مَلَكَ الرحْمَةِ والنَّجاةِ!
عَرَفْتُ مِنْكَ كَرَمَ الصِّفَاتِ وَقِيمَةَ الْحَيَاةِ في الْحَيَاةِ
إِنْ كانَ لي نُعْمٌ فَأَنْتِ نُعْمِي[١٦]

هوامش

(١) أغطش: أظلم. وخافية الغراب: واحدة الخوافي وهي ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفت، أو هي الأربع اللواتي بعد المناكب، أو هي سبع ريشات بعد السبع المقدمات، أو هي ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح.

(٢) المغتاب: الذي يذكر غيره بما يكره.

(٣) الغمرات: جمع غمرة وهي كثرة الماء. الزاخر: الطامي المتلئ. الخضم: البحر.

(٤) الملتاح: المتغير من هم أو سفر أو نحوهما.

(٥) العتيق: القديم. الراح: الخمر. الخرد: جمع خريدة وهي البكر لم تمس، أو الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة.

(٦) العرب: جمع عروب وهي المرأة الضاحكة المتغزلة.

(٧) الراهب: عابد النصارى. الدنان: جمع دن وهو وعاء الخمر.

(٨) راح: رجع. مفعمات: مملوءات. تهمي: تسيل.

(٩) العين: جمع عيناء وهي الحسنة العينين الواسعتهما.

(١٠) عيل صبري: غلب. الحلم: الأناة والعقل.

(١١) علقتها: هويتها وأحببتها. الحجل: الخلخال، وصامته الخلخالين أي: لا يسمع لهما حس، وذلك كناية عن امتلاء ساقيها. اللجين: الفضة.

(١٢) حوراء: صفة من الحور وهو شدة بياض العين في شدة سوادها. البين: الفراق.

(١٣) السلافة: الخمر. النديم: من ينادمك أي يجالسك على الشراب.

(١٤) النطاف: جمع نطفة وهي الماء الصافي. الغيم: السحاب.

(١٥) جلاها: كشفها وأوضحها. تبهر: تغلب بحسنها.

(١٦) نعم: اسم فتاة شبب بها عمر بن أبي ربيعة.

عِيد جُلُوس الفارُوق فِي السودَان

حينما زار الشاعر السودان في سنة ١٩٣٧م، واحتفى السودان حكومته وشعبه بعيد جلوس الفاروق، أنشد الشاعر هذه القصيدة في حفل رسميّ حاشد.

عِيدَ الْجُلُوسِ صَدَقْتَ وَعْدَكَ بِالْمُنَى وَصَدقْتُ وَعْدِي
عَلَّمْتُ طَيْرَ الْوَادِيَيْنِ فَغَرَّدَتْ بِحنَينِ وَجْدِي[١]
وَنَظَمْتُ فِيكَ فَرَائِدًا كَانَتْ لجِيدِك خَيْرَ عِقْدِ[٢]
الشعْرُ يُبْدِي فِيكَ زِينَتَهُ، وَوَجْهُ الرَّوْض يُبْدِي
نَثَرَ الرَّبِيعُ بِكَ الْوُرُو دَ نضِيرَةً وَنَثَرْتُ وَرْدِي
وَوَشَى الْبُرُودَ مِنَ الْأَزَاهِرِ وَانْتَقَى لَكَ خَيْرَ بُرْدِ[٣]
فِيهِ الرياضُ تَبَرَّجَتْ وَتَنَيْنَ مِنْ جيدٍ وَقَدِّ[٤]
كَمْ مِنْ عُيُونٍ غَضَّةٍ فِيهَا وَمِنْ ثَغْرٍ وَخَدِّ[٥]
وَجَرَى النَّسِيمُ مُضَمَّخَ الـ أَرْدَانِ مِنْ مِسْكٍ وَنَدِّ[٦]

* * *

عِيدَ الْجُلُوسِ وَكَمْ حَوَتْ ذِكْرَاكَ مِنْ عِزٍّ وَمَجْدِ
أَصْبَحْتَ وَحْدَكَ فِي الزَّمَا نِ وَصِرْتُ فِي الشُّعَرَاء وَحْدِي
عِنْدِي لَكَ الدُّرَرُ الْحسَا نُ وَأَيْنَ إِنْ لَمْ تُلْفَ عِنْدِي؟[٧]
الشعْرُ لِلأَمْلَاكِ خَيـ ـرُ ذَخِيرَةٍ وَأَعزُّ بَنْدِ[٨]
صَاغَتْ سَوَائِرُهُ لَهُمْ تَاجَيْنِ مِنْ مَجْدٍ وَخُلْدِ[٩]

وَلَـرُبَّ قَـافِـيَـةٍ بِـهَـا ... مَـا شِـئْتَ مِـنْ خَـيْلٍ وَجُـنْـدِ
تَسْرِي فَلَا صَعْبٌ بِصَعـ ... ـبٍ لَا وَلَا بُـعْـدٌ بِـبُـعْـدِ
تَـثِـبُ الْـجِـبَـالَ وَمَـا لَـهَـا ... بَـيْـنَ الْـكَـوَاكِبِ مِـنْ مَـصَـدِّ
الـشِـعْـرُ زَنْـدٌ لـلـقَـوِيِّ ... وَعُـدَّةٌ لِـلْـمُـسْـتَـعِـدِّ[10]
كَمْ زَانَ مِـنْ مُـلْـكٍ كَمَـا ازْ ... دَانَ الْـمُـهَـنَّـد بِـالْـفِـرِنْـدِ[11]

* * *

عِيدَ الْجُلُوسِ وَأَنْتَ فِي الـ ... أعـيـاد فَـرْدٌ أَيُّ فَـرْدِ!
أَلْـفَـى بِـكَ الأَمَـلُ الْـبَـعِـيـ ... ـدُ لِمِصْرَ أَكْرَمَ مُسْتَمَدِّ[12]
وَتَـوَاتَـرَتْ نِـعْـمُ الْإِلـ ... ـهِ تَـجِـلُّ عَـنْ حَـصْـرٍ وَعَـدِّ

* * *

«فَـارُوقُ» يَـا أُسَّ الـرجـا ... ءِ وَمُـلْـتَـقَـى الـرَّكْـنِ الأَشَـدِّ[13]
جُـمِّـلْـتَ بِـالـقَـوْلِ الـسـدِيـ ... ـدِ وَسَـاطِـعِ الـرأْيِ الأَسَـدِّ
وَهَـبَـتْ لَـكَ الـدنْـيـا مَـفَـا ... تِـحَ مَـجْـدِهَـا مِـنْ غَـيْـرِ رَدِّ[14]
وَضَـمَـمْـتَ بُـرْدَ شَـبَـابِـكَ الـزَّا ... هِـي عَـلَـى جِـدٍّ وَجَـدِّ[15]
خُـلُـقٌ كَـأَزْرَارِ الـنَّـسِـيـمِ ... تَـفَـتَّـحَـتْ عَـنْ نَـفْـحِ رَنْـدِ[16]
وَعَـزِيـمَـةٌ لَـوْ لاطَـمَـتْ ... أُحُـدًا مَـضَـتْ أَيَّـامُ أُحْـدِ[17]
طَـهُـرتْ مِـنَ الصَّـلَـفِ الذَّمِيـ ... ـمِ وَعُـنْـفُـوَانِ الْـمُـسْـتَـبِـدِّ[18]
تَـجْـرِي على سَـنَنِ الْـمُـهَـيـ ... ـمِـنِ بَـيْـنَ إِيـمـانٍ وَرُشْـدِ[19]
مَـنْ سَـارَ فِـي نُـورِ الْإِلـ ... ـهِ سَـعَـى إِلَـيْـهِ كُـلُّ قَـصْـدِ[20]
وَمَـضَـى فَـعَـادَ الْـوَهْـدُ مُـسـ ... ـتَـويًـا وَطَـأْطَـأَ كُـلُّ نَـجْـدِ[21]
الْـمَـجْـدُ وَهْـوَ مُـنَـى الْـحَـيَـا ... ةِ أُعِـدَّ لِـلْـبَـطَـلِ الْـمُـجِـدِّ
حَـسْـنَـاءُ دُونَ حِـجَـابِـهَـا ... رَصَـدَانِ مِـنْ هَـجْـرٍ وَصَـدِّ[22]
تَـقِـفُ الْـعُـيُـونُ حِـيَـالَـهَـا ... حَـيْـرَى عَـلَـى شَـغَـفٍ وَسُـهْـدِ
مَـهْـرُ الْـبُـطُـولَـةِ مَـا أَجَـلْ ... لَ فَـمَـنْ يُـوَفِّـي أَوْ يُـؤَدِّي!
لَا تَـبْـكِ إِنْ عَـزَّ الـسـبِـيـ ... ـلُ فَإِنَّ نَوْحَكَ غَيْرُ مُجْدِي
وَاعْمَلْ بِجُهْدِكَ ما اسْتَطَعـ ... ـتَ فَلَنْ تفُوزَ بِغَيْرِ جُهْدِ

فـالـسَّـيْـفُ غِـمْـدٌ مـا أَقَـا مَ وَلَـمْ يُـفَـارِقْ جَـوْفَ غِـمْـدِ

* * *

«فَـارُوقُ» فَـرْدٌ فِـي الْـجَـلَا لِ يَـجِـلُّ عَـنْ وَصْـفٍ وَحَـدِّ
الْـعَـبْـقَـريَّـةُ أَنْ تُـحَـلـ ـلـقَ لـلـنُّـجُـومِ بِـغَـيْـرِ نِـدِّ
وَتَـنـالَ قَـسْـرًا مِـنْ فَـمِ الـد نْـيَـا حَـلاوَةَ كُـلِّ حَـمْـدِ

* * *

مَـنْ كَـالْـمَـلِـيكِ إِذَا انْـتَـمَـى بَـهَـرَ الْـعُـلَا بِـأَبٍ وَجَـدِّ؟
كَـانَـا لِـمِـصْـرَ وَأَهْـلِـهَـا عَـضُـدًا يَـصُـولُ بِـخَـيْـرِ زَنْـدِ
رَكِـبَـا الْـعَـزَائِـمَ لِـلْـعَـظَـا ئِـمِ بَـيْـنَ إِيـجـافٍ وَشَـدِّ[٢٣]
مَـلَـكَـا خِـطـامَ الْـحَـادِثـا تِ وَمِـقْـوَدَ الـدهْـرِ الأَلَـدِّ[٢٤]
وَتَـحَـدَّيَـا قَـصَـبَ الـسـبَـا قِ فَـأَذْعَـنَـتْ عِـنْـدَ التَّـحَـدِّي[٢٥]
شَـرَفٌ إِذَا اخْـتَـارَ الْـمُـقـا مَ أَقـامَ فـي عُـلْـيَـا مَـعَـدِّ[٢٦]
فَـلَـكَـمْ تَـنَـقَّـلَ فِـي الْـعُـلَا مِـنْ مَـهْـدِ مَـكْـرُمَـةٍ لِـمَـهْـدِ
مِـنْ كُـلِّ أَرْوَعَ صـادِقِ الـرَّ مَـيَـاتِ كَـالْـوَتـرِ الْـعُـرُدِّ[٢٧]
جَـعْـدٍ أَبِـيٍّ يَـنْـتَـمِـي لِـمُـوَثَّـقِ الْـعَـزَمـاتِ جَـعْـدِ[٢٨]
جَـلْـدٍ، وَهَـلْ خَـضَـعَ الـزمـا نُ لِـغَـيْـرِ صُـلْـبِ الْـعُـودِ جَـلِدِ؟[٢٩]

* * *

إِنِّـي نَـزَلْـتُ بِـجَـيـرَةٍ بُـسْـلٍ عَـلَـى النَّـجَـدَاتِ حَـشْـدِ
أُنْـسِـيـتُ أَهْـلِـي بَـيْـنَـهُـمْ وَسَـلَـوْتُ إِخْـوَانِـي وَوُلْـدِي
الـضَـيْـفُ فِـي سَـاحَـاتِـهِـمْ يَـجْـتَـازُ مِـنْ رِفْـدٍ لِـرِفْـدِ[٣٠]
عَـقَـدُوا خَـنَـاصِـرَهُـمْ عَـلَـى صِـدْقِ الْـوَفـاءِ أَشَـدَّ عَـقْـدِ[٣١]
وَمَـضَـتْ أَوَاصِـرُنَـا تُـمَـدُّ إِلَـى الْـعُـرُوبـةِ خَـيْـرَ مَـدِّ[٣٢]

* * *

«فَارُوقُ» عِشْ نَجْمًا يُضِيءُ بِـيُـمْـنِ إِقْـبَـالٍ وَسَـعْـدِ
قَـدْ كَـانَ عَـهْـدُكَ فِـي عُـهُـو دِ الـمَـالِـكِـيـنَ أَجَـلَّ عَـهْـدِ

بَلَغَتْ بِهِ مِصْرُ الْمَدَى وَتَخَلَّصَتْ مِنْ كُلِّ قَدِّ[٣٣]
خُذْهَا عُجَالَةَ شَاعِرٍ تُغْنِي عَنِ الْقَوْلِ الْمُعَدِّ
سَلَكَتْ سَبِيلًا لَيِّنًا سَهْلًا وَجافَتْ كُلَّ صَلْدِ[٣٤]
وَالرَوْضُ إِنْ صَدَحَتْ بَلَا بِلُهُ صَدَحْنَ بِغَيْرِ كَدِّ
فَاهْنَأْ بِعِيدِكَ فِي نَعِيـ ـمٍ مُشْرِقِ الْبَسَمَاتِ رَغْدِ
تَفْدِيكَ مِصْرُ وَنِيلُهَا عَاشَ الْمُفَدَّى والْمُفَدِّي!

هوامش

(١) يريد بالواديين مصر والسودان.

(٢) الفرائد: جمع فريدة وهي الجوهرة النفيسة. الجيد: العنق. العقد: القلادة.

(٣) وشيت الثوب: رقمته ونقشته. البرود: جمع برد وهو ثوب مخطط.

(٤) الجيد: العنق. القد: القوام وهو القامة وحسن الطول.

(٥) غضة: ناضرة ذات حسن ورونق.

(٦) ضمخه بالطيب: لطخه به. الأردان: جمع ردن وهو أصل الكم. المسك: طيب معروف وهو أفضل الطيب عند العرب. الند: نوع من الطيب أو هو العنبر. أو عود طيب الرائحة يتبخر به.

(٧) الدرر: جمع درة وهي اللؤلؤة العظيمة. تلفى: توجد.

(٨) الأملاك: جمع ملك. البند: العلم الكبير.

(٩) السوائر: جمع سائرة أي: ذائعة منتشرة.

(١٠) الزند: موصل طرف الذراع في الكف، وهو من مكامن القوة في الإنسان.

(١١) المهند: السيف المطبوع من حديد الهند. الفرند: جوهر السيف ووشبه وبريقه.

(١٢) ألفى: وجد. المستمد: المكان الذي يطلب منه المدد، أو الزمان الذي يطلب فيه.

(١٣) الأس: الأساس والأصل. الركن: زاوية البناء، وهي أقوى ما فيه وأشده.

(١٤) المجد: العزم والشرف. وقوله: «من غير رد» احتراس جميل؛ لأن الهبة يصح أن تسترد.

(١٥) البرد: الثوب. الجد بالكسر: الاجتهاد في الأمر. الجد بالفتح: السعد والعظمة.

(١٦) أزار القميص وأحدهما زر. النسيم: الريح الطيبة. الرند: شجر طيب الرائحة من أشجار البادية.

(١٧) أحد: جبل بقرب مدينة النبي ﷺ وكانت به الغزوة الشهيرة المعروفة بغزوة أُحُد.

(١٨) الصلف: التكبر. عنفوان الشيء: أوله، والمراد شدته. المستبد بالأمر: المتفرد به من غير مشارك له.

(١٩) السنن: الطريقة والسنة. المهيمن: من أسماء الله تعالى بمعنى الرقيب والحافظ.

(٢٠) القصد: بمعنى المقصود.

(٢١) الوهد: الأرض المنخفضة. طأطأ رأسه: طامنه وخفضه. النجد: ما ارتفع من الأرض.

(٢٢) الرصد: القوم يرصدون ويرقبون، يستوي فيه الواحد والجمع. الهجر: ضد الوصل. الصد: الانصراف والإعراض.

(٢٣) الإيجاف: مصدر أوجف الراكب بعيره أو فرسه أي: حمله على الوجيف وهو العدو. الشد: العدو.

(٢٤) الخطام: الزمام وهو المقود أي: الحبل الذي تقاد به الدابة. الألد: الشديد الخصومة.

(٢٥) القصب: كل نبات تكون ساقه أنابيب وكعوبًا. الواحدة قصبة، وقصب السباق أصله أنهم كانوا ينصبون في حلبة السباق قصبًا، فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق من غير نزاع. أذعنت: خضعت وذلت.

(٢٦) معد بن عدنان: أبو العرب.

(٢٧) الأروع: الوسيم الشجاع. الوتر: شرعة القوس ومعلقها. العرد: القويّ المتين الصلب.

(٢٨) الجعد: الكريم. الأبي: العف الغني النفس الذي يأبى الدنايا ويكرهها. ينتمي: ينتسب. الموثق العزمات: القوي الإرادة المحكم التدبير.

(٢٩) الجلد: صفة من الجلد وهو الصلابة.

(٣٠) الرفد: العطاء والصلة.

(٣١) الخناصر: جمع خنصر وهي الأصبع الصغرى، وعقد الخناصر على الشيء كناية عن شدة الحرص عليه.

(٣٢) الأواصر: جمع آصرة وهي الرحم والقرابة.

(٣٣) المدى: الغاية. القد بالكسر: سير يقد من جلد غير مدبوغ يقيد به الأسير ونحوه.

(٣٤) جافت: باعدت. والصلد: الصلب.

رِثَاء أمِين

يبكي الشاعر في هذه القصيدة صديق شبابه الأستاذ محمد أمين لطفي، وكان وكيلًا مساعدًا بوزارة المعارف، وقد أنشدت هذه القصيدة في جمع حافل بدار الأوبر في آخر يناير سنة ١٩٣٦م.

أَتَدْرِي العُلَا مَنْ شَيَّعَت حِينَ شَيَّعوا؟ ومَنْ ودَّعتْ يومَ الرَّحِيلِ وَوَدَّعُوا
بَكَيْنا، فَلَمْ يَشْفِ البُكَا حُرْقَةَ النَّوَى وَلكِن إذا ضَاق الْفَتى كَيْف يَصْنَعُ؟[١]
تَهيجُ بنا الذِّكْرَى، فَيغْلِبنَا الأسَى وتدركنا رُحْمَى الإلهِ فنَخْضَع[٢]
هو المَوْتُ سَهْمٌ في يَدِ الله قَوْسُهُ فَلا الحزْمُ يَثْنِيه، ولا الكَفُّ تَدْفَع
نَرُوحُ إلى حاجَاتِنا، وَهْوَ راصِدٌ وننثرُ من آمالِنا، وهو يَجْمَعُ[٣]
بِنَفْسِي أمينًا في ثِيابِ شَبَابِه يَطِير به الأمْسُ الذي لَيْسَ يَرْجِعُ[٤]
أقام كمَا تبْقَى الأزَاهِير لَمْحةً وزَالَ كما زَال الْخَيالُ المودِّع[٥]
فَقَدْنَاهُ فِقدانَ الكمِيِّ سلاحَه (وما بين قِيدِ الرمحِ والرمحِ إصْبع)[٦]
فقدناه، حتى قد فقدنا وجودَنا فهل بَقِيَتْ إلّا جُفونٌ وأدمع؟
فقدناه، فقْدانَ الأليفِ أليفَه يصيحُ به في كل روضٍ ويسجَع[٧]
يسائلُ عنه الأفقَ، والطيرُ حُوَّمٌ ويستخبرُ الأمواهَ، والطيرُ شُرَّع[٨]
يَدِفُّ فيحوي الأرضَ منه تأملٌ ويعلو فيعلو النجمُ منه تطلُّع[٩]
يظنُّ خفيفَ الدوحِ خَفْقَ جَناحِه إذا همستْ منه غصونٌ وأفْرعُ
ويحسَبُ تَحنانَ الغديرِ هَديلَه فَيحبِسُ من زَفْراتِهِ ثم يَسْمع[١٠]
لقد ملَّتِ الغاباتُ مما يجوسُها وملَّ صِماخُ الليلِ ممّا يُرَجَّع[١١]

لـه أنَّـةُ الـمـجـروحِ أعـيـا طـبـيـبَـه ... وضجَّ لما يشكو وِسادٌ ومَضْجَع
كـأنَّ جَـنـاحَـيْـهِ شِـراعُ سـفـيـنـةٍ ... دهـتـهـا مـن الأرواحِ نـكْـبـاءُ زَعْـزَع[١٢]
تُضاحِكُهُ الآمالُ حِينًا فيرتجي ... ويَجْبَهُهُ اليأسُ العبوسُ فيخْشَع[١٣]
لـدَى كلِّ عُشٍّ صاحـبـاه، وعُـشُّـه ... خَـلِـيٌّ مـن الألَّافِ قَـفْـرٌ مُـصَـدَّع[١٤]
عَـزاءً عـزاءً أيـهـا الـطـيـرُ إنـمـا ... لكل امرئٍ فِي ساحةِ العمرِ مَصْرَعُ
فـأيـن مـن الـطـيـر الـهـديلُ وَوُلْـدُهُ؟ ... وأين من الأملاكِ كِسْرَى وتُبَّعُ؟[١٥]
طـواهـم خِـضَـمٌّ لا يُـنـادَى ولـيـدُه ... يـطـوِّحُـهـم آذيُّـهُ الـمـتـدفِّـع[١٦]

* * *

رمتني الليالي قبلَ نَعْيِكَ رَمْيَةً ... عَرفتُ بها كيف القلوبُ تَقَطَّع[١٧]
نِصالٌ حِدادٌ قد أَلِمْتُ لـحَـمْـلِـهـا ... وأعْلَمُ أنـي هـالـكٌ حـيـن تُـنْـزَع[١٨]
فلما رماني سهمُك اليومَ وانطوتْ ... عـلـيـه جُـنـوبٌ خـافـقـاتٌ وأضْـلـع[١٩]
أَمِنْتُ على قلبي السهامَ فلم يَعُدْ ... به بعد خطبِ الأمسِ واليومِ مَوْضِع

* * *

أأنسَى أمـيـنًا، والـشـبـابُ يَـحُـفُـنُّـا ... جديدًا، وروضُ الودِّ بالوُدِّ مُمرِعُ[٢٠]
بـأرضٍ إذا غَصَّ الـنَّـهـارُ بِـغَـيْـمِـهـا ... فـوجـهُ أمـيـنٍ أيـنـمـا لاح يَـسـطَـع[٢١]
نَسيتُ به أهلي، ويا رُبَّ صاحبٍ ... أبـرُّ مـن ابـن الأم قـلـبًـا وأنـفـع
يـغـالـبـنـي شـوقٌ إلـى الـفـنِّ رائـعٌ ... ويـجـذِبُـه مَـيْـلٌ إلـى الـعِـلـم أرْوَع
نـروحُ ونـغـدو لاهِـيَـيْـنِ، ولـم نـكـن ... نـخـاف رزايـا الـدهـرِ أو نـتـوقَّـع[٢٢]
ونضحَكُ للدنيا اللعوبِ وزُورِها ... ونـمـرَحُ فـي زَهْـوِ الـشـبـاب ونـرتَـع
وكـنـا نـرَى الأيـامَ أحـلامَ نـائـمٍ ... فـأيـقـظـنـا مـنـهـا الأليـمُ الـمُـرَوَّع[٢٣]
وكـانـت غِـنـاءً كـلُّـهـا ثـم أصـبـحـت ... ولـيـس بـهـا إلَّا الـرثـاءُ الـمـفَـجِّـع[٢٤]

* * *

أتذكرْ إذ نمشي إلى الدرسِ بُكْرَةً ... بِـنُـوتِـنْـجِـهـام، تـسـتـحِـثُّ فـأُسـرع؟[٢٥]
وقد حجب الشمس الضبابُ كأنَّما ... تلا الليلَ ليلٌ عاكرُ اللونِ أسْفَعُ[٢٦]
بـلادٌ كـأنَّ الـشـمـس مـاتـت بـأُفـقِـهـا ... فـظـلَّـتْ عـليـهـا أعـينُ الـسُّـحْـبِ تَـدمَـع

كأنَّ المصابيحَ الخوافقَ حَوْلَنا ... سيوفُ وَغًى في ظُلمةِ النَّقْعِ تلمَع[٢٧]
كأنَّ بياضَ الثلجِ يُنْثَرُ فوقَنا ... صحِيفتُك البيضاءُ بل هي أَنصع
تُناقِلني حُلْوَ الحديث كأنَّه ... وقد رقَّ معناه الرحيقُ المُشَعْشَع[٢٨]
خِلالٌ كريماتٌ أرقُّ من الصَّبا ... وأنضرُ من وَشْي الرياضِ وأضْوع[٢٩]
وَلِعتْ بها عُمْري، وأكْبَرْتُ ربَّها ... وإني بأخلاقِ الكرامِ لمُولَع[٣٠]
وقد كنتَ عفَّ النفسِ واللفظِ والنُّهى ... فلا الرأْيُ مأفونٌ ولا القولُ مُقْذِع[٣١]
تكُدُّ كما كدَّ النِّمالُ، وترتوي ... زُلالًا من العلم الصحيح وتكْرَعُ[٣٢]
فتًى طَلَب الدُّنْيا كَريمًا فنَالَها ... ولَيْس له فيها سِوَى المجْدِ مَطْمعُ
وسَعْيُ كَبيرِ النَّفْس للنَّفْسِ مُكْبِرٌ ... وسَعْيُ صَغيرِ النَّفْسِ للنَّفْسِ مُخْضِع
وأعْظَمُ أخْلَاقِ الفَتَى هِمَّة الفَتى ... وعَزْمٌ حَدِيدُ النَّصل لا يَتَزَعْزَعُ
إذَا وَفَّقَ اللهُ امْرأً في طِلَابِه ... دَنَا الصَّعْبُ، وانْقَاد العَسِير المُمَنَّعُ
قَنَعْنا بما دُونَ القَليل، ولَمْ تَكُنْ ... بِغَيْرِ جَلِيلات المَطَالب تَقْنَع
وعُدْتَ وفي يُمْنَاكَ أَسْمَى شَهادةٍ ... وأَشْرفُ عُنْوان لِمِصْرَ وأرْفَع
رَسمتَ لشُبَّانِ البِلَادِ طَرِيقَهُمْ ... فَأَبْدَعْتَ فيما قَدْ رَسَمْت وأَبْدَعُوا
ومَنْ طَلَب الْمَجْد المَنِيعَ فَما له ... سِوَى سِيرَةِ الأَبْطَالِ في النَّاس مَهْيَعُ[٣٣]

* * *

وقد كنت فُيْ كُلّ المَناصِبِ سَيِّدًا ... تَزِينُك في الدُّنْيا خَلَائِقُ أَرْبَع
فَحزْمٌ كما تَرْضى العُلَا، وتواضُعٌ ... وعَزْمٌ كما تَرْضَى العُلا، وتَرَفُّعُ[٣٤]
لَكَ البسْمَةُ الزَّهْرَاءُ تَلْمَعُ كالضُّحَى ... وتُدْفِئ مِنْ قَلْبِ الجَبَانِ فَيَشْجعُ
حَرِيصٌ على وُدِّ الصَّدِيق كأنَّما ... مَوَدَّتُه العَهْد الذِي لا يُضَيَّع
إذا قَرأ الأَوْرَاقَ للرَّأْيِ فاتّئِدْ ... فقَدْ قَرَأ الأَوْراق للرَّأْيِ أَلْمع
وإن صَدَعَتْ بالحُكْم يومًا شِفَاهُهُ ... فَلَيْس بغَيرِ الْحَقِّ والعَدْلِ تَصْدَع[٣٥]

* * *

عَجِبْتُ لصَدْرٍ ضَاق بالدَّاء حِلْمُه ... وأَرْجَاؤُه مِنْ شَاسِع البِيد أَوْسَعُ[٣٦]
مَرِضْت، فقُلْنَا: مَشْرَفِيٌّ بِغمْده ... تَوارَى، ونَجمٌ عنْ قَليلٍ سيَطْلُع[٣٧]
ولَمْ نَدْرِ أنَّ الْمَوْتَ باسِطُ كَفِّه ... إلى الغُصْنِ في ريْعَانِه وهو مُونِع[٣٨]

وأنَّ النَّوَى الْحَمقَاء شَدَّتْ رِحَالَها وأَنَّ أَمِينَ الرَّكْبِ للبَيْن مُزْمِعُ[٣٩]
وأنَّ المَعَالِي والمكَارِمَ والحِجَا سيَضْمَنها قَفْرٌ من الأَرْضِ بَلْقَع[٤٠]
وأنَّ قَضَاء اللهِ حُمَّ، فمَا لَنَا مَحِيصٌ، ولا مِمَّا قَضَى اللهُ مَفْزَع[٤١]
إذا بَرَعَ الطِّبُّ الحدِيثُ فَقُلْ لَهُ: يَدُ المَوْتِ أَمْضَى مِنْ يَدَيْك وأَبْرَع
وإنَّ الفَتى ماضٍ وماضٍ طبيبُه وعائدُه مِنْ بَعْدِه والمُشَيِّع

* * *

أمينُ، وظِلُّ الْمَوْتِ يَفْصِلُ بيْنَنَا سَبَقْتَ، وإنِّي عَنْ قَلِيلٍ سأَتْبِع[٤٢]
ونَرْجع للْحُسْنَى كَمَا كَانَ عَهْدُنا فَلَا نَشْتَكِي هَمًّا ولَا نَتَوَجَّع
وما مَاتَ مَنْ أَبْقى ثَنَاءً مُخَلَّدًا وذِكْرًا يُسَامِي النَّيِّراتِ وَيفْرَع[٤٣]
إذا ذَهَبَ المِسْكُ الذَّكِيُّ فَإنَّه يَزُول وَيَبْقَى نَشْرُه المُتّضَوِّع[٤٤]

هوامش

(١) النوى: الفرقة والبعد. حرقة النوى: لذعتها.

(٢) تهيج: تثور.

(٣) راصد: مترقب بنا الدوائر ينتهز الوقيعة. نثر الآمال: تشعبها وتعدد مناحيها.

(٤) بنفسي أمينًا: أي أفدي أمينًا بنفسي.

(٥) الأزاهير: جمع الأزهار. ويضرب المثل في القصر بأعمارها.

(٦) الكمي: الشجاع.

(٧) الأليفان من الحمائم: الذكر والأنثى. تسجع: تغرد نائحة.

(٨) يقال: حوم الطائر: وذلك إذا دوم في طيرانه. شرع: أي مجتمعة حول الماء لتشرب.

(٩) يقال: دف الطائر: وذلك إذا مر فوق الأرض. ويحوي الأرض ... إلخ أي: يحيط تأمله بجميع ما على الأرض وذلك لقربه منها في طيرانه.

(١٠) تحنان الغدير: خرير مياهه. هديل الحمام: سجعه. زفراته: أنفاسه.

(١١) يجوسها: يذهب خلالها ويجيء. الصماخ: خرق الأذن حيث تنحدر منه إليها المسموعات. الترجيع: ترديد الصوت في الحلق.

(١٢) دهتها: أصابتها. الأرواح: الرياح. والنكباء الريح تنحرف عن مهبها. الزعزع: الريح العاصفة.

(١٣) تجبهه: تواجهه بما يكره.

(١٤) قفر: خال. مصدع: أي قد تفرق جمع ساكنيه وتشتت شملهم.

(١٥) الهديل: فرخ من الحمام كان على عهد نوح يقال إنه مات عطشًا. كسرى: لقب لملوك الفرس. تبع: لقب لملوك اليمن.

(١٦) الخضم: البحر. الآذي: الموج.

(١٧) يشير بهذا البيت والأبيات الثلاثة بعده إلى خطب (الشاعر) في ابن له انتزعه القدر من بين يديه ناشئًا صغيرًا، ورحل عنه في نوفمبر ١٩٣٥م عن عشرين عامًا.

(١٨) النصال: جمع نصل. وهو حديدة السكين والسيف والرمح. حداد: حادة.

(١٩) انطوت عليه: انضمت عليه. وخافقات: مضطربات همًّا وحزنًا.

(٢٠) ممرع: مخصب معشب.

(٢١) بأرض: يقصد بلاد الإنجليز وقد اشتهرت بغيومها واحتجاب شمسها.

(٢٢) رزايا الدهر: أرزاؤه وما يصيب به مما يعيا بحمله الإنسان.

(٢٣) المروع: المفزع.

(٢٤) المفجع: الموجع المؤلم.

(٢٥) بكرة: أول النهار. نوتنجهام: إحدى مدن إنجلترا. وكانت فيها الجامعة التي تلقى فيها الشاعر والفقيد علومهما. تستحث: تحفزني للإسراع وتستنهضني.

(٢٦) الأسفع: الأسود المشرب حمرة.

(٢٧) الخوافق: المضطربة. الوغى: الحرب. النقع: الغبار تثيره الحرب.

(٢٨) الرحيق: أطيب الخمر وخالصها. المشعشع: الممزوج منها. وهو أشد أثرًا ولعبًا بالرءوس.

(٢٩) الصبا: ريح باردة منعشة. وشي الرياض: ألوان زهرها المختلفة. أضوع: أكثر رائحة وأذكى.

(٣٠) ولعت: أغرمت وشغفت بها.

(٣١) المأفون: الضعيف الفاسد الرأي. المقذع: المفحش.

(٣٢) الزلال: العذب الصافي. تكرع: تشرب.

(٣٣) المهيع: الطريق البين الواضح.

(٣٤) النهى: جمع نهية. وهي العقل، وسمي العقل بها؛ لأنه ينهى عن كل مرذول قبيح.

(٣٥) صدعت بالحكم: نطقت به وجهرت.

(٣٦) البيد: جمع بيداء، وهي الفلاة الواسعة. يشير إلى موته بعلة الصدر ويعجب كيف أن صدره الرحب لم يتسع لمثل هذا الداء.

(٣٧) المشرفي: السيف، منسوب إلى المشارف، وهي قرى من أرض اليمن، وقيل: من أرض العرب تدنو من الريف. غمد السيف: جفنه.

(٣٨) ريعانه: اكتماله وتمام قوته. مونع: قد أدرك ونضج.

(٣٩) النوى: الفرقة، ويريد بها الموت. الرحال: جمع رحل، وهو ما يوضع على الراحلة. شد الرحال: كناية عن الأهبة للرحيل. أمين الركب: هو الفقيد. مزمع: عازم.

(٤٠) الحجا: العقل والفطنة. البلقع: التي لا أنيس بها.

(٤١) حم القضاء: وقع. ما لنا محيص: أي ليس لنا عنه محيد ولا منه مهرب. مفزع: أي مكان نلجأ ونفزع إليه فنتقي به ما وقع.

(٤٢) ظل الموت: حجابه.

(٤٣) يسامي: يباريها في السمو والرفعة. النيرات: الكواكب المضيئة المشرقة. يفرع: يعلو.

(٤٤) الذكي: الذي تسطع رائحته. نشره: ما ينبعث عنه من رائحة طيبة. المتضوع: المنتشر.

وزارة سَعد

ألقيت أمام سعد زغلول، حينما زار وزارة المعارف سنة ١٩٢٤م وكان رئيسًا للوزراء.

الْـيَـوْمُ يـومُـكِ مِـصْـرُ لـلـهِ حَـمْـدٌ وَشُـكْـرُ
فَـلَـنْ يَـرُوعَـكِ رِقٌّ وَلَـنْ يَـمَـسَّـك أسـرُ
وَكُلُّ مـا فـيكِ صَـفْـوٌ وَكُـلُّ مَـنْ فِـيـكِ حُـرُّ
سَـعْـدٌ يَـحُـوطُ بَـنِـيـه وَهْـوَ الأَعَـزُّ الأَبَـرُّ
دَعَـتْـهُ مـصْـرُ فَـلَـبَّـى وَالْـوَجْـهُ يَـعْـلُـوهُ بِـشْـرُ
فِي سَاعَةٍ لَيْسَ فِيهَا مِـنَ الـفِـرَارِ مَـفَـرُّ[1]
الْمَوْتُ يَحْصُدُ حَصْدًا وَالسِّجْنُ لِلْحُرِّ قَبْرُ[2]
والأَرْضُ تَـهْـتَـزُّ رُعْـبًـا فَـمَـا لَـهَـا مُـسْـتَـقَـرُّ
يَسْرِي مَعَ اللَّيْلِ هَمٌّ وَيَخْنُقُ الشَّمْسَ ذُعْرُ
تَحَدُّثُ النَّاسِ هَمْسٌ كَـأَنَّـمَـا هُـوَ فِـكْـرُ
وَمِصْرُ تَرْقُبُ سَطْرًا لِلـ ـمَوْتِ يَتْلُوهُ سَطْرُ
إِذَا نِـدَاءٌ جَـهِـيـرٌ يَـهُـزُّ مِـصْـرَ وَزَأْرُ
زَأْرُ الْـهِـزَبْـرِ الْـمُـفَـدَّى سَـعْـدٍ وَنِـعْـمَ الْـهِـزَبْـرُ[3]
دَعَـوْتَ قَـوْمَـكَ حَـتَّـى أَسْمَعْتَ مَنْ فيه وَقْرُ[4]
وَقُمْتَ فِيهم خَطِيبًا لَـهُ عَـلَـى الْـقَـوْلِ أَمْـرُ
مُـفَـصَّـلَات قِـصَـارُ لَـهَـا رنِـيـنٌ وَنَـبْـرُ[5]
وَحِـكْـمَـةٌ فِـي بَـيَـانٍ إِنَّ الْـبَـيَـانَ لَـسِـحْـرُ

قَـلْـبٌ أَبِـيٌّ شَـمُـوسٌ عَلَى الْخُطُوبِ وَصَدْرُ[٦]
وَعَـزْمَـةٌ مِـنْ حَـدِيـدٍ لَـهَـا عُـرَامُ وَأَزْرُ[٧]
أبتْ عَلَى الدَّهْرِ لينًا سِيّانِ عُسْرٌ وَيُسْرُ
بَانِي الْجِبَالِ بَنَاهَا مَـنِـيـعَـةً لَا تَـخِـرُّ
فلم يَكُنْ غيرَ سعدٍ لمصرَ رِدْءٌ وذُخْرُ[٨]
فلم يَكُنْ غيرَ سَعْدٍ للناس وِرْدٌ وذِكْرُ[٩]
جاءوا إليكَ سِراعًا لهم أزِيزٌ وهدْرُ
الشيخُ يتلوه قَسٌّ والقَسُّ يتلوه حَبْرُ
ودينُهم حُبُّ مِصْرٍ وغيرُ ذلكَ كُفْرُ
في كلِّ قَلْبٍ يقينٌ وحُسْنُ عَزْمٍ وصَبْرُ
وليس في الكفِّ بِيضٌ وليس في الكفِّ سُمْرُ[١٠]
فَقُدْتَهُمْ نَحْو فَخْرٍ لِمصرَ يتلوه فَخْرُ
رُوحٌ من اللهِ جاءت من السماء ونَصْرُ
ونَهْضَةٌ كان فيها للهِ قَبْلَكَ سِرُّ
سِرْ بالسفِينَةِ هَوْنًا فليس ثَمَّةَ صَخْرُ
البحرُ صافٍ أمينٌ وأنتَ بالسِّفْرِ بَرُّ
تعِيشُ مِصْرُ وتبقَى فَقُرَّةُ العَيْنِ مِصْرُ

هوامش

(١) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى قيام سعد بالمطالبة بحق مصر في وقت كان يحجم غيره عن التقدم ويولي خوفًا.

(٢) يصف حال مصر إبان ثورتها سنة ١٩١٩م.

(٣) الهزبر: الأسد.

(٤) الوقر: الصمم.

(٥) مفصلات قصار: أي كلمات بينة الدلالة وافية بالإبانة على قصرها. النبر: ارتفاع الصوت.

(٦) الأبي: الذي يأبى الدنية كبرًا. شموس على الخطوب: أي لا يذل لها ولا يخضع.

(٧) العرام: الشدة والحدة. الأزر: القوة.
(٨) الردء: العون والناصر. الذخر: ما تعده لوقت الحاجة.
(٩) الورد: ما يتلوه الإنسان ويردده.
(١٠) البيض: السيوف. السمر: الرماح.

إلى نادي المعلمين

نشرت هذه الأبيات في سنة ١٩٤٧م بعد أن منحت الدولة المعلمين نادي العلمين؛ ليكون ناديًا لهم.

يا نَادِيَ «العلَمين» صرتَ لفتيةٍ كانت مواقفُهم بمِصرَ مشرِّفهْ[١]
قد توَّج النطق «الكريم» جهادَهم وسما بمن يبني العقولَ وأنصفه
زادوك «ميمًا» فازدهيتَ بحسنها تيهًا، ولم تكُ غيرَ «ميم المعرفه»[٢]

هوامش

(١) العلمين: بلد غرب الإسكندرية حدثت به معركة فاصلة بين دول الحلفاء (إنجلترا وفرنسا وأمريكا) ودولتي المحور (ألمانيا وإيطاليا) في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩–١٩٤٤م)، وانهزم فيه القائد الألماني الشهير روميل. وقد سمي النادي باسمه؛ لأن جنود الحلفاء كانوا يجعلونه منتدى لهم فلما منحته الدولة للمعلمين غيروا اسمه وسموه نادي المعلمين بدلًا من العلمين.

(٢) ميمًا: حرف الميم في الحروف الهجائية.

تهنِئةُ المليكِ بالعيد (فاروق الأول)

عيد الفطر المبارك سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٧م

أَسَمِعْتَ شَدْوَ الطائرِ الغِرِّيدِ ... هَزِجًا يُنَاغِي فَجْرَ يَوْمَ العِيدِ؟[١]
وَبَدَا عَمُودُ الصُّبح أَبْيَضَ ناصِعًا ... كالسَّلْسَلِ الضَّحْضَاحِ فَوْق جَلِيدِ[٢]
أَوْ كاليدِ البَيْضَاء تَنْضَح بالنَّدَى ... والغيث، أو جِيدِ العَذَارَى الغِيدِ
أو كاقْتِبَالِ الْحُسْنِ بعد تَحَجُّبٍ ... أَو كابتسام الدَّلِّ بعد صُدُودِ[٣]
وإذا لَمَحْتَ الشَّرْق خِلْتَ عَرَائِسًا ... مَاسَتْ بثوبٍ كالشَّباب جَدِيدِ[٤]
يَرْفُلْنَ في ضَافِي الضِّياءِ نَوَاعِمًا ... في سِحْرِ أَنغام، وَلينِ قُدُودِ[٥]
وَدَمُ الشَّباب له روائعُ نَشْوَةٍ ... ما نَالَها يومًا دَمُ العُنْقُودِ[٦]
مَا بين طَرْفٍ بالخديعة ناعِس ... ثَمِلٍ، وآخَرُ في الهوى عِرْبِيدِ

* * *

وَدَّعْتُ أيامَ الشَّبابِ حَوَافِلًا ... من بعدما عَصَفَ المشِيبُ بِعُودِي
فإذا خَطَرْنَ، فَهُنَّ رُؤْيَا نَائِمٍ ... وإذا هَمَسْنَ، فَهُنَّ رَجْعُ نَشيدِ
أَرْنُو إلى عَهْدٍ لهُنَّ كَأَنَّمَا ... أَرْنُو لِنَجْمٍ في السَّمَاء بَعِيدِ
وَأَرَى الحياةَ بلا شَبَابٍ مِثْلَمَا ... لَمَعَ السَّرَابُ بِمُقْفِرَاتِ البِيدِ[٧]

* * *

إنَّ الشَّبَابَ رَحِيقُ أَزْهَارِ الرُّبَا ... وَحَفِيفُ غُصْنِ الْبَانَةِ الأُمْلُودِ[٨]
وَمَطِيَّةُ الآمال في رَيْعَانِهَا ... وسِرَاجُ لَيْلِ السَّاهِدِ الْمَجْهُودِ
وَبَشَاشَةُ الدُّنيا إذا ما أَقْبَلَتْ ... ونجاةُ وَعْدٍ منْ أَكُفٍّ وَعِيدِ
هو في كتابِ العمرِ أَوَّلُ صَفْحَةٍ ... بُدِئَتْ بِبِسْمِ اللهِ وَالتَّحْمِيدِ
وَربيعُ أَيَّامِ الحياةِ تَبَسَّمَتْ ... رَوْضَاتُهُ عَنْ ضَاحِكَات وُرُودِ
أَهْدَى لها الوَسْم نَسْجَ غَلَائِلٍ ... وَأَتَى الوَلِيُّ لها بوَشْيِ بُرُودِ[٩]
وَسَرَى النَّسِيمُ بها يُغَازِلُ أَعْيُنًا ... مِنْ نَرْجِسٍ وَيشمُّ وَرْدَ خُدُودِ
إنَّ الشبابَ، ومَا أُحَيْلَى عَهْدَه! ... كالواحَةِ الخَضْرَاء في الصَّيْهُودِ[١٠]
تَلْقَى بها ماءً وظِلًّا حَوْلَهُ ... جَدْبُ الْجَفَافِ وَقَسْوَةُ الْجُلْمُودِ[١١]

* * *

إنّي طَرَحْتُ مِنَ الشبابِ رِدَاءهُ ... وثَنَيْتُ عَنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ جِيدِي[١٢]
واخْتَرْتُ من صُحُفِ الأوائِلِ صَاحِبِي ... وجَعَلْتُ مأثُور البَيَانِ عَقِيدِي[١٣]
وَمَرَرْتُ بالتاريخ أَمْلَأُ نَاظِرِي ... منه وأُحْيِي بالفناء وُجُودِي
كَمْ عالَم قابلْتَ في صَفَحَاتِه ... ولكَمْ ظَفَرْتُ بفاتحٍ صِنْدِيدِ![١٤]
وإذا التمسْتَ مِن الدُّهورِ رِسَالةً ... فَصَحَائِفُ التَّاريخ خَيْرُ بَرِيدِ
أَحْنُو إلى قَلَمي كأَنَّ صَرِيرَه ... في مِسْمَعِي الْمَكْدُودِ رَنَّةُ عُودِ[١٥]
وأعيشُ في دُنْيَا الْخيالِ؛ لأَنَّني ... أَحْظَى بها بالفائِتِ الْمَفْقُودِ
كَمْ لَيْلَةٍ سامَرْتُ شِعْرِيَ لَاهِيًا ... والنَّجْمُ يَلْحَظُنا بعين حَسُودِ
حِينًا يُرَاوغُنِي فأَنْظُرُ ضَارِعًا ... فَيَلِينُ بعد تنكُّرٍ وجُحُودِ
ولقد أُغَرِّدُ بالقريض فَيَنْثَنِي ... فأَنَالُ قَادِمَتَيْهِ بالتَّغْرِيدِ[١٦]
طهَّرْته من كلِّ ما تأبى النُّهَى ... ويَعَافُهُ سَمْعُ الحِسَانِ الْخُودِ[١٧]
وَبَعَثْتُ فِيهِ تجاربًا مَذْخُورَةً ... هِيَ كلُّ أَمْوَالي وكلُّ رَصِيدِي
وَجَعلْتُ تَشْبِيبِي بِمِصْرَ ومَجْدِهَا ... وشمَائِل «الفَارُوق» بَيْتَ قَصِيدي[١٨]

* * *

مَلِكٌ زَهَا الإسلامُ تَحْتَ لِوَائِه ... وَأَوَى لِرُكْنٍ مِن حِمَاهُ شَدِيدِ
إنْ فَاتَ عَهْدُ الراشدينَ فَقَدْ رَأَى ... في دَوْلَةِ «الفَارُوق» خَيْرَ رَشِيدِ

قَـرَنَتْ مَـنَـابِـرُه جَـلائِـلَ سَـعْـيِـهِ ... وَجِـهَـادِهِ بِـشَـهـادةِ الـتَّـوْحِـيـدِ
وصَـغَتْ مَسَـاجِدُه لِـتَـرْدِيـدِ اسْـمِـهِ ... فـكأنـمـا يَـحْـلُـو عـلَـى الـتَّـرْدِيـدِ[١٩]
مَنْ يَـجْـعَـلِ الإيـمَـانَ صَـخْـرَةَ مُـلْـكِـهِ ... رَفَـعَ الـبـنَـاءَ عـلـى أَشَـمِّ وَطِـيـدِ[٢٠]
كَمْ وَقْفةٍ لك في المَحَارِبِ جَمَّلَتْ ... عزَّ المُلوكِ بِخَشْيَةِ المعْبُودِ[٢١]
سَـجَـدَتْ لـك الأيَّـامُ حـيـنَ تَـلَـفَّـتـتْ ... فـرأتـكَ بـيـنَ تَـشَـهُّـدٍ وسُـجُـودِ
وتَـطَـلَّـعَ الإسـلَامُ فـي أمْـصَـارِهِ ... يَـهْـفُـو لِـظـلِّ لِـوَائِـكَ الْـمَـعْـقُـودِ

* * *

سَـعِـدَ الصِّـيَـامُ وشَـهْـرُهُ بِـمُـجَـاهِـدٍ ... عَـبِـقَ الـوُجُـودُ بِـذِكْـرِهِ الْـمَـحْـمُـودِ[٢٢]
فَـنَـهَـارُه لـلـصَّـالِـحَـاتِ، وَلَـيْـلُـهُ ... لِـلْـبَـاقِـيـاتِ ولـلـنَّـدَى والْـجُـودِ[٢٣]
حَـيَّـيْـتَ فـي الـمِـذْيَـاعِ أَوَّلَ لَـيْـلَـةٍ ... مِـنْـهُ بـقَـولٍ مُـحْـكَـمِ الـتَّـسْـدِيـدِ
جَـمَـعَ السِّـيَـاسَـةَ كُـلَّـهَـا فِـي أَحْـرُفٍ ... كـالـعِـقْـدِ أَلَّـف بَـيْـنَ كُـلِّ فَـرِيـدِ
وَكَـقَـطْـرَةِ الـعِـطْـرِ الَّـتـي كَـمْ جَـمَّـعَـتْ ... مـن نَـوْرِ أغْـوَارٍ وَزَهْـرِ نُـجُـودِ[٢٤]
قَـوْلٌ بِـهِ الْـحِـكَـمُ الـغَـوَالِـي نُـسِّـقَـتْ ... مـا بـيـنَ مـنْـثُـورٍ وَبَـيْـن نَـضِـيـدِ[٢٥]
أصْـغـى إليه الشَّـرْقُ يَـسْـمَـعُ دَعـوَةً ... قُـدْسِـيَّـةً لـلـبَـعْـثِ والـتَّـجْـدِيـدِ[٢٦]
وَزَهَـتْ بِـهِ الـعَـزَمَـاتُ بَـعْـدَ ذُبُـولـهَـا ... وَصَـحَـتْ بـه الآمـالُ بَـعْـدَ رُقُـودِ
لـلـهِ صَـوْتُـكَ فـي الأَثـيـرِ فَـإِنَّـه ... أَخَـذَ الـهُـدَى والْـحُـسْـنَ عَـنْ دَاوُدِ!
لَـبَّـيْـكَ يـا مَـلِـكَ الـقـلـوب! فَـمُـرْ نَـكُـنْ ... لَـكَ طـاعَـةً، والـلـهُ خَـيْـرُ شَـهِـيـدِ

* * *

إنَّـا بـدَرْسِ الـدِّيـنِ أبْـصَـرْنَـا الـهُـدَى ... نُـورًا يُـشِـعُّ بِـجَـمْـعِـهِ الـمـحـشُـودِ
وَبـدَا الـمـلِـيـكُ بـهِ يُـمَـجِّـدُ رَبَّـهُ ... لـلـهِ مِـن نُـسُـكٍ وَمِـنْ تَـمْـجِـيـدِ!
أَبْـصَـرْتُـه والـشَّـعْـبُ حَـوْلَ بِـسَـاطِـهِ ... كَـالـطَّـيْـرِ رَفَّ لِـوَرْدِهِ الْـمَـوْرُودِ[٢٧]
مَـا أَسْـمَـحَ الإسْـلامَ! يَـجْـمَـعُ رَحْـبُـهُ ... فـي الـلـهِ بَـيْـنَ مُـسَـوَّدٍ ومَـسُـودِ
حَـرَسَـتْـهُ أَفْـئِـدَةٌ تُـفَـدِّي عَـرْشَـهُ ... وَالْـحُـبُّ أَقْـوَى عُـدَّةٍ وعَـدِيـدِ
إنَّ الْـجُـودَ بِـه تَـلُـوذُ وَتَـحْـتَـمِـي ... وَلَـكَـمْ عُـرُوشٌ تَـحْـتَـمِـي بِـجُـنُـودِ!
يُـصْـغِـي ويُـنْـصِـتُ لـلـكِـتَـابِ وَآيِـهِ ... فـي سَـمْـتِ مَـوْفُـورِ الْـجَـلَالِ حَـمِـيد
يـا قُـدْوَةَ الـجِـيـلِ الْـجَـدِيـدِ وَذُخْـرَهُ ... عِـشْ لِـلْـمُـنَـى فَـرْدًا بِـغَـيْـرِ نِـدَيـدِ

* * *

حَارَ الْقَرِيضُ وَكيفَ أَبْلُغُ غَايةً ... هي فَوْقَ طَوْقِ يَراعَتِي وجُهُودي؟
أَعْدَدْتُ أَلْوَانِي لأَرْسُمَ صُورَةً ... أَيْنَ السُّهَا من سَاعِدِي المكْدُودِ؟[٢٨]
حِلْمٌ كما تُغْضِي الأُسُودُ تَكَرُّمًا ... وَعَزَائِمٌ فِيهَا نِجَارُ أُسُودِ[٢٩]
وَفَرَاسَةٌ سَبَقَتْ حَوَادِثَ دَهْرِهَا ... حَتَّى كَأَنَّ الغَيْبَ كَالمَشْهُودِ[٣٠]
وإِرَادَةٌ تَفْرِي الصِّعَابَ شَبَاتُهَا ... وَتَهُدُّ عَزْمَ الصَّخْرةِ الصَّيْخُودِ[٣١]
وَذَكَاءُ قَلْبٍ لَوْ رَمَى حَلَكَ الدُّجَى ... لَمَضَى يُهَرْوِلُ في المُسُوحِ السُّودِ[٣٢]

* * *

مَوْلَايَ! إنَّ الشِّعْرَ يَشْهَدُ أَنَّهُ ... بَلَغَ المَدَى في ظِلِّكَ الْمَمْدُودِ
أَلْفَى خِلَالًا لَقَّنتهُ بَيَانَهُ ... فَأَعَادَهَا كَالصَّادِحِ الْغِرِّيدِ[٣٣]
فَلكَمْ بَعَثْتُ مَعَ الأثيرِ وَحِيدَةً ... في فَنِّهَا تَشْدُو بِمُلْكٍ وَحِيدِ
فَاهْنَأْ بِمِيلَادِ الأَمِيرَةِ إنَّهَا ... عُنْوَانُ مَجْدٍ طَارِفٍ وَتَلِيدِ[٣٤]
وانْعَمْ بِعِيدِ الْفِطْرِ واسْعَدْ بالمُنَى ... في طالِعٍ ضَافِي النَّعِيمِ سَعِيدِ

هوامش

(١) هزجًا: مترنمًا. يناغي: يداعب.

(٢) السلسل: الماء العذب أو البارد، الضحضاح: الماء اليسير لا غرق فيه. الناصع: الخالص من كل ما يشوبه.

(٣) الدل: دل المرأة ودلالها.

(٤) ماست: تبخترت في عجب.

(٥) رفل في ثيابه: أطالها وجرها متبخترًا.

(٦) النشوة: أول السكر. دم العنقود: كناية عن الخمر.

(٧) السراب: ما يرى في البيد ماء وليس بماء. مقفرات البيد: الصحاري المجدبة.

(٨) الرحيق: صفوة الخمر. والمراد هنا خلاصة الأزهار الأرجة. الأملود: اللين الناعم.

(٩) الوسمى: مطر الربيع الأول. الولي: مطر الربيع الثاني. البرود الموشاة: الثياب المنقوشة.

(١٠) أحيلي: تصغير أحلى. الصيهود: الصحراء لا ماء فيها ولا نبات.
(١١) الجلمود: الصخر الأصم.
(١٢) ثنيت: حولت. الصبابة: رقة الشوق وحرارته.
(١٣) عقيدي: حليفي ومعاهدي.
(١٤) الصنديد: السيد الشجاع.
(١٥) أحنو: أميل. صريره: صرير القلم. صوته عند الكتابة. المكدود: المتعب. رنة عود: صوته.
(١٦) ينثني: ينعطف ويميل. قادمتيه: القادمتان: ريشتان في مقدم جناح الطائر.
(١٧) الخود: جمع خوداء وهي الشابة الجميلة الناعمة.
(١٨) تشبيبي: التشبيب الغزل بالنساء.
(١٩) صغت: مالت.
(٢٠) أشم: مكان عال. وطيد: ثابت.
(٢١) المحراب: صدر المجلس، والمراد محراب المسجد.
(٢٢) عبق الطيب: انتشر شذاه.
(٢٣) الندى: العطاء والجود.
(٢٤) النور: الزهر. أغوار: جمع غور وهو المطمئن من الأرض. نجود: جمع نجد ما ارتفع منها.
(٢٥) نضيد: من نضد المتاع وضع بعضه على بعض.
(٢٦) قدسية: طاهرة. البعث: الإيقاظ والتنبيه.
(٢٧) رف الطائر: بسط جناحيه. ورف للماء: سعى إليه.
(٢٨) السهى: كوكب خفي يمتحن الناس به أبصارهم.
(٢٩) النجار: الأصل.
(٣٠) فراسة: هي المعرفة ببواطن الأمور.
(٣١) تفري: تمزق. الشباة: الحد. الصخرة الصيخود: الشديدة.
(٣٢) حلك الدجى: سواد الظلمة. يهرول: يمشي مسرعًا. المسوح: جمع مسح وهو ثوب من الشعر غليظ.
(٣٣) ألفى: وجد.
(٣٤) الطارف: الجديد. التليد: القديم. الأميرة: الأميرة فريال أولى بنات فاروق.

عبد العزيز جاويش

يرثي الشاعر في هذه القصيدة أستاذه وصديقه الشيخ «عبد العزيز جاويش». وقد توفي في يناير سنة ١٩٢٩م.

دُموعُ عُيونٍ أم دِماءُ قُلوبِ ... على راحلٍ نائي المَزَارِ قَريبِ؟[١]
نعاه لنا الناعِي فأفْزَعَ مِثْلَمَا ... تُراعُ بِصَوْتٍ في الظَّلامِ رهيب
فقُلنا: أبِن — رُحْماكَ — طارتْ عُقُولُنا ... وَكم من يقينٍ في الحياة مُريب[٢]
شكَكْنا، وكان الشكُّ أمْنًا وراحةً ... فلم نستَمِعْ من فِيكَ غَيْرَ نَعِيب
حَنانَكَ، إنّا أُمّةٌ هَدَّ ركنَها ... صِراعُ لَيالٍ، واصطلاحُ خُطوبِ[٣]
إذا كَشَفَتْ عنها القميصَ بدتْ بها ... نُدُوبٌ لطعنِ الدهرِ فوق نُدُوبِ
وإنْ أرسلتْ في ذِمَّةِ الله عَبْرَةً ... على ابن سُرًى حامي الذِّمارِ وَثُوبِ[٤]
دَهَتْها الليالي في سواه، ولا أرَى ... شَعُوبًا لهذا الناس مِثْلَ شَعُوب[٥]
تَدَاوَى مِن الإعْوالِ بالبثِّ وَالبُكا ... وتَشْفِي لَهيبًا للجَوى بلهيب[٦]
وتمسَحُ دَمعًا كي تجودَ بِمثْلِهِ ... وتَنْسَى أَريبًا بادَّكارِ أريب[٧]
فيا أيُّها الناعِي، إذا قُلْتَ فَاتَّئِدْ ... فما مُخطئٌ في قولِه كمُصيب
حَنَانكَ، قُلْ ما شئتَ إلا فَجيعةً ... بفقدِ كريمٍ، أوْ فِراقِ حَبيب
فقال: قَضَى، قُلْنا: قَضَى حاجةَ العُلا ... فقال: مَضَى، قُلنا: بغير ضَرِيبِ[٨]
فَهزَّ اعتلاجُ الْحُزنِ أضلاعَ صَدْرِه ... وأخْفَى نَشِيجًا تَحْتَ طيِّ نحِيب[٩]
وقال: قَضَى عبدُ العزيزِ ولم يكُنْ ... نصيبُ امرئٍ في الرُّزْء فوْقَ نَصيبي
فوا حسرتا! مات الإمامُ ولم تكُنْ ... نِهايةَ هذِي الشمسِ غيرَ مَغيب

وغاضَ مَعِينٌ كان رِيًّا ورحمةً ... وكلُّ مَعينٍ صائرٌ لنُضُوبِ![10]
فَمَنْ لِكتاب اللهِ يلمَحُ نُورَهُ ... بعينٍ بصيرٍ بالبَيانِ لبيب؟
ومَنْ يَدْفَعُ العادِي على دينِ أَحْمدٍ ... بعزمٍ كَمَسنُونِ الْحِرابِ صَلِيب؟[11]
وقد كُنْتَ يا عبدَ العزيزِ إذا دَجَت ... وقد قيل: «أمّا بَعْدُ» خيرَ خَطيب[12]

* * *

بنفسِيَ مَن عَانى الحياةَ مُشَرَّدًا ... يَجوبُ من الآفاقِ كُلَّ مَجُوب[13]
غريبًا تقاضاه الليالي حُشاشةً ... ولكنَّه للفضلِ غيرُ غريب[14]
يطوفُ بأقطارِ البلادِ كأنه ... خيالٌ مُلِمٌّ، أو خيالُ أَدِيبِ
ويطوي وراء البِشْرِ نفسًا جَرِيحةً ... وأعشارَ قلبٍ بالهُمومِ خَضِيب[15]
أيشكو لئيمُ القومِ كَظًّا وبطْنةً ... ويَشْكو فتى الفِتيانِ مسّ سُغُوبِ؟[16]
لأمرٍ غدا ما حَوْلَ مكةَ مُقْفِرًا ... جَديبًا، وباقي الأرضِ غيرُ جَديب

* * *

تُقَتِّلنَا الأيامُ وهْيَ حياتُنا ... وتُعطي، وما أبْصرْتُ غيْرَ سَليب[17]
فما حِيلتي إنْ كان بالماء غُصَّتي ... وداني إذا عَزَّ الدواءُ طبيبي؟[18]
كأنَّ حِبالَ الشمسِ كِفَّةُ حابِلٍ ... تُحيطُ بنا من شمأَلٍ وجَنوب[19]
نَروحُ بها، والموتُ ظمآنُ ساغبٌ ... يُلاحظُنا في جَيْئَةٍ وذُهوب[20]
على الشَّفَقِ المُحْمَرِّ مِنْ فَتَكَاتِهِ ... بَقَايَا دَمٍ للذاهبينَ صَبيب[21]
هل الدَّهْرُ إلَّا ليلةٌ طال سُهدُها ... تَنَفَّسُ عن يومٍ أَحَمَّ عَصِيب؟[22]
وليس ترابُ الأرضِ غَيْرَ تَرائبٍ ... وغيرَ عُقولٍ حُطِّمتْ وقُلوبِ![23]
سَلُوا وَجَناتِ الغِيدِ في ذِمَّةِ الثَّرَى ... أَتَزْهَى بحسنٍ أمْ تُدِلُّ بطيب؟
وكانت شِبَاكًا للعُيونِ فأصبحتْ ... ولستَ تَرى فيهنَّ غَيرَ شُحُوب

* * *

فَيَا مَنْ رأى عبدَ العزيزِ تَنُوشُه ... نُيُوبٌ لعادي الموتِ أَيُّ نُيُوب[24]
طريحًا على أيدي الأُسَاةِ كأنَّه ... حِمالةُ عَضْبٍ أو رِشَاءُ قَليبِ[25]
فَيَا ويْحَ للصدرِ الرَّحيبِ الَّذي غدا ... بمُزْدَحِمِ الآلامِ غيرَ رَحيب

تَدِبُّ فيه في مَوْطِنِ الحلمِ عِلّةٌ ... لها كالصِّلال الرُّقشِ شَرُّ دَبِيبِ[٢٦]
ترَى القلبَ منها واجبًا أنْ تَمَسَّهُ ... فَتتركَهُ قلبًا بغيرِ وَجِيبِ[٢٧]
أَصَابَتْ نِظَامًا للمعالي فَبَدَّدَتْ ... ومقصِدَ آمالٍ ومجدَ شُعُوب

* * *

لقد كنتَ تُعلي في الحياةِ قَصائدي ... وتهتزُّ عُجْبًا إنْ سَمِعتَ نَسيبي
فهاك نِداءً، أنْ يَجِدْ مِنكَ سامعًا ... وهاكَ رِثاءٌ إنْ يَفُزْ بمُجِيب
رِثاءٌ يكادُ المَيْتُ يَحْيَا بلفظِهِ ... ويَحْبِسُ شمسَ الأُفْقِ دونَ غُروب
فطارح به الْخَنْسَاءَ إن جُزْتَ دارهَا ... ونافِسُ به — إن شئتَ — شِعرَ حَبيب[٢٨]
تمنَّيتُ لو أرسلتُ شعري مع البُكا ... بغيرِ قَوافٍ، أو بغيرِ ضُرُوب[٢٩]
وصَيَّرْتُ أنَّاتي تفاعيلَ بحرِهِ ... وجِئْتُ بَوزْنٍ في القَريضِ عجِيب
فإنِّي رأيتُ الشِّعر تنفِرُ طيرُهُ ... إذا دُهمتْ من فادحٍ بهبُوبِ
تَهَابُ القوافِي أن تَمَسَّ جَلَالَةً ... لذي شَمَمٍ ضَافي الْجلالِ مَهِيب[٣٠]
عليكَ سلامُ اللهِ ما ناح طائرٌ ... على غُصنٍ غَضِّ الإهابِ رطيب[٣١]

هوامش

(١) نائي المزار: بعيد مكان الزيارة.
(٢) النعيب: صوت الغراب، وهو مما يتشاءم به ويتبرم بسماعه.
(٣) اصطلاح الخطوب: تتابعها.
(٤) الذمار: ما يلزمك حفظه والدفاع عنه.
(٥) شعوبا:مصدعاومفرقا.شعوب:الموت
(٦) البث: الحزن. الجوى: حرقته.
(٧) الأريب: ذو العقل والدهاء. الادكار: الذكر.
(٨) قضى (الأولى): مات. قضى (الثانية): أنجز وأتم. الضريب: النظير والمثل.
(٩) اعتلاج الحزن: اضطرابه وثورانه. النشيج: البكاء يغص به الحلق. النحيب: أشد البكاء.
(١٠) غاض المعين: ذهب ماؤه. الري: الارتواء. النضوب: الجفاف.

(١١) صليب: قوي لا يلين.

(١٢) دجت: أظلمت، ويريد بالإظلام أوقات الشدة.

(١٣) بنفسي: أفدي بنفسي. المجوب: المعمور من البلاد، الذي يجوبه الناس، يرحلون إليه.

(١٤) تقاضاه: تتقاضاه. الحشاشة: الفؤاد.

(١٥) الأعشار: الأجزاء. خضيب: مخضوب.

(١٦) الكظ والبطنة: امتلاء البطن. السغوب: الجوع مع التعب. مس سغوب: ما يشعر الإنسان به من ألم الجوع.

(١٧) السليب: المسلوب.

(١٨) الغصة: ما تشعر به عند اعتراض شيء في الحلق. عز: امتنع.

(١٩) الحابل: الصائد. كفته: حبالته التي يصيد بها.

(٢٠) الساغب: الجائع.

(٢١) صبيب: منصب.

(٢٢) السهد: الأرق وعدم النوم. تنفس: تتكشف وتسفر. الأحم: الشديد السواد.

(٢٣) الترائب: عظام الصدر.

(٢٤) تنوشه: تتناوله تمزيقًا. نيوب: أي أنياب قوية حادة.

(٢٥) الأساة: الأطباء. واحده آس. العضب: السيف القاطع. القليب: البئر. رشاؤه: حبله.

(٢٦) الصلال: الحيات. الرقش: المنقطة، ويريد بموطن الحلم: الصدر.

(٢٧) واجبًا: خافقًا. الوجيب: خفقان القلب.

(٢٨) الخنساء: شاعرة عربية. حبيب: هو الشاعر العربي المشهور أبو تمام.

(٢٩) الضروب: جمع ضرب، وهو عجز البيت.

(٣٠) الشمم: الإباء. ضافي الجلال: عميمه مبسوطه.

(٣١) ما ناح طائر: ما بقيت الدنيا. رطيب: طري.

الصلح بين القبائل

حينما زار الشاعر بغداد في سنة ١٩٣٩م، مع صديقه حمد الباسل باشا. وُفِّقَا لعقد الصلح بين قبائل شمر والعبيد، بعد أن استمر العداء بينهما زمنًا طويلًا. وقد أقيمت بهذه المناسبة حفلة بدار السفارة المصرية أنشد الشاعر فيها هذه القصيدة.

أجابتْ نداءَ الحقِّ سُمْرُ العواسلِ ... وعادتْ إلى الأغماد بيضُ المناصل[١]
وقرَّت قلوبٌ جازعاتٌ خوافِقٌ ... وخالَطَ دمعُ البشرِ دمعَ الثواكل[٢]
وطافت على الشرِّ المناجِزِ حكمةٌ ... أطاحتْ بما قد حاكه من حبائل[٣]
وأطفأ نيرانَ العداوةِ وابلٌ ... من الْحِلم، حَيَّا صَوبَه كلُّ وابل[٤]
وصفَّق بالبشرى الفُراتُ ودِجْلةٌ ... على نغماتِ الساجعاتِ الهوادل[٥]
وحطَّمتِ السلْمُ الحُسامَ فلَم تَدَعْ ... به بَعد طولِ الفتكِ غيرَ الحمائل[٦]
فليت زُهيْرًا بيننا بعدما خَبَتْ ... لظَى الحربِ وانجابت غيومُ القساطِل[٧]

* * *

هو السيفُ أطغى ما خضعتم لحكمه ... إذا ما انتضاه الحقدُ في كفِّ جاهل[٨]
يُقطِّعُ أوشاجًا علينا عزيزةً ... ويبتُرُ جبّارًا كريمَ الوصائل[٩]
يسيلُ دمُ القُرْبَى عليه مطهَّرًا ... أعزَّ وأزكَى من نجيع الأصائل[١٠]
أخي، أنت دِرْعي إنْ ألمت مُلِمَّةٌ ... وإن فدحتْني عابساتُ النوازل[١١]
أخي، أنت من نفسي، دماؤك من دمي ... «فإن كنتُ مأكولًا فكنْ خيرَ آكل»
أأرمي أخي؟ يا ويلَ ما صنعتْ يدي! ... فيا لتها كانتْ بغيرِ أنامل!

إذا مسَّني خطْبٌ فأولُ راكبٍ ... يخوضُ لِيَ الْجُلَّى، وأسرعُ نازل[١٢]
أكلتُ دمًا إنْ لم أزُدْ عن حياضِهِ ... كريمًا، وأدفَعْ عنه كيدَ الغوائلِ[١٣]
أضاحكهُ والقلبُ ما عبِثتْ به ... لِثَامُ المساعي، أو سمومُ الدخائل[١٤]
وأبسطُ كفّي نحوه غيرَ جافلٍ ... ويبسُط نحوي كفَّه غيرَ جافل[١٥]
إذا البيدُ لم تُنْبِت نباتًا فحسْبُها ... فقد أنبتتْ فينا كريمَ الشمائلِ[١٦]
وقد علَّمتنا أنْ يكونَ إخاؤنا ... كشامخِ رَضْوَى ركنُه غيرُ زائل[١٧]
ألسْنا الكرامَ الغُرَّ من آلِ يَعْرُبٍ ... لَدَى الرَّوْعِ، أو عندَ التفافِ المحافل؟[١٨]
حَمَيْنا بِحمدِ اللهِ أنسابَ قومِنا ... وصُنَّا على الأيامِ مجدَ الأوائل
وما خُلِقَتْ إلا لعزمٍ نفوسُنا ... كأنَّا خُلِقْنا من غُبار الجحافل[١٩]
إذا افترقت أهواءُ قومٍ تشتَّتوا ... ولم يرجِعوا إلا بعارِ التخاذلِ
عزيز على الأوطانِ أنَّ شجاعةً ... تُمزِّقُها الشَّحْناءُ في غيرِ طائل
حمانا كتابُ اللهِ من بعدِ فُرْقَةٍ ... فكنَّا لدين اللهِ خيرَ المعاقل
وصالتْ بنا من قُوَّةِ البأسِ وَحْدةٌ ... على الكونِ، لم تتركْ مَصالًا لصائل
فَثُلَّتْ عُروشٌ، واستطارتْ أسِرَّةٌ ... من الذُّعر في أعوادِها والزلازل

* * *

جَمَعْنا على الحُبِّ القلوبَ فأشرقتْ ... كمَا أشرقت بالغيث زُهْرُ الخمائل
وعِفْنَا ورودَ الماء أكدَر آسنًا ... وحنّتْ حنايانا لعذب المناهل[٢٠]
وعادت إلى الحسنَى «العَبيدُ» و«شَمُّرٌ» ... وسار بشيرُ السلمِ بين القبائل[٢١]
وأصْغوا إلى الرأيِ السديدِ وأنصتوا ... لنصحِ نصيرٍ للعُروبةِ «باسلِ»[٢٢]
إلى «حَمَدٍ» ترنو المعالي مُدِلَّةً ... وتُلْقي بأسباب النُّهى والفضائل
عرفناه وِرْدًا للندى غَيرَ ناضبٍ ... لراجٍ، وعزمًا للعلا غيرَ ناكل[٢٣]
وقد دفن القومُ التُّراث وأقبلوا ... إلى الحقِّ يمحو ضوؤُه كلَّ باطل[٢٤]
وسلُّوا لإعلاء العِراق عزائمًا ... أسدَّ وأمضَى من سِنان الذوابل[٢٥]
يُفدُّون بالأرواحِ والأهلِ «فَيْصلًا» ... مناطَ المُنى من كل راجٍ وآمل[٢٦]

هوامش

(١) نداء الحق: يراد هنا السلام. سمر العواسل: الرماح. الأغماد: جمع غمد وهو الجراب الذي يوضع فيه السيف. بيض المناصل: السيوف.

(٢) قرت: هدأت وسكنت. جازعات خوافق: خائفات مضطربات. الثواكل: النساء اللاتي فقدن أبناءهن.

(٣) المناجز: المقاتل. حاكه: صنعه.

(٤) وابل: المطر الشديد.

(٥) الفرات ودجلة: نهران بالعراق. الساجعات الهوادل: الحمام.

(٦) الحسام: السيف. الحمائل: علاقة السيف.

(٧) زهيرًا: هو زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي العظيم وأحد أصحاب المعلقات في الجاهلية واشتهر بحبه للسلام وكراهيته للحرب، له معلقة مشهورة مطلعها:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

دعا فيها للسلام ونفَّر من الحرب وويلاتها إذ قال:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمو وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذا ضريتموها فتضرم

القساطل: جمع قسطل وهو غبار الحرب.

(٨) أطغى: جاوز الحد.

(٩) أوشاجًا: جمع وشج وهو صلة القرابة.

(١٠) نجيع: الدم من الجوف. الأصائل: الأصيل.

(١١) الدرع: ما يقي الإنسان أثناء الحرب. ألمت ملمة: نزلت نازلة. فدحتني: أصابتني بمصاب كبير. عابسات النوازل: شدة الكوارث.

(١٢) الجلَّى: حلبة القتال ويقصد المخاطر والأهوال.

(١٣) أكلت دمًا: دعاء على نفسه. أزد: أدافع. حياضه: أراضيه. كيد: مكر. الغوائل: الذين يقفون له بالمرصاد لإهلاكه.

(١٤) الدخائل: الدخلاء المفسدون.

(١٥) غير جافل: غير خائف.

(١٦) البيد: الصحراء.

(١٧) رضوى: جبل رضوى الشهير بالحجاز.

(١٨) آل يعرب: يقصد العرب نسبة إلى يعرب بن قحطان وهو أبو العرب. الروع: الفزع والهول.

(١٩) غبار الجحافل: غبار الجيوش الكبيرة.

(٢٠) عفنا: كرهنا، تجنبنا. أكدر آسنًا: متغير اللون والطعم والرائحة. عذب المناهل: الماء العذب. وفي البيت طباق.

(٢١) العبيد وشمر: القبيلتان المتحاربتان بالعراق.

(٢٢) أصاخوا: استمعوا. باسل: هو حمد الباسل باشا وكان هو والشاعر أعضاء الوفد الذي أسهم في إصلاح ذات البين بين القبيلتين المتحاربتين.

(٢٣) وردا: موردا. الندى: الكرم. غير ناضب: غير منقطع، وافر. ناكل: راجع عن.

(٢٤) التراث: الأحقاد التي أدت بهم إلى الحرب.

(٢٥) سلوا: أخرجوا. سل السيف: أخرجه من غمده استعدادًا للقتال. الذوابل: الرماح.

(٢٦) فيصلًا: الملك فيصل الثاني ملك العراق حينئذ. راج: مرتجي، مؤمل.

ثقيل!!

عام ١٩٣٠م

تبًّا لـه مـن ثـقـيـلٍ دَمًا ورُوحًا وطينهْ!
لو كان من قوم نُوحٍ لَما ركِبْتُ السفينه[١]

هوامش

(١) السفينة: يقصد بها سفينة سيدنا نوح كما جاء ذكرها في القرآن الكريم.

ذكرى الزفاف الملكيّ

بمناسبة ذكرى زواج الملك السابق فاروق إلى الملكة السابقة فريدة يناير ١٩٣٩م.

اقْبِسِ النورَ من شُعاعِ الراحِ ... والثِمِ الحسْنَ في جَبينِ الصّباحِ[١]
وابْعثِ اللَّحْنَ من سَمائِكَ يا شعْرُ ... ونافسْ به ذواتِ الجناحِ[٢]
وانْهبِ الحسْنَ من خُدودِ العذَارَى ... واسرِقِ السِّحْرَ من عُيونِ المِلاحِ
وتَنَقَّلْ بيْنَ الخمائلِ جَذْلا ... نَ طليقَ الهَوَى جَمِيمَ المِراحِ
واسقِنا من سُلافِك العَذْبِ إنّا ... قد سئمنا مرارةَ الأقداحِ[٣]
كم ثملنا برَشْفةٍ منكَ يا شعْرُ ... فصرْنا رُوحًا بلا أشباحِ[٤]
ورأينا من الحقائقِ ما ... عزَّ على كلِّ باحثٍ كدَّاحِ
وقرأنا في كلِّ شيءٍ رُموزًا ... فوقَ طوق البيانِ والإيضاحِ[٥]
ورَسَمنا بدائعَ الكونِ في لوْ ... حِ تعالى عن جَفْوَةِ الألواحِ[٦]
وفهِمنا لُغى الطُّيورِ ... وأَصْغيْنا لهمسِ الغُصون في الأدواحِ[٧]
ورأيْنا البُرُوقَ تضحَكُ في الرَّو ... ضِ فتهفو لها ثُغورُ الأقاحي[٨]
إيهِ يا شعرُ أنتَ سَلْوايَ ... في الدنيا إذا ضاق بي فسيحُ البَراح
كم عناءٍ كشفت بعدَ نِضالٍ ... وجَبينٍ مَسَحتَ بعدَ كِفاحِ!
لا تدَعْني يا شعرُ في ليلة الذِّكْرَى ... وَأَطْلِقْ إلى الخَيالِ سَراحي
غَنِّني بالمُنَى تَرِفُّ حَنانًا ... بعدَ نَأْيٍ وبعدَ طُولِ جماحِ[٩]
غنِّني باللقاء بعدَ شَتاتٍ ... وبعطفِ الزَّمانِ بعدَ شِيَاحِ[١٠]
غنني بالربيع يَخْطر في الرَّوْ ... ضِ ويَعْطُو بمِئْزَرٍ ووُشاحِ[١١]

غنني غنني فقَدْ عَيَّ نَابي ... ونَبَا مِزْهَري عن الإفْصَاح[١٢]
كيف تَحوِي الأوتارُ ما يغمُرُ القُلبَ ... وَيَطْفُو به من الأفراح؟[١٣]
غَنِّ في ليلة البشائرِ ... يا شعْرُ وغرِّدْ بصوتك الصدَّاح
وَخُذِ الفنَّ من ترانيمِ إسْحَا ... قَ وبُعْدَ المَدَى عن ابن رَبَاح[١٤]
وامْلَأ الأُفْقَ بالنَّشِيدِ تُرَدِّدُ ... رَجْعَ أنغامِهِ جميعُ النَّواحي
مَاسَتِ الباسِقاتُ في ضِفَّةِ الوا ... دِي وأَرْخَتْ شُعورَها للرِّياح[١٥]
وَرَنا الزهرُ باسمًا يَنْشُرُ النُّو ... رَ ويَهْفُو بثَغْرِه الفَوَّاح[١٦]
أسْكَرَتْهُ الذِّكْرَى فأصْغَى وأصْغى ... يَملأُ السَّمْعَ وهْو نَشْوانُ صاحي[١٧]
مَالَ تِيهًا كما تميلُ العَذارَى ... هلْ على الزَّهر في الهوى من جُناحِ؟[١٨]

* * *

إنَّ ذكرى الزِّفافِ أسعدُ ذكرَى ... تملأُ النَّفْسَ من مُنًى وارتياح
سعِدتْ مصرُ بالمليكةِ فِيهِ ... واستنارت بنورها الوضَّاح
شرفٌ باذخٌ يتيهُ على الدُّنيا ... ومجدٌ من الصَّميمِ الصُّراح[١٩]
نَبَتَتْ في مَنَابِتٍ أرضُها ... المِسْكُ وفي ظلِّ عزَّةٍ وسَماح
وبدتْ دُرَّةً من النُّبْلِ والمجدِ ... فغضَّت من الدَّرارِي الصِّحاح[٢٠]
فهناءٌ فاروقُ يا مَوْئِلَ النِّيلِ ... ويا يُمْنَ نَجْمِهِ اللَّمَّاحِ[٢١]
أنت أنهضْتَ مصرَ تستَبِقُ الخَطْوَ ... وتَمضِي بِعَزْمَةٍ وطماح[٢٢]
وَبَعَثْتَ الآمالَ في كلِّ قلْبٍ ... وغرَسْتَ الإحسَانَ في كلِّ راحِ[٢٣]
ذَاكَ سِرُّ البيتِ الكريم وفَيْضٌ ... من عَطاءِ المُهَيْمِنِ الفتَّاح[٢٤]
آلَ بيتِ الْمُلْكِ المؤثَّلِ أنتمْ ... شَرَفٌ مُشْرِقُ الأساريرِ ضَاحي[٢٥]
عَجَزَ الشِّعرُ أن ينالَ مَدَاكُمْ ... وكَبَتْ دونَ وَصْفِكُمْ أمْداحي[٢٦]
كتَبَ اللهُ في الخلودِ عُلَاكُمْ ... مَا لِمَا خُطَّ في السَّمَوَاتِ مَاحِي
جَدَّكُمْ أَنْقَذَ البلادَ وأعْلَى ... رايةَ الدِّينِ بالظُّبَا والرِّماح[٢٧]
حكمةٌ تأسرُ القلوبَ بصَفْحٍ ... وإباءٌ يَغْشَى الوَغَى بصِفاح[٢٨]
كم تَغَنَّى بفضله كلُّ مَغْدًى ... وسَرَى ذِكْرُهُ بكلِّ مَرَاح[٢٩]
عاشَ فاروقُ والمليكةُ ذُخْرًا ... وَمَنَارًا للبرِّ والإصْلاح[٣٠]
ولْتعِشْ قُرَّةُ البَصائِرِ فِرْيا ... لُ حياةُ النُّفوسِ والأرْوَاح[٣١]

هوامش

(١) قبس النور: أخذه. القبس: الشعلة. الراح: الخمر. اللثم: التقبيل والمراد بالنور: شعاع الخمر.

(٢) اللحن: الغناء. ذوات الجناح: الطيور.

(٣) السلاف: الخمر.

(٤) ثمل: انتشى. الرشفة: المرة من الشرب. الأشباح: الأشخاص.

(٥) الرمز: الإيماء، والمراد به هنا المعنى الخفي. الطوق: الطاقة.

(٦) البدائع: الطرائف، الجفوة: الغلظ.

(٧) لغى: جمع لغة. الأدواح: ومفرده دوحه وهي الشجرة العظيمة.

(٨) الأقاحي: جمع أقحوان وهو زهر أصفر الوسط أبيض الأوراق مسننها.

(٩) ترف: ترفرف. النأى: البعاد. الجماح: الشرود.

(١٠) الشتات: التفرق. الشياح: الإعراض.

(١١) العطو: رفع الرأس. المئزر: الملحفة. الوشاح: حلية مرصعة بالجوهر.

(١٢) عيّ: عجز. نبا: كل. الناي: آلة النفخ. المزهر: العود.

(١٣) يغمر: يغطي. يطفو: يعلو.

(١٤) ترانيم: جمع ترنيم وهو تطريب الصوت. المدى: الغاية. إسحاق: هو ابن إبراهيم الموصلي كان هو وأبوه من أشهر مغني الدولة العباسية. ابن رباح: هو بلال مؤذن رسول الله ﷺ.

(١٥) ماس: مال تيهًا. الباسقات: جمع باسقة وهي النخيل.

(١٦) رنا: نظر. هفا: مال. الثغر: الفم. الفواح الذي يتضوع أريجًا.

(١٧) النشوان: الغائب عن الوعي بتأثير الخمر. الإصغاء: الإمالة ويستعمل كثيرًا في التسمع.

(١٨) التيه: الدلال. الجناح: الإثم.

(١٩) باذخ: عال. الصراح: الخالص.

(٢٠) غض منه: وضع من قيمته. الدراري: النجوم اللامعة.

(٢١) موئل: ملجأ. اليمن: البركة. لماح: لماع.

(٢٢) الاستباق: التسابق. والمراد يسابق بعضها بعضًا. الطماح: التطلع، والمراد التطلع إلى المعالي.

(٢٣) الراح: بطون الأيدي مفرده راحة.

(٢٤) السر هنا: الأصل وكرم النسب.

(٢٥) المؤثل: الأصيل. الأسارير: محاسن الوجه. الضاحي: البادي الظاهر.

(٢٦) كبا: عثر.

(٢٧) الظبا: جمع ظبة وهي شفر السيف وحده، والجد المشار إليه هو: محمد علي باشا رأس الأسرة العلوية.

(٢٨) الصفح: الغفران، وهو أيضًا عرض السيف وجمعه صفاح. غشيان الوغى: اقتحام الحرب.

(٢٩) مغدى ومراح: اسما مكاني الغدو والرواح بمعنى الذهاب والمجيء أو اسما زمانيهما، والمعنى مستقيم على كلا الاعتبارين.

(٣٠) الذخر: ما يدخر للمستقبل، والمنار: ما ينصب لهداية السفن.

(٣١) القرة: البرد، البصائر: جمع بصيرة والمراد بها القلب.

رثاء عَاطِف

أنشدت في حفل تأبين عاطف بركات باشا وكيل وزارة المعارف سنة ١٩٢٤م.

العَيْنُ عَبْرَى، والنُّفُوسُ صَوادِي ... ماتَ الْحِجَا، وقَضَى جلَالُ النَّادِي[١]
أرْجَاءَ ذَا الوادِي الخصِيبِ جنابُهُ ... ماذَا أَصَابَكَ يَا رَجَاءَ الوَادِي؟[٢]
سَهْمٌ رَمَاك بِهِ الحمامُ مُسَدَّدٌ ... أَوْدَى بِأَيِّ رَوِيَّةٍ وسَدَادِ!
وقَضَى على الآمَال فِي أفْنَانِها ... فَذَوَتْ ولم تُمْهَلْ لوَقْتِ حَصَادِ
وأَصَابَ من قَبَس الزَّكانةِ شُعْلَةً ... وَهَّاجَةً، فَغَدت فَتيتَ رَمَادِ[٣]
وطَوَى حُسَامًا مِنْك في جَفْن الثَّرَى ... قَدْ كَانَ يُسْتَعْصَى عَلَى الأَغْمَادِ
صُحُفُ الحَياةِ، وأَنْت أَصْدَقُ قارِئٍ ... لسُطُورِها، تُطوى إلى ميعَادِ
والوَرْدُ يَزْهُو ناضِرًا فَوْقَ الرُّبَا ... ويَعُودُ حِينًا وهو شَوْكُ قَتَادِ[٤]
وَالمَاءُ يَجْتَذِبُ النُّفُوسَ نَمِيرُه ... وَلَقَدْ يَكُون الماءُ غُصَّةَ صَادِي[٥]
مَا هَذِهِ الدُّنْيَا؟ أَمَا مِنْ نِعْمةٍ ... فيها لغَيْرِ تشَتُّتٍ ونَفَادِ!
قَدْ حَيَّرَتْ شَيْخَ المَعَرَّةِ حِقْبَةً ... فِي نَوْحِ بَاكٍ أَوْ تَرَنُّم شَادِي[٦]
تعَبُ الحَياةِ يَجيءُ من لَذَّاتِها ... ولذِيذُهَا يُجْنَى مِنَ الإجْهاد
يَطْوِي بِسَاطَ الْعُرْسِ فيها مأتمٌ ... في إثره عِيدٌ من الأعيَادِ
قَدْ كَانَ فِي رُزْء الحسَيْن بكَرْبَلَا ... عيدُ اليزِيد وعيدُ آل زِياد[٧]

* * *

أيَمُوتُ عاطفُ، والكنَانةُ تَرْتَجِي ... وَثَباتِه، واليَوْمُ يَوْمُ جلَادِ؟

أيمُوتُ في المَيْدَانِ، لم يُغْمَدْ له ... سَيْفٌ، ولم يُخْلَعْ نياط نِجادِ؟[٨]
أَيَمُوتُ، والنَّصْرُ المُبِينُ مُلَوِّحٌ ... بِلِوَائِه لِطَلَائِع الأجنَادِ؟
ويَغِيضُ ماءٌ كانَ أيْسَرُ قَطْرةٍ ... منهُ حَيَاةَ خَلَائِقٍ وبِلادِ؟
عُمْرٌ إذَا قَلَّتْ سِنُوه، فإنَّما ... آثارُهُنَّ كثِيرَةُ التَّعْدَادِ
كَالقِطْرِ تَجْمَعُ قَطْرةٌ من مائِهِ ... زَهْرًا، يَنُوءُ بغُصْنِهِ المَيَّاد[٩]
كَمْ مِنْ فَتيٍّ في التُّرابِ، وخَلْفَهُ ... ذِكْرٌ يُزَاحِمُ مَنكِبَ الآبَادِ![١٠]
ومُعَمَّرٍ عَبَرَ الوُجودَ، فَمَا رَنَا ... طَرْفٌ إليهِ ولا بَكَى لِبعَادِ
عُمْرُ الرِّجالِ يُقَاسُ بالمَجْدِ الَّذي ... شادُوه، لا بتقَادُمِ المِيلادِ

* * *

عَزِّ (المعارف) مُطْرِقًا في عَاطِفٍ ... زَيْنِ الفِناء وسَيِّدِ الأنْدَادِ
للعِلْم والأخْلَاقِ كانَ مُعَاضِدًا ... فطَوَى الْحَياةَ وفتَّ في الأعْضَادِ[١١]
ما زَال يَكْدَحُ، والْخُطُوبُ بِمَرْصَدٍ ... والدَّاءُ يَطْغَى، والزَّمَانُ يُعَادِي
لَمْ تُثْنِهِ الآلام عن غَاياتِه ... أو تَلْوِه الأسْقَامُ دُونَ مُرَادِ
فاللَّيْلُ مَوْصُولٌ بيَوْمٍ حافلٍ ... واليومُ مَعقُودٌ بليْل سُهَادِ
وكأنَّما نُصْحُ الطبيبِ بسَمْعِه ... هَذَرُ الوُشَاةِ، وزُفْرَةُ الْحُسَّادِ
وَهَبَ الحياَة كريمةً لبِلادِه ... ومَضَى إلى الأخْرى صَرِيعَ جِهاد
وإذَا بذَلتَ لِمصرَ كُلَّ عَزِيزةٍ ... إلَّا الحيَاةَ، فأَنتَ غيرُ جَواد

* * *

حَمَلُوا على الأعْوَادِ خيرَ وديعةٍ ... (أعلمتَ مَنْ حَمَلوا على الأعْوَاد؟)[١٢]
في ركْبِه زُمَرُ السَّموَاتِ العُلَا ... تَحْدُو مَطِيَّتَهُ لِخَيْرِ مَعَاد[١٣]
والصبرُ ناءٍ، والرُّءوسُ خواشِعٌ ... والدَّمعُ جارٍ، والقُلوبُ صَوَادِي[١٤]
حَمَلوا على النَّعْشِ الكريمِ، سُلَالَةَ الـ ... ـحَسَبِ الكَريمِ، وصَفوةَ الأَمْجاد
وتحمَّلوهُ ليَدْفِنوا تَحْتَ الثَّرَى ... شَمَمَ الأُبَاةِ، وصَوْلَةَ الآسَاد[١٥]
حَفَّ الشبابُ به، وفي عَبَرَاتهم ... كَمَدُ الجنودِ لمصْرَعِ القُوَّادِ

* * *

يا رَامِيَ الأملِ الْبَعِيدِ بِهمَّةٍ ... شمَّاءَ تُدْرك غايةَ الأبْعاد
وعَقيدةٍ لو صَوَّرَتْ بمُماثلٍ ... كانت تكونُ رَصَانَةَ الأطْواد[16]
لم يَزْهُها ضافي المديحِ، ولم تكن ... في الحق ترهبُ صولةَ النُّقَّاد[17]
وعزيمةٍ لا الزجرُ نهنه هَمَّها ... يومًا ولا فُلَّتْ، من الإيعاد[18]
كادت تدُور مع الكواكب دَوْرَها ... بالنَّحس آونَةً وبالإسْعاد
كانتْ أحزَّ من المُدَى، وأَحدَّ مِنْ ... غَرْب الظُّبَي يُسلَلْنَ يومَ طِرَاد[19]
وَثِقتْ بخَالِقها القديرِ فشمَّرتْ ... مَحمودةَ الإصْدَارِ والإيرَاد[20]
«سِيشيلُ» منه رَأت هَصورًا يَزْدَري ... ألمَ الإسَارِ، وقَسْوَةَ الأصْفَاد[21]
لَهْفِي عَلَيهِ، والدِّيارُ بَعِيدةٌ ... وخَيالُ مِصْرَ مَرَاوِحٌ ومُغادِي
مُتَوَثِّبًا نحوَ المُحِيط كأنَّه ... صَقْرُ الفلَاةِ بكِفَّة الصَّياد[22]
ما دكَّه عَصْفُ الْخُطُوبِ ولا وَنَى ... لزَعازع الإبْراقِ والإرْعاد
لا تَعْجَبوا، مَنْ كان سعدٌ خالَهُ ... ألقَتْ له الأخلاقُ كلَّ قِيَاد
سَعْدُ الذي غَرَسَ المُهَيْمنُ حُبَّه ... فِي كلِّ جارِحةٍ وكلِّ فُؤَاد

* * *

مُحْيِي القَضَاء رَمَاه فِي رَيَعَانِهِ ... سَهْمُ القضاء، فما له من فادي![23]
وثبتْ عَليه مِن المَنُونِ غوائِلٌ ... وعَدَت عليه من الزَّمان عَوَادِي
شيَّدتَ دارًا لِلقَضاءِ فأَصْبَحَتْ ... للدِّينِ والأَخْلاقِ خيرَ عِماد
لو لم تجِئْ يومَ الحِسابِ بِغَيْرِها ... لَسَمَوْتَ فوق مَنازِلِ العُبّادِ[24]
وبَثثتَ رُوحَكَ في الشّيوخِ، فكلُّهم ... داعٍ إلى نُور النُّبوَّةِ هادِي
وَبنَيْتَ بالأخْلاقِ منهمْ دولةً ... بَلَّغتْ بِحَوْلِك أبْعَدَ الآمادِ[25]
الدينُ سَمْحٌ، إنْ سَلَكْتَ سَبِيلَه ... لِلْخَيْرِ، لا للشَّرِّ والإفْسَادِ
فَلَكَمْ رَأَينا في المَعابد أَشْعَبًا ... للختْل يَلْبَسُ بُرْدَةَ الزُّهَاد[26]

* * *

فَزِعت لك الأقْلَامُ فوقَ طُروسِها ... ومن المِدَادِ لَبِسْنَ ثوْبَ حِداد[27]
وتكادُ تلْتَهبُ المَنَابرُ حَسْرةً ... لمَّا رَحَلْتَ، على خَطيب إياد[28]
والشِّعْرُ أضحتْ هاطلاتُ دُموعِهِ ... بَحْرًا، فنَاح عليكَ في الإنشاد

مَنْ لي، وظِلُّ الموت داجٍ بَيْننا ... بضِياء ذاك الكَوْكبِ الوقّاد![٢٩]
مَنْ لي بِذاكَ الوجهِ، بَيْنَ غُضُونِهِ ... أَسْطارُ أَسْرارِ الْحَياةِ بوادِي!
يا طالبًا نُورَ اليَقينِ حَيَاتَهُ ... جاءَ اليقينُ، فسرْ بأَوْفَرِ زَاد
وامْلأْ جُفونَكَ بالكَرَى فِي غِبْطةٍ ... قد كنتَ أَحوجَ ساهدٍ لرُقاد
واخلَعْ ثيابَ الداء عَزَّ دواؤه ... والْبَسْ بِعَدْنٍ أَنْفسَ الأبْراد[٣٠]
واذْهبْ كما ذَهب الشباب مُشَيِّعًا ... بِدم الجُفونِ وحُرْقة الأكْباد
سَحَتْ عليكَ مع الْجَنُوب رَوَائِحٌ ... وَهَمَتْ عليك مع الشمالِ غوادِي[٣١]

هوامش

(١) عبرى: يجري دمعها حزنًا. صوادي: ظمأى من حرقة الحزن ولهيبه.
(٢) الجناب: الناحية.
(٣) القبس: الشعلة تقتبس من معظم النار. الزكانة: الفراسة والبصر بالأمور.
(٤) الربا: ما ارتفع من الأرض. القتاد: شجر صلب له شوك كالإبر.
(٥) نميره: الصفي العذب منه. الغصة: ما يعترض في الحلق فيتأذى به الإنسان. الصادي: العطشان.
(٦) شيخ المعرة: أبو العلاء المعري الشاعر المعروف بزهده. الحقبة: المدة. ويشير بالشطر الثاني من هذا البيت إلى قصيدة أبي العلاء التي مطلعها:

غير مجد في ملتي واعتقادي ... نوح باك ولا ترنم شاد

(٧) الرزء: المصيبة. كربلاء: حيث قتل الحسين، عليه السلام. اليزيد: هو ابن معاوية. زياد: هو ابن أبي سفيان. ويريد بآله الشيعة الأموية التي خرجت على يد علي بن أبي طالب.
(٨) النجاد: حمالة السيف. نياط الشيء: ما يعلق به ويشد. الواحد نوط.
(٩) ينوء: يعيا ويكل. الميادة: المتثني لينًا.
(١٠) الآباد: جمع أبد (بالتحريك) وهو الدهر.
(١١) معاضدًا: ناصرًا ومؤازرًا. فت في الأعضاد: أوهن وأضعف مشيرًا إلى مرض السرطان الذي مات به الفقيد.

(١٢) الأعواد: النعش. والشطر الثاني مطلع قصيدة للشريف الرضي.

(١٣) الزمر: الجماعات. ويريد «بزمر السموات» الملائكة. تحدو: تسوق وتدفع. ويريد «بالمطية» نعشه.

(١٤) صوادي: جافة من حرقة الحزن ولهيبه.

(١٥) تحملوه: حملوه. والشمم: العزة والامتناع. والأباة: جمع أبي وهو الذي يأبى الضيم والذلة. وصولة الآساد: بطشها وقوتها.

(١٦) الرصانة: الرسوخ. الأطواد: جمع طود، وهو الجبل العظيم.

(١٧) لم يزهها: لم يبطرها. الصولة: السطوة.

(١٨) نهنه: خفف ولطف. فلت: تكسرت. الإيعاد: التهديد.

(١٩) أحز من المدى: أحد وأقوى قطعًا. غرب الظبي: حد السيف. يسللن: ينتزعن من أغمادهن. يوم الطراد: الحرب.

(٢٠) شمرت: جرت متجهة إلى ما تريد. الإصدار والإيراد: الفعل والترك.

(٢١) سيشل: إحدى الجزر التابعة لإنجلترا حينئذ وتقع إلى الشرق من إفريقية. وإليها نفي الفقيد مع المغفور له سعد زغلول باشا وغيرهما. الهصور: الأسد. يزدري: لا يعبأ. الإسار: الأسر. الأصفاد: القيود.

(٢٢) كفة الصياد: حبالته.

(٢٣) محيي القضاء يشيد بأياديه على مدرسة القضاء الشرعي التي أنجبت قضاة أخذوا بيد القضاء ونهضوا به.

(٢٤) سموت: علوت وارتفعت.

(٢٥) الآماد: الغايات، الواحد: أمد.

(٢٦) أشعب: طماع يضرب به المثل في شدة الطمع والنهم. الختل: الخداع والأخذ على غرة.

(٢٧) الطروس: الصحف.

(٢٨) خطيب إياد: هو قس بن ساعدة الإيادي، خطيب العرب في جاهليتها.

(٢٩) داج: مظلم يحجب ما بيني وبينك.

(٣٠) عدن: الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين. أنفس الأبراد: لباس التقوى.

(٣١) سحت: أمطرت في غزارة. الجنوب: الريح تهب من الجنوب. الروائح: السحب الرائحة. همت: أمطرت. الغوادي: السحب الغادية.

عيدُ دارِ الإذاعة

أذيعت هذه القصيدة في ٣١ من مايو سنة ١٩٣٨م، حينما احتفلت دار الإذاعة بانتهاء العام الرابع من إنشائها.

فَتَاةَ الْقَرِيضِ، اهْبِطِي مِنْ عَلِ ... مَـدَدْتُ يَـدَيَّ، فَـلَا تَـبْـخَـلِـي
كَبَا بِفَتَى الشعْرِ طُولُ الصعُودِ ... فـإنْ كُـنْـتِ رَاحِـمَـةً فْـانْـزِلـي[1]
يَـحِـنُّ إِلَـيْـكِ حَـنِـينَ الْـمَـشِـيـبِ ... إِلَى ضحكَاتِ الصِّبَا الْمُخْضِلِ[2]
سَـلَا بِـكِ لَـيْـلَـى وَأَتْـرَابَـهَـا ... وَنَـامَ عَـنِ الْـعَـذْلِ وَالْـعُـذَّلِ
شَـغَـلْـتِ فَـتَـاكِ بِـسِـحْـرِ الْـبَـيَـانِ ... ولَـوْلَا عُـيُـونُـكِ لَـمْ يُـشْـغَـلِ[3]
يَـرَاكِ مِـنَ الـلَّـيْـلِ فِـي بَـدْرِهِ ... وَفِي شَعْرِهِ الْفَاحِمِ الْمُسْبَلِ[4]
وَفِـي كُـلِّ آهٍ رَمَـاهَـا الْـهَـوَى ... عَـلَـى شَـطِّ مَـدْمَـعِـهِ الْـمُـرْسَـلِ
وَيَـلْـقَـاكِ فِـي كُـلِّ وَجْـهٍ صَـبِـيحٍ ... بِـغَـيْـرِ الْـمـلَاحَـةِ لـم يُـصْـقَـلِ
وَمِنْ فِيكِ يَسْمَعُ نَجْوَى الْغُصُونِ ... وَيُـصْـغِـي إِلَـى هَـمْـسَـةِ الْـجَـدْوَلِ
تَـعِـيشِـينَ فـي زَاخِـرٍ مِـنْ ضِـيَـاءٍ ... تُـصَـفِّـقُ بِـالْأَمَـلِ الْـمُـقْـبِـلِ
تَـحُـومُ الْـمَـلَائِـكُ مِـنْ فَـوْقِـهِ ... كما حَامَ طَيْرٌ عَلَى مَنْهَلِ
رَوِينَـا بِـهِ فَـنَـسِـيـنَـا الْـحَـيَـاةَ ... وَمَا دِيفَ فِيها مِنَ الْحَنْظَلِ[5]
وَذُقْـنَـا سُـلَافًـا أَبَـتْ أَنْ تَـرِفَّ ... بِـكَـفِّ الـنُّـواسِـيِّ والْأَخْـطَـلِ[6]
إِذَا قُـتِـلَـتْ أَحْـيَـتِ الـشـارِبِـيـنَ ... فَـكَـيْـفَ إِذَا هِـيَ لَـمْ تُـقْـتَـلِ[7]
كَـأَنَّ الْـحَـبَـابَ عَـلَـى وَجْـهِـهَـا ... وُعُـودٌ حَـصَـلْـنَ وَلَـمْ تْـحُـصِـلِ[8]
عِدِينِي عِدِينِي فَتَاةَ الْقَرِيضِ ... وَإِيَّـاكِ إِيَّـاكِ أَنْ تَـمْـطُـلِـي

تَعالَيْ نُقَبِّلُ وَجْهَ الربيعِ بَشِير الْمُنَى وَمُنَى الْمُجْتَلِي[٩]
وَنَجْمَعُ مِنْ زَهْرِهِ ما نَشَاءُ وَنَرْفُلُ فِي ثَوْبِهِ الْمُخْمَلِ
تَعالَيْ نَطِيرُ بِرِيشِ الأثِيرِ ونَعْلُو بِهِ حَيْثُمَا يَعْتَلِي
نَمُرُّ كَمَا مَرَّ طَيْفُ الْخَيَالِ أَلَمَّ لِمامًا وَلَمْ يَحْلُلِ
فَبَيْنَا نُحَدِّثُ أَهْلَ الْحِجازِ إِذَا صَوْتُكِ الْعَذْبُ فِي الْمُوْصِلِ[١٠]
نُحَيِّي بَنِي الْعَرَبِ الأَوْفِيَاءَ وَنُسْمِعُهُمْ غَرَدَ الْبُلْبُلِ
أُولَئِكَ قَوْمِي بُناةُ الْفَخارِ وَزَيْنُ الْمَحَافِل وَالْجَحْفَلِ[١١]
وَلَوْلَا الإِذَاعَةُ عاشَ الْكِرَامُ حُماةُ الْعُرُوبةِ فِي مَعْزِلِ

* * *

أَدَارَ الإِذَاعَةِ مِنْ مُخْلِصٍ عَنِ الْوُدِّ وَالْعَهْدِ لَمْ يَنْكُلِ
هَناءً بِأَعْوامِكِ الْمُشْرِقَاتِ وَأَيَّامِ نَهْضَتِكِ الْحُفَّلِ
وُلِدتِ وَلِلْعِلْمِ أَسْرَارُهُ وَقَدْ كُنْتِ مِنْ سِرِّهِ الْمُعْضَلِ
بَذَلْتِ الثَّقَافَةَ لِلظامِئِينَ وَلَوْلَا يَمِينُكِ لم تُبْذَلِ
وَنَبَّهْتِ وَسْنَانَ جَفْنِ الصبَاحِ بِآيِ مِنَ الْكَلِمِ الْمُنْزَلِ[١٢]
وَغَنَّيْتِ حَتَّى تَعَزَّى الْحَزِينُ وَقَرَّ الشَّجِيُّ وَهَامَ الْخَلِي
ترانِيمُ ما سَمِعَتْهَا الْفُنُونُ بِأَوْتارِ إِسْحاقَ أَوْ زُلْزُلِ[١٣]
وَكَمْ قَدْ هَزَلْتِ لتَشْفِي النُّفُوسَ فَكَانَ مِنَ الْجِدِّ أَنْ تَهْزِلِي

* * *

مَضَتْ مِصْر تَصْعَدُ نَحْوَ السماء وَتَسْمُو عَلَى مَسْبَحِ الْأَجْدَلِ[١٤]
وَأَضْحَتْ مِنَ الْعِلْمِ في رَوْضَةٍ وَمِنْ عِزَّةِ الْمُلْكِ فِي مَعْقِلِ
تتِيهُ بِتاريخِ أَمْجادِها وتُزْهَى بِفَارُوقِهَا الْأَوَّلِ

هوامش

(١) كبا: انكب على وجهه وسقط.

(٢) المخضل: الندى الناعم. أخضل: ندي.

(٣) المراد بالعيون هنا: خيار الشعر وما كان منه معجبًا ساحرًا، ففي هذه الكلمة تورية.

(٤) الفاحم: الأسود. أسبل الأزرار والستر ونحوهما: أرخاه.

(٥) الحنظل: نبت مر.

(٦) السلاف: الخمر. ترف: تبرق وتتلألأ. النواسي: هو أبو نواس الحسن بن هانئ شاعر فارسي الأصل، ولد بقرية من قرى خورستان شرقي البصرة سنة ١٤٥هـ، ومات ببغداد سنة ١٩٩هـ ومدح الرشيد وابنه محمد الأمين من خلفاء الدولة العباسية. وهو أشهر الشعراء المحدثين بعد بشار، وأكثرهم تفننًا، وقد امتاز بقصائده الخمريات ومقطعاته المجونيات. الأخطل: هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبي من الشعراء المتقدمين في الدولة الأموية، وقد اشتهر بالتعمق في وصف الخمر وانفرد بذلك دون شعراء عصره. مات سنة ٩٥هـ.

(٧) قتلت: مزجت بالماء.

(٨) الحباب: بفتح الحاء: النفاخات التي تعلو الماء ونحوه.

(٩) المجتلي: اسم فاعل من اجتليت الشيء بمعنى نظرت إليه.

(١٠) الموصل: من بلاد العراق في شماليها على نهر دجلة.

(١١) الجحفل: الجيش الكثير.

(١٢) الوسنان: صفة من الوسن وهو النعاس.

(١٣) إسحاق بن إبراهيم الموصلي كان مغنيًا ذائع الصيت في عهد هارون الرشيد وابنه عبد الله المأمون، وهو فارسي الأصل، وقد ورث الولوع بالغناء عن أبيه وأمه إذ كانا مغنيين مشهورين، وتعلم الضرب بالعود من «زلزل»، وكان إلى جانب شهرته بالغناء فقيهًا عالمًا صادقًا عفيفًا. زلزل: مغن بغدادي مشهور، كان يضرب المثل بضربه العود (وهو أول من أحدث العيدان)، واسمه منصور وأصله من سواد أهل الكوفة، وقد تعلم الغناء من إبراهيم الموصلي.

(١٤) الأجدل: الصقر وهو أقوى جوارح الطير وأرفعها طيرانًا.

تكريم

ألقيت هذه القصيدة في حفل لتكريم الدكتور علي توفيق شوشه، وكيل وزارة الصحة بمناسبة الإنعام عليه برتبة الباشوية عام ١٩٤٥م.

نَغَمُ الشِّعْرِ في رُبا جَنَّاتِهْ أسكت ابنَ الغُصونِ في دَوْحاتِهْ[١]
مالَ سَمْعُ الدنيا إليه وأصغَتْ هاتفاتُ المُنَى إلى هاتفاته[٢]
وَتَرٌ صاغَه الإلهُ وألْقَى نَغَماتِ الفِرْدَوْسِ في نَغَماته[٣]
ورنينٌ من السماء تَمنَّى كلُّ طَيْرٍ لو أنَّهُ من لَهاته[٤]
صُنْتُه أنْ يهونَ، والفنُّ يسمو حينَ تسمو به نفوسُ حُماته[٥]
وتقلدتُه حسامًا لمصرٍ تتوقى الخطوبُ وَقْعَ شَباته[٦]
وهززتُ الشبابَ للسبقِ فانثـ ـالوا سِراعًا على هُدَى مِشْكَاتِهْ[٧]
ما مدحتُ الكريمَ إلَّا لأدعو بمديحي إلى كريمِ صِفاته
أنا بالمجدِ مُولَعٌ وبأهليـ ـه، وبالباقياتِ من ذِكْرَياته
أعشَقُ النُّبْلَ في جلالةِ معنا ه، وأهوَى الإقدامَ في عَزَماته
قد رأيتُ العَلاءَ في اسم «عليٍّ» ورأيتُ «التوفيقَ» خيرَ سِماته[٨]
فشدا باسمِه قَريضي كما يَشـ ـدو طليقُ الْجَناحِ في رَوْضاته[٩]
وإذا كَرَّم الرجالُ ابن توفيـ ـقٍ فقد كرَّموا النبوغَ لذاته

* * *

بَسَماتُ الربيع في بَسَماته وسنا الصبح من سنا قَسَماته[١٠]

كوكبيُّ الذكاء لو صَدَعَ الليـ ـلَ لجلَّى بنورِه ظُلُماتِه[١١]
باحث لا يَصيدُ في مَهْمَهِ العلـ ـمِ سوى الشارداتِ من آبداته[١٢]
رأيُه مِجْهَرٌ فما غاب أمرٌ كيفما دقَّ عن مدَى نَظَراته[١٣]
لَمَحاتٌ كأنَّها خاطفُ البر قِ، وأين البُروقُ من لمحاته؟[١٤]
إن رَمى الشكَّ رأيُهُ فَرَّ حَيْرا ن، يَجرُّ الذيولَ من شُبُهاته[١٥]
ما رأى عَبْقَرٌ ولا جِنُّ واديـ ـه كهذا الذكاء في مُعجزاته[١٦]

* * *

وشبابٌ كأنه ناضِرُ الريحـ ـانِ في حُسنِه وفي نَفَحاته
صانَه النُّبْلُ أن يُمَسَّ له ذَيـ ـلٌ، وأدَّى الإيمانُ فرض ذكاته[١٧]
غرسَ اللهُ نبتَه فنما نَضـ ـرًا، وآتى الشَّهِيَّ من ثمراتِه[١٨]
يمتطي العبْقَرِيُّ ناجيةَ العز مِ حثيثَ الْخُطا إلى غاياته[١٩]
لا يَرَى الطرْفُ منه إلَّا غُبارًا عَجَزَ الطرْفُ أنْ يَرَى قَصَباته[٢٠]
يتمنَّى الشُّيوخُ لو بذلوا العُمـ ـرَ لِقاءَ القليلِ من ساعاته
عُمُرُ المرءِ بالجليلِ من الأعـ ـمالِ لا بالكثيرِ من سنواته
بُؤْرَةُ الضوءِ كم بها من شُعاعٍ ملأ الأُفْقَ في جميعِ جِهاته!
ورحيقُ الأزهارِ كم ضمَّ من رَوْ ضٍ شَذِيٍّ الشَّميمِ في قَطَراته![٢١]

* * *

جَمَعَ الفضلَ حين فرَّقه النا سُ، وآواه بعدَ طولِ شَتاته
دائراتُ المعارفِ اجتمعت فيـ ـه ففتِّش عنهن في صَفحَاتِه[٢٢]
كم لُغاتٍ جرَى بها لفظُه العَذْ بُ سليمًا كأنَّها من لغاته
هو في الطبِّ من كِبار نُحاته وهو في النحوِ من كِبارِ أُساته[٢٣]
وهو في حَلْبَةِ البيانِ أديبٌ تسمَعُ السحرَ في رُقَى نَفَثَاته[٢٤]
وهو إن شئتَ حافظٌ لغويٌّ كلماتُ «القاموسِ» من كلماته[٢٥]
نسخةٌ «للسانِ» في صدرِه الوا عي، سما طبعها على طَبَعاته[٢٦]
يعرِفُ الأَيْهُقَانَ والثولَ والذعـ ـلوقَ والسَيْسَبَى ونوعَ نباته[٢٧]
أنا أخشَى جِدالَه كلَّما صا لَ عنيفَ الجِدال في صَوْلاته

مجمعُ الضادِ يرفعُ الرأسَ في زهوٍ بآرائه وصدق أناته[٢٨]
حَسْبُ دهرٍ جنَى على الناسِ أنْ كا ن «عليٌّ» يُعَدُّ من حَسَنَاتِهْ[٢٩]
«معملُ المَصْلِ» وهو فتحٌ مبينٌ بعضُ ما نال مصرَ منَ مَأْثُراته[٣٠]
فَتَكاتُ المكروبِ ألقتْ سلاحًا للسريعِ السديدِ منَ فَتَكاته
يصرَعُ الموتَ ثابتَ العزمِ مِقْدا مًا جريئًا في عزمِه وثباته
كم حبا الناسَ من حياةٍ، أمدَّ اللهُ للمجدِ والعُلا في حياته![٣١]
نال أسمَى الألقابِ والفضلُ فضلٌ كيفما قد رفعتَ من درجاته!

هوامش

(١) ربا: جمع ربوة. ابن الغصون: الطائر المغرد. دوحاته: أشجاره الكبيرة.
(٢) هاتفات المنى: صائحات بالأماني.
(٣) صاغه: صنعه. الفردوس: حديقة في الجنة.
(٤) لهاته: اللهاة زائدة لحمية في مؤخرة سقف الحلق والمقصود حنجرته.
(٥) حماته: المدافعون عنه.
(٦) تقلدته: حملته. حسامًا: سيفًا. وقع شباته: ضرب طرفه الحاد.
(٧) هززت: أثرت وحركت. انثالوا: جاءوا من كل وجه. مشكاته: مصباحه.
(٨) العلاء: الشرف والمجد. سماته: صفاته.
(٩) طليق الجناح: الطيور الحرة المغردة.
(١٠) سنا: نور. قسماته: ملامحه.
(١١) كوكبي: نوره كالنجم. صدع: شق. جلى: كشف.
(١٢) مهمه: الفلاة يقصد اتساع العلم. الشاردات: يقصد أموره الشاردة الغريبة. آبداته: عويصات.
(١٣) مجهر: المنظار المكبر. مدى: غاية ونهاية.
(١٤) لمحات: نظرات. خاطف البرق: البرق السريع.
(١٥) شبهاته: الشكوك والظنون، الالتباس.
(١٦) جن واديه: الجن من المخلوقات التي لا ترى، وقد زعم العرب أن لها واديًا هو وادي عبقر.

(١٧) ذكاته: طهارته.

(١٨) نبته: غرسه. آتى: أثمر. الشهي: ما يشتهى لحلاوته.

(١٩) يمتطي: يركب. ناجية: سريعة. حثيث: سريع. غاياته: مراده وهدفه.

(٢٠) الطرف: العين. قصباته: القصب الذي يوضع في حلبة السباق.

(٢١) شذيّ الشميم: ذكي الرائحة.

(٢٢) دائرات المعارف: جمع دائرة المعارف وهي الموسوعة العلمية.

(٢٣) نحاته: علماء اللغة. أساته: أطباؤه.

(٢٤) حلبة: مكان السباق. رقى: تعاويذ.

(٢٥) القاموس: يقصد القاموس المحيط.

(٢٦) نسخة للسان: المراد باللسان كتاب لسان العرب وهو معجم لغوي ضخم. سما: علا.

(٢٧) الأيهقان: عشب يطول ساقه وله وردة حمراء وورقه عريض ويؤكل وهو الجرجير البري. الثول: شجر الحمض. الذعلوق: بقل كالكرات. والسيسبى: السيسبان.

(٢٨) مجمع الضاد: هو مجمع اللغة العربية والممدوح كان عضوًا به.

(٢٩) حسب دهر: يكفي الزمن.

(٣٠) معمل المصل: معمل المصل واللقاح وكان الممدوح يشرف عليه. مأثراته: مآثره وحسناته.

(٣١) حبا: أعطى، اختص.

من أخبر الجمل؟!

كتب الشاعر هذه الأبيات في مناسبة فرار جمل من جزّاره والتجائه إلى قصر عابدين سنة ١٩٤٤م.

عابدينُ كعبةُ مصرٍ رُكْنُها حَرَمٌ ... للخائفينَ إذا خطْبٌ بهم نَزَلا[١]
تَهوِي إليها وفودُ الأرض ضارعةً ... ترجو بها الأمنَ، أو تُحْيِي بها الأملا[٢]
أَمْرٌ وعاه بنو الإنسانِ وَحْدَهُمُ ... فَمَنْ بربِّكَ قلْ لي أخبر الجملا؟![٣]

هوامش

(١) حرم: أمان والمقصود من دخله كان آمنًا كالبيت الحرام.
(٢) تهوي: تذهب، تَفِد. ضارعة: داعية إلى الله.
(٣) وعاه: عرفه.

هجاء ...

عام ١٩٠٦م

إنْ نَبا خَدُّكَ المُصَعَّرُ عنِّي ... مُذْ نَبا هَجْوِيَ المُبرِّحُ عَنْكَا[١]
فبجهلٍ قابلتَ ما كان منِّي ... وبحلمٍ قابلتُ ما كان منكا
ولو استطعتُ لابتدعتُ كُفوفًا ... من هِجاءٍ، تَصُكُّ وَجْهَكَ صَكّا[٢]
ولفكَّكْتُ من أساريرِكَ الكِبـ ... ـرَ بقولٍ من وَخْزَةِ الموتِ أنْكَى[٣]
إنَّنا مَعْشَرٌ نَرى الذلَّ في الو ... دِّ لغيرِ اللهِ المهيمنِ شِرْكا[٤]
قد رأينا في المالِ والذلِّ فَقْرًا ... ورأينا في العِزِّ والفقر مُلْكا

هوامش

(١) نبا: تجافى وبعد. المصعر: مائل كبرًا. هجوي: هجاء، ضد المدح. المبرح: الشديد.
(٢) تصك: تضرب.
(٣) وخزة الموت: طعنة مميته. أنكى: أصعب.
(٤) المهيمن: المتصرف في الأمور. شركًا: أي نجعل منه شريكًا وهو كفر.

رثاء أنطون الجميل باشا

ألقيت هذه القصيدة في الحفل الذي أقامه مجمع اللغة العربية لتأبين الأستاذ أنطون الجميل عضو المجمع عام ١٩٤٨م.

حَنَّ شِعري إلى اللّقاءِ وأنَّا ... أينَ ألقاكَ ليتَ شعري؟ وأنَّى؟[١]

ضَرَبتْ بينَنا المَنونُ بِسُورٍ ... حَجبتهُ العقُولُ عَنْها وعَنَّا

تَتَلاقَى بِه الدموعُ حَيارَى ... وَتَغُوصُ الظنونُ فيه فَتضنى[٢]

كم حوَى مِن ورائه زَهراتٍ ... وغُصُونًا رَيّا المَعاطفِ لُدنَا[٣]

كم حوى من ورائِه عبقريا ... تٍ، ورأيًا عَضْبَ الشَّباةِ ونهْنَا[٤]

كم حَوى مِن صحائفٍ لم تُتمَّمْ ... وأناشيدَ لم تَعِشْ لتُغنَّى!

وأمانٍ زُغبٍ تطير إلى القَبـ ... ـر، خِمَاص الحشى، فُرادى ومَثْنَى[٥]

حَجَبَ السورُ خلفَه لي رجاءً ... خانَه الدهرُ في صِباهُ وأخْنَى[٦]

أسكتَتهُ قوارعُ الموتِ لَحنًا ... ولوتْهُ زَعازعُ الموتِ غُصنَا[٧]

هُو في البدرِ حينما يطلعُ البد ... رُ، وفي الروضِ حينَما يتثَنَّى

ما بُكاءُ الأطفالِ أجدى عليهِ ... لَا، ولَا الصبرُ والتجلُّدُ أغنَى

فيه أسْعدتُ كلَّ باكٍ بِدَمعي ... وأعرتُ الثكْلى الحزينَةَ جَفْنَا[٨]

كلَّما مرَّت النوادبُ صُبحًا ... ضربَ القَلبُ بالجَناحِ وحنَّا[٩]

يا شبابًا فقدتُ فيه شَبابي ... أدْركِ الوالهَ الشجيَّ المُعنَّى![١٠]

قد وأدتُ الرجاءَ في هذه الدْ ... دُنيا، فلا أرتجِي ولا أتَمنَّى[١١]

وخنقتُ السنينَ أو ما علاها ... فرأيتُ الميلادَ مَوْتًا ودَفْنا

مَنْ يُعمِّرْ يجدْ أخلَّاءَهُ في الأر ... ضِ أوفَى مِمَّن عليها وأحنَى![١٢]
يذهب الأمسُ بالرجال فيُنسَوْ ... نَ، وتَمضِي القُرونُ قرنًا فقرنا
رِيشَةٌ في مهامهِ البيدِ طارَت ... أيْنَ طارت؟ اللهُ أعلمُ مِنَّا![١٣]
وخِضَمٌّ الماضِي يَعُجُّ بمن فيـ ... ـه، ويغْشى قوْمًا، ويغمرُ مُدنَا[١٤]
وظُعونُ المنونِ منذُ سليل الطيـ ... ـنِ تَطوي الصحراءَ ظِعنًا فظعنَا[١٥]
سُفنٌ تلتقِي على شاطئ الغيـ ... ـبِ، لتَلقى هُناكَ سُفنًا وسفنَا
ما لنا غيرَ أن نقولَ حيارى ... بلسان الدموع: كانُوا وكُنَّا
لا تقلْ: إنَّ صالحَ الذكرِ يبقى ... كل شيءٍ في الدهرِ يبقى ليفْنَى
ما غنائي بالذكر يبقى جميلًا ... حين أمسي تحت الصفائح رَهْنَا؟[١٦]
ما رجائي والسيفُ أضحى حُطامًا ... أن أرى بعده نِجادًا وجَفْنَا؟[١٧]

* * *

قد فقدنا «أنطونَ» بالأمس والحز ... نُ على فقده يُجدِّدُ حُزنا
أَخَذَتْه فُجاءةُ الموتِ أخذًا ... رِيعَ مِن هولِه الصباحُ وجُنَّا[١٨]
ما حنى الرأسَ مرةً لِعظيمٍ ... فأبى أن يراهُ لِلسِّنِّ يُحنَى
أنجمٌ أشرقتْ فأطفأها المو ... تُ، كما تُطفأ المصابيحُ وهْنَا[١٩]
ما على الدهرِ لو تريّثَ حِينًا ... أو على الدهرِ مَرَّةً لو تأنَّى!
كُلّ يومٍ نرثي وننـدبُ حتّى ... صار ندبُ الرجال في مصر فنًّا
ورحا الموتِ لا تني تملأ الأر ... ضَ ضجيجًا وتنثر الناس طحْنَا[٢٠]
نَسِيَ الشعرُ في صراع الرزايا ... رنَّةَ الكأسِ والغزالَ الأَغَنَّا[٢١]
شغلتْه مآتمٌ ونعوشٌ ... عَنْ هَوى زَينبٍ، وعَن وَعد لُبنى
كم سلَوْنا عَن صاحبٍ بحبيبٍ ... فإذا بالحبيبِ يُخلِفُ ظنَّا![٢٢]
نتداوى مِن لاعجِ الشوقِ بالشـ ... ـوقِ ونطوي أسًى لننشر شَجْنَا[٢٣]

* * *

ماتَ «أنطونُ» وانقَضت دولةُ المجـ ... ـدِ، وكانت به تَعِزُّ وتغنَى
وغدا عَبْقَرٌ ووادِيه أضغا ... ثًا، وعادت رَجاحةُ العقْلِ أفنَا[٢٤]
ورأينا الأقلامَ يَشقُقْن صدرًا ... بعده حَسرةً ويقرَعْنَ سِنَّا[٢٥]

نندبُ الكاتبَ الذي يُرسل القو ... لَ قويَّ الأداء مَعْنًى ومَبنَى
لا ترى لفتةً به تجبهُ الذو ... قَ، ولا لفظَةً تُخْدشُ أُذْنَا
موجِزٌ زاده الوُضوحُ جمالًا ... والتخلِّي عن الفَضالاتِ وزْنَا[٢٦]
أين ذاكَ الخُلقَ السميحَ؟ كأن لم ... يكُ بالأمسِ يملأ الأرضَ حُسنَا
والبشاشاتُ أينَ مِنِّي سناها؟ ... والأفاكيهُ مِنْ هُناك وهُنَّا[٢٧]
والسياساتُ؟ والدهاءُ الذي كا ... نَ سِلاحًا حينًا وحينًا مِجَنّا؟[٢٨]
أينَ ذاكَ الصدرَ الذي يحملُ العب ... ءَ، عظيمًا، وليس يحملُ ضِغنَا؟[٢٩]
كم غزتْهُ الخُطوبُ دُهمَ النواصي ... وهو أصفى من الصباح وأسنَى[٣٠]

* * *

يا أخي، هَلْ يليقُ أن تدخلَ البا ... بَ أمامِي، وأنت أصغرُ سِنًّا!
قِفْ! تأخّر، قد كنت تُعلي مكاني ... ما جَرى؟! ما الذي نَبا بك عنَّا؟[٣١]
كنتَ بالأمس، كنت بالأمسِ رُوحًا ... مَرِحًا ضاحِكًا، وصَوْتًا مُرِنّا[٣٢]
كنت مَعنًى من الشباب وإن ... شاخَ، وعزْمًا لم يعرف الدهرَ وهْنَا[٣٣]
تملأُ الأرضَ والزمانَ حياةً ... هادئَ النفسِ وادِعًا مطمئنا
تبذلُ الخيرَ لم يُكدَّر بمنٍّ ... وكثير مِنّا إذا مَنَّ مَنَّا

* * *

مجمعُ الضادِ كنتَ للضادِ فيه ... عَلَمًا يُحسِرُ العيونَ ورُكنَا[٣٤]
كنتَ مِصباحَنا المنيرَ إذا غمـ ... ـمَت سبيلٌ، وطالَ ليلٌ وجَنَّا[٣٥]
كنتَ يومَ الجِدالِ بالحُجَّةِ البيضا ... ء تمحو سحائبَ الشكِّ وكنّا[٣٦]
عِفّةٌ في اللّسانِ صَيّرت الأيـ ... ـيَامَ تشدو بمدحِك اليومَ لُسْنَا
تبلُغُ الغايةَ القصيّةَ ما أدْ ... مَيتَ جُرحًا، ولا تعمدتَ طَعنَا[٣٧]
كلُّ قِرْنٍ لدى النضال يرى فيـ ... ـكَ لمعنى الوفاء للحق قِرنَا[٣٨]

* * *

حَسْرتَا للفتى إذا قارَب الشوْ ... طَ طوتْهُ المنونُ غَدْرًا وغَبْنًا[٣٩]
كلَّما مدّ للكمالِ يديهِ ... صَدَّ عنهُ الكمالُ كِبرًا وضَنًّا[٤٠]

إنْ قَوِينا عَقْلًا ضَعُفْنا جُسومًا ورأينا في الموتِ بُرءًا وأمْنَا[٤١]
وشئونُ الحياةِ شتَّى ولكنْ حُبُّنا للحياةِ أعظَمُ شأنَا
لو يعيشُ الإنسانُ عُمْرَ السُّلحفا ةِ لأغنَى هذا الوجودَ وأقنَى[٤٢]
ما الذي نرتجيه والْعُمْرُ طَيفٌ إنْ فَتحْنَا العينين بانَ وبِنّا؟[٤٣]
نحنُ في هذه الحياةِ ثِمارٌ كُلُّ شيءٍ إن أدْرَكَ النضْجَ يُجْنَى[٤٤]

* * *

يا أخي، هل تُجيبُ إن هتف الشو قُ حبيبًا صِدْقَ الوفَاء وخِدْنَا؟[٤٥]
إن أكنْ فيكَ دانِيَ القلْبِ بالأمـ ـسِ، فروحي لروحِك اليوم أدْنَى[٤٦]
أتراني إنْ حان حَيْني قَمينًا أن أرى فِي ذَراك ظِلًّا وسَكْنَا[٤٧]
نَمْ قريرًا، فإنَّ في ضجعةِ القبـ ـرِ سَلامًا للعاملين ويُمْنًا[٤٨]
وجَدَ الساهرُ المجدُّ وِسادًا ورأى الطائرُ المحلِّقُ وَكْنَا[٤٩]
إنْ يكنْ في الحياةِ مَعنًى مِن الصفـ ـوِ فَما للحياةِ بَعْدَكَ معْنَى

هوامش

(١) أنا: أصدر أنينًا. أنَّى: أين.
(٢) تضنى: تتعب.
(٣) ريا: مرتوية. المعاطف: الجوانب. لدنا: لينة.
(٤) عضب: كالسيف. الشباة: حاد الطرف.
(٥) زغب: صغار. والزغب هو أول ما يغطي جلد صغار الطيور بعد فقسها.
(٦) أخنى: أتى عليه وأهلكه.
(٧) قوارع: نوازع ودواهي. زعازع: زعزعة الشيء.
(٨) أعرت: أقرضت. الثكلى: التي فقدت ابنها، جفنا: جفن العين. يقصد عينًا دامعة.
(٩) النوادب: الباكيات على الميت الذاكرات لمحاسنه.
(١٠) الواله: المحب الحيران. الشجى: الحزين. المعنى: الذي يقاسي.
(١١) وأدت: دفنت. أرتجي: أرجو وآمل.
(١٢) أخلاءه: إخوانه. أوفى: أخلص. أحنى: عطوفًا.

(١٣) مهامه البيد: الصحراء الممتدة الواسعة.

(١٤) خضم: البحر ذو الأمواج المرتفعة. يغشى: يغطي.

(١٥) ظعون: أسفار. سليل الطين: المخلوق من الطين والمقصود سيدنا آدم عليه السلام.

(١٦) الصفائح: الألواح. رهنًا: مرهونًا يقصد موجودًا باقيًا.

(١٧) حطامًا: متكسرًا ومتحطمًا. نجادًا: حمائل السيف. جفنًا: غمد السيف.

(١٨) ريع: خاف وفزع.

(١٩) وهنًا: ضعفا.

(٢٠) رحا: المطحنة.

(٢١) الرزايا: المصائب. الأغنا: الذي يعيش في الأرض المعشبة المليئة بالشجر.

(٢٢) سلونا: نسينا.

(٢٣) لاعج: شدة. شجنا: حزنًا.

(٢٤) عبقر: صاحب وادي الجن الذي ادعى العرب وجوده. أضغاثًا: أحلام لا يصلح تأويلها لاختلاطها. أفنا: ضعف في العقل والرأي.

(٢٥) يقرعن سنا: يضربن ضرسًا كناية عن الحسرة.

(٢٦) الفضالات: النواقص.

(٢٧) البشاشات: طلاقة الوجه وسروره. سناها: ضوؤها. هنا: للتقريب.

(٢٨) مجنا: الدرع الواقي.

(٢٩) العبء: الحمل الثقيل. ضغنًا: حقدًا.

(٣٠) دهم النواصي: سود الرؤوس. أسنى: أكثر ضياء.

(٣١) نبا: بعد وجافى.

(٣٢) مرنًّا: له رنين مسموع.

(٣٣) شاخ: كبر وهرم. وهنًا: ضعفًا.

(٣٤) مجمع الضاد: مجمع اللغة العربية والفقيد كان عضوًا به. يحسر: تكل العيون من كثرة التطلع إليه.

(٣٥) غمت: اسودت. أظلمت. جنا: أظلم.

(٣٦) وكنا: متمكنا.

(٣٧) القصية: البعيدة. ما أدميت: ما أسلت دمًا.

(٣٨) قرن: ند.
(٣٩) غبنا: ظلما.
(٤٠) ضنّا: شُحًّا وبخلًا.
(٤١) برءا: شفاء. أمنًا: أمانًا.
(٤٢) أقنى: أعطى.
(٤٣) نرتجيه: نأمله ونريده. طيف: خيال. بان: ظهر.
(٤٤) يجنى: يحصد ويجمع.
(٤٥) خدنا: صديقًا.
(٤٦) داني: قريب.
(٤٧) قمينًا: جديرًا. ذراك: كنفك. سكنًا: إقامة.
(٤٨) قريرًا: هادئًا ساكنًا. في ضجعة: في وضع جنبه على الأرض. يمنًا: بركة.
(٤٩) وكنا: عُشًّا.

لبنان

ألقيت هذه القصيدة في حفل إفتتاح المؤتمر الطبي ببيروت في صيف عام ١٩٤٤م.

أَلْـقـيـتُ لـلـغِـيـد الـمـلاحِ سـلاحـي ... ورجَـعـتُ أغسلُ بـالـدمـوعِ جـراحِـي
ولـمـحـتُ رَيْـحـانَ الـصِّـبـا فـرأيـتُـه ... ذَبُـلَـتْ نـضـارتُـه عـلـى الأقـداح![1]
كان الشبابُ طِماحَ لاعجَةِ الهَوى ... فـالـيـوم يـرفَـعُ سـاعِـديْـه طِـمَـاحِـي[2]
مَنْ لي وقد عَبِثَ المشيبُ بلِمَّتي ... بـضـيـاء ذاك الـفـاحِـمِ الـلَّـمـاح؟![3]
قـد كـان لـلـذَّاتِ أسْـرعَ نـاصـحٍ ... فـغـدًا عـلـى الـشُّـبُـهـات أولَ لاحـي[4]
لـو أسـتـطـيـعُ لـبـعـتُ عـمـريَ كلَّـه ... لـمـنـى الـصِّـبـا وأريـجـه الـنـفَّـاح![5]
أيـامَ أوتـاري تـغـرِّدُ وَحْـدهـا ... وتـكـادُ تَـسْـكَـرُ فـي الـزُّجـاجةِ راحـي[6]
أيـامَ شِـعْـري لـلـفـواتـنِ رُقْـيَـةٌ ... تَـسـتَـلُّ كـلَّ تـدلُّـلٍ وجِـمَـاح[7]
«دوجين» لم يجدِ الفتى مصباحَه ... وأبـانَ أسـرارَ الـهَـوى مِـصْـبـاحـي[8]
الـفـلـسـفـاتُ ومـا حـوتْ فـي نـظـرةٍ ... مـن لـحـظِ ساجـيـة الـعـيـونِ رَداحِ[9]
تُـغـري الـهـوى وتـصُـدُّه لَـمَـحَـاتُـهـا ... فَـيَـحـارُ بـيـن تـمـنُّـعٍ وسـمـاح
والـنـظـرةُ الـبَـهْـمَـاءُ أفـتـكُ بـالـفـتـى ... مـن كُـلِّ واضـحـةِ الـمـرام وَقـاح[10]
فـخـذوا الـيـقـينَ ونـورُه لـعـقـولـكـم ... ودعـوا شُـكـوكَ الـحُـبِّ لـلأرواح

* * *

سِرْ يـا قـطـارُ ففـي فـؤادي مرْجَـلٌ ... يُـزْجـيـك بـيْـنَ مَـتـالـعٍ وبِـطـاح[11]
لـو كـنـتَ شِـعْـري كـنـت أسـبقَ طـائرٍ ... يـكـفـيـه لـلـقـطـبـيـن خَـفْـقُ جَـنـاحِ

قالوا: هنا لُبْنانُ، قلتُ: وهل سوى ... لُبنانَ ملعبُ صبوتي ومِراحي[١٢]
يبدو أشمّ على البِطاحِ كأنّه ... عَلَمٌ بكفِّ الفارِس الجَحْجاح[١٣]
نَسَجَتْ له سُحُبُ السماء مطارفًا ... وحَبتْه زُهْرُ نجومِها بوشاح[١٤]
طُرُقٌ كما التوت الظنونُ، وقِمةٌ ... قامت كحقٍّ للشعوب صُراح
النبعُ خمرٌ، والحدائقُ نَشْوَةٌ ... والجوُّ من مِسْكٍ ومن تُفّاح[١٥]

* * *

لُبنان دَوْحُ الشعرِ أنت، تعلَّمتْ ... منكَ الهديلَ سواجعُ الأدواح[١٦]
شِعْرٌ له فِعْلُ السُّلاف فلو أتى ... قبلَ الشرائع كان غيرَ مُباح
ونضيرُ ألفاظٍ كأزهارِ الرُّبا ... يبسِمن غِبَّ الغارِضِ السَّحَّاح[١٧]
وخمائلٌ من أحرُفٍ قُدْسيةٍ ... أَخْمَلْن صوتَ الطائر الصَدَّاح[١٨]
الفنُّ من سرِّ السماء ونَفْحَةٌ ... من فَيْضِ نورِ الواهب الفتّاح![١٩]
والعبقريةُ أنْ تُحلِّقَ وادعًا ... فتفوتَ جُهْدَ الناصِبِ الكَدَّاح[٢٠]

* * *

لُبنانُ، أنتَ من العزائم والنُّهى ... ما أنتَ من صَخْرٍ ولا صُفّاح[٢١]
أبطالُكَ الصيدُ الكُماةُ مَناصِلٌ ... طُبِعتْ ليوم كريهةٍ وتلاحي[٢٢]
شَحُّوا على مُتَع الحياةِ بلحظةٍ ... ومشَوا لوِرْدِ الموتِ غيرَ شِحاح
قهروا الزمانَ، ولن تضيعَ كرامةٌ ... للحقِّ بين أسِنةٍ ورماح
المجدُ بابٌ إن تعاصَى فتحُه ... فاسألْ كتائبهم عن المفتاح[٢٣]
دقّوا فما أودَى بعزم أكفِّهم ... بأسُ الحديدِ وقسوةُ الألواح[٢٤]
ومن الْحِفاظِ المُرِّ ما يُعْيي الفتى ... ليست تكاليفُ العُلا بمزاح![٢٥]
كم صابروا عَنَتَ الحياةِ وعُسْرَها ... بخلائق غُرِّ الوجوهِ صِباح[٢٦]
نزحوا عن الأوطانِ في طَلَبِ العُلا ... والعزمُ مِلءُ حقائبِ النُزَّاح[٢٧]
وسرَوْا مع الريحِ الهَبُوبِ فلا تَرى ... إلّا رياحًا زُوحِمتْ برياحِ[٢٨]
لم يستكينوا للزمان ووعدِه ... فالدهرُ أكذَبُ من نَبِيٍّ سَجاح[٢٩]
في أرض «كُولُمْبٍ» بَنَوْا فيما بَنوا ... شَمَمَ الأبيِّ وعزمةَ المِلحاح[٣٠]
وبكلِّ جوٍّ رايةٌ هفَّافةٌ ... تهتزُّ كالمتخايل الميّاح[٣١]

لو أبصروا في الشمسِ موضِعَ مَهْجَرٍ لتسلّقوا لسعيرها اللوّاح[٣٢]
والنفسُ إن عظُمتْ يضيقُ بسعيِها صدرُ الفضاء برَحْبِه الفيّاح[٣٣]
للناسِ ناحيةٌ تلُمُّ شَتاتَهم والعبقريُّ له الوجودُ نواحي![٣٤]
يمشي الجريءُ على العُبابِ مُخاطرًا وأرَى الجبانَ يموتُ في الضحْضاح[٣٥]

* * *

لُبنانُ، صُنْتَ الضادَ في لأوائها من شرِّ ماحٍ أو هَوى مجتاح[٣٦]
في البَدْوِ لوَّحها الهجيرُ فلم تجدْ إلّا ظِلَالَكَ نَجعةَ المُلْتاح[٣٧]
جمعَتْ رجالُكَ زَهرَها في طاقةٍ عَبِقَ الوجودُ بنشْرِها الفَوَّاح
نظموا لها عِقْدًا يرِفُّ شعاعُه بلآلِئٍ مِلء العيونِ صِحاح[٣٨]
وحَمَوْا كتابَ الله — جلّ جلاله — من لَغْوِ فَدْمٍ أو هُرَاء إباحِي[٣٩]
فانظرْ إلى «البُستان» هل تلقَى به إلَّا ورودًا أو ثُغورَ أَقاحي؟[٤٠]

* * *

لُبنانُ، والفِرْدَوسُ أنت لَقيتُه فطرَحْتُ عند لِقائِه أتْراحي[٤١]
وتركتُ للهْوِ العنانَ وأطلقتْ أيدي الزمانِ العاتياتُ سراحي
وشهِدتُ فيكَ الْحُورَ تسبح في السَّنا نفسي فِداءُ ضِيائها السّباح!
طاوعتُ في نجلائِهنّ صَبابتي وعصَيتُ ما تَهْذي به نُصَّاحي[٤٢]
ما الفتنةُ الشّعْواءُ إلَّا أعينٌ سُودٌ، تَلَأْلأُ في وجوهِ مِلاح[٤٣]
دافعتُ بالغَزَلِ الْحَنونِ لحاظَها شتَّانَ بيْن سِلاحِها وسلاحي![٤٤]
وبعثتُ أنّاتي وقلتُ: لعلَّها تُغْني إشارتُها عن الإفصاح!
فتجاهلتْ لغةَ الغرامِ وتابعتْ خُطُواتِها في عِزّةِ وشِياحِ[٤٥]
عادتْ إليَّ حَبائل فَلَمستُها ورضِيتُ من ضَحِكِ الهَوى بنُواحي[٤٦]
لم يُبْقِ مني الوجدُ غيرَ حُشاشةٍ لولا التعلُّلُ آذنتْ بروَاح[٤٧]
أشكو، وما الطبُّ الحديثُ براحمٍ شجوي، ولا مُتَسمِّعٍ لِصياحي[٤٨]
هل بين مؤتمرِ الأساةِ مُجرِّبٌ شافٍ لأدواء الصبابةِ ماحي؟[٤٩]
والطبُّ لا يصِلُ المَدَى إن لم تصِلْ جَدْواهُ للأَرواحِ وَالأشباحِ[٥٠]

* * *

مَرْحَى بمؤتمرٍ تبلَّجَ نورُه ... في الشرقِ، مثلَ تبلُّجِ الإصباحِ[٥١]
زُمَرٌ من البَشَرِ الملائكِ كم لهم ... في الطبِّ من غُرَرٍ ومن أوْضاحِ[٥٢]
بذلوا النفوسَ، فكم شهيدِ جِراحةٍ ... منهم، وكم منهم شهيدُ كِفاحِ
وتفهَّموا سِرَّ الحياةِ ولم يكنْ ... سرُّ الحياةِ لغيرهم بمُباحِ
دهَتِ البلادَ بعوضةٌ أجَمِيّةٌ ... جاءت على قدَرٍ لمصرَ مُتاحِ[٥٣]
دقَّتْ لغير ترحُّلٍ أطنابَها ... وَرَمَتْ مراسيها لغيرِ بَراحِ[٥٤]
وَعَدَتْ على الماء القراحِ جُيوشُها ... فغدا النميرُ العذْبُ غيرَ قراحِ[٥٥]
السُّمُّ أقوى في شَبا خُرْطومِها ... من حدِّ كلِّ مُهنَّدٍ سفَّاحِ[٥٦]
كالْجِنِّ تهوَى الليلَ في وثَباتِها ... وتَفِرُّ ذُعْرًا من بُزوغِ صَباحِ[٥٧]

* * *

يا خِيرةَ الشرقِ المُدِلِّ بقومِه ... هذا أوانُ البعثِ والإصلاحِ[٥٨]
المجدُ فوقكُمُ دنتْ أفنانُه ... فتلقّفوا ثمراتِه بالرَّاحِ[٥٩]
وترسَّموا سَنَنَ الرئيسِ وهدْيَه ... شيخِ الأساةِ «عليٍّ» الْجراحِ[٦٠]
وَانْفُوا عن الطبِّ الرَّطانةَ إنّها ... نَمَشٌ يَعيثُ بوجهِه الوضَّاحِ[٦١]
كم في حِمَى الفُصْحَى وبين كُنوزِها ... من مُشْرِقاتٍ بالبيانِ فِصاحِ![٦٢]
ما أنكرتْ أممٌ لسانَ جُدودها ... يومًا وسارتْ في طريقِ فلاحِ

* * *

لُبنانُ، مُذْ حلّتْ ذَراكَ رِكابُنا ... حلّتْ من الدنيا بأكرم ساحِ[٦٣]
الأرْزُ فيك ونخلُ مصرَ كلاهما ... أخَوانِ في الأتراح والأفراحِ[٦٤]
وَالنيلُ منكَ، فلو بَكيْتَ لفادحٍ ... غَمَر الشُّطوطَ بدمعِه النضَّاحِ[٦٥]
لُبنانُ، آن لك الفَخارُ بسادةٍ ... عُرْبٍ كِرامِ المنْبِتَيْنِ سِمَاحِ[٦٦]
مجدٌ إذا ما أشرقتْ صَفحاتُه ... أزْرتْ بمُؤتلِقِ النهارِ الضاحي[٦٧]

هوامش

(١) ريحان الصبا: رائحة الشباب الذكية. نضارته: حسنه ورونقه.
(٢) طماح: مرتفع. لاعجة الهوى: الحب. يرفع ساعديه: كناية عن الاستسلام.
(٣) لمتي: الشعر الذي يلي شحمة الأذن.
(٤) لاحي: لائم.
(٥) أريجه: رائحته النفاذه.
(٦) راحي: خمري.
(٧) الفواتن: جمع فاتنة. رقية: تعويذة. تستل: تخرج. جماح: شرود.
(٨) دوجين: فيلسوف يوناني قديم يحمل مصباحًا باحثًا عن الحقيقة.
(٩) ساجية: ساكنة. رداح: مرأة رابية الجسم.
(١٠) البهماء: التي لا يعرف مقصدها. المرام: المقصد. وقاح: البين الواضح.
(١١) قطار: القطار الذي سافر به من القاهرة إلى بيروت عبر فلسطين وكان الوسيلة المعتادة للسفر حينئذ. مرجل: غلاية. يزجيك: يسوقك ويدفعك. متالع: الروابي. بطاح: جمع بطحاء وهو المسيل المنبسط.
(١٢) صبوتي: صباي.
(١٣) أشم: عالي. البطاح: المسيل الواسع. الجحجاح: المسارع إلى الكلام.
(١٤) مطارفًا: أردية من حرير. حبته: منحته. بوشاح: شيء يصنع من نسيج عريض ويرصع بالجواهر، وقد تشده المرأة بين عاتقها وكشحها.
(١٥) النبع: ما ينبع منه الماء. مسك: طيب.
(١٦) دوح: حديقة. الهديل: صوت الحمام.
(١٧) غب: غب كل شيء عاقبته. العارض: السحاب المعترض في الأفق. السحاح: المطر.
(١٨) أخملن: جعلته خاملًا ضعيف الذكر.
(١٩) فيض: جود وكرم.
(٢٠) تفوت: تترك. الناصب: المتعب. الكداح: الذي يسعى ويكد في عمله.
(٢١) صفاح: حجارة عريض رقاق.
(٢٢) الصيد: رافعي الرأس. الكماة: الشجعان. مناصل: سيوف. طبعت: صنعت، جبلت. يوم كريهة: يوم الحرب. تلاحي: نزاع.

(٢٣) تعاصى: استعصى.

(٢٤) أودى: أوهن. بأس: شدة وقوة.

(٢٥) الحفاظ: الإباء والأنفة. يعيي: يتعب.

(٢٦) عنت: الأمر الشاق. عسرها: شدتها. غر الوجوه: بيض الوجوه. صباح: عليهم نور كنور الصبح.

(٢٧) نزحوا: تركوا وهاجروا.

(٢٨) سروا: مشوا. الهبوب: المثيرة للأتربة. والمقصود الشديدة.

(٢٩) سجاح: امرأة ادعت النبوة وادعى النبوة أيضًا مسيلمة الكذاب الذي تزوجته.

(٣٠) كولب: هو كريستوفر كولمبس مكتشف القارة الأمريكية والمقصود بأرض كولب الولايات المتحدة الأمريكية. شمم: علو وأنفة. الأبي: الشريف. عزمة: عزيمة. الملحاح: الملح في طلب الشيء.

(٣١) هفافة: مرفرفة. المتخايل: المعجب بنفسه. المياح: المعجب المتمايل.

(٣٢) مهجر: مكان يهاجر إليه. لسعيرها: لنارها. اللواح: الذي يغير لون وجهه.

(٣٣) برحبه: بسعته. الفياح: المنتشر.

(٣٤) ناحية: جهة، مكان. شتاتهم: تفرقهم.

(٣٥) العباب: الموج المرتفع. الضحضاح: القليل الماء.

(٣٦) الضاد: اللغة العربية. لأوائها: شدتها. ماح: مبيد. مجتاح: يريد اجتياحها وإبادتها.

(٣٧) البدو: البادية. لوحها: غير لون وجهها. الهجير: شدة حرارة الشمس. ظلالك: ظلك. نجعة: طلب الكلأ. الملتاح: المتغير من نصب أو سفر.

(٣٨) يرف: يتحرك. صحاح: صحيحة، سليمة.

(٣٩) لغو: باطل. فدم: أحمق. هراء: عبث، استهزاء. إباحي: متصف بالرذيلة.

(٤٠) أقاحي: زهر له ورق أبيض ووسطه أصفر.

(٤١) طرحت: تركت. أتراحي: أحزاني.

(٤٢) نجلائهن: عيونهن الواسعة. صبابتي: رقة الشوق وحرارته.

(٤٣) الشعواء: المتفرقة. تلألأ: تضيء.

(٤٤) لحاظها: عيونها. شتان: هيهات، بَعُدَ ما بينهما.

(٤٥) شياح: حذر.

(٤٦) حبائلي: حيلي. نواحي: بكائي.

(٤٧) الوجد: الشوق. برواح: بذهاب.

(٤٨) شجوي: حزني.

(٤٩) مؤتمر الأساة: المؤتمر الطبي. أدواء: أمراض. ماحي: مزيل.

(٥٠) المدى: الهدف. جدواه: فائدته، عطاياه. للأرواح: للأنفس. الأشباح: الأشخاص.

(٥١) تبلج: أشرق وأضاء.

(٥٢) زمر: جماعات. غرر: سيادة وشرف.

(٥٣) أجمية: نسبة إلى الأجمة وهي الغابة والمقصود بها بعوضة «الجامبيا» التي غزت مصر، وفتكت بالكثير من أبناء الصعيد ولم تنج مصر من شرها إلا بعد نحو أربع سنوات. متاح: مهيأ.

(٥٤) أطنابها: حبالها الطويلة. مراسيها: ما تثبت به.

(٥٥) عدت: اعتدت. القراح: الصافي الذي لا يشوبه شيء.

(٥٦) شبا: طرفه الحاد. خرطومها: أنفها. مهند: السيف.

(٥٧) بزوغ: طلوع. إشارة إلى أن البعوض يكثر ليلًا، وكذلك إلى أن حماها لا تزور المريض إلا ليلًا في الغالب.

(٥٨) المدل: المفتخر، المباهي.

(٥٩) أفنانه: أغصانه. الراح: الكف.

(٦٠) ترسموا: تتبعوا. سنن: طريق، أسلوب، منهاج. الرئيس: رئيس المؤتمر الدكتور علي إبراهيم باشا. هديه: إرشاده. الأساة: الأطباء.

(٦١) انفوا: اطردوا، ابعدوا. الرطانة: الكلام بالأعجمية. نمش: نقط بيض وسود. يعيث: يفسد.

(٦٢) حمى: كنف. الفصحى: اللغة العربية. فصاح: بليغة.

(٦٣) حلت: نزلت. ذراك: كفك. ساح: المكان الذي يسبح منه الماء والمقصود أرض لبنان.

(٦٤) الأرز: شجر الأرز وهو الشجر المشهور لبنان بزراعته واتخذوه علمًا لهم.

(٦٥) النضاح: الكثير.

(٦٦) سماح: كرام.

(٦٧) أزرت: تمسكت بقوة. مؤتلق: إشراق.

برنادوت

رجل عمل من أجل السلام، فكان من أوائل ضحاياه مما حرك أحاسيس الشاعر فكانت هذه الأبيات عام ١٩٤٨م.

حَسْرَتا للكُونْتِ برْنَا دُوت لَوْ تَنْفَعُ حَسْرَهْ[١]
رَامَ أَنْ يستنْقِد الكَوْ نَ ويَسْتَأْصِلَ شَرَّهْ[٢]
قَتْلُهُ جُبْنٌ وخُذْلا نٌ ولُؤْمٌ وَمَعَرَّهْ
طَلَبَ الكَفَّ عَنِ الحرْ بِ، فَمنْ نَفَّذَ أَمْرَهْ؟
خَرَقَ الهُدْنَةَ أَبْنَا ءُ يَهُوذَا أَلْفَ مَرَّهْ![٣]
وَهْوَ لَا يُؤْمِنُ حَتَّى سَلَبُوه الروحَ جَهْرَهْ[٤]
أَتُرَى آمَنَ لَمَّا خَرَقَ الأَنْذَالُ صَدْرَهْ؟
رُبَّمَا يَحْفِرُ ذُو الآ مَالِ بالآمَالِ قَبْرَهْ

هوامش

(١) برنادوت: هو الكونت قولك برنادوت مسئول هيئة الأمم المتحدة. عمل من أجل السلام بين العرب والإسرائيليين، ولكنه قتل في حادث سقوط طائرته وأشارت أصابع الاتهام حينئذ إلى اليهود عندما ظهر تفهمه للحق العربي.

(٢) رام: أراد.

(٣) أبناء يهوذا: اليهود.

(٤) جهرة: علنا.

الملك

نشرت هذه القصيدة في مناسبة عيد جلوس الملك فاروق آخر ملوك مصر سنة ١٩٣٦م.

اقتبالُ الربيعِ في بَسَمَاتِهْ نبَّه الكونَ بعدَ طولِ سُباتِهْ[١]
يَنْثُرُ الزَّهْرَ كالدنانيرِ غضًّا أيْنَ حُرُّ النُّضارِ من زَهَراتهْ؟[٢]
قَد سَئِمْنَا دُجَى الشتاءِ فجئنا نرشُفُ النورَ من سنَا لمحاتهْ[٣]
وخلعنا الدُّثارَ مثلَ أسيرٍ حُلّ من قَيْده ومن وخزاتهْ[٤]
قد ظننّاه في الشتاءِ وِقاءً فجعمنا الشتاءَ في طَيّاتهْ[٥]
تبخلُ الكفُّ أن تُشير من البرْ دِ، ويخشَى المقرورُ من لفَتاتهْ[٦]
جَمَدتْ صَوْلةُ اللسانِ وكادتْ تجمُدُ الهاتفاتُ من كلماتهْ[٧]
واختفَى الطيرُ واختفَى كلُّ صوتٍ مُوْصِليِّ الأداء في لَهَواتهْ[٨]
ورأينا الأشجارَ يسلُبها الحسـ ـنُ سَنا حَلْيِه وسِحْرَ شِياتِه[٩]
مال فيها برأسِه كلّ فرْعٍ باحثًا في الترابِ عنْ وَرَقاتهْ
يهرَمُ الدهرُ في الشتاء ويَلْقَى ما مَضَى في الربيعِ من صَبواتهْ[١٠]
هو تَختُ الوجودِ غنَّى به الطيـ ـرُ فهزَّ الغصونَ في دَوْحاتهْ[١١]
سَايَرَتْه الأزهارُ تهفو يمينًا وشمالًا على هوى نغماتهْ
وإذا صفَّقَ الغديرُ انثنى الغُصـ ـنُ نضيرَ الشبابِ في رَقَصاتهْ

* * *

هاتِ عهدَ الشبابِ إنْ غاصَ في الما ء وإنْ غابَ في السماء فهاتهْ!

هَمَساتُ الشبابِ في النفس أحلى ... من حديثِ الهوى ومن هَمساتهْ
نارُه تطرُدُ الهمومَ فتمضِي ... خافقاتِ الجنَانِ من جَمَراتهْ[١٢]
نارُه تصهرُ العزيمةَ سيفًا ... تتوقّى السيوفُ وَقْعَ شَباتهْ[١٣]
ما أحَيْلى وثوبَه وهْو ماضٍ ... يتحدَّى الزمانَ في فَتَكاتهْ[١٤]
نَفحاتُ الشبابِ أين تولَّت؟ ... لَهْفَ نفسي على شذى نفحاتهْ![١٥]
قَدحٌ قد حَلَتْ أوائلُهُ رَشـ ... ـفًا، وذُقْنا المرّيْنِ في أُخْرياتهْ[١٦]
ما أراني من غيره غير ثوبٍ ... ضمَّ أردانَه على عِلّاتهْ[١٧]
رُبّ شيخ في عالَمِ الطبِّ حيٌّ ... ويراه الزمانُ من أمواتهْ
الشبابُ الشبابُ نورٌ من اللهِ ... وريحٌ تهُبُّ من جَنَّاتهْ

* * *

يا شبابَ الحِمَى ويا جُنْده الأحـ ... ـرارَ إن فتَّشَ الحمى عن كُمَاتهْ[١٨]
زاحِموا في وليمةِ الدهر أرْسَا ... لًا، ولا تكتفوا بجَمْع فُتاتهْ[١٩]
الطُّموحُ الحياةُ، والمجدُ في الدّنـ ... ـيا مُبَاحٌ لِطالبِي قَصبَاتهْ[٢٠]
لا ينالُ الفَتَى مَدى المجدِ إلّا ... بمَضاءٍ يُرْبي على وَثَباتهْ[٢١]
الذراعُ الأزَلُّ والساعدُ المفـ ... ـتُول ذُخْرُ الشبابِ في أزماتهْ[٢٢]
تسخر الريحُ بالضعيفِ من النَّبـ ... ـتِ وتخشَى القويَّ من باسقاتهْ[٢٣]
املِكوا الدّهرَ إنّه لا يُوَاتي ... غيرَ عَزْمٍ يَفُلُّ من عَزَماتهْ[٢٤]
علَّمتْنا الأيامُ أنّ الذي يُحـ ... ـسنُ يَلْقَى الجزاءَ عَنْ حَسَنَاتهْ
ذهب النومُ، فالَّذي يُغْمضُ العَيـ ... ـنَينِ، يا تَعْسَه وَيا وَيلَاتِهْ
أسرِعوا فالزمانُ ماضٍ وكَمْ مِنْ ... مُبْطِئٍ قد طَوَاه في عَجلاتهْ
واطرُقوا البابَ، كلُّ بابٍ كفيلٌ ... بولُوجٍ لمن دَرَى دقَّاتهْ[٢٥]
قد يطولُ السرى على المدلج السا ... ري فيُدنيه من مدَى غاياتِهْ[٢٦]
لا تُنالُ العُلا «بلَيْت» «ولكنْ» ... وعُكوفِ الفَتَى على مِرْآتهْ[٢٧]
آلةُ الفَوْزِ هِمّةٌ تطحَنُ الصخـ ... ـرَ وتسمُو للنَّجْمِ في سَبَحاتِهْ[٢٨]
ابتنوا للعُلا وللنيلِ مَجْدًا ... واسكبُوا من حياتكم في حياتهْ

* * *

لـكُـمُ فـي مـلـيـكِـكـم خـيـرُ داعٍ تـسـتـجـيـبُ الـمـنَـى إلـى دَعَـوَاتـهْ
قُدوةٌ للشباب، قد عَرَف الجيـ ـلُ طريقَ الحياةِ من خُطُواتهْ
مرَّةً سامقًا على صَهْوة الْخَيـ ـيل، وأخرَى مُطامِنًا في صلاتهْ[٢٩]
لم نَرَ البَدْرَ قبله يعتلي العَرْ شَ ويُمْسِي الجلالُ من هَالَاتهْ[٣٠]
أو شهدنا نورًا على الأرض يمشي الهدى واليقينُ من مِشْكاتِهْ[٣١]
أو عهدنا تاجًا على مَفْرِقِ الشمـ ـسِ يُشِعُّ الإيمانُ من خَرَزاتهْ[٣٢]
كُنْ كما شئتَ أيها الشِّعْرُ فنًّا نًا فلن تستطيع لمحَ صِفاتهْ[٣٣]
هو خَلْقٌ من الكمالِ المصفَّى مـن رآه رأى الـكـمـالَ بـذاتـهْ
النَّدى والحنانُ في بسماته والعُلا والجلالُ في قسماتهْ[٣٤]
يا مليكًا أعْلى الحديثَ من المجـ ـدِ، وأحيا قديمه من رُفاتهْ
إن عيدَ الجلوسِ أشرقَ في الكَوْ نِ شُروقَ الربيعِ في رَوضاتهْ
المنى اليانعاتُ من ثَمرَاته وجَمَالُ الزمانِ في لحظاتهْ
يزدهي النيلُ بالمليكِ المرجَّى خيرِ أبطالِهِ وحامي حُماتهْ[٣٥]
إن تكنْ مصرُ قَبله هِبةَ النِّيـ ـلِ، فقد صارَ نيلُها من هِباتهْ

هوامش

(١) سباته: نومه.

(٢) حر النضار: الذهب الخالص.

(٣) دجى: ظلمة. سنا: ضوء. لمحاته: اختلاس النظر إليه.

(٤) الدثار: غطاء ثقيل يقي برد الشتاء. وخزاته: طعناته.

(٥) طياته: ثناياه.

(٦) المقرور: المصاب بشدة البرد.

(٧) صولة: تحرك ونشاط.

(٨) موصلي: نسبة إلى إسحاق الموصلي المغني المشهور. لهواته: جمع لهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

(٩) سناء: ضوء. حليه: زينته. شياته: جمع شية وهو اللون في الشيء يخالف بقية لونه.

(١٠) يهرم: يشيخ. صبواته: أيام الصبى والشباب.
(١١) دوحاته: الشجر العظيم.
(١٢) خافقات الجنان: مضطربات القلوب. جمراته: ناره وحرارته.
(١٣) شباته: طرفه الحاد.
(١٤) ما أحيلى: ما أحلى.
(١٥) نفحات: رائحة.
(١٦) حلت: طعمها حلو. المرين: مثنى مر.
(١٧) أردانه: أكمامه. علاته: أمراضه.
(١٨) كماته: شجعانه.
(١٩) أرسالًا: مناضلين. فتاته: ما تكسر منه وبقي.
(٢٠) قصباته: التي يتسابقون لنيلها.
(٢١) مدى: غاية. بمضاء: نفاذ وعزيمة. يربي: يزيد. وثباته: همته وخطاه.
(٢٢) الأزل: السريع القوي. المفتول: الملفوف القوي. ذخر: معين، مدخر.
(٢٣) باسقاته: العالية القوية.
(٢٤) يفل: يكسر.
(٢٥) كفيل: ضامن. ولوج: دخول.
(٢٦) السرى: السير. المدلج: السائر في أول الليل. الساري: الماشي ليلًا. مدى: غاية. غاياته: مآربه.
(٢٧) عكوف: وقوف مستمر.
(٢٨) تسمو: تعلو على. سبحاته: يقصد الكون حيث تسبح النجوم والكواكب.
(٢٩) سامقًا: طويلًا. صهوة الخيل: ظهورها. مطامنًا: ساكنًا.
(٣٠) يعتلي العرش: يجلس على العرش. يمسي: يبيت. هالاته: الدوائر المنيرة حول القمر.
(٣١) مشكاة: مصباح.
(٣٢) مفرق الشمس: وسط الشمس. خرزاته: الذي ينظم عقودًا.
(٣٣) لمح صفاته: التلميح بصفاته.
(٣٤) قسماته: شكله وملامحه.
(٣٥) حماته: المدافعون عنه.

فارس الصحافة

تلقى الشاعر نبأة وفاة الأستاذ جبرائيل تقلا صاحب جريدة «الأهرام»، وهو في طريقه إلى الإسكندرية، فكتب هذه الأبيات في القطار وأرسلها إلى الجريدة عام ١٩٤٨م.

سدَّ القَضاءُ منافِذَ الأسماعِ ... ماذا يقولُ إذا نعاكَ الناعي؟
بُهِتَ القريضُ فما يُبينُ، وأَذْهَلَتْ ... نُوَبُ الخُطوبِ نوادبَ الأسجاع[١]
وتنكَّرَتْ صُورُ البيانِ وعقَّني ... عن أنْ أبوحَ كما أشاءُ يراعي[٢]
تمحو سواجِمُهُ المِدادَ، فخطُّهُ ... أسطارُ ملتَهِبِ الحَشا مُلْتاع[٣]
والشعرُ إن عقَدَ المُصَابُ لسانَهُ ... فسكوتُه ضَرْبٌ من الإبداع[٤]
نَعْيُ الكريمِ العَبْقَرِيِّ لأُمَّةٍ ... نَعْيُ الغَمامِ إلى رياضِ القاع[٥]
وَيْلَ المنونِ تطاولت أَحْداثُها ... فَلَوَتْ قناةَ الأَرْوَعِ الشَّعْشَاعِ[٦]
وطَغَتْ عواصفُها فغالَ هُبوبُها ... أَضْواءَ ذَاكَ الكوكبِ اللمَّاع[٧]
بكتِ الصحافةُ فيه أشجَع فارسٍ ... وأعزَّ مَدْعُوٍّ وأكرمَ داعي[٨]
قد كان «جَبْرائيلُ» مُلْهِمَ وَحْيها ... يرعَى جلالةَ قُدْسِها ويُراعِي
فإذا جفاني الشعرُ يومَ رِثائِهِ ... فلقد رثَتْه مآثرٌ ومَساعي[٩]
وإذا فَرَرْتُ من الوداعِ وهَوْلِه ... فلقد بعثتُ مع الدُّموعِ وَداعي

هوامش

(١) نوادب الأسجاع: من يعددون مناقب الميت.

(٢) تنكرت: جحدت. عقني: جافاني. يراعي: قلمي.

(٣) سواجمه: دموعه الهاطلة. ملتهب الحشا: متقد البطن بالحرارة. ملتاع: محترق الفؤاد.

(٤) عقد: ربط. ضرب: صنف.

(٥) الغمام: السحاب. رياض القاع: الحدائق المستوية.

(٦) المنون: الموت. لوت: ثنت. قناة: رمح. الأروع: الشجاع. الشعشاع: الطويل.

(٧) غال: أخذ.

(٨) مدعو: من يدعي.

(٩) جفاني: بعد ونأى عني.

إلى علي إبراهيم باشا

وقد أبلَّ الطبيب الجراح من مرضٍ ألمَّ به عام ١٩٤٤م.

زَهَتْ دولةُ الطبِّ لمَّا شُفيتَ وعاوَدَها الأملُ الناهِضُ
فللطبِّ أنتَ وَتينُ الحياةِ وأنت له قلبُهُ النّابضُ[١]

هوامش

(١) وتين: الشريان الأعظم الذي يخرج من القلب، ويتفرغ إلى أعضاء الجسم المختلفة وهو الأورطى.

الوبَاء

انتشر وباء الهيضة المعوية (الكوليرا) برشيد سنة ١٨٩٥م وحصد الأرواح، فراع الشاعر الصغير ما رأى، وأثار عاطفته الشعرية، فقال هذه القصيدة:

أَيُّ هَذَا (المِكْرُوبُ) مَهْلًا قَلِيلًا ... قَدْ تَجَاوَزْتَ في سُراكَ السبِيلَا!
لَسْتَ كَالْوَاوِ، أنتَ كَالْمِنْجَلِ الْحَصَّا ... دِ، إنْ أَحْسَنُوا لَكَ التَمْثِيلَا[١]
ما غَلَبْتَ النفُوسَ بِالْعَزْمِ لَكِنْ ... هَكَذَا يغْلِبُ الْكَثِيرُ الْقَلِيلَا
أَنْتَ في الْهِنْدِ في مَكَانٍ خَصِيبٍ ... فَلِمَاذَا رَضِيتَ هذا الْمُحُولَا؟[٢]
أَنْتَ كَالشيْبِ إن دَهِمْتَ ابْنَ أُنْثَى ... لم تُزَايِلْ جَنْبَيْهِ حَتَّى يَزُولَا[٣]
حارَ «بنشنج» فِيكَ يَا ابْنَ شَعُوبٍ ... ونَقَضْتَ الْمُجَرَّبَ الْمَعْقُولَا[٤]
عَقَدَ الأَمْرَ فابْتَكَرْتَ لَهُ الْحَلـ ... ـلَ، وما كانَ عَقْدُهُ مَحْلُولَا
قَامَ يَغْزُوكَ بَيْنَ جَيْشِ الْقَوَا ... رِيرِ فَوَلَّى بِجَيْشِهِ مَخْذُولا
وَتَرَكْتَ الْحُمُوضَ تَجْرَعُها الْأَرْ ... ضُ، وجَرَّعْتَنَا الْعَذَابَ الْوَبِيلَا[٥]
«وبموشَى» أَرَادَ حَصْرَكَ بِالْجُنـ ... ـدِ، وَهَلْ تَحْصُرُ الْجُنُودُ السيُولَا؟[٦]
يَا ثَقِيلَ الظِّلال آذَيْتَ بِالْمَا ... لِ وَبالنَّفْسِ فَالرحِيلَ الرَحيلَا
مَنْ يبِتْ عِنْدَهُ الْهِزَبْرُ نَزِيلًا ... كانَ مِنْ قَبْلِ زادِهِ مَأْكُولَا![٧]
رُبَّ طفلٍ تركتَ مِنْ غَيْرِ ثَدْيٍ ... يَضْرِبُ الأَرْضَ ضَجَّةً وعَوِيلَا!
وَفَتاةٍ طَرَقْتَها لَيْلَةَ العُرْ ... سِ وَقَبْلَ الْحَلِيلِ كُنْتَ الْحَلِيلَا[٨]
كَحَّلُوا جَفْنَها فَكَحَّلْتَ فِيها ... كُلَّ جَفْنٍ أَسًى وَسُهْدًا طَوِيلَا
خضَّبَتْها يَدُ الْمَوَاشِطِ صُبْحًا ... فَمَحاهُ الْمُطَهِّرُونَ أَصِيلَا[٩]

ما رَحمتَ الْعُيُونَ تِلْكَ اللَّوَاتِي تَـرَكَـتْ كـلَّ عـاشِـقٍ مَـذْهُـولا
لَوْ رَآها جِبْرِيلُ — أَسْتَغْفِرُ اللهَ — لأَلْهَتْ عَنْ وَحْيِهِ جِبْرِيلَا[١٠]
يَا قَتِيلَ (الْفِينيكِ) يَكْفِيكَ قَتْلا كَ فَأَغْمِدْ حُسامَكَ الْمَسْلُولا![١١]
إنَّ فـي مِصْرَ غَيْرَ مَوْتِكَ مَوْتًا تَـرَكَ الْأَرْوَعَ الْأَعَـزَّ ذَلِـيـلَا[١٢]
فَـارْتَـحِـل بَـارِدَ الْـفُـؤَادِ قَـريـرًا مرْوِيًا مِنْ دَمِ الْعِبَادِ الْغَلِيلَا[١٣]

هوامش

(١) يشير إلى شبه المكروب: بحرف «الواو».

(٢) خصيب: صفة من الخصب وهو النماء والبركة، والخصب أيضًا ضد الجدب. المحول: الجدب.

(٣) دهمت: غشيت وفاجأت. تزايل: تفارق. يزول: يذهب ويهلك.

(٤) حار: تحير في أمرك. بنشنج: اسم لمدير الصحة بمصر في ذلك الزمن، شعوب: اسم للمنية وهو الموت، وكنى هذا المكروب بابن شعوب لشدة فتكه بالناس، نقضت: هدمت وأبطلت.

(٥) الحموض: جمع حمض، والمراد به هنا العقاقير التي كانت قد أعدت للقضاء على هذه الجراثيم. تجرعها: تبتلعها، وذلك أنهم إذا أرادوا تطهير بيت مثلًا صبوا العقاقير على أرضه وجدرانه. جرعتنا: سقيتنا. الوبيل: الوخيم الثقيل.

(٦) «موشى»: بلدة من أعمال أسيوط ظهر فيها هذا الوباء أول ما ظهر.

(٧) الهزبر: الأسد القوي. النزيل: الضيف. الزاد: طعام يتخذ للسفر.

(٨) طرقتها: نزلت بدارها، الحليل: الزوج.

(٩) خضبت اليد خضبًا من باب ضرب بالخضاب وهو الحناء ونحوه. والمواشط جمع ماشطة وهي التي تحسن تطرية العروس وتجميلها ومشط شعرها أي تسريحه.

(١٠) جبريل: ملك الوحي. ألهاه: شغله.

(١١) «الفينيك» كلمة أعجمية تطلق على بعض السوائل المطهرة القاتلة لجراثيم الأرض، وأغمدت السيف إغمادًا جعلته في غمده. الحسام: السيف القاطع. المسلول: المنتزع من غمده.

(١٢) الأروع: من يعجبك بشجاعته. الأعز: اسم تفضيل من العز وهو ضد الذل. وفي هذا البيت إشارة إلى المستعمر الإنجليزي الذي كان يحتل مصر في ذلك الوقت.

(١٣) بارد الفؤاد: ريان القلب. قرير: مسرو. الغليل: حرارة العطش.

رضا اليأس

عام ١٨٩٧م

كان الشاعر يسير على جسر قصر النيل فرأى سُراة القاهرة، وهم في عجلات فخمة تجرها سوابق الجياد، فقال:

أيركَبُها هذا فَتَنتهِبُ الثرَى وتنهبُ رِجْلَيَّ الحصَى والجنادِلُ؟![1]
رَضيتُ رضاءَ اليأسِ، واليأْسُ راحةٌ وأتْعبُ خَلْقِ اللهِ في الناسِ آملُ!

هوامش

(١) تنتهب: تطوي الأرض مسرعة. الجنادل: الحجارة.

عيد الأعياد

نشرت هذه القصيدة يوم احتفال البلاد بمولد الملك فاروق آخر ملوك مصر سنة ١٩٣٩م.

خَفَقَتْ بساحَتِكَ البشائِرْ ... وسَرَتْ بريّاكَ الأزاهِرْ[١]
يا يومَ مولِدِه وما ... لكَ في جمالِكَ من مُفاخرْ
جاهر بنُبْلك في الزما ... نِ فحقُّ مثلِكَ أنْ يُجَاهرْ
لك أوّلٌ في المَكْرُما ... ت، وما لفيضِ يدَيْكَ آخرْ
أشرقتَ في أُفْقِ القلو ... بِ، ودُرْتَ في فَلكِ الضمائر
وجُمِعْتَ من ضَوْء المنى ... وخُلِقْتَ من نور البصائرْ
لكَ بينَ أعيادِ الزما ... نِ سَنًا على الأعياد باهرْ
شَفَقاكَ خدّا غادةٍ ... ودُجاكَ أحداقُ النواظرْ[٢]
ما أنتَ في الدنيا سِوَى ... أملٍ وضِيءِ الْحُسن سافرْ
هذا الجمالُ كأنَّه ... قد صِيغَ من خَطَراتِ شاعرْ
سَحَر العُيُونَ بحُسنِه ... والحسنُ للأبصارِ ساحرْ
الصبحُ بسّامُ السنا ... والليلُ مصقولُ الغدائرْ
يا يومَ فاروقٍ وكمْ ... لكَ عند مصرٍ من مآثِرْ
شَهَدَتْ بمطلعك الحيا ... ة تفيض بالنِّعَمِ الذواخرْ[٣]
ورأتْ جَبينًا كالصبا ... حِ أضاء مُعْتَكِرَ الدياجرْ[٤]
ورأتْ مُنًى قدسيَّةً ... دقَّ الزمانُ لها البشائرْ[٥]
ورأت مخايلَ دَوْلَةٍ ... فوْقَ النجومِ لها معَابرْ

ورأت رجاءَ النيلِ في ثوبٍ من الإيمان طاهرْ
ورأت بَوادرَ هِمَّةٍ أعظِمْ بهاتِيكَ البَوادرْ![6]
ورأت سَرِيرةَ خاشعٍ سَجدَتْ لخشيتهِ السرائرْ[7]
وتَطلَّعَ المِحْرابُ في جَذَلٍ وأشرقتِ المنابرْ[8]
واستبْشرَ الدينُ الحنيـ ـيفُ بخيرِ من يُحيي الشعائرْ
نادَى البشيرُ به، فيا بُشْرَى المدائنِ والحواضرْ!
ومشتْ ملائكَةُ السما ءِ تَهُزُّ في الجوِّ المباخرْ[9]
فالأفْقُ مِسْكٌ عاطرٌ والمَهْدُ مثلُ المِسكِ عاطرْ
هتفتْ لمَوْلِدِ كابرٍ لمُطَهَّرِ الأنسابِ كابرْ[10]
هتفتْ بفاروقٍ أجَلـ ـلِ مُمَلَّكٍ وأعزِّ ناصرْ
خطَّ المثالَ وفضلُهُ مَثَلٌ يُباري الريحَ سائرْ[11]
والناسُ بينَ مُكَبِّرٍ داعٍ. ومُولي الحمدِ شاكرْ
ملأوا القلوبَ بحُبِّه وبِذِكْرِهِ ملأوا الحناجرْ
فاروقُ فَرْدٌ في الجلا لِ فلا شبيهَ ولا مُناظرْ
هذي بَواكِرُه فكيـ ـف يكونُ ما بعدَ البواكرْ[12]
ينهَى ويأمرُ هاديًا أفْدِيه من ناهٍ وآمرْ!
فَرْعٌ من الدَّوْح الكر يم مُبارَك النَّفحاتِ زاهرْ
وقديمُ ماضٍ في العَلا ء يزينُه في النُّبْل حاضرْ
وسُلَالةُ الأمجادِ أبنا ءُ المواضي والبَواترْ[13]
من كلِّ مِسْعَرِ غارَةٍ والموتُ مُحْمَرُّ الأظافرْ[14]
يُجْرِي الحصانَ مُخَاطرًا فوقَ الجماجم والمغافرْ[15]
أمضَى لدعوةِ صارخٍ من لمح كرَّات الخواطرْ[16]
يأبى عليه نِجَارُه وإباؤه ألَّا يُبادرْ[17]
للنَّقع فوقَ جَبينه مِسْكٌ يُضَمِّخُ كلَّ ظافرْ[18]
المجدُ لا يُلْقي العِنا نَ لغيرِ ذي العَزم المُثابِرْ
السابقِ الوثّابِ طَلَّا عِ الثَّنِيَّاتِ المصابرْ
مَنْ لا يُحاذِرِ إنْ دَعا هُ حِفاظُه ألّا يُحاذرْ[19]

عَـشِـقَ الـمـخَـاطـرَ مُـرَّةً فَجَنى الشِّهادَ من المخَاطرْ[٢٠]
مـن كـالأسـاوِرَةِ الـبـوا سلِ والقَسَاورةِ الخوادِرْ؟[٢١]
أجـــدادِ فـــاروقٍ كِـــرا مِ الْمُنتَمى طُهْر الأواصرْ
بَـعَـثـوا تُـراثَ الأوَّلـيـــ ـنَ، ووطَّدوا مَجْدَ الأواخرْ[٢٢]
تُـزْهَـى بـهـم مـصـرٌ كـمـا زُهِيَتْ بفِتْيتها تُماضرْ[٢٣]
دعْـهـا تُـكـاثـر بـالـذي أسدَوْا، نَعَمْ دَعْها تُكاثرْ[٢٤]
فـاروقُ أشـرقْ بـالـمـنـى يسمو لِضوئك كُلُّ حائرْ
مـصـرٌ وأنـت يـمـيـنُـهـا عَقَدت على الحبِّ الخناصرْ[٢٥]

هوامش

(١) سرت: مشت ليلًا. برياك: فيضك. الأزاهر: النبات المزدهر.
(٢) شفقاك: الشفق هو لون السماء قبل غروب الشمس. خدًّا: مثنى خد. دجاك: سواد ليلك. أحداق: جمع حدقة العين.
(٣) الذواخر: الكثيرة.
(٤) معتكر: مختلطة بالظلمة. الدياجر: الليالي المظلمة.
(٥) منى: أماني.
(٦) بوادر: أوائل.
(٧) سريرة: ما يسره في نفسه.
(٨) جذل: فرح.
(٩) المباخر: الذي توضع فيه البخور ذو الرائحة الحسنة.
(١٠) لمطهر الأنساب: ذو النسب الطاهر.
(١١) خط المثال: وضع وضرب المثل. يباري: ينازل.
(١٢) بواكره: أوائل أعماله.
(١٣) البواتر: القواطع.
(١٤) مسعر: مشعل. غارة: من الإغارة على العدو. محمر الأظافر: من إراقة الدماء.
(١٥) المغافر: جمع مغفر وهو زرد يلبس على الرأس في الحروب.
(١٦) لمح: المقصود سرعة. الخواطر: ما يطرأ على الخاطر.

(١٧) نجاره: أصله.

(١٨) النقع: الغبار. يضمخ بالمسك: يمسح جلده بالمسك.

(١٩) حفاظه: أنفته.

(٢٠) مرة: صعبة وعسرة. جنى: حصد وحصل. الشهاد: الشهد الحلو.

(٢١) الأساورة: جمع أسوار. القائد: القساورة: جمع قسورة وهو الأسد. الخوادر: المستترة.

(٢٢) وطدوا: ثبتوا.

(٢٣) تماضر: هي الشاعرة العظيمة الملقبة بالخنساء وكانت تزهو وتفتخر بأولادها، وقد أسلمت وحضرت الرسول — عليه الصلاة والسلام — وكان يعجب بشعرها. ولما بلغها نبأ استشهاد أولادها الأربعة في معركة أحد لم تجزع، وقالت قولتها المشهورة: الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم وأرجو الله أن يجمعني وإياهم في الجنة.

(٢٤) أسدوا: أعطوا.

(٢٥) يمينها: يدها اليمنى التي تعتمد عليها أي وأنت عمادها. عقدت: عاهدت. الخناصر: جمع الإصبع الخنصر.

صديقٌ عدو وعدو صديق

عام ١٩٢٠م

أصديقي يَودُّ أني أُساء؟! وعدويِّ يُظن فيه الوفاءُ؟!
عُكِس الحال لا محالة لكن ربّما أنْجد الغريقَ الماء!

الوَطنُ

نشِيدُ الكشَّافَة ١٩٣٧م

مِصْرُ اسْلَمِي واسْلَمِي وسُودِي يـا أَلِـفَ الْـكَـوْنِ والْـوُجُـودِ[١]
نَـهَضْتِ والْأَرْضُ فـي دُجَاهَـا والشمْسُ والْبَدْرُ في الْمُهُودِ[٢]

* * *

قَدْ كُنْتِ والدهْرُ فـي صِباهُ نَـجْـمَ هُـدًى سـاطِـعًـا سَـنـاهُ[٣]
تَـعْـنُـو لِـسُـلْـطـانِكِ الْـجِـبـاهُ مَـرْفُـوعَـةَ الـرَّأْسِ والْـبُـنُـودِ[٤]

* * *

يـا بَـسْـمَـةً فـي فَـمِ الـزمـانِ ومَـوْطِـنَ الْـعِـزِّ وَالْأَمـانِ
نِـيـلُـكِ أحْـلـى مِـنَ الْأَمَـانِـي جَـنًـى وَأَذْكَـى مِـنَ الْـوُرُودِ[٥]

* * *

الْأَرْضُ أَنَّـى خَـطَـوْت تِـبْـرُ وَزَهْـرُهـا جَـوْهَـرٌ ودُرُّ
عِـقْـدٌ، وهـذا الْـوُجُـودُ نَـحْـرُ قد يَجْمُلُ النحْرُ بالعُقُودِ![٦]

* * *

كَمْ نِلْتِ بالْعِلْمِ مِنْ مَقَامِ ونِلتِ بالْجِدِّ مِنْ مَرَامِ[٧]
إلى الْأَمَامِ إلى الْأَمَامِ إلى الْمَعَالي إلى الْخُلُود

* * *

يا مِصْرُ نَحْنُ الْفِدَاءُ نَحْنُ ما مَسَّنا في الْخُطُوبِ وَهْنُ
أَرْوَاحُنَا في يَدَيْك رَهْنُ وعَهْدُنَا أَصْدَقُ الْعُهُودِ

* * *

آباؤُنَا قَادَةُ الدهُورِ قَدْ أَنْطَقُوا صَامِتَ الصخُّور
مِنْ كُلِّ وَثَّابَةٍ جَسُورِ كَأَنَّهُ صَائِلُ الْأُسُودِ[٨]

* * *

يا مِصْرُ فارُوقُكِ الْمُرَجَّى إلَيْهِ تَرْنُو الْمُنَى وتُزْجَى[٩]
بِيُمْنِهِ قَدْ بَلَغْتِ أَوْجَا وَعِشْتِ فِي قِمَّةِ السُّعُودِ[١٠]

* * *

بِفَضْلِهِ صِرْتِ فِي الشُّعُوبِ مَهِيبَةَ الْقَدْرِ فِي الْقُلُوبِ
فَمِنْ وُثُوبٍ إلى وُثُوبِ وَمِنْ صُعُودٍ إلى صُعُودِ

* * *

نُكَرِّرُ الشكْرَ مُخْلِصِينَا لِمَنْ أَعَادَ الْحَيَاةَ فِينَا
لِمَصْدَرِ النورِ لِلْبَنِينَا والْمَنْهَلِ الْعَذْبِ لِلْوُرُودِ[١١]

* * *

مِصْرُ اسْعَدِي وازْدَهِي وَتِيهي دَعَاكِ لِلنَّصْرِ فاتْبَعِيهِ
مَا لَكِ فِي الْمَجْدِ مِنْ شَبِيه وما لِجَدْوَاهُ مِنْ حُدُودِ[١٢]

* * *

عاشَ مَلِيكُ الْبِلادِ زَنْدًا وَسَاعِدًا مُسْعِدًا أَشَدَّا[١٣]

فـارُوق الْـمُـرْتَـجَـى الْـمُـفَـدَّى مُـوَفَّـقَ الـرَّأْيِ والْـجُـهُـودِ
مِصْرُ اسْلَمِي واسْلَمي وسُودِي يـا أَلِـفَ الْـكَـوْنِ والْـوُجُـودِ

هوامش

(١) سودي: أمر من السيادة وهي العز والمجد والشرف، ويراد بالأمر هنا الدعاء أو التمني، والألف أول الحروف الهجائية والمراد بألف الكون والوجود أنها أول البلاد التي عرفها التاريخ بالحضارة والعمران.

(٢) الدجى: الظلمة. المهود: جمع مهد.

(٣) ساطعًا: عاليًا. السنا: الضوء.

(٤) تعنو: تخضع وتذل. البنود: جمع بند وهو العلم.

(٥) الجنى: ما يجنى من الثمر. أذكى: أطيب رائحة. الورود: جمع ورد.

(٦) العقد: القلادة. النحر: موضعها من الصدر.

(٧) الجد: الاجتهاد. والمرام: المطلب.

(٨) صائل: اسم فاعل من صال أي: سطا وهجم.

(٩) تزجى: تدفع وتساق.

(١٠) الأوج: الرفعة.

(١١) المنهل: المورد وهو عين الماء التي يُستقى منها.

(١٢) الجدوى: العطية.

(١٣) الزند: موصل طرف الذراع في الكف، وهو من مكامن القوة والمراد ينبوع قوة للبلاد، والساعد من الإنسان ما بين المرفق والكف.

نجيب مِتري

يرثي الشاعر صديقه المرحوم نجيب متري صاحب مكتبة المعارف، وقد توفي سنة ١٩٢٨م.

قُمْ وَانْثُرِ الزهْرَ عَلَى لَحْدِهِ ... وَابْكِ مَضَاءَ الْعَزْمِ مِنْ بَعْدِهِ[١]

هذَا «نَجِيبُ» قَدْ ثَوَى مُفْرَدًا ... كَأَنَّهُ الصمْصَامُ في غِمْدِه[٢]

مَقْصَدُهُ ضَاقَ بِهِ جِسْمُهُ ... وَنَفْسُهُ أَكْبَرُ مِنْ قَصْدِهِ[٣]

كانَ عِصَامِيًّا بَعِيدَ الْمَدَى ... لا يَبْلُغُ الطرْفُ مَدَى حَدِّهِ[٤]

يعْمَلُ كالنحْلِة لا يَنْثَني ... وَكَمْ جنَيْنَا الْحُلْوَ مِنْ شَهْدِهِ[٥]

ملَّ نَهَارُ الْقَيْظِ مِنْ كدَهٍّ ... وَضَجَّ نَجْمُ الصُبْحِ مِنْ شُهْدِهِ

رَأْيٌ يُريكَ اللَّيْلَ شمْسَ الضُحى ... وَهِمَّةٌ كَالنجْمِ فِي بُعْدِهِ

وَطُهْرُ نَفْسٍ إنْ تُرِدْ وَصْفَهْ ... فَانْظُرْ إلى الطَلِّ عَلَى وَرْدِهِ[٦]

كانَ أَبًا بَرًّا يَعافُ الكَرَى ... لَوْ مَرَّتِ الريحُ عَلَى وُلْدِهِ[٧]

عَلَّمَهُمْ كَيْفَ يُحِبُّونَهُ ... وَكَيْفَ يَبْكُونَ عَلَى فَقْدِهِ

لا بَرَحَتْ ذِكْرَاهُ مِلءَ النهَى ... ولا خَلَا مَغْنَاهُ مِنْ مَجْدِهِ[٨]

هوامش

(١) اللحد: الشق في جانب القبر، والمراد القبر نفسه. المضاء: النفاذ والحدة. العزم: الإرادة القوية.

(٢) ثَوى: أقام. الصمصام: السيف الصارم القاطع الذي لا ينثني.

(٣) المقصد والقصد مصدر قصدت الشيء وله وإليه أي: طلبته بعينه.

(٤) عصاميًّا: معتمدًا على نفسه عظيمًا بأعماله. المدى: الغاية. الطرف: العين. حد الشيء: منتهاه.

(٥) لا ينثني: لا ينصرف عن غايته.

(٦) الطل: الندى يكون في الصباح فوق أوراق الزهر والشجر.

(٧) الكرى: النعاس.

(٨) النهى: جمع نهية وهي العقل. المغنى: المنزل.

تغريد

غنت السيدة «أم كلثوم» هذه الأبيات احتفالًا بزواج الإمبراطورة فوزية من عاهل إيران الذي أقيم بدار الأوبرا سنة ١٩٣٩م.

لَمحَ البِشْرُ باسمًا بالأماني ... وشدا الصفوُ صادحًا بالأغاني
طَرَبٌ هزَّ كلَّ عِطْفٍ وجيدٍ ... فكأنّ الوُجودَ من ألحان[١]
ازْدَهِي مصرُ، واملئي الكونَ تيهًا ... بالأمير النبيل من إيران[٢]
أمةٌ مجدُها أطلَّ على الشمـ ... ـس، فحيّا سناءَه الفَرْقدان[٣]
قَهَرَتْ صَوْلَةَ الزمان وكانتْ ... قَبَسَ النورِ في شبابِ الزمان[٤]
إنَّ مصرًا وإنّ إيرانَ في المجـ ... ـد تليدًا وطارفًا أخَوان[٥]
أكبرَ ابنُ الحُسين أهرامَ مصر ... وشَدا البُحْتُرِيُّ بالإيوانِ[٦]
سَعِدا بالقِران في عزَّة الملـ ... ـك، وفي ظلِّ دوْحِه الفَيْنان[٧]
فالتقَى بالرضا وبالفوز تاجا ... ن، وبالوُدِّ والصفا أُمَّتانِ[٨]
دُرَّةٌ من كنوز مصرَ أضاءتْ ... فوق تاج الملوك من ساسان[٩]
ونباتٌ زَكا بروض فؤادٍ ... بين ظِلّين من ندى وحنان
إنّ عهدَ الفاروق عهدُ سُعودٍ ... باسمُ الثغْرِ ناضرُ الأفنان[١٠]
ملكٌ زانه الجلال وطافتْ ... حوْله هالةٌ من الإيمان
قد سَرَى حُبُّه إلى كلِّ قلبٍ ... وجرَى حمدُه بكلِّ لسان

هوامش

(١) عطف: جانب. جيد: العنق.

(٢) تيهًا: افتخارًا. الأمير النبيل: محمد رضا بهلوي شاه إيران.

(٣) سناءه: ضوءه. الفرقدان: نجمان قريبان من القطب.

(٤) قبس: شعلة النور.

(٥) تليدًا: قديمًا. طارفًا: حديثًا.

(٦) ابن الحسين: الشاعر أبو الطيب المتنبي. البحتري: الشاعر العباسي الشهير. الإيوان: إيوان كسرى ملك الفرس.

(٧) دوحه: شجره العظيم. الفينان: الطويل الحسن ذو الأغصان الوارقة.

(٨) بالرضا: القبول ويجوز أن يكون المقصود رضا بهلوي والفوز إشارة إلى فوزية.

(٩) ساسان: بلدة بإيران وإليها نسبت الدولة الساسانية.

(١٠) سعود: يمن وبركة وسعادة.

ذكرى وتاريخ

أنشدت هذه القصيدة بدار المعارف سنة ١٩٤٥م، بمناسبة احتفالها بمرور عامين على إصدار سلسلة «اقرأ»:

لَسْتِ من شأنه ولا بعضِ شانِهْ ... كَبَحَ الشيْبُ والنُهى من عنانِه[١]

فاذهبي، ما سلا الفؤادُ ولكن ... ساقَه يأسُه إلى سُلوانه[٢]

وبدار الفردوسِ من جانبوا الإثـ ... ـمَ، لعجز النفوسِ عن إتيانه[٣]

قد تولى الشبابُ ريحانةُ الحبـ ... ـبِ، فمن لي بالحبِّ أو ريحانه؟[٤]

آه من حَيْرةِ المشيبِ: سواءٌ ... هو في بَوْحِه وفي كتمانه!

إن كتمناهُ قهقه الدهرُ جذلا ... نَ، ومدّ الخبيثُ طرفَ لسانه[٥]

أو أبحناهُ راعنا كلَّ يوْمٍ ... شُرُفاتٌ يَهْوين من بنيانه

ورأيْنا الغِيدَ الأماليدَ حُلْمًا ... ضَنّ بالملتقَى على وسنانه[٦]

كلُّ شيءٍ له أوانٌ يوفِّيـ ... ـه، وفوْتُ الشباب قبل أوانه[٧]

كم نَعِمْنا به زمانًا فلمّا ... طاح، عشنا في ذكريات زمانِهْ[٨]

طائرٌ كان إن تغنَّى إلى الرو ... ضِ، شجا الحالياتِ من أغصانه[٩]

عسجديُّ الجناحِ وَدّ العذارَى ... لو خَضَبْنَ البَنانَ من ألوانه[١٠]

وتمنَّى الأصيلُ لو نال يومًا ... لمحةَ الحسن من سنا لمعانه[١١]

أين تصفيقُه؟ وأين مجاليـ ... ـه؟ وأين الرخيمُ من ألحانه؟[١٢]

جالَ في الأفْق جوْلةً ثم ولَّى ... هل يعود الشادي إلى جَوْلانهْ؟[١٣]

ومضى خافقَ الْجَناح ولم يتـ ... ـرُكْ لقلبي منه سوى خفقانه[١٤]

وحواه الماضي الْخِضمُّ وأبقَى ... ذكرياتٍ تطفو على شُطْآنه
مرّةً تستريح شوْقًا لذِكرا ... ه، وحينًا نَجِدُّ في نسيانه
أنا عزمي من آل صخرٍ، ورأسي ... لَقِيَ الويلَ من بني شَيْبانه[١٥]
ولنفسي مُنى الشبابِ، وإن أدْ ... رَجَ وجهي الشبابَ في أغضانه

* * *

ما أُحَيْلَى الصِّبا، فهل لمحةٌ منـ ... ـهُ، ومن زَهْوِه ومن ريعانه؟![١٦]
بان بالأمس ركْبُه فتطلّعـ ... ـتُ، أعُدُّ الطيوفَ من أظعانه[١٧]
وبدا في طليعةِ الركبِ طيْفٌ ... لجَّ منه الفؤَادُ في تحنانهْ[١٨]
هاج ذِكرَى «دارِ المعارف» والغُصـ ... ـنُ رطيبٌ، والعُمُر في عنفوانِه
جَمَعَتْنا روْضًا جَنًى وظلالًا ... تتدانى القطوفُ من أفنانه[١٩]
فشدوْنا عنادِلًا هزَّت الدهـ ... ـرَ، وكادت تُلهيه عن حَدثانه[٢٠]
وصحا الشرقُ ناشطًا يَجْبَه الدنـ ... ـيا، وينفي النعاسَ عن أجفانه[٢١]
وكتَبنا في روْعةٍ وبيانٍ ... يُقسمُ السحرُ: إنه من بيانه
من إمامٍ وشاعرٍ وأديبٍ ... معجزاتُ الفنونِ طوْعُ بنانه[٢٢]
جمعتنا «دارُ المعارف» أحرا ... رًا، فكُنَّا للعلم من عُبْدانه[٢٣]
إنّ عُنوانَها جهابذُ مصرٍ ... وجلالُ الكتابِ في عنوانهْ![٢٤]
مصنعٌ من ثقافةٍ وضياءٍ ... كلُّ قُطرٍ يعشو إلى نيرانه[٢٥]
يُنْضِجُ الْخُبزَ للعقول نَقيًّا ... لم يُروَّع بالبخسِ في ميزانه[٢٦]
كُلّما دار دورةً نهض العقـ ... ـلُ، وألقى العتيقَ من أكفانه
طَبَعاتٌ فيها من الحسن طبعٌ ... قيمةُ المرءِ في مدَى إحسانه!
وإذا راعك الجمالُ لفنٍّ ... عبقريٍّ فاسألهُ عن فنَّانه
نجمع الدرَّ تؤءمًا وفريدًا ... ثم نأتي به إلى دَهْقانه[٢٧]
قُلْ كما شئت في مديح «شفيقٍ» ... والكرام الثقاتِ من أعوانه[٢٨]
باعثُ الفِكرِ مثلهُ ناشرُ الفكـ ... ـرِ، له فضلُه ورفعةُ شانِهْ
أيُّ نفعٍ للمِسْكِ في حُقَّةِ المسـ ... ـكِ، وللمال في يَدَيْ خزانِهْ؟[٢٩]
ينشَطُّ الفكرُ بالذيوع ويزكو ... وزَكاءُ اليَنبوعِ في جريانه![٣٠]

* * *

يا ابن «متري» بلغتَ مدحي، وهذا منزلُ النجمِ، أو قريبُ مكانه
صُنتُ شعْري عن أن يهونَ وبعضُ الشـ ـشِعْر يَسعى لذُلِّه بهوانه
يصْغُرُ الفنُّ حينما تصغُر النفـ ـسُ، وينحطُّ من رفيع قِنانه[٣١]
إن شِعْري أجرُ النبوغِ فما بضـ ـضَ لغير المُجيدِ في مَيْدانه[٣٢]

* * *

أشفيقٌ، سِرْ بالشبابِ حثيثًا أملُ الشرقِ في يَدَيْ شُبّانه!
قد قرأنا في «اقرأ» صحائفَ أَبْدَتْ صفحاتِ الربيعِ في إبّانِهْ[٣٣]
نَهضَتْ بالشريفِ من لغة الضا دِ، وجاءت بالسحر من تِبيانه[٣٤]
فهناءً «دارَ المعارف» لا زِلـ ـتِ منارَ الحِجا ومجلَى افتنانه[٣٥]
لقِيَ الشرقُ في ذَراكِ مَلاذًا مُذْ بَعَثْتِ الحياةَ في أوطانه[٣٦]

هوامش

(١) النهى: العقل. عنانه: مقود الفرس.
(٢) سلا: نسي.
(٣) دار الفردوس: الجنة.
(٤) ريحانة: رائحته الطيبة والريحان نبات ذو رائحة جميلة.
(٥) جذلان: فرحان.
(٦) الأماليد: ناعمة الخد. وسنانه: نائمة.
(٧) أوان: وقت. يوفيه: يعطيه حقه.
(٨) طاح: سقط وولى وراح.
(٩) شجا: طرب. الحاليات: المظهرات حلاوة وعجبًا.
(١٠) عسجدي: ذهبي. خضبن: دهن أيديهن بالحناء.
(١١) الأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب.
(١٢) الرخيم: الرقيق.

(١٣) جال: طاف.
(١٤) خافق الجناح: مضطرب مرفرف.
(١٥) آل صخر وبني شيبان: أسماء لقبائل عربية.
(١٦) ريعانه: قوته وفتوته.
(١٧) الطيوف: الأخيلة. أظعانه: أسفاره ومشيه.
(١٨) لج: تردد.
(١٩) جنى: ثمار. القطوف: العناقيد.
(٢٠) عنادلًا: طيور يقال له: الهزار صوتها حسن. حدثانه: أحداثه.
(٢١) يجبه: يستقبل.
(٢٢) طوع بنانه: منقادة له.
(٢٣) عبدانه: خاضعين له.
(٢٤) جهابذ: عظماء.
(٢٥) قطر: الناحية والجانب. يعشو: هنا بمعنى يقصد.
(٢٦) يروع: يفزع. البخس: النقص.
(٢٧) التوءم: اثنان في بطن واحدة. فريدًا: واحدًا. دهقانه: تاجر الجواهر.
(٢٨) شفيق: هو شفيق نجيب مترى صاحب دار المعارف في ذلك الحين. الثقات: أهل الثقة.
(٢٩) المسك: الطيب. حقة: المكان الذي يوضع فيه.
(٣٠) الذيوع: الانتشار. ذكاء: نماء. الينبوع: عين الماء.
(٣١) قنانه: مكانته العالية، أعلى الجبل.
(٣٢) بض: رق ولان، استجاب.
(٣٣) اقرأ: هو اسم سلسلة كتيبات تصدرها دار المعارف. إبانه: أوانه.
(٣٤) لغة الضاد: اللغة العربية.
(٣٥) منار الحجا: منار العقل. مجلى: موضح.
(٣٦) ذراك: ظلك. ملاذًا: ملجأ ومأوى.

مصطفى النحاس باشا

واحد من زعماء مصر البارزين خلف الزعيم العظيم سعد زغلول باشا في رئاسة حزب الوفد، وعاش حياته يناضل الاستعمار الإنجليزي لمصر حتى حقق الله على يديه استقلال البلاد، وقد أنشد الشاعر هذه القصيدة في الاحتفال الذي أقيم تكريمًا للزعيم بعد عودته هو وصحبه عقب توقيع اتفاقية «منترو» عام ١٩٣٧م.

مَلَكْتَ بما أوتيت ناصِيةَ النجمِ
وحُزْت عِنانَ المجدِ والشرفِ الجمِّ[١]
وعُدْت زعيمَ الفاتحين تقودُه
يدُ اللهِ مِنْ غُنمٍ لمصرَ إلى غُنْمِ[٢]
تطالعُكَ الأعلامُ نَشوَى كأنَّها
بكلِّ الذي أوليْت مِصْر على عِلْمِ[٣]
خوافِقُ تنأى في السماء وتلتقي
كما مال رِئْمٌ في الفلاة إلى رئْمِ[٤]
ويُطرِبُها عالي الهتافِ فتنثني
كما رقصتْ هِيفُ العذارى على نغمِ[٥]
فُتِنَّ بألوانِ الرياض وحُسنِها
فقاسَمْنَها في الحُسنِ أو جُرن في القَسْمِ[٦]
وكادَ سُرورًا ما بها من أهلّةٍ
يتيه على ابن الليل في ليلة التَّم[٧]

لـهـا نـشـوةٌ لـو أنَّ لـلـكَـرْمِ مِـثْـلَـهـا
لـمـا كـانَ إثْـمًـا أنْ تُـسـاغَ ابـنـةُ الـكـرْمِ[٨]
زَهـاهـا عـلـى الـرايـات أن انـتـصـارَهـا
على الدهرِ لم يُقْسَم لعُرْبٍ ولا عُجْمِ[٩]
وأن فَـتَـاهـا لـم يـقـفْ فـي ثـيـابـه
أخو نجدَةٍ في يومِ حربٍ ولا سِلْمِ[١٠]
حمَاهَا وأعْلَاهَا على النجْمِ سعيُه
فلله من يعْلي اللواءَ ومن يحْمي

* * *

أبَى المجدُ أن يدنو بفضل عِنانه
لغير بعيدِ الغَوْرِ والرأيِ والسهمِ[١١]
وما خضعَ النصرُ الأشمُّ لفاتحٍ
إذا لم يكُنْ من خِيرة السادةِ الشُّمِّ[١٢]
حملنا له الأزهارَ تَنْدَى نضارةً
وتهتزُّ عن طيبٍ وتَفْترُّ عن بَسْمِ[١٣]
وأنْفَسُ شيءٍ في الحياةِ أزاهِرٌ
يُبعثرها شَعبٌ على قدمَيْ شَهمِ[١٤]
وجِئنا بغُصنِ الغارِ تاجًا لجبهةٍ
عليها سطورٌ من إباءٍ ومن عزْمِ[١٥]
أقامَ طويلًا بالرياضِ كأنَّمَا
أُصيبتْ بناتُ المجدِ في مصرَ بالعُقْمِ[١٦]

* * *

سَعى الشعبُ أفواجًا إليكَ يسوقُه
نوازعُ حُبٍّ قد طَغَيْن على الكتْمِ[١٧]
رأينا به الآذيَّ يهدُر ماؤه
وجرجرةُ الأمواجِ في لُجَّةِ اليمِ[١٨]

صُفوفٌ بناهَا اللهُ في حُبِّ «مُصطفى»
تنَزَّهنَ عن صَدْعٍ وعُوفينَ من ثأمِ[١٩]
بها اجْتَمَعَتْ كلُّ المدائنِ والقُرى
فما شِئتَ من كيفٍ وما شئتَ من كَمِّ
إذا حاولَ الوهمُ المصَوِّرُ رَسْمَها
على صفحةِ القُرطاسِ عَزَّتْ على الوهمِ[٢٠]
وأصواتُ صِدْقٍ بالدعاء تتابعت
لها كَدَويِّ النحلِ في أذُنِ النجمِ[٢١]
أصاخَ إليها الصُّمُّ، يستمعونَها
فإن جَحَدُوها فالعفاءُ على الصُّمّ[٢٢]
تُحِسُّ أزيزَ النار في نَبراتِها
وتَلْمَحُ فيها قوّةَ العَزْمِ والجزْمِ[٢٣]
تكادُ تميدُ الأرضُ بالحشدِ فوقها
وتنسدُّ أرجاءُ الفضاء من الزَّحْمِ[٢٤]
زعمتُ بأن أطوِي لك الجمعَ سابقًا
فللهِ كَمْ لاقيتُ من ذلك الزَّعْمِ
أحاطتْ بيَ الأمواجُ من كُلِّ جانبٍ
أغوصُ إلى لحمٍ وأطفو على لحمِ
إذَا نالَ مني الوكْزُ ما كانَ يشتهي
خَلَصت إلى ما لا أحب من اللكْم[٢٥]
سَدَدْتُ عليَّ الطُرْقَ لم أَلْقَ مَسْلَكًا
وأوسعتُ طُرْقَ المجدِ والحسبِ والضخمِ[٢٦]
تمنيتُ لو لامَسْتُ كَفًّا هي المُنَى
خواتِمها قد صاغها الشعبُ من لَثْمِ[٢٧]
وشاهَدْتُ شهمًا كلّما رُمتُ رسمَهُ
تصوّرتُ أخلاقَ الملائكِ في الرسْمِ[٢٨]
وفُزت بوجهٍ من سنَا اللهِ ضوؤه
كريمُ المحيّا لا قطوبٍ ولا جَهْمِ[٢٩]

إذا قـدَّرَ الـشـعـبُ الـرجـالَ، فـإنّـهُ
قمينٌ بالاستقلالِ في الرأيِ والحُكْمِ[٣٠]

* * *

دعْـونَـاكَ لـلـجُـلّـى فـكُـنـتَ غِـيـاثَـهـا
وقد عَبَثَتْ خيلُ الحوادثِ باللَّجْمِ[٣١]
عـلـيـكَ مـن الـلـهِ الـعـزيـزِ مَـفـاضـةٌ
من الحق لم تأبه لرمْحٍ ولا سهمِ[٣٢]
تـصـولُ عـلـى الـعُـدوان تـسـتَـلُّ نـابَـهُ
وتَـصـدعُ بـالأيـمـانِ غـاشـيـةَ الـظـلْـمِ[٣٣]
وتـرفـعُ صـدرًا كـانَ حِـصْـنًـا ومـوئِـلًا
لمصرَ فأغناهَا عن الحصْنِ والأطَمِ[٣٤]
رمـيـتَ فـسـدّدتَ الـرمَـاءَ وإنَّـمـا
هُو اللهُ يرمي عن يمينك إذْ ترْمي[٣٥]
ومـا كـل ذي سـهـمٍ أصـابـت يـمـيـنُـه
ولا كل سهمٍ في إصابتهِ يُصْمي[٣٦]
وجـنَّـدتَ مـن آرائِـكَ الـغـرِّ جـحـفـلًا
طلائِعُه أغنَتْ عن البيضِ والدُّهْمِ[٣٧]
وأرسـلـتَ صـوْتًـا فـي الـبـلادِ مـجـلـجـلًا
سمعنا به زأرَ الضراغِمِ في الأجْمِ[٣٨]
فـفـتّـحـت آذانًـا وأيـقـظـت أعـيُـنًـا
وصنتَ رِباطَ العنصرين من الفصْمِ[٣٩]
فلَمْ يرضَ جنبٌ أن ينَامَ على أذًى
ولم يَرْضَ حَقٌّ أن ينامَ على هضْمِ[٤٠]
وطـار بـنُـو مِـصْـرٍ لـنـجـدةِ أمـهـم
سِـرَاعًـا فـأَكْـرِمْ بـالـبـنـيـن وبـالأمِ
ونَـالـتْ بك اسـتـقـلالَـهَـا مِـصْـرُ كَـامِـلًا
على الرغم من كَيْدِ الزمانِ على الرغْمِ

وحَـطَّـمـتَ أغـلَال الإسـارِ، وقـد لَـوتْ
يَدُ الدهْرِ واستعصتْ طويلًا على الحَطْمِ[٤١]
إذا عَـظُـمَـتْ نـفْـسُ امـرئٍ جـلَّ سـعـيُـه
وجـلّ فَـلَـم يُـوصَـمْ بـزهْـوٍ ولا عَـظْـمِ[٤٢]

* * *

تـحـدَّثَت الدنيـا «بسـعـدٍ» و«مـصـطـفـى»
وهـل قُـرئـتْ أمُّ الـكـتـابِ بـلَا «بسـمِ»[٤٣]
أبـانَ لـكَ الـطـرْقَ الـلَّـواحـب لـلـعُـلا
فـجَـلّـيتَ فـعـلَ الـفـارسِ الـبطلِ الـقـرمِ[٤٤]
بَـنَـيْـتَ وهـدّمـتَ الـضـلالَ مُـجـاهـدًا
فـكـنـتَ كَـريـمًـا فـي الـبـنـاءِ وفـي الـهـدْمِ
بـك اهـتـزّت الآمـالُ واخـضـرَّ عُـودُهَـا
كـمـا اهـتـزّ روْضٌ جـادَه واكِـفُ الـسَّـجْـمِ[٤٥]
ورُبَّ رجـالٍ كـالـسـحـائـبِ خُـلّـبًـا
تَـسُـدُّ مـصـابـيـحَ الـسـمـاء ولا تـهـمـي[٤٦]
يَـرونَ مـن الـحِـلْـمِ الـقـرارَ عـلـى الأذى
وأيـن قـرارُ الـهَـوْنِ مـن خُـلـقِ الـحِـلْـمِ[٤٧]
إذا شـهـوةُ الـدنـيـا دهـت عـقْـلَ عـاقـلٍ
غـدًا، وهـو أذكـى الـنـاسِ شـرًّا مـن الـفَـدْم[٤٨]
وإن عَـشَـقَـتْ رُوحُ الـفـتـى راحـةَ الـفـتـى
فـلا خـيـرَ فـي رُوحٍ ولا خـيـر فـي جِـسْـمِ
وقـفـتَ لـنـصـر الـحـقِّ فـي قـصـر «مـنـتـرو»
وقـوفَ وضـيءَ الـرأيِ مُـجـتـمِـع الـحـزْم[٤٩]
وحـولَـكَ مـن أصـحـابِـكَ الـصـيـدِ فـتـيـةٌ
خِـفـافٌ إلـى الـمـولـى شِـدادٌ عـلـى الـخَـصْـمِ[٥٠]
يـرونَ مـن الـحـتـم الـوفـاءَ لـقـومِـهـمْ
ولـيـسـت بـشـاشـاتُ الـحـيـاةِ مـن الـحـتْـم[٥١]

كـأنَّ غُـبـارَ الـنـصـر فـي لَـهَـواتِـهـم
جَنَى النحلِ أو أشهى وأطيبُ في الطعْمِ[٥٢]
لـك الـحِـجَـجَ الـبـيـضَ الـصـلَابَ كـأنَّـهـا
نِصالُ سـهـامٍ قد حَـزَزْنَ إلـى الـعَـظْـمِ[٥٣]
أمَـنْ جـعـل الـضـيـفَ الـنـزيـلَ كـواحـدٍ
مـن الأهْلِ يُـرْمَـى بـالـجـفـاء وبـالـذمِّ؟![٥٤]
فَـهِـمْـنـا ولـكـن لـلـسـيـاسـةِ مـنـطـقٌ
عزيزٌ على الأذهانِ صعبٌ على الفَهْمِ
ومـثـلُـكَ مَـنْ ردّ الـعـقُـولَ لـمـنـهـجٍ
سـديدٍ وأرْدَى الشكَّ بالمنطقِ الحسَمِ[٥٥]
فـمـا زلْـتَ حـتـى أدركَـتْ مِـصـرُ سُـؤْلَـهَـا
رفـيـعـةُ شـأوِ الـمـجـدِ مـوفـورَةُ الـسـهْـمِ[٥٦]
وأصـبـحَ حُـبًّـا كـل مـا كـان مـن قـلا
لـمـصـرَ وغُـنْـمًـا كل مـا كـانَ من غُـرْمِ[٥٧]
هـنـيـئًـا لَـكَ الـفـتـحُ الـمـبـيـنُ فـإنّـه
سيبقى على التاريخِ مُتَّضحَ الوسْمِ[٥٨]
نـثـرتُ لـه زَهْـرًا وأنْـظَـمْـتُ لـؤلـؤًا
فأحسنتُ في نَثري وأبدعتُ في نظْمِي[٥٩]

هوامش

(١) ناصية: أعالي النجم. عنان المجد: قيادة الشرف والعزة.
(٢) غنم: غنيمة.
(٣) تطالعك: تظهر لك. نشوى: فرحة. أوليت: أعطيت.
(٤) خوافق: مرفرفة. تنأى: تبعد. رئم: غزال. الفلاة: الصحراء.
(٥) هيف: الحسناء ضامرة البطن. نغم: صوت حسن.
(٦) فتن: عجبن. جرن في القسم: جاوزن الحد في النصيب والحظ.

(٧) أهلة: جمع هلال. ابن الليل: المقصود القمر. ليلة التم: ليلة اكتمال القمر وهي النصف من الشهر العربي.

(٨) الكرم: العنب الذي تصنع منه الخمر. تساغ: بمعنى تشرب. ابنة الكرم: من أسماء الخمر.

(٩) زهاها: افتخر بها. لم يقسم: لم يكن من نصيب.

(١٠) لم يقف في ثيابه: لم يلتزم بوتيرة واحدة. أخو نجدة: صاحب عون واستغاثة.

(١١) عنانه: قيادته. بعيد الغور: عميق الفكر. الهم: الهمة.

(١٢) الأشم: العالي. الشم: الشرفاء.

(١٣) تندى: من الندى أي: مبتلة بالماء. نضارة: حسنًا وبهاءً ورونقًا. طيب: رائحة العطر. تفتر: تفصح وتظهر. بسم: ابتسام وبشاشة.

(١٤) أنفس: أثمن. أزاهر: النبات المزهر. يبعثرها: ينثرها.

(١٥) الغار: الوسام. إباء: عزة.

(١٦) العقم: عدم الإنجاب.

(١٧) نوازع: مشاعر. طغين: جاوزن الحد. الكتم: الكتمان.

(١٨) الآذى: الموج. جرجرة: صوت. لجة اليم: ماء البحر العظيم.

(١٩) صدع: كسر، شق. عوفين من ثأم: سلمن من الخلل.

(٢٠) القرطاس: الورق.

(٢١) في إذن النجم: الصوت يصعد إلى مكان النجم في السماء.

(٢٢) أصاخ: استمع. الصم: الذين لا يسمعون. جحدوها: أنكروها.

(٢٣) أزيز النار: صوت النار المشتعلة. نبراتها: صوتها. الجزم: القطع.

(٢٤) تمهيد: تتحرك إلى أسفل. أرجاء الفضاء: نواحي الفضاء. الزحم: التزاحم.

(٢٥) الوكز: الدفع.

(٢٦) ألق: أجد. مسلكًا: طريقًا.

(٢٧) المنى: الأماني. صاغها: صنعها. لثم: تقبيل.

(٢٨) رمت: أردت.

(٢٩) سنا الله: نور الله. قطوب: عبوس. جهم: كالح الوجه.

(٣٠) قمين: جدير.

(٣١) الجلَّى: كشف عظائم الأمور. غياثها: منقذها. اللجم: مقود الخيل.

(٣٢) مفاضة: الدرع الواقي. تأبه: تعبأ، تهتم.

(٣٣) تصول: تهاجم. تستل نابه: تخلع أسنانه أي: تبطل شره كما تنزع أنياب الثعبان فيبطل سمه. تصدع: تشق وتقطع. غاشية الظلم: غطاء الجور.

(٣٤) ترفع صدرًا: الصدر هو أول الشيء. حصنًا: مانعًا. موئلًا: ملاذًا. الأطم: الخطر.

(٣٥) الرماء: الرماية. وفي البيت اقتباس من القرآن الكريم من الآية: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ رَمَىٰ﴾ صدق الله العظيم.

(٣٦) يصمي: يصيب.

(٣٧) الغر: الغراء. جحفلًا: جيوش. طلائعه: أوائله. البيض: السيوف. الدهم: الخيل.

(٣٨) زأر: صوت الأسود. الضراغم: الأسود. الأجم: الغابة كثيفة الشجر.

(٣٩) العنصرين: المسلمين والأقباط. الفصم: الفصل.

(٤٠) جنب: ناحية والمقصود أي شخص. ينام على أذى: يغفل عينيه وبه ضرر. ينام على الهضم: يغفل عينيه وهو مظلوم مهضوم الحقوق.

(٤١) الأسار: الأسر. استعصت: امتنعت. الحطم: التحطيم.

(٤٢) جل: عظم، كثر. يوصم: يدمغ. زهو: افتخار. عظم: كبر.

(٤٣) سعد: سعد زغلول باشا زعيم حزب الوفد. أم الكتاب: الفاتحة. بسم: يقصد بسم الله الرحمن الرحيم.

(٤٤) اللواحب: الواضحة. جليت: أظهرت وأبنت. القرم: السيد المهاب.

(٤٥) جاده: أعطاه ورواه. واكف: القطر والماء. السجم: السائل.

(٤٦) خلبًا: السحاب الذي لا مطر فيه. مصابيح السماء: المقصود النجوم. لا تهمي: لا تمطر.

(٤٧) الحلم: الأناة. القرار على الأذى: الصبر على الضرر. قرار الهون: الصبر على الذل والهوان. خلق الحلم: سجية الصبر.

(٤٨) شهوة الدنيا: ما يحب ويشتهى في الدنيا. دهت: أصابت. غدا: أصبح. الفدم: الغبي العيي.

(٤٩) مونترو: بلدة بسويسرا وُقِّعت بها معاهدة ١٩٣٦م لمنح مصر استقلالها. وضيء الرأي: واضح الرأي. الحزم: الرأي.

(٥٠) الصيد: العظماء. المولى: الله سبحانه وتعالى. شداد: أقوياء. الخصم: العدو.

(٥١) بشاشات الحياة: مباهج الحياة.

(٥٢) لهواتهم: جمع لهاة وهي زائدة لحمية في سقف الحلق والمقصود حلوقهم. جنى النحل: حصاد النحل وهو العسل.

(٥٣) نصال سهام: حد السهام. حززن: قطعن.

(٥٤) يرمي: يوصف. الجفاء: التنكر والابتعاد. بالذم: ضد المدح.

(٥٥) منهج: طريق. سديد: صواب وموفق. أردى: قتل. بالمنطق الحسم: بالقول القاطع.

(٥٦) سؤلها: مطلبها. شأو المجد: غاية الشرف والمجد. موفورة السهم: تامة وكاملة النصيب.

(٥٧) قلا: أبغض وترك. غنمًا: الكسب. غرم: خسارة.

(٥٨) متضح الوسم: واضح الصفة التي يعرف بها.

(٥٩) أنظمت لؤلؤًا: جمع اللؤلؤ وصنع منه عقدًا، يقصد أنه جمع كلمات كاللآلئ ونظم منها شعرًا. نظمي: شعري.

دُرَّة التاج

أنشد الشاعر هذه القصيدة في ميلاد الأميرة السابقة فادية ابنة الملك فاروق آخر ملوك مصر في ديسمبر سنة ١٩٤٣م.

هزَّتِ البُشْرَى جَناحَ الخافقينْ ... ومضتْ تخطِرُ بين المشرقينْ[١]
وتهادَى النيلُ نشوانَ الهوى ... ينثرُ الأزهارَ فوْق الشاطئينْ
كَمْ وكم للهِ في الناسِ يَدٌ ... يعجِزُ الشكرُ عليها باليدينْ!
دُرَّةٌ من سُؤْدَدٍ لامعةٌ ... ضمّها العرشُ لأغلى دُرَّتينْ[٢]
دُرَّةٌ للمُلْكِ ما ماثَلها ... كَرَمُ التِّبْرِ ولا صَفْوُ اللّجينْ[٣]
وشُعاعٌ زاد في لَألائِه ... أنّه من لَمحاتِ النيِّرينْ[٤]
وشذًى من زهرةٍ ناضرةٍ ... جَمَّلتْ في مصرَ أزهَى زهرتينْ[٥]
شرفُ الدوْحَة لاقى شرفًا ... فنما الفرعُ شريفَ المنبِتَيْنْ
قَرَّتِ الأعْيُنُ لمَّا أنجبتْ ... مصرُ للدنيا بها قُرَّةَ عَيْنْ
ونجا فاروقُها فاستبشرت ... وصفا الدهر فكانت بُشْرَيَيْنْ[٦]
فاجتلت مصرُ مُناها مَرَّةً ... ثم عادت فاجتلتها مرَّتينْ
كم وَقَفْنا نرتجي البُشْرَى كما ... يُرْتَجَى بدرُ الدُّجَى في ليل غَينْ[٧]
واتجهنا نحو عابدين التي ... أصبحتْ ثالثةً للقِبلتينْ[٨]
صورةٌ للحُبِّ ما أصدَقَها ... ومن التصوير تزييفٌ ومَيْنْ[٩]
ومشى أجدادُها في مَوْكِبٍ ... زاحَمَ الدهرُ به بالمنكِبَينْ[١٠]
مَوْكِبٌ قد خفَقَت أعلامُهُ ... وعَلَتْ فوقَ مَناطِ الفَرْقَدَيْنْ[١١]

لم تَرَ العينُ له مِثْلًا ولا ... خَطَرَتْ أوصافُه في أذنيْنْ
يخْطِرُ التاريخُ فيه مِثْلَما ... يخطِرُ الفارسُ بين الجَحْفَلَيْنْ[١٢]
فيه مُحْيي مصرَ في أبنائه ... زينةِ الدنيا وفخرِ المَلَويْن[١٣]
مَنْ كإسماعيلَ في آلائِهِ ... أو كإبراهيم حامي الْحَرَميْنْ
جَذوةُ الحربِ إذا ما اشتعلْت ... وبدا الشرُّ وأبدَى الناجِذين[١٤]
جَمَعَ الضادَ إلى رايته ... مُذْ رآها أَثَرًا من بعِد عَيْنْ[١٥]
بدَّدَت دُهْمُ الليالي شملَها ... والليالي كلُّها من أبَوَيْنْ![١٦]
فحباها وَحْدَةً ما عَرَفتْ ... في الهَوى حدًّا لأقصى بلدينْ
وصلتْ رضوَى بلُبْنانَ كما ... مزجت بالنيل ماءَ الرافِديْن[١٧]
عَجَبًا من آيةٍ كانتْ له ... أصبحتْ بابنِ فؤادٍ آيتيْنْ!
ليس للعُرْبِ سِواه عاهلٌ ... يَبْهَرُ الدنيا بعدلِ العُمَريْنْ[١٨]
زيّنتْه نشأةٌ طاهرةٌ ... وهو للطُّهْرِ وللنشأةِ زَيْنْ
قانِتٌ لله في محرابِهِ ... لم يَشُبْ آمالَه في الله رَيْنْ[١٩]
مَلِكٌ يجتابُ ثوبيْ مَلِكٍ ... أينَ مَنْ يُشبهُه في الناس أيْن؟[٢٠]
سرَقَ النيلُ الندَى من كفِّه ... فأسَالَ التِّبْرَ فوق الواديينْ
حُبُّه دَيْنٌ وَدينٌ للورَى ... يَا لهُ في الحبِّ من دِينٍ ودَيْنْ[٢١]
وبنى الملكَ أبوهُ جاهدًا ... فَسما فوق بناءِ الهَرَمَينْ
عَلَوِيُّ العزم إنْ رام العُلا ... لم يضِقْ ذَرْعًا ولم يمسَسْه أيْنْ[٢٢]
رَفَعَ الشِّعرَ إلى مَنْزِلةٍ ... لم يَنَلْها في زمان ابن الْحُسَينْ[٢٣]
دَوْلةٌ قامتْ تُناغِي دوْلةً ... فنعِمْنا في ظِلال الدولتينْ
ربما في الشعر قامت صفحة ... بالذي يعيا به ذو الصفحتين[٢٤]
إنَّما الشعرُ على كثرتِهِ ... لا ترى فيه سوى إحدى اثنتينْ
نفحةٌ قُدْسِيَّةٌ أو هَذَرٌ ... ليس في الشعر كلامٌ بَيْنَ بَينْ

* * *

سلِمَتْ للتاجِ أصفى دُرّةٍ ... وأقرَّ اللهُ عيْنَ الوالديْنْ[٢٥]
جَمَعَ اللهُ لها الْخيرَ كما ... جمَع الدنيا لنا في مَلِكَينْ

هوامش

(١) الخافقين: أفقا المشرق والمغرب. المشرقين: مشرقا الشمس في الصيف والشتاء.

(٢) سؤدد: مجد وشرف. درتين: يقصد ابنة فاروق الأولى فريال وابنته الثانية فوزية.

(٣) التبر: الذهب. اللجين: الفضة.

(٤) لألائه: لمعانه. النيرين: الشمس والقمر.

(٥) شذى: رائحة ذكية.

(٦) ونجا فاروقها: من حادثة السيارة المشهورة ببلدة القصاصين بمحافظة الشرقية.

(٧) غين: الغيم.

(٨) القبلتين: المسجد الحرام بمكة والمسجد الأقصى بالقدس.

(٩) مين: كذب.

(١٠) المنكبين: مثنى منكب وهو العضد والكتف.

(١١) مناط: بعد. الفرقدين: نجمان قريبان من القطب.

(١٢) يخطر: يمشي مهتزًا مزهوًّا. الجحفلين: الجيشين.

(١٣) محيي مصر: المقصود محمد علي باشا رأس الأسرة العلوية التي حكمت مصر حتى قيام ثورة ١٩٥٢م. الملوين: الليل والنهار.

(١٤) جذوة: جمرة النار المشتعلة. أبدى: أظهر. الناجذين: الأضراس الخلفية. والمقصود هو أظهر استعداده للقتال.

(١٥) إشارة إلى سعي إبراهيم باشا في توحيد الدول العربية.

(١٦) دهم: ظلمة.

(١٧) رضوى: هو جبل رضوى الشهير بالحجاز. الرافدين: دجلة والفرات نهران بالعراق.

(١٨) العمرين: هما عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز — رضي الله عنهما — ويضرب بهما المثل في العدل.

(١٩) قانت: طائع لله. رين: الرين هنا تغلب الهوى والميول.

(٢٠) يجتاب: يلبس.

(٢١) الورى: الخلق. دين: حق له.

(٢٢) علوي: نسبة إلى جده محمد علي باشا. رام: أراد. لم يضق ذرعًا: لم يتململ أو يشكو. أين: تعب.

(٢٣) ابن الحسين: هو أحمد بن الحسين أبو الطيب المتنبي الشاعر العربي المشهور.

(٢٤) ذو الصفحتين: السيف وله وجهان أو صفحتان.

(٢٥) أقر: أعطاه حتى هدأت نفسه.

تَهنِئَة صَدِيق

أنشد الشاعر هذه القصيدة في حفل زواج صديقه محمد بدر الدين، في مايو سنة ١٩١٣م.

هَـذِي الـديَـار وَأَنْتَ شـاعِـرْ فَـانْثُرْ كَـرِيـمـاتِ الْـجَـوَاهِـرْ
وَافْـعَـلْ كمَـا يُـمْـلِـي الْـهَـوَى فَـاكْـتُـمْ حَـدِيـثَكَ أو فَـجَـاهِـرْ
هِـيَ مَـنْ عَـلِـمْـتَ مَـكَـانَـهـا فَـارْبَـأْ بِـنَـفْـسِـكَ أَنْ تُـخَـاطِـرْ
حَـاذِرْ «عَـلِـيٌّ» وَلَـيْـتَ شِـعْـرِي هَـلْ يَـرُدُّكَ قَـوْلُ: حـاذِرْ؟
حَـوْرَاءُ تَـسْـرَحُ فـي الْـقُـلُـو بِ كَـأَنَّـهـا مَـرحُ الْـجَـآذِرْ[١]

* * *

يَـا لَـيْـلَـةً حُـمِـدَت بِـهـا عُـقْـبَى الْـمَـوَارِدِ وَالْـمَـصَـادِرْ[٢]
مَـرَّت كَـحَـسْـوَةِ طـائِـرٍ قِـصَـرًا وَكَـرَّاتِ الْـخَـوَاطِـرْ[٣]
وَدَّ الْـكَـوَاعِـبُ لَـوْ تُـمَـدُّ بِـمَـا لَـهُـنَّ مِـنَ الْـغَـدَائِـرْ[٤]
أَوْ لَـوْ وَصَـلْـنَ سَـوَادَهـا بِـسَـوَادِ حَـبَّـاتِ الـنَّـوَاظِـرْ[٥]
نَـشَـرَ الْـجَـلالُ لِـوَاءَهُ فِـيـهـا وَصَـفَّـقَـتِ الْـبَـشَـائِـرْ[٦]
وَطـفـا الـسـرورُ عـلـى الْـوُجُـو هِ ودَبَّ مـا بَـيْـنَ الـسـرائِـرْ[٧]
وأَتَـتْ كَـمَـا يـأْتِـي الـشـبـا بُ مُـبَـارَكَ النـفَـحَـاتِ نـاضِـرْ[٨]
إِنْ غَـاب فِـيـهـا بَـدْرُ ذِي الـدنـ ـيَـا «فَـبَـدْرُ الـديـنِ» حـاضِـرْ

* * *

«أَمُحَمَّدٌ» يا زِينَةَ الـ ـفِتْيَانِ يا نَسْلَ الْأَكَابِرْ[٩]
صاهَرْتَ أَكْرَمَ أُسْرَةٍ نِعْمَ الْمُصَاهَرُ والْمُصَاهِرْ
وَظَفِرْتَ مِنْ نِعَمِ الْحَيَا ةِ بِنِعْمَةٍ يَا خَيْرَ ظَافِرْ[١٠]
يا ابْنَ الأُلَى بَزَّتْ فِعا لُهُمُ الْأَوَائِلَ وَالْأَوَاخِرْ[١١]
يا ابْنَ الأُلَى كانَتْ لَهُمْ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ مَآثِرْ[١٢]
كانَتْ رَشِيدُ بِجَدِّكَ الـ أَعْلَى تَتِيهُ عَلَى الْحَوَاضِرْ[١٣]
قَدْ كانَ رِدْئًا لِلْعِبا د وَكانَ مَوْئِلَ كُلِّ عَاثِرْ[١٤]
كَمْ رَدَّ غَائِلَةَ الْمُحَا فِظِ وَالْمُحَصِّلِ والْمُبَاشِرْ[١٥]
عَصْرٌ بِجَدِّي ثُمَّ جَد دِكَ كانَ بِالْعَلْيَاءِ زَاهِرْ[١٦]
سَهِرَا فَنَامَ الْيَائِسُو نَ مُحَصَّنِينَ مِنَ الْمَخَاطِرْ
وَتَقَاسَمَا فَضْلَ الْفَخا رِ ونَادَيَا هَلْ مِنْ مُفَاخِرْ؟
جَدِّي بِعِلْمٍ ناصِعٍ يَهْدِي وَلَيْلُ الشكِّ عاكِرْ[١٧]
وَبِمِقْوَلٍ يَفْرِي الْحَدِيـ ـدَ وَيَصْرعُ الْخَصْمَ الْمُكَابِرْ[١٨]
فِي حِينِ جَدِّكَ بِالسَّما حَةِ يُخْجِلُ السُّحْبَ الْمَواطِرْ[١٩]
دَانَ الزمانُ لِطَوْلِهِ فَأَتَى إِلَيْهِ وَهْوَ صَاغِرْ[٢٠]
سَلْ مَنْ رَأَوْهُ فَكُلُّهُمْ لِنَوَالِ «بَدْرِ الدينِ» ذَاكِرْ
أَمَّا أَبُوكَ فَقَدْ سَعَى فِي إِثْرِهِ سَعيَ الْمثَابِرْ
خُلُقٌ كَنَوْرِ الرَّوْضِ بَا كَرَهُ الْحَيَا والرَوْضُ عاطِرْ[٢١]
وَعَزِيمة أَمْضَى مِنَ الـ أَقْدَارِ فِي حَلَكِ الدياجِرْ[٢٢]
بَطْشٌ كَبَطْشِ اللَّيْثِ أَغـ ـضَبَهُ الطوَى واللَّيْثُ خادِرْ[٢٣]
نَزَلَتْ مَحَبَّتُهُ الْقُلُو بَ وَأَقْسَمَتْ أَلَّا تُغَادِرْ
هُوَ خَيْرُ مَنْ هَزَّ الْيَرَا عَ وَهَزَّ أَعْوَادَ الْمَنَابِرْ[٢٤]
فَإذا انْبَرَى لِلْقَوْلِ كا نَ لَهُ مِنَ التوْفِيقِ ناصِر[٢٥]
فَتَكادُ تَأْكُلُهُ النفُو سُ هَوًى وَتَشْرَبُهُ الضمائِرْ
«أَعلِيٌّ» إنَّكَ أَنْتَ أَكـ ـرَمُ نَابِهٍ فِينا وكابِرْ
إنْ عُدَّ أَبْطَالُ الرجا لِ فَأَنْتَ أَوَّلُهُمْ وآخِرْ

هوامش

(١) حوراء: صفة من الحور وهو شدة بياض العين في شدة سوادها، وهذا من أعظم مظاهر الحسن. وتسرح: تمشي وتنتقل وأصله من سرحت الماشية: تنقلت في المرعى. ومرح: صفة من المرح وهو الاختيال والنشاط والتبختر. الجآذر: جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية تشبه به الحسناء من النساء في جمال العيون واتساعها.

(٢) العقبى: جزاء الأمر. الموارد في الأصل: جمع مورد اسم مكان من ورد البعير وغيره الماء أي بلغه ووافاه، المصادر: جمع مصدر اسم مكان من صدر عن الماء أي رجع، والمراد بالموارد والمصادر الأوائل والنهايات.

(٣) حسا الطائر الماء: جرعه أي شربه. والكرات: جمع كرة وهي الرجعة. الخواطر: جمع خاطر وهو الهاجس أو حديث النفس.

(٤) ود: تمنى. والكواعب: جمع كاعب وهي الفتاة نهد ثديها أي نتأ. الغدائر: جمع غديرة وهي الذؤابة أي الشعر المنسدل من وسط الرأس إلى الظهر.

(٥) النواظر: جمع ناظر وهو السواد الأصغر من العين، ويريد بحبة الناظر إنسان العين.

(٦) الجلال: العظمة. اللواء: العلم. البشائر: جمع بشارة وهي اسم من بشره تبشيرًا أي سره وأفرحه.

(٧) طفا: علا. دب: سار سيرًا لينًا. السرائر: جمع سريرة وهي السر، والمراد مواضع السرائر وهي القلوب.

(٨) النفحات: جمع نفحة وهي الرائحة الذكية. ناضر: جميل.

(٩) النسل: الولد. الأكابر: جمع الأكبر.

(١٠) الظفر: الفوز وتنكير نعمة للتفخيم، وفيها تورية لأن اسم العروس «نعمة».

(١١) بزت: غلبت وفاقت.

(١٢) المآثر: جمع مأثرة وهي المكرمة.

(١٣) تتيه: تتكبر وتفخر. الحواضر: جمع حاضرة وهي المدينة، والحاضرة في الأصل: ضد البادية.

(١٤) الردء: العون. الموئل: الملاذ والملجأ. العاثر: اسم فاعل من عثر بمعنى زل وسقط.

(١٥) الغائلة: اسم فاعل من غاله من باب قال إذا أخذه من حيث لم يدر، أي: أهلكه وقتله على غرة كاغتاله، والمراد بالغائلة الشر والعسف، ويريد بالمحافظ والي المدينة

وحاكمها، وبالمحصل جابي الضرائب، والمباشر لقب بعض الرؤساء الجبارين في ذلك العهد.

(١٦) زاهر: مشرق مضيء.

(١٧) الناصع: الخالص من كل شيء، ونصع لونه: اشتد بياضه وخلص. عاكر: اسم فاعل من عكر الشراب ونحوه، والمراد أنه كثيف الظلام مختلطه.

(١٨) المقول: اللسان. يفري: مضارع فرى الشيء إذ قطعه لإصلاحه. يصرع: يكبت ويفحم أي يسكت خصمه. المكابر: المغالب والمعاند.

(١٩) السماحة: الكرم والجود والعطاء.

(٢٠) دان: ذل وخضع. الطول: الفضل والقدرة والغنى والسعة. صاغر: ذليل خاضع.

(٢١) النور: الزهر. الروض: جمع روضة. باكره: أتاه بكرة، والبكرة أول النهار. الحيا: المطر. عاطر: اسم فاعل من عطر أي تطيب.

(٢٢) العزيمة: الإرادة القاطعة القوية، أمضى: أنقذ وأقطع. الأقدار: جمع قدر وهو ما يقدر على الإنسان في حياته. الحلك: شدة السواد. الدياجر: جمع ديجور وهو الظلام.

(٢٣) البطش: الأخذ بالعنف. الليث: الأسد. الطوى: الجوع الشديد. خادر: مقيم في خدره وهو عرينه.

(٢٤) اليراع: جمع يراعة وهي القصبة، والمراد باليراع الأقلام التي تتخذ من القصب عادة. الأعواد: جمع عود وهو الخشب.

(٢٥) انبرى: اعترض وتصدى.

بهجة الأفراح

أقامت مصر موكبًا للزهور احتفالًا بزواج الإمبراطورة السابقة فوزية من إمبراطور إيران السابق محمد رضا بهلوي عام ١٩٣٩م، وأعدت جريدة البلاغ لهذه المناسبة عربة زينت بالورود، كتبت عليها بالأزهار هذه الأبيات.

هَـنِّ إيـرانَ بـالـقِـرانِ ومِـصْـرَا ... واملأِ الـكونَ بـالـبشـائِر عِـطْـرَا
وانثُرِ الشِّعْرَ للعروسينِ زَهْرًا ... وانظمِ الزَّهْرَ للعروسين شِعْرا
بَزَغَتْ في مشارقِ المجدِ شَمْسًا ... وبدا في مطالِع السعدِ بَدْرا[١]
شَـرَفٌ يـبـهَـرُ الـسـمـاءَ وعِـزٌّ ... يمتطي هامةَ الكواكبِ زُهْرا[٢]
سَطعَ «الفوْزُ» و«الرضا» بين تاجَيْـ ... ـينِ أعادا للشرقِ عِزًّا وذِكْرا[٣]
وتلاقَى مجدٌ بناه بنو النيـ ... ـلِ بمجدٍ بناه دارا وكِسْرَى[٤]
تـهـنـئـات «الـبـلاغ» وهـي ولاء ... صوّرتـها يد الطبيعة زهرا[٥]

هوامش

(١) بزغت: طلعت. مطالع السعد: موضع طلوع السعادة والهناء.

(٢) يبهر: يضيء. يمتطي: يركب. وفيه استعارة بالكناية. هامة الكواكب: قمة الكواكب. زهرًا: نجومًا مضيئة لامعة.

(٣) الفوز: الظفر بالخير. الرضا: الرضوان والارتضاء. وهنا إشارة إلى اسمي العروسين. الأميرة فوزية والأمير رضا بهلوي شاه إيران.

(٤) دارا: من ملوك الفرس. كسرى: لقب ملوك الفرس.

(٥) البلاغ: هي جريدة البلاغ. ولاء: طاعة وإخلاص.

دُعابَة

عام ١٩٣٨م

ضَمَّتي مجلسُ أنسٍ زانه ... صفوةٌ من نُجباءِ الأصدقاءْ[١]
منطقُ الهزل به جِدٌّ، وكمْ ... نَطق الْجِدُّ به القول الهُراء![٢]
فتطارحْنا حديثًا عَجَبًا ... فيه للروحِ وللعقلِ غِذاء
وتَجاذبْنا فنونًا جَمَعتْ ... طُرَفًا مِمَّا رواه الأدباء
ثم رُمْنا أن نحاجِي ساعَةً ... لنُريحَ النفسَ من كَدِّ العَناء[٣]
قلت: من يبدأ قالوا: فابتدئ ... أنت، فالكلُّ لما تُلْقِي ظِماء[٤]
قلت للنحويِّ: قل، قال: وهل ... تركت «حتّى» لنفسي من ذَماءْ؟[٥]
قلت: فليأت البديعيُّ بما ... شاءت الفِطْنةُ من لُغْزٍ وشاء[٦]
قال: أتقنتُ بديعي كُلَّه ... غيرَ نوعٍ هو «حسنُ الابتداء»
قلت للصرفيّ: فابدأ، قال: قد ... عاقني الإعلالُ في «ريح» و«شاء»[٧]
ثم قالوا: قل ولا تُكْثِر فمن ... أكثر القول أملَّ الْجُلَساء

* * *

قُلت: من يُعرَفُ عِلمًا وحِجًا ... وذَكاءً وسماحًا في رِداء
يملأ الدنيا حياةً إن بدا ... كوكبًا يسطع فيَّاضَ الضياء[٨]
فأجابوا: الشمسَ؟ قلتُ: انتبهوا ... ليس للشمس نوالٌ وذَكاء[٩]

ثم قالوا: زد، فناديت وما ... مَوْرِدٌ قد راح في الناس وجَاهْ؟[١٠]
مورِدٌ يمشي إلى قُصَّادِه ... فيه رِيٌّ وحيَاةٌ وشِفاء[١١]
فنأوا عنِّي وقالوا: عَجَبٌ ... كيف يمشي مثلَما تزعُمُ ماء؟[١٢]

* * *

قلتُ: هل أبصرتُمُ جِسمًا يُرَى ... للإخاء المحضِ أو صِدْقِ الوفاء؟[١٣]
لِلعلا للفضلِ للدينِ وللأ ... دبِ الجمّ جميعًا والإباء؟[١٤]
فأجابوا: قد عَجَزنا، قل لنا ... ذاك في الأرض يُرَى أم في السماء؟
قلت: في الأرضِ، وللأرضِ بهِ ... ويحكم، أيُّ ازدهارٍ وازدهاء!
هو في الطبِّ «أبقْراطُ» وفي ... حَلْبَة الشعرِ إمامُ الشعراء[١٥]
وإذا أعطى أبيْتُم أنَفًا ... أن تعُدُّوا «حاتِمًا» في الكرمَاء[١٦]
فأجابوا: اكشف لنا، حَيَّرتنا ... عن أحاجيك إن شئتَ الغِطاء[١٧]
قلت: كلّا فانظروا وانتبهوا ... ليس في الأمر التباسٌ أو خَفَاء

* * *

هل رأيتم دَوْحَةً مُثمرةً ... كلَّ آن في صباحٍ أو مَساء؟
هي في الصيف ظِلالٌ ونَدى ... وهي دفءٌ وحَنان في الشتاء
يجدُ البائسُ في ساحتها ... مَوئِلًا حُلْوَ الْجَنَى رَحْبَ الفِناء[١٨]
سألوني: محسنٌ؟ قلت: نعم ... ملجأُ القُصّادِ كهفُ الفقراء
ثم قالوا: شاعرٌ؟ قلت: أجل ... شِعْرُه الدرُّ بهاءً وصَفاء
ثم قالوا: زاهدٌ؟ قلت: نعم ... عنده الدنيا وما فيها هَبَاهْ[١٩]
فأشاروا: قِفْ عرفناه، وهل ... يُجْهَلُ البدرُ؟ فما هذا الغباء؟
عَجَبًا حِرنا ولم نفطُنْ له ... واسمُهُ كالصبح نورًا وجَلاء!
لا نُسمِّيه فيكفي وصفُه ... فيه عن كُلِّ تعريفٍ غَناء[٢٠]
قُم وسجِّل فضلَه واهتِفْ به ... وابتكِرْ ما شئتَ فيه من ثناء

هوامش

(١) نجباء: كرماء شرفاء عظام.

(٢) القول الهراء: القول الهزل.

(٣) نحاجي: نتبارى في الأحاجي وهي الألغاز.

(٤) ظماء: متعطشون.

(٥) حتى: اضطربت أقوال النحاة في معاني حتى وفي إعرابها حتى لقد أثر عن «الفراء» أنه قال: أموت وفي نفسي شيء من حتى. من ذماء: من بقية روح.

(٦) البديعي: وهو العالم في علم البديع والبلاغة. الفطنة: الذكاء. شاء: أراد.

(٧) الصرفي: عالم الصرف وهو من علوم اللغة العربية. الإعلال: باب في علم الصرف وهو من أهم أبوابه. في ريح وشاء: في ريح إعلال بقلب الواو ياء. أما شاء وهو جمع شاة فأصل الهمزة فيه هاء.

(٨) فياض: كثير.

(٩) نوال: عطاء. ذكاء: حدة القلب وقيل: الاشتعال.

(١٠) مورد: منهل.

(١١) ري: ارتواء، ماء.

(١٢) فنأوا: بعدوا.

(١٣) المحض: الخالص.

(١٤) الجم: الكثير.

(١٥) أبقراط: فيلسوف وطبيب يوناني قديم وله قسم يعرف بقسم أبو قراط يقسمه الأطباء عند بدء اشتغالهم بمهنة الطب.

(١٦) أبيتم: رفضتم. أنفًا: عظمة وكبرياء. حاتمًا: هو حاتم الطائي الذي ضرب به المثل في الجود والكرم.

(١٧) أحاجيك: ألغازك.

(١٨) موئلًا: ملاذًا. حلو الجنى: حلو الثمر. رحب الفناء: متسع الجوانب.

(١٩) هباء: تراب دقيق لا يرى.

(٢٠) غناء: استغناء.

إلى أنطون الجميل

بعث الشاعر بهذين البيتين إلى صديقه الأستاذ أنطون الجميل، رئيس تحرير جريدة الأهرام وعضو مجمع اللغة العربية بمناسبة حصوله على رتبة الباشوية عام ١٩٣٦م.

حينما نِلتَ آبداتِ المعالي وشفَيْنا المُنَى وكانَتْ عِطَاشَا[1]
قال لي الشعرُ: قمْ وسجِّل وأرِّخْ أيُّ بُشْرَى! غدا الجميِّلُ باشا
١١ ٥١٢ ١٠٠٥ ١١٤ ٣٠٤
١٩٤٦

هوامش

(١) آبدات: خالدات. شفينا: سقينا.

الفيوم

كانت زيارة من الشاعر لمدينة الفيوم حينما كان والده — رحمه الله — قاضيًا للمحكمة الشرعية بها، فراعه ما أفاض الله — سبحانه وتعالى — عليها من جمال وأسعده ما اتصف به أهلها من وفاء، فجاءت هذه الأبيات معبرة عما يجيش في نفسه من مشاعر عام ١٨٩٨م.

ساكني الفيومِ إنِّي ذاكرٌ عهدكُمُ، والذكر في البعدِ وفَاءْ[١]
كم شدَا شعرِي على دوحتِكُمْ أيّ شعرٍ غَرِدٍ؟ أيّ غِنَاءْ؟![٢]
بلدٌ كالزهرِ حُسنًا وشَذًا بينَ أظلالٍ وأَنْسامٍ ومَاءْ[٣]
مثل خدِّ البكرِ في تلوينهِ ترتدي في كُلِّ حينٍ بردَاءْ[٤]
فهيَ بالأمسِ سِوَاهَا في غدٍ وهيَ في الصبح سِواهَا في المَساءْ

هوامش

(١) عهدكم: وصيتكم، ميثاقكم.
(٢) شدا: غنى بصوت حسن. دوحتكم: حديقتكم ذات الشجر الكبير.
(٣) شذا: رائحة العطر النفاذة.
(٤) رداء: ثوب.

جورجي زيدان

أحد مؤسسي «دار الهلال» كان أديبًا بارعًا روائيًّا لامعًا قرأ له الشاعر منذ نعومة أظفاره، فنظم من أجله هذه الأبيات، تقديرًا وعرفانًا عام ١٩٤٦م.

رُدّا شَبَابِي، وَرُدّا عهدَ زيدانِ ... ومِنْ روَائعِ ما أَمْلَاهُ زيدانِي
قرأتهُ وريَاضُ العُمْرِ وارفةٌ ... فكانَ منهُ ومن سني شبابَان![١]
في ضوء خافقةٍ في الريف شعلتها ... كالسرِّ ما بينَ إعلانٍ وكِتْمَانِ[٢]
بدت بها زُمُرُ الأبطالِ ماثلةً ... تطوي القرونَ لألقاهَا وتلقانِي[٣]
من كلّ ما شَادَ للإسلام مملكةً ... أبقى على الدهرِ من رضوى وثَهْلانِ[٤]
للعُرْب «بالضادِ» إيمانٌ يُوحِّدهم ... كانُوا لعدنانِ أو كانُوا لغسّانِ[٥]
ما خطّ «زيدانُ» أسطارًا على صُحفٍ ... لكن جلا صُوَرًا من صُنْعِ فَنَّانِ[٦]
قد كانَ أوّل مُرتادٍ لأمَّتِه ... والخلدُ في هذه الدنيا لَهُ ثَانِي[٧]

هوامش

(١) وارفة: ممتدة الظل.

(٢) خافقة: مضطربة متحركة والمقصود هو مصباح الجاز الذي كان يستعمل في الأرياف للإنارة.

(٣) زمر: جماعات.

(٤) رضوى: جبل رضوى الشهير بالحجاز. ثهلان: جبل مشهور أيضًا.

(٥) الضاد: اللغة العربية. عدنان: أبو العرب المسلمة. غسان: أبو العرب المسيحيين.

(٦) جلا: أوضح.
(٧) مرتاد: نافع، رائد.

باريس

يتألم الشاعر لذكرى سقوط باريس في الحرب العالمية الثانية، ويتحسر لسرعة استسلامها. ثم يذكر إنقاذ الحلفاء والفرنسيين الأحرار لها من أيدي الألمان عام ١٩٤٤م، فضمن هذه القصيدة مشاعره وخوالج نفسه.

عُرْسٌ أقيمَ على الدمِ المسفوكِ ... أَأُرَدِّدُ الألحانَ أم أبكيكِ؟
باريسُ حيَّرْتِ القريضَ، فمرَّةً ... يشدو، وحينًا والِهًا يَرْثيكِ[١]
نَهكَتْكِ داهيةُ الْخُطوبِ فلم تَدعْ ... للفَوْزِ غيرَ حُشاشةِ المنهوكِ[٢]
إنْ كان ما تَعْنِي الحياةُ تنفُّسًا ... «فالعيشُ خَيْرٌ في ظِلالِ النوكِ»[٣]
لَهفي عليكِ! ولهفَ شعري! ما الذي ... لاقيتِ من جَبَريَّةٍ وفُتوكِ؟[٤]
ما بين ظُلْمٍ كالمنونِ مُحجَّبٍ ... عاتٍ، وظلمٍ كاسمه مهتوكِ[٥]
ألقيتِ نفسَكِ للطُّغاةِ غنيمةً ... ومضَى القضاءُ فعزَّ مَنْ يُنْجيكِ
جُرْحُ الهزيمةِ لا تَجِفُّ دِماؤُه ... وتجِفُّ دامِيةُ القنا المشكوكِ[٦]
ناديْتِ لا «بيتانُ» في تِسعينهِ ... مُصْغٍ، ولا «لا فالُ» بين ذَويكِ[٧]
ولقيتِ من عَسْفِ العدوِّ وكيدِه ... دونَ الذي لاقيتِ من أهليكِ![٨]
وَلَّى الْحُماةُ فما أجابوا دعوةً ... لمّا دعاهم للردَى داعيكِ[٩]
تركوكِ للموتِ الزُّؤام وأدبروا ... يا ليتَهم للموتِ ما تركوكِ![١٠]
ومضَوْا حيَارَى ذاهلين، فما رأوا ... كَفَّيْكِ ضارِعةً، ولا سِمعوكِ[١١]
قَذَفوا السلاحَ فصَبّه أعداؤُهم ... غُلًّا، فكاد حديدُه يُرْديكِ[١٢]
ونُعِيتِ للدنيا فشبَّتْ لوعةٌ ... أصلَى القلوبَ بحرِّها ناعيكِ[١٣]

* * *

وَيلَ الشبابِ من النُّعومةِ إنَّها أعراضُ سُمٍّ للشعوبِ وشيك[١٤]
ما أتعسَ الزمنَ الجديدَ بِفِتْيةٍ قتلوه في التصفيفِ والتدليك![١٥]
قَلْبٌ كقُرْطِ الغانياتِ مُفَزَّعٌ وإرادةٌ من حَيْرةٍ وشُكوك[١٦]
عاشوا صعاليكَ الحياةِ وليتَهم فازوا بصِدقِ عزيمةِ الصُّعْلوك!
أبقتْ ليالي الأُنسِ من أخلاقِهم فزعَ النعامةِ وازدهاءَ الديك[١٧]

* * *

باريسُ هالَتْكِ الدماءُ غزيرةً فسَقَطْتِ بين نِصالِ جزَّاريك![١٨]
خِفْتِ القذائفَ أن تهدَّ معالمًا فتهدَّم التاريخُ في أيديك!
ما كان أحْرَى لو دُكِكْتِ إلى الثرَى وتركتِ ذِكْرًا ليس بالمدكوكِ![١٩]
ما بُرجُ «ايفلَ» حين يسلَمُ مانِعٌ هَمْسًا يطِنُّ غدًا بأذْنِ بنيك[٢٠]
لو طال صبْرِكِ في المكارهِ ساعةً لرأيتِ أنّ الموتَ قد يُنجيك
إنّ الذي خلَقَ الكرامةَ صانها بالسيفِ يمحو رأيَ كُلِّ أفيك[٢١]
بين المهانةِ والمَعَزَّةِ خُطوةٌ فإذا ضلِلْتِ فقَلَّ مَنْ يَهديك[٢٢]
شتانَ بين فتًى يموتُ مجالِدًا وفتًى يموتُ بجُرْعةِ «الفينيك»![٢٣]
شتَّى أساليبُ الحياةِ، ولا أرَى للمجدِ غيرَ طريقِهِ المسلوك[٢٤]
سِرُّ البطولةِ في الشدائدِ جُرْأَةٌ سيَّانِ: تفري الخطبَ أم يَفريك[٢٥]
قد كنتِ في «السبعين» أكرَم موقفًا والغانياتُ بشَعرِها تفديكِ[٢٦]

* * *

باريسُ قد ضُرِبَ الثباتُ بلندُنٍ مَثَلًا إلى أمثالِه يدعوك
عبَستْ لهم «دنكركُ» فاقتحموا الردَى ومشَوْا بوجهٍ للمنونِ ضحوك[٢٧]
واستقبلوا نُوَبَ الزمانِ ضراغمًا لما تخلّف عاهِلُ «البلجيك»[٢٨]
جعلوا الهزائِمَ سُلّمًا، فتسلّقوا للنصرِ فوقَ جماجمٍ وتريك[٢٩]
أصْلَتْهُمُ الهيجَاءُ نارَ جحيمها فتخلَّصوا كالعَسْجدِ المسبوكِ[٣٠]
لو أنَّهم وهَنوا لزالتْ رِيحُهم وقضَوْا عبيدَ الذُلِّ والتفكيك[٣١]

ولمَا رمى «شَرْ بُرْجَ» منهم جَحْفَلٌ ... في مأزِقٍ كفمِ الليوثِ ضَنيك[٣٢]
ولما رأت «روما» طلائِعَ نجدةٍ ... تشري المحامدَ بالدمِ المسفوكِ[٣٣]
ولما مضَى «روميلُ» يلعَقُ جُرْحَه ... ويجرُّ ذيلَ العاثرِ المفلوك[٣٤]
ولما جرت في البحرِ تخطِرُ سُفْنُهم ... من آخِر «الهادي» إلى «البلطيك»[٣٥]

* * *

باريسُ — والذكرَى جحيمٌ — فانظُري ... نحوَ السماء لعلَّها تُنسيك![٣٦]
وتَذكَّري ماضيكِ فهو مَجادةٌ ... قد كان أستاذَ الوَرى ماضيك[٣٧]
يا أُم «هوجو» كلُّ شِعْرٍ يَرْتَجي ... لو كان يُلْقَى وَحْيَه من فيك[٣٨]
أشعلتِ مِصباحَ الفُنون فأشرقت ... بضيائه الأيامُ بعد خُلوك[٣٩]
فيكِ الثقافةُ بالمجانةِ تلتقي ... ماذا أقولُ وكُلُّ شيءٍ فيك؟[٤٠]
يا كعبةَ الدنيا، ويا نادي الهوَى ... الآنَ كيفَ الحالُ في ناديكِ؟[٤١]
أتُرَى البلابِلُ لا تزالُ صَوادحًا ... أم راعها الغِربانُ في واديكِ؟[٤٢]
والغانياتُ؟ أفُزِّعتْ أسرابُها ... وتَفَرّق السُّمارُ عن شاديك؟[٤٣]
طَلَعتْ عليكِ مع الصباح فوارسٌ ... ومشَى الغريمُ لحقِّه المتروك[٤٤]
طاحوا بقيدِك في الهواء، وكم لها ... مِنَنٌ على المأسورِ والمملوك؟[٤٥]
وجنودُكِ الأحرارُ تستبقُ الْخُطا ... لِتَردَّ صفعتَها إلى غازيك[٤٦]
فتفرَّق الأعداءُ عَنْكِ بَدَائدًا ... والطعنُ فوقَ قفاهُمُ المصكوك[٤٧]
سُبحانَ من لا حُكْم إلّا حُكمهُ ... يُمْضِي إرادتَه بغير شريك
عُودي إلى ظِلِّ السلامِ وأشْرِقي ... كالشمسِ تعلو الأفْقَ بعد دُلوكِ[٤٨]
واستقبلي الدنيا جديدًا واعلمي ... أنَّ الأسَى والحزنَ لا يُجديك
قَدَرُ الإلهِ إذا كرِهْتِ لقاءَه ... فلعَلَّ في عُقْباه ما يُرضيك[٤٩]

هوامش

(١) القريض: الشعر. والهًا: مستجيرًا حزينًا جزعًا.

(٢) نهكتك: أتعبتك. داهية الخطوب: الأمور الشديدة. حشاشة: حشوة البطن، بقية الروح. المنهوك: المكدود، التعب.

(٣) النوك: الحمقى.

(٤) جبرية: التجبر والكبرياء. وفتوك: القتل غيلة.

(٥) كالمنون: كالموت. محجب: مستور. عات: متكبر مجاوز للحد. مهتوك: مقطوع، مفضوح.

(٦) دامية: الشجة تدمى ولا تسيل. القنا: الرماح. المشكوك: الداخل في الجسم.

(٧) بيتان ولا فال: قائدان فرنسيان لجيوش الحلفاء (إنجلترا وفرنسا وأمريكا) في الحرب العالمية الثانية ضد دولتي المحور (ألمانيا وإيطاليا).

(٨) عسف: ظلم. دون: أقل.

(٩) الحماة: الذين يدافعون عن حماك. للردى: للموت.

(١٠) الزؤام: الكريه. أدبروا: فروا.

(١١) ضارعة: متوسلة. مبتهلة داعية.

(١٢) غلًّا: حقدًا وكراهية. يرديك: يغتالك ويهلكك.

(١٣) نعيت: جاء خبر موتك (هزيمتك). شبت: توقدت. أصلي: أحرق. بحرها: بحرارتها. ناعيك: الذي جاء بخبر سقوطك وهزيمتك.

(١٤) وشيك: سريع الحدوث.

(١٥) قتلوه: قضوا عليه والمقصود أضاعوا وقتهم. التصفيف: تنظيم الشعر. التدليك: دلك الجسم بالطيب.

(١٦) قرط: ما تتحلى به النساء ويوضع في شحمة الأذن. مفزع: خائف.

(١٧) ازدهاء: افتخار.

(١٨) هالتك: أفزعتك. نصال: جمع نصل وهو حد السكين.

(١٩) أحرى: أجدى. دككت: سويت بالأرض.

(٢٠) برج إيفل: هو برج عظيم وأحد معالم باريس. يطن: يسمع (والطنين صوت الذباب).

(٢١) أفيك: كاذب فاسد الرأي.

(٢٢) ضللت: بعدت عن الرشاد.

(٢٣) مجالدًا: مجاهدًا ومقاومًا. جرعة: كمية صغيرة. الفينيك: سائل مطهر مبيد. ويموت بجرعة الفينيك يقصد يموت منتحرًا.

(٢٤) شتى: كثيرة. أساليب: طرق. المسلوك: السائر فيه.

(٢٥) سيان: يستوي. تفري: تقطع وتمحو. الخطب: الشدة.

(٢٦) السبعين: حرب السبعين الشهيرة.

(٢٧) دانكرك: مدينة ساحلية بفرنسا تجاه إنجلترا اشتهرت بمعركة انسحاب جيوش الحلفاء (إنجلترا وفرنسا) من فرنسا إلى إنجلترا في الحرب العالمية الثانية.

(٢٨) نوب: مصائب. ضراغمًا: أسودًا. عاهل البلجيك: ملك بلجيكا.

(٢٩) تريك: جمع تريكة وهي خوذة لوقاية الرأس في الحرب.

(٣٠) أصلتهم: أصابتهم. الهيجاء: الحرب. العسجد: الذهب. المسبوك: المذاب.

(٣١) وهنوا: ضعفوا. زالت ريحهم: هزموا. قضوا: حكم عليهم. التفكيك: التفرق.

(٣٢) شربرج: قائد في الحرب العالمية الثانية. الليوث: الأسود. ضنيك: ضيق.

(٣٣) تشري: تشتري. المحامد: الخصال الحميدة.

(٣٤) روميل: قائد ألماني شهير هزم في معركة العلمين الحاسمة في الحرب العالمية الثانية. يلعق: يلحس. العاثر: الساقط المهزوم. المفلوك: البائس المسكين.

(٣٥) تخطر: تسير متبخترة. الهادي: المحيط الهادي. البلطيك: بحر البلطيك.

(٣٦) جحيم: نار عظيمة.

(٣٧) مجادة: مجد وشرف. الورى: الخلق.

(٣٨) هوجو: فيكتور هوجو شاعر فرنسي عظيم وصاحب قصة البؤساء الشهيرة. يرتجي: يأمل فيه. يلقى وحيه: يستقبل ويأخذ إلهامه. من فيك: من فمك.

(٣٩) أشعلت: أنرت. حلوك: ظلام.

(٤٠) المجانة: اللهو.

(٤١) يا كعبة الدنيا: يا مقصد كل العالم.

(٤٢) صوادحًا: مغردات بصوت جميل. الغربان: طيور سوداء صوتها مزعج وشكلها مقبض.

(٤٣) أسرابها: جماعات. السمار: المتحدثون ليلًا للتسلية.

(٤٤) الغريم: المقصود جيوش الحلفاء التي هاجمت أوروبا بعد هزيمتها في دنكرك وحاربت الألمان وهزمتهم، وخلصت فرنسا ودول أوروبا الغربية من الاحتلال.

(٤٥) منن: أيادي بيضاء.

(٤٦) جنودك الأحرار: يقصد جيشها الحر الذي كونه الجنرال ديجول لمحاربة الألمان. غازيك: محتلك وهم الألمان.

(٤٧) المصكوك: المضروب.

(٤٨) دلوك: زوال وغروب.
(٤٩) عقباه: آخرته.

مُعاهدة ١٩٣٦[١]

نُشرت بالعدد الثالث من السنة الثالثة لمجلة دار العلوم عام ١٩٣٧م

تقديم

يصدر هذا الجزء من صحيفة دار العلوم، وقد حقق الله لمصر ما كانت ترجوه، وتجاهد في سبيله جهاد الكماة في حومة الوغى — ألا وهو الاستقلال الذي كانت تصبو إليه النفوس وتتجه الآمال — وانتهى ذلك الكفاح، الذي طال أمده بين دولة قوية تملأ جنودها البر وسفنها البحر وطيرانها الفضاء، وبين مصر الفتية الناهضة، التي لم يكن لأبنائها من عدة، سوى ما يعمر قلوبهم من إيمان ثابت وعقيدة راسخة بأن من حقهم الطبيعي أن يعيشوا أحرارًا، كما خلقهم الله أحرارًا، أو يموتوا كرامًا بين طعن القنا وخفق البنود.

ففي سبيل مصر تلك الدماء الزكية التي خضبت الأرض، وفي ذمة الله تلك الأرواح الطاهرة، التي قدمها شباب الوادي فداء للوطن العزيز.

لقد استقلت مصر فشملها الفرح وعمها السرور، ولم ينس أبناؤها الأمجاد — وهم في نشوة النصر — ما للزعماء عليهم من حق، فقاموا يتناقشون في صنوف التكريم، ويتخذون مظاهر شتى لتقديرهم، والاعتراف لهم بكل ما قدموا من خير لبلادهم.

---

[١] وهي اتفاقية «مونترو» التي أبرمها مصطفى النحاس باشا، عندما كان رئيسًا لوزراء مصر عام ١٩٣٦م. بين مصر وإنجلترا ثم قام بإلغائها عندما كان رئيسًا لوزراء مصر عام ١٩٥١م.

وكان من أروع حفلات التكريم، تلك الحفلة التي أقامها الموظفون لحضرة صاحب المقام الرفيع الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا وصحبه المخلصين، الذين أبلوا في سبيل الاستقلال بلاءً حسنًا، فقد جمعت الحفلة جمهرة من خيرة المثقفين في مصر، وكان لأبناء دار العلوم حظ في اشتراك جمهورهم فيها، وكان لشاعرهم الفذ، الأستاذ علي الجارم بك، المفتش الأول للغة العربية في وزارة المعارف قصيدة من أمهات القصائد، عبر فيها عما يكنون بين جوانحهم من وطنية صادقة، وتقدير للعاملين لخير الوطن من رجالات مصر، وإن مصر لتبدأ هذا العهد الجديد بقلب فتي وهمة وثابة، وهي ترقب من جميع أبنائها أن يشدوا العزائم، ويؤدوا للوطن ما يرفع شأنه ويعلي مكانته.

وإننا — معشر المعلمين — لنعاهد الوطن على أن نسير في إعداد الجيل الحاضر إعدادًا أساسه التفاني في حب الوطن والإخلاص لأهله والعمل لخيرهم جميعًا.

وهذه قصيدة صاحب العزة الأستاذ الكبير علي الجارم بك ننشرها في صدر الصحيفة:

أَبَتْ أعلامُ مَجْدِكَ أنْ تُسَامَى ... وعَزَّتْ هِمةٌ لكَ أنْ تُراما[1]
تُحَلِّقُ للنجومِ فتَعتليها ... وتَبْغِي فَوقَ دَارتِها مَقاما[2]
بَعثْتَ الشَّرْقَ يَبْسُط ساعِديْه ... وَيمسَحُ عن مَحاجِرِه المناما[3]
تمرُّ بصخرهِ الأهوالُ حَسْرَى ... وتَخْشى الحادثاتُ به اصطداما
وصَارتْ مصرُ قِبلةَ كُلِّ شَعْبٍ ... وقامَ المصطفى فيها إماما
على دِينٍ من الأخلاقِ سَمْحٍ ... ورأيٍ ساطعٍ يمحو الظلاما
وعزمٍ لو رمى جَنَبَاتِ رضوَى ... لَدُكَّ الطَّودُ وانهدمَ انهداما[4]
تطوفُ به الحوادثُ صاغِراتٍ ... فتُغْضِي أعْيُنًا وتخرُّ هاما[5]
نضاهُ اللهِ يومَ نضاهُ عَضْبًا ... يردُّ مَضاؤُهُ الجيشَ اللُّهاما[6]
يُصاحِبُه من الإيمَانِ قَلْبٌ ... ونَصْرُ اللهِ يتبعُه لِزاما
ويَصْقُلُه الصِّدامُ المُرُّ حتى ... ظَنَنا أنّه يَهْوَى الصِّداما
وكَمْ في الناس مِنْ سَيْفٍ صَقيلٍ ... تَراهُ — إذا دعا الداعي — كَهاما[7]

* * *

نَهَضْتَ بمطْلَبٍ وَعْرٍ جَسيمٍ ... فنِلْتَ بنَيلِهِ الشَّرَفَ الجُسَامَا

تَخُوضُ له الصِعابَ الصُّمَّ خَوْضًا ... وتَقْتَحِمُ الخطوبَ لهُ اقتحاما
وتـزأرُ دُونَـه زَأْرَ ابـنِ غـابٍ ... أبِـيٍّ أنْ يُسَـاوَمَ أو يُسَـامـا[٨]
ومَنْ كالمصطفى للحقِّ رِدْءًا ... إذَا الرِّعديدُ دونَ الحقِّ ناما؟[٩]
ومَنْ طَلَبَ العُلا في اللهِ ألْقَى ... إليهِ شامِسُ الدَّهرِ الزِّماما[١٠]

* * *

جَفَا الدُّنيا، وهامَ بحُبِّ مِصرٍ ... هُيامًا أَلْهَمَ الصَّبَّ الهيامـا[١١]
تلوذُ به، فيكلؤُها كَرَيمًا ... وتَرْجوهُ، فينصُرُها هُماما[١٢]
وينفَحُ دونَها في الحَقِّ سَيفًا ... ويَهْمِي في مرابِعها غماما[١٣]
محامِدُ، لو حَواها الشعرُ رَقَّتْ ... حواشي الشعرِ، وانسجمَ انسجاما
وآمـالٌ، يُـتَـوَّجُ مُـبـتـغـاهـا ... تـمـامٌ، عَـلَّـم الـبـدرَ الـتـمـامـا
لقدْ ضاقَ الحسودُ بما يُلاقي ... ومَنْ ذا يكشِفُ الداءَ العُقاما؟[١٤]
وما عَيْبُ الضِياء وقد تجَلَّى ... إذا عَمِيَ المُكابِرُ، أو تَعامى؟
إذا اعتصمَتْ بحبلِ اللهِ نَفْسٌ ... دَنا الغرضُ البعيدُ وقَدْ ترامى[١٥]
وذُلِّلتِ السبيلُ، ودَانَ طَوْعًا ... من الآمالِ أصْعَبُها مَراما[١٦]
ومِنْ كَرمِ النفوسِ تَرى نُضارًا ... ومِنْ هَوْنِ النفوسِ تَرى رُغاما[١٧]
ورُبَّ فَتًى كصدرِ الرُّمْحِ صُلْبٍ ... وآخرَ خائرٍ يَحكي الثُّماما[١٨]
ومَنْ خَلَقَ الضّراغِمَ واثباتٍ ... إلى عَزَماتها خَلَقَ النَّعاما![١٩]
زَعيمَ الشَّعْبِ، أنتَ لهُ رَجاءٌ ... إذا ما أشجَعُ الأبطالِ خَامَا[٢٠]
دَعَتْ مصرٌ، فكُنْتَ لها جوابًا ... وَكُنتَ لِصَوْنِ وَحْدَتِها عِصاما[٢١]
رَعَيْتَ حُقوقَها وَدَفَعْتَ عَنْها ... ومَنْ كالمصطفى يَرْعى الذِّماما؟[٢٢]
وحامَتْ حَوْلَكَ الآمالُ نَشْوَى ... كطيرٍ دَفَّ في رَوْضٍ وحاما[٢٣]
وأصبَحَ عَهْدُكَ الزاهي سَلامًا ... يَرِفُّ فلا نِفَارَ ولا خِصاما[٢٤]
تَوَطَّدَتُ العقيدَةُ واطمأنتْ ... فلا صَدْعًا نَخافُ ولا انقساما[٢٥]
وعادَ لمصر ماضيها مجيدًا ... وقامَ العدلُ في مصر قِياما
بَنَيْتَ فكان حينَ بَنيْتَ أُسًّا ... وأَرْسَيتَ القواعِدَ والدِّعاما[٢٦]
رأيتُ لكُلِّ مَمْلَكَةٍ نِظامًا ... ولا كالعَدْلِ في الدُّنْيا نِظاما

* * *

رَعاكِ اللهُ، قَدْ أرْضَيْتَ سَعْدًا ... وكُنْت لفَوْزِ دَعْوَتِهِ قِواما[٢٧]
يُمِدُّك مِنْهُ رُوحٌ عَبْقَرِيٌّ ... ويَنْفُثُ فيكَ رَأْيًا واعْتِزاما[٢٨]
خَلِيفَتهُ، وقائِدُ تابِعيهِ ... إلى أنْ يَبْلُغَ المجْدُ السَّناما[٢٩]
تُرفْرفُ رُوحُ سَعْدٍ منْ عُلاها ... عَلَيكَ وتَمْلأُ الدُّنيا ابتساما
سَلَكْتَ سَبيلَه شِبْرًا فَشبْرًا ... تُقاسِي وَعْرَها عَامًا فعاما[٣٠]
تُلاقيكَ الصِّعابُ فَلا تُبالي ... أَمَاءً خُضْتَ فيهِ، أمْ ضِراما[٣١]
فما ثَلَمَتْ لَكَ الأحداثُ سَيْفًا ... ولا حَطَمَتْ لكَ الدُّنْيا سِهاما[٣٢]
ومَنْ عَقَدَ الإلهُ لهُ لواءً ... فلسْتَ تَرى لعُقْدتِه انفصاما[٣٣]

* * *

وحَوْلكَ مِنْ صِحَابِكَ كُلُّ نَدْبٍ ... عَيُوفٍ أن يُضِيمَ وأَنْ يُضَاما[٣٤]
نَسيمُ خَمِيلةٍ، والجوُّ صَحْوٌ ... وعاصِفَةٌ، إذا ما الجوُّ غَامَا[٣٥]
يَسيرُ لِقَصْدِهِ النَائي إمَامًا ... إذا لم يُلْفَ سَبَّاقٌ أَمَامَا[٣٦]
شَمائِلُ لو وَعاها الحِسُّ كَانَتْ ... عبيرَ المِسْكِ أو رِيحَ الخزامى[٣٧]
صِحَابُ المصطَفَى وَرِجَالُ سَعْدٍ ... مَقَامٌ لَا يُنَالُ ولا يُسَامَى![٣٨]

* * *

نَزَلْتَ بِلُنْدُنٍ، فَرَأَوْا كريمًا ... أبِيًّا، قَادَ أَبْطالًا كِرامًا[٣٩]
بَليغًا صمْتُهُ، والصَّمْتُ حَزْمٌ ... وسَحْبانًا، إذا ارْتَجَل الكَلَاما[٤٠]
فَكمْ في غُمّةٍ ألقى ضِياءً ... وَكَمْ عَنْ حُجّةٍ كَشفَ اللِّثاما[٤١]
لَهُ مِنْ قُوَّةِ الرحمنِ رُكْنٌ ... يَلوذُ بِهِ اعتِزازًا واعتِصاما[٤٢]
رَأَوْا كَرَمَ النِّضَالِ فأكبَرُوه ... وكانوا خَيرَ مَنْ قَدَرَ الأنَاما[٤٣]
ونالتْ مِصْر الاستقلالَ طَلْقًا ... وطَوَّحَت المقاودَ والخِطاما[٤٤]
وصارَ القولُ في جَهْرٍ حَلالًا ... وكانَ الهمْسُ في سِرٍّ حَراما
ولولا المصطفى لم تَحْظَ مِصْرُ ... ولا بَلَّتْ مِنَ الأمَلِ الأواما[٤٥]

* * *

مُـعـاهَـدةُ الـصَّـداقـةِ والـتـآخـي غَدَتْ لـجـهودِكَ العُظْمَى وِسـامـا
رَفَـعْـتَ بِـهـا عَـن الأعـنـاقِ نِـيـرًا ومـزَّقْـتَ الـغـمـائـمَ والـكـمـامـا[٤٦]
وسـابَـقْـتِ الممـالِكَ مِـصـرُ وَثْـبًـا إلَامَ تَـظَـلُّ وانـيـةً إلامـا؟[٤٧]
تَـعـالـى الـلـهُ هَـذا فَـضْـلُ رَبِّـي كَشَـفْـتَ بـه عَـن الـفـتحِ القَـتـامـا[٤٨]
وكُـلُّ عَـظـائِـم الـتـاريـخ رَهـنٌ إلى أَنْ يَسْتَخيرَ لَهـا العظامـا[٤٩]
ولا يَـحْـظَـى بـنـيـلِ الـمـجـدِ إلَّا فـتًـى هَـجَـرَ الـمـلالـةَ والسـآمـا[٥٠]
سِـجـلُّ الـفَـضْـلِ كُـنـتَ لـه ابـتـداءً وصُـحْـفُ النُّـبْـلِ كُـنْـتَ لـهـا خِـتـامـا
صِـفـاتُكَ أَعْـجَـزَتْ شِـعْـرِي، وفَـخـرٌ لِـمـثـلـي أنْ يَـلـم بـهـا لـمـامـا[٥١]
بَـقَـيْـتَ لـصَـرْحِ الاسـتـقـلالِ رُكْـنًـا ودُمْـتَ لـرفْـعِ رايـتـهِ، وَدَامـا[٥٢]

هوامش

(١) تسامى: تصل إلى مستواها في الرفعة والسمو. ترامى: يريدها وينالها أحد.
(٢) تحلق: تصل إلى علو النجوم.
(٣) يبسط: يمد. محاجره: كناية عن عيونه.
(٤) رضوى: جبل شهير بالحجاز. الطود: الجبل العظيم.
(٥) تغضي: يخفض من نظره فلا يتمكن من الرؤيا. تحر: تسقط وتنكسر. هاما: قمم.
(٦) نضاه: جرده من قرابه. عضبا: كناية عن القوة. مضاؤه: سلاحه الحاد.
(٧) صقيل: مصقول، قوي حاد. كهاما: كناية عن التفتت والاندثار.
(٨) زأر: الزئير صياح الأسد. ابن غاب: الأسد.
(٩) ردءًا: مدافعًا وحاميًا. الرعديد: الجبان.
(١٠) شامس: الصعب. الزماما: المقود.
(١١) جفا: خاصمها. الصب: المحب.
(١٢) تلوذ به: تلجأ إليه. فيكلؤها: يرعاها.
(١٣) ينفح عنها: يدفع عنها الأذى. يهمي: يمطر: مرابعها: ربوعها. غماما: مطرًا.

(١٤) الداء العقاما: المرض شديد الخطر العسير على الشفاء.

(١٥) ترامى: بعد.

(١٦) السبيل: الطريق. دان: قرب. طوعًا: طائعًا. مراما: هدفًا وغاية.

(١٧) نضارا: ذهبًا. رغاما: ترابا.

(١٨) صدر الرمح: أول شيء في الرمح. خائر ضعيف. يحكي: يشابه. الثمام: نبت ضعيف له حوض أو شبيه بالحوض.

(١٩) الضراغم: الأسود.

(٢٠) خاما: مثل الخامة من الزرع تميلها الريح مرة هكذا ومرة هكذا أي: صيرته ضعيفًا.

(٢١) عصاما: ما يعتصم به وملجأ وملاذ لهم.

(٢٢) الذمام: الحرمة.

(٢٣) دف في روض وحاما: هبط وقرب من الأرض وطار وعلا في السماء.

(٢٤) يرف: يتفق. نفار: نفار وكره.

(٢٥) توطدت: زادت تماسكًا. صدعًا: انشقاقًا.

(٢٦) أسسًا: أساسًا. الدعاما: ما يدعم ويثبت به.

(٢٧) قواما: عمادًا.

(٢٨) ينفث: يبثُّ.

(٢٩) السناما: أعلا الشيء.

(٣٠) وعرها: طريقها الصعب غير الممهد.

(٣١) ضراما: نارًا.

(٣٢) ثلمت: انكسر من حده شيء.

(٣٣) اللواء: العلم. انفصام: تحل عقدته.

(٣٤) ندب: خفيف وسريع في تلبية الحاجة. عيوف: مسارع في عمل الخير. يضيم: يظلم.

(٣٥) غاما: كثير الغيوم.

(٣٦) يلف: يجد.

(٣٧) شمائل: صفات حميدة. عبير: رائحة المسك: نبات طيب الرائحة. ريح الخزامى: ريح باردة مشهورة عند العرب.

(٣٨) مقام: مكانة عالية. لا يسامى: لا يرتفع ولا يصل إليه.
(٣٩) أبيًّا: يأبى فعل الصغائر.
(٤٠) سحبان: من أشهر خطباء العرب البلغاء.
(٤١) غمة: كربمة. حجة: برهان.
(٤٢) يلوذ به: يلجأ إليه.
(٤٣) الأناما: الناس.
(٤٤) طلقًا: بدون قيود. طوحت: رمت بعيدًا. الخطاما: الزمام.
(٤٥) الأوام: شدة العطش.
(٤٦) نيرًا: ظلمًا.
(٤٧) وانية: متكاسلة ومتباطئة.
(٤٨) القتام: الغبار.
(٤٩) رهن: مرهونة. يستخير. يختار. العظاما: عظماء الرجال.
(٥٠) السآما: النفور من الملل.
(٥١) يلم بها لماما: يحيط بها إحاطة سريعة.
(٥٢) صرح: بناء عظيم قوي. رايته: علمه.

هنـــداوي